محاضرات

في

العقيدة والدعوة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذه مجموعة محاضرات في العقيدة والدعوة ، كنت قد ألقيتها في مناسبات مختلفة ، رأيت جمعها وطباعتها رجاء أن يستفاد منها في الحاضر والمستقبل - إن شاء الله - ، فيكون فيها إسهام في الدعوة إلى الله ولو بجهد قليل .

وأسأل الله لي ولوالدَي ولجميع المسلمين المغفرة والمثوبة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

المؤلف

المحاضرة الأولى
بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل
ورد الشبهات التي أثيرت حول التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم الرسل ، ومن تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم ، فصلاح كل أمة ورقيها مربوط بسلامة عقيدتا وسلامة أفكارها ، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة .

فكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [(١)] .
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [(٢)] .

وذلك لأن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(٣)] .

والعبادة حق الله على عباده ، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : ﴿ يا معاذ ؛ تدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد : أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله عز وجل ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا ﴾ [(٤)] (رواه البخاري) (صحيح البخاري -

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .
(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٣) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٧٠١) ، مسلم الإيمان (٣٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦) ، أحمد (٢٣٨/٥) .

طبعة المكتبة الإسلامية إسطنبول ١٩٨١م : (٢١٦/٣) ، ومسلم برقم (٣٠) واللفظ له) . وهذا الحق هو أول الحقوق على الإطلاق لا يسبقه شيء ولا يتقدمه حق أحد .

قال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾ [2] .

ولأسبقية هذا الحق وأولويته على سائر الحقوق ، وكونه الأساس الذي ينبني عليه سائر أحكام الدين نرى النبي ﷺ لبث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى القيام به ، ونفي الإشراك عنه ، وجاء القرآن الكريم في معظم آياته بتقريره ونفي الشبه عنه ، وكل مصل فرضًا أو نفلًا يعاهد الله على القيام به في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [3] .

وهذا الحق العظيم يسمى توحيد العبادة أو توحيد الإلهية ، أو توحيد الطلب والقصد - أسماء لمسمى واحد - وهذا التوحيد مركوز في الفطر ﴿ ما من مولود إلا يولد على الفطرة ﴾ [4] (من حديث رواه البخاري (٩٧/٢) ، ومسلم ، الحديث برقم (٢٦٥٨)) . وإنما يطرأ الانحراف عنه بسبب التربية الفاسدة ﴿ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾ [5] (من حديث رواه البخاري (٩٧/٢) ، ومسلم ، الحديث برقم (٢٦٥٨)) .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٣ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٤) البخاري الجنائز (١٢٩٢) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٣١٥/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

(٥) البخاري الجنائز (١٢٩٢) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٣١٥/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

وهذا التوحيد أصيل في العالم ، والشرك طارئ عليه ودخيل فيه ، قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ ﴾ [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان بين نوح وآدم عليهما الصلاة والسلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق [٣] . قال العلامة ابن القيم : هذا هو القول الصحيح في الآية . وذكر ما يعضده من القرآن [٤] .

وصححه أيضًا الحافظ ابن كثير في تفسيره . وأول ما حدث الشرك في قوم نوح حين غلوا في الصالحين واستكبروا عن دعوة نبيهم : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٥] .

قال البخاري رحمه الله في " صحيحه " [٦] عن ابن عباس رضي الله عنهما : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا ، وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسخ العلم عبدت " !

قال الإمام ابن القيم [٧] رحمه الله : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٣ .
(٢) سورة يونس آية : ١٩ .
(٣) (انظر : (تفسير ابن كثير) (٢٥١/١) - ط مكتبة الرياض الحديثة) .
(٤) (انظر : (إغاثة اللهفان) (٢ / ٢٠١)) .
(٥) سورة نوح آية : ٢٣ .
(٦) (انظر : (صحيح البخاري) (٧٣/٦)) .
(٧) (انظر : (إغاثة اللهفان) (٢ / ٢٠٢)) .

ثم قال [1] رحمه الله : وقد تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام بكل قوم على قدر عقولهم ، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم ، كما في قوم نوح ، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين ، وأما خواصهم فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم ، وجعلوا لهم بيوتًا وسدنة وحجابًا وقربانًا ، ولم يزل هذا في الدنيا قديمًا وحديثًا ، وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة ، وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك ، وكسر حجتهم بعلمه وآلهتهم بيده ، فطلبوا تحريقه .

وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنمًا ، وزعموا أنه يستحق العبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي . وطائفة تعبد النار ، وهم المجوس فيبنون لهم بيوتًا كثيرة ، ويتخذون لها الوقوف والسدنة والحجاب ، فلا يدعونها تخمد لحظة واحدة .

وطائفة تعبد الماء ، تزعم أن الماء أصل كل شيء ، وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة وعمارة .

وطائفة تعبد الحيوانات ، فطائفة عبدت الخيل ، وطائفة عبدت البقر ، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات ، وطائفة تعبد الجن ، وطائفة تعبد الشجر ، وطائفة تعبد الملائكة . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله .

ومن الأثر الذي مر من رواية البخاري عن ابن عباس في بيان سبب حدوث الشرك في قوم نوح :

ندرك أولًا : خطورة تعليق الصور على الجدران ، ونصب التماثيل في المجالس والميادين ، وأن ذلك يئول بالناس إلى الشرك ، بحيث يتطور تعظيم تلك الصور والتماثيل إلى عبادتها واعتقاد جلب الخير ودفع الشر ، كما حدث لقوم نوح .

وندرك ثانيًا : مدى حرص الشيطان على إضلال بني آدم ومكره بهم ، وأنه قد يأتيهم من ناحية استغلال العواطف ودعوى الترغيب في الخير ، فإنه لما رأى في قوم نوح ولوعهم

(١) (انظر : (إغاثة اللهفان) (٢٠٢/٢)) .

بالصالحين ومحبتهم لهم ، دعاهم إلى الغلو في هذه المحبة بحيث أمرهم بنصب صورهم على الناس ، وهدفه من هذا الخروج بهم عن جادة الصواب .

وندرك ثالثًا : أن الشيطان لا يقصر نظره على إغواء الأجيال الحاضرة ، بل يمتد إلى الأجيال المستقبلة ، فإنه لما لم يتمكن من إيقاع الشرك في الجيل الحاضر من قوم نوح طمع في الجيل المقبل ونصب له الأحبلة .

وندرك رابعًا : أنه لا يجوز التساهل في وسائل الشرك ، بل يجب قطعها وسد بابها .

وندرك خامسًا : فضل العلماء العاملين ، وأن وجودهم في الناس خير . وفقدانهم شر ، فإن الشيطان لم يتمكن من إغواء القوم حتى فقدوا .

أنواع التوحيد

إن التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية المتمثل بالإقرار بالخالق وانفراده بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة وجلب الخير ودفع الشر .

وهذا النوع لا يكاد ينازع فيه أحد من الخلق ، حتى إن المشركين كانوا يقرون به مع شركهم ولا ينكرونه ، كما ذكر الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] .

وأمثالها من الآيات كثير ، وفيها البيان الواضح بأن المشركين كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد ، وإنما كانوا يجحدون النوع الثاني منه ، وهو توحيد العبادة المتمثل في إفراد الله سبحانه وتعالى في الطلب والقصد في كل ما يصدر من العبد من أنواع العبادة ، كما تدل عليه وتعبر عنه كلمة (لا إله إلا الله) ، إن هذه الكلمة تثبت العبادة بجميع أنواعها لله وحده وتنفيها عما سواه .

ولهذا لما طلب النبي ﷺ من المشركين أن يقولوها امتنعوا وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [2] . ؛ لعلمهم أن من قالها فقد اعترف ببطلان عبادة كل ما سوى الله ، وأثبت العبادة لله وحده ، فإن الإله معناه المعبود ، والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ، فمن نطق بهذه الكلمة وهو مع هذا يدعو غير الله فقد تناقض مع نفسه ، والعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية هي التلازم ، بمعنى : أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية والقيام به ظاهرًا وباطنًا ؛ ولهذا كان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطالبون أممهم بذلك ، ويحتجون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبية ، كما قال

---

(١) سورة يونس آية : ٣١ .

(٢) سورة ص آية : ٥ .

تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (١) . ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢) .

فالإقرار بتوحيد الربوبية مركوز في الفطر ، لا يكاد ينازع فيه أحد من المشركين ، ولم يعرف عن أحد من طوائف العالم إنكار هذا النوع إلا الدهرية الذين يجحدون الخالق ، ويزعمون أن العالم يسير بنفسه من غير مدبر له ، كما قال الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ (٣) .

فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٤) .

فهم لم يبنوا إنكارهم هذا على برهان دلهم عليه ، بل على مجرد ظن ، والظن لا يغني عن الحق شيئا ، كما لم يستطيعوا الإجابة عن قوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٥) .

ولا عن قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ (٦) .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٢ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣٨ .
(٣) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٤) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٥) سورة الطور الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .
(٦) سورة لقمان آية : ١١ .
(٧) سورة الأحقاف آية : ٤ .

ومن تظاهر بجحد هذا النوع من التوحيد كفرعون ، فهو مقرّ به في الباطن كما قال الله تعالى عنه : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [1] .

وقال عنه وعن قومه : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ [2] .

وقال تعالى عن الأمم الأولى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] .

وهذا النوع من التوحيد ، كما لم يذهب إلى جحده طائفة معروفة من بني آدم ، كذلك في الغالب لم يقع فيه شرك ، فالكل مُقِرون بأن الله هو المنفرد بالخلق والتدبير ، ولم يثبت عن أحد من طوائف العالم إثبات خالقين متساويين في الصفات والأفعال ، فالثنوية من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين - خالقًا للخير ، وهو النور ، وخالقًا للشر وهو الظلمة - لا يسوون الظلمة بالنور ، فالنور عندهم هو الأصل والظلمة حادثة ، وهم متفقون على أن النور خير من الظلمة .

وكذلك النصارى القائلون بالتثليث لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب منفصل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن خالق العالم واحد ، ويقولون : إن الآب هو الإله الأكبر .

والحاصل : أن إثبات توحيد الربوبية محل وفاق والشرك فيه قليل ، ولكن الإقرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام ، بل لا بد مع ذلك أن يأتي بلازمه وهو توحيد الإلهية ، فإن الأمم الكفرية كانت تقر بتوحيد الربوبية ، خصوصًا مشركي العرب الذين بعث فيهم خاتم الرسل ﷺ ولم يكونوا بذا مسلمين لما لم يأتوا بتوحيد الإلهية ، والمستقرئ لآيات القرآن الكريم يجد أنا تطالب بتوحيد الإلهية ، وتستدل عليه بتوحيد الربوبية ، فهي تطالب المشركين بما جحدوه ، وتستدل عليه بما أثبتوه . فهي تأمرهم بتوحيد العبادة ،

(1) سورة الإسراء آية : ١٠٢ .
(2) سورة النمل آية : ١٤ .
(3) سورة العنكبوت آية : ٣٨ .

وتخبر عن إقرارهم بتوحيد الربوبية ، فتذكر توحيد العبادة في سياق الطلب ، وتوحيد الربوبية في سياق الخبر .

وأول أمر جاء في المصحف هو قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] .

وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه ، وكل سورة في القرآن ، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد ؛ لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا هو توحيد الربوبية ؛ وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه ، وهذا هو توحيد الإلهية ؛ وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة ، وهذا جزاء توحيد ؛ وإما خبر عن أهل الشرك وعن جزائهم في الدنيا والآخرة ، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد ؛ وإما أحكام وتشريع ، وهذا من حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده .

وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة هي : (لا إله إلا الله) فإنا تتضمن نفيًا وإثباتًا . نفي الإلهية الحقة عن كل ما سوى الله وإثباتا لله وحده . كما تتضمن ولاء وبراء ، ولاء الله وبراء مما سواه . ودين التوحيد قائم على هذين الأساسين ، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه : ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] .

وهذا منهاج كل رسول يبعثه الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ ﴾ [3] .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢١ - ٢٢ .
(٢) سورة الزخرف الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [(1)] .

فمن قال : (لا إله إلا الله) فقد أعلن البراءة من عبادة كل ما سوى الله والتزم القيام بعبادة الله ، وذلك عهد يقطعه الإنسان على نفسه : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [(2)] .

فلا إله إلا الله إعلان لتوحيد العبادة ؛ لأن معناه المعبود ، فمعناها لا معبود بحق إلا الله . فمن قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملًا بمقتضاها من نفي الشرك ، وإثبات الوحدانية لله مع اعتقاد ذلك والعمل به فهو المسلم حقا ، ومن قالها وعمل بمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقاد في القلب فهو المنافق ، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لمدلولها فهو الكافر ولو قالها مرارًا وتكرارًا ، كحال عباد القبور اليوم الذين ينطقون بذه الكلمة ولا يفقهون معناها ولا يكون لها أثر في تعديل سلوكهم وتصحيح أعمالهم فتراه يقول : لا إله إلا الله ، ثم يقول : المدد يا عبد القادر ، يا بدوي ، يا فلان يا فلان ، يستنجد بالأموات ويستغيث بم في الملمات .

إن المشركين الأولين عرفوا من معنى هذه الكلمة ما لم يعرفه هؤلاء ، حيث أدركوا أن الرسول ﷺ حينما قال لهم : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله ﴾ [(3)] (رواه الإمام أحمد في المسند ، الطبعة الميمنية ٣ / ٤٩٢ ، والترمذي في سننه ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، تحقيق أحمد شاكر ، الحديث برقم (٣٢٣٢)) . فقد طلب منهم ترك عبادة

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .
(٢) سورة الفتح آية : ١٠ .
(٣) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٣٢) ، أحمد (٢٢٨/١) .

الأصنام وأراد منهم عبادة الله وحده ، ولهذا قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [1]
وقال قوم هود : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [2] .
وقال قوم صالح له : ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [3] .
وقال قوم نوح له من قبل : ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [4] .
وقال قوم نوح له من قبل : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [5] .

هذا ما فهمه الكفار من معنى : لا إله إلا الله - أنه ترك لعبادة الأصنام ، وإقبال على عبادة الله وحده ، فلهذا أبوا النطق بها ؛ لأنه لا يجتمع مع عبادة اللات والعزى ومناة ، وعباد القبور اليوم لا يدركون هذا التناقض ، فهم ينطقون بها مع بقائهم على عبادة الأموات ، وبعضهم يفسر الإله بأنه القادر على الاختراع والخلق والإيجاد [6] فيكون معنى (لا إله إلا الله) عنده : لا قادر على الاختراع إلا الله ، وهذا من أفحش الخطأ ، فإن من فسرها بذلك لم يزد على ما أقر به الكفار ، فإنهم كانوا يقرون بأنه لا يقدر على الاختراع والخلق والرزق والإحياء والإماتة إلا الله ، كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم ولم يصيروا به مسلمين . نعم ، هذا المعنى الذي يذكرونه داخل في معنى لا إله إلا الله ، لكن ليس هو المقصود من هذه الكلمة .

---

(١) سورة ص آية : ٥ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٧٠ .
(٣) سورة هود آية : ٦٢ .
(٤) سورة هود آية : ٦٢ .
(٥) سورة نوح آية : ٢٣ .
(٦) (كما هو مذكور في كتب العقائد المؤلفة على طريقة علماء الكلام ، مثل : (رسالة التوحيد) لمحمد عبده) .

الشرك في توحيد العبادة

والشرك في العبادة هو صرفها أو صرف شيء منها لغير الله ، وقد ألمحنا فيما سبق إلى مبدأ حدوثه في الأرض ، ولا زال مستمرا في الخلق إلا من رحم الله ، وهذا الشرك نوعان : شرك أكبر يخرج من الملة ؛ كالذبح لغير الله ودعاء غير الله ، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ، وشرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد ، وقد يتمادى بصاحبه حتى يقع في الشرك الأكبر ، وذلك كالحلف بغير الله وكثير الرياء ، وقول : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، وما أشبه ذلك من الألفاظ التي تجري على اللسان ولا يقصد معناها .

وقد كثر الشرك في هذه الأمة واستشرى أمره ؛ بسبب ابتعاد أكثر الناس عن الكتاب والسنة ، وتقليدهم للآباء والأجداد على غير هدى ، وبسبب الغلو في تعظيم الموتى والبناء على قبورهم ، وبسبب الجهل بحقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، وبسبب رواج الشبه والحكايات التي ضل بها أكثر الناس ، واعتبرها أدلة يستندون إليها في تبرير ما هم عليه .

وهذه الشبه منها ما أدلى به مشركو الأمم السابقة ومنها ما أدلى به مشركو هذه الأمة .

الشبه التي أدت إلى كثرة الشرك في هذه الأمة

أولا : الاحتجاج بما عليه الآباء والأجداد

ومن هذه الشبه :

أولًا : شبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم قديمًا وحديثًا ، وهي شبهة الاحتجاج بما عليه الآباء والأجداد ، وأنم ورثوا هذه العقيدة عنهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] .

وهذه حجة يلجأ إليها كل من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه ، وهي حجة داحضة لا يقام لها وزن في سوق المناظرة ، فإن هؤلاء الآباء الذين قلدوهم ليسوا على هدى ، ومن كان كذلك لا تجوز متابعته والاقتداء به ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [3] .

وإنما يكون الاقتداء بالآباء محمودًا إذا كانوا على حق ، قال تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [5] .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٣ .
(٢) سورة المائدة آية : ١٠٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٠ .
(٤) سورة يوسف آية : ٣٨ .
(٥) سورة الطور آية : ٢١ .

وهذه الشبهة متغلغلة في نفوس المشركين ، يقابلون بها دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقوم نوح لما قال لهم نوح : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] .

فجعلوا ما عليه آباؤهم حجة يعارضون بها ما جاءهم به أبوهم نوح عليه السلام .

وقوم صالح يقولون له : ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [2] .

وقوم شعيب يقولون له : ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [3] .

وقوم إبراهيم يقولون له لما أفحمهم بالحجة وقال لهم : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [4] .

وقال فرعون لموسى : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ [5] .

وهكذا الكفر ملة واحدة ، لا يملك أهله حجة يدفعون بها الحق إلا هذه الحجة الواهية .

ثانيا : الاحتجاج بالقدر على تبرير ما هم عليه من الشرك

ثانيًا : الشبهة التي أدلى بها مشركو قريش وغيرهم ، وهي الاحتجاج بالقدر على تبرير ما هم عليه من الشرك . قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ [6] ، وقال في سورة النحل :

---

(١) سورة المؤمنون الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة هود آية : ٦٢ .

(٣) سورة هود آية : ٨٧ .

(٤) سورة الشعراء الآيات : ٧٠ - ٧٤ .

(٥) سورة طه آية : ٥١ .

(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ [١] .

وقال في سورة الزخرف : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ [٢] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند آية الأنعام [٣] هذه مناظرة ذكرها الله تعالى ، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا ، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه ، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ، أو يحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره ، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك ، قال : وهي حجة داحضة باطلة ؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ، ودمر عليهم ، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق المشركين من أليم الانتقام : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ ﴾ [٤] ، أي : بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه ، ﴿ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ [٥] أي : فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه . ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ [٦] أي : الوهم والخيال . ﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [٧] ، أي : تكذبون على الله فيما ادعيتموه . انتهى .

وقال عند تفسير آية النحل : [٨] ومضمون كلامهم : أنه لو كان تعالى كارهًا لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ، ولما مكننا منه ، قال الله تعالى رادًا عليهم شبهتهم : ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ

---

(١) سورة النحل آية : ٣٥ .
(٢) سورة الزخرف آية : ٢٠ .
(٣) (تفسير ابن كثير : (١٨٧/٢)) .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٨) (تفسير ابن كثير (٢ / ٥٦٩ ، ٥٧٠)) .

﴿ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1] أي : ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم ، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ، وناكم عنه آكد النهي ، وبعث ﴿ فِى كُلِّ أُمَّةٍ ﴾[2] ، أي : في كل قرن وطائفة من الناس ﴿ رَّسُولاً ﴾[3] ، وكلهم يدعون إلى عبادة الله ، وينهون عن عبادة ما سواه ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[4] .

فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم ، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن ، في المشارق والمغارب ، وكلهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[6] وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[7] .

فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾[8] ؟ ! فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية ؛ لأنه ناهم عن ذلك على ألسنة رسله ، وأما مشيئته الكونية : وهي تمكينهم من ذلك قدرًا فلا حجة لهم فيها . . . قال : ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل . انتهى .

(١) سورة النحل الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .
(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٤) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٦) سورة الزخرف آية : ٤٥ .
(٧) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٨) سورة النحل آية : ٣٥ .

فهم لم يريدوا بذا الكلام الاعتذار عن ارتكاب القبيح ؛ لأنم لا يعتقدون قبح أفعالهم ، بل هم ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [1] ، وهم إنما يعبدون الأصنام ، ويقولون : ﴿ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [2] ، فلم يريدوا بذلك إلا الاحتجاج على أن ما ارتكبوه حق ومشروع ومرضي عند الله ، فرد عليهم سبحانه بأنه لو كان الأمر كذلك لما بعث الرسل لإنكاره ولما عاقبهم عليه .

ثالثًا : الظن أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة

ثالثًا : ومن شبههم ظنهم أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة ، ولو فعل الإنسان ما فعل من المكفرات والشركيات متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار .

والجواب عن هذه الشبهة : أن الأحاديث المذكورة محمولة على من قال : لا إله إلا الله ، ومات عليها ولم يناقضها بشرك ، بل قالها خالصًا من قلبه مع كفره بما يعبد من دون الله ومات على ذلك ، كما في حديث عتبان : ﴿ فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ﴾ [3] (الحديث رواه البخاري (١/١١٠) ، ومسلم ، الحديث برقم (٣٣)) وفي صحيح مسلم (انظر : مسلم ، الحديث برقم (٢٣)) : ﴿ من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله ﴾ [4] ، فعلق النبي ﷺ عصمة المال والدم بأمرين : **الأول :** قول : لا إله إلا الله ، **والثاني :** الكفر بما يعبد من دون الله ، فلم يكتف باللفظ االرد عن المعنى ، بل لا بد من قولها والعمل با .

(١) سورة الكهف آية : ١٠٤ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣ .
(٣) البخاري الصلاة (٤١٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٣٣) .
(٤) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٣٩٤/٦) .

فقول : لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك ، ولكن السبب والمقتضى لا يعمل عمله إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه . قيل للحسن رحمه الله : إن ناسًا يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قال : لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة . وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح . فكيف يقال : إن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة ؟ ولو كان الناطق بها يدعو الأموات ، ويستغيث بهم في الملمات ، ولا يكفر بما يعبد من دون الله ، هل هذا إلا عين المغالطة بالباطل ؟ !

رابعًا : دعوى أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك

رابعًا : ومن شبههم : دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأن هذا الذي يقع منهم مع الأولياء والصالحين عند قبورهم ليس بشرك .

والجواب عن هذه الشبهة : أن النبي ﷺ قد أخبر أنه سيحصل في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه . ومن جملة ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، قال ﷺ : ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع ؟ حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ﴾ [1] (رواه البخاري (٨ / ١٥١)) . فأخبر ﷺ أن بعض هذه الأمة سيفعل ما فعلته الأمم قبلها من الديانات والعادات والسياسات مطلقًا . وقد وجد في الأمم قبلنا الشرك ، فكذلك يوجد في هذه الأمة .

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٨٤/٣) .

وقد وقع ما أخبر به ﷺ فها هي القبور تعبد من دون الله بأنواع العبادات ، ويصرف لها كثير من القربات ، وأخبر ﷺ أنا لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان ، رواه أبو داود [1] وابن ماجه .

وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدامة والنحل الضالة ما خرج به كثير عن دين الإسلام .

خامسًا : الاستدل بحديث إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب

خامسًا : ومن شبههم استدلالهم بحديث : ﴿ إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ﴾ [2] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٨١٢)) وهو حديث صحيح مروي من عدة طرق في صحيح مسلم وغيره ، وقد استدلوا به على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب .

والجواب عن ذلك بما قاله ابن رجب رحمه الله : إن المراد أنه يئس أن تجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر . وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾ [3] .

وأيضًا في الحديث المذكور نسبة اليأس إلى الشيطان مبنيا للفاعل ولم يقل : (أُيِسَ) بالبناء للمفعول ، وإياسه ظن منه وتخمين لا عن علم ؛ لأنه لا يعلم الغيب ، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله ، وظنه هذا تكذبه الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ والتي أخبر فيها عن وقوع الشرك في هذه الأمة من بعده ، ويكذبه الواقع فإن كثيرًا من العرب ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ بأنواع من الردة . والله أعلم .

---

(١) (انظر : سنن أبي داود ، (طبعه دار ابن حزم - بيروت ١٤١٩هـ) الحديث برقم (٤٢٥٢)) .

(٢) مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٢) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٧) ، أحمد (٣/٣١٣) .

(٣) سورة المائدة آية : ٣ .

سادسًا : التعلق بقضية الشفاعة من الأولياء والصالحين دون قضاء الحاجات

سادسًا : ومن شبههم : تعلقهم بقضية الشفاعة حيث يقولون : نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله ، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله ؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله سبحانه وتعالى ، والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة فهذا الذي نريده منهم .

والجواب : أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تعليل تعلقهم بالمخلوقين من دون الله ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [2] .

والشفاعة حق ولكنها ملك لله وحده : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [3] .

فهي تطلب من الله لا من الأموات ، والله قد أخبرنا أنا لا تحصل إلا بشرطين :

الشرط الأول : إذن الله للشافع أن يشفع ، كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [4] .

والشرط الثاني : أن يكون المشفوع فيه ممن رضي الله قوله وعمله وهو المؤمن الموحد . كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [5] .

---

(١) سورة الزمر آية : ٣ .
(٢) سورة يونس آية : ١٨ .
(٣) سورة الزمر آية : ٤٤ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [(١)] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [(٢)] .

فالله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الأصنام ؛ لأنها ملكه وحده ، ومنه تطلب : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [(٣)] .

فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع ، وإن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه . وليس الأمر كما يحصل عند المخلوقين من تقدم الشفعاء إليهم وإن لم يأذنوا لهم ، ويقبلون شفاعتهم ولو لم يرضوا بها ؛ فإن المشفوع عنده من المخلوقين يحتاج إلى الشافع ومعاونته ، فيضطر لقبول شفاعته وإن لم يأذن له فيها . وأما الله سبحانه فهو الغني عما سواه ، فليس بحاجة إلى أحد ، بل كل أحد محتاج إليه .

وأيضًا المخلوق لا يدري عن كل أحوال رعيته حتى يبلغه عنها الشفعاء لديه ، والله سبحانه بكل شيء عليم ، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه ، فليس بحاجة إلى من يبلغه .

وحقيقة الشفاعة عند الله سبحانه : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيعفو عنهم ، ويغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ؛ ليكرمه بذلك .

سابعًا : قولهم إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله

سابعًا : ومن شبههم قولهم : إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة النجم آية : ٢٦ .

(٢) سورة طه آية : ١٠٩ .

(٣) سورة الزمر آية : ٤٤ .

(٤) سورة يونس الآيات : ٦٢ - ٦٤ .

والتعلق بهم والتبرك بآثارهم من تعظيمهم ومحبتهم ، وكذلك سؤال الله بجاههم وحقهم وما أشبه ذلك من التعليلات .

والجواب : أن المؤمنين كلهم أولياء الله ، وهم يتفاوتون في هذه الولاية بحسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ، ولكن الجزم لمعين بأنه ولي الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة ، فمن شهد له الكتاب والسنة بالولاية شهدنا له بذلك ، ومن لم يشهد له الكتاب والسنة فإننا لا نجزم له بذلك ، ولكن نرجو للمؤمن الخير ، وحتى من ثبت في الكتاب والسنة أنه من أولياء الله ، فإنه لا يجوز لنا الغلو فيه والتبرك به وسؤال الله بجاهه وحقه ، فإن ذلك من وسائل الشرك ، ومن البدع المحرمة ، فنحن نحب الصالحين ونقتدي بهم في الأعمال الصالحة والخصال الطيبة ، ولا نغلو فيهم ونرفعهم فوق منزلتهم ، فإن الغلو في الصالحين هو مبدأ الشرك ، كما حصل في قوم نوح لما غلوا في الصالحين ، فآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله ، وكما وقع في هذه الأمة بسبب الغلو في الصالحين من الشرك في العبادة ، وقد حذر الله ورسوله من الغلو ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [1] .

وقال النبي ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله » [2] (رواه البخاري : (٤ / ١٤٢)) .

والإطراء : مجاوزة الحد في المدح ، والله تعالى قد أمرنا أن ندعوه وحده بدون واسطة ولي أو غيره ، ووعدنا أن يستجيب لنا وهو لا يخلف وعده ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [3] .

(١) سورة المائدة آية : ٧٧ .
(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .
(٣) سورة غافر آية : ٦٠ .

وهكذا كل الآيات فيها الأمر بدعائه مباشرة من دون واسطة أحد ، والأولياء والصالحون عباد محتاجون فقراء إلى الله ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ [1] .

قال العوفي عن ابن عباس في الآية : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة والمسيح وعزيرًا ، فقال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ [2] ، أي : الملائكة المعبودة لهم يتبادرون إلى طلب القربة إلى الله ، فيرجون رحمته ويخافون عذابه ، ومن كان كذلك لا يُدعَى مع الله [3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والآية عامة تعم كل من كان معبوده عابدًا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا ، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ، ويرجو رحمته ويخاف عذابه ، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين ، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته الآية ، كما تتناول من دعا الملائكة والجن [4] .

ثامنًا : الاستدلال بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾

ثامنًا : ومن شبههم استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [6] .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٥٧ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٧ .
(٣) (انظر : تفسير ابن كثير (٣ / ٤٧)) .
(٤) (انظر : (مجموع فتاو ى شيخ الإسلام) (٥٢٩/١١)) .
(٥) سورة المائدة آية : ٣٥ .
(٦) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

حيث فهموا من الآيتين مشروعية اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله من الأنبياء والصالحين يتوسلون بذواتم وبحقهم وجاههم .

والجواب عن ذلك : أن الوسيلة في الآيتين ليست كما فهموا ، بل المراد بها التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة - فالتوسل قسمان :

توسل مشروع ، وتوسل ممنوع . فالتوسل المشروع أنواع ، منها :

١- التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته : كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [(١)] .

كأن يقول المسلم : يا الله يا أرحم الراحمين ، يا منان يا ذا الجلال والإكرام كذا وكذا .

٢- التوسل إلى الله بإظهار الفقر والحاجة إليه سبحانه ، كما قال أيوب عليه السلام : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [(٢)] .

وكما قال زكريا عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ ﴾ [(٣)] .

وكما قال ذو النون عليه السلام : ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [(٤)] .

٣- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة ، كما في قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٨٣ .
(٣) سورة مريم آية : ٤ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٨٧ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٩٣ .

وكما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم ففرج عنهم [1] وهو التوسل المذكور في الآيتين الكريمتين اللتين استدل بما المخالف ، فهو التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة .

٤- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين : بأن تأتي عبدًا صالحًا حيا وتقول له : ادع الله لي ، كما قال النبي ﷺ لبعض أصحابه : ﴿ لا تنسنا يا أخي من دعائك ﴾ [2] (انظر الحديث : في (سنن أبي داود) برقم (١٤٩٨) ، والترمذي برقم (٣٥٦٢)) وكما كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ويطلب بعضهم من بعض الدعاء .

أما التوسل الممنوع : فهو التوسل بذوات المخلوقين وحقهم وجاههم ؛ كأن يقول قائل : أسألك بفلان أو بحق فلان أو جاهه ؛ حيا أو ميتًا ، فإن هذا بدعة محرمة ووسيلة من وسائل الشرك ، وإن تقرب صاحبه إلى المخلوق المتوسل به بشيء من أنواع العبادة فهو الشرك الأكبر ، نعوذ بالله من ذلك ، كأن يذبح للولي أو ينذر لقبره أو يناديه ويطلب منه المدد وغير ذلك . نسأل الله أن يبصر المسلمين بدينهم ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، ويهدي ضالهم .

تاسعًا : التعلق ببعض الأحاديث التي ظنوا أنا تصلح حجة لهم

تاسعًا : ومن شبههم تعلقهم ببعض الأحاديث التي ظنوا أنا تصلح حجة لهم ، كالحديث الذي رواه الترمذي في جامعه (سنن الترمذي ، برقم : (٣٥٧٣)) . بسنده عن عثمان بن حنيف : ﴿ أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادعه . فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ، ويدعو بذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد

(١) (انظر صحيح البخاري (٤ / ١٤٧ - ١٤٨)) .

(٢) الترمذي الدعوات (٣٥٦٢) ، أبو داود الصلاة (١٤٩٨) ، ابن ماجه المناسك (٢٨٩٤) .

نبي الرحمة ، إني توجهت به إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفعه في ﴾ [(١)] ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من رواية أبي جعفر ، وهو غير الخطمي ، قالوا : فهذا الحديث فيه التوجه إلى الله وسؤاله بنبيه محمد ﷺ .

والجواب عن ذلك : أن هذا الحديث إن صح فهو في غير محل النزاع ، فإن هذا الأعمى إنما طلب من النبي ﷺ أن يدعو له وتوجه إلى الله بدعائه مع حضوره ، وهذا جائز - أن تأتي إلى رجل صالح حي ، وتطلب منه أن يدعو الله لك ، وليس فيه ما يدل على التوسل والتوجه بالأموات والغائبين ، والنبي ﷺ أمر هذا الضرير أن يدعو الله أن يقبل شفاعة نبيه فيه ، فهذا فيه طلب الشفاعة من الله تعالى ، وطلب الشفاء من الله وحده ليس في الحديث أكثر من هذا ، فهو لا يدل على جواز التوسل بذوات المخلوقين ونداء الأموات والغائبين ، واستدلوا أيضًا بحديث مكذوب ، فيروون : أن النبي ﷺ قال : توسلوا بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم ، وهو حديث مكذوب مفترى على رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [(٢)] .

عاشرًا : الاعتماد على الحكايات والمنامات

عاشرًا : ومن شبههم أيضًا اعتمادهم على حكايات ومنامات : أن فلانًا مثلًا أتى القبر الفلاني فحصل له كذا وكذا ، وفلانًا رأى في المنام كذا وكذا - مثل الحكاية التي ذكرها جماعة منهم ، وهي أن العتبي قال : كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [(٣)] .

وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) الترمذي الدعوات (٣٥٧٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٥) .

(٢) انظر : (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : (٣١٩/١ ، ٣٤٦)) .

(٣) سورة النساء آية : ٦٤ .

يا خير من دفنـت في القـاع أعظمـه ... فطاب من طيبـهن القـاع والأكـم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــــه ... فيه العفـاف وفيـه الجـود والكـرم

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال : يا عتبي ، الحق بالأعرابي فبشره أن الله غفر له .

والجواب عن ذلك : أن الحكايات والمنامات لا تصح دليلًا تبنى عليه أحكام وعقائد .

وقوله تعالى : ﴿ جَآءُوكَ ﴾ [1] ، والمراد به : المجيء إليه ﷺ في حياته لا المجيء إلى قبره ، بدليل أنه لم يكن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان يأتي إلى قبره ﷺ ويطلب منه أن يستغفر له ، مع حرصهم الشديد على الخير وامتثال الأمر ، فلو كان ذلك مشروعًا لفعلوه .

الحادي عشر : الاستدلال بحصول بعض مقاصدهم عند الأضرحة ونحوه

الحادي عشر : ومن شبههم : الاستدلال بحصول بعض مقاصدهم عند الأضرحة ونحوه ، كقولهم : إن فلانا دعا عند الضريح الفلاني ، أو هتف باسم الشيخ فلان أو الولي فلان فحصل له مطلوبه .

والجواب : أن حصول بعض المقصود للمشرك لا يدل على جواز ما هو عليه ؛ إذ قد يكون حصول ذلك صادف قضاءً وقدرًا ، فظن أن ذلك بسبب دعائه لذلك الشيخ أو الولي ، أو قد يكون ذلك حصل استدراجًا له وفتنة ، فلا يدل على جواز دعاء غير الله ، وهكذا نجد المشركين لا يملكون دليلًا واحدًا صحيحًا لما هم عليه من الشرك ، بل هم كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ [2] .

وإذا كان الشرك لم يقم على برهان وحجة فإن التوحيد قام على البراهين القاطعة والحجج الواضحة : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [3] ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) سورة النساء آية : ٦٤ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ١١٧ .
(٣) سورة إبراهيم آية : ١٠ .

ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ [1] .

الثاني عشر : زعم أن الشرك هو الميل إلى الدنيا والاشتغال بطلبها

الثاني عشر : زعم غلاة المتصوفة ومن يقلدهم : أن الشرك هو الميل إلى الدنيا والاشتغال بطلبها .

والجواب : أن هذا يريدون به تغطية ما هم عليه من الشرك الأكبر المتمثل في عبادتهم للقبور ، وغلوهم في المشايخ . وطلب الدنيا من الوجه المباح هو مما أمر الله به ، وإذا كان القصد منه الاستعانة به على طاعة الله فهو عبادة وتوحيد .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢١ - ٢٢ .

الخاتمة

وبعد : فإن الشرك هو أعظم أنواع الظلم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] .

إن الشرك لا تتناوله مغفرة الله لمن مات عليه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [2] .

إن المشرك تحرم عليه الجنة تحريمًا مؤبدًا : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [3] .

إن المشرك نجس لا يحل دخوله في حرم الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [4] .

إن المشرك حلال الدم والمال : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [5] .

إن المشرك قد ضل ضلالًا مبينًا ، وافترى إثمًا عظيمًا ، إن المشرك قد انحط من سمو التوحيد : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [6] .

---

(١) سورة لقمان آية : ١٣ .
(٢) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٣) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٤) سورة التوبة آية : ٢٨ .
(٥) سورة التوبة آية : ٥ .
(٦) سورة الحج آية : ٣١ .

إن المشرك لا تحل مناكحته : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ ﴾ (١) .

إن المشرك لا يقبل منه عمل ولا تصح منه عبادة : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٢) . ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٣) .

نعوذ بالله من الشك والشرك والكفر والنفاق وسوء الأخلاق وسوء المنقلب في المال والأهل والولد ، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (٤) ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ (٥) ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (٦) .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١ .
(٢) سورة الزمر آية : ٦٥ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٨٨ .
(٤) سورة الصافات الآيات : ١٨٠ - ١٨٢ .
(٥) سورة النحل آية : ١ .
(٦) سورة الإسراء آية : ٤٣ .

المحاضرة الثانية

بيان التوحيد والتحذير من الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، خلق الخلق ليعبدوه ، ونهاهم عن الشرك وبين لهم خطره ليجتنبوه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، المبعوث رحمة للعالمين ، ولجهاد الكفار والمشركين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن الإيمان بالله ﷻ معناه :

الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ، وأنه المستحق للعبادة وحده ، وأنه المتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل عيب ونقص ، وهذا الاعتقاد يقتضي العمل بما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، وفي طليعة ما أمر به التوحيد ، وفي طليعة ما نهى عنه الشرك .

وإذا كان الأمر كذلك فهذا يقتضي منا بيان التوحيد وبيان الشرك ؛ ليكون المسلم على بصيرة من دينه ؛ فيتجنب الشرك ، ويتمسك بالتوحيد ، فنقول وبالله التوفيق :

بيان التوحيد

التوحيد : هو إفراد الله بالعبادة ، وهو ثلاثة أنواع :

١- توحيد الربوبية .

٢- توحيد الألوهية .

٣- توحيد الأسماء والصفات .

النوع الأول : توحيد الربوبية

هو الإقرار بأن الله هو الخالق للعالم ، المدبر لشئونه ، وأنه الرازق المحيي المميت الذي له ملك السماوات والأرض ، والإقرار بهذا النوع مركوز في الفطر لا يكاد ينازع فيه أحد ، حتى إن المشركين الذين بعث فيهم نبينا محمد ﷺ كانوا يقرون به ولا ينكرونه ،

كما ذكر الله عنهم في مثل قوله تعالى : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] .

ولم يعرف عن أحد من طوائف العالم إنكار هذا النوع إلا شواذ من الموعة البشرية ، أنكرته في الظاهر مع الاعتراف به في قرارة نفوسها ، وإنما أنكرته مكابرة وعنادًا ، كما قال الله عن فرعون : ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [4] .

والنوع الثاني : توحيد الألوهية

وهو إفراد الله سبحانه بجميع أنواع العبادة ، ويسمى توحيد العبادة ؛ لأن الألوهية والعبادة بمعنى واحد ، الإله : معناه المعبود ، وهذا النوع هو الذي خلق الله الخلق من أجله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [5] وهو الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [6] .

---

(١) سورة يونس آية : ٣١ .
(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٢ .
(٣) سورة النمل آية : ١٤ .
(٤) سورة العنكبوت آية : ٣٨ .
(٥) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٦) سورة النحل آية : ٣٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] . وهذا النوع هو الذي يعلنه كل مسلم في قوله : (لا إله إلا الله) . وفي قراءته : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [2] . في كل ركعة من صلاته ، وهو الذي يعلنه في تشهده في الصلاة والأذان والإقامة ، ويعلنه الخطيب في أول الخطبة ، وهو الذي يدخل به الكافر في الإسلام ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ﴾ [3] (رواه البخاري (١١٠/٢) و (١٤٠/٨) ، ومسلم برقم (٢١) واللفظ له) .

وهذا النوع الذي شرع من أجله الجهاد ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [4] .

وهذا النوع هو الذي أنكره المشركون حين دعتهم الرسل إليه : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [5] ، ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾ [6] .

وهذا النوع هو الذي يسأل عنه الأولون والآخرون ، كما في الأثر : (كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ، وماذا أجبتم المرسلين ؟) [7] وهذا التوحيد هو الذي يهل به المحرم بحج أو عمرة حين يلبي : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٣) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٤) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

(٥) سورة الأعراف آية : ٧٠ .

(٦) سورة ص آية : ٥ .

(٧) (قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) (٨٤/١) : قال قتادة : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون . . . إلخ . فتبين من ذلك أنه ليس بحديث ، بل من كلام قتادة السدوسي رحمه الله) .

والنوع الثالث من أنواع التوحيد : توحيد الأسماء والصفات

وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ وإثبات ذلك على وجه يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، هو الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة ، وما تدين به الفرقة الناجية ، وأنكره الجهمية وتلاميذهم ؛ مخالفين بذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة وأئمتها ، فنفوا عن الله ما وصف به نفسه من صفات الكمال ، وما وصفه به رسوله ﷺ زاعمين أن إثبات ذلك يقتضي التشبيه ؛ لأنهم لا يفهمون من صفات الله إلا ما يفهمون من صفات البشر ، فشبهوا أولًا ثم عطلوا ثانيًا ، ولم يدركوا الفارق بين صفات الخالق وصفات المخلوقين ، وأن لله صفات تختص به وتليق بجلاله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [1] ، وكما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2] .

فأثبت لنفسه الصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات ، فدل على أن إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه ، كما زعمه الجهمية وأفراخهم من المعطلة ممن لم يقدروا الله حق قدره ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا ، وسبحان الله عما يصفون .

هذه أنواع التوحيد الثلاثة ، وعلاقة بعضها ببعض : أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ، بمعنى : أن من أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الإلهية ويقوم به ، فمن عرف أن الله ربه وخالقه لزمه أن يعبده وحده لا شريك له . كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [3] .

وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية ، فتوحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الإلهية ، فمن عبد الله وحده ، ولم يشرك به شيئًا فقد اعتقد أنه ربه وخالقه .

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .
(٢) سورة الشورى آية : ١١ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .

وتوحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية ، وهو جزء منه ، وتوحيد الربوبية والألوهية تارة يذكران معًا فيفترقان في المعنى ، ويكون أحدهما قسيمًا للآخر ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [1] .

وتارة يذكر أحدهما مفردًا عن الآخر فيجتمعان في المعنى ، كما في قول الملكين للميت في القبر : (من ربك) ؟ ومعناه : من إلهك ؟ وكما في قوله : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ [3] وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [4] .

فالربوبية المذكورة في هذه الآيات وأمثالها هي الإلهية وليست قسيمة لها . وما دمنا قد عرفنا التوحيد فلا بد أن نعرف ضده ؛ لأن الأشياء تعرف بأضدادها وبضدها تتميز الأشياء .

بيان الشرك

الشرك ضد التوحيد ، فإذا كان معنى التوحيد : إفراد الله تعالى بالعبادة . فالشرك هو صرف شيء من العبادة لغير الله ، والشرك أعظم الذنوب ؛ لأن الله سبحانه أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه مع أنه كتب على نفسه الرحمة ، أما غيره من الذنوب فهو تحت المشيئة ، إن شاء الله عذب صاحبه وإن شاء غفر له ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [5] .

---

(١) سورة الناس الآيات : ١ - ٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٦٤ .
(٣) سورة فصلت آية : ٣٠ .
(٤) سورة الحج آية : ٤٠ .
(٥) سورة النساء آية : ٤٨ .

والشرك يحبط جميع الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [2] .

والشرك هبوط وسقوط من أوج العز والكرامة إلى حضيض السفول والقلق وعدم الاستقرار والرذيلة ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [3] .

والشرك مهدر للدم مبيح للمال ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [4] .

وقال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » [5] (رواه البخاري (٢/١١٠) و (٨/١٤٠) ، ومسلم برقم (٢١) واللفظ له) .

وقال ﷺ : « بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده » [6] . (أخرجه الإمام أحمد (٢/٥٠)) .

وقد حرم الله الجنة على المشرك وحكم عليه بالخلود في النار ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [7] .

والشرك أعظم الظلم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [8] ؛ لأنه تنقص لرب العالمين ، وتسوية لغيره به سبحانه .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٨ .
(٢) سورة الزمر آية : ٦٥ .
(٣) سورة الحج آية : ٣١ .
(٤) سورة التوبة آية : ٥ .
(٥) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .
(٦) أحمد (٢/٥٠) .
(٧) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٨) سورة لقمان آية : ١٣ .

والشرك ضلال مبين ؛ لذلك يعترف المشركون بضلالهم فيقولون : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (1) .

وإذا كان الشرك في هذا المستوى من القبح والخطورة فهذا مما يوجب شدة الحذر من الوقوع فيه ، ويوجب على المسلم أن يعرفه ليتجنبه ، ويوجب على المسلمين مقاومته والقضاء عليه ، وقد كانت مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجة الأولى مقاومة الشرك ، والنهي عنه ، والتحذير منه ، وجهاد المشركين باليد واللسان ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ (2) .

وكل رسول يقول لقومه : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (3) ؛ لأن الشرك هو أعظم الفساد الذي تصاب به الأمم ، وهو يناقض الخلق والأمر ، ولا فائدة في جميع الأعمال مع وجود الشرك ، وهذا يؤكد على جميع أتباع الرسل من الدعاة والمصلحين ، أن تتجه دعواتم وإصلاحهم إلى مكافحة الشرك وإصلاح العقائد أولًا وقبل كل شيء ، أما أن تتجه دعواتم وإصلاحهم إلى أمور جانبية ، ويتركون الشرك يعج في عقائد المسلمين بما يمارس حول الأضرحة وبين أرباب الطرق المنحرفة ، فهذا انحراف بالدعوة عن منهجها الصحيح الذي رسمه رسول الله ﷺ ورسمه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبله ، ولن تأتي هذه الدعوات بنتيجة ولا فائدة ؛ لأنا بدأت من حيث النهاية .

حدوث الشرك في العالم وسببه

كان الناس بعد آدم عليه السلام على الدين الصحيح إلى أن حدث الشرك في قوم نوح بسبب غلوهم في الصالحين لما ماتوا ، فصوروا صورهم بإيحاء من الشيطان ونصبوها على مجالسهم ؛ ليتذكروا با أحوالهم ؛ فينشطوا على العبادة بزعمهم ، فلما هلك هذا الجيل

(1) سورة الشعراء الآيتان : ٩٧ - ٩٨ .
(2) سورة النحل آية : ٣٦ .
(3) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

الذي نصب تلك الصور زين الشيطان للجيل الذي جاء من بعدهم عبادة تلك الصور فعبدوها ، ومن ذلك الحين حدث الشرك في الأرض ، فبعث الله نبيه نوحًا عليه الصلاة والسلام يدعو قومه إلى التوحيد وينهاهم عن هذا الشرك الذي وقعوا فيه ، فأصروا على شركهم : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(١)] .

وتلك أسماء الصالحين الذين غلوا فيهم وصوروا صورهم وأبوا أن يتركوا عبادتم ، وأيس نوح عليه السلام من هدايتهم بعد محاولة طويلة معهم ، كما قال الله : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ [(٢)] . ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ﴾ [(٣)] .

عند ذلك دعا عليهم فأهلكهم الله بالطوفان وأنجى نوحا ومن آمن معه في الفلك ، ثم تتابعت الرسل من بعد نوح تدعوا إلى التوحيد وتنهى عن الشرك ، إلى أن جاء عهد إبراهيم خليل الله ، وقد بلغ الشرك والطغيان والجبروت من الطواغيت مبلغًا عظيمًا ، فقاوم الشرك والمشركين بالحجة والبرهان ، وحطم الأصنام بيده ، ولقي في سبيل ذلك أشد أنواع الأذى وأقسى أنواع التعذيب الذي سلمه الله منه حين ألقوه في النار ، فجعلها الله بقدرته ورحمته بردًا وسلامًا ، وجعل العاقبة الحميدة له ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب ، وبقيت النبوة وكلمة التوحيد في ذريته ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [(٤)] . وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ ﴾ [(٥)] . خصوصًا العرب بني إسماعيل ، فإن التوحيد لم يزل فيهم وهم على ملة إبراهيم وإسماعيل إلى أن ظهر

---

(١) سورة نوح آية : ٢٣ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ١٤ .

(٣) سورة هود آية : ٣٦ .

(٤) سورة العنكبوت آية : ٢٧ .

(٥) سورة الزخرف آية : ٢٨ .

فيهم عمرو بن لحي الخزاعي ، فغير فيهم دين إبراهيم ، ودعاهم إلى عبادة الأصنام فأجابوه ، والسبب في ذلك : أنه ذهب إلى الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقلدهم في ذلك ، وجلب معه الأصنام إلى العرب ، وقيل : إن الشيطان أتاه وأرشده إلى الأصنام التي كان الطوفان قد دفنها في الأرض بعد قوم نوح ، وأمره بأخذها ودعوة العرب إلى عبادتها ففعل .

ومن ثم انتشر الشرك في العرب ، وكان لهم أصنام مشهورة : كاللات ، والعزى ، ومناة . وكان لقريش أصنام حول الكعبة وفي جوفها ، ومن أعظم أصنامهم هبل الذي كانوا يعتزون ويقسمون به ، إلى أن بعث الله نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين ، فدعا إلى التوحيد ونهى عن الشرك ، وجاهد المشركين باليد واللسان حتى نصره الله عليهم ، وهدم أوثانهم وحطم أصنامهم ، وأعاد الحنيفية ملة إبراهيم صافية نقية ، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها ، وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، وواصل صحابته الكرام وخلفاؤه العظام مسيرة الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها ، وفتحوا البلاد شرقًا وغربًا ، ونشروا فيها التوحيد ، وقضوا على مظاهر الشرك والوثنية ، حتى تحقق قول الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] .

ظهور الشرك في هذه الأمة

لقد حذر النبي ﷺ أمته من الشرك غاية التحذير ، وسد كل الطرق الموصلة إليه ، وحمى حِمى التوحيد ، ومن ذلك :

(١) سورة التوبة آية : ٣٣ .

١- أنه نهى عن الغلو في مدحه بما قد يفضي إلى عبادته من دون الله كما حصل للنصارى في حق عيسى ابن مريم ، قال ﷺ : ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله ﴾ [(١)] .

٢- نهى عن الغلو في تعظيم قبور الصالحين بالبناء عليها وإسراجها وتجصيصها والكتابة عليها ؛ لأن هذا يفضي إلى عبادتها ، وطلب قضاء الحوائج من الموتى .

٣- نهى عن الصلاة عند القبور ، سواء بني عليها مساجد أم لا ؛ لأن ذلك وسيلة لعبادتها ولو على الأمد الطويل .

٤- نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، لما في ذلك من التشبه بالذين يعبدونها ويسجدون لها في هذين الوقتين . والمسلم مطلوب منه مخالفة المشركين في عقائدهم وعباداتهم وعاداتهم الخاصة بهم .

٥- نهى عن السفر إلى أي مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله فيه بالعبادة غير المساجد الثلاثة : (المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى) .

٦- نهى عن الوفاء بالنذر بالذبح لغير الله في مكان يذبح فيه لغير الله أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ؛ إبعادًا عن التشبه بهم في تعظيم المكان والوثن .

٧- نهى عن الألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين المخلوق ، كقول : (ما شاء الله وشئت) و (لولا الله وأنت) ، كل هذا صيانة للتوحيد وسدا لمنافذ الشرك وإبعادًا للأمة عن أن تقع فيما وقعت فيه الأمم قبلها من فساد العقائد ، وقد سار صدر هذه الأمة على موجب تلك الوصايا النبوية وحافظوا على عقائدهم ، وصانوها عن كل مناقض ومنقص .

ولما انتهى وقت القرون المفضلة ، وامتد الزمن بالناس ، وجهل أغلبهم آثار الرسالة تسرب إليهم كثير من البدع والخرافات والعوائد الجاهلية في عقائدهم ، ووقع الكثير فيما

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .

حذر منه الرسول ﷺ من الشرك بالله ، وفتح المنافذ والطرق الموصلة إليه ، فبنيت المساجد على القبور ، واتجه إليها الكثير بأنواع العبادة ؛ كالطواف بها والذبح لها والتوجه إليها بالرغبة والرهبة والدعاء والاستغاثة وأنواع من الشرك الأكبر الذي يسمونه توسلًا وطلبًا للشفاعة ، كما قال إخوانهم من قبل : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [1] ، ﴿ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا ﴾ [2] .

قال الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله : ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور ، وما أمر به ونهى عنه ، وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادًا للآخر مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا .

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور ، وهؤلاء يصلون عندها وإليها .

ونهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله .

ونهى عن إيقاد السرج عليها ، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها .

ونهى عن أن تتخذ عيدًا ، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك ، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ! !

وأمر بتسويتها ، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال : ﴿ قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ! ألا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته ﴾ [3] (انظر : (صحيح مسلم) ، الحديث برقم (٩٦٩)) وهؤلاء يبالغون في مخالفة الحديث ، ويرفعونها عن الأرض كالبيت ، ويعقدون عليها القباب .

---

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

(٣) مسلم الجنائز (٩٦٩) ، الترمذي الجنائز (١٠٤٩) ، النسائي الجنائز (٢٠٣١) ، أبو داود الجنائز (٣٢١٨) ، أحمد (٩٦/١) .

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه ، كما روى مسلم عن جابر ﷺ : ﴿ نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه ﴾ [1] (انظر : (صحيح مسلم) ، الحديث برقم (٩٧٠)) .

ونهى رسول الله ﷺ عن الكتابة عليها ، كما روى أبو داود عن جابر - أيضًا - قال : ﴿ سمعت رسول الله ﷺ نهى أن يقعد على القبر ، وأن يجصص ويبنى عليه ﴾ [2] (انظر : (سنن أبي داود) ، الحديث برقم (٣٢٢٥)) .

وقال أبو داود : قال عثمان بن أبي شيبة : أو يزاد عليه ، وزاد سليمان بن موسى : أو يكتب عليه ، ولم يذكر مسدد في حديثه : أو يزاد عليه ، وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار .

قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون الآجر على قبورهم .

والمقصود : أن هؤلاء المعظمين للقبور ، المتخذينها أعيادًا ، الموقدين عليها السرج ، الذين يبنون عليها المساجد والقباب منافون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به ، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها ، وهو من الكبائر . انتهى كلام ابن القيم يرحمه الله .

وهو يصف ما حدث في وقته ، وقد زاد الأمر على ما وصفه بأضعاف ، فغلوا في الموتى فعبدوهم من دون الله ، وكذلك ارتكبوا ما نهى عنه ﷺ من الغلو في مدحه وإطرائه ؛ مضاهاة للنصارى في مدح عيسى ابن مريم حتى رفعوه فوق منزلته حتى وقعوا في الشرك الأكبر ، وأظهر لهم الشيطان هذا الغلو في قالب تعظيمه ومحبته ، وأن عدم الغلو فيه تنقيص له وحط من قدره .

---

(١) مسلم الجنائز (٩٧٠) ، الترمذي الجنائز (١٠٥٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٢٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٥) ، أحمد (٣/٣٣٩) .

(٢) مسلم الجنائز (٩٧٠) ، الترمذي الجنائز (١٠٥٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٢٨) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٥) ، أحمد (٣/٢٩٥) .

وكذلك غلوا في الصالحين ، كما غلا فيهم قوم نوح من قبل حتى اعتقدوا فيهم شيئًا من خصائص الإلهية من جلب النفع ودفع الضر مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فهتفوا بأسمائهم عند الشدائد والكربات ، واستغاثوا بهم في كشف الملمات ، وطافوا بقبورهم كما يطاف بالكعبة ، وذبحوا القرابين عند قبورهم ، وصرفوا لهم النذور .

قال الإمام العلامة ابن القيم : وقد أدخل الشيطان الشرك على قوم نوح من باب الغلو في الصالحين ، وقد وقع في هذه الأمة مثل ما وقع لقوم نوح لما أظهر الشيطان لكثير من المفتونين الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ؛ ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله ، فما زال يوحي إلى عباد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين ، وأن الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء المقبور وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله ، واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه القناديل والستور ، ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج إليه ويذبح عنده ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا ومنسكًا ، ورأوا أن ذلك أنفع لهم من دنياهم وأخراهم .

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك ، فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية ، وحطهم عن منزلتهم زعم أنه لا حرمة له ولا قدر ، وقد سرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين ، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم . . انتهى كلامه رحمه الله ، وهو يصور الداء وأسبابه ، ولا علاج لهذا الداء القاتل ، والوباء الفتاك إلا ببذل الأسباب الشافية والواقية والتي تتلخص في نظري فيما يأتي :

١- الرجوع إلى الكتاب والسنة وكتب السلف الصالح ؛ لفهم العقيدة الصحيحة ومعرفة ما يضادها أو ينقصها من الشرك والبدع والخرافات ، ونبذ الكتب المخالفة للكتاب والسنة من كتب الصوفية والقبورية والمخرفين .

٢- تدريس كتب العقائد الصحيحة في المراحل الدراسية ، وتكثيف مناهجها ، والتركيز عليها في النجاح والرسوب ، واختيار المدرسين المتخصصين في فهم عقيدة السلف وتفهيمها للطلاب ، وأن تكون هناك دروس في المساجد لتفهيم العقيدة لعامة الناس ، ومن لا تسمح له ظروفه بمتابعة الدراسة المنهجية .

٣- اهتمام الدعاة بتصحيح العقائد ، والدعوة إلى التوحيد ، والتحذير من الشرك ، وإنكار ما يقع من الشرك حول الأضرحة في محاضراتهم ومؤلفاتهم ، وبيان العقيدة الصحيحة ، واجتماع كلمتهم على ذلك بدلًا من اختلافهم في مناهج الدعوة اختلافًا شتتهم وحير الجهال فيمن يتبعون منهم ، وأفرح أعداء الإسلام بعدم نجاح دعوتهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ (١) .

٤- إزالة مظاهر الشرك من بلاد الإسلام بهدم الأضرحة ، ومنع بناء المساجد على القبور ومقاومة المخرفين والمبتدعة ، ورد شبهاتهم وكشف تزييفهم حتى يرتدعوا عن غيهم ويسلم الناس من شرهم .

٥- نشر كتب السلف الصالح وإيصالها إلى أيدي القراء .

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

المحاضرة الثالثة
حقيقة لا إله إلا الله

مقدمة

بِسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله وأصحابه ، وكل من اتبعه وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذكره ، وأثنى على الذاكرين ووعدهم أجرًا عظيمًا ، فأمر بذكره مطلقًا ، وبعد الفراغ من العادات ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾ [1] وقال : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾ [2] .

وأمر بذكره أثناء أداء مناسك الحج خاصة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾ [5] .

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٠ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٨ .
(٤) سورة الحج آية : ٢٨ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٣ .

وقال النبي ﷺ : ﴿ أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [2] .

ولما كان أفضل الذكر : كلمة لا إله إلا اله وحده لا شريك له ؛ كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ [3] ، ولما كانت هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) ، لها هذه الم لة العالية من بين أنواع الذكر ، وتتعلق با أحكام ، ولها شروط ، ولها معنى ومقتضى ، فليست كلمة تقال باللسان فقط ، لما كان الأمر كذلك آثرت أن تكون موضوع حديثي في هذه الكلمة المختصرة ، راجيًا من الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلها المستمسكين با والعارفين لمعناها ، العاملين بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا .

وسيكون حديثي عن الكلمة في حدود النقاط التالية :

مكانة لا إله إلا الله في الحياة ، وفضلها ، وإعرابا ، وأركا نا وشروطها ، ومعناها ، ومقتضاها ، ومتى ينفع الإنسان التلفظ بذه الكلمة ، ومتى لا ينفعه ذلك ، وثمراتا .

فأقول مستعينًا بالله تعالى :

مكانة لا إله إلا الله

أما مكانة هذه الكلمة :

فإنا كلمة يعلنها المسلمون في أذانم وإقامتهم ، وفي خطبهم ومحادثاتم ، وهي كلمة قامت با الأرض والسماوات ، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات ، وبا أرسل الله رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه ، ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة

---

(١) مسلم الصيام (١١٤١) ، أحمد (٧٥/٥) .

(٢) سورة الأحزاب الآيتان : ٤١ - ٤٢ .

(٣) الترمذي الدعوات (٣٥٨٥) .

والنار ، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار ، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب ، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة ، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب ، وعليها يقع الثواب والعقاب ، وعليها نصبت القبلة ، وعليها أسست الملة ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهي حق الله على جميع العباد ، فهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وعنها يسأل الأولون والآخرون . فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين : " ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ "

وجواب الأولى : بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقرارًا وعملًا .

وجواب الثانية : بتحقيق أن محمدًا رسول الله معرفة وانقيادًا وطاعة .

هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام ، وهي كلمة التقوى والعروة الوثقى ، وهي التي جعلها إبراهيم : ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [(١)] وهي التي شهد الله بها لنفسه ، وشهد بها ملائكته وأولو العلم من خلقه ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [(٢)] [(٣)] .

وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ولأجلها خلق الله الخلق ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [(٤)] .

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، كما قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [(٥)] وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [(٦)] .

(١) سورة الزخرف آية : ٢٨ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨ .
(٣) (انظر : (مجموعة التوحيد) (١٠٥ ، ١٦٧)) .
(٤) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٦) سورة النحل آية : ٢ .

قال ابن عيينة : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله .

وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا [1] فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه هدر ؛ ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال : ﴿ من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله ﴾ [2] (انظر مسلم ، الحديث برقم (٢٣)) .

وهي أول ما يطلب من الكفار عندما يدعون إلى الإسلام ، فإن النبي ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال له : ﴿ إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ﴾ [3] .

الحديث أخرجاه في الصحيحين (رواه البخاري (١٠٩/٥)) .

وبذا تعلم مكانتها في الدين وأهميتها في الحياة ، وأنا أول واجب على العباد ؛ لأنا الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال .

فضل لا إله إلا الله

وأما فضل هذه الكلمة :

فلها فضائل عظيمة ولها من الله مكان ، من قالها صادقًا أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه وأحرزت ماله ، وحسابه على الله ﷻ وهي كلمة وجيزة اللفظ ، قليلة الحروف ، خفيفة على اللسان ، ثقيلة في الميزان ، فقد روى ابن حبان والحاكم وصححه ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ قال موسى : يا رب

---

(١) (كلمة الإخلاص لابن رجب (ص ٥٢ ، ٥٣)) .

(٢) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٣٩٤/٦) .

(٣) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به ، قال : يا موسى ، قل : لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسى ، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة مالت بن لا إله إلا الله ﴾ (رواه ابن حبان (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان) . طبعة مؤسسة الرسالة - الثانية ١٤١٤ هـ ، الحديث برقم (٦٢١٨) (موارد الظمآن)) .

فالحديث يدل على أن لا إله إلا الله هي أفضل الذكر ، وفي حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا : ﴿ خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ﴾ [1] رواه أحمد والترمذي (رواه الترمذي ، الحديث برقم (٣٥٨٥)) .

ومما يدل على ثقلها في الميزان أيضًا ما رواه الترمذي ، وحسنه والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم عن عبد الله بن عمر ، قال النبي ﷺ : ﴿ إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ ! أظلمك كتبتي الحافظون ، فيقول : لا يا رب ، فيقول أفلك عذر ؟ ! فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تُظلَم ، قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ﴾ [2] (رواه الترمذي ، الحديث برقم (٢٦٣٩)) .

---

(١) الترمذي الدعوات (٣٥٨٥) .

(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٣٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٠) ، أحمد (٢١٣/٢) .

ولهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة ، ذكر جملة منها الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة (كلمة الإخلاص) واستدل لكل فضيلة ، ومنها : أنها ثمن الجنة ، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة ، وهي نجاة من النار ، وهي توجب المغفرة ، وهي أحسن الحسنات ، وهي تمحو الذنوب ، وهي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله ﷻ وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها ، وهي أفضل ما قاله النبيون ، وهي أفضل الذكر ، وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا ، وتعدل الرقاب ، وتكون حرزًا من الشيطان ، وهي أمان من وحشة القبر وهول الحشر ، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم .

ومن فضائلها : أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ، ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها .

هذه عناوين الفضائل التي ذكرها ابن رجب في رسالته واستدل لكل واحد منها [1] .

(١) ((كلمة الإخلاص) لابن رجب (ص ٥٤- ٦٦)) .

إعراب وأركان وشروط لا إله إلا الله

إعرابا وأركانا وشروطها :

إذا كان فهم المعنى يتوقف على معرفة إعراب الجمل ، فإن العلماء - رحمهم الله - قد اهتموا بإعراب لا إله إلا الله ، فقالوا : إن (لا) نافية للجنس ، و (إله) اسمها مبني معها على الفتح ، وخبرها محذوف تقديره : (حق) أي لا إله حق إلا الله ، و (إلا الله) استثناء من الخبر المرفوع ، والإله معناه : المألوه بالعبادة ، وهو الذي تألهه القلوب وتقصده رغبة إليه في حصول نفع أو دفع ضرر .

وأما أركان لا إله إلا الله :

فلها ركنان : الركن الأول النفي ، والركن الثاني الإثبات .

والمراد بالنفي : نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات .

والمراد بالإثبات : إثبات الإلهية لله سبحانه فهو الإله الحق ، وما سواه من الآلهة التي اتخذها المشركون فكلها باطلة ، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [(١)] .

قال الإمام ابن القيم : فدلالة لا إله إلا الله على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قوله : الله إله ؛ وهذا لأن قول (الله إله) لا ينفي إلهية ما سواه ، بخلاف قول : لا إله إلا الله ، فإنه يقتضي حصر الألوهية في الله ، ونفيها عما سواه ، وقد غلط غلطًا فاحشًا من فسر الإله بأنه القادر على الاختراع .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في " شرح كتاب التوحيد " : فإن قيل : قد تبين معنى الإله والإلهية ، فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإله : القادر على الاختراع ، ونحو هذه العبارة ؟

قيل : الجواب من وجهين :

---

(١) سورة الحج آية : ٦٢ .

أحدهما : أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة ، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم ، فيكون هذا القول باطلًا .

الثاني : على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق ، فإن اللازم أن يكون خالقًا قادرًا على الاختراع ، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي إلها ، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع ، فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام ، فإن هذا لا يقوله أحد ؛ لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين ، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية [(١)] .

وأما شروط لا إله إلا الله :

فإنا لا تنفع قائلها إلا بسبعة شروط :

الأول : العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا .

الثاني : اليقين وهو كمال العلم با المنافي للشك والريب .

الثالث : الإخلاص المنافي للشرك .

الرابع : الصدق المانع من النفاق .

الخامس : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك .

السادس : الانقياد بأداء حقوقها وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته .

السابع : القبول المنافي للرد [(٢)] .

وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بخصوص هذه الكلمة العظيمة وبيان حقوقها وقيودها .

---

(١) (تيسير العزيز الحميد (ص ٨٠)) .

(٢) (فتح اليد (ص ٩١)) .

معنى لا إله إلا الله ومقتضاها

معنى هذه الكلمة ومقتضاها :

معنى لا إله إلا الله : أي : لا معبود بحق إلا إله واحد ، وهو الله وحده لا شريك له ، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل .

ولهذا كثيرًا ما يرد الأمر بعبادة الله مقرونًا بنفي عبادة ما سواه ؛ لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [(٢)] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [(٣)] .

وقال ﷺ : ﴿ من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ﴾ [(٤)] (انظر مسلم ، الحديث برقم (٢٣)) الحديث .

وكان كل رسول يقول لقومه : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [(٥)] إلى غير ذلك من الأدلة ، قال الإمام ابن رجب رحمه الله : وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله ، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالًا ، ومحبة وخوفًا ورجاءً وتوكلًا عليه وسؤالًا منه ودعاءً له ولا يصلح لذلك كله إلا الله عز وجل .

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٤) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٣٩٤/٦) .
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله ﴾ [1] (رواه الإمام أحمد في المسند ، الطبعة الميمنية ٣ / ٤٩٢ ، والترمذي في سننه ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق أحمد شاكر ، الحديث برقم (٣٢٣٢)) . قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [2] ففهموا من هذه الكلمة أنها تبطل عبادة الأصنام كلها ، وتحصر العبادة لله وحده وهم لا يريدون ذلك ، فتبين بهذا المعنى أن معنى لا إله إلا الله ومقتضاها : إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه ، فإذا قال العبد : لا إله إلا الله ، فقد أعلن وجوب إفراد الله بالعبادة ، وبطلان عبادة ما سواه من الأصنام والقبور والأولياء والصالحين .

وبهذا يبطل ما يعتقده عباد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلا الله : هو الإقرار بأن الله موجود أو أنه هو الخالق القادر على الاختراع وأشباه ذلك . أو أن معناها : لا حاكمية إلا لله ، ويظنون أن من اعتقد ذلك وفسر به لا إله إلا الله فقد حقق التوحيد المطلق ، ولو فعل ما فعل من عبادة غير الله والاعتقاد بالأموات والتقرب إليهم بالذبائح والنذور والطواف بقبورهم والتبرك بتربتهم .

وما شعر هؤلاء أن كفار العرب الأولين يشاركونهم في هذا الاعتقاد ، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع ، ويقرون بذلك ، وأنهم ما عبدوا غيره إلا لزعمهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، لا أنهم يخلقون ويرزقون .

ولو كان معنى لا إله إلا الله ما زعمه هؤلاء ، لم يكن بين الرسول ﷺ وبين المشركين نزاع ، بل كانوا يبادرون إلى إجابة الرسول ﷺ إذا قال لهم بزعم هؤلاء : أقروا بأن الله هو القادر على الاختراع ، لكن القوم - وهم أهل اللسان العربي - فهموا أنهم إذا قالوا : (لا إله إلا الله) فقد أقروا ، ولهذا نفروا منها ، وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ

(١) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٣٢) ، أحمد (٢٢٨/١) .
(٢) سورة ص آية : ٥ .

هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [1] كما قال الله عنهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [2] . فعرفوا أن لا إله إلا الله تقتضي ترك عبادة ما سوى الله ، وإفراد الله بالعبادة ، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادة الأصنام لتناقضوا مع أنفسهم ، وعباد القبور اليوم لا يأنفون من هذا التناقض الشنيع ، فهم يقولون : لا إله إلا الله ، ثم ينقضونها بعبادة الأموات والتقرب إلى الأضرحة بأنواع من العبادات ، فتبًا لمن كان أبو جهل وأبو لهب أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله .

والحاصل أن من قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملًا بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا ؛ من نفي الشرك وإثبات العبادة لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته ، والعمل به فهو المسلم حقًا ، ومن قالها وعمل بمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو المنافق ، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لها فهو الكافر ولو قالها آلاف المرات ؛ لأن عمله يبطل نطقه بها ، فلا بد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها ؛ لأن ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [3] والعمل بمقتضاها وهو ترك عبادة ما سوى الله وعبادة الله وحده هو الغاية من هذه الكلمة .

متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله

سبق أن قلنا : إن قول : لا إله إلا الله لا بد أن يكون مصحوبًا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها ، ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي ، وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس فاقتضى الأمر إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عمن يريد الحق ، قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله على حديث عتبان الذي فيه : « فإن الله

---

(١) سورة ص آية : ٥ .
(٢) سورة الصافات الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٨٦ .

قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ﴾ [(1)] (الحديث رواه البخاري (١/١١٠) ، ومسلم ، الحديث برقم (٣٣)) قال : اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار ، كهذا الحديث ، وحديث أنس قال : ﴿ كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل ، فقال : يا معاذ . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا حرمه الله على النار ﴾ [(2)] (رواه البخاري (١ / ٤١) ، ومسلم ، الحديث برقم (٣٢) واللفظ له) ولمسلم عن عبادة مرفوعًا : ﴿ من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار ﴾ [(3)] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٩)) .

ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه يحرم على النار ، منها حديث عبادة الذي تقدم قريبًا ، وحديث أبي هريرة : أنم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك . الحديث ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ : ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بما عبد غير شاكّ فيحجب عن الجنة ﴾ [(4)] ، رواه (رواه مسلم برقم (٢٧)) .

قال : وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره : إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة ، وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا با قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين ، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح على الله جملة ، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة ؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا ، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك ، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في

---

(١) البخاري الصلاة (٤١٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٣٣) .

(٢) البخاري العلم (١٢٨) ، مسلم الإيمان (٣٢) .

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٢) ، مسلم الإيمان (٢٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٨) ، أحمد (٥/٣١٨) .

(٤) مسلم الإيمان (٢٧) ، أحمد (٢/٤٢١) .

قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذَرة ، وتواترت بأن كثيرًا من يقول : لا إله إلا الله ، يدخل النار ثم يخرج منها ، وتواترت بأن الله حرم النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم ، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله ، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، ومن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ولكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال ، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها ، وأكثر من يقولها تقليدًا ، وعادة لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه ، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء ، كما في الحديث أن أحدهم يقول : ﴿ سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ﴾ [1] (رواه البخاري (١ / ٣٠) ، ومسلم ، الحديث برقم (٩٠٥)) . وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم ، وهم أقرب الناس من قوله تعالى عن المشركين : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث ، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلًا ، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء ، فإذن لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله ، وهذا هو الذي يحرم على النار ، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك ، فإن هذا الإيمان ، وهذه التوبة ، وهذا الإخلاص ، وهذه المحبة ، وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار . انتهى كلامه رحمه الله [3] .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في " كشف الشبهات " [4] ولهم شبهة أخرى ، يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال : لا إله إلا الله ، وقال : ﴿ أقتلته

---

(١) البخاري العلم (٨٦) ، مسلم الكسوف (٩٠٥) .

(٢) سورة الزخرف آية : ٢٣ .

(٣) (تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد : (ص ٦٦ ، ٦٧)) .

(٤) (انظر : (مجموعة التوحيد) (ص ١٢٠ ، ١٢١)) .

بعدما قال : لا إله إلا الله ﴾ [(١)] (رواه البخاري (٨ / ٣٦)) وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ، ومراد هؤلاء الجهلاء : أن من قالها لا يكفر ولا يقتل لو فعل ما فعل ، فيقال لهؤلاء الجهال : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم ، وهم يقولون : (لا إله إلا الله) ، وأصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ويصلون ، ويدعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال : لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

وقال رحمه الله : فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلًا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفًا على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [(٢)] أي : (فتثبتوا) ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل ؛ لقوله : ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [(٣)] ، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى ، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا أن تبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن الرسول ﷺ الذي قال : ﴿ أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ﴾ [(٤)] ، وقال : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ﴾ [(٥)] ، هو الذي قال في

---

(١) البخاري المغازي (٤٠٢١) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٢٠٠/٥) .
(٢) سورة النساء آية : ٩٤ .
(٣) سورة النساء آية : ٩٤ .
(٤) البخاري المغازي (٤٠٢١) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٢٠٠/٥) .
(٥) البخاري الصلاة (٣٨٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٦٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٢٢٥/٣) .

الخوارج : ﴿ فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ﴾ [(١)] و ﴿ لئن أنا أدركتهم قتلتهم قتل عاد ﴾ [(٢)] ، مع كونهم من أكثر الناس تليلًا حتى إن الصحابة يحقرون أعمالهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الإسلام ؛ لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة .

وقال الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة : " كلمة الإخلاص " على قوله ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﴾ [(٣)] ، قال : ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك ، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة ، وفهم الصديق أن لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها ؛ لقوله ﷺ : ﴿ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ﴾ [(٤)] ، وقال : ﴿ الزكاة حق المال ﴾ [(٥)] ، وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غير واحد من الصحابة ؛ منهم ابن عمر وأنس وغيرهما ، وأنه قال : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ﴾ [(٦)] ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [(٧)] .

---

(١) البخاري المناقب (٣٤١٥) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٢) ، أبو داود السنة (٤٧٦٧) ، أحمد (٨١/١) .
(٢) البخاري المغازي (٤٠٩٤) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) .
(٣) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .
(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١١/١) .
(٥) البخاري الزكاة (١٣٣٥) ، مسلم الإيمان (٢٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٧) ، النسائي الجهاد (٣٠٩٢) ، أبو داود الزكاة (١٥٥٦) ، أحمد (١٩/١) .
(٦) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .
(٧) سورة التوبة آية : ١١ .

على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد ، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد ، فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة ، رجعوا إلى قوله ورأوه صوابًا ، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقًا ، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام ، فكذلك عقوبة الآخرة ، وقال أيضًا : وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن التلفظ بلا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك .

ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر ، ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال للفرزدق وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة ، قال الحسن : نعم العدة ، لكن لـ لا إله إلا الله شروط ، فإياك وقذف المحصنات .

وقيل للحسن : إن أناسًا يقولون : ﴿ من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ﴾ ، فقال : من قال : لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة ، وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك ! !

وأظن أن في هذا القدر الذي نقلته من كلام أهل العلم كفاية في رد هذه الشبهة التي تعلق بها من ظن أن من قال : لا إله إلا الله لا يكفر ، ولو فعل من أنواع الشرك الأكبر التي تمارس اليوم عند الأضرحة وقبور الصالحين مما يناقض كلمة لا إله إلا الله تمام المناقضة ، ويضادها تمام المضادة ، وهذه طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون ما يظنون أنه حجة لهم من النصوص المجملة ، ويتركون ما تبينه وتوضحه النصوص المفصلة ، كحال الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، وقد قال الله في هذا النوع من الناس : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [1] .

آثار لا إله إلا الله

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا ، آثار حميدة على الفرد والجماعة ، من أهمها :

١- اجتماع الكلمة التي ينتج عنها حصول القوة للمسلمين ، والانتصار على عدوهم ؛ لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3] .

والاختلاف في العقيدة يسبب التفرق والنزاع والتناحر ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [5] .

فلا يجمع الناس سوى عقيدة الإيمان والتوحيد التي هي مدلول لا إله إلا الله ، واعتبر ذلك بحالة العرب قبل الإسلام وبعده .

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ٧ - ٩ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٣) سورة الأنفال الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٥٣ .

٢- توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الموحد الذي يدين بمقتضى لا إله إلا الله ؛ لأن كلا من أفراده يأخذ ما أحل الله له ، ويترك ما حرم الله عليه تفاعلًا مع عقيدته التي تملي عليه ذلك ، فينكف عن الاعتداء والظلم والعدوان ، ويحل محل ذلك التعاون والمحبة والموالاة في الله عملًا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) .

٣- حصول السيادة والاستخلاف في الأرض وصفاء الدين والثبوت أمام تيارات الأفكار والمبادئ المختلفة ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ (٢) .

فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادته وحده لا شريك له ، الذي هو معنى ومقتضى لا إله إلا الله .

٤- حصول الطمأنينة النفسية والاستقرار الذهني لمن قال : لا إله إلا الله ، وعمل بمقتضاها ؛ لأنه يعبد ربا واحدًا ، يعرف مراده وما يرضيه فيفعله ، ويعرف ما يسخطه فيجتنبه ، بخلاف من يعبد آلهة متعددة ، كل واحد منها له مراد غير مراد الآخر ، وله تدبير غير تدبير الآخر ، كما قال تعالى : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ﴾ (٤) . قال الإمام ابن القيم رحمه الله : هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد ، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون ، والرجل المشاكس : السيئ الخلق .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٢) سورة النور آية : ٥٥ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣٩ .

(٤) سورة الزمر آية : ٢٩ .

فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته ، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين ، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه ، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه ، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه وتوليه لمصالحه ، فهل يستوي هذان العبدان ؟ [1] .

٥- حصول السمو والرفعة لأهل لا إله إلا الله في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [2] . فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع ، وأن الشرك هبوط وسفول وسقوط . قال العلامة ابن القيم رحمه الله : شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه ، فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها ، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة ، والطير التي تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله تعالى وتؤزه وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه ، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده عن السماء .

٦- عصمة الدم والمال والعرض ؛ لقوله ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها ﴾ [3] ، وقوله : (بحقها) معناه : أنهم إذا قالوها وامتنعوا من القيام بأركان الإسلام أنها لا تعصم

---

(١) (إعلام الموقعين : (١٨٧/١)) .

(٢) سورة الحج آية : ٣١ .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١١/١) .

أموالهم ولا دمائهم ، بل يقتلون وتؤخذ أموالهم ؛ غنيمة للمسلمين كما فعل بهم النبي ﷺ وخلفاؤه .

هذا ، ولهذه الكلمة آثار عظيمة على الفرد والجماعة في العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق .

وبالله التوفيق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المحاضرة الرابعة
حقيقة التصوف وموقف الصوفية
من أصول العبادة والدين

مقدمة في بيان ضوابط العبادة الصحيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام دينًا ، وأمرنا بالتمسك به إلى الممات : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [1] .

وتلك وصية إبراهيم ويعقوب لبنيه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [2] .

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فإن الله خلق الجن والإنس لعبادته ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [3] .

وفي ذلك شرفهم وعزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ؛ لأنهم بحاجة إلى ربهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ، وهو غني عنهم ، وعن عبادتهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٢ .
(٣) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [2] .

والعبادة حق الله على خلقه ، وفائدتا تعود إليهم ، فمن أبى أن يعبد الله فهو مستكبر ، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو مشرك ، ومن عبد الله وحده بغير ما شرع فهو مبتدع ، ومن عبد الله وحده بما شرع فهو المؤمن الموحد .

ولما كان العباد في ضرورة إلى العبادة ، ولا يمكنهم أن يعرفوا بأنفسهم حقيقتها التي ترضي الله سبحانه وتوافق دينه ، لم يكلهم إلى أنفسهم ، بل أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب لبيان حقيقة تلك العبادة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [4] .

فمن حاد عما بينته الرسل ونزلت به الكتب من عبادة الله ، وعبد الله بما يملي عليه ذوقه ، وما تهواه نفسه ، وما زينته له شياطين الإنس والجن ؛ فقد ضل عن سبيل الله ولم تكن عبادته في الحقيقة عبادة لله ، بل هي عبادة لهواه : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [5] .

وهذا الجنس كثير في البشر وفي طليعتهم النصارى ، ومن ضل من فرق هذه الأمة كالصوفية ؛ فإنم اختطوا لأنفسهم خطة في العبادة مخالفة لما شرعه الله في كثير من شعاراتم . وهذا يتضح ببيان حقيقة العبادة التي شرعها الله على لسان رسول الله ﷺ وبيان ما عليه الصوفية اليوم من انحرافات عن حقيقة تلك العبادة .

---

(١) سورة الزمر آية : ٧ .
(٢) سورة إبراهيم آية : ٨ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٥) سورة القصص آية : ٥٠ .

إن العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تنبني على أصول وأسس ثابتة تتلخص فيما يلي :

أولًا : أنا توقيفية - بمعنى : أنه لا مجال للرأي فيها- بل لا بد أن يكون المشرع لها هو الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى لنبيه : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢) وقال عن نبيه : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ (٣) .

ثانيًا : لا بد أن تكون العبادة خالصة لله تعالى من شوائب الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (٤) .

فإن خالط العبادة شيء من الشرك أبطلها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٦) .

ثالثًا : لا بد أن يكون القدوة في العبادة والمبين لها رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (٨) .

---

(١) سورة هود آية : ١١٢ .
(٢) سورة الجاثية آية : ١٨ .
(٣) سورة الأحقاف آية : ٩ .
(٤) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٥) سورة الأنعام آية : ٨٨ .
(٦) سورة الزمر الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .
(٧) سورة الأحزاب آية : ٢١ .
(٨) سورة الحشر آية : ٧ .

وقال النبي ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [(١)] (رواه مسلم ، الحديث برقم (١٧١٨)) وفي رواية : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [(٢)] (رواه البخاري (٣ / ١٦٧) ، ومسلم الحديث برقم (١٧١٨)) .

وقوله ﷺ : ﴿ صلوا كما رأيتموني أصلي ﴾ [(٣)] (رواه البخاري (١ / ١٥٥))

وقوله : ﴿ خذوا عني مناسككم ﴾ [(٤)] (رواه مسلم ، الحديث برقم (١٢٩٧) ، والبيهقي (سنن البيهقي) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٤ هـ ، الحديث برقم (٩٥٢٤) واللفظ له) إلى غير ذلك من النصوص .

رابعًا : أن العبادة محددة بمواقيت ومقادير لا يجوز تعديها وتجاوزها .

كالصلاة مثلًا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [(٥)] .

وكالحج ، قال تعالى : ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ﴾ [(٦)] .

وكالصيام ، قال تعالى : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [(٧)] .

خامسًا : لا بد أن تكون العبادة قائمة على محبة الله تعالى والذل له وخوفه ورجائه ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٥٦) .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(٣) البخاري الأذان (٦٠٥) ، الدارمي الصلاة (١٢٥٣) .

(٤) مسلم الحج (١٢٩٧) ، أبو داود المناسك (١٩٧٠) ، أحمد (٣/٣١٨) .

(٥) سورة النساء آية : ١٠٣ .

(٦) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٧) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [1] وقال تعالى عن أنبيائه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] .

فذكر سبحانه علامات محبة الله وثمراتها :

أما علاماتها : فاتباع الرسول ﷺ وطاعة الله وطاعة الرسول . وأما ثمراتها : فنيل محبة الله سبحانه ومغفرة الذنوب والرحمة منه سبحانه .

سادسًا : أن العبادة لا تسقط عن المكلف من بلوغه عاقلًا إلى وفاته ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [4] ، ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [5] .

حقيقة التصوف

لفظ التصوف والصوفية لم يكن معروفًا في صدر الإسلام ، وإنما هو محدث بعد ذلك أو دخيل على الإسلام من أمم أخرى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " مجموع الفتاوى " : " أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به ذلك ، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما ، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به ، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري ، وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي فإنه من أسماء النسب ؛ كالقرشي والمدني وأمثال ذلك ، فقيل : إنه نسبة إلى أهل الصفة ، وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك لقيل :

---

(١) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٠ .

(٣) سورة آل عمران الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٥) سورة الحجر آية : ٩٩ .

صُفيّ ، وقيل : نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله ، وهو أيضًا غلط ! فإنه لو كان كذلك لقيل : صَفيّ . وقيل : نسبة إلى الصفوة من خلق الله ، وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك لقيل : صفوي ، وقيل : نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن بشر بن طابخة - قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة في الزمن القديم ينسب إليهم النساك - وهذا وإن كان موافقًا للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضًا ؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرضى أن يكون مضافًا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام ، وقيل - وهو المعروف - : إنه نسبة إلى الصوف ، فإنه أول ما ظهرت الصوفية في البصرة .

وأول من ابتنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ! ! وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قومًا يفضلون لباس الصوف ، فقال : إن قومًا يتخيرون لباس الصوف يقولون : إنهم يتشبهون بالمسيح ابن مريم ، وهدي نبينا أحب إلينا ، وكان ﷺ يلبس القطن وغيره ، أو كلامًا نحوًا من هذا ، ثم يقول بعد ذلك : وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم : صوفي ، وليس طريقهم مقيدًا بلبس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ، ولا علقوا الأمر به ، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال " .

إلى أن قال : " فهذا أصل التصوف ، ثم إنه بعد ذلك تشعب وتنوع " .

وكلامه (مجموع الفتاوى : (١١ / ٥ ، ٧ ، ١٦ ، ١٨)) . رحمه الله يعطي أن التصوف نشأ في بلاد الإسلام على يد عُباد البصرة ؛ نتيجة لمبالغتهم في الزهد والعبادة ، ثم تطور بعد ذلك .

والذي توصل إليه بعض الكتاب العصريين ، أن التصوف تسرب إلى بلاد المسلمين من الديانات الأخرى ؛ كالديانة الهندية والرهبانية النصرانية ، وقد يستأنس لهذا بما نقله الشيخ عن ابن سيرين أنه قال : إن قومًا يتخيرون لباس الصوف يقولون : إنهم يتشبهون بالمسيح ابن مريم ، وهدي نبينا أحب إلينا . فهذا يعطي أن التصوف له علاقة بالديانة النصرانية .

ويقول الدكتور صابر طعيمة في كتابه " " الصوفية معتقدًا ومسلكًا " " : ويبدو أنه لتأثير الرهبنة المسيحية التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف ، وهم في أديرتهم كثرة كثيرة من المنقطعين لهذه الممارسة على امتداد الأرض التي حررها الإسلام بالتوحيد - أعطى هو الآخر دورًا في التأثر الذي بدا على سلوك الأو ائل (الصوفية معتقدًا ومسلكًا : ص ١٧) .

وقال الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله في كتابه " التصوف ، المنشأ والمصادر " : عندما نتعمق في تعاليم الصوفية الأوائل والأواخر وأقاويلهم المنقولة منهم والمأثورة في كتب الصوفية القديمة والحديثة نفسها ، نرى بونًا شاسعًا بينها وبين تعاليم القرآن والسنة ، وكذلك لا نرى جذورها وبذورها في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ وأصحابه الكرام البررة خيار خلق الله وصفوة الكون ، بل بعكس ذلك نراها مأخوذة مقتبسة من الرهبنة المسيحية والبرهمة الهندوكية وتنسك اليهودية وزهد البوذية (التصوف ، المنشأ والمصادر : ص ٢٨) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله في مقدمة كتاب " مصرع التصوف " : إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ولرسوله ، إنه قناع المجوس يتراءى بأنه رباني ، بل قناع كل عدو صوفي للدين الحق ، فتش فيه تجد برهمية وبوذية وزرادشتية ومانوية وديصانية ، تجد أفلاطونية وغنوصية ، تجد فيه يهودية ونصرانية ووثنية جاهلية (مصرع التصوف : ص ١٩) .

ومن خلال عرض آراء هؤلاء الكتاب المعاصرين في أصل الصوفية ، وغيرهم مما لم نذكره كثيرون يرون هذا الرأي ، يتبين أن الصوفية دخيلة على الإسلام ، يظهر ذلك في

ممارسات المنتسبين إليها ، تلك الممارسات الغريبة على الإسلام والبعيدة عن هديه ، وإنما نعني بذا المتأخرين من الصوفية حيث كثرت وعظمت شطحاتم .

أما المتقدمون منهم فكانوا على جانب من الاعتدال ؛ كالفضيل بن عياض والجنيد وإبراهيم بن أدهم وغيرهم .

موقف الصوفية من العبادة والدين

للصوفية - خصوصا المتأخرين منهم - منهج في الدين والعبادة يخالف منهج السلف ويبتعد كثيرًا عن الكتاب والسنة ، فهم قد بنوا دينهم وعبادتم على رسوم ورموز واصطلاحات اخترعوها ، وهي تتلخص فيما يلي :

١ - قصرهم العبادة على المحبة ، فهم يبنون عبادتم لله على جانب المحبة ، ويهملون الجوانب الأخرى ؛ كجانب الخوف والرجاء ، كما قال بعضهم : أنا لا أعبد الله طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره .

ولا شك أن محبة الله تعالى هي الأساس الذي تبنى عليه العبادة ولكن العبادة ليست مقصورة على المحبة كما يزعمون ، بل لها جوانب وأنواع كثيرة غير المحبة ؛ كالخوف والرجاء والذل والخضوع والدعاء إلى غير ذلك ، فهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

ويقول العلامة ابن القيم :

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان

ولهذا يقول بعض السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد .

وقد وصف الله رسله وأنبياءه بأنم يدعون ربم خوفًا وطمعًا ، وأنم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، وأنم يدعونه رغبًا ورهبًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ولهذا قد وجد في نوع من المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية .

وقال أيضًا : وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعًا من الجهل بالدين ، إما من تعدي حدود الله ، وإما من تضييع حقوق الله ، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها .

وقال أيضًا : والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كان هذا أصل مقصودهم ، ولهذا أنزل الله المحبة محنة يمتحن بها المحب ، فقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(١)] .

فلا يكون محبا لله إلا من يتبع رسوله ، وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية ، وكثير ممن يدعي المحبة يخرج عن شريعته وسنته ﷺ ويدعي من الخيالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره ، حتى يظن أحدهم سقوط الأمر ، وتحليل الحرام له ، وقال أيضًا : وكثير من الضالين الذين اتبعوا أشياء مبتدعة من الزهد والعبادة على غير علم ولا نور من الكتاب والسنة وقعوا فيما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك . انتهى .

فتبين بذلك أن الاقتصار على جانب المحبة لا يسمى عبادة ، وقد يئول بصاحبه على الضلال بالخروج عن الدين .

٢ - الصوفية في الغالب لا يرجعون في دينهم وعبادتهم إلى الكتاب والسنة والاقتداء بالنبي ﷺ ، وإنما يرجعون إلى أذواقهم وما يرسمه لهم شيوخهم من الطرق

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣١ .

المبتدعة ، والأذكار والأوراد المبتدعة ، وربما يستدلون بالحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعة لتصحيح ما هم عليه بدلًا من الاستدلال بالكتاب والسنة ، وهذا ما ينبني عليه دين الصوفية .

ومن المعلوم أن العبادة لا تكون عبادة صحيحة إلا إذا كانت مبنية على ما جاء في الكتاب والسنة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ويتمسكون - يعني : الصوفية - في الدين الذي يتقربون به إلى ربهم بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ، ولو صدق لم يكن معصومًا ، فيجعلون متبوعيهم وشيوخهم شارعين لهم دينًا ، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينًا . انتهى .

ولما كان هذا مصدرهم الذي يرجعون إليه في دينهم وعباداتهم ، وقد تركوا الرجوع إلى الكتاب والسنة ، صاروا أحزابًا متفرقين ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ (١) .

فصراط الله واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه ، وما عداه فهو سبل متفرقة تتفرق بمن سلكها ، وتبعده عن صراط الله المستقيم ، وهذا ينطبق على فرق الصوفية ، فإن كل فرقة لها طريقة خاصة تختلف عن طريقة الفرق الأخرى . ولكل فرقة شيخ يسمونه : شيخ الطريقة ، يرسم لها منهاجًا يختلف عن منهاج الفرق الأخرى ، ويبتعد بهم عن الصراط المستقيم ، وهذا الشيخ الذي يسمونه : شيخ الطريقة ، يكون له مطلق التصرف ، وهم ينفذون ما يقول ولا يعترضون عليه بشيء ، حتى قالوا : المريد مع شيخه يكون كالميت مع غاسله . وقد يدعي بعض هؤلاء الشيوخ أنه يتلقى من الله مباشرة ما يأمر به مريديه وأتباعه .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

٣ - من دين الصوفية التزام أذكار وأوراد يضعها لهم شيوخهم فيتقيدون بها ويتعبدون بتلاوتها ، وربما فضلوا تلاوتها على تلاوة القرآن الكريم ، ويسمونها ذكر الخاصة .

وأما الذكر الوارد في الكتاب والسنة فيسمونه : ذكر العامة . فقول : لا إله إلا الله ؛ عندهم هو ذكر العامة ، وأما ذكر الخاصة ، فهو الاسم المفرد : الله ؛ وذكر خاصة الخاصة (هو) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن زعم أن هذا (أي : قول لا إله إلا الله) ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد ، وذكر خاصة الخاصة (هو) : أي الاسم المضمر - فهو ضال مضل .

واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [١] من أبين غلط هؤلاء ، بل من تحريفهم للكلم عن مواضعه ، فإن الاسم (الله) مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبلها وهو قوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ ﴾ [٢] إلى قوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [٣] أي : الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى .

فالاسم (الله) مبتدأ خبره دل عليه الاستفهام ، كما في نظائر ذلك . تقول : من جارك ؟ فيقول : زيد ، وأما الاسم المفرد مظهرًا ومضمرًا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأئمة ، ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطي القلب نفسه معرفة مفيدة ، ولا حالًا نافعًا ، وإنما يعطيه تصورًا مطلقًا لا يحكم فيه بنفي ولا إثبات .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٩١ .

إلى أن قال : وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـ (هو) في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد ، وما يذكر عن بعض الشيوخ في أنه قال : أخاف أن أموت بين النفي والإثبات ، حال لا يقتدى فيها بصاحبها ، فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به إذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت إلا على ما قصده ونواه ؛ إذ الأعمال بالنيات ، وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بتلقين الميت لا إله إلا الله ، وقال : ﴿ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ﴾ [(١)] ، ولو كان ما ذكره محظورًا لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتًا غير محمود .

بل كان ما اختاره من ذكر الاسم المفرد ، والذكر بالاسم المضمر أبعد عن السنة ، وأدخل في البدعة ، وأقرب إلى إضلال الشيطان ، فإن من قال : يا هو يا هو ، أو هو هو ؛ ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدًا إلا على ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدي وقد يضل .

وقد صنف صاحب الفصوص (يعني ابن عربي) . كتابًا سماه كتاب " الهو " .

وزعم بعضهم أن قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [(٢)] . معناه : وما يعلم تأو يل هذا الاسم الذي هو الهو - وهذا مما اتفق المسلمون ، بل العقلاء على أنه من أبين الباطل- فقد يظن هذا من يظنه من هؤلاء حتى قلت لبعض من قال شيئًا من ذلك : لو كان هذا كما قلته لكتبت الآية وما يعلم تأو يل هو منفصلة ، أي : كتبت (هو) منفصلة عن (تأو يل) ! !

٤- غلو المتصوفة في الأولياء والشيوخ خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة . فإن عقيدة أهل السنة والجماعة موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [(٣)] وقال

(١) أبو داود الجنائز (٣١١٦) ، أحمد (٥/٢٣٣) .
(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٣) سورة المائدة آية : ٥٥ .

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [(١)] .

وأولياء الله : هم المؤمنون المتقون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ويجب علينا محبتهم والاقتداء بهم واحترامهم ، وليست الولاية وقفًا على أشخاص معينين . فكل مؤمن تقي فهو ولي الله ﷻ وليس معصومًا من الخطأ ، هذا معنى الولاية والأولياء ، وما يجب في حقهم عند أهل السنة والجماعة ، أما الأولياء عند الصوفية فلهم اعتبارات ومواصفات أخرى ، فهم يمنحون الولاية لأشخاص معينين من غير دليل من الشارع على ولايتهم ، وربما منحوا الولاية لمن لم يعرف بإيمان ولا تقوى ، بل قد يعرف بضد ذلك من الشعوذة والسحر واستحلال المحرمات ، وربما فضلوا من يدعون لهم الولاية على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يقول أحدهم :

مقـــام النبـــوة في بـــرزخ فويـــق الرســول ودون الــولي

ويقولون : إن الأولياء يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول ، ويدعون لهم العصمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع ، فيظن في شخص أنه ولي لله ، ويظن أنه ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يفعله ، وإن خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك الشخص ، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر . . . إلى أن قال : وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله فيهم : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ

(١) سورة الممتحنة آية : ١ .

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] .

وفي المسند (وصححه الترمذي ، برقم ٣٠٩٥) . عن عدي بن حاتم في تفسير هذه الآية ، لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : ما عبدوهم ، فقال النبي ﷺ : ﴿ كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه ﴾ [2] ، إلى أن قال : وتجد كثيرًا من هؤلاء : في اعتقاد كونه وليا لله ، أنه قد صار عنده مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحيانًا أو يملأ إبريقًا من الهواء ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك ، وليس في هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله .

بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته للرسول ﷺ وموافقته لأمره ونيه .

وكرامات أولياء الله أعظم من هذه الأمور . وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها وليا لله ، فقد يكون عدوا لله ؛ فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي الله .

بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة . مثال ذلك : أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ، ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابسًا للنجاسات معاشرًا للكلاب ، يأوي إلى

---

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٢) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٩٥) .

الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف ، إلى أن قال : فإذا كان الشخص مباشرًا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان ، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها ، أو يسجد إلى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوي إلى المقابر ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى والمشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن . انتهى .

ولم يقف الصوفية عند هذا الحد من منح الولاية لأمثال هؤلاء ، بل غلوا فيهم حتى جعلوا فيهم شيئًا من صفات الربوبية ، وأنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب ، ويجيبون من استغاث بهم بطلب ما لا يقدر عليه إلا الله .

ويسمونهم الأغواث والأقطاب والأوتاد ، يهتفون بأسمائهم في الشدائد وهم أموات أو غائبون ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وأضفوا عليهم هالة من التقديس في حياتهم وعبدوهم من دون الله بعد وفاتهم ، فبنوا على قبورهم الأضرحة وتبركوا بتربتهم ، وطافوا بقبورهم ، وتقربوا إليهم بأنواع النذور ، وهتفوا بأسمائهم في طلباتهم ، هذا منهج الصوفية في الولاية والأولياء .

٥ - من دين الصوفية الباطل تقربهم إلى الله بالغناء والرقص وضرب الدفوف والتصفيق ، ويعتبرون هذا عبادة لله .

قال الدكتور صابر طعيمة في كتابه : " الصوفية معتقدًا ومسلكًا " : أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق الصوفية في مناسبات الاحتفال بموالد بعض كبارهم ؛ أن يجتمع الأتباع لسماع النوتة الموسيقية التي يُكون صوتا أحيانًا أكثر من مائتي عازف

من الرجال والنساء ، وكبار الأتباع يجلسون في هذه المناسبات يتناولون ألوانًا من شرب الدخان ، وكبار أئمة القوم وأتباعهم يقومون بمدارسة بعض الخرافات التي تنسب لمقبوريهم ، وقد انتهى إلى علمنا من المطالعات أن الأداء الموسيقي لبعض الطرق الصوفية مستمد مما يسمى (كورال صلوات الآحاد المسيحية) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا وقت حدوث هذا ، وموقف الأئمة منه ومن الذي أحدثه : اعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا مصر ولا المغرب ولا العراق ولا خراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب ، وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أو اخر المائة الثانية ، فلما رآه الأئمة أنكروه ، فقال الشافعي رضي الله عنه خلفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه (التغبير) يصدون به الناس عن القرآن . وقال يزيد بن هارون : ما يغبر إلا فاسق ، ومتى كان التغبير ؟ !

وسئل الإمام أحمد ، فقال : أكرهه هو محدث ، قيل : أتجلس معهم ؟ قال : لا ، وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه ، وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه ، فلم يحضره إبراهيم بن أدهم ، ولا الفضيل بن عياض ، ولا معروف الكرخي ، ولا أبو سليمان الداراني ، ولا أحمد بن أبي الحواري والسري السقطي وأمثالهم .

والذين حضروه من الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم ، وأعيان المشايخ عابوا أهله كما فعل ذلك عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهما من المشايخ ، وما ذكره الشافعي رحمه الله من أنه من إحداث الزنادقة ، كلام إمام خبير بأصول الإسلام فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم ، إلى أن قال : وأما الحنفاء أهل ملة إبراهيم الخليل الذي جعله الله إمامًا ، وأهل دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينًا غيره ، المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فليس فيهم من يرغب في ذلك ولا يدعو إليه ، وهؤلاء هم أهل القرآن والإيمان والهدى والسعد والرشاد والنور والفلاح ، وأهل المعرفة والعلم واليقين

والهدى والسعد والرشاد والنور والفلاح ، وأهل المعرفة والعلم واليقين والإخلاص لله ، والمحبة له ، والتوكل عليه والخشية له والإنابة إليه . إلى أن قال : ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها ، عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه ، فهو للروح كالخمر للجسد ؛ ولهذا يورث أصحابه سكرًا أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة بلا تمييز ، كما يجد شارب الخمر ، بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ، ويصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر ! !

وقال أيضًا : وأما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من الأئمة ، بل قد قال الله في كتابه : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ [1] وقال في كتابه : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [2] . أي بسكينة ووقار ، وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود .

بل الدف والرقص لم يأمر الله به ، ولا رسوله ، ولا أحد من سلف الأمة ، قال : وأما قول القائل : هذه شبكة يصاد بها العوام ، فقد صدق فإن أكثرهم إنما يتخذون ذلك شبكة لأجل الطعام والتوانس على الطعام ، كما قال الله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [3] .

ومن فعل هذا فهو من أئمة الضلال الذين قيل في رءوسهم : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [4] .

---

(١) سورة لقمان آية : ١٩ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٦٣ .
(٣) سورة التوبة آية : ٣٤ .
(٤) سورة الأحزاب الآيتان : ٦٧ - ٦٨ .

وأما الصادقون منهم فهم يتخذونه شبكة لكن هي شبكة مخرقة ، يخرج منها الصيد إذا دخل فيها ، كما هو الواقع كثيرًا ، فإن الذين دخلوا في السماع المبتدع في الطريق ، ولم يكن معهم أصل شرعي شرعه الله ورسوله ، أورثهم أحوالًا فاسدة . انتهى كلامه [1] .

فهؤلاء الصوفية الذين يتقربون إلى الله بالغناء والرقص يصدق عليهم قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ [2] .

٦ - ومن دين الصوفية الباطل ما يسمونه بالأحوال التي تنتهي بصاحبها على الخروج عن التكاليف الشرعية نتيجة لتطور التصوف ، فقد كان أصل التصوف ، كما ذكره ابن الجوزي : رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق .

قال : وعلى هذا كان أوائل القوم ، فلبس إبليس عليهم في أشياء ، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم ، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني ، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ، وكان أصل تلبيسه عليهم أن صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات ، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة ، فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح ، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إن فيهم من لا يضطجع ، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة ، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري ، ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك ، مثل الحارث المحاسبي ، وجاء آخرون فهذبوا مذهب الصوفية وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق ، ثم ما زال الأمر ينمو ، والأشياخ يضعون لهم أوضاعًا ويتكلمون بمواقعاتهم ، وبعدوا عن العلماء ورأوا ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه

(١) (مجموع الفتاوى ، (٥٦٩/١١ - ٥٧٤)) .

(٢) سورة الأعراف آية : ٥١ .

العلم الباطن ، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر ، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه . فكأنهم تخايلوا شخصًا مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول ، ومنهم من قال بالاتحاد ، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا . انتهى [1] .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قوم داوموا على الرياضة مرة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا : لا نبالي الآن ما علمنا ، وإنما الأوامر والنواهي رسوم العوام ، ولو تجوهروا لسقطت عنهم ، وحاصل النبوة يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، والمراد منها ضبط العوام ، ولسنا نحن من العوام فندخل في حجر التكليف ؛ لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة .

فأجاب : لا ريب عند أهل العلم والإيمان أن هذا القول من أعظم الكفر وأغلظه ، وهو شر من قول اليهود والنصارى ، فإن اليهودي والنصراني آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض . وأولئك هم الكافرون حقًّا ، كما أنهم يقرون أن لله أمرًا ونهيًا ، ووعدًا ووعيدًا ، وأن ذلك متناول لهم إلى حين الموت ، هذا إن كانوا متمسكين باليهودية والنصرانية المبدلة المنسوخة .

وأما إن كانوا من منافقي أهل ملتهم ، كما هو الغالب على متكلميهم ومتفلسفتهم كانوا شرا من منافقي هذه الأمة ، حيث كانوا مظهرين للكفر ومبطنين للنفاق ، فهم شر ممن يظهر إيمانًا ويبطن نفاقًا .

والمقصود أن المتمسكين بجملة منسوخة فيها تبديل خير من هؤلاء الذين يزعمون سقوط الأمر والنهي عنهم بالكلية ؛ فإن هؤلاء خارجون في هذه الحال من جميع الكتب والشرائع والملل ، لا يلتزمون لله أمرًا ولا نهيًا بحال ، بل هؤلاء شر من المشركين المتمسكين ببقايا الملل ، كمشركي العرب الذين كانوا متمسكين ببقايا من دين إبراهيم عليه السلام ، فإن أولئك معهم نوع من الحق يلتزمونه ، وإن كانوا مع ذلك مشركين ،

(١) (تلبيس إبليس : (ص ١٥٧ ، ١٥٨)) .

وهؤلاء خارجون عن التزام شيء من الحق بحيث يظنون أنهم قد صاروا سدى لا أمر عليهم ولا نهي ، إلى أن قال : ومن هؤلاء من يحتج بقوله : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [1] .

ويقول معناها : اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة ، فإذا حصل ذلك سقطت العبادة ، وربما قال بعضهم : اعمل حتى يحصل لك حال ، فإذا حصل لك حال تصوفي سقطت عنك العبادة ، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال استحل ترك الفرائض وارتكاب المحارم . وهذا كفر ، كما تقدم إلى أن قال : فأما استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [2] فهي عليهم لا لهم ، قال الحسن البصري : إن الله لم يجعل لعمل المؤمنين أجلًا دون الموت ، وقرأ قوله : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [3] .

وذلك أن اليقين هنا : الموت وما بعده ، باتفاق علماء المسلمين ، وذلك مثل قوله : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [4] .

إلى قوله : ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [5] .

فهذا قالوه وهم في جهنم وأخبروا أنهم كانوا على ما هم عليه من ترك الصلاة والزكاة والتكذيب بالآخرة والخوض مع الخائضين حتى أتاهم اليقين ، ومعلوم أنهم مع هذا الحال

---

(١) سورة الحجر آية : ٩٩ .
(٢) سورة الحجر آية : ٩٩ .
(٣) سورة الحجر آية : ٩٩ .
(٤) سورة المدثر الآيتان : ٤٢ - ٤٣ .
(٥) سورة المدثر الآيات : ٤٥ - ٤٧ .

لم يكونوا مؤمنين بذلك في الدنيا ، ولم يكونوا مع الذين قال الله فيهم : ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ [1] .

وإنما أراد بذلك أنه أتاهم ما يوعدون وهو اليقين . انتهى . [2]

فالآية تدل على وجوب العبادة على العبد منذ بلوغه سن التكليف عاقلًا إلى أن يموت ، وأنه ليس هناك حال قبل الموت ينتهي عندها التكليف كما تزعمه الصوفية .

---

(١) سورة البقرة آية : ٤ .

(٢) (مجموع الفتاوى : (٤٠١/١١ ، ٤٠٢ ، ٤١٧ ، ٤١٨)) .

الخاتمة

وبعد : فهذا هو دين الصوفية قديمًا وحديثًا ، وهذا موقفهم من العبادة ، ولم ننقل عنهم إلا القليل مما تضمنته كتبهم وكتب منتقديهم ، وما تدل عليه ممارساتهم المعاصرة ، ولم أتناول إلا جانبًا واحدًا ، جوانب البحث حولهم هو جانب العبادة وموقفهم منها ، وبقيت جوانب أخرى تحتاج إلى محاضرات ومحاضرات ، كموقفهم من التوحيد ، وموقفهم من الرسالات ، وموقفهم من الشريعة والقدر ، إلى غير ذلك .

هذا وأسأل الله ﷻ أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

المحاضرة الخامسة
في تعريف البدعة وبيان أنواعها وأحكامها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أمرنا بالاتباع ونهانا عن الابتداع ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بعثه الله ليقتدى به ويطاع ، وعلى آله وأصحابه وسائر الأتباع .

وبعد : فهذه فصول في بيان أنواع البدع والنهي عنها ، اقتضى كتابتها واجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم :

الفصل الأول
تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها

تعريفها

البدعة في اللغة : مأخوذة من البدع ، وهو الاختراع على غير مثال سابق . ومنه قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [(1)] أي : مخترعها على غير مثال سابق . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [(2)] أي : ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد ، بل تقدمني كثير من الرسل ، ويقال : ابتدع فلان بدعة ، يعني : ابتدأ طريقة لم يسبق إليها .

والابتداع على قسمين : ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة ، وهذا مباح ؛ لأن الأصل في العادات الإباحة ، وابتداع في الدين وهذا محرم ؛ لأن الأصل فيه

(1) سورة البقرة آية : ١١٧ .
(2) سورة الأحقاف آية : ٩ .

التوقيف قال ﷺ : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [1] (رواه البخاري (٣ / ١٦٧) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٧١٨)) .

أنواع البدع

البدعة في الدين نوعان :

النوع الأول : بدعة قولية اعتقادية ، كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتم .

النوع الثاني : بدعة في العبادات ، كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أنواع :

النوع الأول : ما يكون في أصل العبادة - بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع ، كأن يحدث صلاة غير مشروعة ، أو صيامًا غير مشروع أو أعيادًا غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها .

النوع الثاني : ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة ، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلًا .

النوع الثالث : ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة ، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة ، وكالتمديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ .

النوع الرابع : ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع ، كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام ، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل .

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة ؛ لقوله ﷺ : ﴿ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [1] (رواه أبو داود ، الحديث برقم (٤٦٠٧) ، والترمذي ، الحديث برقم (٢٦٧٦)) وقول النبي ﷺ : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [2] ، وفي رواية : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [3] ، فدل الحديث على أن كل محدث في الدين فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة مردودة . ومعنى ذلك : أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة :

فمنها : ما هو كفر صراح ؛ كالطواف بالقبور تقربًا إلى أصحابها ، وتقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم . وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة .

ومنها : ما هو من وسائل الشرك ؛ كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها .

ومنها : ما هو فسق اعتقادي ؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية . ومنها : ما هو معصية ؛ كبدعة التبتل والصيام قائمًا في الشمس والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع .

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٥٦) .

تنبيه :

من قسم البدعة إلى : بدعة حسنة ، وبدعة سيئة -فهو غالط ومخطئ ومخالف لقوله ﷺ : ﴿ فإن كل بدعة ضلالة ﴾ [1] ؛ لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنا ضلالة . وهذا يقول : ليس كل بدعة ضلالة ، بل هناك بدعة حسنة .

قال الحافظ ابن رجب في [2] : فقوله ﷺ : (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء . وهو أصل عظيم من أصول الدين . وهو شبيه بقوله ﷺ : ﴿ من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه . وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة [4] . انتهى .

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر ﷺ في صلاة التراويح : (نعمت البدعة هي) وقالوا أيضًا : إنا أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف ، مثل جمع القرآن في كتاب واحد ، وكتابة الحديث وتدوينه .

والجواب عن ذلك : أن هذه الأمور لها أصل في الشرع ، فليست محدثة . وقول عمر : (نعمت البدعة) يريد البدعة اللغوية لا الشرعية ، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل : إنه بدعه فهو بدعة لغة لا شرعًا ؛ لأن البدعة شرعًا ، ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه ، وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع ؛ لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن . لكن كان مكتوبًا متفرقًا فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد ؛ حفظًا له .

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) .
(٢) (شرح الأربعين) .
(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٤٠/٦) .
(٤) (جامع العلوم والحكم ص ٢٣٣) .

والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه ليالي وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم ، واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونا أوزاعًا متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلف إمام واحد ، كما كانوا خلف النبي ﷺ وليس هذا بدعة في الدين .

وكتابة الحديث أيضًا لها أصل في الشرع فقد أمر النبي ﷺ بكتابة الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك ، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه ، فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحذور ؛ لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته صلى الله عليه وسلم ؛ فدون المسلمون السنة بعد ذلك حفظًا لها من الضياع . فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا ؛ حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبث العابثين .

الفصل الثاني

ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إلى ذلك

ظهور البدع في حياة المسلمين ، وتحته مسألتان :

المسألة الأولى : وقت ظهور البدع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين ، كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال : ﴿ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ﴾ [1] [2] وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدعة التشيع والخوارج ، هذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون ، وقد أنكروا على أهلها ، ثم ظهرت بدعة الاعتزال وحدثت الفتن بين المسلمين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء ، وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة ، وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع وتنوعت .

المسألة الثانية : مكان ظهور البدع

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة : الحرمان والعراقان والشام . منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام . وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية ؛ فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك في غيرها ، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد ، وانتشر بعد ذلك في غيرها ، والشام كان با النصب والقدر . أما

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) (مجموع الفتاوى : (١٠/٣٥٤)) .

التجهم فإنما ظهر في ناحية خراسان وهو شر البدع ، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية . فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية .

وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وإن كان بها من هو مضمر لذلك ، فكان عندهم مهانًا مذمومًا ؛ إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم ، ولكن كانوا مقهورين ذليلين بخلاف التشيع والإرجاء بالكوفة ، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة ، والنصب بالشام فإنه كان ظاهرًا .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في المدينة أن الدجال لا يدخلها . ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهرًا على زمن أصحاب مالك وهو من أهل القرن الرابع .

فأما الأعصار الثلاثة المضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة ، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة كما خرج من سائر الأمصار . [1]

---

(١) (مجموع الفتاوى : (٣٠٠/٢٠)) .

الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [1] وقد وضح ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال : ﴿ خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا فقال : هذا سبيل الله . ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم تلا : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ ﴾ [2] . (رواه الإمام أحمد : (٤٣٥/١) ، والدارمي (سنن الدارمي) (طبعة أكادمي ، باكستان ١٤١٤هـ) ، الحديث برقم (٢٠٨)) .

فمن أعرض عن الكتاب والسنة تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثة ، فالأسباب التي أدت على ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية : الجهل بأحكام الدين ، اتباع الهوى ، التعصب للآراء والأشخاص ، التشبه بالكفار وتقليدهم . ونتناول هذه الأسباب بشيء من التفصيل :

الجهل بأحكام الدين : كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قل العلم وفشى الجهل ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله : ﴿ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ﴾ [4] (جزء من حديث تقدم تخريجه (ص ١٠١)) فلا يقاوم البدع إلا

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٣) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٤) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (٢٠٣/٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

العلم والعلماء ، فإذا فقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا .

اتباع الهوى : من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (2) . والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع .

التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ ﴾ (3) .

وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما ، احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم .

التشبه بالكفار : هو من أشد ما يوقع في البدع ، كما في حديث أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون با أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ الله أكبر ، إنا السنن قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (4) لتركبن سنن من كان قبلكم ﴾

(1) سورة القصص آية : ٥٠ .
(2) سورة الجاثية آية : ٢٣ .
(3) سورة البقرة آية : ١٧٠ .
(4) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

(رواه الترمذي ، الحديث برقم (٢١٨٠) ، والطبراني في (المعجم الكبير) (طبعة مؤسسة إحياء التراث العربي- الثانية ١٤٠٥هـ) ، الحديث برقم (٣٢٩١)) .

ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل وبعض أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام أن يطلبوا هذا الطلب القبيح من نبيهم ، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونا ويتبركون بها من دون الله - وهذا هو نفس الواقع اليوم- فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات كأعياد الموالد ، وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة ، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات ، وإقامة التماثيل والنصب التذكارية ، وإقامة المآتم وبدع الجنائز والبناء على القبور وغير ذلك .

الفصل الثالث
موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة
ومنهج أهل السنة والجماعة في الرد عليهم

موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة

ما زال أهل السنة والجماعة يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ، ويمنعونهم من مزاولتها وإليك نماذج من ذلك :

عن أم الدرداء قالت : دخل علي أبو الدرداء مغضبًا ، فقلت له : ما لك . فقال : " والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئًا إلا أنهم يصلون جميعًا " (رواه البخاري (١٥٩/١)) .

عن عمرو بن يحيى قال : سمعت أبي يحدث عن أبيه قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة ، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد ، فجاءنا أبو موسى الأشعري . فقال : أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا : لا ، فجلس معنا حتى خرج ، فلما خرج قمنا إليه جميعًا . فقال له أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن ، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ، ولم أر -والحمد لله- إلا خيرًا ، قال : فما هو ؟ قال : إن عشت فستراه . قال : رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى . فيقول : كبروا مائة فيكبرون مائة . فيقول : هللوا مائة فيهللون مائة . فيقول : سبحوا مائة ، فيسبحون مائة . قال : فماذا قلت لهم ؟ قال : ما قلت لهم شيئًا ، انتظار رأيك أو انتظار أمرك ، قال : أفلا أمرتهم أن يعدون سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم ، ثم مضى ومضينا معه ، حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح . قال : فعدوا سيئاتكم . فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ، ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون ،

وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر . والذي نفسي بيده ، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحو باب ضلالة ! ! قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ، ما أردنا إلا الخير . قال : وكم مريد للخير لن يصيبه . إن رسول الله ﷺ حدثنا : أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم . فقال عمرو بن سلمة : رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج [1] .

جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال : من أين أحرم ؟ فقال : من الميقات الذي وقت رسول الله ﷺ وأحرم منه ؟ فقال الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه ؟ فقال مالك : لا أرى ذلك . فقال : ما تكره من ذلك ؟ قال : أكره عليك الفتنة . قال : وأي فتنة في ازدياد الخير ؟ فقال مالك : فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2] . وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ ؟ ! [3] .

---

(١) (رواه الدارمي ، الحديث برقم (٢١٠)) .

(٢) سورة النور آية : ٦٣ .

(٣) (ذكره أبو شامة في كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث) ، نقلًا عن أبي بكير الخلال ، (ص ١٤)) .

منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع

منهجهم في ذلك مبني على الكتاب والسنة وهو المنهج المقنع المفحم ، حيث يوردون شبه المبتدعة وينقضونها ، ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات ، وقد ألفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك ، وردوا في كتب العقائد على الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة في مقالاتهم المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة . وألفوا كتبًا خاصة في ذلك كما ألف الإمام أحمد كتاب [1] وألف غيره من الأئمة في ذلك ، كعثمان بن سعيد الدارمي ، وكما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من الرد على تلك الفرق وعلى القبورية والصوفية . وأما الكتب الخاصة في الرد على أهل البدع فهي كثيرة .

منها على سبيل المثال من الكتب القديمة :

كتاب (الاعتصام) . للإمام الشاطبي .

كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) . لشيخ الإسلام ابن تيمية فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءًا كبيرًا منه .

كتاب (إنكار الحوادث والبدع) . لابن وضاح .

كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث) لأبي شامة .

كتاب (الحوادث والبدع) للطرطوشي .

(منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ومن الكتب العصرية :

كتاب (الإبداع في مضار الابتداع) لعلي محفوظ .

كتاب (السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات) . للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي .

---

(١) (الرد على الجهمية) .

رسالة (التحذير من البدع) . للشيخ عبد العزيز بن باز .

ولا يزال علماء المسلمين - والحمد لله - ينكرون البدع ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والندوات والمحاضرات ، مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين .

الفصل الرابع
في بيان نماذج من البدع المعاصرة

وهي :

الاحتفال بالمولد النبوي .

التبرك بالأماكن والآثار والأموات ونحو ذلك .

البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله .

البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن وقلة العلم ، وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات ، وسريان التشبه بالكفار في عاداتم وطقوسهم ، مصداقًا لقوله ﷺ : ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم ﴾ [(١)] (تقدم تخريجه) .

الاحتفال بمناسبة المولد النبوي في ربيع الأول

ومن هذا التشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بالمولد النبوي ، يحتفل جهلة المسلمين ، أو العلماء المضلون في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد ﷺ فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد ، ومنهم من يقيمه في البيوت أو الأمكنة المعدة لذلك ، ويحضره جموع كثيرة من دهماء الناس وعوامهم ، يعملون ذلك تشبهًا بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام ، والغالب أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة وتشبهًا بالنصارى لا يخلو من وجود الشركيات والمنكرات ؛ كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول ﷺ إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به ، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في مدحه فقال : ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله ﴾ [(٢)] (تقدم تخريجه) والإطراء معناه : الغلو في المدح ،

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٨٤/٣) .

(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .

وربما يعتقدون أن الاحتفالات الأناشيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة .

وقد يكون فيها اختلاط بين الرجال والنساء مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش . وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام وإظهار الفرح - كما يقولون - فإنه بدعة محدثة ﴿ وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [1] وأيضًا هو وسيلة إلى أن يتطور ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات .

وقلنا : إنه بدعة ؛ لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة ، وإنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري أحدثه الفاطميون الشيعة ، قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله : أما بعد فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ، ويسمونه المولد ، هل له أصل في الدين ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينًا ، والإيضاح عنه معينًا . فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها البطالون ، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون [2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وكذلك ما يحدثه بعض الناس ؛ إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا . من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا مع اختلاف الناس في مولده ، فإن هذا لم يفعله السلف . ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا ، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له منا وهم على الخير أحرص ، وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ، ونشر ما بعث به ، والجهاد على ذلك

(١) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .

(٢) (رسالة : المورد في عمل المولد) .

بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان [١] بتحقيق الدكتور ناصر العقل . انتهى .

وقد ألفت في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وحديثة ، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبهًا فإنه يجر إلى إقامة موالد أخرى ؛ كموالد الأولياء والمشايخ والزعماء فيفتح أبواب شر كثيرة .

التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياءً وأمواتًا

التبرك : طلب البركة - وهي ثبات الخير في الشيء وزيادته - وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه ، فهو الذي ي ل البركة ويثبتها ، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها ، فالتبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياءً وأمواتًا لا يجوز ؛ لأنه إما شرك ، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة ، أو وسيلة إلى الشرك ، إن اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله .

وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ فذلك خاص به ﷺ وفي حال حياته ، بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته ، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها ، ليتبركوا با وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى ، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين ، كأبي بكر وعمر وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت ، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا ، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا ، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال : إن فيها مقامات الأنبياء وغيرهم ، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء .

(١) (اقتضاء الصراط المستقيم : (٦١٥/٢)) .

وأيضًا فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائمًا لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله ، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها ، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ، ولا تقبيله فكيف بما يقال إن غيره صلى فيه أو نام عليه ؟ ! فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته ﷺ [1] .

البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله

البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة ؛ لأن الأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع شيء منها إلا بدليل ، وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة ؛ لقوله ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [2] (رواه البخاري (٣ / ١٦٧) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٧١٨)) . والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جدا ، منها : الجهر بالنية للصلاة ، بأن يقول : نويت أن أصلي لله كذا وكذا ، وهذا بدعة ؛ لأنه ليس من سنة النبي ﷺ ولأن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] .

والنية محلها القلب فهي عمل قلبي لا عمل لساني . ومنها الذكر الجماعي بعد الصلاة ؛ لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفردًا .

ومنها طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات . ومنها إقامة المآتم على الأموات وصناعة الأطعمة واستئجار المقرئين ، يزعمون أن ذلك من باب العزاء أو أن ذلك ينفع الميت ، وكل ذلك بدعة لا أصل لها ، وآصار وأغلال ما أنزل الله بها من

---

(١) (انظر (اقتضاء الصراط المستقيم) (٧٩٥/٢ - ٨٠٢) ، تحقيق الدكتور ناصر العقل) .
(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .
(٣) سورة الحجرات آية : ١٦ .

سلطان . ومنها الاحتفال بالمناسبات الدينية ، كمناسبة الإسراء والمعراج ومناسبة الهجرة النبوية .

وهذا الاحتفال بتلك المناسبات لا أصل له من الشرع .

ومن ذلك ما يفعل في شهر رجب ؛ كالعمرة الرجبية ، وما يفعل فيه من العبادات الخاصة به ؛ كالتطوع بالصلاة والصياح فيه ، فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في العمرة والصيام والصلاة والذبح للنسك فيه ولا غير ذلك .

ومن ذلك الأذكار الصوفية بأنواعها كلها بدع ومحدثات ؛ لأنا مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وهيئاتا وأوقاتا ؛ ومن ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام ، ويوم النصف من شعبان بصيام ؛ فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء خاص به .

ومن ذلك البناء على القبور واتخاذها مساجد وزيارتا لأجل التبرك با والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية ، وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

وختامًا : نقول : إن البدع بريد الكفر ، وهي زيادة دين لم يشرعه الله ولا رسوله ، والبدعة شر من المعصية الكبيرة ، والشيطان يفرح با أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة ؛ لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنا معصية فيتوب منها . والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها دينًا يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها ، والبدع تقضي على السنن ، وتكره إلى أصحابا فعل السنن وأهل السنة ، والبدعة تباعد عن الله وتوجب غضبه وعقابه وتسبب زيغ القلوب وفسادها .

ما يعامل به المبتدعة

تحرم زيارة المبتدع ومجالسته إلا على وجه النصيحة له والإنكار عليه ؛ لأن مخالطته تؤثر على مخالطه شرا وتنشر عدواه إلى غيره . ويجب التحذير منهم ومن شرهم إذا لم يمكن الأخذ على أيديهم ، ومنعهم من مزاولة البدع ، وإلا فإنه يجب على علماء المسلمين

وولاة أمورهم منع البدع والأخذ على أيدي المبتدعة وردعهم عن شرهم ؛ لأن خطرهم على الإسلام شديد ، ثم إنه يجب أن يعلم أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشر بدعتهم وتساعدهم على ذلك بشتى الطرق ؛ لأن في ذلك القضاء على الإسلام وتشويه صورته . نسأل الله ﷻ أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

المحاضرة السادسة
الدعوة إلى الله
مكانتها وكيفيتها وثمراتها

بِسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، أمر المسلمين بأن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد خير من دعا إلى الله وبشر وأنذر ، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بنشر هذا الدين عن طريق الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله حتى تحقق وعد الله بقوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(1)] .

أما بعد : فإنني بحول الله سأتناول في كلمتي هذه ما تيسر من بيان الدعوة إلى الله من حيث :

أهميتها ومكانتها في الإسلام .

كيفية الدعوة ومجالاتا .

الصفات التي يجب أن يتحلى با الداعية إلى الله .

ثمرة الدعوة إلى الله ونتائجها .

وأسأل الله أن يوفقني وجميع المسلمين لقول الحق والعمل به ، وأن يجعل من هذه الكلمة إسهامًا في أداء الواجب ، وخطوة في طريق الخير .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٣ .

تعريف الدعوة إلى الله

الدعوة والدعاء : لغة : الطلب . والدعاء إلى الشيء : الحث على قصده .

والدعوة إلى الله : هي طلب الإيمان به وعبادته وحده لا شريك له والعمل بطاعته وترك معصيته . فإن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ ﴾ [1] .

وهذا مقتضى العقول والفطر السليمة ، فإن العبادة لا يستحقها إلا الذي يقدر على الخلق والرزق ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [3] .

ولما كانت الفطر قد تتغير فينحرف بعض المخلوقين إلى عبادة غير الله بحكم التربية السيئة أو البيئة الفاسدة ، أو بسبب دعاة السوء من شياطين الإنس والجن ، كما قال ﷺ : ﴿ كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾ [4] ، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال : ﴿ خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ﴾ [5] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٨٦٥)) .

وقد أمر الله بالهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام من أجل مفارقة البيئة الفاسدة .

---

(١) سورة الذاريات الآيات : ٥٦ - ٥٨ .

(٢) سورة النحل آية : ٢٠ .

(٣) سورة العنكبوت آية : ١٧ .

(٤) البخاري الجنائز (١٣١٩) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٣١٥/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

(٥) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥) ، أحمد (١٦٢/٤) .

لما كانت هذه العوامل هي سبب ضلال الخلق مع تأثير النفوس الأمارة بالسوء ، أمر الله بالدعوة إلى الله لرد الشاردين وتعليم الجاهلين وتذكير الغافلين ، فأنزل كتبه وأرسل رسله من أجل الدعوة إليه ، ودعا عباده إلى الرجوع إليه ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾ [(١)] ، ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [(٢)] ، ﴿ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ [(٣)] وجاءت النداءات المتكررة منه سبحانه في كتابه الكريم : يَا أيهَا الناسُ ، يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا ، (يا عبادي) . يدعوهم إلى الخير وينهاهم عن الشر .

أهمية الدعوة ومكانتها في الإسلام

منذ حصل الانحراف في البشرية عن عقيدة التوحيد - في قوم نوح والله سبحانه يرسل الرسل لدعوة الخلق إلى التوحيد والإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [(٤)] وبين مهمتهم في قوله تعالى : ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [(٥)] ، ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ [(٦)] .

ولما كانت هذه الأمة المحمدية وارثة الرسالات والكتب السماوية بما جعل الله نبيها خاتم الرسل ومبعوثًا للناس كافة ، وجعل كتابا المهيمن على الكتب ، وجعلها وارثة هذا الكتاب العظيم ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ [(٧)]

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١ .
(٢) سورة يونس آية : ٢٥ .
(٣) سورة إبراهيم آية : ١٠ .
(٤) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٥) سورة النساء آية : ١٦٥ .
(٦) سورة النحل آية : ٢ .
(٧) سورة فاطر آية : ٣٢ .

فإننا يجب علينا نحو لبشرية أكثر مما يجب على غيرها ممن سبقها من الأمم لما أعطاها الله من الإمكانات العظيمة التي لم تعطها أمة غيرها ، بل هي المسئولة الوحيدة عن القيام بدعوة البشرية وتبليغها دعوة الله والجهاد ، لمن لم يقبل هدى الله أو صد عن سبيل الله ، كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (1) . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (2) .

وقد كلف الله رسول هذه الأمة محمدًا ﷺ بدعوة البشرية كلها ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (3) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾ (4) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (5) .

وقد كلفت هذه الأمة بما كلف به رسولها من القيام بدعوة البشرية إلى الله ﷻ قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (6) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين : الإنس والجن آمرًا له أن يخبر الناس : أن هذه سبيله ، أي طريقته ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . يدعو إلى الله با على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي . اهـ .

---

(1) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(2) سورة البقرة آية : ١٤٣ .
(3) سورة الفرقان آية : ١ .
(4) سورة الأحزاب الآيتان : ٤٥ - ٤٦ .
(5) سورة سبأ آية : ٢٨ .
(6) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

فالدعوة إلى الله تعالى واجبة على هذه الأمة وحق للبشرية عليها ، وهذا الوجوب يكون فرض كفاية إذا قام به من يكفي من الأمة سقط الإثم عن الباقين ، وإن لم يقم به أحد أو قام به من لا تحصل به الكفاية أثم كل أفراد الأمة من عنده الاستطاعة ، قال تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه ، كما ثبت في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [2] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٤٩) ، والنسائي (١١١/٨)) وفي رواية ﴿ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ﴾ [3] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٥٠)) انتهى .

وأخبر سبحانه وتعالى أن الدعاة إلى الله هم أحسن الناس قولًا ، قال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [4] .

قال الحافظ ابن جرير رحمه الله : يقول تعالى ذكره : ومن أحسن أيها الناس ممن قال : ربنا الله ثم استقام على الإيمان به والانتهاء إلى أمره ونيه ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك ، وقال الإمام الشوكاني : والأولى حمل الآية على العموم وكما يقتضيه اللفظ . فكل من جمع بين دعوة العباد إلى ما شرعه الله وعمل عملًا صالحًا وهو تأدية ما فرض الله عليه من اجتناب ما حرمه الله عليه ، وكان من المسلمين دينًا لا من غيرهم فلا شيء أحسن منه ، ولا أوضح من طريقته ، ولا أكثر ثوابًا من عمله . انتهى .

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٤/٣) .

(٣) مسلم الإيمان (٥٠) .

(٤) سورة فصلت آية : ٣٣ .

إن الدعوة إلى الله تعالى لها مكانة عظيمة في الإسلام فهي أعظم المهمات التي بعث من أجلها الرسول ﷺ وكلف بها هو وأتباعه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (١) .

والدعوة إلى الله تسبق القتال في سبيل الله ، فقد كان ﷺ يدعو الكفار إلى الله قبل أن يقاتلهم ، وكان يوصي قواده وجيوشه وسراياه أن يبدأوا عدوهم بالدعوة قبل القتال ، فإن استجابوا قبلوا منهم وإلا قاتلوهم .

إن الدعوة إلى الله في هذا الزمان تشتد الحاجة إليها بسبب كثرة التضليل والإلحاد ونشاط دعاة الشر والفساد والإباحية واستخدامهم مختلف الوسائل . فها هم دعاة التنصير ينتشرون في العالم ، ويلجون في الأدغال النائية ، ويستغلون جهل الشعوب وفقرها لبث شرهم ، وها هي أحكام القرآن تنحى وتجعل بديلًا عنها الأحكام القانونية في غالب الدول الإسلامية ، ووسائل الإعلام في أغلب دول العالم تبث سمومها مستخدمة هذه الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة .

وأخطر من ذلك نشاط الفرق الضالة التي تتسمى بالإسلام وهي تكيد له من داخله ؛ بالتشكيك في أصوله ومعاداة السنن وأهلها ، ونشر البدع والخرافات ، وبغض الصحابة والابتعاد عن عقيدة السلف ، فأصبح المسلمون مهددين من الداخل والخارج مما يتطلب من الدعاة المخلصين ، ومن علماء المسلمين مضاعفة الجهود لمقاومة هذه الجيوش الزاحفة على الإسلام وأهله ؛ لرد كيدهم في نحورهم ، وتبصير المسلمين بدينهم ، وبيان كيد عدوهم ، ويوم يتنبه دعاة الإسلام لصد هذا الهجوم ، فإن النصر بإذن الله سيكون حليفهم فإن معهم الحق ، والله تعالى يقول : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴾ (1) ويقول تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (2) .

ويكفينا قدوة ما قام به رسول الله ﷺ لما بعثه الله رسولًا لمقاومة جحافل الشرك والكفر والطغيان ؛ فقد كان الشرك والكفر حين بعثته يعم وجه الأرض حتى جللت الأصنام الكعبة المشرفة ، فكان فوقها ثلاث مائة وستون صنمًا ، والصور تكسو حيطانا من الداخل ، فما زال ﷺ يدعو إلى الله ويجاهد المشركين إلى أن دخل مكة عام الفتح واتجه إلى الكعبة ، فأزال ما عليها وما حولها من الأصنام ، وجعل يطعن فيها بالقضيب وهي تتهاوى على وجوهها ، وهو يقول : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (3) .

إن في هذا درسًا للدعاة اليوم وهم يواجهون تحديات الكفر والإلحاد في أن يضاعفوا الجهود في دعوتم ويصبروا ويصابروا والنصر قريب بإذن الله تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (4) ، وقال تعالى : ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (5) .

كيفية الدعوة ومجالاتا

١- أما كيفية الدعوة فيجب على الداعية إلى الله أن يصلح نفسه أولًا ومحيطه من أهل بيته وأقاربه ثم يتجه إلى دعوة الناس ، قال تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام : ﴿ وَمَآ

---

(1) سورة الأنبياء آية : ١٨ .
(2) سورة الإسراء آية : ٨١ .
(3) سورة الإسراء آية : ٨١ .
(4) سورة محمد آية : ٧ .
(5) سورة آل عمران آية : ١٨٦ .

أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [2] ، وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [3] قال الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله في [4] أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، وذلك أول نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ ، ثم أنزل عليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [5] فنبأه بقوله : (اقرأ) وأرسله بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ [6] ، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين . انتهى .

ومن هنا نعلم أن الدعاة الذين يتجاوزون بلادهم ومن حولهم ، بل يتجاوزون أهل بيوتم وأقاربم وهم على الشرك والكفر أو المعاصي ويذهبون في محيط بعيد عنهم أنم مخالفون لهدي النبوة في الدعوة .

وعلى الداعية أن يبدأ بالأمور المهمة - فيبدأ أولًا بإصلاح العقيدة ؛ لأنا هي الأساس الذي تنبني عليه سائر الأعمال ؛ فالأعمال مهما بلغت إذا لم تكن مبنية على عقيدة صحيحة سليمة من الشرك فإنا لا قيمة لها ولا فائدة منها ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [7] .

---

(١) سورة هود آية : ٨٨ .
(٢) سورة التحريم آية : ٦ .
(٣) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .
(٤) (زاد المعاد) . (٣ : ١٥٨) .
(٥) سورة المدثر الآيتان : ١ - ٢ .
(٦) سورة المدثر آية : ١ .
(٧) سورة الزمر آية : ٦٥ .

ومن هنا كانت دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو ما تتجه إلى إصلاح العقيدة بالدعوة إلى التوحيد وترك الشرك ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] وكل نبي يقول لقومه أول ما يدعوهم : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [2] .

وهكذا كانت دعوة نبينا محمد ﷺ فقد لبث ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة يدعوهم إلى التوحيد ، وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بصلاة أو زكاة أو صيام أو حج ، مما يدل على أن منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة منهج واحد ، وهو البداءة بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك ، ثم إلى بقية الأحكام ، وحتى لو كان المجتمع مسلمًا فإنه لا يخلو من وجود أنواع من الشرك في بعض الناس وبعض البلاد بسبب الجهل ، وبسبب انتشار المشعوذين والدجالين الذين يحاولون إفساد عقائد الناس .

وفي مجتمعنا المعاصر - كما تعلمون - الكثير والكثير من أنواع الشرك الأكبر المتمثل في عبادة الأضرحة في كثير من البلاد الإسلامية ، ولم يتجه إلى إنكاره إلا قليل من الدعاة على كثرتهم وهذا خلل عظيم في منهج الدعوة .

ثم على الدعاة كذلك أن يهتموا بإنكار البدع المحدثة في العبادات وبتعليم الناس السنن الصحيحة ؛ لأن البدع من أعظم ما يفسد الدين بعد الشرك ، فالمبتدع يشرع في الدين ما لم يأذن به الله . والبدع كلها مرفوضة مردودة على أصحابها مهما أتعبوا أنفسهم وأنفقوا أموالهم ، وضيعوا أوقاتهم في إقامتها ، قال ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [3] ، وقال : ﴿ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٢) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

بدعة ضلالة ﴾ [1] ، فعلى الدعاة أن يهتموا بدعوة الناس إلى إحياء السنن وترك البدع وإماتتها ، فهذا من أعظم مجالات الدعوة .

ثم بعد ذلك يتجه الدعاة إلى الدعوة إلى أداء الفرائض وترك المعاصي والمحرمات وتصحيح المعاملات ؛ لأن المعاصي سبب لهلاك العباد والبلاد ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [2] ووجود الدعاة والمصلحين أمان من العذاب والهلاك ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [3] . وعدم وجود الدعاة والمصلحين سبب الهلاك .

وعلى الدعاة أن يراعوا أحوال المدعوين ، فالجاهل له معاملة في الدعوة والعالم له معاملة والمعاند له معاملة ، فيعاملوا كلا بما يليق به ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [4] ، وذلك أن المدعو له حالات يعامل في كل حال بما يناسبها :

الحالة الأولى : أن يكون جاهلًا بالحق ولو بين له لأخذ به ، فهذا يدعى بالحكمة واللين واللطف والرأفة .

الحالة الثانية : من إذا بين له الحق لم يسرع لقبوله والعمل به ، بل يكون عنده كسل وفتور فهذا يحتاج مع البيان إلى موعظة ؛ بأن يخوف ويبين له ثواب المطيعين وعقاب العاصين .

الحالة الثالثة : من إذا بين له الحق لم يقبله وحاول رده بالشبهات ، فهذا يجادل بالتي هي أحسن لكشف شبهاته وبيان خطئه .

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٢) سورة الروم آية : ٤١ .
(٣) سورة هود آية : ١١٧ .
(٤) سورة النحل آية : ١٢٥ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [1] الناس ثلاثة أقسام : إما أن يعترف بالحق ويتبعه فهذا صاحب الحكمة . وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به فهذا يوعظ حتى يعمل . وإما ألا يعترف به فهذا يجادل بالتي هي أحسن ؛ لأن الجدال فيه مظنة الإغضاب ، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان كدفع الصائل . انتهى .

وقال الإمام ابن القيم في [2] جعل الله مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق ، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة ، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة ، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب ، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن . انتهى . وهذا لأن الداعية كالطبيب يراعي حال المريض في علاجه له .

٢- وأما مجالات الدعوة فهي كثيرة يجب أن تستغل كلها وتشغل بالدعوة إلى الله ، منها :

١- مجال التعليم سواء كان على نظام الحلق في المساجد أو على نظام الفصول الدراسية ، فالمدرس يجب أن يكون داعية إلى الله بالقول والعمل والقدوة الحسنة ، ولا يقتصر عمله على إلقاء درسه فقط ، فإن الطالب يتأثر بمدرسه ويقبل منه ، ويقتدي به أكثر من غيره ، فليستغل المدرسون هذا الانقياد من طلابهم ، فيقودونهم إلى الخير ، ويذودونهم عن الشر .

٢- إمامة المسجد وخطبة الجمعة ، وهما مجال واسع ومتكرر يوميا وأسبوعيا يستطيع من خلاله الإمام والخطيب أن يوجه وينبه ، وأن يدعو إلى الله على بصيرة ، وكان غالب تعليمات الرسول ﷺ توجه إلى الناس بعد الصلوات ، وفي خطب الجمعة ، فلو استغل هذا المجال استغلالًا حسنًا لأثمر خيرًا ؛ لأن الناس يجتمعون في بيت من بيوت الله بقلوب مؤمنة متطلعة إلى التوجيه والتعليم . ومن هنا يجب أن يكون الإمام والخطيب على مستوى طيب

---

(١) (مجموع الفتاوى) . (٢ : ٤٥) .

(٢) (مفتاح دار السعادة) .

من العلم والرغبة في الدعوة والتوجيه لينفع الله به ، فيجب أن يختار للإمامة من هو على هذا المستوى .

موسم الحج ، هذا الموسم العظيم الذي يجتمع فيه المسلمون من جميع أقطار الأرض في مكان واحد مما يوفر على الدعاة كثيرًا من عناء السفر إلى مشارق الأرض ومغاربا ، ويتيح لهم الفرصة أن يلتقوا بأكبر عدد ممكن من المدعوين ، ولا شك أن الحجاج يتقبلون التوجيه أكثر من غيرهم ؛ لأنم جاءوا بقلوب مؤمنة متطلعة إلى الخير والتوجيه الحسن . وقد كان النبي ﷺ يأتي إلى الحجاج في منازلهم فيعرض دعوته عليهم ، وكان يلقي خطبه في عرفات وأيام التشريق .

في الدوائر الحكومية والأعمال الوظيفية ، فيجب على رئيس الدائرة والمصلحة الحكومية أن يسهم في الدعوة في محيط منسوبيه بأن يوجه من يحتاج منهم إلى توجيه في دينه ، ويتفقدهم عند حضور الصلاة ويناقش من يتخلف منهم . فليس هو مسئولًا عنهم في الأعمال الوظيفية فقط ، بل هو مسئول عنهم من الناحية الدينية في الدرجة الأولى ، قال ﷺ : ﴿ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ﴾ [1] وكذلك الموظف مع زملائه ومع رئيسه يجب عليه أن يقوم بالمناصحة والدعوة ، قال النبي ﷺ : ﴿ الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [2] .

وهكذا المؤمن في كل مجال يدعو إلى الله كلما سنحت فرصة وحصلت مناسبة .

في أمكنة التجمعات العامة ، فيجب على الداعية أن يغشى التجمعات العامة في المساجد والمدارس ومدرجات الجامعات والنوادي ، وتجمعات الأسواق فيقوم بالدعوة إلى الله من خلال هذه التجمعات العامة .

---

(١) البخاري الجمعة (٨٥٣) ، مسلم الإمارة (١٨٢٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٥) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨) ، أحمد (١٢١/٢) .

(٢) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (١٠٣/٤) .

من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة ، فيجب على الداعية أن يسهم في البرامج الدينية في الإذاعة ، ويكتب في الصحف والمجلات العلمية الهادفة ؛ لأن هذه الوسائل تغزوكل مكان ، وتدخل كل بيت وتصاحب المسافر والسائر في الطريق ، فيجب أن تحمل الدعوة إلى الله والتوجيه الصالح ، وإذا تركت استغلها أهل الشر فأصبحت معاول تدمير وفتنة .

يجب على أفراد البعثات الدراسية والدبلوماسية في الخارج أن يمثلوا الإسلام في الدول الخارجية تمثيلًا صحيحًا في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم ، وأن يكونوا دعاة صادقين لدينهم وأمتهم حتى يعرف من يسمعهم ويراهم رسالة الإسلام على الوجه الصحيح ، فإن الناس ينظرون إليهم ويعتبرون ما يصدر عنهم هو التطبيق العملي للإسلام .

تجب مناصحة ولاة الأمور بما فيه الخير لهم ولرعيتهم ، وبما يعينهم على القيام بمهامهم ، قال ﷺ : ﴿ الدين النصيحة . ثلاث مرات . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [1] . (تقدم تخريجه) .

الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الإسلام

لما كانت الدعوة إلى الله ﷻ منصبًا جليلًا وجب أن لا يتقدم للقيام به إلا من توافرت فيه شروط ، وتحلى بصفات تليق بهذا المنصب ومنها :

أن يكون على علم بما يدعو إليه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [2] ، فالرسول ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة ، وأتباعه يدعون إلى الله على بصيرة . والبصيرة هي العلم ، فلا بد للداعية من العلم بما يشرع وما لا يشرع ، بأن يميز بين السنة والبدعة والحسنة والسيئة والحلال والحرام ، وأن يعرف الشرك والتوحيد وما هو الكفر والفسوق والعصيان حتى يعامل المدعوين بحسب ما عندهم من الخلل ، فهو يحتاج

(١) الترمذي البر والصلة (١٩٢٦) ، النسائي البيعة (٤١٩٩) .
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

إلى العلم الذي يستطيع به إقناع المعارض وإفحام المناظر ودحض الشبهة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [1] وقال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : ﴿ إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب ﴾ [2] (تقدم تخريجه) . نبهه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم ويعد الأجوبة الصائبة لامتحانهم له ؛ لأنهم أهل علم سابق بخلاف المشركين وعبدة الأوثان الذين لا علم عندهم .

ومخاطبة العالم ليست كمخاطبة غيره ! فالجاهل لا يصلح أن يكون داعية ؛ لأنه يهدم ولا يبني ، ويفسد ولا يصلح ، ويقف عند أدنى شبهة ، وينقطع عند أدنى خصومة فلا يحصل المقصود ، أو يتكلم بجهل أو يحكم بغير علم . والله تعالى قد حرم القول عليه بلا علم وجعله عديلًا للشرك .

وقد انتمى إلى الدعوة اليوم أناس لا علم عندهم ، فنخشى أن يحدثوا آثارًا سلبية ، فالواجب أن يقفوا عند حدهم ، ولا يدخلوا فيما ليس من اختصاصهم ، وأن يستبدلوا بأهل العلم والبصيرة .

على الداعية أن يكون عاملًا بما يدعو الناس إليه من الخير ؛ لأن الناس ينظرون إلى عمله قبل أن يستمعوا إلى قوله ، وقد ذكر الله سبحانه عن نبيه شعيب عليه السلام أنه قال لقومه : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾ [3]
قال شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : يفهم من هذه الآية الكريمة أن الإنسان يجب عليه أن يكون منتهيًا عما ينهى عنه غيره ، مؤتمرًا بما يأمر به غيره ، وقد بين

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٢) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٣) سورة هود آية : ٨٨ .

سبحانه ذلك في مواضع أخر ، كقوله : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (1) ، وقوله : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ (2) .

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ، ما شأنك أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ ! قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأناكم عن المنكر وآتيه » (3) (رواه البخاري (91/4)) .

وقد قال الشاعر :

لا تنـه عـن خلـق وتـأتي مثلـه عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم

على الداعية أن يكون مخلصًا لله في دعوته ، لا يريد بها رياء ولا سمعة ، ولا مدحًا من الناس ولا إظهارًا لنفسه ، وإنما يريد إظهار دين الله وإعلاء كلمته ، ونفع المدعوين وهدايتهم إلى الخير ، وهذا يؤخذ من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (4) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : فيها التنبيه على الإخلاص ؛ لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه ، يعني : أنه يريد الظهور والمدح من الناس ، وهذا ينافي الإخلاص .

على الداعية أن يتحلى بالصبر والحلم ؛ لأنه سيتعرض في سبيل الدعوة لمشاق وسيواجه صعوبات ، وما لم يتحل بالصبر والحلم فإنه سيقف في أول الطريق ؛ ولهذا لما أمر الله نبيه ﷺ بالدعوة أمره بالصبر ، فقال : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ

(1) سورة البقرة آية : 44 .
(2) سورة الصف آية : 3 .
(3) البخاري بدء الخلق (3094) ، مسلم الزهد والرقائق (2989) ، أحمد (205/5) .
(4) سورة يوسف آية : 108 .

عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [1] وقال لقمان لابنه : ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] .

على الداعية أن يوقن بأن العاقبة الحميدة للحق ولو تأخرت ، ولا يقنط ولا ييأس من عدم حصول النتائج الحميدة ، ولو على الأقل إقامة الحجة وبراءة الذمة ، كما ذكر الله سبحانه عن الذين أنكروا على أصحاب السبت فعلتهم الشنيعة ، وقال لهم من قال : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [3] . قال الإمام الشوكاني رحمه الله ، أي : موعظتنا معذرة إلى الله حتى لا يؤاخذنا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين أوجبهما الله علينا ، ولرجاء أن يتعظوا فيتقوا ويقلعوا عما هم فيه من المعصية .

ثمرة الدعوة إلى الله ونتائجها

لا شك أن كل عمل من أعمال الخير لا بد أن تكون له آثار طيبة ونتائج حميدة ، والدعوة إلى الله من أجل أعمال الخير ، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم ، فلها آثار حميدة ؛ منها : امتثال أمر الله تعالى بقوله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [4] . ﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ ﴾ [6] .

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٧ .
(٢) سورة لقمان آية : ١٧ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٤ .
(٤) سورة النحل آية : ١٢٥ .
(٥) سورة الحج آية : ٦٧ .
(٦) سورة الشورى آية : ١٥ .

والأمر للرسول ﷺ أمر لأمته ما لم يدل دليل على اختصاصه به ، فكما أنه ﷺ مأمور بالدعوة ، فأمته مأمورة بذلك ، بل قد أمرها الله بذلك في قوله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [1] .

ومنها : الاقتداء برسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [2] فأتباع الرسول يدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرسول ﷺ إلى الله على بصيرة ، ومن لم يدع كان اتباعه ناقصًا .

ومنها تبليغ دين الله إلى الناس وقد أمرنا النبي ﷺ بذلك فقال : ﴿ بلغوا عني ولو آية ﴾ [3] (رواه البخاري ((١٤٥/٤)) ، ومن لم يبلغ ما علمه من دين الله كان كاتمًا ، وقد توعد الله الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى باللعنة .

ومنها : هداية من أراد الله هدايته بسبب الدعوة وحصول الأجر العظيم لمن دعاه ، كما قال ﷺ : ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ﴾ [4] (رواه مسلم ، الحديث برقم ((٢٦٧٤)) . ومن لم يقبل الدعوة قامت عليه الحجة واستحق القتال ، وأظن أن في هذا القدر كفاية إن شاء الله .

وفي الختام أسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، وينصر أولياءه ويخذل أعداءه ويهدي ضال المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآله وصحبه .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (١٥٩/٢) ، الدارمي المقدمة (٥٤٢) .

(٤) مسلم العلم (٢٦٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٧٤) ، أبو داود السنة (٤٦٠٩) ، أحمد (٣٩٧/٢) ، الدارمي المقدمة (٥١٣) .

المحاضرة السابعة

ثمرات الإيمان والفروق بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين كما جاء في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يمن على من يشاء بدايته للإيمان ، ويخذل أهل الكفر والطغيان ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ، أما بعد :

فهذه كلمات عنت بخاطري حول ما بينه الله تعالى في كتابه من مواقف المؤمنين والمنافقين فأردت تسجيل ما حضرني منها ، فأقول وبالله التوفيق :

لا شك أن الإيمان نور يقذفه الله في قلب العبد : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [1] . ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [2] .

والإيمان منة من الله على العبد ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [3] .

والإيمان اعتقاد وعمل ، كما قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : (ليس الإيمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال) ، ولهذا عرفه أهل السنة والجماعة بأنه : قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهو بهذا الاعتبار ضمانة الثبات في مواقف الامتحان ، ومركب النجاة من طوفان الفتن وأمواج المحن ، وقد علق الله على الإيمان خيرات كثيرة عاجلة وآجلة ، فرتب عليه توفر الأمن والهداية في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .
(٣) سورة الحجرات آية : ١٧ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٢ .

كما رتب الله عليه حصول الحياة الطيبة وتوفر الأجر الحسن : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] .

وقد تكفل الله بالدفاع عن أهل الإيمان خاصة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ ﴾ [2] .

والإيمان الذي هذه ميزاته ذو أركان ستة وذو شعب تزيد على سبعين شعبة ، قال ﷺ : ﴿ الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [3] (رواه البخاري (١٨/١) ، ومسلم ، الحديث برقم (٨) واللفظ له) .

وقال ﷺ : ﴿ الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ﴾ [4] (رواه مسلم ، والحديث برقم (٣٥)) .

إن الإيمان بأركانه الستة وشعبه البضع والسبعين وحدة متكاملة يشمل كل ما يجب الإيمان به ، ولا يكفي الإيمان ببعض هذه الشعب والأركان دون البعض : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ

---

(١) سورة النحل آية : ٩٧ .

(٢) سورة الحج آية : ٣٨ .

(٣) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٤) البخاري الإيمان (٩) ، مسلم الإيمان (٣٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٥٧) ، أحمد (٤١٤/٢) .

عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [1] .

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه لا يترك عباده بدون اختبار يميز الصادق في إيمانه من الكاذب المنافق : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [2] .

وهنا يظهر الفرق بين مواقف أهل الإيمان وأهل النفاق والكفران ، وسنعرض هنا جملة من تلك المواقف كما بينها القرآن الكريم .

١- فمن ذلك موقف الفريقين عندما يدعون إلى الله ورسوله ؛ ليحكم بينهم فيما تنازعوا فيه ، قال الله تعالى عن موقف المنافقين : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [3] .

ثم بين الله سبحانه موقف المؤمنين عندما يدعون إلى حكم الله ورسوله بينهم ، فقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [4] .

هذا موقف الفريقين عندما يدعيان إلى التحاكم إلى شريعة الله ، وهو موقف لا يزال يتكرر كلما حدثت قضية أو عرضت نازلة ، المنافقون يريدون حكم الله ورسوله فيها إذا كان لهم .

---

(١) سورة النساء الآيات : ١٥٠ - ١٥٢ .
(٢) سورة العنكبوت الآيتان : ٢ - ٣ .
(٣) سورة النور الآيات : ٤٧ - ٥٠ .
(٤) سورة النور آية : ٥١ .

أما إذا كان عليهم فإنهم يهربون على حكم الطاغوت ليخلصهم من حكم الله . والمؤمنون يريدون حكم الله على كل حال سواء كان لهم أو عليهم .

ومن ذلك موقف الفريقين عند نزول القرآن وعند تلاوته ، فالمؤمنون يزيدهم نزول القرآن وتلاوته إيمانًا وهم يستبشرون ، والمنافقون يزيدهم ذلك رجسًا إلى رجسهم ، ويتحينون الفرص للانصراف عن سماعه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [1] . إلى قوله : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [2] .

ومن ذلك موقف الفريقين عند الجهاد في سبيل الله ، فالمؤمنون يرجون من ربهم ﷻ أن ينزل على رسوله سورة يأمرهم فيها بقتال الكفار ؛ حرصًا منهم على الجهاد في سبيل الله ، ونيل ما أعده الله للمجاهدين من جزيل الثواب ، فلما نزل الأمر بالجهاد بادروا مغتبطين فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم .

وأما المنافقون فإنهم عندما نزل الأمر بالقتال أصابهم الذعر والخوف وصاروا ينتحلون الأعذار تلو الأعذار للتخلف عنه ، قال الله تعالى عن موقف الفريقين : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] .

---

(١) سورة التوبة الآيتان : ١٢٤ - ١٢٥ .
(٢) سورة التوبة آية : ١٢٧ .
(٣) سورة محمد الآيتان : ٢٠- ٢١ .

وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [(١)] .

ومن ذلك موقف الفريقين عند مضايقة الكفار للمسلمين ، فالمؤمنون يزيدون بذلك ثباتًا على دينهم ، ويقوى يقينهم بوعد الله ورسوله لهم بالنصر . وأما المنافقون فإنه يبلغ منهم الخوف كل مبلغ ، ويسوء ظنهم بالله وبرسوله ، قال الله تعالى عن موقف الفريقين عندما أحاط أحزاب الكفار بالمسلمين من داخل المدينة وخارجها ، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر من هول الموقف ، فقال عن موقف المؤمنين عند ذلك : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٢)] .

وقال عن موقف المنافقين : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [(٣)] .

إنه الاختبار القاسي الذي تجلى عن نجاح المؤمنين وإخفاق المنافقين ، وتلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلًا .

هذا ونسأل الله ﷻ أن يمن علينا بالإيمان ، وأن يعيذنا من النفاق ، والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة التوبة الآيتان : ٤٤ - ٤٥ .
(٢) سورة الأحزاب الآيتان : ٢٢ - ٢٣ .
(٣) سورة الأحزاب الآيتان : ١٢ - ١٣ .

المحاضرة الثامنة
وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله
وتحريم التحاكم إلى غيره

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن اهتدى بداه إلى يوم الدين .

وبعد : فقد خلق الله الإنسان واستخلفه في الأرض وركب فيه غرائز ، وجعله محتاجًا إلى ما يضمن بقاءه في هذه الأرض من مطعم ومشرب ومسكن ، وبقاء نسل وغير ذلك مما به يتحقق بقاء النوع الإنساني ، وهو بحاجة إلى من يعينه لتحقيق هذه الأمور ، إذ هو وحده لا يستطيع تحقيقها فمن ثم كان الاجتماع البشري ضروريا ، كما قيل : (الإنسان مدني بالطبع) فتحقيق هذه الحاجيات يحتاج إلى تعاون بين بني البشر حتى يستطيعوا عمارة الأرض ، ولكي يقوم من هدى الله منهم بتحقيق الغاية التي خلقوا من أجلها وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وإذا تم هذا الاجتماع للبشر مع اختلاف نزعاتم وتباين متطلباتم فقد يحصل عدوان من بعضهم على بعض ، فيحتاجون إلى وازع يدفع العدوان وينصف المظلوم من الظالم ، وهذا الوازع هو سلطان من جنسهم يحتاج في تحقيق العدالة بينهم إلى نظام شامل لمصالحهم متضمن لحل مشكلاتم .

ولن يستطيع البشر مهما بلغوا من الحضارة إعداد هذا النظام متكاملًا من جميع النواحي ؛ لعجز مداركهم ، وقصور أفهامهم عن الإحاطة بما يصلحهم ويحقق العدالة بينهم ، هذا من ناحية سياسة البشر ، وكذلك من ناحية العبادة ، فهم يجهلون حقيقتها وما يصححها ويكملها أو يبطلها وينقصها ؛ فلذلك كان البشر بحاجة إلى شريعة شاملة لمصالحهم الدينية والدنيوية .

فاقتضت حكمة الله ورحمته بم إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ [2] .

ويجمل بنا أن ننقل هنا جملة من كلام العلامة ابن القيم في هذا الموضوع ، قال رحمه الله في صفحة (٣٢٨) من كتاب [3] (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها ، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة ، وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب ، وهم أصح أبدانًا وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ، ولعل أعمارهم متقاربة ، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم ، وجعل لكل قوم عادة وعرفًا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء ، متى+ إن كثيرًا من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس وعرفهم وتجاربم ، وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية فمبناها على الوحي المحض - والحاجة [4] إلى التنفس فضلًا عن الشراب والطعام ؛ لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن ، وتعطل الروح عنه ، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان .

وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت . فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام لله والدعوة إليه والصبر عليه ، وجهاد من خرج عنه

(١) سورة البقرة آية : ٢١٣ .

(٢) سورة الحديد آية : ٢٥ .

(٣) (مفتاح دار السعادة) .

(٤) (أي حاجتهم إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى النفس) .

حتى يرجع إليه ، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر) . انتهى .

وجوب تحكيم الشريعة في القليل والكثير وفي جميع الأمكنة والأزمنة

كانت الشرائع السماوية السابقة كل شريعة منها كافية لمن أنزلت عليهم في مكان أو زمن محددين بمجيء شريعة سماوية أخرى تنسخها أو تنسخ منها ما اقتضت حكمة الله نسخه ، لتغير الأحوال وتجدد المقتضيات ، إلى أن جاءت الشريعة الإسلامية التي بعث بها محمد ﷺ فكانت خاتمة للشرائع ، كما أن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء ، لا نبي بعده ، فكانت هذه الشريعة هي الباقية الصالحة لكل زمان ومكان ، وكل جيل وكل جنس ، وقد شهد الله سبحانه بكمالها وشمولها حيث يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [1] ويقول سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ ﴾ [2] أي : صدقًا في أخبارها ، عدلًا في أحكامها . فما من مشكلة حصلت أو تحصل إلا وفي الشريعة الإسلامية حلها ، فيجب تحكيم هذه الشريعة في القليل والكثير ، وفي كل شأن من شئوننا ، وفي جميع المخاصمات والمشاجرات ، قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [4] .

وكلمة " شيء " في الآيتين نكرة في سياق الشرط ، فتعم كل نزاع وكل اختلاف في كل زمان وفي كل مكان ، فيجب رده إلى شريعة الله ؛ لأخذ الحكم الفاصل منها في

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٥ .
(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٤) سورة الشورى آية : ١٠ .

ذلك ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] .

فيجب تحكيم الشريعة في جميع الخلافات ، وهي كفيلة بإنائها وحلها بأعدل نظام وأصلح عاقبة . ولا يكفي تحكيمها في بعض الأمور دون بعض ، كتحكيمها في الأحوال الشخصية دون غيرها ، ولا يكون من فعل ذلك مؤمنًا ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [2] .

فنفي الإيمان عمن لم يحكم الشريعة في جميع الشئون ؛ لأن كلمة (ما) من صيغ العموم ، وقال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [4] .

فالشريعة كل لا يتجزأ ، ومن ترك بعضها فكأنما تركها كلها ، وقد وصمها بعدم الشمول وعدم الصلاحية ، وقد جعل نفسه شريكًا لله في التشريع والتحليل والتحريم ؛ لأن التشريع حق لله وحده ، قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [5] .

---

(١) سورة النساء آية : ٦٥ .
(٢) سورة النساء آية : ٦٥ .
(٣) سورة البقرة آية : ٨٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٨ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

ومن أطاع هؤلاء في نظمهم وتشريعاتم المخالفة لشريعة الله فقد جعلهم شركاء لله ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [2] .

وقد جاء تفسير ذلك في الحديث أنم كانوا يطيعونم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله . وقد جعل الله التحاكم إلى غير كتابه تحاكمًا إلى الطاغوت حيث قال : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ [3] .

وكذا كل حكم يخالف حكم الشريعة فهو حكم الجاهلية ، قال تعالى : ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [4] .

وقد حكم سبحانه على من حكم غير شريعته بأنه كافر وظالم وفاسق ، قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [5] ، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [6] ، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [7] .

كما نفى عنه الإيمان في آيات أخر حيث يقول جل شأنه : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [8]

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢١ .
(٢) سورة التوبة آية : ٣١ .
(٣) سورة النساء آية : ٦٠ .
(٤) سورة المائدة آية : ٥٠ .
(٥) سورة المائدة آية : ٤٤ .
(٦) سورة المائدة الآيتان : ٤٤ - ٤٥ .
(٧) سورة المائدة آية : ٤٧ .
(٨) سورة النساء آية : ٦٠ .

فبين سبحانه أن بين دعواهم الإيمان بما أنزل الله وبين فعلهم - حيث حكموا غيره - تناقضًا يكذب دعواهم ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [(١)] فنفى عنهم الإيمان نفيًا مؤكدًا بالقسم ما لم يحكموا شريعة الإسلام في كل خلاف وفي كل نازلة .

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [(٢)] .

فبين سبحانه أنهم يبطلون انتسابهم إلى الإسلام ودعواهم الإيمان بتوليهم وإعراضهم عن تحكيم شريعته عندما يدعون إلى ذلك ، وأنه لا يكفي تحكيمهم لها في جانب ما لهم دون جانب ما عليهم ، بل لا بد من تحكيمها فيما لهم وما عليهم ، ثم بين سبحانه صفة المؤمنين الصادقين في إيمانهم عندما يدعون إلى تحكيم الشريعة الإسلامية ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [(٣)] ، ثم بين ثمرة هذا الانقياد لحكم الشريعة وعاقبته فقال : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [(٤)] ، فهم الحاصلون على الفلاح في الدنيا والآخرة دون أولئك الذين اكتفوا من الإسلام بمجرد الانتساب إليه دون تحكيم لشريعته .

---

(١) سورة النساء آية : ٦٥ .

(٢) سورة النور الآيات : ٤٧ - ٥٠ .

(٣) سورة النور آية : ٥١ .

(٤) سورة النور آية : ٥١ .

عاقبة وعقوبة التحاكم إلى غير ما أنزل الله

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] .

فبين سبحانه أنه يلزم كل مؤمن لزومًا لا محيد عنه ولا خيرة فيه امتثال ما شرع الله أمرًا ونهيًا ، وأن من خالف ذلك فقد ضل ضلالًا مبينًا ، ومن ضل عن صراط الله فهو خاسر في الدنيا والآخرة ، وقال سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [2] .

أي : يخالفون أمر النبي ﷺ بترك العمل بمقتضاها ، وقيل : الضمير لله سبحانه ؛ لأنه الآمر حقيقة ، ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [3] ، أي : في الدنيا .

قال الشوكاني : والفتنة هنا غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن . وقيل هي القتل ، وقيل : الزلزال ، وقيل : تسلط سلطان جائر عليهم ، وقيل الطبع على قلوبهم ، ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [4] ، أي : في الآخرة ، قال وكلمة (أو) : لمنع الخلو .

وقال ابن كثير : وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [5] ، أي : في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [6] في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك .

وقال العلامة ابن القيم : لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما ، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما ، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال أهل

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٦ .
(٢) سورة النور آية : ٦٣ .
(٣) سورة النور آية : ٦٣ .
(٤) سورة النور آية : ٦٣ .
(٥) سورة النور آية : ٦٣ .
(٦) سورة النور آية : ٦٣ .

الآراء ؛ عرض لهم في ذلك فساد في فطرهم ، وظلمة في قلوبهم ، وكدر في أفهامهم ، ومحق في عقولهم ، فعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربا فيها الصغير ، وهرم عليها الكبير فلم يروها منكرًا . انتهى .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1] .

قال الشوكاني ، أي : إن أعرضوا عن قبول حكمك بما أنزل الله عليك فذلك لما أراد الله من تعذيبهم ببعض ذنوبهم وهو ذنب التولي عنك ، والإعراض عما جئت به .

وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ [2] ، أي : عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ ﴾ [3] ، أي : فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله ، وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم . انتهى .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [4] .

هذا ما توعد الله به من أعرض عن شرعه ولم يحكم كتابه ، توعده بالعقوبة العاجلة والآجلة ؛ فالعقوبة العاجلة أن يعيش في الدنيا عيشًا ضيقًا في تعب ونصب وهم وغم وقلق ، والعقوبة الآجلة في الآخرة : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [5] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٩ .
(٢) سورة المائدة آية : ٤٩ .
(٣) سورة المائدة آية : ٤٩ .
(٤) سورة طه الآيات : ١٢٤ - ١٢٦ .
(٥) سورة طه آية : ١٢٧ .

وإن ما تعانيه اليوم الدول المنتسبة إلى الإسلام من تفكك وذلة وتسلط أعداء لما أعرضوا عن تحكيم الشريعة واستبدلوها بالقوانين الوضعية - لهو أكبر شاهد ومصداق لهذه النصوص : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1] .

وما لم يرجعوا إلى شريعة ربهم فلن يرفع الله ما بهم من بلاء وشر .

وصدق الله العظيم .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٧ .

المحاضرة التاسعة

تحقيق الإسلام لأمن المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، جعل تحقيق الأمن مقرونًا بالإيمان الخالص من الشرك فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١) والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الأمن مطلب نبيل تدف إليه المجتمعات البشرية وتتسابق لتحقيقه السلطات الدولية بكل إمكاناتا الفكرية والمادية ، وموضوع حديثنا الآن هو تحقيق الإسلام لأمن المجتمع ، وقبل الدخول فيه نريد أن نعرف ما هو الإسلام وما هو الأمن ، حتى يتبين لنا وجه الارتباط بينهما :

معنى الإسلام

فالإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك والبراءة من الشرك وأهله ، وإذا تحقق الإسلام في المجتمع بذا المعنى تحقق له الأمن .

والأمن في اللغة : ضد الخوف ، وهو سكون القلب .

والأمانة : ضد الخيانة ، وآمن به إيمانًا : صدقه .

والإيمان : هو الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة ، وأمن البلد اطمأن به أهله فهو آمن وأمين .

ولما كنا أيضًا بصدد بيان تحقيق الإسلام لأمن المجتمع فلا بد أن نعرف ما كان عليه الناس عمومًا والعرب خصوصًا قبل بعثة نبي الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ،

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٢ .

وما كان عليه الأمر بعد البعثة وظهور الإسلام ؛ لأن الأشياء تعرف بأضدادها ، وبضدها تتميز الأشياء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ إلى الخلق على فترة من الرسل ، وقد مقت أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا أو أكثرهم قبيل مبعثه ، والناس إذ ذاك أحد رجلين :

إما كتابي معتصم بكتاب إما مبدل وإما منسوخ ، أو بدين دارس بعضه مجهول وبعضه متروك .

وإما أمي من عربي وعجمي مقبل على عبادة ما استحسنه وظن أنه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك .

والناس في جاهلية جهلاء من مقالات يظنونا علمًا وهي جهل ، وأعمال يحسبونا صلاحًا وهي فساد ، وغاية البارع منهم علمًا وعملًا أن يحصل قليلًا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين ، قد اشتبه عليه حق بباطله ، أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلًا ، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة ، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق حتى يصل - إن وصل- بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي ، باطله أضعاف حقه - إن حصل - وأنى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله والاضطراب وتعذر الأدلة عليه ، فهدى الله الناس ببركة نبيه محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى ، هداية جلت عن وصف الواصفين ، وفاقت معرفة العارفين حتى حصل لأمته المؤمنين عمومًا ولأولي العلم منهم خصوصا من العلم النافع ، والعمل الصالح ، والخلاق العظيمة ، والسنن المستقيمة ، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علمًا وعملًا الخالصة من كل شوب إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتتا تفاوتًا يمنع قدر النسبة بينهما ، فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى .

انتهى كلام الشيخ رحمه الله في وصف حال الجاهلية وهو وصف عام لكل الشعوب ، وإذا أردنا تفصيله تطلب منا وقتًا أوسع ، ولكن نخص حالة العرب في هذه الحقبة التاريخية لجزيرة العرب ؛ لأنا الموطن الذي ظهرت فيه الرسالة فنقول :

الحالة الدينية في الجاهلية

حالتهم الدينية :

كانت حالتهم الدينية من أسوأ الحالات وأشدها اضطرابًا ، فكانوا يعبدون الأوثان ، وكان أقدم أوثانم : اللات في الطائف ، والعزى بوادي نخلة ، ومناة بين مكة والمدينة ، وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، بل كان لأهل كل دار بمكة صنم في دارهم يعبدونه ، وإذا أراد أحدهم سفرًا أو قدم منه تمسح به ، بل كان الرجل إذا سافر ف ل م ًا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًا وجعل الثلاثة الباقية أثافي لقدره ، وكانوا إذا لم يجدوا أحجارًا يجمعون الرمل ثم يحلبون عليه الشاة ثم يطوفون به ؛ تبركًا به وتعظيمًا له ، وبلغ بم الأمر أنم يقتلون أولادهم تقربًا إلى الأصنام ، ويسيبون كثيرًا من أموالهم لها ، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (١) .

الحالة السياسية والاقتصادية والأسرية في الجاهلية

أما حالتهم السياسية :

فكانت أسوأ حالة أيضًا ؛ حيث تسودها الفوضى والاضطراب ، وتسلط القوي على الضعيف ، وغارات القبائل بعضها على بعض بالنهب والسلب ، وقيام الحروب الطاحنة لأتفه الأسباب ، وفريق منهم دخل تحت السلطة الفارسية أو الرومية ، وأكثرهم تحكمهم السلطات القبلية المختلفة ، فكانوا مشتتين لا رابطة تجمعهم .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٠ .

وأما حالتهم الاقتصادية :

فإنما تقوم على السلب والنهب والمعاملات الربوية وأكل الخبائث ، فكانوا يستحلون ما حرم الله من الميتة والدم ، ويحرمون ما أحل الله حيث حرموا أنواعًا من بيمة الأنعام ، وهي : البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [1].

وأما حالتهم الأسرية :

فكانوا يئدون بناتم خشية العار ، ويقتلون أولادهم تقربًا إلى الأصنام ، أو يقتلونم خشية الفقر ، وكان أحدهم يتزوج ما شاء من النساء دون تقيد بعدد ولا التزام بحقوق الزوجية ، وكانوا يحرمون النساء والصغار من الميراث ، بل كانوا يرثون زوجة الميت من بعده ، كما يرثون ماله ، هذا مجمل حال جاهلية العرب .

تحقيق الإسلام للأمن ووسائل توفره

ولما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ انجابت هذه الظلمات ، وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، كما قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [3] ، وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [5] .

(١) سورة المائدة آية : ١٠٣ .
(٢) سورة إبراهيم آية : ١ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ١٠٧ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

وبذلك تحول مجتمع العرب الذين دخلوا في هذا الدين إلى مجتمع يسوده الأمن ، ويحكمه الوحي الإلهي ، وتوجهه العقيدة السليمة ، وتظلله راية التوحيد . وقد بين الله سبحانه مقومات هذا الأمن وأسبابه التي يتحقق بتوافرها ويزول بزوالها ، وهي كما يلي :

١- إصلاح العقيدة بإخلاص العبادة لله ، وترك عبادة ما سواه والبراءة منها ومن أهلها ، وملازمة العمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [(١)] .

فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية : الاستخلاف في الأرض والتمكين من الدين ، وإبدال الخوف بالأمن ، ربطها بتحقق شيئين هما : عبادة الله سبحانه ، وترك الإشراك به . وقد بعث الله بذلك جميع الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [(٢)] وهما حق الله على عباده ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ﴾ [(٣)] (تقدم تخريجه) .

٢- ومن مقومات الأمن وأسبابه بعد التوحيد : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [(٤)] فربط سبحانه حصول النصر على الأعداء

---

(١) سورة النور آية : ٥٥ .

(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٧٠١) ، مسلم الإيمان (٣٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦) ، أحمد (٢٣٨/٥) .

(٤) سورة الحج الآيتان : ٤٠ - ٤١ .

الذي يتوفر به الأمن للمسلمين ؛ لأن من انتصر على عدوه فقد أمن شره ، ربط ذلك بإقام الصلوات الخمس التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وإيتاء الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان الإسلام ، وخص هذين الركنين لما لهما من الأهمية ؛ لأن الأول : إحسان فيما بين العبد وبين ربه بإخلاص العبادة له ، وهذا هو الأساس الذي ينبني عليه الدين كله .

والثاني : إحسان فيما بين العبد وبين إخوانه ، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذان يتحقق بهما نصرة دين الله ، وقدم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يكون عاملًا بما يأمر به ، ومتجنبًا لما ينهى عنه ، وصالحًا في نفسه قبل أن يكون مصلحًا لغيره .

هذا وكما أن هذه الأمور هي أهم مقومات الأمن وأسباب النصر في الدنيا ، فهي كذلك أسباب الأمن في الدار الآخرة ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [1] أي : لم يخلطوا عبادتهم بشرك ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [5] فنالوا الأمن بالجنة بسبب إيمانهم في الدنيا وإخلاصهم العبادة لله وابتعادهم عن الشرك ، قال الإمام ابن كثير : هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة ، المهتدون في الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٨٢ .
(٣) سورة الدخان الآيتان : ٥١ - ٥٢ .
(٤) سورة الحجر آية : ٤٦ .
(٥) سورة سبأ آية : ٣٧ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة : (الشرك ، وظلم العباد ، وظلمه لنفسه بما دون الشرك) كان له الأمن التام والاهتداء التام ، ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والاهتداء المطلق . بمعنى : أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى ، يعني : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [1] وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه . انتهى .

٣- ومن أسباب الأمن اجتماع الكلمة وطاعة ولاة الأمور بالمعروف ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾ [3] ، فالاجتماع قوة والفرقة تضعف كيان المجتمع .

٤- ومن مقومات الأمن شكر النعمة ، ومن أسباب زواله كفر النعمة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟

(١) سورة فاطر الآيتان : ٣٢ - ٣٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٦ .
(٤) سورة إبراهيم آية : ٧ .
(٥) سورة الأنفال آية : ٥٣ .

يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(١)] ، وقال عن سبأ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [(٢)] .

وهكذا نجد في هذه الآيات أن استقرار الأمن مربوط بشكر النعمة ، وأن زواله مقرون بكفرها ، كما نجد أن توافر الأمن لا بد أن يسبق توافر الغذاء ، مما يدل على أن الضرورة إليه أشد من الضرورة إلى الغذاء ؛ لأنه لا يمكن التلذذ بالغذاء لو توافر مع عدم الأمن والاستقرار ؛ ولهذا كان في دعاء الخليل عليه السلام تقديم طلب الأمن على طلب الرزق ، كما ذكر الله عنه في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [(٣)] وقد امتن الله على قريش بتوفير هاتين النعمتين ، وأمرهم أن يفردوه بالعبادة شكرًا له على ذلك ، فقال : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [(٤)] .

وسائل حفظ الأمن في الإسلام

ولما كان توفر الأمن ضرورة من ضروريات التمع التي تفوق ضرورة الغذاء ، اهتم الإسلام بتوفير الأسباب الجالبة للأمن ، وذلك ببناء الإنسان عقيدة وأخلاقًا وسلوكًا ؛ لأن

---

(١) سورة النحل آية : ١١٢ .
(٢) سورة سبأ الآيات : ١٥ - ١٩ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٦ .
(٤) سورة قريش الآيات : ١ - ٤ .

الأمن لا يتوافر بمجرد البطش والإرهاب وقوة الحديد والنار ، وإنما يتوافر بتهذيب النفوس وتطهير الأخلاق ، وتصحيح المفاهيم حتى تترك النفوس الشر رغبة عنه وكراهية له .

كما يقول الشاعر :

ولا تنتـــه الأنفـــس عـــن غيهـــا ما لم يكن لهـا مـن نفـسها زاجـر

فإذا فقد المتمع هذه المقومات التي جاء الإسلام با فإنه يفقد أمنه واستقراره ، قال الشاعر :

وإنمـا الأمـم الخـلاق مـا بقيـت فإن هـم ذهبـت أخلاقهـم ذهبـوا

ولهذا نجد الأمم التي تفقد هذه المقومات من أفلس الناس من الناحية الأمنية ، وإن كانت تملك الأسلحة الفتاكة والأجهزة الدقيقة ؛ لأن الإنسان لا يحكم بالآلة فقط ، وإنما يحكم بالشرع العادل والسلطان القوي ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(١)] .

ويفهم الأمن من مفهوم الإسلام ؛ لأن الإسلام : هو الاستسلام لله بالخضوع له وامتثال أوامره واجتناب منهياته ، وقد نى الله عن التعدي على الناس في أعراضهم وأموالهم وأبدانم ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ [(٢)] (رواه البخاري (٨/١) ، ومسلم ، الحديث برقم (٤١)) ومن دخل في الإسلام دخل في نطاق الأمن ؛ لقوله ﷺ ﴿ من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ﴾ [(٣)] (تقدم تخريجه) ، وقال عليه الصلاة

(١) سورة الحديد آية : ٢٥ .

(٢) البخاري الإيمان (١٠) ، مسلم الإيمان (٤٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٤٨١) ، أحمد (١٩٢/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٦) .

(٣) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٣٩٤/٦) .

والسلام : ﴿ كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه ﴾ [(١)] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٥٤٦)) .

فإذا تحقق الإسلام والإيمان توفرت أسباب الأمن ، لكن قد يكون هناك شذاذ لم يتمكن الإسلام والإيمان من قلوبهم ، فتحصل منهم نزوات تخل بالأمن ، وهنا وضع الله سبحانه زواجر وروادع لهؤلاء تكف عدوانهم وتصون الأمن من عبثهم ، فشرع سبحانه الحدود الكفيلة لردعهم وتحذير غيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم ، فشرع حد المرتد لحفظ الدين ، وشرع القصاص لحفظ النفوس ، وشرع حد الزنا وحد القذف لحفظ العرض والنسب ، وشرع حد المسكر لحفظ العقل ، وشرع حد السرقة لحفظ الأموال ، وشرع حد قطاع الطريق لحفظ السبل وتأمين المواصلات ، وشرع قتال البغاة لحفظ السلطة الإسلامية ومنعًا لتفريق الكلمة واختلاف الأمة .

١- فالمرتد يقتل لحفظ الدين والعقيدة من عبث العابثين ؛ لأن المرتد ترك الحق بعد معرفته واعتدى على العقيدة التي هي أقوى أسباب الأمن ، قال النبي ﷺ : ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [(٢)] (رواه البخاري) . (٢١/٤) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾ [(٣)] (رواه البخاري (٣٨/٨) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٦٧٦) .

فالمرتد يقتل لتبديله الدين وتركه له ومفارقة جماعة المسلمين ؛ حتى لا يكون الدين ألعوبة للملاحدة والزنادقة ، فيغتر بهم غيرهم من ضعاف الإيمان ، ولسد الطريق على

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) ، أحمد (٢٧٧/٢) .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) .

(٣) البخاري الديات (٦٤٨٤) ، مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦) ، الترمذي الديات (١٤٠٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠١٦) ، أبو داود الحدود (٤٣٥٢) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤) ، أحمد (٤٤٤/١) ، الدارمي الحدود (٢٢٩٨) .

العابث الذي يدخل في الدين خداعًا ، ثم يخرج منه للتنفير منه ، كما حاول بعض اليهود هذه الخدعة زمن النبي ﷺ فأنزل الله فيهم قوله تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [1] أي : لعل المسلمين إذا رأوا ذلك يرجعون عن دينهم .

٢- والقصاص من القاتل فيه حماية للنفوس البريئة وضمان للأمن بين الناس ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [2] ، فإذا عرف من يريد قتل إنسان أنه سيقتل به امتنع عن القتل ، فكان في هذا حفظ لحياته وحياة غيره ، وإذا أقدم على القتل فاقتص منه كان في هذا ردع للآخرين فلا يقدمون على مثل جريمته ؛ لئلا يكون مصيرهم كمصيره . فقتل نفس واحدة بالقصاص حصل به نجاة أنفس كثيرة ؛ كالعضو الفاسد يقطع لحفظ بقية الجسم ، وبذلك يأمن الناس على حياتم .

٣- وحد الزنا بجلد البكر مائة جلدة وبمحضر عام من المؤمنين ، وتغريبه عن وطنه عامًا كاملًا ، وبرجم الزاني المحصن : وهو الذي سبق أن جامع زوجته بنكاح صحيح ، فيرجم بالحجارة حتى يموت ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [3] وقال النبي ﷺ : ﴿ البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ﴾ [4] (رواه مسلم ، الحديث برقم (١٦٩٠) ؛ وذلك حتى يأمن الناس على أعراضهم من الاعتداء عليها ، وليأمنوا على أنسابهم من الاختلاط ، ولردع المضيعين لأعراضهم التي أمرهم الله بحفظها في قوله تعالى : ﴿ قُل

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٩ .

(٣) سورة النور آية : ٢ .

(٤) مسلم الحدود (١٦٩٠) ، الترمذي الحدود (١٤٣٤) ، أبو داود الحدود (٤٤١٥) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٥٠) ، أحمد (٣٢٧/٥) ، الدارمي الحدود (٢٣٢٧) .

لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [2] ، وبذلك يقضي على جريمة الزنا التي تدمر المجتمعات البشرية ، والتي قال الله تعالى محذرًا منها : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] .

وبتطبيق هذا الحد يأمن الناس من هذا الخطر المدمر الذي يلوث المجتمع ويهدد الإنسانية ، وينشر الأمراض الخطيرة .

٤- ولشناعة جريمة الزنا وحرمة عرض المسلم ، صان الله أعراض الأبرياء أن تدنس بنسبة هذه الجريمة إليها ، وكف الألسنة البذيئة أن تتطاول على عرض المسلم ، فتقذفه بارتكاب فاحشة الزنا زورًا وبهتانًا ، فأمر بجلد القاذف الذي لا يستطيع إقامة البينة على ما يقول بأن يجلد ثمانين جلدة ، ولا تقبل له شهادة أبدًا ، وأنه يعتبر فاسقًا ساقط العدالة ما لم يتب من هذه الجريمة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ [4] .

وبهذا الحد الرادع وسحب الثقة من القاذف تصان الأعراض البريئة ، وتسكت الأفواه البذيئة ، وتتوارى آثار هذه الجريمة ، ويصبح الناس في مأمن منها ومن ذكرها حتى تتوارى من المجتمع نائيا .

٥- ولما كان العقل أعظم ما يمتاز به الإنسان عن غيره من الحيوانات ؛ لأنه يميز به بين الضار والنافع والحسن والقبيح ، ويدفع صاحبه إلى فعل الفضائل واجتناب الرذائل ؛ ولذا سمي عقلاً ؛ لأنه يعقل صاحبه عن فعل القبائح ، وسمي حجرًا ؛ لأنه يحجره كذلك عما لا

---

(١) سورة النور آية : ٣٠ .

(٢) سورة النور آية : ٣١ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٢ .

(٤) سورة النور الآيتان : ٤ - ٥ .

يليق ، وسمي نُهًى ولبا ، وكلها أسماء تدل على شرف العقل وقيمته ؛ لأن فيه أمانًا للإنسان في خاصة نفسه من أن يناله أذى من غيره ، وأمانًا لغيره أن يناله أذى منه ، فمن تعاطى شيئًا من الأشربة أو المأكولات أو المشمومات المسكرة التي تغطي هذا العقل وتعطله عن أداء مهمته والقيام بوظيفته ، فإنه في هذه الحالة لا يؤمن أن يفعل ما يضر بنفسه أو بغيره ؛ لأنه فقد صمام الأمان فأصبح خطرًا يهدد المجتمع .

لذلك شرع الله ردعه بإقامة الحد عليه بالجلد المؤلم حتى يذوق وبال أمره ، وليتعظ به غيره ، وقد حذر الله عباده عن شرب المسكرات ، وبين خطرها وضررها ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [1] .

وكذا تعاطي المخدرات ؛ لأنها أشد ضررًا من الخمر ؛ لأنها تضر بالعقل والجسم ، وتفقد الرجولة وتغري بفعل الفاحشة والدياثة ، وتغري متعاطيها بالإدمان بحيث لا يصبر عنها ، ويتحول من الإنسانية إلى البهيمية ، فهي أشد فتكًا في المجتمعات من الأمراض الوبائية ، لذا يجب على ولاة الأمور التنكيل بمن يتعاطى المخدرات أو يروجها ؛ لأنه من أعظم المخربين والساعين في الأرض بالفساد ، فيجب أخذهم بالقوة حفاظًا على أمن المجتمعات ، وقد نهى النبي ﷺ عن كل مسكر ومفتر ؛ حفاظًا على العقول ، وصيانة لأمن المجتمع المسلم من أن تعبث به المسكرات والمخدرات .

٦- ولما كان المال قوام الحياة والحفاظ عليه من الضروريات ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ [2] . فقد حرم الله أخذ أموال الناس بغير حق والاستيلاء عليها بغير مبرر ، فالاعتداء على مال الغير كالاعتداء على دمه وعرضه في الحرمة ، كما تدل عليه الآيات والأحاديث .

---

(١) سورة المائدة الآيتان : ٩٠ - ٩١ .

(٢) سورة النساء آية : ٥ .

ومن أشد أنواع الاعتداء على أموال الناس أخذها بالسرقة ، وهي أخذ المال خفية من حرز مثله ، وجزاء من فعل ذلك قطع يده ، هذه اليد الخائنة التي امتدت إلى ما لا يحل لها ، وعبثت بالأمن وروعت المجتمع جزاؤها البتر ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [1] .

والسرقة أشد خطورة من اغتصاب المال مجاهرة ؛ لأن المجاهرة تمكن مدافعتها وعمل الاحتياطات المانعة من شرها ، أما السرقة فإنها مكر خفي ، وغدر سيئ ، يؤخذ بها الإنسان من مأمنه ، وتدل على جرأة المجرم حيث لم تمنعه الحروز والحصون ، فكان جزاؤه بتر يده وتعطيلها عليه ؛ ردعًا له وعظة لغيره ، وبهذا يتوفر الأمن للمجتمع ، ويطمئن الناس على أموالهم في بيوتهم ومستودعاتهم ، ويقضي على الجريمة .

٧- ولما كان ربط البلدان والأقاليم بعضها ببعض عن طريق المواصلات البرية والبحرية والجوية لنقل البضائع وتنقلات المسافرين للتجارة وغيرها من الأغراض التي تتم بها مصالحهم ، لذلك احتاج المجتمع إلى تأمين السبل بردع المجرمين الذين يحاولون قطعها ويروعون المارة ، ولأجل ذلك شرع الله سبحانه حد قطاع الطريق ، وهم الذين يتعرضون للناس بالسلاح فيغصبونهم المال مجاهرة . وهذا الحد هو ما ذكره الله تعالى بقوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٞ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [2] .

وبتطبيق هذه العقوبة على قطاع الطريق تأمن السبل ، وتنتظم المصالح ، ويتوافر الأمن في البر والبحر والحاضرة والبادية ، وتنتظم المواصلات بين البلدان والأقاليم ، ويسهل نقل

(١) سورة المائدة آية : ٣٨ .

(٢) سورة المائدة الآيتان : ٣٣ - ٣٤ .

البضائع والتبادل التجاري مما فيه صلاح العمران البشري وتوافر الإنتاج ؛ ولهذا وصف الله من يحاول تعطيل هذه المصالح بأنه محارب لله ورسوله وساع في الأرض بالفساد .

٨ - ولما كان لا بد للمسلمين من قيادة تجتمع كلمتهم بها وتحل مشكلاتهم ، وتكف الظالم منهم عن ظلمه ، وتدفع العدو الخارجي عنهم ، وترعى شئونهم ، وتنفذ أحكام الله فيهم ، لما كان الأمر كذلك وأكثر شرع الله تنصيب الإمام وطاعته بالمعروف وإعانته على الخير ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [(١)].

وحرم الله ورسوله معصية ولي الأمر إذا لم يأمر بمعصية ؛ لما في ذلك من المفاسد ، وحرم الله ورسوله الخروج على إمام المسلمين وتفريق الكلمة ، وأمر بردع من فعل ذلك حتى يكف ويلتزم بالطاعة ، فإن كان من يحاول شق عصا الطاعة وتفريق الجماعة شخصًا واحدًا وجب قتله ؛ لقوله ﷺ : ﴿ ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ﴾ [(٢)] (رواه مسلم : الحديث برقم (١٨٤٤)) وإن كان من يحاول ذلك جماعة لهم شوكة ومنعة تهدد أمن المسلمين وتريد تفريق كلمتهم فهم بغاة ظلمة ، ويجب أولا : مناصحتهم وإزالة الشبهة التي يتعلقون بها ، فإن لم ينكفوا عن بغيهم وجب قتالهم إلى أن يرجعوا للطاعة ولزوم الجماعة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [(٣)] .

وبهذا يتبين وجوب احترام السلطة الإسلامية ووجوب مناصرتها ومناصحتها ؛ لما يترتب على وجودها من المصالح وانتفاء المفاسد العظيمة التي من أعظمها انعدام الأمن .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) مسلم الإمارة (١٨٤٤) ، النسائي البيعة (٤١٩١) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٨) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٦) ، أحمد (١٩١/٢) .

(٣) سورة الحجرات آية : ٩ .

وأخيرًا : نتبين من هذا العرض الموجز ما حققه الإسلام من أمن التمع حين عجزت كل نظم البشر وأسلحتهم الفتاكة وأجهزتم الدقيقة أن تحقق أقل القليل من هذا الأمن الذي حققه الإسلام ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [(١)] .

ثم إن هذا الأمن الذي حققه الإسلام لا يعتمد على العقوبة وشدة البطش بأصحاب الجرائم ، وإنما يعتمد على غرس الإيمان في القلوب وزرع الخشية الإلهية في النفوس حتى تترك الإجرام رغبة عنه وكراهية له ، بل تقوم بمقاومته والنهي عنه ، ثم يتبع ذلك الوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأجل تعليم الجاهل وتذكير الغافل ، والأخذ على يد السفيه من الوقوع في الجرائم ، ثم يتبع ذلك تطبيق العقوبات الشرعية على من لم تجد فيه الموعظة ، ولم تؤثر فيه النصيحة ، ولم يأتمر بالمعروف وينته عن المنكر ، فالعقوبة آخر مرحلة ، كما يقال :

ووضع الندى في موضع السيف بـالعلا مضر كوضع السيف في موضع النـدى

فالذين يظنون أن الأمن في الإسلام يقوم على مجرد العقوبة بقطع الأيدي والرقاب والجلد ، قد أساءوا الظن ولم يفهموا واقع الإسلام ، هم إما جهلة أو مغرضون يريدون تشويه الإسلام ؛ لأن الإسلام لا يلجأ إلى العقوبة إلا كحل أخير وبشروط دقيقة إذا توافرت تحتم إيقاع العقوبة ، وتكون حينئذ واقعة موقعها اللائق ولا يقوم غيرها مقامها ، وحينئذ لا تجوز الحيلولة دون إقامتها بشفاعة أو رأفة بالمجرم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ ﴾ [(٢)] .

وقال النبي ﷺ : ﴿ من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ﴾ [(٣)] (رواه أبو داود ، الحديث برقم (٣٥٩٧)) كما لا تجوز المعاوضة عن الحد بالغرامة

---

(١) سورة المائدة آية : ٥٠ .

(٢) سورة النور آية : ٢ .

(٣) أبو داود الأقضية (٣٥٩٧) ، أحمد (٢/٧٠) .

المالية ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ولا يحل تعطيله (أي : الحد) لا بشفاعة ولا هدية ولا غيرها ولا تحل الشفاعة فيه ، ومن عطله لذلك وهو قادر على إقامته فعليه لعنة الله .

وقال أيضًا : ولا يجوز أن يؤخذ من السارق والزاني والشارب وقاطع الطريق ونحوه مال يعطل به الحد لا لبيت المال ولا لغيره ، وهذا المال المأخوذ بتعطيل الحد سحت خبيث ، وإذا فعل ولي الأمر ذلك جمع بين فسادين عظيمين : تعطيل الحد وأكل السحت ، وترك الواجب وفعل المحرم . انتهى كلامه .

وذلك أن الغرامة المالية مهما بلغت لا تنكأ المجرم ولا تقطع دابر الجريمة ، كما يحصل ذلك بإقامة الحد الشرعي ، ومثل الغرامة المالية الاعتياض عن إقامة الحد بسجن المجرم ، كل هذا لا يروي غليلًا ولا يشفي عليلًا ، فإقامة الحدود الشرعية فيها من المصالح العظيمة لمن تقام عليه وللمجتمع الذي تقام فيه ما هو مشاهد ومحسوس . وبها صلاح العباد والبلاد وتوفر الأمن واستقراره ، قال ﷺ : ﴿ حد يعمل في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحًا ﴾ [(1)] (رواه النسائي (سنن النسائي) (طبعة دار الفكر ، بيروت) الحديث برقم (٧٦/٨) ، وابن ماجه (سنن ابن ماجه) (طبعة دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ) الحديث برقم (٢٥٣٨)) . وابن حبان في صحيحه ، وفي رواية ابن ماجه وابن حبان : ﴿ خير من أن يمطروا أربعين صباحًا ﴾ [(2)] ، فكما أن المطر فيه صلاح الأرض ومصالح العباد ، فإقامة الحد أكثر نفعًا من المطر ؛ لأن به تطهيرهم من الرذيلة وتوفير أمنهم واستقرارهم .

ولهذا نرى أن المجتمع الذي يحكم بشريعة الله وتقام فيه الحدود ؛ يكون مضرب المثل في الأمن والاستقرار وانخفاض معدل الجرائم ، ونجد أن المجتمع الذي يحكم بغير شريعة الله وتعطل فيه الحدود يصبح مضرب المثل في الفوضى والخوف والقلق ، ولو كان من أرقى

---

(١) النسائي قطع السارق (٤٩٠٤) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٨) ، أحمد (٤٠٢/٢) .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الحدود (٢٥٣٨) .

دول العالم صناعيا وماديا ، وصدق رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم ﴾ [1] (رواه ابن ماجه (٤٠١٩)) .

ذلك هو الإسلام الذي شهد الله له بالكمال وأتم علينا به النعمة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [2] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾ [3] .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) ابن ماجه الفتن (٤٠١٩) .
(٢) سورة المائدة آية : ٣ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

المحاضرة العاشرة
مجمل عقيدة السلف الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، فأكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة ، وأوجب على الخلق طاعته واتباعه ، وأوجب عليهم محبته أكثر مما يحبون أنفسهم ووالديهم وأولادهم والناس أجمعين .

أما بعد : سنتناول - إن شاء الله - موضوعًا يهم كل مسلم ومسلمة ، ألا وهو (العقيدة) فهي الأساس المصحح لجميع الأعمال ، فكل عمل لا يبنى على عقيدة سليمة فإنه مردود على صاحبه مهما أتعب نفسه ، ومهما أفنى حياته فيه .

والعقيدة هي أساس الدين ، وخلاصة دعوة الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم ، كما يسأل عنها العبد يوم القيامة ، وقد ورد في الأثر : (كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟)

هاتان الكلمتان يسأل عنهما كل مخلوق يوم القيامة .

وجواب الأولى : شهادة أن لا إله إلا الله ، وجواب الثانية : شهادة أن محمدًا رسول الله قولًا وعملًا .

العقيدة الصحيحة الثابتة

العقيدة الصحيحة هي التي جاء با رسول الله ﷺ ودعا إليها ، وقد بين عليه الصلاة والسلام أن الأمة ستفترق من بعده على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ،

قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ﴿ ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [1] (رواه الترمذي ، الحديث برقم (٢٦٤١)) .

فمن وافق اعتقاده ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من المعتقدات ، فإنه ينجو من عذاب الله ويدخل الجنة ؛ لذا سميت الفرقة الملتزمة بذه العقيدة والثابتة عليها (بالفرقة الناجية) .

وسبب تسميتها بذا الاسم يرجع إلى كونا الناجية من عذاب الله ، وذلك من بين ثلاث وسبعين فرقة ، أما الفرق الباقية فهي في النار والعياذ بالله .

إذن فالفرقة الناجية : هي (أهل السنة والجماعة) في كل زمان ، بداية من الرسول ﷺ وصحابته ، ونهاية بآخر هذه الأمة المحمدية عند قيام الساعة ، كما ورد في الحديث : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ﴾ [2] .

الحق واحد لا يتجزأ

نعم ، تعددت الفرق ، وتعددت النحل والمذاهب ، وتعددت الأقوال ، ولكن الحق - دائمًا وأبدًا - واحد لا يتعدد ولا يتشعب ، وهذا ديدن رسول الله ﷺ قال جل وعلا : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [3] .

---

(١) سنن الترمذي كتاب الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

وصراط الله : هو الذي بعث الله به رسوله ﷺ وسار عليه صحابته الكرام ، والقرون المفضلة ، ومن اقتفى أثرهم من متأخري هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة ، ذلكم هو صراط الله ، أما ما خالف هذا الصراط واختلف عنه فإنا سبل .

وقد خط النبي ﷺ خطًا مستقيمًا ، وخط على جنبيه خطوطًا متعرجة ، فقال عليه الصلاة والسلام عن الخط المستقيم : ﴿ هذا سبيل الله ﴾ [(١)] وقال عن الخطوط الجانبية المتفرقة : ﴿ وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ﴾ [(٢)] (رواه الدارمي ، الحديث برقم (٢٠٨) ، وابن ماجه ، الحديث برقم (١١)) .

م لة الطائعين لله ورسوله

أهل السنة والجماعة قد يقلون في بعض الأزمان ، وقد يكثرون وقد لا يكون منهم إلا عدد قليل ، لكن فيهم البركة والخير ؛ لأنم على الحق ، ومن كان على الحق فإنه لا يخاف من القلة ، ولا يخشى من كثرة الأعداء .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [(٣)] . فمن كان رفعته هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فمم يخاف إذن ؟

الصابرون ابتغاء مرضاة الله

لكن هذا يحتاج من العبد أن يكون على بصيرة وعلم وبحث عن سبيل هؤلاء ، والصبر عليه ، وتحمل أذى من خالفه .

فالصابر على صراط الله ، وعلى الدين الحق ، وعلى السنة يلقى عنَتًا من الناس ، ويلقى لومًا وعتابًا ، وربما يصل ذلك إلى حد التعذيب والقتل والتشريد ، ولكنه ما دام

(١) ابن ماجه المقدمة (١١) ، أحمد (٣٩٧/٣) .
(٢) أحمد (٤٣٥/١) ، الدارمي المقدمة (٢٠٢) .
(٣) سورة النساء آية : ٦٩ .

على الحق فلا يضيره كيد الكائدين ، وإن أصيب في دنياه فإن العاقبة له ، والعاقبة للمتقين .

عقيدة أهل السنة والجماعة

عقيدة أهل السنة والجماعة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

وهذه الأصول خالف فيها من خالف ، وانحرف عنها من انحرف من الفرق الثنتين والسبعين .

ولكن أهل الحق ثابتون على الحق ، مع ما يجابون من الامتحان والضغط الموجهين إليهم من الناس ، ولكنهم ثابتون على الحق ولا يريدون للحق بديلًا .

معنى الإيمان بالله

فالإيمان بالله يعني : الاعتقاد الجازم بوحدانية الله سبحانه وتعالى في الربوبية والألوهية ، وما له من الأسماء والصفات ، وهذا يعني : أن أنواع التوحيد ثلاثة :

توحيد الربوبية .

توحيد الألوهية .

توحيد الأسماء والصفات .

النوع الأول : توحيد الربوبية :

وهو مركوز في الفطر ، لا يكاد ينازع فيه من الخلق ، حتى إبليس الذي هو رأس الكفر قال : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [(١)] ، وقال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [(٢)] فهو أقر بربوبية الله وحلف بعزة الله .

كذلك سائر الكفرة ، مقرون بذا ؛ كأبي جهل وأبي لهب وخلافهم من أئمة الكفر كانوا مقرين بتوحيد الربوبية على ما هم فيه من الكفر والضلال ، قال جل وعلا : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [(٣)] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [(٤)] ، وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [(٥)] وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [(٦)] .

إذن فهم مقرون بذا كله ، وعند الشدائد يخلصون الدعاء لله ؛ لأنهم يعلمون أنه لا ينجي من الشدائد إلا الله سبحانه وتعالى ، وأن آلهتهم وأصنامهم لا تقدر على إنجائهم من المهالك .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة الحجر آية : ٣٩ .
(٢) سورة ص آية : ٨٢ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٨٧ .
(٤) سورة المؤمنون الآيتان : ٨٦ - ٨٧ .
(٥) سورة المؤمنون الآيتان : ٨٨ - ٨٩ .
(٦) سورة يونس آية : ٣١ .
(٧) سورة الإسراء آية : ٦٧ .

إن معتنق هذا النوع من التوحيد لا يدخل في الإسلام ولا ينجو من النار ، فالكفار على سبيل المثال أقروا بتوحيد الربوبية ، ولكن إقرارهم بذلك لم يدخلهم في الإسلام ، وسماهم الله مشركين وكفارًا ، وحكم لهم بالخلود في النار مع أنهم يقرون بتوحيد الربوبية .

ومن هنا يخطئ بعض المصنفين في العقائد - على طريقة أهل الكلام- حين يفسرون التوحيد بأنه الإقرار بوجود الله ، وأنه الخالق الرازق إلى غير ذلك ، فنقول لهم : هذه ليست العقيدة التي بعث الله بها النبيين ، فإن الكفار والمشركين ، وحتى إبليس يقرون بتوحيد الربوبية .

فالكل يقر ويعترف بهذا النوع من التوحيد ، فإن الرسل ما جاءت تطالب الناس بأن يقروا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ؛ لأن هذا لا يكفي ولا يغني من عذاب الله .

النوع الثاني : توحيد الألوهية :

هو توحيد العبادة ، توحيد الإرادة والقصد ، وهذا النوع هو محط الرحال ومحل الخصومة بين الرسل وأممهم ، فكل رسول جاء يقول لقومه : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [1] ، ولا يقول لهم : يا قوم أقروا أن الله هو ربكم ؛ لأنهم مقرون بهذا ، ولكنهم يطالبونهم بأن يعبدوا ربهم الذي أقروا بربوبيته ، وأنه الخالق وحده ، والرازق وحده ، والذي يدبر الأمر وحده ، ويطالبونهم بأن يفردوه بالعبادة وحده ، كما أفردوه بالخلق ، والتدبير ، فهم يحتجون عليهم بما أقروا به .

يذكر القرآن الكريم توحيد الربوبية من باب الاحتجاج به على الكفار ومطالبتهم بما يلزمهم ، فما دمتم أيها الكفار معترفين أن الله هو الخالق وحده وهو الرازق وحده ، وهو الذي ينجي من المهالك ، وهو الذي ينجي من الشدائد فلماذا تعدلون به غيره ممن لا

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

يخلق ، ولا يرزق ، وليس له من الأمر شيء ، ولا له في الخلق تدبير ؟ ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١) .

إذن توحيد الألوهية هو الذي دعا إليه الرسل ، وطالبوا قومهم به ، ولا يزال الصراع بين أهل التوحيد وأهل الانحراف في هذا النوع حتى الآن ، فأهل العقيدة السليمة يطالبون من انحرف عن توحيد الألوهية ، وعاد إلى دين المشركين ؛ بعبادة القبور والأضرحة ، وتقديس الأشخاص ومنحهم شيئًا من خصائص الربوبية . وأهل التوحيد يطالبون هؤلاء بأن يرجعوا إلى العقيدة السليمة ، وأن يفردوا الله بالعبادات ، وأن يتركوا هذا الأمر الخطير الذي هم عليه ؛ لأن هذا هو دين الجاهلية ، بل هو أشد من دين الجاهلية ؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يخلصون لله في حال الشدة ، ويشركون في حال الرخاء .

أما هؤلاء - أهل الانحراف - فإن شركهم دائم في الرخاء والشدة ، بل إن شركهم في الشدة أشد . فإذا اشتد عليهم الأمر تسمع منهم طلبًا بالمدد من الأولياء ، والمقبورين ، والموتى ، بينما المشركون إذا مسهم الضر أخلصوا الدعاء لله عز وجل .

هذا هو النوع الثاني من أنواع التوحيد ، وهو الذي طالبت به الرسل جميع الأمم بأن يخلصوا لله ﷻ وهو الذي وقع الـ اع فيه ، وهو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ المشركين حتى يتركوه .

وهذا هو معنى لا إله إلا الله ؛ لأن الإله معناه : المعبود ، فمن (لا إله إلا الله) نأخذ معنى : لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى .

وليس الإله معناه ما يقوله بعض أهل الضلال حيث يقولون : إن الإله معناه القادر على الاختراع والخلق ، لا ، بل الإله معناه : المعبود ، من أله يأله بمعنى : أحب وعبد .

(١) سورة النحل آية : ١٧ .

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات :

ومعناه : أن نثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، وأن ننفي عن الله ما نفاه عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [(١)] وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [(٢)] وما جاء في آية الكرسي ، وفي سورة الإخلاص ، وفي أغلب السور المكية بذكر أسماء الله وصفاته ، والسور المدنية ، بل أغلب القرآن .

وكثير من آيات القرآن لا تخلو من ذكر أسماء الله وصفاته ، ومع مطلع كل سورة : (بسم الله الرحمن الرحيم) ومعناها إثبات الاسم لله ، وإثبات الرحمن والرحيم ، إلى غير ذلك من كمال الصفات لله عز وجل .

والله - جل وعلا - وصف نفسه بصفات ، وسمى نفسه بأسماء ، فيجب علينا أن نثبت ذلك ونعتقده على ما جاء في كتاب الله ، لا نتدخل بعقولنا ، ولا نؤول بأفهامنا ومداركنا ، ولا نحكم على الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الله أعلم بنفسه من غيره ، فالله جل وعلا يقول : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [(٣)] ، ويقول جل وعلا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .
(٢) سورة النحل آية : ٧٤ .
(٣) سورة طه آية : ١١٠ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

ونهانا الله ﷻ أن نضرب له الأمثال ، وأن نتخذ معه الأنداد والوزراء والشبهاء ؛ لأن الله لا شبيه له ولا مثيل ، ولا شريك له ولا ند ، سبحانه وتعالى عما يشركون .

وقد تعبدنا الله جل وعلا بأن ندعوه بأسمائه وصفاته ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [1] .

فهو سبحانه أوضح لنا ما يلي :

أولا : أثبت لنفسه الأسماء ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [2] .

ثانيًا : وصفها بأنها حسنى ، فكل أسماء الله حسنى .

ثالثًا : أمرنا أن ندعوه بها .

رابعًا : نهانا عن الإلحاد في أسمائه .

ومعنى الإلحاد : الميل ، والإلحاد في أسماء الله : هو الميل بها عما دلت عليه ، بتحريفها وتأويلها إلى ما لا تحتمله ، وليس بمراد لله سبحانه وتعالى منها ، كما يفعله الجهمية والمعتزلة ومن سار على خطتهم من الفرق الضالة .

عقيدة أهل السنة والجماعة

أما أهل السنة والجماعة فإنهم على خط مستقيم في هذا الأمر ، وفي جميع أمور دينهم كذلك - والحمد لله - ولكن في باب العقيدة يخصونه بمزيد اهتمام ، ومزيد عناية ؛ لأن الضلال فيه ضلال كبير ، والخطأ فيه عظيم ، ومزلة أقدام ومضلة أفهام ، والخطأ في العقيدة ليس كالخطأ فيما دونها ؛ لأن الذي يخطئ في العقيدة يخشى عليه من الكفر والانحراف الشديد ، والضلال البعيد .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

أما الذي يخطئ فيما دون ذلك فإن خطأه أخف وإن كان الخطأ في الدين كله لا يجوز ، ولا يجوز للإنسان أن يستمر على خطأ أو يقلد مخطئًا ، ولكن الخطأ بعضه أشد من بعض .

والخطأ في العقيدة هو أشد الخطأ ، والانحراف في العقيدة هو أشد الانحراف ؛ لأن الخطأ في العقيدة لا جبر له ، وأما الخطأ فيما دون ذلك فهو تحت المشيئة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [1]

وفي الآية الأخرى : ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [2] .

الإيمان ببقية أصول الدين

أما الإيمان ببقية أصول الدين : الإيمان بالملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، هذه كلها تابعة للإيمان بالله ﷻ وكلها متفرعة عن الإيمان به سبحانه وتعالى ؛ لأنه قد أخبرنا بوجود الملائكة ، وأخبرنا بالغيوب الماضية ، وإرسال الرسل ، وأخبرنا عن اليوم الآخر ، وما يكون فيه .

فيجب علينا أن نؤمن بذلك ، وأغلب ذلك من الإيمان بالغيب .

ونحن نؤمن بالله ، ونؤمن بملائكته ، وهذا من أعظم الإيمان بالغيب .

ونؤمن كذلك بالرسل وإن لم نرهم ، ولكننا نؤمن بم لخبر الله ﷻ أنه أرسل رسلًا مبشرين ومنذرين ، أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ .

ونؤمن بالملائكة ونحن لا نراهم ، ولكن نؤمن بخبر الله سبحانه وتعالى وخبر رسوله ﷺ .

ونؤمن كذلك باليوم الآخر وهو لم يأت بعد ، ولكن نعتمد في ذلك على خبر الله وخبر رسوله ﷺ وذلك هو الإيمان الصحيح .

---

(١) سورة النساء آية : ١١٦ .

(٢) سورة النساء آية : ٤٨ .

الإيمان بالقدر

درجات الإيمان بالقدر

ونؤمن كذلك بالقدر خيره وشره . والإيمان بالقدر يتضمن أربع درجات :

الدرجة الأولى : الإيمان بأن الله علم ما كان ، وما سيكون . لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا يخفى عليه شيء من الغيوب الماضية والمستقبلية ، كله في علم الله ﷻ سواء .

الدرجة الثانية : الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه مقادير كل شيء ، كما في الحديث : ﴿ إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد ﴾ [(١)] (رواه الترمذي ، الحديث برقم (٢١٥٥) ، وأبو داود ، الحديث برقم (٤٧٠٠)) .

فنؤمن بأن كل ما يجري ، وكل ما يقع ، أن الله علمه ، وأن الله كتبه سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٢)] .

فكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ ، لا يتخلف منه شيء ، مقادير الخلق وكتابة القدر في اللوح المحفوظ سابقة لخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما في الحديث الصحيح [(٣)] كما قال تعالى : ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [(٤)] .

---

(١) الترمذي القدر (٢١٥٥) .
(٢) سورة الحديد آية : ٢٢ .
(٣) (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٦٥٣)) .
(٤) سورة ق آية : ٤ .

الدرجة الثالثة : أن نؤمن بمشيئة الله الشاملة وإرادته لكل شيء ، وأن الله إذا أراد شيئًا بالإرادة الكونية وشاءه ، فلا بد من وقوعه ، وأنه لا يقع شيء في الكون إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى ، ومشيئته وتدبيره .

الدرجة الرابعة : وهي الأخيرة : أن نؤمن بأن كل شيء هو مخلوق لله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [1] .

كل ما في الكون ، ما كان وما يكون هو من خلق الله سبحانه وتعالى وإيجاده ، لا أحد يوجد في الكون شيئًا ، ولا أحد يخلق شيئًا في هذا الكون من دون الله .

إرادة الإنسان لا تخرج عن إرادة الله ﷻ

وهذا لا يمنع أن يكون للعبد إرادة ومشيئة ، وأن يكون له اختيار وفعل ، وقدرة بها يقدر على الفعل والترك ، وبها يقدر على اختيار الضار من النافع .

فالإنسان يفعل بإرادته الخير والحسنات والطاعات ، وبإرادته يترك الطاعات والواجبات ، وبها يفعل المعاصي والشرور والمخالفات ، وهو يحاسب على إرادته وعلى فعله ، ولكن إرادته ومشيئته لا تخرج عن مشيئة الله ﷻ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] .

فأثبت للعبد مشيئة ، لكنه ربطها بمشيئته سبحانه وتعالى ، ولهذا لما قال رجل للنبي ﷺ ﴿ ما شاء الله وشئت ، قال : جعلتني لله عدلًا ، قل : ما شاء الله ثم شئت ، أو قل ما شاء الله وحده ﴾ [3] (رواه أحمد (٢٨٣/١)) .

(١) سورة الزمر آية : ٦٢ .
(٢) سورة التكوير آية : ٢٩ .
(٣) ابن ماجه الكفارات (٢١١٧) ، أحمد (٢٨٣/١) .

تفسير بعض الطوائف لمعنى القدر :

انحرف في تفسير باب القدر طوائف عدة منها :

الطائفة الأولى : الجهمية الجبرية :

فقالوا : إن العبد مجبور على فعله ، لا اختيار له ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، العبد مثل الريشة في الهواء ، ومثل ورقة الشجرة ، تحركها الرياح بغير إرادة منها ، ولا اختيار ، هذا ما تقوله الجبرية من الجهمية .

والطائفة الثانية : على النقيض وهم المعتزلة :

قالوا : إن كل إنسان يخلق فعل نفسه ، وليس لله تدبير ، ولا إرادة بفعل العبد ، وإنما العبد هو الذي يفعل الشيء باختياره وقدرته استقلالًا لا ارتباط له بمشيئة الله ، حتى غلا بعضهم ، وقال : إن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها ، وإنما العبد هو الذي يستأنفها ، ولهذا يقولون : الأمر أنف . وهؤلاء غلاة المعتزلة ، ويسمون بالقدرية النفاة .

الطائفة الأولى تسمى بالجبرية ، وهؤلاء : بالقدرية النفاة .

الطائفة الأولى : أثبتوا القدر وغلوا فيه ، وسلبوا العبد إرادته .

والطائفة الثانية : وهم المعتزلة على النقيض ، غلوا في مشيئة العبد وإثبات مشيئة العبد ، حتى ألغوا مشيئة الله وإرادته .

وكلا الطرفين ضال ومخطئ خطأً عظيمًا .

توسط أهل السنة والجماعة

توسط أهل السنة والجماعة ، فأثبتوا للعبد قدرة واختيارًا وإرادة ، ولكنها تابعة لمشيئة الله - جل وعلا- وقدرته وإرادته ، وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بإرادة الله ومشيئته .

القدرية يستحقون المقت والذم

والقدرية يقال : إنهم مجوس هذه الأمة ، لماذا ؟ لأنهم أثبتوا خالقين مع الله ، حيث قالوا : إن كل إنسان يخلق فعل نفسه استقلالًا ، وبذلك ضلوا ، وبذلك استحقوا المقت والذم من أهل الحق ؛ لأنهم خلطوا في هذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالقدر .

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان

والإيمان بالقدر هو من أصول الإيمان كما في حديث جبريل أنه قال للنبي ﷺ : ﴿ أخبرني عن الإيمان ، فقال : الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [1] (تقدم تخريجه (ص ١٣٨) ، حاشية رقم (١)) .

وكما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [2] . وكما في الحديث : ﴿ احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان ﴾ [3] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٤٦٤)) .

والأحاديث والنصوص في هذا كثيرة ، وهذا أصل معروف ، والحق فيه -والحمد لله- واضح ، وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه واضحة ، ومبنية على ما جاء في الكتاب والسنة ، أما من انحرف عن هذا الأصل ، فإنه إنما أتي من قبل نفسه ، ومن قبل هواه ، وإعراضه عن الكتاب والسنة .

---

(١) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦) .

(٢) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٣) مسلم القدر (٢٦٦٤) ، ابن ماجه المقدمة (٧٩) .

وهكذا كل من حاول الخروج عن دلالة الكتاب والسنة فإنه يقع في الضلال ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [1] .

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

في الختام

هذا مجمل في عقيدة السلف ، وأهل السنة والجماعة ، جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه ، ورزقنا التمسك بالحق والصبر عليه والثبات عليه إلى يوم أن نلقاه .

فالمتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة يكون على بصيرة ، وعلى هدى ، ويكون قلبه مطمئنًا وثابتًا ؛ لأنه عاش على الكتاب والسنة ، وعاش على دليل واضح ؛ مقتفيًا للرسول ﷺ وصحابته ، فهو على طمأنينة ، وعلى ثبات في أمر دينه .

ويصيبه من الخيرات ، والتثبيت والمزايا العظيمة ما لا يحصل لغيره من المنحرفين ، الذين هم في همّ دائم ، وقلق مقيم معهم أينما ذهبوا وأينما حلوا .

أما أهل السنة والجماعة فهم ثابتون على الحق لا يتزعزعون ، ولا يتزحزحون ، ولا يحدث عندهم أهواء وآراء واختلافات ؛ لأن منهجهم واحد ، وطريقتهم واحدة ، ودليلهم واحد .

والمتمسكون بعقيدة أهل السنة والجماعة قد أعد الله لهم من الكرامة والجنة والخلود في النعيم المقيم الذي لا يفنى ولا يزول ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (1) .

قال ابن عباس رضي الله عنه تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (2) لهم الأمن في الآخرة من العذاب ، ولهم الهداية في الدنيا من الضلال فهم في الدنيا مهتدون ، غير ضالين ولا مضلين ، وفي الآخرة يحصل لهم الأمن ، يوم يخاف الناس ، ويوم يفزع الناس ، ويوم تتقطع القلوب من الفزع ، فإن أهل السنة

(1) سورة طه آية : ١٢٣ .
(2) سورة الأنعام آية : ٨٢ .

والجماعة وأهل الحق في أمان ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1] .

هذه مآثر العقيدة السليمة في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [2] .

هذه ضمانات من الله سبحانه وتعالى لأهل السنة والجماعة وأهل الحق ؛ لأنهم على خير في العاجل والآجل .

جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه ، ونسأله سبحانه أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

انتهى .

---

(١) سورة فصلت الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(٢) سورة النحل آية : ٩٧ .

المحاضرة الحادية عشرة
الدعوة إلى الله بواعثها وأهميتها

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على نبينا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وكل من تمسك بسنته وسار على منهجه إلى يوم الدين ، وجعلنا الله وإياكم منهم ، وجمعنا وإياكم معهم في دار كرامته ومستقر رحمته .

أما بعد : أيها الإخوة : لا شك أن الاجتماع والتذاكر والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى واجب على المسلمين عمومًا ، وعلى طلبة العلم خصوصا في كل زمان وفي كل مكان مكنهم الله من الاجتماع فيه ، وخصوصًا في هذا الزمان الذي لا يخفى عليكم حاله ، ولا تخفى عليكم غربة الدين فيه ، ولا تخفى عليكم كثرة الفتن ، وهو مصداقًا أخبر به النبي ﷺ من اشتداد غربة الدين في آخر الزمان وظهور الفتن ، وأنه يجب على المؤمن عند ذلك الزمن أن يضاعف مجهوده ، وأن يتمسك بحبل الله ويصبر على ما يناله ، كما قال لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] وكما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [2] .

فكل بني الإنسان خاسر ومضيع لعمره ووقته فيما لا يفيده إلا من اتصف بذه الصفات الأربع : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . فمن جمع

---

(١) سورة لقمان آية : ١٧ .

(٢) سورة العصر الآيات : ١ - ٣ .

هذه الخصال نجا من هذه الخسارة إلى الفلاح ، وإنا لخصال عظيمة غالية ، ولكنها ميسورة لمن وفقه الله وهداه .

ماذا أصاب المسلمين نتيجة بعدهم عن دينهم

أيها الإخوة : تعلمون ما أصاب المسلمين ، يصيبهم في هذا الزمان من تسلط الأعداء ، ومن دعاة السوء من نشر الإلحاد والفساد بمختلف الوسائل والإمكانات ؛ من صحافة ووسائل إعلام مختلفة وكتب ومنشورات ، وغير ذلك ، مما يوجب على المسلمين الانتباه نحو هذا الخطر الزاحف من الكفار ، كما قال الله عنهم محذرًا لنا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١) .

فمهما بذلوا وأنفقوا وأتعبوا أنفسهم فإن المسلمين إذا اتقوا ربم ، وعملوا بطاعته وتجنبوا ما حرم الله عليهم ، وحافظوا على دينهم ، فإن كل هذه المجهودات تذهب سدى وترتد إلى نحور أصحابا ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٢) .

ولكن المصيبة إذا تساهل المسلمون وتجاهلوا وتغافلوا عن هذه الأخطار فهنا تأخذ طريقها وتصيب هدفها ، وعند ذلك يصاب المسلمون من مقتلهم في عقر دارهم .

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ١١٨ - ١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٠ .

أعداء الإسلام يكيدون لأهله

والكفار من قديم الزمان ومنذ أن بعث محمد ﷺ وهم يكيدون لهذا الدين ، قال تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [1] .

وإذا كانوا لا يودون هذا فسيعملون ليل نهار بمختلف الوسائل لصد الخير عنا وإغرائنا بالشر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [2] .

متى يكون هذا ؟

إذا كان لهم مغالب من المسلمين ، وإذا كان لهم من يقف في نحورهم ، وإذا كان لهم من يرد كيدهم ويقابلهم بقوة الإيمان وقوة الجهاد ، فإنهم يغلبون بإذن الله .

فهذا يدل على أنه لا بد أن يكون هناك مغالبة يغلبون بها ، والله جل وعلا مع المتقين دائمًا وأبدًا ، ومع الصابرين ومع المؤمنين ومع المحسنين بنصره وتوفيقه وتسديده .

أما إذا تخلى المسلمون عن واجبهم وتكاسلوا عن نصرة دينهم ، فإن الله سبحانه وتعالى يعاقبهم بتسليط الأعداء وإدالتهم عليهم ، فإن رجعوا إلى دينهم عاد لهم النصر والتوفيق ، وإلا سيضيعون في معترك الحياة .

للدين رب يحميه وينصره

نحن لا نخشى على الدين ، ولكننا نخشى على أنفسنا ؛ لأن الدين له رب ينصره ويحميه ويقيض له أنصارًا لا نعلمهم ، ولكننا نخشى على أنفسنا أن نهلك وأن يستبدل بنا غيرنا ، وإلا فدين الله ﷻ منصور ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

(١) سورة البقرة آية : ١٠٥ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٦ .

﴿ غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ [1] ، وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [2] .

فكل مسلم يخشى على دينه هو وعلى نفسه أن يفلت من هذا الدين ، وأن تفلت يده من العروة الوثقى ، وإلا فالله ﷻ يقيض لدينه أنصارًا آخرين .

يقول الإمام العلامة ابن القيم :

والدين منصور وممـتحن فـــلا تعجب فهذي سـنة الرحمـن

الصراع بين الحق والباطل

ما زال الصراع بين الحق والباطل قديمًا ، وما زال المؤمنون مع الكافرين في صراع مستمر ، يقول الله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [3] .

والابتلاء والامتحان موجودان من قديم الزمان سنة الله في خلقه ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [4] يقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [5] ، فنحن نخشى على ديننا وعلى أنفسنا وعلى بلادنا وعلى أولادنا وعلى جماعة المسلمين من أن يصابوا بتقصيرهم وإهمالهم ، ويعاقبوا بتفريطهم ، وأن ينتقل هذا الدين منا إلى غيرنا فنفلس منه ونخسر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فالواجب علينا جميعًا أن نرجع إلى ربنا ، وأن نحاسب أنفسنا ، وأن نتنبه لخطر أعدائنا وكيدهم ومكرهم ، وأن نضاعف الجهود ، وأن نتعاون فيما بيننا على البر والتقوى ، وأن نقابل العدو بالسلاح الذي يبطل كيده .

(١) سورة محمد آية : ٣٨ .
(٢) سورة الحجر آية : ٩ .
(٣) سورة العنكبوت الآيتان : ٢ - ٣ .
(٤) سورة الأحزاب آية : ٦٢ .
(٥) سورة محمد آية : ٤ .

ومعنا - والحمد لله - ما يدحض كل شبهة ويرد كل باطل ، ومعنا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تـ يل من حكيم حميد .

ومعنا سنة رسوله ﷺ كما رواها الثقات الأثبات مدونة ومحفوظة ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي ﴾ (رواه البيهقي ، الحديث برقم (٢٠٣٣٧)) . ولما ذكر من الفتن أوصى بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين .

فقد روى العرباض بن سارية السلمي ﷺ قال : ﴿ وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع ، فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ﴾ [1] (تقدم تخريجه) ، هكذا أوصانا رسول الله ﷺ بعد ما أخبرنا أنه سيكون هناك اختلاف واختلاف كثير .

لكنه ﷺ أرشدنا إلى المنقذ من هذا الاختلاف ، وهو التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ عضوا عليها بالنواجذ ﴾ [2] ؛ وذلك أن الغريق إذا كان في لجة البحر أو لجة الماء وكان معه حبل فإنه يعلم أنه إذا أفلت من هذ الحبل فسيغرق ويهلك ، فهو من شدة حرصه يعض على هذا الحبل بأضراسه ؛ خوفًا أن ينفلت منه . كذلك المسلمون في موج الفتن لا منقذ لهم بعد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه إلا التمسك بما جعله الله سببًا للنجاة ، وهو سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين ، ثم حذر من البدع .

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

التحذير من البدع

والبدعة كما تعلمون : كل ما خالف السنة ، فكل قول أو عمل يخالف سنة رسول الله ﷺ وليس فيها أصل فإنه مما لم يشرعه الله ولا رسول الله ﷺ وهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

صلاة التراويح ليست بدعة ولكنها سنة :

وليس هناك بدعة حسنة ، كما يقول بعض الجهال ، البدع كلها ضلالة ، كما حكم عليها رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ [(١)] (نفس المصدر السابق) وفي رواية : ﴿ وكل ضلالة في النار ﴾ [(٢)] (رواه النسائي ، (١٨٨/٣ ، ١٨٩)) .

أما قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح : (نعمت البدعه هذه) فهو لا يقصد البدعة في الدين ؛ لأنه قال هذه الكلمة لما جمع الناس على صلاة التراويح ، وصلاة التراويح ليست بدعة ، وإنما هي سنة ثبتت عن رسول الله ﷺ صلاها بأصحابه ليالي من رمضان ، ثم تأخر عنهم في آخر الأمر خشية أن تفرض عليهم ، وكان الأمر على هذا في خلافة أبي بكر الصديق وصدرًا من خلافة عمر يصلونا متفرقين ، ثم جمع عمر الناس على إمام واحد ، كما اجتمعوا على رسول الله ﷺ فعمر أحيا هذه السنة ولم يأت ببدعة ، وإنما قوله : (نعمت البدعة هذه) قصده بذلك -والله أعلم- البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية ؛ لأن البدعة الشرعية لا تجوز في الإسلام ، والدليل على ما ذكرنا : أنه يعني صلاة التراويح ، وصلاة التراويح ليست بدعة ، وإنما هي سنة .

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) .

(٢) سنن النسائي كتاب صلاة العيدين (١٥٧٨) .

الحاصل أيها الإخوة :

أننا -كما ذكرنا - في زمان يستدعي منا مضاعفة الجهود ، وتعاون الإخوان فيما بينهم ، وتدارسهم لأمور المسلمين ، والاطلاع على ما ينشر ، والاستماع لما يذاع مهما أمكننا ذلك ؛ لنقابل ذلك بالبيان ، ولنرد كيد الأعداء عن ديننا وعن أمتنا المسلمة ، لا نكون غافلين أو متواكلين . كل منا يقول : المسئولية على فلان ، كل والله عليه مسئولية ، بصفة أنه مسلم ، وبصفة أنه ينتسب إلى العلم ، وبصفة أنه يقدر على أن يقوم بمجهود ولو مجهود بسيط نحو هذه الشرور الزاحفة ، كل منا مكلف ومسئول وعليه مسئولية عظيمة ، لا سيما إذا فرغ لهذا الأمر ، وعين لهذا الأمر من قبل ولاة الأمور ، فإن الواجب عليه أكبر من غيره بحكم تعيينه لهذا الأمر ، ولكن كل مسلم وكل من عنده أثارة من علم فإنه يجب عليه أن يشارك في هذا الواجب العظيم ، وذلك بالتعاون والتناصح ، عليه أن يشارك في هذا الواجب العظيم ، وذلك بالتعاون والتناصح والتذاكر والاطلاع على كيد الأعداء ، وما ينشر ، وما يذاع ، وما يروج له ، فإننا في وقت لا يسمح لنا بالغفلة ، كما قال الشاعر :

ومن رعى غنمًا في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

فنحن الآن بين ذئاب وسباع ، وبين دعاة إلى الباطل يعملون ليل نار وبلباقة ومخططات دقيقة ، إن لم نأخذ حذرنا منها ولم نتعاون على ردها وإلا فإن الأمر خطير وخطير جدا .

واجب الدعوة واجب عظيم

أيها الإخوة : إن واجبنا واجب عظيم ، وهو واجب الدعوة إلى الله ، وهذا من أفضل الجهاد . فالذي يقوم بنصرة دين الله ، ويذكر الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

من أفضل الـاهدين ، قال الله سبحانه وتعالى لنبيه : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨ ﴾ [1] .

فسبيل رسول الله ﷺ هي الدعوة إلى الله على بصيرة : دعوة الكفار دعوة المفرطين والمتكاسلين من المسلمين إلى الانتباه وإلى تصحيح الخطأ .

والدعوة تتنوع وتختلف وتتأكد في بعض الأحوال ، وتتحتم في بعض الظروف لملابسات ولأخطار تحتاج إلى علاج .

قال تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [2] أي : على علم وعلى معرفة بما يدعو إليه ، والداعية يجب عليه أولا قبل أن يشرع في الدعوة أن يكون على علم وعلى بصيرة بما يأمر به وبما ينهى عنه ، لا يدعو الناس وهو يجهل الأحكام الشرعية ، ويجهل مسائل الحلال والحرام ، لا بد أن يعرف المعروف من المنكر ، ويعرف الحق من الباطل ، ويعرف الحلال من الحرام حتى يكون على بصيرة ، إذا قال : هذا الشيء حلال يكون على بصيرة ، وإذا قال : هذا الشيء حرام يكون على بصيرة ، وإذا قال : هذا الشيء مشروع يكون على بصيرة ، وإذا قال : هذا الشيء ممنوع يكون على بصيرة . وأما الجاهل فإنه لا يصلح للدعوة ، بل عليه أن يتعلم ويتأهل حتى يشارك في الدعوة إلى الله ، فنحن نقول للجاهل : تعلم ، ونقول للمتعلم : ادع إلى الله بما علمت ، وبصر الناس وأرشدهم بما فهمت .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [3] فهذا دليل على أن أتباع الرسول على الحقيقة هم الذين يدعون إلى دينه ، ويدعون إلى الله سبحانه وتعالى . فمن أعظم الاقتداء بالاتباع للرسول ﷺ الدعوة إلى الله عز وجل . والدعوة إلى الله أفضل الأعمال ، كما

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

قال جل وعلا : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) فلا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا .

كذلك من واجبات الداعية : أن يعمل بما يدعو إلى الله في نفسه أولا ، ولا يدعو الناس إلى العمل الصالح وهو لا يعمل به ، قال الله جل وعلا : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

فواجب الداعية أولا : أن يكون على بصيرة وعلى علم ومعرفة .

ثانيًا : أن يكون عاملًا بما يدعو إليه ، ولا يدعو الناس إلى الخير وهو لا يعمل به ، أو ينهى الناس عن الشر وهو يقع فيه ، بل يلزم نفسه أولا بعمل الصالحات وترك المحرمات حتى تكون دعوته مؤثرة ، وحتى تكون دعوته سائرة على الخط المستقيم .

هذا نبي الله شعيب عليه السلام يقول : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٣) .

فالذي يريد الإصلاح في دعوته يبدأ بنفسه أولا ؛ لهذا يقول الشاعر :

لا تنـه عـن خلـق وتـأتي مثلـه   عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم

ويقول الراجز :

وعـالـم بعلمـه لم يعـمـلن   معـذب مـن قبـل عبـاد الـوثن

هذا معناه في الحديث الصحيح : أن من أول من تسعر بم النار يوم القيامة عالم لا يعمل بعلمه ؛ لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ٤٤ .
(٣) سورة هود آية : ٨٨ .
(٤) سورة الزمر آية : ٩ .

ولهذا عاب الله على أحبار اليهود وشبههم بالحمير وشبههم بالكلاب ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (١) .

فهم حملوا التوراة ولكنهم لم يحملوها حق حملها والدعوة إليها وتبليغها ، وإنما حملوها مجرد حمل بدون عمل ؛ ولهذا شبههم الله بالحمير التي تحمل الكتب ، فإن الحمير إذا حملت الكتب فإنا لا تنتفع با ولكنها تتحمل عنها عناء ثقلها بدون استفادة منها ، كذلك العالم الذي لا يعمل بعلمه مثل الحمار الذي يحمل الكتب .

بل شبه الله العالم الذي لا يعمل بعلمه بالكلب ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ (٢) ، فقوله : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ (٣) ، أي : أنه عالم ، لكنه انسلخ منها فلم يعمل با . ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ ﴾ (٤) . **معناه :** أنه لم يفعل الأسباب التي يرفعه الله با وهي العمل بعلمه ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٥) **معناه** لم يرد الرفعة بالعلم والعزة ، وإنما أراد أطماع الدنيا وشهوات الدنيا المحرمة فهو لا يرتفع ، وإنما ينخفض فهو ﴿ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ ﴾ (٦) ، ولم يتبع العلم الذي أوتيه ولكنه اتبع هواه - والعياذ بالله - هواه الذي يخالف ما علمه الله .

---

(١) سورة الجمعة آية : ٥ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٥ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٧٥ .
(٤) سورة الأعراف الآيتان : ١٧٥ - ١٧٦ .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٧٦ .
(٦) سورة الأعراف آية : ١٧٦ .

واجب العالم

والواجب على العالم : أن يكون هواه تابعًا لما جاء به النبي ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به ﴾ (انظر : (قرة العينين برفع اليدين) للبخاري ص (٣٨)) .

فالعالم عليه أن يعمل بالحق وإن كان يخالف هواه وإلا صار من عبدة الهوى ، قال تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [١] .

والله جل وعلا عاب على اليهود على هذه الخصلة الذميمة : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٢] .

فواجب العالم أن يكون عاملًا بعلمه وإن خالف هواه ، وأن يكون قصده ونيته لله ﷻ لا للرياء ولا للسمعة ، فإذا اجتمع علم ودعوة إلى الله وإخلاص وتقوى حصل الخير الكثير وحصل النفع الغزير .

وربما يكون رجل واحد اتصف بهذه الصفات يعادل آلافًا مؤلفة من البشر ، كما قال الشاعر :

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى

ولهذا نجد بعض الدعاة إلى الله شخصًا واحدًا يهتدي بسببه أجيال حاضرة وأجيال لاحقة بسبب بركة دعوته وعلمه ، وهو رجل واحد لماذا ؟ لأنه أخلص لله ﷻ ودعا إلى الله على بصيرة ، وكانت آثار دعوته مباركة .

ونجد آلافًا من الدعاة ولكن ليس لدعوتهم تأثير ، مع أنهم يجيدون القول ، ويجيدون الخطابة ، ويجيدون الكتابة أكثر مما يجيدها هذا الشخص الذي ذكرناه لماذا ؟ لأن المدار على النية والمقاصد .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٤٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٧ .

وكل الآيات جاء الأمر فيها بالدعوة إلى الله ﷻ ولا تكون دعوة إلى الله إلا إذا كانت بإخلاص ، ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض المسائل في (كتاب التوحيد) على قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1] **قال : الثانية :** التنبيه على الإخلاص ؛ لأن كثيرًا من الدعاة لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .

وهذا فرق ما بين الداعية المخلص والداعية غير المخلص ، وهذا فرق ما بين الدعوة الصحيحة والدعوة غير الصحيحة ؛ فالواجب علينا -أيها الإخوة - ثقيل ومسئولية عظيمة نحو ديننا ، ونحو عالمنا كله ، ونحو إخواننا المسلمين ، كل ما حصل من نقص فنحن مسئولون عنه .

والذي أريده من نفسي أولا ومنكم ومن غيركم من إخواننا المسلمين في أي مكان أن تنتبهوا لواقعكم وما يحاك ضدكم ، وأن تعدوا لذلك عدته ولتعلموا أن العمل الفردي فيه خير لكنه قليل . أما العمل الجماعي والتعاون فهو يجدي خيرًا كثيرًا ، والله تعالى يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [2] .

فالتعاون فيه فائدة كبيرة ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ [3] .

فالواجب أن تكون دعوتنا واحدة ، وأن يكون هدفنا واحدًا ، وأن نتعاون على البر والتقوى ، وأن نتفقه وأن نتبصر فيما ندعو الناس إليه ، ونبصرهم به حتى يكون لدعوتنا آثار حميدة إن شاء الله ، وهذا ما نرجوه ، ولا نيأس وإن كثر الشر ، وإن كثر دعاة الضلال ، وإن كثرت وسائل الفساد ، ولكن الحق إذا قام به أهله فلن يقف في وجهه باطل مهما بلغ ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ﴾ [4]

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(٢) سورة المائدة آية : ٢ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ١٨ .

محمد ﷺ الداعية القدوة

وقف محمد ﷺ وهو شخص واحد بين أهل الأرض كلهم بما فيهم اليهود والمجوس والنصارى والوثنيون ، وقف -وهو شخص واحد- يدعو إلى الله ، وصبر وصابر حتى انجابت الظلمات وأشرقت رسالته في الكائنات عليه الصلاة والسلام ، وما تركوا ممكنًا معه إلا فعلوه ، يريدون صد دعوته ، ويريدون وأدها في مهدها ، حتى أنهم أغروه بالمال وبالرياسة بعدما هددوه بالقتل وهددوه بالمخوفات ، لجأوا معه إلى الإغراء بالماديات وأغروه بأن يعطوه من المال كذا ، وأن يعالجوه إذا كان مصابًا ، وأن يزوجوه من النساء ، وأن يملكوه إن كان يريد ملكًا .

فعرض عليه عمه أبو طالب - بطلب منهم - هذه المعروضات ، فقال : ﴿ يا عمي ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر لن أتركه حتى يظهره الله أو أهلك دونه ﴾ (أورده برهان الدين علي بن برهان الدين الحلبي في (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) المسماة السيرة الحلبية) .

هذا موقفه ﷺ فالحق إذا قام به أهله قيامًا صحيحًا - وإن كان أهله قلة - فسوف ينتصر ولو لم يكن على الحق إلا واحد صادق ، فإن الله ينصره على أهل الباطل كلهم ، وإن تساعدوا وتعاونوا وتعاضدوا ؛ لأن الحق لا يقف أمامه باطل ، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [1] .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٨ .

شواهد واقعية

وبالتجربة والواقع واقتداء برسول الله ﷺ ومن بعدهم من الدعاة المخلصين في العصور والدهور ، نجد أن آثار دعوات المصلحين تبقى ، ونجد أن الباطل ينقطع ويضمحل ويفنى وكأنه لم يكن .

هذا الإمام أحمد - كما تعلمون- قامت السلطة ضده وقامت كل الدولة ضده ، أرادوا أن يحملوه على أن يقول بخلق القرآن ، ولكنه ثبت وصبر على الضرب والجلد والحبس حتى نصره الله ﷻ وبقي قوله هو الحق ، واندحر كل ما بأيدي أهل بالباطل من القوة والحجج ومن كل شيء ، وبقي الحق واضحًا .

شيخ الإسلام ابن تيمية - كما تعرفون - في وقته كانت حالة المسلمين أسوأ حالة من التفكك والضياع وظهور الوثنيين ، وكان هناك أنواع من الفساد في العقائد وفي العبادات وفي المعاملات ، لكنه جادل وناظر وكتب وألف ، فبقيت - والحمد لله - دعوته ، لا تزال إلى الآن آثارها صالحة ومستنيرة .

وكتبه إلى الآن هي التي تظهر بين كل وقت وآخر ، وينتفع بها الآلاف من الناس ، ويفرحون بها ، كلما عثروا على مخطوط أو على مؤلف فرحوا بذلك فرحًا شديدًا ، وبادروا إلى نشره وطبعه . وكم بينهم وبينه من السنين ، وليس بينهم وبينه نسب ، وليس هناك قرابة أو صداقة وإنما هو الحق فالحق يبقى .

وأما الباطل فإنه يضمحل ، أين خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية ؟ أين مؤلفاتهم ؟ أين حججهم وعويلهم ؟ كله - والحمد لله - ذهب أدراج الرياح ، وإن بقي منه شيء فإنه تافه لا يلتفت إليه .

أما دعوة شيخ الإسلام ومؤلفاته فهي -والحمد لله- تتجدد كل يوم ، ويفرح الناس وطلبة العلم بها ويدعون له ، كل هذا من آثار الإخلاص ، وإلا فهو شخص واحد كان

في عصره من العلماء العدد الكبير ، ولكن لم يقوموا مقامه في الصبر والثبات والدعوة والمصابرة فكانت العاقبة كما ترون .

الحاصل : أن هذه نماذج ، وأعلى النماذج هو رسول الله ﷺ والله جل وعلا يقول : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ (1) .

فرأس القدوة وأعظم الدعاة هو رسول الله ﷺ نقتدي به ونتأسى به وندرس سيرته ، وندرس آثاره عليه الصلاة والسلام في دعوته وأسلوبه ، في دعوته للناس ، وكيف واجه الباطل ، وكيف واجه أهل الضلال بالسلاح وبالحجة حتى أظهر الله دينه ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾ (2) .

وقد أظهر الله دينه -والحمد لله- وذهب الباطل وإن كان عليه أكابر الناس وعليتهم ، وإن كانت عليه أمم أهل الأرض من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين ، كلها ذهبت والحمد لله ، بمعنى أنها بطلت ، وإلا فالكفر والضلال باقيان ولكنهما بطلا في مقابلة الحق ، وكلما ظهر الحق اضمحل الباطل وانخذل ، وكلما ضعف الحق بسبب ضعف أهله فإن الباطل قد يرتفع مؤقتًا ابتلاءً وامتحانًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ (3) .

فالمداولات بين الحق والباطل ليست مستغربة إنما الذي يستغرب هو ضعف المسلمين وإخلاد المسلمين وتخاذل المسلمين ومعهم الحق .

---

(1) سورة الأحزاب آية : 21 .
(2) سورة التوبة آية : 33 .
(3) سورة محمد آية : 4 .

والذي يستغرب هو صمود أهل الباطل وتكاتف أهل الباطل وليس معهم إلا الباطل ، فأهل الباطل إنما يعيشون في الظلام ، إذا اختفى النور ظهر أهل الباطل ؛ لأنهم لا يعيشون إلا في الظلام .

أما إذا ظهر النور فإن أهل الباطل يختفون ، والنور هو الحق ، والذي يظهر النور إنما هم أهله المتمسكون به .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين يدعون إلى الله على بصيرة ، وأن يجعلنا وإياكم من المقتدين برسوله ﷺ وأن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بسنته عند فساد أمته ، وأن يجمعنا وإياكم في دار كرامته ومستقر رحمته إنه قريب مجيب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

المحاضرة الثانية عشرة

{ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنًا ، يتجهون إلى شطره أينما كانوا في صلواتم ، ويستقبلونه في عباداتم ، وتوي إليه أفئدتم ، ويلتفون حوله من جميع أقطار الأرض ؛ لتتحد كلمتهم ، وتعتز أمتهم وتقوم دولتهم ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد ؛ بعثه الله من أرض الحرم إلى الأمم كافة ، وأمره بتطهير هذا البيت من كل نجس ورجس ، فدخله عام الفتح وفوقه ثلاث مائة وستون صنمًا فجعل يطعنها بالقضيب ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا) ثم أمر با ﷺ فأخرجت من المسجد وأحرقت وطهر منها بيت الله .

أيها الإخوة المؤمنون : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : سنشرح في هذا الموضع - إن شاء الله - موضوع قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (٢) .

فالحج لغة : القصد إلى الشيء .

وشرعًا : قصد المسجد الحرام لأداء الحج أو العمرة ، وكان الحج من ملة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أمر الله ببناء البيت والأذان في الناس بالحج إليه ، فالحج عبادة عظيمة وفيه منافع كثيرة :

منها : غفران الذنوب ، كما قال ﷺ : ﴿ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ﴾ (٣) (رواه البخاري (٢ / ٢٠٩) ، ومسلم الحديث برقم (١٣٥٠)) .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٣) البخاري الحج (١٧٢٤) ، مسلم الحج (١٣٥٠) ، الترمذي الحج (٨١١) ، النسائي مناسك الحج (٢٦٢٧) ، ابن ماجه المناسك (٢٨٨٩) ، أحمد (٢/٢٤٨) ، الدارمي المناسك (١٧٩٦) .

ومنها : شهود المنافع العظيمة التي قال الله عنها : ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ [(1)] منافع دينية ومنافع دنيوية لا تدخل تحت حصر ؛ ولهذا أجملها الله سبحانه ولم يحددها .

ومنها : ذكر الله في الأيام المعلومات والأيام المعدودات بالتكبير والتلبية ، والوقوف بعرفة والمزدلفة ، وذبح القرابين ، ورمي الجمار والطواف والسعي ، والمبيت بمنى والأكل والشرب من ضيافة الله في أيام التشريق .

ومن منافع الحج العظيمة : تعارف المسلمين حين يلتقون في تلك البقاع الطاهرة ، والمشاعر المقدسة في المسجد الحرام ، وفي صعيد عرفات ومزدلفة ومنى ، ويلتقون في زمن واحد وفي مكان واحد لأداء عبادة واحدة لرب واحد : ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [(2)] .

استمر الحج بعد إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، ولكن مع تطاول الزمن دخله بعض التغيير في عهد الجاهلية ، فكانوا يضمنون تلبيتهم الشرك بالله ﷻ حيث يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شركًا هو لك تملكه وما ملك ، فجعلوا له شريكًا من عبيده ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ [(3)] .

وكانوا يطوفون بالبيت عراة ، ويرون أن ذلك طاعة أمر الله با ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(4)] .

---

(١) سورة الحج آية : ٢٨ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .
(٣) سورة الروم آية : ٢٨ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

وأمر سبحانه باللباس وستر العورة في الصلاة والطواف وغيرهما : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [1] ، وكان سكان الحرم لا يقفون مع الناس في عرفة ، وإنما يقفون في المزدلفة ؛ لأنهم - بزعمهم - من أهل الحرم ولا يجوز لهم الخروج منه فرد الله عليهم ذلك وأمر بالوقوف بعرفة لجميع الحجاج ، فقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [2] ، فأعاد الله سبحانه الحج كما كان على ملة إبراهيم على يد محمد خاتم النبيين على التوحيد الخالص وباللباس الساتر والوقوف بالمشاعر ، وأعلن للناس قبل أن يحج بقوله : ﴿ لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ﴾ [3] (رواه البخاري (٤/٦٩) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٣٤٧)) . عملًا بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [4] وبقوله تعالى : ﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [5] .

وهكذا يجب أن يكون البيت والحرم دائمًا وأبدًا طاهرًا مطهرًا من الشرك والبدع مباءة للتوحيد ومصدرًا للعقيدة الصحيحة السليمة إلى سائر بقاع الأرض .

لقد أوجب الله الحج على الناس كافة وحكم بالكفر على من امتنع منه مع قدرته عليه فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [6] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٩ .

(٣) البخاري الصلاة (٣٦٢) ، مسلم الحج (١٣٤٧) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٥٨) ، أبو داود المناسك (١٩٤٦) ، أحمد (٢/٢٩٩) ، الدارمي الصلاة (١٤٣٠) .

(٤) سورة التوبة آية : ٢٨ .

(٥) سورة الحج آية : ٢٦ .

(٦) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

لقد جعله الله أحد أركان الإسلام وأحد مبانيه العظام ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا ﴾ [1] (رواه البخاري (٢٠/٦) ، ومسلم الحديث برقم (٨) واللفظ له) .

وقال ﷺ : ﴿ بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان ﴾ [2] (رواه البخاري ٨/١٠) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٦)) .

وبين ﷺ أن هذه الفرضية تتمثل بأداء الحج مرة واحدة في العمر وما زاد عنها فهو تطوع ، وذلك أنه ﷺ أمر بالحج ، فقال بعض أصحابه : ﴿ أكل عام يا رسول الله ؟ فقال : بل مرة واحدة ، فمن زاد فهو تطوع ﴾ [3] (رواه أبو داود ، الحديث برقم (١٧٢١)) . فالحج من العبادات العظيمة التي تؤدى جماعة في مواقيت مخصوصة ، فالصلوات الخمس يتكرر الاجتماع لأدائها في اليوم والليلة خمس مرات في المساجد ، والجمعة يتكرر الاجتماع لأدائها كل أسبوع في الجوامع ، والحج يتكرر الاجتماع لأدائه كل عام في المسجد الحرام والمشاعر ، وهكذا كل اجتماع أكبر من الآخر ، وكلما كان الاجتماع أكثر كان تكرره أقل دفعًا للمشقة والحرج .

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) البخاري الإيمان (٨) ، مسلم الإيمان (١٦) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١) ، أحمد (٩٣/٢) .

(٣) النسائي مناسك الحج (٢٦٢٠) ، أبو داود المناسك (١٧٢١) ، ابن ماجه المناسك (٢٨٨٦) ، أحمد (٢٩١/١) ، الدارمي المناسك (١٧٨٨) .

والحج وإن كان يؤدى في أيام معدودات ، كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ ﴾ (١) إلا أن الله سبحانه وسع وقت الإحرام به حيث يقول سبحانه : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ ﴾ (٢) .

والمراد بهذه الأشهر : شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، فإذا أحرم بالحج في هذه الأشهر صح إحرامه من غير خلاف ، وإذا أحرم به في غيرها فمحل خلاف ، ليس من غرضنا الآن الدخول في تفاصيله ، إلا أننا نقول : إن المسلم إذا أحرم بالحج فله حالة تختلف عما قبل الإحرام ، وإن كانت كل أحوال المسلم ينبغي أن تكون على الاستقامة والتقى والسداد ، إلا أنه بإحرامه ينتقل إلى حالة أفضل ، فإن المحرم يمنع من مزاولة أشياء كانت مباحة له في غير حالة الإحرام من أمور الرفاهية والتوسع ، فيتعين على المحرم تجنب المحرمات العامة والمحرمات الخاصة بالإحرام .

ولهذا قال سبحانه : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ ﴾ (٣) .

ومعنى (فرض) : أحرم ، عبر عنه بالفرض لينبه على أن المحرم يجب عليه أداء النسك الذي أحرم به ، ولا يجوز له رفضه ، وإن كان هذا النسك قبل الإحرام به ليس بواجب ، ثم نهى سبحانه عن تعاطي الأمور التي تتنافى مع الإحرام من الأقوال والأفعال ، فقال سبحانه : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ ﴾ (٤) .

وجاء هذا النهي بصيغة النفي ليكون آكد وأبلغ في الابتعاد عن هذه الأمور ، والرفث معناه : الجماع ودواعيه من النظر والمباشرة والتحدث ، بل قد نهي فيه الخطبة وعقد النكاح .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٧ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

قال الإمام ابن كثير : أي من أحرم بالحج أو العمرة فيتجنب الرفث وهو الجماع ، كما قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ ﴾ [1] .

وكذا يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك ، وكذلك التكلم به بحضرة النساء . انتهى .

والفسوق : جميع المعاصي ، فلا يجوز للمسلم فعلها في جميع الأحوال ، ولكن نهي عنها المحرم خصوصًا ؛ لأنا تؤثر على الإحرام وإثمها فيه أشد ، ولأن المفترض في المحرم أن يشتغل بالطاعات لا بضدها ، ولأن الإحرام مظنة التوبة من المعاصي ، فإذا فعلها المحرم دل على إصراره عليها ، وهذا مما يتنافى مع الفرض من الإحرام ، وقد فسر الفسوق بأنه فعل شيء من محظورات الإحرام ، وفسر بأنه إتيان المعاصي في الحرم ، وفسر بأنه السباب ، وفسر بأنه الذبح للأصنام ، ولا تنافي بين هذه التفاسير ، فإن لفظ الفسوق يشملها كلها ، فهي من أفراد الفسوق .

وقال الإمام الشوكاني : ولا يخفى على عارف أن إطلاق اسم الفسوق على فرد من أفراد المعاصي لا يوجب اختصاصه به . انتهى .

أقول : ومن أعظم الفسوق محاولة جعل موسم الحج وساحات المشاعر المقدسة مجالا للمهاترات والمظاهرات والهتافات والشعارات القومية ، وإحياء العنصريات الجاهلية والدعاية للأشخاص والمذاهب ، ورفع الصور لزعماء والرؤساء ، كما كان أهل الجاهلية يجعلون موسم الحج مجالًا للمفاخرة بآبائهم وأمجادهم وغاراتم وثاراتم .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾ [2] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٠ .

قال الإمام الشوكاني : لأن العرب كانوا إذا فرغوا من حجهم يقفون عند الحجرة فيذكرون مفاخر آبائهم ومناقب أسلافهم ، فأمرهم الله بذكره مكان ذلك الذكر . انتهى .

وأما الجدال : فهو المخاصمة والمماراة والمنازعة ، وهو يشمل الجدال بمعنى : المخاصمة التي توغر الصدور وتشغل عن ذكر الله .

قال الشيخ عبد الرحمن بن السعدي : وقوله : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [(١)] أي : يجب أن تعظموا الإحرام بالحج ، وخصوصًا الواقع في أشهره ، وتصونون عن كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث - وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية ، خصوصًا عند النساء بحضرتن - والفسوق وهو جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام .

والجدال : وهو المماراة والمنازعة والمخاصمة لكونها تثير الشر ، وتوقع العداوة ، والمقصود من الحج : الذل والانكسار لله والتقرب إليه بما أمكن من القربات ، والتنزه عن مقارفة السيئات ، فإنه بذلك يكون مبرورًا ، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل زمان ومكان فإنه يتغلظ المنع عنها في الحج . انتهى .

ويستثنى من الجدال ما كان لبيان حق أو رد على باطل ، فإنه واجب في الحج وغيره ، لقوله تعالى : ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [(٢)] ، ثم لما نهى الله عن هذه الأشياء أمر بالاشتغال بالطاعة ، فقال : ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ [(٣)] فحثهم على حسن الكلام مكان الفحش ، وعلى البر والتقوى في الأخلاق مكان الفسوق والجدال ؛ لأنه لا يتم فعل الأوامر إلا ترك المنهيات .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

ولما كان الحج يحتاج إلى سفر وتنقلات ، وذلك يحتاج إلى نفقة ومؤنة أمر سبحانه بالاستعداد لذلك بأخذ الزاد والنفقة التي تمون تلك الاحتياجات ؛ حتى لا يحتاج الإنسان إلى ما بيد غيره ، فقال سبحانه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾ [1] وقد كان ناس يحجون بلا زاد ويقولون : نحن المتوكلون ، فيصبحون عالة على الناس ، ولما أمر سبحانه باتخاذ الزاد الحسي لسفر الدنيا أمر باتخاذ الزاد المعنوي لسفر الآخرة فقال : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [2] .

ومن ترك هذا الزاد انقطع عن الوصول إلى الجنة ، وختم سبحانه الآية بقوله : ﴿ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧ ﴾ [3] . وهذا نداء عام لأصحاب العقول أن يتقوا الله في الحج وغيره .

وقد أمر الله بأداء الحج والعمرة خالصين له فقال سبحانه : ﴿ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [4] مما يدل على أن كل حج وعمرة لا يتوفر فيهما التوحيد فليسا مقبولين عند الله . وقد جعل الله مناسك الحج مظاهر لتوحيده .

فمن مظاهر التوحيد في الحج رفع الصوت بعد الإحرام بالتلبية لله ، ونفي الشريك عنه ، وإعلان انفراده بالحمد والنعمة والملك : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك) يرددها الحجاج بين كل فترة وأخرى حتى يشرعوا في أداء المناسك .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن أعظم الذكر الذي يقال في يوم عرفة : ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ [5] ،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٦ .

(٥) البخاري الأذان (٨٠٨) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٩٣) ، النسائي السهو (١٣٤١) ، أبو داود الصلاة (١٥٠٥) ، أحمد (٤/٢٥٠) ، الدارمي الصلاة (١٣٤٩) .

كما قال النبي ﷺ : ﴿ خير الدعاء دعاء عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ [1] (تقدم تخريجه) .

فهذا إعلان في هذا الجمع العظيم وفي هذا اليوم المبارك لتوحيد العبادة من خلال النطق بهذه الكلمة وتكرارها ؛ لأجل أن يستشعر الحاج مدلولها ، ويعمل بمقتضاها ، فيؤدي أعمال حجه خالصة لله ﷻ من جميع شوائب الشرك .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الله أمر بالطواف ببيته ، فقال تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [2] (مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت ، فلا يجوز الطواف ببيت غيره على وجه الأرض لا بالأضرحة ولا بالأشجار والأحجار ، ومن هنا يعلم الحاج أن كل طواف بغير البيت العتيق فهو باطل وليس عبادة له ﷻ وإنما هو عبادة لمن شرعه وأمر به من شياطين الإنس والجن ، ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يعتقد أنه يستلمهما ؛ لأنهما من شعائر الله ، فهو يستلمهما طاعة لله واقتداء برسوله ﷺ ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله : والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

ومن هنا يعلم المسلم أنه لا يجوز التمسح بشيء من الأبنية والأحجار إلا بالركن اليماني والحجر السود ، فلا يتمسح بالأضرحة ولا بغيرها ؛ لأن ذلك مخالف لشرع الله ، ولأنها ليست من شعائر الله .

ومن مظاهر توحيد العادة في الحج أن الحاج حينما يفرغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [3] وفي

(١) الترمذي الدعوات (٣٥٨٥) .
(٢) سورة الحج آية : ٢٩ .
(٣) سورة الكافرون آية : ١ .

الثانية يقرأ سورة الإخلاص ؛ لما تشتمل عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، ففي السورة الأولى البراءة من دين المشركين وإفراد الله بالعبادة ، وفي السورة الثانية إفراد الله بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص ، وبذلك يعرف العبد ربه ويخلص له العبادة ، ويتبرأ من عبادة ما سواه من خلال هذا الدرس العملي العظيم .

ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروة أن العبد يسعى بينهما ؛ امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (1) .

ومن ذلك يتعلم المسلم أنه لا يجوز السعي في أي مكان من الأرض إلا بين الصفا والمروة ؛ لأنهما من شعائر الله ، وأن السعي بينهما إنما هو بأمر الله ، فكل سعي في غيرهما فليس عبادة لله ؛ لأنه سعي بغير أمره وبغير شعائره .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج ما شرعه الله في يوم العيد وأيام التشريق من ذكره وحده ، قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾ (2) .

وذكر الله في هذه الأيام يتجلى في الأعمال العظيمة التي تؤدى في أيام منى ؛ من رمي الجمار وذبح الهدي وأداء الصلوات الخمس في هذا الشهر المبارك والأيام المباركة ، كل هذه الأعمال ذكر لله عز وجل .

فرمي الجمار ذكر لله ؛ ولهذا يقول المسلم عند رمي كل حصاة : (الله أكبر) ، وذبح الهدي ذكر لله ﷻ كما قال تعالى : ﴿ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ ﴾ (3) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ

---

(1) سورة البقرة آية : ١٥٨ .
(2) سورة البقرة آية : ٢٠٣ .
(3) سورة الحج آية : ٢٨ .

كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧ ﴾ [1] .

ومن هنا يتعلم المسلم أن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ، فلا يجوز أن يذبح لقبر ولا لولي ولا لجني أو أي مخلوق ؛ لأن الذبح عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك .

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الله أمر بذكره أثناء أداء مناسكه وبعد الفراغ منه ، ونهى عن ذكر غيره من الرؤساء والعظماء الأحياء والأموات ، وعن المفاخرة بالأحساب والأنساب ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾ [2] .

إن الحج ليس مجرد رحلة استطلاعية أو متعة ترفيهية ، أو مجرد مظاهر وشعارات ولكنه دروس وعبر ، وتعليم عملي للعقيدة الصحيحة ، ونبذ للعقائد الجاهلية ، فاحرصوا عباد الله في أداء حجكم وسائر عباداتكم ، على أن تكون خالصة لوجه الله ، وصوابا على سنة رسول الله ﷺ حتى يكون حجكم مبرورًا ، فإن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

جعلنا الله وإياكم من المقبولين الفائزين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة الحج الآيتان : ٣٦ - ٣٧ .

(٢) سورة البقرة الآيات : ١٩٨ - ٢٠٣ .

المحاضرة الثالثة عشرة
الولاء والبراء في الإسلام

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وآله وصحبه ومن اهتدى بداه .

وبعد :

فإنه بعد محبة الله ورسوله تجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه .

فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها ، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم ، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه ، الذين أمرنا بالاقتداء بم حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [(١)] .

وهو من دين محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [(٢)] .

وهذا في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصًا ، وقال في تحريم موالاة الكفار عمومًا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [(٣)] ، بل لقد حرم الله على المؤمن موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٤ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ١ .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾ [2] .

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم ، حتى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى إنهم إخواننا ، ويا لها من كلمة خطيرة .

وكما أن الله سبحانه حرم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [5] .

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [6] .

فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون ، يقتدي آخرهم بأولهم ، ويدعو بعضهم لبعض ، ويستغفر بعضهم لبعض .

---

(١) سورة التوبة آية : ٢٣ .
(٢) سورة المجادلة آية : ٢٢ .
(٣) سورة المائدة الآيتان : ٥٥ - ٥٦ .
(٤) سورة الفتح آية : ٢٩ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٦) سورة الحشر آية : ١٠ .

مظاهر الولاء والبراء

أولا : من مظاهر موالاة الكفار

وللولاء والبراء مظاهر تدل عليهما :

١- التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما :

لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدل على محبة المتشبه به ، ولهذا قال النبي ﷺ : ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾ [(١)] (رواه أبو داود ، الحديث برقم (٤٠٣١)) .

فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم ، ومن عاداتم وعباداتم ، وسمتهم وأخلاقهم ، كحلق اللحى وإطالة الشوارب ، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة ، وفي هيئة اللباس والأكل والشرب وغير ذلك .

٢- الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين :

لأن الهجرة بذا المعنى ولهذا الغرض واجبة على المسلم ؛ لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين ، ومن هنا حرم الله إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [(٢)] .

فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة ، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم .

---

(١) أبو داود اللباس (٤٠٣١) .

(٢) سورة النساء الآيات : ٩٧ - ٩٩ .

٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس :

والسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم ، فيجوز بقدر الحاجة ، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين .

ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مظهرًا لدينه معتزا بإسلامه ، مبتعدًا عن مواطن الشر ، حذرًا من دسائس الأعداء ومكائدهم ، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام .

٤- إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم :

وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة ، نعوذ بالله من ذلك .

٥- اتخاذهم بطانة ومستشارين :

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [(١)] .

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار ، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض ، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة ، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة ، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم .

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه : لي كاتب نصراني ، قال : ما لك قاتلك الله ؟ أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) سورة آل عمران الآيات : ١١٨ - ١٢٠ .

﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [1] ؟ ألا اتخذت حنيفًا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه ، قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله .

وروى الإمام أحمد ومسلم : « أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين ، فلحقه عند الحرة فقال : إني أردت أن أتبعك وأصيب معك ، قال : تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : ارجع فلن أستعين بمشرك » [2] (رواه مسلم ، الحديث برقم (١٨١٧)) .

ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ، ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم .

ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين - بلاد الحرمين الشريفين - وجعلهم عمالًا وسائقين ومستخدمين ومربين في البيوت ، وخلطهم مع العوائل ، أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم .

٦- التأريخ بتاريخهم ، خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي :

والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام ، والذي ابتدعوه من أنفسهم ، وليس هو من دين المسيح عليه السلام ، فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعارهم وعيدهم .

---

(١) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٢) مسلم الجهاد والسير (١٨١٧) ، الترمذي السير (١٥٥٨) ، أبو داود الجهاد (٢٧٣٢) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٣٢) ، أحمد (٦/١٤٩) ، الدارمي السير (٢٤٩٦) .

ولتجنب هذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تأريخ للمسلمين في عهد الخليفة عمر ﷺ عدلوا عن تواريخ الكفار ، وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم ، والله المستعان .

٧- مشاركتهم في أعيادهم ، أو مساعدتهم في إقامتها ، أو تهنئتهم بمناسبتها ، أو حضور إقامتها :

وقد فسر قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ (١) ، أي : ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار .

٨- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ (٢) ، وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية ، بل ذلك مطلوب ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (٣) .

وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٧٢ .
(٢) سورة طه آية : ١٣١ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٦٠ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٥) سورة الجاثية آية : ١٣ .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [(١)] .

فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات ، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها ، بل أن يكون لهم مصانع وتقنيات .

٩- التسمي بأسمائهم :

بحيث يسمي بعض المسلمين أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية ، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم ، والأسماء المعروفة في مجتمعهم ، وقد قال النبي ﷺ : ﴿ إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ﴾ [(٢)] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢١٣٢)) ، وبسبب تغيير الأسماء فقد وُجِدَ جيل يحمل أسماء غريبة ، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة ، ويقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة .

١٠- الاستغفار لهم والترحم عليهم :

وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [(٣)] ؛ لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه .

١١- حكم الاستعانة بالكفار في الوظائف والقتال ونحو ذلك :

(أ) في الوظائف : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٩ .

(٢) مسلم الآداب (٢١٣٢) ، الترمذي الأدب (٢٨٣٣) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٩) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٢٨) ، أحمد (٢/٢٤) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٩٥) .

(٣) سورة التوبة آية : ١١٣ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١١٨ .

قال البغوي رحمه الله : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ [1] أي : أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم ، وبطانة الرجل : خاصته ، ثم بين سبحانه العلة في النهي عن اتخاذهم بطانة فقال : ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ [2] ، أي : لا يقصرون في عمل ما يضركم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين ، وبما يطلعون عليه من أسرارهم ، ومن الأبيات المشهورة :

كل العداوة قـد ترجـى مودتـهـا إلا عداوة مـن عـاداك في الـدين

ولهذا وغيره مُنِعُوا أن يكونوا على ولاية المسلمين - يعني : في الوظائف - ، بل إن استعمال من هو دونهم في الكفاية - يعني من المسلمين - أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم ، والقليل من الحلال يبارك فيه ، والكثير من الحرام يذهب ويمحقه الله تعالى . انتهى [3] .

وقد تبين مما سبق :

١- أنه لا يجوز أن يولى الكافر ولاية فيها سلطة على المسلمين أو اطلاع على أسرارهم كاتخاذهم وزراء ومستشارين ؛ لقوله تعالى ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ [4] ، أو موظفين في أعمال الدولة الإسلامية .

٢- أنه يجوز استئجارهم للقيام ببعض الأعمال الجانبية التي لا تشكل خطرًا على سياسة الدولة المسلمة كالدلالة على الطريق ، وما في معناه كبناء المباني وإصلاح الطرق ، بشرط أن لا يكون في المسلمين من يصلح للقيام بذا العمل ، فإن ﴿ النبي ﷺ

(١) سورة آل عمران آية : ١١٨ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٨ .
(٣) (مجموع الفتاوى (٢٨/٦٤٦) باختصار) .
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٨ .

استأجر هو وأبو بكر رجلًا من بني الديل هاديًا خِريتًا يدلهما على الطريق في سفر الهجرة إلى المدينة وكان رجلًا مشركًا ﴾ (1) (2) .

(ب) أما الاستعانة بهم في القتال : ففي المسألة خلاف بين أهل العلم ، والصحيح : جواز ذلك عند الحاجة والضرورة إذا كان المستعان به منهم مأمونًا في الجهاد ، قال ابن القيم في فوائد صلح الحديبية : ومنها أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة ، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم (3) ويجوز لضرورة لما روى الزهري أنه ﷺ استعان بناس من اليهود في حرب خيبر سنة سبع ، وشهد صفوان حنينًا وهو مشرك ، والضرورة مثل كون الكفار أكثر عددًا ويخاف منهم بشرط أن يكون حسن الرأي في المسلمين ، أما عند عدم الحاجة فلا تجوز الاستعانة بهم ؛ لأن الكافر لا يؤمن مكره وغائلته لخبث طويته .

ثانيًا : من مظاهر موالاة المؤمنين

١ - الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين :

والهجرة : هي الانتقال من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين ، والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة ، وقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، فتحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار إلا إذا كان لا يستطيع الهجرة منها ، أو كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ، ونشر الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ

---

(١) البخاري المناقب (٣٦٩٤) .

(٢) (رواه البخاري (٣/٤٨)) .

(٣) (زاد المعاد : (٣/٣٠١) بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط) .

مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [1] .

٢- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم :

قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ ﴾ [3] .

٣- التألم لألمهم والسرور بسرورهم :

قال النبي ﷺ : ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [4] (رواه البخاري (٧٧/٧ ، ٧٨) ، ومسلم ، الحديث برقم (٢٥٨٦)) ، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام : ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا (رواه البخاري (٨٠/٧) ، ومسلم ، الحديث برقم (٢٥٨٥)) ، وشبك بين أصابعه ﷺ ﴾ [5] .

٤- النصح لهم ، ومحبة الخير لهم ، وعدم غشهم وخديعتهم :

قال ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [6] ، وقال : ﴿ المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله

---

(١) سورة النساء الآيات : ٩٧ - ٩٩ .

(٢) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٧٢ .

(٤) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .

(٥) البخاري الأدب (٥٦٨٠) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) ، أحمد (٤٠٥/٤) .

(٦) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

وعرضه ﴾ [1] (رواه البخاري (٩٨/٣) ، ومسلم ، الحديث برقم (٢٥٦٤) واللفظ له) ، وقال ﷺ : ﴿ لا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تناجشوا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانًا ﴾ [2] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٥٦٤)) .

٥- احترامهم وتوفيرهم ، وعدم تنقصهم وعيبهم :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [3] .

٦- أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء :

بخلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء ، ويتخلون عنهم في حال الشدة ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾ [4] .

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) ، أحمد (٢٧٧/٢) .

(٢) البخاري الأدب (٥٧١٨) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٥) ، أبو داود الأدب (٤٩١٠) ، أحمد (٢٢٥/٣) ، مالك الجامع (١٦٨٣) .

(٣) سورة الحجرات الآيتان : ١١ - ١٢ .

(٤) سورة النساء آية : ١٤١ .

٧- زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم :

وفي الحديث القدسي : ﴿ وجبت محبتي للمتزاورين فيّ ﴾ [١] (رواه مالك في الموطأ (طبعة دار النفائس ، بيروت) ، الحديث برقم (١٧٣٥) ، وأحمد (٥/ ٢٣٣)) ، **وفي حديث آخر :** ﴿ أن رجلًا زار أخًا له في الله في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في الله في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربا ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عَزَّلَ قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه ﴾ [٢] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٥٦٧)) .

٨- احترام حقوقهم :

فلا يبيع على بيعهم ، ولا يسوم على سومهم ، ولا يخطب على خطبتهم ، ولا يتعرض لما سبقوا إليه من المباحات ، قال ﷺ : ﴿ ألا لا يبع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه ﴾ [٣] (رواه البخاري (٣/٢٤) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٥١٤)) ، **وفي رواية :** ﴿ ولا يسم على سوم أخيه ﴾ [٤] (رواه مسلم ، الحديث برقم (١٥١٥)) .

---

(١) أحمد (٥/٢٣٧) ، مالك الجامع (١٧٧٩) .

(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٧) ، أحمد (٢/٤٨٢) .

(٣) البخاري البيوع (٢٠٣٣) ، مسلم النكاح (١٤١٣) ، الترمذي النكاح (١١٣٤) ، النسائي النكاح (٣٢٣٩) ، أبو داود النكاح (٢٠٨٠) ، ابن ماجه النكاح (١٨٦٧) ، أحمد (٢/٢٣٨) ، مالك النكاح (١١١١) ، الدارمي النكاح (٢١٧٥) .

(٤) البخاري الشروط (٢٥٧٧) ، مسلم البيوع (١٥١٥) ، النسائي البيوع (٤٥٠٢) ، ابن ماجه التجارات (٢١٧٢) ، أحمد (٢/٣٩٤) .

٩- الرفق بضعفائهم :

كما قال النبي ﷺ ﴿ ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ﴾ [(١)] (رواه الترمذي ، الحديث برقم (١٩١٩)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ﴾ [(٢)] (رواه البخاري (٢٢٥/٣)) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [(٣)] .

١٠- الدعاء لهم والاستغفار لهم :

قال تعالى : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [(٤)] ، وقال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [(٥)] .

تنبيه :

وأما قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ ﴾ [(٦)] ، **فمعناه :** أن من كف أذاه من الكفار ، فلم يقاتل المسلمين ، ولم يخرجهم من ديارهم ، فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي ، ولا يحبونه بقلوبهم ؛ لأن الله قال : ﴿ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ [(٧)] ، ولم يقل : توالونهم وتحبونهم .

---

(١) الترمذي البر والصلة (١٩٢٠) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٣) ، أحمد (٢٠٧/٢) .
(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٧٣٩) ، النسائي الجهاد (٣١٧٨) ، أحمد (١٧٣/١) .
(٣) سورة الكهف آية : ٢٨ .
(٤) سورة محمد آية : ١٩ .
(٥) سورة الحشر آية : ١٠ .
(٦) سورة الممتحنة آية : ٨ .
(٧) سورة الممتحنة آية : ٨ .

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين الكافرين : ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ﴾ [1] ، وقد ﴿ جاءت أم أسماء إليها تطلب صلتها وهي كافرة ، فاستأذنت أسماء رسول الله ﷺ في ذلك ، فقال لها : صلي أمك ﴾ [2] (رواه البخاري (١٤٢/٣) ، ومسلم ، الحديث رقم (١٠٠٣)) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [3] ، فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء ، والمودة شيء آخر .

ولأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيبًا للكافر في الإسلام فهما من وسائل الدعوة ، بخلاف المودة والموالاة فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه والرضى عنه ، وذلك يسبب عدم دعوته إلى الإسلام .

وكذلك تحريم موالاة الكفار لا تعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة ، واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة ، والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم ، فالنبي ﷺ استأجر ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر ، واستدان من بعض اليهود .

وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار ، وهذا من باب الشراء منهم بالثمن ، وليس لهم علينا فيه فضل ولا منة ، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم ، فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم ، وبغض الكافرين ومعاداتهم .

---

(١) سورة لقمان آية : ١٥ .

(٢) البخاري الهبة وفضلها والتحريض عليها (٢٤٧٧) ، مسلم الزكاة (١٠٠٣) ، أبو داود الزكاة (١٦٦٨) ، أحمد (٣٤٧/٦) .

(٣) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [1] إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ [2] .

قال الحافظ ابن كثير : (ومعنى قوله : ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ [3] أي : إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس ، وهو التباس الأمر ، واختلاط المؤمنين بالكافرين ، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل) انتهى .

قلت : وهذا ما حصل في هذا الزمان ، والله المستعان .

ثالثًا : أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من يُحَب محبة خالصة لا معاداة معها :

وهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين ، ثم زوجاته أمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين ، وصحابته الكرام ، خصوصًا الخلفاء الراشدين ، وبقية العشرة ، والمهاجرين ، والأنصار ، وأهل بدر ، وأهل بيعة الرضوان ، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، ثم التابعون ، والقرون المفضلة ، وسلف هذه الأمة وأئمتها كالأئمة الأربعة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ

---

(1) سورة الأنفال آية : ٧٢ .
(2) سورة الأنفال آية : ٧٣ .
(3) سورة الأنفال آية : ٧٣ .

لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [1] .

ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان ، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج ، نسأل الله العافية .

القسم الثاني : من يُبغض ويُعادَى بغضًا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما :

وهم الكفار الخلص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أناسهم ، وكما قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [2] ، وقال تعالى- عائبًا على بني إسرائيل - : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [3] .

القسم الثالث : من يُحَب من وجه ، ويُبغَض من وجه آخر :

فتجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين ، يحبون لما فيهم من الإيمان ، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك ، ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم ، فلا يجوز السكوت على معاصيهم ، بل ينكر عليهم ، ويؤمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات ؛ حتى يكفوا عن معاصيهم ، ويتوبوا عن سيئاتم ، ولكن لا يبغضون بغضًا خالصًا ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .
(٢) سورة المجادلة آية : ٢٢ .
(٣) سورة المائدة الآيتان : ٨٠ - ٨١ .

الكبيرة التي هي دون الشرك ، ولا يحبون ويوالون حبا وموالاة خالصين كما تقول المرجئة ، بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان ، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث ، وقد تغير الوضع وصار غالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا ، فمن كان عنده مطمع من مطامع الدنيا والوه وإن كان عدوا لله ولرسوله ولدين المسلمين ، ومن لم يكن عنده مطمع من مطامع الدنيا عادوه ولو كان وليا لله ولرسوله عند أدنى سبب ، وضايقوه واحتقروه .

وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ﴿ من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تناول ولاية الله بذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا ﴾ [(١)] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ﴾ [(٢)] (رواه البخاري (١٩٠/٧)) .

وأشد الناس محاربة لله من عادى أصحاب رسول الله ﷺ وسبهم وتنقصهم ، وقد قال ﷺ : ﴿ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه ﴾ [(٣)] (رواه الترمذي ، الحديث برقم (٣٨٦٢)) ، أخرجه الترمذي وغيره .

(١) (رواه ابن جرير) .
(٢) البخاري الرقاق (٦١٣٧) .
(٣) الترمذي المناقب (٣٨٦٢) ، أحمد (٨٧/٤) .

وقد صارت معاداة الصحابة وسبهم دينًا وعقيدة عند بعض الطوائف الضالة ، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه ، ونسأله العفو والعافية ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

المحاضرة الرابعة عشرة
من مشكلات الشباب وكيف عالجها الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بعثه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فإن حديثي إليكم في موضوع يهم جميع المسلمين ، ألا وهو موضوع الشباب ومشكلاته ، وما ينبغي أن يتخذ لتوجيهه ، ولا أقدر على توفية الموضوع حقه أو على الإلمام به ، وإنما هي محاولة أبدأ الحديث فيها حسب استطاعتي ، وهي كالإشارة أو كالمنبه ، والله ولي التوفيق .

دور الشباب في الحياة [1]

لا شك أيها الإخوة أن دور الشباب في الحياة دور مهم ، فهم إذا صلحوا ينهضون بأمتهم ، ويقومون بنشر دينهم والدعوة إليه ؛ لأن الله أعطاهم من القوة البدنية والقوة الفكرية ما يفوقون به كبار السن ، وإن كبار السن يفضلونهم بالسبق والتجارب والخبرة ، إلا أن ضعف أجسامهم في الغالب وضعف قواهم لا يمكنهم مما يقوم به الشباب الأقوياء ، ومن هنا كان دور شباب الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - هو الدور العظيم في نشر

---

(١) (كان هذا البحث عبارة عن محاضرة قيمة ألقاها فضيلته في كلية الشريعة بالقصيم خلال الموسم الثقافي للكلية) .

هذا الدين تفقهًا في دين الله ، وجهادًا في سبيله ، من أمثال عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ، وغيرهم من شباب الصحابة الذين نلوا من العلم النافع ، وحفظوا لهذه الأمة ميراث نبيها ﷺ وبلغوه ، وإلى جانبهم القادة كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني وغيرهما ، كلهم أمة واحدة قاموا بأعباء واجبهم ، فأدوا دورًا كبيرًا تجاه دينهم وأمتهم ومجتمعهم ، لا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، وستبقى بإذن الله ما بقي الإسلام ، وشباب هذه الوقت هم من ورثة أولئك إذا ما أحسنوا لأنفسهم ، وعرفوا مكانتهم ، وتحملوا أمانتهم ، فهو ورثة أولئكم الشباب الأقدمين ، وقد أخبر النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، منهم ﴿ شاب نشأ في عبادة الله ﴾ [1] (رواه البخاري (١ م ١٦١) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٠٣١)) .

توجيهات الرسول ﷺ للشباب

والنبي ﷺ كان يولي جانبًا من توجيهاته إلى الشباب فيقول ﷺ لابن عباس : ﴿ يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ﴾ [2] (رواه الترمذي ، الحديث برقم (٢٥١٦)) ، ويقول ﷺ لمعاذ بن جبل وهو رديفه على حمار : ﴿ يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ ﴾ [3] إلى آخر الحديث ، ويقول ﷺ لعمر بن أبي سلمة ربيبه ، وهو طفل صغير لما أراد أن يأكل مع النبي ﷺ وجالت يده في الصحفة ، أمسك

---

(١) البخاري الزكاة (١٣٥٧) ، مسلم الزكاة (١٠٣١) ، الترمذي الزهد (٢٣٩١) ، النسائي آداب القضاة (٥٣٨٠) ، أحمد (٤٣٩/٢) ، مالك الجامع (١٧٧٧) .

(٢) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .

(٣) البخاري التوحيد (٦٩٣٨) ، مسلم الإيمان (٣٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٣) ، أبو داود الجهاد (٢٥٥٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦) ، أحمد (٢٣٨/٥) .

النبي ﷺ بيده وقال : ﴿ يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ﴾ [(1)] (رواه البخاري (١٩٦/٦) ، ومسلم ، الحديث برقم (٢٠٢٢)) ، فهذه توجيهات من النبي ﷺ يوجهها لطفل ليغرس في قلبه هذه الآداب العظيمة ، وهذا مما يدل على أهمية توجيه الشباب نحو الخير ومسؤولية الكبار نحوهم .

العناية بالشباب

ديننا الإسلامي اهتم بتنشئة الشباب اهتمامًا بالغًا ؛ لأنهم هم الرجال في المستقبل ، وهم الذين سيخلفون آباءهم ، ويرثونهم ، ويقومون بدورهم في الحياة ، فمن توجيهات الإسلام إلى العناية بالشباب .

أولا - اختيار الزوجة الصالحة :

التي هي منبت الأولاد ، وهي موضع الحرث الذي ينبت فيه الأولاد ، فالنبي ﷺ حثنا على اختيار الزوجة الصالحة ، وقال ﷺ ﴿ اظفر بذات الدين تربت يداك ﴾ [(2)] (رواه البخاري (١٢٣/٦) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٤٦٦)) ؛ لأن الزوجة الصالحة إذا رزق الله الزوج منها أولادًا فإنها توجههم ، وتقوم بدورها نحوهم من طفولتهم ، هذا من توجيهات الإسلام نحو الشباب .

ثانيًا - اختيار الوالد الاسم الحسن للمولود :

ومن توجيهات الإسلام نحو المولود أول ما يولد أن يختار والده له الاسم الحسن ؛ لأن الاسم الحسن له معنى وله مدلول ، فالنبي ﷺ حث على أن يختار الأب لولده اسمًا حسنًا ، وأن يبتعد عن الأسماء المكروهة أو الأسماء التي تدل أو تشتمل على معان غير لائقة .

---

(١) البخاري الأطعمة (٥٠٦١) ، مسلم الأشربة (٢٠٢٢) ، أبو داود الأطعمة (٣٧٧٧) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٦٧) ، أحمد (٢٦/٤) ، مالك الجامع (١٧٣٨) ، الدارمي الأطعمة (٢٠١٩) .

(٢) البخاري النكاح (٤٨٠٢) ، مسلم الرضاع (١٤٦٦) ، النسائي النكاح (٣٢٣٠) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٧) ، ابن ماجه النكاح (١٨٥٨) ، أحمد (٤٢٨/٢) ، الدارمي النكاح (٢١٧٠) .

ثالثًا - عقيقة الآباء عن أبنائهم :

ومن توجيهات الإسلام نحو الشباب أن وجه آباءهم إلى أن يعقوا عنهم ، أي : يذبحوا عنهم العقيقة ، وهي سنة مؤكدة ، ولها تأثير طيب على الطفل ، وهي ليست لمجرد تحصيل اللحم والفرح ، وهذا مما يدل على عناية الإسلام بالشباب أول نشأتهم .

رابعًا : الاهتمام بتربية الشباب : ومن عناية الإسلام بالشباب الاهتمام بتربيتهم إذا بلغوا سن التمييز وصار عندهم الإدراك ، فحينئذ يبدأ بتوجيههم إلى الدين ، يقول ﷺ : ﴿ مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع ﴾ [1] ، وهذا مما يدل على أن الإسلام يهتم بالشباب ويتطور معهم في التوجيه من سن إلى أخرى حسب استطاعتهم ومداركهم ، كذلك النبي ﷺ يقول : ﴿ كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾ [2] ، فالمولود يولد على الفطرة ، وهذه الفطرة إذا ما حافظ عليها أبواه ووجهاها إلى الخير اتجهت نحو الخير ؛ لأنها تربية صالحة ، أما إذا انحرف الأبوان في تربية الطفل فإن فطرته تفسد وتنحرف بحسب تربية الوالد ، فإن كان الوالد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا نشأ الطفل على هذه الديانة الخبيثة ، وفسدت فطرته ، أما إذا كان أبوه مسلمًا صالحًا فإنه يحافظ على هذه الفطرة التي أودعها الله في هذا الطفل ، وينميها ويزكيها ويتعاهدها .

خامسًا : وجوب بر الولد بوالديه :

ومما يدل على الاهتمام بأمر الشباب في سن مبكرة أن الله تعالى أمر الولد حينما يدرك الكبر والديه أو أحدهما أن يحسن إليهما ، أو إلى الموجود منهما ، وأن يتذكر تربيتهما له يوم أن كان صغيرًا ، قال جل شأنه : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

---

(١) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

(٢) البخاري الجنائز (١٣١٩) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٣١٥/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] .

وموضع الشاهد من الآيتين هو قوله تعالى : ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [2] ، فتربية الوالدين لولدهما نعمة وإحسان إليه يجب أن يكافئ عليه والديه ، وليس المراد بالتربية التربية الجسمية فقط التي هي عبارة عن توفير الطعام والشراب ، هذه تربية بيمية إن اقتصر عليها ، لكن الأهم من ذلك التربية المعنوية التي هي المحافظة على فطرته السليمة ، وتوجيهها إلى الخير وغرس الخير في نفسه ، وتنشئته على الخير ، هذه هي التربية المفيدة التي تبقى آثارها على المولود ، وتنمو معه وتصاحبه .

أما التربية الجسمية فقط فهذه أقرب إلى إفساده منها إلى إصلاحه ؛ لأن الطفل إذا أغدق عليه الطعام والشراب والشهوات ، وأهمل جانب التربية الصحيحة له ، فإن ذلك مما يدعوه إلى أن ينشأ نشأة بيمية ، أما إذا ربي التربيتين : التربية الجسمية لأن التربية الجسمية لا بد منها في حدود المعقول ، وفي حدود المشروع من غير إسراف ولا تبذير ، وإلى جانبها التربية المعنوية ، فإن ذلك هو الخير الكثير الذي يتذكره الولد عندما يدرك إحسان والديه إليه ، فيقول كما أمر الله : ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [3] .

مشكلات الشباب وأسبابا

أيها الإخوة : ومن نقاط الموضوع الذي نريد التحدث عنه بعض مشاكل الشباب ، وما ينبغي أن تعالج به في ضوء الإسلام ، ولا شك أن الإسلام يحل جميع المشاكل ،

---

(١) سورة الإسراء الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٤ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٢٤ .

فالإسلام إذا طبق تطبيقًا صحيحًا فإنه لا تبقى معه مشكلة في الحياة ، ومن ذلك مشاكل الشباب في هذا العصر ، وهي مشاكل كثيرة ، منها :

أولا : تيارات تواجه الشباب :

إن الشباب الآن يتعرضون لتيارات خطيرة ، وهذه من أعظم المشاكل إذا تركوا معها ، فإنا تفسد أخلاقهم وسلوكهم ، وتفسد عقيدتم ، وهي تيارات كثيرة ومتنوعة ومتعددة المصادر ، تيارات تحملها وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات وكتب هدامة تلفظها المطابع ، وهي تحمل سما زعاقًا ، وتتلقفها أيدي الشباب أو كثير من الشباب الذين لا يميزون بين الضار والنافع .

هذه التيارات المتنوعة من مقروءة ومرئية ومسموعة إذا تركت تعصف بالشباب فإن نتائجها تكون وخيمة ؛ لأن الشباب الآن كثير منهم من تغيرت أخلاقه ، وصاروا يقلدون الغرب أو الشرق في لباسهم ، وفي شعورهم ، وفي حركاتم ، طبقًا لما يسمعون ويقرءون مما تحمله إليهم هذه الوسائل التي أغلب أحوالها أن فيها الدس الكثير لإفسادهم ، والأهم من ذلك تغيير عقيدتم ، فقد تحول بعض الشباب المسلم إلى ملحد ، إلى شيوعي ، إلى بعثي ، إلى غير ذلك من الأفكار الهدامة ؛ لأنه ما دام مقبلا على تلقف هذه الدعايات ، وهي تُدْفَع إليه بيسر وسهولة ، وهو فارغ الذهن من غيرها ، ليس عنده من الحصانة ، ولا من العلم ما يفهم به هذه الشبهات المدسوسة ، أو هذه الدعايات المضللة ، فإنه يتقبل ما يصل إليه كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

فالشاب الذي يتلقف هذه الدعايات وهو خالي الذهن مما يضادها من العلم النافع لا شك أنا ترسخ في ذهنه ، ويصعب بعد ذلك اجتذابا منه ، هذه من مشاكل الشباب المعاصرة .

ثانيًا : مشكلة الانحراف في التصور والخلق والتفكير :

من أسباب هذه المشكلة التي هي مشكلة الانحراف في التصور والانحراف في الخلق والانحراف في التفكير ، بعض وسائل الإعلام ، ولا أقول كل وسائل الإعلام ؛ لأن وسائل الإعلام فيها الصالح ، ولكنه قليل ، والأكثر ضار ، بعد ذلك يأتي دور السفر للخارج ، يسافر الشاب إلى الخارج ، إلى البلاد الكافرة ، إلى البلاد المنحرفة التي ضاعت فيها الأخلاق ، وفسدت فيها العقائد ، ليشاهد هذه البلاد بما فيها ، فيشاهد الإباحية والأفكار الفاسدة ، وليس عنده مما يدافعها أو يبين زيفها ، ليس عنده الرصيد الكافي ، أو ليس عنده رصيد أصلًا ، وهو شاب في ريعان الشباب ، فإذا سافر إلى تلك البلاد وخالط أهلها سرعان ما يتغير لدينه ومجتمعه المسلم ، ويعود صفر اليدين ، هذا من أسباب الانحراف الخلقي والعقدي في الشباب ، وهو السفر إلى الخارج ، الخارج الذي يموج بالفساد .

ثالثًا : ومن أسباب ذلك فشو الجهل ، جهل كثير من الشباب بدينهم ؛ لأنهم لم يتلقوا من دينهم وعلومه الحصانة الكافية التي يعرفون بها الخبيث من الطيب ، والضار من النافع ، ويميزون بها بين الحلال والحرام .

لهذه الأسباب ولغيرها أثرت هذه التيارات الهدامة في الشباب تأثيرًا بليغًا ، مما ظهرت آثاره عليهم ، وتعاظمت شروره ، وتفاقم خطره .

العلاج الناجح لمشكلات الشباب

وعلاج هذه المشكلة إذا ما نصحنا لله ولرسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، علاج هذه المشكلة ميسور يتلخص في أمور قريبة ميسورة :

الأمر الأول : إصلاح المناهج التعليمية التي يتلقونها في المدارس ، بحيث تُمْلأ هذه المناهج بالعلوم الدينية النافعة ، بعلوم العقائد الصحيحة ، ومعرفة الحلال من الحرام في المعاملات ، وفي المأكل والمشرب والعادات والأخلاق ؛ حتى تمتلئ قلوبهم بالعلم النافع الذي إذا تسلحوا به استطاعوا أن يميزوا بين الطيب والخبيث ، وأن يقاوموا الشبه التي

تواجههم في إصلاح المناهج أولا ، واختيار المدرسين الأكْفاء الصالحين الذين يوصلون حصيلة هذه المناهج وهذه العلوم النافعة ، يوصلونا إلى قلوب الشباب ، ويربونم با .

الأمر الثاني : التقاء الشباب بالعلماء من خلال ندوات تقام في المساجد وفي المدارس وفي غيرها ، ندوات مفتوحة للإجابة عن مشكلاتم ، ولتوضيح الطريق أمامهم ، فإن على العلماء مسؤولية عظيمة نحو شباب المسلمين ، ولكن - وأقولها بكل مرارة - الآن الفجوة كبيرة بين الشباب وبين العلماء ، فالعلماء غالبهم في ناحية ، والشباب في ناحية أخرى ، وهذا ما سبب ضياع الشباب ، وإلى يوم كان الشباب يلتقون بعلمائهم فقد كانوا على بينة من أمرهم ، ولكن حينما انفصل الشباب عن علمائهم حصلت هذه النكسات العظيمة .

الأمر الثالث : من الأمور التي يعالج با هذا الانحراف ، وتقاوم با هذه التيارات الموجهة نحو الشباب ، منع سفرهم إلى الخارج إلا لضرورة ملحة ، مع وضع الضوابط والضمانات التي تبعدهم عن مخاطر السفر إلى بلاد الكفر ، أما إذا تركوا ليسافروا على علاتم فإن الأمر خطير جدا .

هذه أمور أراها إذا ما تحققت فإنا ستقاوم هذه التيارات التي تجتذب الشباب :

أولا : إصلاح المناهج واختيار المدرسين الصالحين .

ثانيًا : التقاء الشباب بعلمائهم من خلال الندوات والمحاضرات وغير ذلك .

ثالثًا : منع هذا الزحف ، وهو سفرهم إلى الخارج إلا لضرورة ملحة ، مع وضع الضوابط والضمانات الكفيلة بإبعادهم عن مخاطر هذه الأسفار الخطيرة .

رابعًا : إصلاح وسائل الإعلام بحيث لا تبث إلا ما هو صالح ومفيد موجه نحو الخير .

الشباب والزواج

ومن مشاكل الشباب أيضًا عزوفهم عن الزواج ، وهو مشكلة عظيمة ، ويترتب عليه مضار كبيرة لا يعلمها إلا الله ، وهم يتعللون بتعليلات منها :

أولا : قولهم : إن الزواج المبكر يشغل عن الدراسة والاستعداد للمستقبل .

ثانيًا : قولهم : إن الزواج المبكر يحمل الشاب مسؤولية الإنفاق على زوجته وأولاده .

ثالثًا : قولهم - وهذا من أخطر الأسباب لنفور الشباب عن الزواج - : العراقيل التي وضعت في طريق الزواج من تكاليف باهظة وإسراف قد لا يستطيعه الشاب ، هذه هي في نظري أهم أسباب تلك المشكلة .

وعلاج هذه المشكلة بسيط وميسور إذا ما صدقنا النية :

فأولًا : يبين للشباب ما في الزواج من مزايا وحسنات وخيرات ترجح على ما ذكروه من معوقات أو من مشاق ، وليس في هذه الدنيا شيء إلا ويقابله شيء ، أنا لا أقول : إن الزواج ميسور من كل وجه ، أو ليس فيه مشقة ، أو ليس فيه مشاكل ، نعم فيه مشاكل وفيه مشاق ، ولكن فيه مصالح ترجح على هذه المشاكل وعلى هذه المشاق ، وبالتالي تنسيها ، فيشرح للشباب مصالح الزواج حتى يقتنعوا ويرغبوا فيه ، **فالزواج :**

أولًا : فيه إعفاف الفرج وغض البصر ، يرشد إلى هذا قول النبي ﷺ : ﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ﴾ [1] (رواه البخاري (٦/١١٧) ، ومسلم ، الحديث برقم (١٤٠٠)) ، فالنبي ﷺ أرشد الشباب وخصهم بذلك ؛ لأن عندهم الاستعداد للزواج ، وعندهم الطاقة التي إذا ما بودرت بوضعها في موضعها السليم أفادت ، فالشباب ينبغي له أن يتزوج في سن مبكرة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا ، والاستطاعة - والحمد لله

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٩) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٣٩) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٥) .

وخصوصًا في زماننا هذا - موجودة في الغالب ، فلا عذر للشباب أو لكثير من الشباب في تركهم الزواج ، ويبين ﷺ ما للزواج المبكر من مزايا فإنه أحصن للفرج ، قال ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ ﴾ [(١)] .

فإنه أحصن للفرج ، أي : الزواج يؤمنك من خطر عظيم ، هو خطر الفرج ، فإنه أحصن للفرج ، وأغض للبصر ، إذا تزوج فإنه بذلك تقر عينه ، ولا ينظر إلى هنا وهناك ، أو يتطلع إلى ما حرم الله عليه ؛ لأن الله أغناه بحلاله عن حرامه ، وكفاه بفضله عمن سواه ، فإنه أحصن للفرج ، وأغض للبصر .

ثانيًا : الزواج يحصل به السكن النفسي والراحة ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ ﴾ [(٢)] ، فإذا تزوج الشاب سكنت نفسه عن الاضطراب والقلق وارتاح ضميره ، ﴿ لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [(٣)] ؛ لأن الشاب بدلًا من أن يكون مزعزع الفكر فإن تزوجه من أسباب سكون نفسه وطمأنينته وارتياحه ، وبالتالي يكون سببًا في خيرات كثيرة تترتب عليه .

الزواج المبكر وفوائده

ومن فوائد الزواج المبكر : حصول الأولاد الذين تقر بم عينه ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾ [(٤)] ، فالأزواج والأولاد قرة أعين ، إذ إن الله سبحانه وتعالى وعده أو أخبره بأن الزواج تحصل به قرة العين ، فهذا ما يشجع الشاب ويقنعه بأن يقبل على الزواج بـ : ﴿ هَبۡ لَنَا مِنۡ

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٥ .
(٢) سورة الروم آية : ٢١ .
(٣) سورة الروم آية : ٢١ .
(٤) سورة الفرقان آية : ٧٤ .

أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [1] ، كما أن الأولاد أيضًا أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم شطر زينة الحياة الدنيا : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [2] .

فالأولاد هم زينة الحياة الدنيا ، والإنسان يطلب الزينة ، وكما أنه يطلب المال كذلك يطلب الأولاد ؛ لأنهم يعادلون المال في كونهم زينة الحياة الدنيا ، هذا في الدنيا ، ثم في الآخرة الأولاد الصالحون يجري نفعهم على آبائهم كما قال ﷺ : ﴿ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له ﴾ [3] (رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٦٨٢) ، والترمذي ، الحديث برقم (١٣٧٦)) ، فالأولاد إذن فيهم مصالح عظيمة في الحياة وبعد الموت .

كذلك في الزواج المبكر وحصول الأولاد : تكثير الأمة الإسلامية ، وتكثير المجتمع الإسلامي ، يقول ﷺ : ﴿ تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم ﴾ [4] ، أو كما يقول ﷺ فالزواج تترتب عليه مصالح عظيمة منها ما ذكرنا ، فإذا ما شرحت للشاب هذه المزايا وهذه المصالح فستضمحل أمامه المشكلات التي يجعلها عائقة له عن الزواج .

أما أن يقال : الزواج المبكر يشغل عن التحصيل العلمي وعن الدراسة فليس هذا بمُسَلم ، بل الصحيح العكس ؛ لأنه ما دام أن الزواج تحصل به المزايا التي ذكرناها ، ومنها السكون والطمأنينة وراحة الضمير وقرة العين ، فهذا مما يساعد الطالب على التحصيل ؛ لأنه إذا ارتاح ضميره وصفا فكره من القلق فهذا يساعده على التحصيل ، أما عدم الزواج فإنه في الحقيقة هو الذي يحول بينه وبين ما يريد من التحصيل العلمي ؛ لأنه مشوش الفكر ، مضطرب الضمير ، لا يتمكن من التحصيل العلمي .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٧٤ .

(٢) سورة الكهف آية : ٤٦ .

(٣) مسلم الوصية (١٦٣١) ، الترمذي الأحكام (١٣٧٦) ، النسائي الوصايا (٣٦٥١) ، أبو داود الوصايا (٢٨٨٠) ، ابن ماجه المقدمة (٢٤٢) ، أحمد (٣٧٢/٢) ، الدارمي المقدمة (٥٥٩) .

(٤) النسائي النكاح (٣٢٢٧) ، أبو داود النكاح (٢٠٥٠) .

لكن إذا تزوج وهدأ باله ، وارتاحت نفسه ، وحصل على بيت يأوي إليه ، وزوجة تؤنسه وتساعده ، فإن ذلك مما يساعده على التحصيل ، فالزواج المبكر إذا يسر الله وصار هذا الزواج مناسبًا فإن هذا مما يسهل على الطالب السير في التحصيل العلمي ، لا كما يتصور أنه يعوقه .

كذلك قولهم : إن الزواج المبكر يحمل الشاب مؤونة النفقة على الأولاد وعلى الزوجة إلى آخره ، هذا أيضًا ليس بمسلم به ؛ لأن الزواج تأتي معه البركة والخير ؛ لأنه طاعة له ورسوله ، والطاعة كلها خير ، فإذا تزوج الشاب ممتثلًا أمر النبي ﷺ ومتحريًا لما وعد به من الخير ، وصدقت نيته ، فإن هذا الزواج يكون سبب خير له ، والرزق بيد الله ﷻ ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ [1] ، فالذي يسر لك الزواج سييسر لك الرزق ولأولادك ﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ ﴾ [2] .

فالزواج لا يحمل الشاب كما يتصور أنه يحمله فوق طاقته ؛ لأنه يأتي معه الخير ، وتأتي معه البركة ، والزواج سنة الله سبحانه وتعالى في البشر لا بد منه ، فهو ليس شبحًا مخيفًا ، وإنما هو باب من أبواب الخير لمن صلحت نيته ، أما ما يتعللون به من العراقيل التي وضعت في طريق الزواج فهذه من تصرفات الناس السيئة .

أما الزواج في حد ذاته فلا يطلب فيه هذه الأشياء ، فضخامة المهر مثلًا والحفلات الزائدة عن المطلوب وغير ذلك من التكاليف ، هذه ما أنزل الله بها من سلطان ، بل المطلوب في الزواج التيسير ، فيجب أن يبين للناس أن هذه الأمور التي وضعوها في طريق الزواج أمور يترتب عليها مفاسد لأولادهم ولبناتهم ، وليست في صالحهم ، فيجب أن تعالج ، وأن يهتم بمعالجتها حتى تزول عن طريق الزواج ، وحتى يعود الزواج إلى يسره وإلى سهولته ؛ ليؤدي دوره في الحياة .

---

(١) سورة هود آية : ٦ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا جميعًا بالتوفيق والهداية ، وأن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يصلح شباب المسلمين ، وأن يرد للمسلمين مكانتهم وعزتم ، كما أن الله سبحانه وتعالى جعل العزة لهم في أول الأمر نسأله سبحانه أن يعيدها ، وأن يصلح شأنم ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرهم في دينهم ، وأن يكفيهم شر أعدائهم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة المنافقون آية : ٨ .

المحاضرة الخامسة عشرة

حكم الحب في الله والبغض في الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله ، خاتم النبيين محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فموضوع هذه المحاضرة هو من موضوعات العقيدة المهمة التي قد يغفل عنها كثير من الناس ، ألا وهو موضوع (الولاء والبراء) ، وبعبارة أخرى موضوع المحبة في الله ، والبغض في الله ، الذي هو أوثق عرى الإيمان ، كما جاء في الحديث .

فما معنى الولاء ؟ وما هي علاماته ؟

وكيف نهى الله سبحانه وتعالى عن اتخاذ عدوه وعدونا أولياء ؟

وهل تكون المحبة والبغض من أجل أمور الدنيا ؟

وكيف تكون البدع مبغضة عند الله ورسوله ؟

هذه وغيرها أسئلة نجيب عليها في هذه المحاضرة ، نرجو أن يكون عملنا خالصًا لوجه الله تعالى ، وأن ينفعنا به ، وينفع به المسلمين آمين .

أولا : المحبة في الله

١- معنى الولاء :

الولاء والبراء من موضوعات العقيدة المهمة ، **ومعناهما :** المحبة في الله والبغض في الله ، فالولاء مأخوذ من ولي الشيء : إذا قرب منه ، والمراد به : التقارب بين المسلمين

بقلوبهم ، وتحابهم في الله ، وتناصرهم ، وتعاضدهم لله ﷻ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢ ﴾ [1] .

وكما قال رسول الله ﷺ ﴿ مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ﴾ [2] ، وقال ﷺ : ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، وشبك بين أصابعه ﷺ ﴾ [3] ، وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [4] .

فالولاء معناه : القرب والتقارب بين أهل الإيمان بقلوبهم ، وهذا هو أصل الولاء ، حتى وإن تباعدت الأبدان ، فالمؤمنون يتحابون في مشارق الأرض ومغاربها ، وإن تباعدت ديارهم ، ونأت أقطارهم ، وحتى مع فارق الزمن فأول المؤمنين وآخر المؤمنين في هذه الحياة يحب بعضهم بعضًا ، ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [5] .

فالإيمان يربط بين المؤمنين أولهم وآخرهم إلى أن تقوم الساعة ، ويربط بين المؤمنين شرقيهم وغربيهم في بقاع الأرض أينما كانوا ؛ لأنهم إخوة ، لأنهم أمة واحدة ، لأنهم جسد واحد ، لأنهم بنيان يشد بعضه بعضًا .

هذه صفة المؤمنين التي وصفهم الله سبحانه وتعالى بها في قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .

(٢) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٤/٢٧٠) .

(٣) البخاري المظالم والغصب (٢٣١٤) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) ، أحمد (٤/٤٠٥) .

(٤) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

(٥) سورة الحشر آية : ١٠ .

ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [1] .

فبين سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة صفة المؤمنين المخالفة لصفة المنافقين بأن بعضهم أولياء بعض ، من الولاية بفتح الواو ، وهي المحبة والمناصرة واجتماع الكلمة .

٢- علامات الولاء بين المسلمين :

ومن علامات المحبة ، ومن مقتضيات المحبة :

(أ) التزاور :

التزاور في الله بين المتحابين ، فهذا من علامة المحبة ، وفي الحديث الصحيح : ﴿ أن رجلًا ممن كان قبلنا زار أخًا له في الله في قرية أخرى ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يمتحنه ، فأرصد الله له على مدرجته - يعني : على طريقه - ملكًا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟

قال : أريد أخًا لي في هذه القرية .

قال : هل لك عليه من نعمة تربا ؟

قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل .

قال له - أي : الملك - : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه ﴾ [2]

(رواه مسلم ، الحديث برقم (٢٥٦٧)) .

(ب) الجلوس مع المؤمنين :

ومن علامات المحبة الجلوس مع المؤمنين ، وحضور جماعات المسلمين ؛ لأنهم جماعة واحدة ، قال تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [3] .

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٧) ، أحمد (٤٨٢/٢) .

(٣) سورة الكهف آية : ٢٨ .

(ج) الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر :

فمن مقتضيات هذه المحبة كذلك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فالمسلم يأمر أخاه بالمعروف ، وهو فعل كل خير وطاعة ؛ لأن في ذلك نفعًا عاجلًا وآجلًا ، كما ينهاه عن المنكر ، وهو كل معصية ومخالفة ؛ لأن في ذلك ضررًا له عاجلًا وآجلًا .

قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [1] ، هذا من علامات الإيمان والمحبة لله عز وجل .

ثانيًا : البغض في الله وعلاماته

١ - النهي عن موالاة اليهود والنصارى :

كما أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يكونوا متحابين في الله فقد ناهم عن محبة أعدائه ، فقال : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2] .

فنهى الله سبحانه وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى ، وذلك يشمل محبتهم في القلوب ، ومناصرتهم على المؤمنين ، والدفاع عنهم ، وتبرير ما هم عليه ، ويشمل كذلك مدحهم والإشادة بهم والإعجاب بهم ، كل هذا يدخل في موالاتهم ، فالذي يحبهم من قلبه يكون وليا لهم ، ويكون مواليًا لهم ، ويكون معهم ومنهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ ﴾ [3] .

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٣) سورة المائدة آية : ٥١ .

ثم قال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝ ﴾ [1] .

وفي آية أخرى يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ ﴾ [2] .

٢- النهي عن موالاة أعداء الله ولو كانوا أقرب الأقارب :

يقول سبحانه وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن موالاة أعداء الله حتى ولو كانوا أقرب قريب : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ [3] .

فالمؤمن يبغض عدو الله ؛ لأنه ولي الله فيبغض عدو الله وإن كان أقرب الناس إليه ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما تبرأ من أبيه ، ليكون لنا قدوة : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [4] ، ويقول جل وعلا : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝ ﴾ [5] .

---

(١) سورة المائدة الآيتان : ٥٥ - ٥٦ .
(٢) سورة الممتحنة آية : ١ .
(٣) سورة المجادلة آية : ٢٢ .
(٤) سورة الممتحنة آية : ٤ .
(٥) سورة التوبة الآيتان : ١١٣ - ١١٤ .

وذكر في سورة مريم أن إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه إلى توحيد الله ﷻ وترك عبادة الأصنام ، ورأى أنه مصر على الكفر في الله ، وعبادة الأصنام ، وأنه لن يقبل دعوة إبراهيم ، قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في الآية : ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي ﴾ [1] اعتزلهم واعتزل ما يعبدونه من الأصنام ، وهكذا يكون أهل الإيمان ، وهكذا يكون أهل التوحيد ، ولاء في الله مع المؤمنين ولو كانوا بعيدين عنا في النسب ، أو في المكان ، أو في الزمان ، فالمؤمنون إخوة تربطهم أخوة الإيمان ، إخوة في الله دائمًا وأبدًا على هذه العقيدة .

والمؤمن عدو للكافر ؛ لأنه عدو لله ولو كان أقرب قريب إليه ، ما دام أنه عدو لله فإنه عدونا ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [2] إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [3] .

و ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾ [4] بمعنى : إلا تتخذوا المؤمنين أولياء والكفار أعداء تكن فتنة في الأرض ، بمعنى : أن الحق يلتبس بالباطل ، وأن الكفار يختلطون بالمسلمين ، ويحصل بذلك فتنة في العقائد ، فقد يتأثر المسلم والمؤمن بعقائد الكفار فتسري إليه .

فهذه فتنة وفساد كبير إذا زال الفارق بين المؤمنين والكفار وحصل اختلاط الكفار بالمؤمنين إلى غير ذلك من المفاسد ، فالمحبة والبغضاء يكونان من أجل الإيمان والكفر لا غير .

(١) سورة مريم آية : ٤٨ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٧٢ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٧٣ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٧٣ .

ثالثا : المحبة والبغض لا يكونان من أجل أمور الدنيا

بأن تحب الإنسان من أجل طمع الدنيا دون نظر إلى دينه ، أو تبغضه من أجل طمع الدنيا إذا لم تحصل منه على شيء ، لا لأجل معصيته ، فإن هذا علامة النفاق ، وهذا دليل على ضعف إيمانك ، ولذلك يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : " قد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا " ، أي : أن هذا لا ينفع عند الله سبحانه وتعالى ، بل يضره .

فلا يجوز للمؤمن أن يبغض أخاه المؤمن إذا كان بينه وبينه شيء من سوء التفاهم أو الخصومة ، لا يجوز أن يبغضه ، ولا أن يهجره من أجل ذلك ؛ لقوله ﷺ : ﴿ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ﴾ [1] (رواه البخاري (٧/٨٨)) ، فلا يجوز التهاجر بين المسلمين ، نعم اا اع يسوى ، والخلاف يفصل فيه على مقتضى شرع الله سبحانه وتعالى ، لكن تبقى محبة القلوب ومحبة الإيمان ، لا يزحزحهما شيء من أطماع الدنيا .

رابعًا : محبة الله ورسوله

ليست بإحداث البدع والخرافات ، فهناك من يدعي محبة الرسول ﷺ لكنه يفسر ذلك بأن يعمل بدعًا وخرافات ، ويقول : هذا محبة للرسول .

يقيم الموالد المبتدعة بمناسبة مولد الرسول ﷺ ويقول : هذا من أجل محبة الرسول ، ومن لا يفعل المولد فهو لا يحب الرسول ، وهذه مغالطة ، بل هذه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الرسول نى عن البدع ، قال ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [2] .

---

(١) البخاري الأدب (٥٧٢٥) .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٥٦) .

وهذا يحدث بدعة ويقول : هذا من أجل محبة الرسول ، وما هذا إلا محادة لله ولرسوله ، فهذا هو البغض للرسول ﷺ ولو كان يحب الرسول لأطاعه ، وترك البدع والخرافات ؛ لأن الرسول ﷺ نهى عنها بقوله : ﴿ إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [(1)] .

كذلك من الناس من يزعم أنه يحب أولياء الله ، لكنه يفسر ذلك بأن يتخذهم أربابا من دون الله ، بمعنى أنه يتقرب إلى قبورهم وأضرحتهم بالذبائح والنذور ، والطواف بها ، والتمسح بها ، ويقول : أنا أحب أولياء الله ، هذا من محبة أولياء الله ، ونقول له : كذبت ، هذه عين معاداة أولياء الله ، وبغض أولياء الله ؛ لأن أولياء الله لا يرضون بذلك ، ومن رضي بذلك أو دعا الناس إليه فهو من أعداء الله ، وليس من أولياء الله .

أما أولياء الله فإنهم يبرءون من ذلك : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [(2)] ، ويقول : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١ ﴾ [(3)] .

خامسًا : دليل المحبة في الله وثمراتها

لما ادعى اليهود محبة الله قالوا : إننا نحب الله ﷻ فامتحنهم الله بقوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٢ ﴾ [(4)] .

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٢) سورة الأحقاف آية : ٦ .
(٣) سورة سبأ الآيتان : ٤٠، ٤١ .
(٤) سورة آل عمران الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

فعلامة محبة الله ﷻ اتباع رسوله ، وعلامة بغض الله ﷻ مخالفة رسوله ، هذه علامة فارقة : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾ [1] ، فذكر الله سبحانه وتعالى دليل المحبة وثمراتا ، أما دليلها فاتباع الرسول ﷺ وأما ثمراتا فهي في قوله تعالى : ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾ [2] .

ثم ذكر ﷻ علامة بغض الله للعبد ، فقال سبحانه : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ [3] أي : عن طاعة الله ورسوله ، فهذا دليل على بغض الله ﷻ وبغض رسوله ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٢ ﴾ [4] ، فالمحبة في الله والبغض في الله ليس ادعاء ، بل هو حقيقة تحتاج إلى دليل ، تحتاج إلى برهان .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المتحابين بجلاله ، والمتزاورين في الله ﷻ المتباذلين فيه ، الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٣٢ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٣٢ .

المحاضرة السادسة عشرة
الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الإيمان أمره عظيم ، إذ هو الأساس الذي تُبنى عليه السعادة في الدنيا والآخرة ، فهو من أعظم مراتب الدين ، فإن جبريل لَما جاء إلى النبي ﷺ في حضرة أصحابه سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فقال : ﴿ يا محمد : أخبرني عن الإسلام ، قال : الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا ﴾ [1] ، ففسر الإسلام على أنه الإتيان بذه الأركان الخمسة : الشهادتين ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، ﴿ قال : صدقت ، فأخبرني عن الإيمان ، قال : الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [2] ، ففسر الإيمان على أنه التصديق بذه الأركان الستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

﴿ قال : أخبرني عن الإحسان ، قال : الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [1] ، فبين أن الإحسان ركن واحد ، وهو : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فهذه هي مراتب الدين الثلاث : الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ، وكل مرتبة منها لها أركان ، وركن الشيء : جانبه الذي يقوم عليه ، فركن البيت هو جانبه الذي يقوم عليه ، فالإيمان يقوم على هذه الأركان الستة ، فإذا سقط منها ركن لم يكن الإنسان مؤمنًا به ؛ لأنه فَقَدَ ركنًا من أركان الإيمان .

فالإيمان لا يقوم إلا على أركانه ، كما لا يقوم البنيان إلا على أركانه ، وهذه الأركان الستة مذكورة في القرآن الكريم ، تارة تذكر جميعًا ، وتارة يذكر بعضها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [2] ، ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة خمسة أركان من أركان الإيمان ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [3] ، ذكر منها أربعة ، وتارة يذكر منها اثنين : الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، قال جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [4] ، ذكر في هذه الآية ركنين : الإيمان بالله ، واليوم الآخر .

---

(١) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦) .
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٧ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .
(٤) سورة المائدة آية : ٦٩ .

وأما الإيمان بالقدر فقد ذكره في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [1] ، وفي قوله : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [2] .

معنى الإيمان بالملائكة وبيان مم خلقهم الله

والموضوع الذي نحن بصدده هو الإيمان بالملائكة الذي هو ركن من أركان الإيمان ، ومعناه : التصديق بوجودهم ، والتصديق بأعمالهم التي يقومون بها في هذا الكون ، فالملائكة خَلقٌ من خَلْق الله ، خلقهم لعبادته ، وتنفيذ أوامره في الكون ، فالله يرسل الملائكة لتنفيذ أوامره ، فهم خلق من عالم الغيب ، لا نراهم ولكن نؤمن بهم إيمانًا جازمًا لا يتطرق إليه شك ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر عنهم كما أخبر عنهم رسوله ﷺ إخبارًا قطعيا يجعلنا نؤمن بهم .

مِم خلق الله الملائكة ؟

والملائكة خُلِقُوا من نور ، كما جاء في الحديث أن الله - سبحانه - خلق الملائكة من نور ، فقد خلق الشياطين من نار ، وخلق الآدميين من طين ، وخلق الملائكة من نور .

صفات الملائكة

الملائكة هم خلق من خلق الله ، من عالم الغيب ، ولا يعلم عددهم وكيفيتهم وخلقتهم إلا الله سبحانه ، ومن صفاتهم :

أولًا : هم أعظم جنود الله ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [3] ، ولما ذكر خزنة النار ذكر : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [4] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [5] .

---

(١) سورة القمر آية : ٤٩ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٢ .
(٣) سورة الفتح آية : ٤ .
(٤) سورة المدثر آية : ٣٠ .
(٥) سورة المدثر آية : ٣١ .

وأصحاب النار : خزنة النار ، أي : على جهنم من الملائكة تسعة عشر ملكًا ، يخزنونها ويقومون بحفظها وإيقادها ويوكلون بشؤونها ، قال بعض الكفار لما سمع بعدد خزنة النار - وكأنه استهان بهذا العدد - ، وقال : أنا أكفيكم منهم كذا وكذا ، يعني أنه إذا دخل النار سيقاوم ويتغلب عليهم ويخرج من النار ، وذلك من باب السخرية والاستهزاء ، فرد الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ ﴾ [1] ، أي : ليسوا من البشر .

فإن كان هذا يزعم بنفسه أنه قوي ، وأنه يطيق عددًا من البشر ، فإنه لا يطيق أحدًا من الملائكة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ ﴾ [2] ، أي : لم يجعلهم بشرًا أو جنا ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [3] ، ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [4] ، أي : الكافرون ، ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ ﴾ [5] ، فهم يفترون وبهذا يتقالون هذا العدد ، كيف أن هذه النار العظيمة التي بها كل هذه الخلائق لا يقوم عليها إلا تسعة عشر ؟

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [6] ، فما يعلم عظمة الملائكة وما يعلم ما عند الله من جنود السماوات والأرض إلا الله ، لا يعلمهم هؤلاء الكفار ولا غيرهم .

---

(١) سورة المدثر آية : ٣١ .
(٢) سورة المدثر آية : ٣١ .
(٣) سورة المدثر آية : ٣١ .
(٤) سورة المدثر آية : ٣١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦ .
(٦) سورة المدثر آية : ٣١ .

ثانيًا : والملائكة خِلْقتهم عظيمة ، فقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾ [(1)] ، يعني : منهم من له جناحان ، ومن له ثلاثة أو أربعة أجنحة ، ومنهم من له أكثر من ذلك ، فقد رأى النبي ﷺ جبريل وله ستمائة جناح ، كل جناح منها سد الأفق ، هذا ملك واحد من الملائكة ، وصفه الله بأنه شديد القوى فقال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ﴾ [(2)] ، يعني : جبريل عليه السلام ، وقوله تعالى : ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [(3)] يعني : ذو قوة وهيئة حسنة .

ثالثًا : والملائكة لهم قوة عظيمة بإذن الله ، ومن دلائل عظمتهم : أن الواحد منهم إذا أمره الله فإنه يصيح في العالم فيهلك الخلق ، كما حدث مع قوم ثمود حيث أخذتهم الصيحة ، صاح بهم جبريل صيحة واحدة ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝ ﴾ [(4)] ، فتقطعت قلوبهم في أجوافهم ، فماتوا وصاروا كهشيم المحتظِر .

من عادة العرب إذا نزلوا في محل يجمعون الحطب ، ويجعلون حظائر لأغنامهم ومواشيهم ، فهذه الحظائر تيبس وتصبح هشيمًا ، فثمود على قوتهم وجبروتهم أصبحوا كهشيم المحتظر على إثر صيحة واحدة من ملك من الملائكة .

وهذا جبريل أمره الله أن يرفع قُرى قوم لوط - وهي سبع مداين فيها من الآدميين والمباني والأمتعة والحيوانات - ، حملهم على طرف جناحه ، ورفعها حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ، وصياح ديوكهم ، ثم قلبها عليهم ، وخسف الله بهم الأرض ، هذا نموذج من قوة الملائكة عليهم السلام .

---

(1) سورة فاطر آية : 1 .
(2) سورة النجم آية : 5 .
(3) سورة النجم آية : 6 .
(4) سورة القمر آية : 31 .

إسرافيل - عليه السلام - الموكل بالنفخ في الصور ، والصور معناه : القرن الذي تجمع فيه أرواح بني آدم من أولهم لآخرهم ، ثم ينفخ إسرافيل نفخة واحدة في الصور ، فتطير الأرواح من هذا القرن ، وتطير إلى أجسامها ، هذه نفخة البعث ، وقبلها ينفخ نفخة الصعق ، فيموت كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله ، قال ﷻ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [1] .

والصعق هو الموت ، ثم نفخ فيه نفخة أخرى هي نفخة البعث ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [2] .

هذا ملك واحد من ملائكة الرحمن ، وهذا عمل من أعماله التي يأمُره الله بها ، إذن فالملائكة خلق عظيم من خلق الله ، خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره ، قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [3] ، هذا وصفٌ للملائكة .

أعمال الملائكة المكلفون بها

والملائكة لهم أعمال ، فكل منهم له عمل موكل به ، لا يتأخر عنه ، بل يقوم به بأمر الله ، ولا يعصي الله ، قال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [4] ، فمن أعمالهم :

أولًا : من يقوم على جهنم ، وهم من يسمون بخزنة جهنم ، أي : الموكلون بالنار وتعذيب أهلها .

(١) سورة الزمر آية : ٦٨ .
(٢) سورة الزمر آية : ٦٨ .
(٣) سورة الأنبياء الآيات : ٢٦ - ٢٨ .
(٤) سورة التحريم آية : ٦ .

ثانيًا : ومنهم الملائكة الموكّلون بحمل العرش ، عرش الرحمن - سبحانه وتعالى - ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢) .

عدد حملة العرش :

حملة العرش أربعة ، ثم يزداد عددهم يوم القيامة فيصيرون ثمانية ، والعرش أعظم المخلوقات يحمله يوم القيامة ثمانية ، مما يدل على قوة الملك حيث إن هؤلاء يحملون هذا العرش العظيم الذي هو أكبر وأعظم المخلوقات ، وهذا يدل على قوتم ، وعلى عظم خلقتهم .

ثالثًا : ومنهم الموكّلون بالوحي ، كما قال سبحانه : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (٣) ، والروح بمعنى الوحي ، يسمى روحًا لأنه تحيا به القلوب ، كما المطر الذي تحيا به الأرض ، كما أن الروح المخلوقة تحيا به أبدان الحيوانات .

والروح بمعنى القرآن ، يقول سبحانه وتعالى لنبيه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ (٤) ، روحًا يعني : القرآن لأنه تحيا به قلوب أهل الإيمان ، فكما تحيا الأرض بالمطر كذلك قلوب المؤمنين تحيا بالقرآن .

والروح بمعنى جبريل - عليه السلام - ، وهو أعظم الملائكة وأفضلهم وأشرفهم ، هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على محمد ﷺ قال جلّ شأنه : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾

(١) سورة غافر آية : ٧ .
(٢) سورة الحاقة آية : ١٧ .
(٣) سورة النحل آية : ٢ .
(٤) سورة الشورى آية : ٥٢ .

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [(١)] ، فالقرآن نزل به جبريل على قلب النبي ﷺ والرسول بلّغه لأمته ، وفي آية أخرى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [(٢)] ، يعني : جبريل ، وهو روح القُدس .

صفات جبريل عليه السلام

وكذلك وصف الله جبريل بأوصاف عظيمة ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [(٣)] .

الصفة الأولى : القوة ، قال تعالى : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(٤)] ، (ذي العرش) : صاحب العرش وهو الله ﷻ و (ذِي قُوةٍ) هذه صفة جبريل عليه السلام .

الصفة الثانية : المكانة : (مَكِينٍ) يعني : ذو مكانة عند الله ، لا يصل إليها غيره .

الصفة الثالثة : الطاعة : (مُطَاعٍ) تطيعه الملائكة جميعًا بأمر الله سبحانه .

الصفة الرابعة : الأمانة : (أَمِينٍ) أي : على الوحي ، لا يزيد في القول أو ينقص فيه ، وإنما يبلغه كما أوحاه الله إليه .

رؤية محمد ﷺ لجبريل عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٥)] ، كما قال الكفار : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٦)] ، رأى محمد ﷺ جبريل بالأفق مرتين :

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ١٩٣ - ١٩٥ .

(٢) سورة النحل آية : ١٠٢ .

(٣) سورة التكوير الآيات : ١٥ - ٢١ .

(٤) سورة التكوير آية : ٢٠ .

(٥) سورة التكوير آية : ٢٢ .

(٦) سورة التكوير آية : ٢٣ .

المرة الأولى : في بطحاء مكة ، رفع رأسه فرآه في عنان السماء له ستمائة جناح ، كل جناح منها سد الأفق .

والمرة الثانية : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ ﴾ [(١)] ، ليلة المعراج رآه على خلقته التي خلقه الله عليها في السماوات .

فهذه من أوصاف جبريل عليه السلام ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ﴾ [(٢)] أي : القرآن كلام الله سبحانه ، ولكن نُسب إلى جبريل هنا لأنه هو الذي بلغه لمحمد ﷺ فهو مبلّغ عن الله ﷻ فقد قاله لرسولنا محمد ﷺ مُبلّغًا عن الله ، وهو كلام الله ﷻ والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا ، لا لمن قاله مُبلّغًا مؤدّيًا ، لكنه أضيف إليه من باب البلاغ .

رابعًا : هناك ملائكة موكّلون بأعمال أخرى :

١ - ميكائيل موكّلٌ بالقطر الذي ي ل من السماء ، يسوقه وي ل حيث أمره سبحانه وتعالى .

٢ - وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصور عندما يريد الله تعالى بعث الخلائق من القبور ، وتنبت الأجساد من القبور ، تتكامل ولم يبق إلا الروح ، عند ذلك ينفخ إسرافيل بأمر الله في هذا القرن ، فتتطاير الأرواح إلى الأجساد التي نبتت من هذه القبور وقامت ، ثم يمشون حيث أمرهم الله .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ ﴾ [(٣)] ، ويقول جلّ من قائل : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة النجم الآيتان : ١٣ - ١٤ .

(٢) سورة التكوير آية : ١٩ .

(٣) سورة المعارج آية : ٤٣ .

(٤) سورة القمر الآيتان : ٧ - ٨ .

هؤلاء الملائكة الثلاثة موكّلون بالحياة ، فجبريل موكّل بالوحي الذي به حياة القلوب ، وميكائيل موكّل بالقطر الذي به حياة الأرض بعد موتا ، وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصور الذي به حياة الأجساد ، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح إذا قام من الليل بعد أن يكبر تكبيرة الإحرام : ﴿ اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض . . ﴾ [1] إلخ الدعاء ، فهؤلاء أعظم الملائكة لعظم أعمالهم .

خامسًا : وهناك ملائكة موكّلون بالأجنة في بطون الإناث ، كما في حديث عبد الله بن مسعود قال : حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق : ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ﴾ [2] ، هذا الملك يرسله الله إليه في هذه المهمة العظيمة .

سادسًا : وهناك ملائكة موكلون بقبض الأرواح حين ينتهي الأجل ، فهناك ملك الموت ، قال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [3] ، وملك الموت معه أعوان له ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [4] .

والتوفي أضيف إلى الملائكة ، وإلى ملك الموت ، وإلى الله ، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [5] ، أضيف إلى الله لأنه هو الذي أمر به سبحانه وتعالى ، وأضيف إلى الملائكة

---

(١) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٢٠) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٧) ، أحمد (١٥٦/٦) .

(٢) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٦) ، مسلم القدر (٢٦٤٣) ، الترمذي القدر (٢١٣٧) ، أبو داود السنة (٤٧٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٧٦) ، أحمد (٤١٤/١) .

(٣) سورة السجدة آية : ١١ .

(٤) سورة الأنعام الآيتان : ٦١ - ٦٢ .

(٥) سورة الزمر آية : ٤٢ .

لأنهم هم الذين يباشرون ذلك ، يجمعون الروح ويسوقونها من جسد الإنسان حتى تبلغ الحلقوم ، وأضيف إلى ملك الموت : ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [1] لأنه هو الذي يتولى قبضها عندما تجتمع في آخر مرحلة .

سابعًا : وهناك ملائكة موكّلون بحفظ أعمال بني آدم كما في الحديث : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [3] .

كل إنسان معه ملكان وكتابة النيات والمقاصد

وكل إنسان منا معه ملكان موكّلان به ، ملك عن يمينه يكتب الحسنات ، وآخر عن شماله يكتب السيئات ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾ [4] ، هؤلاء الحفظة يلازمون الإنسان في سفره وجلوسه ، وفي جميع أحواله ، في صلاته وسجوده ، يلازمونه ولا يتخلون عنه إلا في الأحوال الخاصة كحال قضاء الحاجة ، فهم يكتبون أقواله وأعماله .

الملائكة يكتبون النيات والمقاصد :

وقد ورد أنهم يكتبون نيات الإنسان ومقاصده القلبيّة ، وما ينوي أن يفعله ، لذلك يثاب الإنسان على النية الحسنة لأنها عمل قلبيّ ، ويعاقب على النية السيئة لأن النية عمل قلبيّ .

فهؤلاء موكّلون بالإنسان من حين بلوغه سن التكليف إلى أن يتوفاه الله ، وهم يكتبون عليه ما عمله في الحياة من نيات وأعمال وأقوال وغير ذلك .

---

(١) سورة السجدة آية : ١١ .

(٢) البخاري مواقيت الصلاة (٥٣٠) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٢) ، النسائي الصلاة (٤٨٥) ، أحمد (٤٨٦/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤١٣) .

(٣) سورة الانفطار الآيات : ١٠ - ١٢ .

(٤) سورة ق الآيتان : ١٧ - ١٨ .

م لة صلاتي الفجر والعصر بين الصلوات

قال ﷺ : ﴿ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، يجتمعون في صلاة العصر وفي صلاة الفجر ﴾ [1] ، ولهذا كانت هاتان الصلاتان أفضل الصلوات ، قال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴾ [2] يعني : صلاة الفجر ، ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [3] ، تحضره ملائكة الليل وملائكة النهار ، يجتمعون في صلاة الفجر مع المسلمين ويستمعون إلى القرآن الذي يتلى في الصلاة ، ويجتمعون في صلاة العصر ، فيسألهم الله وهو أعلم : كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : جئناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون ، يعني : نزلوا ونحن نصلي العصر ، وحضروا معنا الصلاة ، وصعدوا ونحن نصلي الفجر .

وبذلك كانت صلاة العصر هي الوسطى التي حثّ الله عليها ، قال تعالى : ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [4] ، يعني : صلاة العصر لأنا تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار (الحفظة) .

دعوة للمقصرين

فأين الذين يتخلّفون عن صلاة الفجر ، وينامون على فرشهم ، ولا يشاهدون هذا المشهد العظيم في كل ليلة مع ملائكة الرحمن ، ويخبر ملائكة الرحمن عنهم في الملأ الأعلى : جئناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون ؟ ماذا أفاد هذا الذي تخلف عن

(١) البخاري مواقيت الصلاة (٥٣٠) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٢) ، النسائي الصلاة (٤٨٥) ، أحمد (٤٨٦/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤١٣) .
(٢) سورة الإسراء آية : ٧٨ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٨ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٨ .

صلاة الفجر وآثر النوم ؟ وماذا أفاد هذا الذي تكاسل عن صلاة العصر ، وآثر النوم أو الأعمال الأخرى ؟

لقد جاء في الحديث أن : ﴿ من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ، ﴾ [(١)] وفي حديث آخر : ﴿ فقد حبط عمله ﴾ [(٢)] ، يعني : أخرجها عن وقتها ، فإذا أخرجها عن وقتها فقد فاتت .

ثامنًا : وهناك ملائكة موكّلون بحفظ الإنسان من المهالك ، فالإنسان يمشي في أخطار ، ولكن الله وكل ملائكته أن تحفظه من الأخطار في هذه الحياة التي قدرها الله له ، وهذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان فيها مخاطر ، فيها سباع ، فيها حيّات ، فيها عقارب ، فيها طغاة من البشر ومعتدون وَظَلَمَة ، ولكن هذه الملائكة جعلها الله معقبات ، قال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ [(٣)] ، يحفظونه بأمر الله ، فما دام الله كاتبًا له السلامة ، فهذه الملائكة تدافع عنه ، ولا يصل إليه أحد بِشَر ، فإذا أراد الله نهاية أجله تخلوْا عنه ، واحد من أمامه ، وواحد من خلفه . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ ﴾ [(٤)] ، وإذا جاء القدر وأراد الله هلاك هذا الإنسان فإن الملائكة المعقبات تتخلى عنه ؛ لأنها لا ترد عنه أمر الله ، هذه الملائكة المعقبات .

تاسعًا : وهناك ملائكة موكّلون في هذا الكون بأعمال لا يعلمها إلا الله ، هناك ملائكة موكّلون بالبحار ، وملائكة موكّلون بالأنهار ، وملائكة موكّلون بالرّياح ، وآخرون موكّلون بأعمال كثيرة .

---

(١) البخاري مواقيت الصلاة (٥٢٧) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٦) ، الترمذي الصلاة (١٧٥) ، النسائي الصلاة (٤٧٨) ، أبو داود الصلاة (٤١٤) ، ابن ماجه الصلاة (٦٨٥) ، أحمد (١٣/٢) ، مالك وقوت الصلاة (٢١) ، الدارمي الصلاة (١٢٣١) .

(٢) البخاري مواقيت الصلاة (٥٢٨) ، النسائي الصلاة (٤٧٤) ، ابن ماجه الصلاة (٦٩٤) ، أحمد (٣٥٧/٥) .

(٣) سورة الرعد آية : ١١ .

(٤) سورة الرعد آية : ١١ .

هذا الكون الذي تجري فيه هذه الأحداث ، وتتعاقب فيه هذه الأمور ، هذه كلها في تقدير الله سبحانه وتعالى ، والملائكة تقوم بتنفيذ ما أمرها به .

وجوب الإيمان بالملائكة وبكل أعمالهم

والملائكة منها ما سمّاه الله لنا كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك خازن النار ، ﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [(١)] ، ومنهم من لم يسم لنا ، ونحن نؤمن بكل ملائكة الله ﷻ من عرفنا اسمه ومن لم نعرف اسمه ، ونؤمن بأعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى .

فهناك ملائكة يعمرون السماوات بالعبادة بالركوع والسجود ، ما من موضع شبر في السماوات إلا وعليه ملك راكعٌ أو ساجد ، فهناك ملائكة لا يعلمهم إلا الله ، فنحن نؤمن بهم إجمالًا بما لم يُسَم لنا ، وتفصيلًا بما سُمِّيَ لنا ، ونحبهم وهم أنصح الخلق لبني آدم ؛ لأنا تأمرهم بالخير ، وتستغفر لهم ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [(٢)] .

أوجه الاختلاف بين عمل الملائكة وعمل الشياطين

الوجه الأول : الملائكة يسبحون بحمد ربهم ، ويستغفرون لمن في الأرض ، فهم أنصح الخلق لبني آدم ، والشيطان أغش الخلق لبني آدم ؛ لأن الشيطان تعهد بإضلال بني آدم ، وإغوائهم وإهلاكهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧ ﴾ [(٣)] .

الوجه الثاني : والملائكة تأمر العباد بالخير ، والشياطين تحثهم على الشر ، وتأمرهم به ، ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ ﴾ [(٤)] ، فالذي

---

(١) سورة الزخرف آية : ٧٧ .
(٢) سورة غافر آية : ٧ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٧ .
(٤) سورة الزخرف آية : ٣٦ .

يعرض عن القرآن الكريم يعاقبه الله سبحانه بأن يقيض له شيطانًا يكون قرينًا له ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝ ﴾ [(١)] ، ولا يعصم الإنسان من الشيطان إلا ذكر الله .

الوجه الثالث : أن ذكر الله يطرد الشياطين عن الإنسان ، ويحضر الملائكة عنده ، ولذلك سُميَ الشيطان بالوسواس الخنّاس ، فإذا ترك الإنسان ذِكْرَ الله جاءه الشيطان ، وإذا ذكر الله حفّت به الملائكة كما في الحديث : ﴿ ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ﴾ [(٢)] .

الأماكن التي تردها الملائكة

هناك ملائكة سيّاحون في الأرض ، يطلبون حِلَق الذكر ، فإذا رأوا حلقة ذكر قالوا : هلموا إلى حاجتكم ، وذكر الله سبحانه وتعالى أنواع كثيرة منها :

١ - قراءة القرآن ، فالذي يقرأ القرآن يذكر الله تعالى .

٢ - ومن يصلي يذكر الله .

٣ - والذي يسبح ويستغفر ويكبر ويهلل يذكر الله ، فتجتمع عنده الملائكة ، وتبتعد عنه الشياطين .

٤ - والذين يطالعون في كتب العلم ، ويجلسون في الحلق ، ويتفقهون في الدين ، هؤلاء يذكرون الله ، فتجتمع عندهم الملائكة .

---

(١) سورة الزخرف الآيتان : ٣٧ - ٣٨ .

(٢) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢/٢٥٢) .

الأماكن التي تردها الشياطين

١- الذين يشتغلون باللهو من الأغاني والمزامير فهؤلاء تحف بم الشياطين ، وتجتمع عليهم ، وتبتعد عنهم الملائكة .

٢- الذي يجعل الصور في بيته لا تدخله الملائكة ، كما في الحديث : ﴿ إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب وفيه صور ﴾ [(1)] ، فملائكة الرحمة لا تدخل البيوت التي فيها صور ، سواء المعلقة على الجدران أو المحفوظة في براويز وصناديق للذكريات ، أو لتجميل الجدران والبيوت .

فهذه الصور صور ذوات الأرواح ، هذه تطرد الملائكة ، فالملائكة لا تدخل هذا البيت الذي فيه مثل هذه الصور ، لكن الصور المرخّص با لاقتنائها للضرورة كحفيظة النفوس وجواز السفر والبطاقة الشخصية ، هذه رُخص با للضرورة ، وهذه لم تتخذ لتعظيمها ، فمثل هذه تستثنى ، وكذلك الصور التي تداس ويُجلس عليها ، إنما الكلام عن الصور التي تعلق للذكرى وتحفظ للمباهاة با ، هي الممنوعة التي لا ضرورة لها ، فهذه تجلب الشياطين إلى البيوت ، وتمنع من دخول الملائكة .

أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان

الإيمان بالملائكة له أثر عظيم في حياة الإنسان ، فإذا شعر الإنسان بذلك فإنه يتحفّظ ، وإذا عرف أنه موكّل به ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار ، فإنه يتحفّظ أن يكتبوا عليه شيئًا لا يليق به ، فلو درى أن هناك مباحث تتابعه ألا يتحفظ خشية أن يمسكوا عليه كلامًا أو فعلًا يتضرر بعاقبته ؟

---

(١) البخاري بدء الخلق (٣٠٥٣) ، مسلم اللباس والزينة (٢١٠٦) ، الترمذي الأدب (٢٨٠٤) ، النسائي الزينة (٥٣٤٨) ، أبو داود اللباس (٤١٥٣) ، ابن ماجه اللباس (٣٦٤٩) ، أحمد (٣٠/٤) ، مالك الجامع (١٨٠٢) .

إذن كيف لا يتحفظ من الملائكة وهو لا يراهم ؟ البشر تراهم ، الذي يراقبك تأخذ حذرك منه ، لكن الملائكة تراك ولا تراها ، البشر ممكن أن تتحصن منهم ، قد تدخل البيت أو تغلق على نفسك مكاناً ولا يدرون عنك ، لكن الملائكة يدخلون معك في كل مكان ، أعطاهم الله ﷻ القدرة على أن يصلوا إلى أي مكان أمرهم الله بالوصول إليه ، ولهذا نبّهنا فقال الله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [1] ، قالها الله ﷻ لنتنبّه .

وهذه ثمرة الإيمان بالملائكة ، أنّ الإنسان يحصّن نفسه من الأقوال والأعمال السيئة التي تُكتب عليه ، ويحاسب عنها يوم القيامة .

لا شيء يخفى على الله تعالى

قال ﷻ : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝ ﴾ [3] ، أتعلمون ما الوريد ؟ وريد الإنسان هو العرق الذي في جانب الرقبة ، يجري فيه الدم ، واحد في اليمين ، وواحد في اليسار في جانبي الرقبة ، وفيهما الدم الذي يغذّي الجسم .

الله يقول : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝ ﴾ [4] ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [5] ، قال النبي ﷺ في تفسير

(١) سورة الانفطار الآيات : ١٠ - ١٢ .
(٢) سورة الطارق آية : ٤ .
(٣) سورة ق آية : ١٦ .
(٤) سورة ق آية : ١٦ .
(٥) سورة الحديد آية : ٣ .

ذلك : ﴿ أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ﴾ [(١)] .

إذن لا شيء يخفى على الله ﷻ في بر أو بحر ، في قعر بيته ، في صحراء ، أو في سوق ، في مسجد ، في المسرح ومحلات اللهو ، في كل مكان ، في محل الطاعات والمعاصي ، لا يخفى على الله شيء ، ولا يحجب شيء عنه ، لذلك قال ﷺ لما سأله جبريل - عليه السلام - ﴿ أخبرني عن الإحسان ، قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [(٢)] ، فإذا شعر الإنسان بأن معه ملائكة وأن الله يقول : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [(٣)] ، ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠ ﴾ [(٤)] ، ورسلنا : الملائكة ، فالله يسمع السر والنجوى ، والملائكة تكتب ، وهذا من آثار الإيمان بالملائكة .

تذكر الملائكة من أجل محبتهم

وليس ذكر الملائكة من باب العلم بالشيء فقط ، كما تقرأ التاريخ وغيره ، وإنما نذكر الملائكة من أجل أن نستعد ونحذر من أن يكتبوا علينا شيئًا نحاسب عليه عند الله - تعالى - ، بل نذكرهم من أجل محبتهم لأن الله - تعالى - أحبهم ، ونحن نحبهم لأنهم أبر الخلق إلى الله ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾ [(٥)] .

---

(١) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٣) ، الترمذي الدعوات (٣٤٨١) ، أبو داود الأدب (٥٠٥١) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٣١) ، أحمد (٢/٤٠٤) .

(٢) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦) .

(٣) سورة ق الآيات : ١٦ - ١٨ .

(٤) سورة الزخرف آية : ٨٠ .

(٥) سورة عبس آية : ١٦ .

المهم أن نعرف قدر الملائكة ومكانتهم ونحبهم ؛ لأن الله يحبهم ، أما من عادى الملائكة وأبغضهم فإن الله عدو له ، ومن عاداه الله فإنه لا تقوم له قائمة ، ولا يصلح له حال ، قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (1) ، فمن عاداهم فالله عدو له .

وأسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم الإيمان الصادق والعلم النافع والعمل الصالح ، وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم .

---

(1) سورة البقرة آية : ٩٨ .

مقدمة المجلد الثاني

الحمد لله على فضله وإحسانه ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه .

وبعد :

فهذا هو الجزء الثاني من مجموع المحاضرات التي سبق لي أن ألقيتها في مناسبات متعددة في مواضيع مختلفة ، آثرت جمعها ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة ، والله أسأل أن يكتب لي ثواب ما فيها من نفع ولوالدي ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه .

المـؤلـف

المحاضرة السابعة عشرة
أهمية التوحيد

معنى التوحيد واشتماله على القرآن كله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فهذا الموضوع ليس من المواضيع التي تقل فائدتنا ، أو من المواضيع التي تختص ببعض الناس دون بعض ، وإنما هو موضوع يجب على كل مسلم معرفته ، ألا وهو أهمية التوحيد ومكانته في الإسلام ، ذلك الموضوع الذي يجب علينا دائمًا أن نتحدث عنه ، وأن نوضحه ، وأن نتعلمه ونعمل به ؛ لأن به تنال السعادة في الدنيا والآخرة .

والتوحيد معناه إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، وهذا الموضوع تكرر ذكره في كتاب الله ﷻ ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن العظيم إلا وفيها ذكرٌ للتوحيد وأمرٌ به وحث عليه ، وهناك سور كثيرة وخصوصًا السور المكية ، فقد تكون السورة من أولها إلى آخرها في موضوع التوحيد ، بل إن الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه " مدارج السالكين " يقول :

إن القرآن كله في التوحيد لأنه إما خبر عن الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته ، وأمر بعبادته وحده لا شريك له ، ونهي عن الشرك به ، وإما بيان لجزاء الموحدين الذين أخلصوا العبادة لله ﷻ في الدنيا والآخرة ، وبيان لجزاء المشركين الذين أعرضوا عن التوحيد ، وما حل به من العقوبات في الدنيا ، وما ينتظرهم في الآخرة ، وإما إخبار عن الموحدين من الرسل وأتباعهم ، أو إخبار عن المكذبين من المشركين وأتباعهم من الأمم السابقة كقوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم شعيب ، وقوم إبراهيم ، وأصحاب مدين والمؤتفكات وغيرهم من الأمم ، لَما أعرضوا عن التوحيد وعصوا الرسل ماذا حل

بم ؟ وإما بيان للحلال والحرام ، وهذا من حقوق التوحيد ، فكون الإنسان يحل الحلال ويكتسب الحلال ويستعمل الحلال ، ويحرم الحرام ويبتعد عن الحرام وعن كسب الحرام ، هذا من حقوق التوحيد أيضًا .

فالقرآن كله توحيد لأنه إما لبيان التوحيد ، وبيان مناقضاته ومنقصاته ، وإما إخبار عن أهل التوحيد وما أكرمهم الله به ، أو إخبار عن المشركين ، وما انتقم الله تعالى منهم به في الدنيا ، وما أعدّ لهم في الآخرة ، وإما أحكام وبيان للحلال والحرام ، وهذا من حقوق التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه ومفسداته ومبطلاته ، فالقرآن كله يدور حول التوحيد .

تاون بعض الدعاة في شأن التوحيد

إن بعض الناس اليوم من جهلة الدعاة ، وأقولها بأسف لأنه لا يصلح للدعوة من كان جاهلًا ، ولا يجوز أن يدخل في مجال الدعوة إلا من كان عالمًا مسلحًا بالعلم ، لكن هناك من جهلة الدعاة من يهونون من شأن التوحيد ، ويقولون : الناس مسلمون ، أنتم في بلاد مسلمين ، العالم الإسلامي ليس بحاجة إلى أن يُلْقى عليه محاضرات في التوحيد ، أو يُقّرر مقررات في المدارس ، في التوحيد ، أو تُقْرأ كتب التوحيد في المساجد ، هكذا يقولون ، وهذا من الجهل العظيم ؛ لأن المسلم أحوج من غيره لمعرفة التوحيد من أجل أن يحققه ، ومن أجل أن يقوم به ، ومن أجل أن يبتعد عما يخل به أو يناقضه من الشركيات والبدع والخرافات ، فلا يكفي أن يكون مسلمًا بالاسم من غير أن يحقق الإسلام ، ولن يحققه إلا إذا عرف أساسه وقاعدته التي يُبنى عليها وهو التوحيد ، فإن الناس إذا جهلوا التوحيد ، وجهلوا مسائل الشرك وأمور الجاهلية ، فإنم حينئذٍ يقعون في الشرك من حيث يدرون أو لا يدرون ، وحينئذٍ تقوض عقيدة التوحيد كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما تنقص عُرى الإسلام عروة عروة إذا أنشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية .

وهل كل المسلمين يعرفون أمور العقيدة ويعرفون التوحيد لما كان العلماء يعلمون هذا ، والعلماء الآن قلة وأقل من القليل ، أعني العلماء بالمعنى الصحيح ، وكلما تأخر الزمان فإن العلماء في الحقيقة يقلون ، ويكثر المتعالمون ، ويكثر القراء ، ويكثر رءوس الجهّال كما قال ﷺ : ﴿ إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض هذا العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسًا جهالًا ، فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا ﴾ [(١)] .

وفي حديث آخر معناه : أنه في آخر الزمان يقل العلماء ويكثر القراء ، وفي أثر آخر يكثر الخطباء في آخر الزمان ويقل الفقهاء ، ومن هنا يجب علينا أن نتم بجانب التوحيد ، وأن نعتني به عناية تامة بأن نَدرُسه ونُدرسَه ونُحاضر فيه ، ونعقد فيه الندوات ، ونشكل فيه البرامج في الوسائل الإعلامية ، ونكتب في الصحف ، وندعو إلى التوحيد ، رضي من رضي ، وغضب من غضب ؛ لأن هذا أساس ديننا ، وهذا مبنى عقيدتنا ، ونحن أحوج الناس إلى أن نتعرف عليه ، وأن نتدارسه ونُبينه للناس .

فالعالم الإسلامي اليوم ما عدا هذه البلاد التي حماها الله بدعوة التوحيد فيها المشاهد الشركية المشيدة على القبور ، كما تسمعون عنها أو كما رآها بعضكم ممن سافر ، الدين عندهم الشرك ، وعبادة الموتى ، والتقرب إلى القبور ، ومن لم يفعل ذلك فليس عندهم بمسلم ؛ لأنه بزعمهم يتنقص الأولياء كما يقولون ، وهناك دعاة لا يهتمون في تلك البلد بأمر التوحيد مع الأسف ، إنما يدعون الناس إلى الأخلاق الطيبة ، وإلى ترك الزنا ، وترك شرب الخمور ، وهذه كبائر المحرمات بلا شك ، ولكن حتى لو ترك الناس الزنا وشرب الخمور ، وحسنوا أخلاقهم ، وتركوا الربا ، لكنهم لم يتركوا عبادة القبور ، فإن أساسهم غير صحيح ، ودينهم غير صحيح ولو تركوا الكبائر ، ما دام أنم لم يتركوا الشرك ،

---

(١) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (٢٠٣/٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

وحتى من لم يشرك ما دام أنه لا ينكر الشرك ، ولا يدعو إلى التوحيد ، ولا يتبرأ من المشركين ، فإنه يكون مثلهم .

دعوة النبي ﷺ الناس إلى التوحيد بعد البعثة ثلاث عشرة سنة

ولهذا يقول الله جل وعلا لنبيه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] ، هذا فيه البراءة من المشركين ، فالمسلم الموحد لا بد أن يتبرأ من المشركين ، ولا يسعه أن يسكت والشرك يعج في البلد ، والأضرحة تبنى ، والطواف بالقبور معمور ، فلا يسع من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسكت على هذا الوباء الخطير الذي يفتك في جسم الأمة ، ويقول : أدعو الناس إلى حسن السير والسلوك وترك الخمور وترك الزنا ، ماذا تُجدي هذه الأمور مع فقد الأساس ؟ عندما تريد إقامة بيت أليس أول شيء تقيم القواعد من أجل أن تقيم البناء الصحيح ؟ وإلا إذا لم تتم بالأساس ولم تتم بقواعد البناء فإنك مهما شيدته وجملته ونمقته فإنه عرضة للسقوط ، ويكون خطرًا عليك ، وعلى من دخل عليك ، وعلى من حل هذا المبنى ، كذلك الدين إذا لم يقم على عقيدة سليمة ، وأساس صحيح ، وتوحيد الله ، وت يهه من الشرك ، وإبعاد المشركين عن موطن الإسلام ، النبي ﷺ مكث بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى التوحيد ، يقول للناس : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ﴾ [(٢)] ، يدعو إلى التوحيد ، والسور المكية كما ذكرت لكم كلها تعالج قضية التوحيد ، ثم لما تأسس التوحيد وقامت العقيدة نزلت شرائع الإسلام ، نزل الأمر بالصلاة ، والأمر بالزكاة ، وهذا إنما نزل في المدينة ، نعم الصلاة فرضت على النبي ﷺ في مكة ليلة المعراج قبل الهجرة بأشهر ، فرضت عليه في مكة بعدما تأسس التوحيد ، وبعدما بنيت العقيدة ، ثم نزلت فريضة الزكاة ، ونزل الصيام ، ونزل الحج ، ونزلت بقية شرائع الإسلام ، يوضح هذا جليا أن

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٢) أحمد (٤٩٢/٣) .

الرسول ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن رسم له منهج الدعوة ، وقال له : ﴿ إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ﴾ [(١)] ، انظروا ، بدأ بالتوحيد ، ثم قال : ﴿ فإن هم أطاعوك لذلك ﴾ [(٢)] بمعنى شهدوا أن لا إله إلا الله ، ووجدت العقيدة ، ﴿ فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم ، وترد في فقرائهم ﴾ [(٣)] .

فأول شيء أمر النبي ﷺ معاذًا بالدعوة إليه التوحيد ، وهذا ليس خاصا بمعاذ ، بل هذا عام لكل من يدعو إلى الله ﷻ أن يبدأ بذا الأصل ، بدون أن يُقروا بالتوحيد لا يأمرهم بالصلاة ؛ لأنه لا فائدة من الصلاة بدون توحيد ، لا فائدة من الزكاة بدون توحيد ، لا فائدة من الصيام بدون توحيد ، لا فائدة من الحج بدون توحيد .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [(٤)] .

وقال سبحانه وتعالى لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ

(١) البخاري الزكاة (١٣٨٩) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٢) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٢٢) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٣) البخاري الزكاة (١٣٣١) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٤) سورة الزمر الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [1] إلى آخر الآيات ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [2] .

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أول ما يبدءون بدعوة التوحيد ، قال الله تعالى في نوح عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [3] ، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [4] ، ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [5] .

بل إنه سبحانه وتعالى أجمل الرسل في قوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾ [6] ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [7] .

هذا هو الأساس ، وهذا هو الأصل ، وهذه هي القاعدة ، فكيف نزهد بذا الأمر ونغفل عنه ، ونُخَطئ من يدعو إليه ، ويقال : إن هذا يفرق بين المسلمين ، لا بل هذا يجمع كلمة المسلمين ؛ لأن كلمة المسلمين لا تجتمع إلا على التوحيد ، ولا يستتب الأمن والاستقرار إلا بالتوحيد .

---

(١) سورة الأنعام الآيتان : ٨٣ - ٨٤ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٨٨ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٣ .
(٤) سورة هود آية : ٥٠ .
(٥) سورة هود آية : ٨٤ .
(٦) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٧) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [(١)] .

إنما تحصل هذه المطالب العظيمة بعبادة الله وحده لا شريك له ﴿ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [(٢)] ، فلا تجتمع كلمة الأمة ولا يصلح بناء الأمة إلا على كلمة التوحيد ، وعلى عقيدة التوحيد الصحيحة ، أما إذا دخل الشرك وتفشت البدع والخرافات ، وقيل : اتركوا الناس أحرارًا في عقائدهم ، اتركوهم لا تنفروهم ، هنا يحصل الاختلاف ، ويحصل التفرق ، ويدخل الشيطان بين صفوف المسلمين ، فيفرق جماعتهم كما هو الواقع الآن ، وأضرب لكم مثلًا في هذه البلاد حيث كانت قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى التوحيد متفرقة ، كل قرية لها أمير وحكومة ، وكل قرية تحارب القرية الأخرى ، بل يحارب الجانب الآخر ، سلب ونب ، وقتل وتقتيل ، كل قرية فيها حاكم لا تخضع للأخرى ، فلما جاء الله سبحانه وتعالى بهذه الدعوة المباركة على يد هذا العالم الصالح المصلح توحدت البلاد ، وصارت تحت قيادة واحدة ، وصار لها دولة قامت على الدين والتوحيد ، ولا تزال ولله الحمد ، هذا لأنه أُسسَ بناؤها على التوحيد ، لكن قبل أن يؤسس التوحيد في البلاد كانت متفرقة ، وكانوا يتبركون بالأشجار وبالأحجار .

كان السحرة يعملون عملهم بين الناس ، وكان المشعوذون يتجولون في القرى ، ويخربون عقائد الناس ، وكان الحكم عند القبائل على حسب العوائد الجاهلية ، رغم أنه كان في البلاد آنذاك علماء كثيرون ، لكن لم يهتموا بدعوة التوحيد وإنكار الشرك ، فلما جاء الله بهذا النور وهذه الدعوة المباركة توحدت البلاد ، واطمأن العباد ، وأقيمت

---

(١) سورة النور آية : ٥٥ .
(٢) سورة النور آية : ٥٥ .

الحدود ، وأُمِرَ بالمعروف ، ونُهِيَ عن المنكر ، وصار المسلمون أخوة ، هذا كله ببركة عقيدة التوحيد الصالحة الصحيحة ، هذا نموذج قريب .

حال العرب قبل بعثة الرسول ﷺ

والعرب قبل بعثة الرسول ﷺ كانوا متفرقين متشتتين ، ثأرات وغارات ، فلما بعث النبي ﷺ ودعاهم إلى التوحيد ، واستجابوا لله ورسوله ، توحدوا وصاروا قوة هائلة في الأرض سادت العباد والبلاد ، وذكرهم الله بقوله : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴾ (1) .

فالله سبحانه وتعالى بّين ما كانت حالتهم عليه قبل دعوة الرسول ﷺ وما كانت عليه بعد دعوة الرسول ﷺ واستجابتهم له ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ (2) .

كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ في ضلال مبين ، وكانوا مطمعًا للشعوب الأخرى ، فكانت تسيطر على العرب فارس والروم ، وكل دولة من دول الكفر كان لها نصيب في جزيرة العرب ، فلما جاء الإسلام ودخلوا في دين الله انعكس الأمر ، فصارت جزيرة العرب تسيطر على العالم ، وامتدت الفتوح وانتشر الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا .

والإمام مالك رحمه الله يقول : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، فإذا كانت هذه الأمة الآن تريد الاجتماع ، وتريد القوة ، وتريد الائتلاف ، فإنه لا يصلحها إلا ما أصلح أولها ، والذي أصلح أولها هو التوحيد ، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا التوحيد

(1) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(2) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .

والاجتماع على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فالذي يجمع الأمة هو العقيدة الصحيحة والعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [1] .

فالهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح ، ولا يمكن أن تجتمع هذه الأمة إلا بالعلم النافع والعمل الصالح الذي أساسه التوحيد ، وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، وما هو التوحيد ؟ هو إفراد الله بالعبادة ، وليس التوحيد ما يقوله بعض الجهال أو الضُّلاّل : التوحيد هو الإقرار بوجود الله ، أو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، هذا توحيد ، لكنه ليس التوحيد المطلوب لأن هذا أقر به المشركون ، ولم يُدخلهم في الإسلام .

إقرار المشركين بتوحيد الربوبية

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [2] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يُشۡرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [3] ، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ ﴾ [4] ، صاروا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق الذي يملك السماوات والأرض ومن فيهن ، وهم مشركون مع ذلك ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام حتى أقروا واعترفوا بأن العبادة حق لله سبحانه وتعالى ، فأفردوا الله بالعبادة ، وتركوا عبادة الأصنام وعبادة الأوثان وعبادة الأشجار والأحجار ، وأخلصوا العبادة لله ، حينئذ صاروا مسلمين ، أما اقتصار التوحيد على توحيد الربوبية ، فهذا لا يكفي ؛ لأن هذا أقر

(١) سورة التوبة آية : ٣٣ .
(٢) سورة لقمان آية : ٢٥ .
(٣) سورة النمل الآيتان : ٦٣ - ٦٤ .
(٤) سورة المؤمنون الآيتان : ٨٤ - ٨٥ .

به أبو جهل رَأْسُ الكفر ، وأقر به أبو لهب ، وأقر به كل الكفرة ، أقروا بتوحيد الربوبية ، وأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر ، لكنهم كان يعبدون معه الأصنام : اللات والعزّى ومناة ، فصاروا مقرين بتوحيد الربوبية ، ومشركين بتوحيد الألوهية ، ولا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة من سواه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [2] .

ما قال : أقروا أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ؛ لأن هذا موجود فيهم ، فهم يقرون به ولكن هذا لا يكفي ، فالذين يقولون : إن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر ، تقول لهم : هذا توحيد أبي جهل وأبي لهب ، فأما توحيد المسلمين فهو إفراد الله تعالى بالعبادة ، ولا ينجي من عذاب الله إلا هو ، قال ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس ﴾ [3] ، من الناس ؟ هم الذين يقولون : إن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ﴾ [4] .

المشركون كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر ، ويعترفون أن آلهتهم التي يعبدونا لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر شيئًا من الأمر ، وإنما اتخذوها شفعاء ووسائط بينهم وبين الله بزعمهم ، ومع إقرارهم بتوحيد الربوبية لما قال لهم رسول الله ﷺ : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله ﴾ [5] قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِـٰهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٢) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٣) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٤) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٥) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٣٢) ، أحمد (٢٢٨/١) .

عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝ ﴾ [(١)] .

أي : كذب ، يتهمون الرسول ﷺ بالكذب لما دعاهم إلى توحيد الألوهية ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ [(٢)] .

فالمرسلون كلهم يدعون إلى لا إله إلا الله ، وخاتمهم إمامهم وأفضلهم محمد ﷺ صدقهم ودعا إلى التوحيد ، ولو كان يكفي أن يقولوا : إن الله هو الرازق الخالق لما قال لهم : قولوا : لا إله إلا الله ، فلو كان معنى لا إله إلا الله هو الإقرار بالخالق الرازق لما قال لهم : قولوا : لا إله إلا الله ، فدل على أن هذا غير هذا ، وأنه لا بد من إفراد الله تعالى بالعبادة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [(٣)] .

أي : لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق ولا رازق إلا الله سبحانه وتعالى ، وتقرون أن آلهتكم هذه لا تخلق ولا ترزق ، احتج الله تعالى بما أقروا به على ما جحدوه من توحيد الألوهية ، فتوحيد الألوهية هو مناط سعادة العبد ، فلا بد من تحقيقه ، ولا بد من الدعوة إليه ، ولا بد من بيانه للناس ، فالذي يقول : لا إله إلا الله بلسانه ، ولكنه يعبد القبور ، ويعبد الأشجار والأحجار ، ويتقرب إلى الأولياء والصالحين والجن والملائكة بشيء من العبادات ، هذا مشرك كافر بالله سبحانه وتعالى ، يجب أن يُدعى إلى التوحيد ، فإن أقر به وإلا قتل ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ

(١) سورة ص الآيات : ٥ - ٧ .

(٢) سورة الصافات الآيات : ٣٥ - ٣٧ .

(٣) سورة البقرة الآيتان : ٢١ - ٢٢ .

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ (٢) ، أي : لا يوجد شرك ، ويكون الدين كله لله ، لا يكون فيه شيء للقبر ، ولا للصنم ، ولا للولي ، ولا للملك ، ولا للجن ، ولا للإنس ، يكون الدين كل الدين الذي هو العبادة من الصلاة والصيام والدعاء والخوف والرجاء والنذر والرغبة والرهبة والذبح وغير ذلك ، يكون كله لله ، أما إنسان يقسم الدين بين الله وبين القبر ، بين الله وبين الولي ، هذا مشرك بالله ﷻ كافر بالله .

والله تعالى يقول في الحديث القدسي : ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه ﴾ (٣) ، وفي رواية : ﴿ فهو للذي أشرك وأنا منه بريء ﴾ (٤) ، الله جل وعلا لا يقبل العمل الذي فيه شرك ، ولا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه الكريم سبحانه وتعالى ، الموافق بالضرورة لشرعه وسنة رسوله ﷺ ولا بد مع ذلك أيضا من البراءة من المشركين ومن الشرك . والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٥) ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٦) ، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الأنفال الآيات : ٣٩ - ٤٠ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٩ .
(٣) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٥) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠٢) ، أحمد (٣٠١/٢) .
(٤) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٥) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠٢) ، أحمد (٣٠١/٢) .
(٥) سورة النحل آية : ١٢٠ .
(٦) سورة الزخرف الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .
(٧) سورة الممتحنة آية : ٤ .

هذا هو الدين الذي هو ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [(١)] ، وملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي إفراد الله تعالى بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، والبراءة منها ومن أهلها ، هذه ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي لا ينجو أحد إلا باتباعها ، ولا يدخل أحد الجنة إلا باتباعها ، فهذا أمر عظيم يا عباد الله ، أمر العقيدة ، وأمر التوحيد ، والكفار يُدْعَوْنَ إلى التوحيد ، أعني الكفار الأصليين من اليهود والنصارى والوثنيين ، وكذلك المرتدون من المسلمين الذين قالوا : لا إله إلا الله ودخلوا في الإسلام ، ثم نكصوا على أعقابهم وصاروا يدعون إلى القبور ، هؤلاء نحكم عليهم بالردة وندعوهم إلى التوحيد والرجوع إلى الدين من جديد ، فإن تابوا وإلا قتلوا ، قال تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ ﴾ [(٢)] ، وفي الآية الأخرى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ [(٣)] .

هذا لا بد منه ، فالكافر الأصلي يُدعى إلى الدخول في الإسلام ، والمرتد من المسلمين يُدعى إلى التوبة وتصحيح الدين الذي أخل به من عقيدته ، يُدعى إلى إخلاص العبادة ، والتوبة من عبادة القبور ، والتوبة من التقرب إلى الأولياء الصالحين ، وتحقيق معنى لا إله إلا الله التي ينطق بها ويتكلم بها ، وكذلك المسلم الموحد الذي لا يصدر منه شرك يُبين له التوحيد الصحيح ، وتُشرح له العقيدة وتُبين له ، خصوصًا أولاد المسلمين وعوام المسلمين وطلبة العلم المبتدئين الذين لم يتمكنوا ، يبين لهم معنى التوحيد الصحيح ، ومعنى العقيدة الصحيحة .

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٣ .
(٢) سورة التوبة آية : ٥ .
(٣) سورة التوبة آية : ١١ .

وكذلك العلماء الضلال يُدعون إلى تصحيح علمهم وعقيدتهم ، فاليهود كانوا علماء ، ولكنهم لما كانوا علماء سوء فالرسول ﷺ قال لمعاذ : ﴿ إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ﴾ [1] ، انظروا أهل علم ويُدعون إلى شهادة أن لا إله إلا الله ؛ لأنهم تركوها ولم يعملوا بها ، والله تعالى يقول : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] .

فالعالم إذا انحرف فإنه يُدعى إلى التوحيد ولو كان عالمًا ، فإن استجاب وإلا فإنه يقتل مرتدا إن كان فردًا ، وأما إن كانوا جماعة فإنهم يقاتلون حتى يكون الدين كله لله ﷻ هذه عقيدة التوحيد ، وهي إفراد الله تعالى بالعبادة ، وترك عبادة ما سِواه ، وتوضح العبادة ما معناها ، فالعبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ، وتكون بالقلب من الخوف والخشية والرجاء والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة والإخلاص ، هذه كلها من أعمال القلب ، وتكون على اللسان من ذِكْرِ الله سبحانه وتعالى بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد ، وعبادة الجوارح من الصلاة والصوم والحج وإخراج الزكاة وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كل هذه عبادة ، فالعبادة كل ما شرعه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، كلها عبادة لله ﷻ وكلها يجب أن تفرد وتخلص لله ﷻ لا يكون فيها شائبة الشرك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [3] .

(١) البخاري الزكاة (١٣٨٩) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .
(٢) سورة التوبة آية : ٢٩ .
(٣) سورة الكهف آية : ١١٠ .

ما اقتصر على قوله : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [1] ، بل قال : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ ﴾ [2] لأن العمل الصالح إذا دخله الشرك بطل وإن كان صالحًا .

شروط قبول العمل

فالعمل لا يقبل إلا بشرطين :

الشرط الأول : الإخلاص لله عز وجل .

الشرط الثاني : المتابعة للرسول ﷺ .

وهذا جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [3] .

لا يدخل الجنة إلا بذين الشرطين : من أسلم وجهه لله وهو محسن ، ومن عاداه لا يدخل الجنة ، وقوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [4] ، هذا الإخلاص في العمل بحيث لا يكون فيه شرك لا أكبر ولا أصغر ، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [5] ، هذا هو الشرط الثاني ، ومعناه المتابعة للرسول ﷺ وكل عمل لا يتوفر فيه هذا الشرطان : الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ فإنه يكون باطلًا ، فالعمل إذا كان فيه شرك فهو مردود ، وإذا كان فيه بدعة

---

(١) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٢) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٣) سورة البقرة الآيتان : ١١١ - ١١٢ .
(٤) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٥) سورة البقرة آية : ١١٢ .

فهو مردود لقوله ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رد ﴾ [(١)] ، وفي رواية أخرى : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [(٢)] .

فمهما حسنت نية الإنسان وقصده إذا كان يعمل عملًا لم يشرعه الرسول ﷺ فهو بدعة ، وهو مردود عليه ، لا يقبل منه شيء ، وهذا هو مقتضى شهادة ألا إله إلا الله : الإخلاص لله ﷻ بالأعمال الصالحة ، ومقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله : تصديقه ، ومتابعته ﷺ والاقتداء به ، وترك ما نى عنه ، أما الذي يقول : أشهد أن محمدًا رسول الله ولكنه لا يتبعه ، ولا يعمل بشريعته ، بل يعمل بالبدع والمحدثات ، فهذا لا تصح شهادته ، كالذي يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وهو يشرك فلا تصح شهادته " أن لا إله إلا الله " ، فإذا كنت تشهد أنه رسول الله ، ولكنك تحدث بدعًا ، أو تقتدي بالمبتدعة والمنحرفين ، فمعناه أنك اتبعت المبتدعة والمنحرفين ، وتركت الرسول ﷺ .

المشرع هو الرسول ﷺ

والمشرع هو الرسول ، وليس المشرع فلانًا أو علانًا أو العالم الفلاني أو الشيخ الفلاني ، العلماء يتبعون الرسول ﷺ ويقتدون به ، أما من انحرف عن طريقة الرسول فإنه لا يُتبع ولا يُقتدى به ولو كان عالمًا ، فهناك من علماء الضلال الكثير الذين أضلوا الناس ، والنبيّ ﷺ يقول : ﴿ وإنما أخشى على أمتي الأئمة المضلين ﴾ [(٣)] ، والدين هو ما جاء به النبي ﷺ وما تُوفي ﷺ إلا والدين قد تكامل ، فأي واحد يأتي بإضافة بعد الرسول ﷺ

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٥٦) .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(٣) الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أحمد (٥/٢٨٤) ، الدارمي المقدمة (٢٠٩) .

يريد أن يجعلها من الدين فهي بدعة مردودة ، والله تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [(١)] .

هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وهو واقف بعرفة في حجة الوداع ، وما عاش بعدها إلا شهرين وأيامًا ، ثم توفي ﷺ وما توفي إلا وقد أكمل الله تعالى به الدين ، فحسبنا أن نعمل بما جاء به النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان إن كنا نريد النجاة ، أما الذي يريد أن يشرع للناس ، وأن يأتي للناس بعادات وتقاليد ومحدثات ، فهذا مضلل ، والنبي ﷺ يقول لما وعظ أصحابه موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، قالوا له : يا رسول الله كأنا موعظة مودع فأوصينا ، قال : ﴿ أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ﴾ [(٢)] .

وكان ﷺ يقول في خطبة الوداع : ﴿ إن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [(٣)] ، هكذا كان النبي ﷺ يوصي أمته بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ، ويحذرهم من البدع والمحدثات ، والله تعالى أنزل علينا وفرض علينا قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من صلواتنا ، وفي آخرها :

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

(٢) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٣) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٤٩) ، الدارمي المقدمة (٢٠٧) .

(٤) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

فالذين أنعم الله عليهم هم أهل العلم النافع والعمل الصالح ، أهل الاقتداء والاتباع كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [1] ، ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [2] ، المغضوب عليهم هم العلماء الذين يدعون الناس إلى الضلال ، هؤلاء مغضوب عليهم لأنم لا يعملون بعلمهم ، يعرفون الحق ولا يعملون به ، ويدعون إلى خلافه لهوى في نفوسهم ، أو لأطماع يحصلون عليها ، أو رئاسات يتبوءونا ، فهم يدعون الناس إلى غير ما يعتقدون ، وإلى غير ما يعلمون ، فالمغضوب عليهم كل من عنده علم ولكنه يخالفه ولا يعمل به ، وفي طليعتهم اليهود ، فإن اليهود عندهم علم كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ [3] ، يعني محمدًا ﷺ ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [4] .

فاليهود يعلمون ولكنهم لا يعملون بعلمهم ، فهم مغضوب عليهم ، وكذلك مثلهم من هذه الأمة كل عالم يخالف علمه ، ولا يعمل به ، ولا يُفتي بالحق ، ولا يقول الحق ، ولا يدعو إلى التوحيد ، ولا يحذر الناس من الشرك ، فهذا يدخل في المغضوب عليهم . ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [5] ، الضالون هم الجهال الذين يعبدون الله على جهل وعلى غير دليل ، بل بالبدع والخرافات والمحدثات التي ما أنزل الله با من سلطان ، فكل مبتدع وكل محدث في الدين ما ليس منه فهو داخل في الضالين ، ولهذا يقول عبد الله بن المبارك رحمه

(١) سورة النساء آية : ٦٩ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٧ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٦ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٦ .
(٥) سورة الفاتحة آية : ٧ .

الله : " من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى " ، ومصداق هذا في هذه الآية : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [(١)] .

الحاصل أن التوحيد هو الأساس ، وأن العقيدة هي رأس الدين ، فيجب أن نتم بها ، وندعو الكفار إليها ، وندعو المرتدين إلى أن يرجعوا إليها ، وإلا فإنم يقتلون على ردتم ، قال ﷺ : ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [(٢)] ، وقال ﷺ : ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾ [(٣)] ، فالتارك لدينه هو المرتد ، يقتل ، وكذلك ندعو المسلمين إلى أن يحققوا التوحيد ، لا نتركهم فلا نبين لهم العقيدة الصحيحة ، بل نعلمهم إيّاها ، ونحفظهم إياها ، ونعلمهم ما يخل بالعقيدة من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والخرافات من أجل أن يجتنبوها ؛ لأنم إذا جهلوها وقعوا فيها ، فلا بد من هذا .

فالذي يقول : إن المسلمين لا يحتاجون إلى من يعلمهم عقيدة التوحيد ، أو يقول : أولاد المسلمين أولاد بيئة إسلامية لا تعلمونم العقيدة ، هم مسلمون بدون تعليم ؛ لأنم يأخذون الدين من بلادهم ومن بيئتهم ، فلا تعلموهم أركان الإسلام ، ولا أركان الإيمان ، ولا أنواع التوحيد ، هذا إما أنه جاهل ، ولا يعرف قيمة التوحيد ، وإما أنه يعلم لكنه مُضلل ، يريد تضليل المسلمين والعياذ بالله .

سمعناها منهم ، بل قرأنا في بعض الصحف من يدعو إلى هذا ، ويقول : لا يحتاج إلى تقرير مادة التوحيد في المدارس ؛ لأن أولاد المسلمين أولاد بيئة ، وأولاد فطرة ، لا يحتاجون إلى تعليمهم التوحيد ، يا سبحان الله إذا لم نعلمهم التوحيد كيف يعرفون

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) .

(٣) البخاري الديات (٦٤٨٤) ، مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦) ، الترمذي الديات (١٤٠٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠١٦) ، أبو داود الحدود (٤٣٥٢) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤) ، أحمد (٣٨٢/١) ، الدارمي الحدود (٢٢٩٨) .

الدين ؟ وكيف يعرفون عبادة الله سبحانه وتعالى ؟ هل يأخذون الدين من العادة على طريقة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [1] ؟

لا ، لا بُد أن يأخذوا الدين عن اعتقاد وعن معرفة ، قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [2] ، فالله تعالى أمر نبيه بالعلم قبل القول والعمل ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

(شَهِدَ بِالْحَق) قال : لا إله إلا الله ، (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) : أي : يعرفون معنى هذه الكلمة ، وكيف يعرفون معناها وهم لم يتعلموا ولم يدرسوا كتب العقيدة الصحيحة ، ولم يحفظوها ، فلا يكفي أن يقول : أشهد ألا إله إلا الله بدون أن يعرف معنى هذه الكلمة ، ويعمل بها ، ويطبقها ، ويدعو إليها ، ويوالي أهلها ، ويعادي أعداءها ، ولا يكون مسلمًا إلا بذلك ، هكذا دين المسلمين ، فالعقيدة هي أساس ديننا ، وهي قاعدة شريعتنا ، ولا يصح عمل إلا بتصحيح العقيدة مهما كانت الأعمال ، والله تعالى يقول في الكفار والمشركين الذين يعملون من غير عقيدة : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [4] .

والهباء الغبار الذي يطير أمام شعاع الشمس ، فأعمال الكفار يوم القيامة تصير هباء لأنها ما بُنيت على عقيدة ، ويقول سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ [5] .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٢ .
(٢) سورة محمد آية : ١٩ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٤) سورة الفرقان آية : ٢٣ .
(٥) سورة النور آية : ٣٩ .

ماذا يكون حال العطشان إذا جاء ورأى السراب ؟ ماذا تكون حالته ؟ كذلك المشرك والكافر والعياذ بالله إذا جاء يوم القيامة وهو بحاجة إلى الحسنات وبحاجة إلى الأعمال الصالحة وما وجد شيئًا ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ [(١)] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝ ﴾ [(٢)] .

هذه أمثلة القرآن لأعمال المشركين والكفار ، وإن كانت كثيرة لأنها لم تُبنَ على أساسٍ صحيح وهو العقيدة ، إذًا العقيدة أمر مهم لا يجوز لمسلم أن يتساهل في شأنها ، وأن يحقر من شأنها ، وأن يقلل من أهميتها ، وأن يقول : الناس واقعون في الربا ، وفي الزنا ، وفي السفور ، نعم هذه معاصٍ كبيرة ، ولكن أكثرهم واقعون فيما هو أكبر من ذلك ، وهو الشرك والكفر بالله ، واقعون في الشرك في وضح النهار ، تُبنى الأصنام على القبور ، ويطوفون بها ، ويذبحون لها ، وينذرون لها ، ومع هذا نغطي رءوسنا ونتعامى ونقول : ادعوا الناس إلى الأخلاق وإلى الزهد ، والشرك هو محبة الدنيا ، أخرجوا الدنيا من قلوبكم ، وهذا هو التوحيد .

وآخرون يقولون : لا الشرك هو شرك الحاكمية ، حكموا الشرع ، نعم هذا صحيح ، ولكن هذا لا يكفي حتى لو فرضنا أنهم حكموا في المحاكم بالشرع ، فهذا لا يكفي ما دام الشرك موجودًا ، وفي البلد أضرحة تعبد من دون الله ، وما دام فيها دعاة إلى الشرك ، فلا يكفي أننا نجعل المحاكم تحكم بالشرع ، الشرك ليس في الحاكمية فقط ، الشرك هو عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، هذا هو الشرك ، وتدخل فيه الحاكمية ، والرسول ﷺ لو قال للمشركين : دعونا نجتمع ، ونبطل الحكم بعوائد الجاهلية ، ونحكم في الناس بالشرع في أمور الخصومات والمنازعات والأخلاقيات والمعاملات ، ولكن اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تبقى ، كل على دينه ، هل يكون هذا صحيحًا ؟ لا ، لا

---

(١) سورة النور آية : ٣٩ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ١٨ .

يكون هذا دينًا ، ولا تستقيم به ملة ، بل لا بد من تصحيح العقيدة أولًا ، لا بد من تحقيق لا إله إلا الله ، ولا بد من إزالة الشرك ومظاهره من البلد ، ثم بعد ذلك تأتي بقية أوامر الدين وشرائع الإسلام ؛ لأننا إذا حققنا الأساس أقمنا عليه البناء الصحيح .

ولو فرضنا أنك أقمت بناية تتكون من مائة وعشرين دورًا ، لكن أقمتها على أساس منهارٍ ، ماذا يكون مصير هذه العمارة ؟ تنهار بمن فيها ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [1] .

الواجب علينا أن نعرف هذا الأمر ، وأن نتم به ، وأن ندرسه أولًا ، ونُدرسه لأبنائنا وإخواننا ، وأن نحرص عليه ، وأن نكثف مناهجه في المدارس والمعاهد والكليات ، وأن نكثف دراسته في المساجد ، وأن نعمر به بيوتنا ودروسنا ، هذا هو الأساس الصحيح ، وما عداه فهو تابعٌ ومكملٌ له ، هذا هو الذي ندعو إليه ، تصحيح العقيدة والعناية بها ، وتعلمها وتعليمها ، وتأليف الكتب والرسائل فيها ونشرها ، وطبع كتب العقيدة الصحيحة ، ونشرها وتوزيعها ، هذا هو المطلوب ، ثم يتبعها بقية أوامر الدين وشرائع الإسلام .

العقيدة بمنزلة الرأس من البدن ، فلو كان البدن متكامل الأعضاء لكن ليس فيه رأس ماذا يكون هذا البدن ؟ يكون جيفة ، لكن إذا كان الرأس موجودًا فإن بقية الأعضاء تكفي للحياة ، مع وجود الرأس يمكن أن تنقطع يده ، تنقطع رجله ، ويعيش ويمشي ويتزوج ويأكل ، كذلك الدين إذا فقدت العقيدة فُقِدَ الدين مهما كانت صورة الأعمال بعد ذلك .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٩ .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم معرفة الحق ، والعمل به ، والدعوة إليه ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [1] .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) سورة العصر الآيات : ١ - ٣ .

المحاضرة الثامنة عشرة
التفرق والاختلاف وأثرهما في الأمة

دعوة النبي ﷺ الناس إلى دين الله ثلاث عشرة سنة في مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد ، بعثه الله رحمة للعالمين ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، ترك أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، جمع الله به بعد الفرقة ، وهدى به بعد الضلالة ، وأغنى به من العيلة ، وفتح به أعينًا عميًا وقلوبًا غلفًا ، وجمع الله برسالته بين المؤمنين وجعلهم إخوة متحابين .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (١) .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل الفرقة والضلالة .

في هذه الآيات يذكر الله المؤمنين بنعمته ، ويحثهم على التمسك بدينه ، فمن قرأ التاريخ وعرف ما كانت عليه الجاهلية من تفرقها واختلافها وتناحرها وتشتتها في جزيرة

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٦ .

العرب ، بل ما عليه العالم كله حينذاك من تفرق واختلاف قبل مبعثه ﷺ فالعرب لم يكن لهم دولة تجمعهم ، ولا رابطة تربطهم ، بل كل قبيلة تحكم نفسها بنفسها حكم الجاهلية ، وكل قبيلة تُغِير على أختها تسبي أموالها ونساءها ، ويفتخرون بالثأرات والغارات والقتل والتقتيل ونهب الضعيف والاستيلاء على الناس بالظلم والطغيان .

وكانت الأمم في الفرس والروم تتجاذب العرب ، كلًّا يتبعه قسم من العرب ، الفرس في المشرق ، والروم في المغرب ، والعرب أوزاع متفرقون ، وليس هناك دين صحيح إلا بقايا من دين أهل الكتاب اليهود والنصارى ، وعلى ما فيه من تحريف وتغيير وتبديل .

وملة إبراهيم غُيرت في الحجاز بني إسماعيل ، حلت محلها الوثنية حتى كان على الكعبة المشرفة ثلاثمائة وستون صنمًا ، وكانت اللات والعزة ومناة الثالثة الأخرى ، وكانت في بيوت أهل مكة أصنام لكل أهل بيت صنم ، هذه حالتهم السياسية وحالتهم الدينية وحالتهم الاجتماعية ، من تفرق واختلاف وتسلط للفرس والروم عليهم .

فلما بعث الله هذا الرسول ﷺ ودعاهم إلى الإسلام وإلى التوحيد وإلى الرجوع إلى دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، هدى الله تعالى به من سبقت له السعادة فاستجاب ، واشتد أذى الكفار لرسول الله ﷺ وأصحابه إلا من كان له قبيلة تحميه ، كان رسول الله ﷺ يناصره عمه أبو طالب ويحميه بتسخير الله سبحانه وتعالى ، وكذلك أصحابه من كان له قبيلة أو كان له أسرة تحميه من أذى الكفار ، ومن ليس له قبيلة أو ليس له أسرة كعمار وبلال وصهيب وغيرهم فإنهم يؤذون أشد الأذى .

وبقي على ذلك ثلاث عشرة سنة في مكة عليه الصلاة والسلام ، يدعو الناس إلى دين الله ، لا يفتر ، ولا ييأس ، ولا يكل عليه الصلاة والسلام ، ويعرض نفسه على القبائل في الموسم لعله يجد من يناصره ويحميه من أذى قومه (وأذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة فكانت الهجرة الأولى) ، وكان ﷺ يغشى الناس في مجامعهم ويدعوهم إلى الله ﷻ فيسفهونه ويتكلمون فيه ، ويؤذونه عليه الصلاة والسلام ، إلى أن أتاح الله له نفرًا من الأنصار جاءوا حاجّين ، وعرض دعوته عليهم ، فألقى الله في قلوبهم الإيمان ، وكانوا

قلة ، والسبب في ذلك أنهم كانوا يجاورون اليهود في المدينة ، واليهود أهل كتاب يجدون في كتابهم أن الله سيبعث رسولًا في آخر الزمان صفته كذا وكذا .

دخول الأنصار في دين الله ﷻ ومناصرتهم النبي ﷺ

وكانت اليهود يتوعدون بهذا الرسول خصومهم من الأنصار ، ويقولون : سيُبعث نبي وسنكون معه ونقتلكم ، يتوعدون كما ذكر الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [1] ، فكان كلام اليهود هذا فيه مصلحة لهؤلاء الأنصار ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ في مِنى قالوا : إن هذا الذي تتوعدكم به اليهود ، فلا يسبقوكم إليه ، فاستجابوا له وبايعوه البيعة الأولى في منى ، ورجعوا إلى قومهم فدعوا إلى الله في المدينة فأسلم منهم نفر كثير ، ثم جاءوا في الموسم من العام القادم أكثر مما كانوا في الموسم الأول ، وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية ، ثم جاءوا في الموسم الثالث أكثر وبايعوه بيعة العقبة الأخيرة على أن يحموه وأن ينصروه إذا هاجر إليهم في بلادهم ، فأعقب ذلك الهجرة إلى المدينة ، (فكانت الهجرة الثانية) ، هاجر رسول الله ﷺ على حالة ذكرها تعالى في كتابه : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2] .

خرج من بينهم وهم يترصدون له ليقتلوه حتى لا يهاجر إلى المدينة ، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] ، فخرج من بينهم عليه الصلاة والسلام ، واختفى في غار ثور عدة أيام حتى انقطع الخبر والطلب في أثره ، وواصل السفر إلى المدينة وقدمها فوجد الأنصار ، ووجد الأعوان ،

(١) سورة البقرة آية : ٨٩ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٠ .
(٣) سورة التوبة آية : ٣٢ .

ووجد الدار ، ووجد الحماية والنصرة ، وتلاحق أصحابه واجتمعوا في المدينة ، فصارت للمسلمين دولة ، ثم صار رسول الله ﷺ يغزو أعداءه ويبعث بالسرايا والجيوش ، وأول غزوة نصر الله با الإسلام غزوة بدر الكبرى .

فتح مكة

ثم تتابعت الغزوات إلى أن خرج ﷺ في العام الثامن من الهجرة في رمضان ، وغزا أهل مكة وفتحها الله على يديه ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، وصارت الوفود تأتيه من القبائل من مختلف الجهات ، وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [1] .

الذي خرج منذ ثماني سنوات مختبئًا يتهدده أعداؤه ، ووقف ﷺ خطيبًا بباب الكعبة ، وهم تحته ينتظرون ماذا يفعل بم جزاء ما قاموا به ضده طيلة السنين والأعوام ؟ فقال ﷺ : ﴿ يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرًا ، أخ كريم ، وابن أخٍ كريم ، فقال ﷺ : اذهبوا فأنتم الطلقاء ﴾ ، من عليهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم ، فدخل الناس في دين الله أفواجًا ، فصارت للمسلمين دولة عظيمة ، اجتمعوا بعد الفرقة ، وأعزهم الله با بعد الذلة ، وذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [2] .

---

(١) سورة النصر الآيات : ١ - ٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

وفاة النبي ﷺ وموعظته أصحابه قبل موته

ثم انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعدما أكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة ، وأنزل عليه قوله تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [1] ، فقد أوصى أصحابه في آخر حياته أن يجتمعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقال : ﴿ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا : كتاب الله وسنتي ﴾ .

ولما ﴿ وعظ أصحابه موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قالوا : يا رسول الله كأنا موعظة مودع فأوصنا ﴾ [2] ، أحسوا من هذه الموعظة أنا موعظة عند موته ﷺ فقال : ﴿ أوصيكم بتقوى الله ﴾ [3] ، تنبهوا لهذا ، هذه وصية لكم ، هي وصية لأصحابه ، ووصية لأمته إلى أن تقوم الساعة ، ﴿ أوصيكم بتقوى الله ﴾ [4] ، هذا أول شيء ، ﴿ إصلاح ما بينكم وبين الله سبحانه وتعالى يصلح الله لكم أموركم ، أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ﴾ [5] ، وفي رواية : ﴿ وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ﴾ [6] .

فقوله : ﴿ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ﴾ [7] ، لأن طاعة ولاة أمور المسلمين تجتمع با الكلمة ، وتقوى با الأمة ، ويتحد با الصف ، وتأتلف با القلوب ، وتصطلح با الأمور ، تقام الحدود ، ويؤمر بالمعروف ، وينهى عن

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .
(٢) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٣) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٤) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٥) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٦) البخاري الأحكام (٦٧٢٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٠) ، أحمد (١١٤/٣) .
(٧) البخاري الأحكام (٦٧٢٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٠) ، أحمد (١١٤/٣) .

المنكر ، ويقوم قائم الجهاد في سبيل الله ﷻ ولهذا كانت الوصية الثانية بعد تقوى الله الوصية بطاعة ولاة أمور المسلمين ؛ لما في ذلك من المصالح العظيمة ، ولما في معصيتهم والخروج عليهم من تفريق الكلمة ، وتفرق الجماعة ، وتشتت القلوب ، وحصول العداوة بين الناس ، وهذا في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] .

هذا فيه الاجتماع على عبادة رب واحد سبحانه وتعالى ، والاجتماع على عبادة رب واحد تجتمع به القلوب ، وتقوى به الشوكة ، بخلاف ما إذا كان هناك آلهة متفرقة لا تملك لعابديها نفعًا ولا ضرا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا كما قال تعالى : ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2] .

ثم طاعة الرسول ﷺ لأنه المبلغ عن الله ، الذي يبلغ عن الله دينه ووحيه ، فليس في دين الله طاعة لأحد إلا طاعة الله ورسوله ، فالدين ما شرعه الله والقدوة هو رسول الله ﷺ ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [3] ، هذا فيه توحيد الجماعة بعد توحيد الملة لما في ذلك من المصالح ، ثم في قوله : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [4] فيه توحيد المنهج بعد توحيد المعبود ، وتوحيد القدوة +توحيد المعبود وهو الله ، وتوحيد القدوة وهو رسول الله ﷺ وتوحيد الجماعة على إمام واحد من أئمة

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٢) سورة يوسف الآيتان : ٣٩ - ٤٠ .
(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٤) سورة النساء آية : ٥٩ .

المسلمين ، وتوحيد المنهج والمصدر وهو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [(١)] .

لا تردوه إلى منهج فلان أو الحزب الفلاني أو الجماعة الفلانية ، منهج الجماعة الفلانية ، مذهب فلان ، لا ردوه إلى الله والرسول ، الرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله ، والرد إلى الرسول في حياته هو الرجوع إليه وسؤاله ، وبعد وفاته الرجوع إلى سنته كما قال ﷺ : ﴿ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي ﴾ ، وقوله ﷺ : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويكره لكم ثلاثًا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(٢)] ، هذه الثلاثة التي يرضاها الله : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، هذه واحدة ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، هذه الثانية ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، هذه الثالثة .

ومناصحة ولي الأمر تكون بطاعته بالمعروف ، وبالقيام بالعمل الذي يكله إلى رعيته ، فكل موظف مسؤول عن عمله يناصح فيه ولي الأمر بأن يؤديه على الوجه المطلوب ، لا يخون فيه الله والرسول ، بل يؤديه على الوجه المطلوب ، هذه من النصيحة لولي الأمر ، القيام بالأعمال الوظيفية على النظام المطلوب والعدالة ، كما قال ﷺ : ﴿ الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(٣)] .

والثانية : أن تعتصموا بحبل الله جميعًا ، تعتصموا بحبل الله الذي هو القرآن والسنة ، (ولا تفرقوا) كل له مذهب ، وكل له منهج ، وكل له حزب ، وكل له جماعة ، هذا

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٢/٣٦٧) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٣) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (٤/١٠٣) .

إذا جاز في الأمم الكافرة لأنا تتخبط في ضياع فإنه لا يجوز أبدًا للمسلمين لأنم في نور ، يسيرون على منهج رباني ، لا يجوز لهم أن يتفرقوا أبدًا في عقائدهم ، ولا في مناهجهم ، بل يجتمعون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفي الحديث الذي نحن بصدده : ﴿ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [(١)] ، لا بد من المنهج الصحيح عند الاختلاف : ﴿ من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ﴾ [(٢)] .

إذًا لا بد من منهج يُرجع إليه يحسم هذا الخلاف ، وليس هناك منهج يحسم الخلاف إلا سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين : ﴿ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ﴾ [(٣)] الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله تعالى عنهم ، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون الذين أمرنا رسول الله ﷺ أن نأخذ بسنتهم ومنهجهم وهديهم ، بل إن الله سبحانه وتعالى شرع لنا الأخذ بمنهج السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان ، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [(٤)] .

فالله شرع لنا الأخذ بمنهج السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار عمومًا ، والأخذ بمنهج الخلفاء الراشدين خصوصًا ؛ لأنم خلفاء الرسول ﷺ وأولئك أصحاب الرسول ﷺ فمنهجهم هو المنهج الصحيح ، وما عداه فهو ضلال .

---

(١) البخاري الأحكام (٦٧٢٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٠) ، أحمد (١١٤/٣) .
(٢) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٣) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٤) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

أي إنسان يبتكر منهجًا أو خطة يدعو إليها ، ويجمع الناس عليها ، وهي تخالف منهج الرسول ﷺ ومنهج الصحابة ومنهج خلفائه الراشدين ، فإنها خطة ضالة لا تسمن ولا تغني من جوع ، بل تضر ، وما حصل في المسلمين اليوم خير شاهد ، فإنهم لما كثُرت بهم الجماعات ، وصاروا يتقبلون الأفكار الوافدة من هنا وهناك ، تفرقوا واختلفوا وتعادوا وتقاطعوا ، ولو أنهم عملوا بوصية رسول الله ﷺ ورجعوا إلى المنهج الصحيح لما كان شيء من ذلك .

والله سبحانه وتعالى أمرنا بالرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ والاقتداء بالسلف الصالح من المهاجرين والأنصار ، وأمرنا بطاعة ولاة أمورنا ونصيحتهم ، وعدم مخالفتهم ، وعدم إثارة الأحقاد ضدهم ، والتماس الأخطاء والنفخ فيها من أجل تفريق المسلمين ، هذه نخشى أن تؤول إلى شر فلتكن منها على حذر ، وتُعالج هذه القضية قبل استفحالها .

الأمر بالاجتماع في العبادات وبيان سبب الافتراق

والله سبحانه وتعالى أمرنا بالاجتماع في العبادات من أجل أن نجتمع فيما سواها من أمور ديننا ودنيانا ، فمثلًا الصلوات الخمس ، الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نؤديها جماعة في المساجد :

- فشرع لنا اجتماعًا يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات ، هذا درس للاجتماع على إمام واحد لا نختلف عليه ، هذه تربية على الاجتماع على الحق والعبادة .
- وشرع لنا اجتماعًا أسبوعيا أكبر من الاجتماع اليومي ، وهو الاجتماع لصلاة الجمعة .
- وشرع لنا اجتماعًا سنويا أكبر من الجمعة ، وهو اجتماع لصلاة العيد عيد الفطر وعيد الأضحى .

بل شرع لنا اجتماعًا أكبر من اجتماع العيد ، وهو اجتماع الحج الذي يجتمع فيه المسلمون من أقطار الأرض في صعيد واحد ، يطوفون حول بيت واحد ، يؤدون عبادة

واحدة ، في زمن واحد ، ومكان واحد ، من أجل أن يتربى المسلمون على الاجتماع والائتلاف والمحبة والأخوة .

هذه دروس الاجتماع لأن الفرقة والاختلاف عذاب كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [1] ، فالتنازع يسبب الفشل وهو الهزيمة وانتصار العدو على المسلمين ، سواء كان ذلك في ميدان المعركة أو في غيرها ، فليس هذا خاصا بميدان المعركة ، بل التفرق والتنازع بين المسلمين يفشلهم أمام أهل الأرض من أعدائهم ، ويَطمع الأعداء فيهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [2] ، الريح هو القوة ؛ لأن الاجتماع قوة والتفرق ضعف ، وإذا ضعف المسلمون ذهبت عزتم وكرامتهم وطَمِع فيهم عدوهم ، واستولوا عليهم سواء استولوا استيلاءً مباشرًا أو غير مباشرٍ : ﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ ﴾ [4] .

بين الله في هذه الآية أن الافتراق يسبب الاختلاف ، والاختلاف في الآراء والمناهج والجماعات والأحزاب يسبب الاختلاف في القلوب ، وإذا اختلفت القلوب تناكرت وتفرقت كلمة المسلمين بسبب ذلك ، فمن ثمرات التفرق حصول الاختلاف ، ولهذا كان ﷺ يسوي أصحابه في الصلاة ، يسوي صفوفهم ويقول : ﴿ لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ﴾ [5] ، فالاختلاف في الصف يسبب الاختلاف في القلوب ، والاتفاق وتعديل الصف يسبب اجتماع القلوب ، هذا مثال يقاس عليه كل شؤون الأمة ، يجب أن تكون

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٦ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٦ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٦ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٥) مسلم الصلاة (٤٣٢) ، النسائي الإمامة (٨٠٧) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٧٦) ، أحمد (١٢٢/٤) ، الدارمي الصلاة (١٢٦٦) .

الأمة صفّا واحدًا في كل أمورها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ ﴾ [1] .

فلو كان المقاتلون كل واحد في مكان هل يحصل لهم نصر وعز ؟ لا ، لكن إذا كانوا صفّا واحدًا كالبنيان المرصوص فإنم بذلك يكتسبون القوة والتعاون والتآلف ، وينتصرون على عدوهم ، ولا يقف في وجههم أحد ؛ لأنم يحملون الإيمان والقوة ، وعدوهم يحمل الضعف والخوف ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦ ﴾ [2] .

واللِه لا يجمع بين القلوب طمع الدنيا مهما بلغ ، وإنما الذي يجمع بين القلوب هو الإيمان والنظام الشرعي ، الشريعة الإسلامية هي التي تجمع القلوب ، والإيمان هو الذي يوحد الرغبات ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٣ ﴾ [3] .

ألف بينهم بماذا ؟ ألف بينهم بالإيمان والمحبة فيما بينهم ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [4] ، وقال ﷺ : ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ﴾ [5] ، فالجسد مجتمع من أعضائه وعضلاته ، و ﴿ الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [6] .

---

(١) سورة الصف آية : ٤ .
(٢) سورة النساء آية : ٧٦ .
(٣) سورة الأنفال الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .
(٤) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .
(٥) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .
(٦) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .

أما لو تفرقت أعضاء الجسد وعضلاته فإنه يفسد ولا تقوم له قائمة ، كذلك الأمة إذا تفرقت واختلفت وتعادت وتقاطعت كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ (١) . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ (٢) يعني أحزابًا ، ﴿ لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ (٣) الرسول ﷺ بريء منهم ، برأه الله منهم ، ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٤) هذا وعيد .

وقال تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ ﴾ (٥) ، لما تفرقوا فرق الله شملهم ، وعاقبهم بأن كل واحد فرح بما عنده ولو كان ضلالًا وكفرًا وإلحادًا ، وإذا فرح بما عنده فلن يرجع أبدًا ، هذه هي المصيبة ، فالأحزاب إذا صار كل حزب مقتنعا بما معه وفرح به فلا يرجى لهم رجوع ، هذا ابتلاء وامتحان من الله سبحانه وتعالى أن الله أفرحهم بالباطل من أجل ألا يرجعوا إلى الحق عقوبة لهم ، أمّا لو أن الحزب هذا ينظر فيما هو عليه من المنهج ويراجعه ويعدل الخطأ فإنه يكون على خير ، لكن إذا فرح بما هو عليه من الخطأ فهذه هي المشكلة .

وهذا ما عليه غالب الجماعات اليوم ، كل جماعة مقتنعة بما هي عليه ، ولا تفكر بأن تعرض ما هي عليه على الكتاب والسنة ، وإنما تأخذها العصبية وتأخذها الغيرة الجاهلية والنخوة الجاهلية على التعصب لما هي عليه ، وهذه علامةُ شر ، بل الواجب علينا جميعًا ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٥٣ .

خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] ، أي : خيرٌ وأحسن تأويلًا عاجلًا وآجلًا ، ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [2] .

ولما كان الله سبحانه وتعالى يرضى لنا أن نجتمع ونعتصم بحبله جميعًا ولا نتفرق فقد نَهَانا عن أسباب الفرقة ، كلكم أو غالبكم تقرءون سورة الحجرات ، هذه السورة العظيمة التي تعالج أمراض المجتمع ، وتعالج أسباب الفرقة ، أولها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [3] .

الله سبحانه وتعالى أمرنا إذا جاءنا فاسقٌ ، والفاسق معناه : غير العدل ، هذا لا يقبل خبره إلا بعد التثبت ؛ لأنه ليس عدلا ، فلا يُؤمَن أن يكذب ويزور ويفرق ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ ﴾ [4] أصل الفسق الخروج عن طاعة الله ، وقد يكون الفسق كفرًا ، وقد يكون الفسق دون الكفر ، وهو المراد هنا ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ﴾ [5] لأن العدل لا يمكن أن يكذب ، لكن الفاسق مظنة الكذب ، فتبينوا وتثبتوا ولا تقبلوا خبره على علاتِه حتى تفحصوه ، ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ ﴾ [6] أي : خشية أن تصيبوا ﴿ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [7] .

قالوا : يجب على المسلمين أن يتوقفوا فيما يقوله الفساق الذين يريدون التفريق بين المسلمين ، التفريق بين طلبة العلم ، التفريق بين الراعي والرعية ، يجب أن لا يتعجلوا في قبول خبر الفساق والمنافقين ، بل لا بد من التمحيص ، ﴿ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [8]

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٢) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٣) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٤) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٥) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٦) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٧) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٨) سورة الحجرات آية : ٦ .

يعني : خطأ ، ﴿ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [1] دل على أن خبر الفاسق لا يفيد العلم ، بل يفيد جهالة إذا لم يتثبت منه ، هذا من ناحية ، ثم إنه سبحانه وتعالى أمر بالعلاج إذا تطور الاختلاف وأفضى إلى الاقتتال بين المختلفين من الأمة ، أمرنا بعلاج ذلك بالإصلاح أو بقتال الفئة الباغية ، قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [2] .

أول خطوة الصلح وتسوية الـ اع من أجل أن تبقى للمسلمين كلمتهم واجتماعهم ، ويسوى الـ اع ، فلا نترك الناس يختلفون ويتنازعون ويتضاربون ويتشاتمون ، لا بل نسعى بالإصلاح ، هذا شأن المسلمين ، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [3] . ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [4] .

النبي ﷺ يقول في الصدقات : ﴿ تعدل بين اثنين صدقة ﴾ [5] ، إذا وجدت اثنين متنازعين وأصلحت بينهما فهذه صدقة ، وليست الصدقة مقصورة على المال ، والصدقة أنواع : منها الإصلاح بين الناس ، الكلمة الطيبة صدقة ، تبسمك في وجه أخيك صدقة ؛ لأن هذا كله يحصل به المحبة والاجتماع ، ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [6] ، هذه الخطوة الأولى ، والخطوة الثانية : ﴿ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي ﴾ [7] ، إذا صارت طائفة لا تقبل الصلح وتريد أن تستمر في بغيها ، فإنه يجب على المسلمين أن

---

(١) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٢) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٣) سورة الأنفال آية : ١ .
(٤) سورة النساء آية : ١١٤ .
(٥) البخاري الصلح (٢٥٦٠) ، مسلم الزكاة (١٠٠٩) ، أحمد (٢/٣١٦) .
(٦) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٧) سورة الحجرات آية : ٩ .

يكونوا مع الطائفة المظلومة ، وأن يقاتلوا الطائفة الظالمة حتى ينحسم النزاع ﴿ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى ﴾ [1] ، ولو كانت من المسلمين ، يُقاتَلون ولو كانوا من المسلمين إذا بغوا وظلموا ؛ لأن هذا يفرق الكلمة ﴿ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ ﴾ [2] يعني : ترجع ، ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ ﴾ [3] ، ثم قال تعالى مبينًا السبب الذي من أجله شرع الله هذه الإجراءات : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝ ﴾ [4] .

لا يرضى الأخوة لإخوانهم أن يتنازعوا وأن يتقاطعوا وأن يتقاتلوا ، لا يرضون بهذا ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [5] ، هذا فيه تحذير من ترك النزاع يتفاقم لأنه يسبب غضب الله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝ ﴾ [6] ، فالإصلاح بين الناس سبب للرحمة ، وترك الإصلاح بين الناس سبب للغضب ، غضب الله سبحانه وتعالى .

وجاء في الحديث : « إن الأعمال تعرض على الله في كل يوم اثنين وخميس ، فيغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول الله سبحانه وتعالى : أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا » [7] ، النزاع والشحناء تمنعان المغفرة حتى يصطلحا ، كل هذا من أجل جمع كلمة المسلمين والنهي عن التفرقة بينهم .

---

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٢) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٣) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٤) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٦) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٧) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٥) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٣) ، أبو داود الأدب (٤٩١٦) ، ابن ماجه الصيام (١٧٤٠) ، أحمد (٢/٢٦٨) ، مالك الجامع (١٦٨٦) ، الدارمي الصوم (١٧٥١) .

ثم نهى الله سبحانه وتعالى عن أشياء تسبب الافتراق : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [1] ، السخرية من المسلمين لا تجوز لأنها تنقيص للمسلم ، والمسلم عزيز عند الله سبحانه وتعالى ، وأيضًا تسبب العداوة والرد بالمثل ، وما يدريك لعل هذا الذي سخرت منه يكون خيرًا منك عند الله سبحانه وتعالى ، فتكون سخرت بمن هو خير منك ؟ ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [2] اللمز معناه التنقيص ، فلان غير كفء ، فلان ليس بشيء ، هذا كلام تقوله في عرض أخيك المسلم ، هذا لمز ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [3] يعني : لا يلمز بعضكم بعضًا ، وقال : أنفسكم لأن المسلمين كالنفس الواحدة كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [4] ، يعني : لا يقتل بعضكم بعضًا : ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [5] ، يعني : يسلم بعضكم على بعض .

المسلمون نفس واحدة ، وجسد واحد ، وبنيان واحد ، ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ﴾ [6] ، الألقاب : المعايير التي تدل على تنقيص كالبخيل ، أو الألقاب التي يكرهها المسلم إن هو عُير بلقب فيه : كالجبان ، البخيل . . . كل لقب يشعر بذم ؛ لأن اللقب هو ما يشعر بالذم ، خلاف الكُنية فإنها تشعر بالمدح : أبو فلان ، أم فلان ، هذا يشعر بالمدح ، ولهذا كان النبي ﷺ يُكني أصحابه تكرمة لهم وتطييبًا لخواطرهم ، والشاعر يقول :

أُكنيـــه إذْ أدعـــوه لأكرمـــه

---

(1) سورة الحجرات آية : ١١ .
(2) سورة الحجرات آية : ١١ .
(3) سورة الحجرات آية : ١١ .
(4) سورة النساء آية : ٢٩ .
(5) سورة النور آية : ٦١ .
(6) سورة الحجرات آية : ١١ .

فإذا كان اللقب يكرهه أخوك فلا يجوز أن تناديه به أو تدعوه بذا اللقب المكروه إليه ، بل تدعوه بأحب الأسماء إليه وأطيب الأسماء إليه ، أو تُكنيه : يا أبا فلان ، يا أبا عبد الله . ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ [(١)] ، الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [(٢)] ، ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [(٣)] ، هذا العمل فسوق ، يعني : خروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، التنابز بالألقاب والسخرية هذا من الفسوق ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [(٤)] ، كونوا عباد الله إخوانًا ، « المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يخذله ولا يسلمه ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » [(٥)] ، « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » [(٦)] ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [(٧)] من لم يتب من هذه العمليات ، سخرية بالناس ، ونبز بالألقاب واللمز ، هذا ظلم ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [(٨)] ، الظلم لا يقتصر على الظلم في المال وأخذ حقوق الناس ، بل الظلم يكون بالأعراض أيضًا ، بالتعدي عليهم في أعراضهم وأموالهم وفي أنفسهم ، هذه هي أنواع الظلم ، ثم قال جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [(٩)] .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٢) سورة الهمزة آية : ١ .
(٣) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٤) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٥) البخاري المظالم والغصب (٢٣١٠) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٠) ، الترمذي الحدود (١٤٢٦) ، أبو داود الأدب (٤٨٩٣) ، أحمد (٦٨/٢) .
(٦) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) ، أحمد (٢٧٧/٢) .
(٧) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٨) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٩) سورة الحجرات آية : ١٢ .

هذه كلها من الأمراض الاجتماعية التي تسبب الافتراق ، ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [(١)] تجنب الكثير من أجل القليل الذي فيه إثم مخافة أن يقع الإنسان فيه ، ولا تظن بأخيك المسلم شرا ، احمل أخاك المسلم على الخير وعلى العدالة ؛ لأن الأصل في المسلم العدالة ، فأحسن به الظن ما لم يتبين لك ويثبت لديك خلاف ذلك .

والنبي ﷺ يقول : يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ﴿ لا تتبعوا عورات المسلمين ، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، وإذا تتبع الله عورته فضحه ولو كان في قعر بيته ﴾ [(٢)] .

فلا تتبع عورات المسلمين ، بل غض الطرف عن عورات المسلمين ، ما كلفت بمحاسبة الناس من أجل أن تعثر على عيب من العيوب وتفشيه في الناس ، وليس معنى ذلك أننا نترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، لا ، إذا كان الدافع للتجسس على الناس هو الغيرة على الدين ، ومن أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان هذا الشخص متهمًا ، القرينة والتهمة قائمة .

فإذا كان الغرض من التجسس هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا بأس بذلك ؛ لأن هذا مصلحته أكثر من المضرة ، أما إذا كان القصد التماس العيوب وتنقيص الناس فهذا لا يجوز بحال من الأحوال ؛ لأنه ليس أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر ، وإنما هو التماس للعيوب وإفشاء للفاحشة ، الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [(٣)] .

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .
(٢) الترمذي البر والصلة (٢٠٣٢) .
(٣) سورة النور آية : ١٩ .

فالحاصل أنه إذا كان التجسس على الناس يقصد منه التماس العيوب والعثرات ، هذا لا يجوز ، أما إذا كان القصد منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لهذا الشخص ولغيره هذا شيء طيب ، ثم قال جل وعلا : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [1] ، هذا من أسباب التفرقة والغيبة كما بينها النبي ﷺ : ﴿ ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : يا رسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ﴾ [2] ، إذًا أنت لا تخرج عن الإثم ، إما مغتاب وإما كذاب ، إن أعداء المسلمين في كل زمان ومكان دائمًا يحاولون تفريق المسلمين ، وتفريق الكلمة ، وزرع العداوة بين الراعي والرعية ، بين المسلمين بعضهم مع بعض ، بين العوام ، والعلماء ، هذا في كل زمان ومكان لا تخلو الأمة من دخيل يفسد ، لما جمع الله المسلمين للرسول ﷺ حاول المنافقون التفرقة ، فقد فضحهم الله في كتابه كما تقرءون ذلك ، وقصدهم تفريق الكلمة . ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [3] يعني : يتفرقوا ، ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [4] ، إذا منعتم النفقة فالله عنده خزائن السماوات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون ، اليهود أيضًا بدورهم لا يزالون يريدون تفريق المسلمين ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [5] .

تآمروا ، قال بعضهم لبعض : أسلموا أول النهار وإذا صار آخر النهار انصرفوا عن الإسلام من أجل أن يتبعوكم ، يقولون : لو كان في دين محمد خير ما تركه هؤلاء ؛

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٧٤) ، أحمد (٤٥٨/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٤) .

(٣) سورة المنافقون آية : ٧ .

(٤) سورة المنافقون آية : ٧ .

(٥) سورة آل عمران آية : ٧٢ .

لأنم أهل كتاب وأهل معرفة ، ولكن الله أبطل كيدهم ، ولما اجتمع الأنصار الأوس والخزرج يتحدثون فيما بينهم ويتآلفون جاء يهودي وأراد أن يفرق بينهم ، فجلس معهم وجعل يذكرهم بالعداوات التي كانت بينهم في الجاهلية ، وينشد الأشعار التي كانت بينهم ، وبالحروب ، فحصل بينهم شيء وتكلم بعضهم في بعض ، وتواعدوا الحرة من الغد للحرب ، فلما بلغ الرسول ﷺ ذلك أسرع إليهم وجعل يذكرهم بنعمة الله ، وأنزل الله عليه قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [(١)] إلى آخر الآية ، ثم قاموا وسلم بعضهم على بعض ، وزالت العداوة التي أراد هذا اليهودي أن يبثها ويفرق بينهم .

ولما توفي رسول الله ﷺ أيضًا جاء اليهود والـوس بكيدهم ، وحصل أنم استمالوا بعض شباب المسلمين على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتهى الأمر بقتل خليفة المسلمين الراشد ذي النورين رضي الله عنه عثمان بن عفان ، فحصلت الفتن بين المسلمين والقتال الذي تعرفونه ، والقتال الذي حصل بعد مقتل عثمان ولم ينته الأمر إلا على يد الحسن بن علي رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ : ﴿ إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين ﴾ [(٢)] .

لما قتل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، الخليفة الرابع ، رضي الله عنه لما قتل واستخلف الحسن بن علي ، وكان معاوية على أهل الشام ، ورأى الحسن أن المسلمين في حرب أراد رضي الله عنه أن يحسم هذا الـ اع ، وأن يصلح بين المسلمين ، فتنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عن الجميع ، من أجل حقن الدماء ، والجمع بين المسلمين ، وتحققت فيه بشرى رسول الله ﷺ

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٧) ، الترمذي المناقب (٣٧٧٣) ، النسائي الجمعة (١٤١٠) ، أبو داود السنة (٤٦٦٢) ، أحمد (٥١/٥) .

بقوله : ﴿ إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين ﴾ [(١)] ، فاجتمع المسلمون على معاوية .

وسمي هذا العام عام الجماعة ، واستتب الأمر ولله الحمد ، ورد الله اليهود والروس بغيظهم ، وعادت كلمة المسلمين واحدة ، ودولتهم واحدة ، وعاد لهم العز في زمان الدولة الأموية والدولة العباسية ، إلى أن ضعف أمر المسلمين في الأخير ، فدخلت البدع والخرافات الصوفية والقبورية في دين المسلمين ، ففرقت بينهم ، حتى إن هذه البلاد - بلاد نجد - كانت متفرقة ، كل قرية تحكم نفسها ، وكل قرية تقاتل القرية الأخرى ، ويحصل بينهم ما تقرءون في التاريخ .

ومن الله على أسرة من الحكام ، وهم آل سعود ، وكانوا يحكمون قرية من القرى ، ولكن من الله على (. . . . .) فناصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجاهد معه ، واجتمع جهاد العلم وجهاد السيف حتى دخلت البلاد في أمن واستقرار ، وذهبت عنها العادات الجاهلية والتقاليد الباطلة ، وأزيلت منها البدع والخرافات والشركيات ، فتوحدت البلاد تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، واستتب الأمن ، وحصلت الأخوة بين الناس ، واجتمع أهل القرى والمدن على دولة واحدة وأمة واحدة ، لكن لا تنسوا أن الأعداء لا يزالون يريدون أن يفرقوا هذا الاجتماع ، هم يبثّون الآن التفرقة بين هذه الأمة ، في هذه البلاد ، بما دسّوه من مبادئ ومناهج غريبة ومشبوهة تقبلها بعض الشباب ، نسأل الله أن يصلحهم ويهديهم ، والله إنم لا يريدون بنا إلا الشر ، وإلا . . . .

لماذا يا عباد الله ؟ ألسنا جماعة واحدة ؟ ألسنا على دين التوحيد وعلى عقيدة التوحيد ؟ ألسنا نعيش الأمن والاستقرار ؟ من الذي يريد غير هذا ؟ لماذا نقبل الأفكار الدخيلة والمناهج المستوردة من فلان وعلان ممن لا يعرف لا بدين ولا بعلم ، ولا يعرف

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٧) ، الترمذي المناقب (٣٧٧٣) ، النسائي الجمعة (١٤١٠) ، أبو داود السنة (٤٦٦٢) ، أحمد (٥١/٥) .

من أين تلقى العلم ؟ ولا أين درس ؟ ولا ما هي عقيدته ؟ ثم نتلقى ما يقوله ونتبناه ، ونترك ما نحن عليه من الدين الصحيح والعقيدة الصحيحة والمنهج السليم ؟

احذروا من هذا يا عباد الله ، وحذروا إخوانكم وأولادكم ، نحن جماعة واحدة ، وأمة واحدة ، وعلى منهج واحد ، وعقيدة واحدة ، ودولتنا - ولله الحمد - دولة إسلامية ، والحكم فينا بشريعة الله ، إننا لا نقول : إننا كاملون ، عندنا نقص ولكن نقص دون نقص ، الحمد لله ما دام أن الأمر فينا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والبلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها بلاد إسلامية تحكم بشريعة الله ، والعقيدة واحدة ، والمنهج واحد ، خلف عن سلف ، لماذا إذًا نقبل هذه المبادئ ، وهذه الأفكار ، وهذه المناهج المختلفة ؟ ثم كل طائفة منا تأخذ منهجًا ، وكل طائفة تعادي الطائفة الأخرى ، ونترك المنهج الصحيح السليم الذي كان عليه آباؤنا وأجدادنا ، وعاشت عليه أجيالنا وبلادنا ، أليس هذا نكرانًا للنعمة ؟ أليس هذا كفرًا بالنعمة ؟ لماذا لا نتذكر نعمة الله ؟ ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [1] ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشبه اليوم بالأمس ، فعلينا أن نستجلي التاريخ ، ونقرأ السير ، ونعرف مكاننا ، ونعرف ما نحن عليه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين وصلى الله على نبينا محمد .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

المحاضرة التاسعة عشرة

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١)

التأدب مع الرسول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما من به من هذا اللقاء المبارك ، في هذه الليلة المباركة ، في هذا المسجد الذي هو بيت من بيوت الله ، لنتذاكر فيما بيننا ما يهمنا من أمر ديننا وصلاح أمرنا ، فهذا هو أعظم ما ينبغي أو ما يجب أن يهتم به المسلمون : التذاكر والتناصح والتواصي بالحق ، والاجتماع على ذكر الله سبحانه وتعالى في بيوت الله ، هذه الأمور تحيا بها القلوب بإذن الله .

أما الموضوع الذي هو مجال حديثنا وهو كما سمعتم موضوع قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) ، فهذا ختام آية في سياق آيات تتضمن الأدب مع رسول الله ﷺ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النور آية : ٦٣ .

(٢) سورة النور آية : ٦٣ .

(٣) سورة النور الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .

هكذا علمنا الله سبحانه وتعالى أن نتأدب مع رسول الله ﷺ وذلك من مقتضيات الإيمان بالله ورسوله : التأدب مع الرسول ﷺ وتعظيم الرسول وتوقيره بما شرعه الله سبحانه وتعالى ، هذا من مقتضيات الإيمان بالله ورسوله ، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ [1] من أمور المسلمين ، ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ [2] ، إذا حضروا مع الرسول ﷺ لأجل أي مهمة من مهمات الدعوة إلى الله ، ومهمات التلقي عن الرسول ﷺ خصوصا إذا كان الرسول ﷺ هو الذي دعاهم إلى الاجتماع ، فإنه لا يجوز للمؤمنين أن يذهبوا من هذا الاجتماع وهذا الأمر الجامع إلا بعد استئذانه ، خلافًا للمنافقين الذين يسيئون الأدب مع رسول الله ﷺ ومعنى ﴿ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ [3] أي : يطلبوا منه الإذن لهم بالانصراف إذا كان لهم حاجات . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [4] .

دل هذا على إيمانهم وتعظيمهم للرسول ﷺ وتأدبهم مع الرسول ﷺ ومفهوم الآية أن من لم يستأذن رسول الله ﷺ فهذا دليل على ضعف إيمانه أو عدم إيمانه ، ثم إن الله سبحانه وتعالى أمره أن يأذن لمن شاء منهم ، فوض الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ أن يأذن لمن شاء من أصحابه ممن يرى الإذن له ، وهو ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم ، لا يشق على أصحابه ، ولا يحب لهم العنت كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [5] .

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ [6] : اطلب لهم المغفرة منه إكرامًا لهم على أدبهم مع رسول

---

(١) سورة النور آية : ٦٢ .
(٢) سورة النور آية : ٦٢ .
(٣) سورة النور آية : ٦٢ .
(٤) سورة النور آية : ٦٢ .
(٥) سورة التوبة آية : ١٢٨ .
(٦) سورة النور آية : ٦٢ .

الله ﷺ ومعلوم أن الرسول إذا استغفر لهم فإن الرسول ﷺ مجاب الدعوة ، وقد أمره الله أن يستغفر للمؤمنين ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [(1)] ، أما المنافقون فقد ناه الله عن الاستغفار لهم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾ [(2)] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ ﴾ [(3)] ، يعني : لا تدعُ له وتستغفر له ؛ لأنه ﷺ كان من عادته أنه إذا دفن الميت يقوم على قبره بعد الفراغ من الدفن ويستغفر له ، ويأمر أصحابه بالاستغفار له ، ويقول : « استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل » [(4)] ، هذا شأنه ﷺ مع المؤمنين ، وقد أمره الله بذلك .

ثم إن الله سبحانه وتعالى وجه الخطاب إلى المؤمنين فقال : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ [(5)] ، هذا مثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ [(6)] ، ثم ذكر خطأ من أساء الأدب مع الرسول ﷺ في هذا فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝ ﴾ [(7)] ، هؤلاء ليسوا منافقين ، لكنهم أعراب ، تعودوا على البادية وعلى

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ .
(٢) سورة التوبة آية : ٨٠ .
(٣) سورة التوبة آية : ٨٤ .
(٤) أبو داود الجنائز (٣٢٢١) .
(٥) سورة النور آية : ٦٣ .
(٦) سورة الحجرات الآيتان : ٢ - ٣ .
(٧) سورة الحجرات آية : ٤ .

الجفاء ، فرفعوا أصواتم في طلب النبي ﷺ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ ﴾ [1] .

ثم إن الله أطمعهم بالمغفرة فقال : ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [2] ، أطمعهم بالمغفرة مما حصل منهم ؛ لأنم ليسوا منافقين ، ولكنهم فعلوا ذلك عن جهل ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين ما يقع منهم من خطأ ، ولكنه يُنبه المؤمنين أن يتجنبوا ذلك في المستقبل فقال : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [3] ، الرسول ﷺ له مكانة وله قدر عند الله سبحانه وتعالى ، فُينادى بأدب وخفض صوت ، ويُتأدب معه ﷺ غاية التأدب ، وهذا من علامات الإيمان ، وهذا عام مع الرسول ﷺ في حال حياته ﷺ وبعد موته ﷺ فالذين يسلمون على قبر الرسول ﷺ بأن يخفضوا أصواتم عند رسول الله ﷺ كما نبه العلماء على ذلك ، فلا يساء الأدب عند قبره ﷺ برفع الصوت والجلبة ، وأعظم من ذلك أن يساء الأدب مع الله سبحانه وتعالى في هذا الموقف ، فيطلب من الرسول ﷺ قضاء الحاجات أو تفريج الكربات أو الاستعانة ؛ لأن هذا شرك بالله سبحانه وتعالى وسوء أدب مع رسول الله ﷺ وكذلك يشمل هذا التأدبَ مع سنة الرسول ﷺ إذا سمعت أحاديث الرسول ﷺ فأصغ لها وتأدب لها كأن الرسول ﷺ يحدثك ؛ لأنا بلغتك عن رسول الله ﷺ فيجب علينا أن نحترم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن احترامها من احترام الرسول ﷺ فنتأدب مع سنة الرسول كما نتأدب مع القرآن ؛ لأنه كله وحي من الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الحجرات آية : ٥ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٥ .

(٣) سورة النور آية : ٦٣ .

(٤) سورة النجم الآيتان : ٣ - ٤ .

التأدب مع أحاديث الرسول ﷺ

فيجب أن نتأدب مع أحاديث الرسول ﷺ والإمام ابن القيم نبه على أن طالب العلم إذا حضر الحلقة التي فيها رواية الأحاديث عن الرسول ﷺ فعليه أن يتأدب كأن الرسول ﷺ حاضر ، وكان العلماء يتأدبون مع أحاديث الرسول ﷺ ويتلقونا بأدب واحترام ومحبة لها وإجلال لها كأن الرسول ﷺ حاضر ؛ لأن احترام أحاديث الرسول من احترامه ﷺ واحترام الرسول ﷺ وتوقيره من احترام الله ﷻ قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [1] .

هذه فيها شيء لله ، وشيء للرسول ﷺ : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [2] هذا لله سبحانه وتعالى ، ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ [3] يعني : الرسول ﷺ والتعزير معناه التوقير ، ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [4] تأكيد ، ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ [5] هذا لله سبحانه وتعالى ، انظروا كيف قرن الأدب مع الرسول ﷺ بالأدب مع الله ﷻ ؟ مما يدل على مكانة الرسول ﷺ عند الله ، وعظيم قدره عند الله سبحانه وتعالى ، وذلك بما شرعه الله ، لا بالغلو والإفراط كما يفعل الغلاة بحق النبي ﷺ بالخروج عن الحد المشروع الذي حذر منه النبي ﷺ وقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » [6] ، وكذلك جانب التفريط في حق الرسول ﷺ وعدم احترام الرسول ، وعدم احترام سنته ، وعدم الشعور بِقَدْره ﷺ فنحن منهيون عن الإفراط وعن التفريط ، ومأمورون بالاعتدال والتوسط في حقه ﷺ .

---

(١) سورة الفتح الآيتان : ٨ - ٩ .
(٢) سورة الفتح آية : ٩ .
(٣) سورة الفتح آية : ٩ .
(٤) سورة الفتح آية : ٩ .
(٥) سورة الفتح آية : ٩ .
(٦) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) .

ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ ﴾ [1] ، كان من عادة المنافقين الذين يحضرون مجلس النبي ﷺ أو يحضرون الاجتماع الذي دعا إليه الرسول ﷺ وهو الأمر الجامع ، أنهم يذهبون بدون استئذان ، ويتسللون من المجلس والاجتماع ؛ لأنهم لا يحبون الرسول ﷺ ولا يطيقون الاستماع إليه عليه الصلاة والسلام ، فهم يتسللون من الحضور لواذًا بمعنى أنهم يتوارون في الانصراف حتى لا يراهم الرسول ﷺ هذا من باب الخديعة ، ومن باب الاحتيال ، ينصرفون وليس لهم حاجة ولا ضرورة للانصراف ، وإنما ينصرفون كراهية لمجلس الرسول ﷺ والله جل وعلا لا تخفى عليه خافية ، فضحهم وبين عملهم الخبيث فقال : ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ ﴾ [2] ، ثم قال جل وعلا : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ ﴾ [3] أمر الرسول ﷺ ﴿ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [4] ، هذا تحذير من الله جل وعلا لعباده المؤمنين أن يخالفوا أمر الرسول ﷺ ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ﴾ [5] اللام هذه لام الأمر ، ﴿ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾ [6] عقوبة من الله سبحانه وتعالى على مخالفته .

والفتنة كما قال الإمام أحمد رحمه الله : " أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله - أي بعض قول الرسول ﷺ - أن يقع في قلبه شيء من الزيغ ، فيهلك " ، ويقول الإمام أحمد رحمه الله : " عجبت من قومٍ عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان " ، يعني : سفيان الثوري الإمام الجليل الفقيه العالم الحبر المعروف في الإسلام ، يذهبون إلى رأيه ، أي : إلى اجتهاده وفتواه ، ويتركون العمل بالحديث

(١) سورة النور آية : ٦٣ .
(٢) سورة النور آية : ٦٣ .
(٣) سورة النور آية : ٦٣ .
(٤) سورة النور آية : ٦٣ .
(٥) سورة النور آية : ٦٣ .
(٦) سورة النور آية : ٦٣ .

الذي عرفوا إسناده ، وعرفوا صحته ، فإذا كان من أخذ برأي سفيان الإمام الجليل وفتواه واجتهاده وترك الحديث معرضًا لهذا الوعيد ، فكيف بمن اتبع هواه ؟ وكيف بمن أخذ أراء القوانين الوضعية الكفرية وقدمها على شريعة الله ؟

بعض الناس يقول : ما دام أفتى فلان بكذا فنحن يسعنا ما قاله فلان أو ما ذهب إليه فلان ، إذا كانت الفتوى توافق أهواءهم ، فهم يتلمسون أقوال العلماء ، ويتلمسون منها ما يوافق رغباتم ، ولا يسألون عن الدليل ، ما هو دليل فلان ؟ وما هو دليل فلان ؟ بل يتلمسون الرخص ، ويتلمسون من آراء الرجال ما يوافق أهواءهم ، فهم يدخلون في هذا الوعيد بلا شك ﴿ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [(١)] ، فتنة في القلوب بأن يصرف الله قلوبم ، ويصيبهم بالزيغ والضلال ؛ لأنم ردوا حديث رسول الله ﷺ وردوا أمر رسول الله ﷺ تبعًا لرغباتم وأهوائهم ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [(٢)] .

فمن بلغه الحق عن الله ورسوله ثم أعرض عنه تبعًا لهواه وشهوته ورغبته أو إرضاءً لأحد من الناس ، فإنه يصاب بالزيغ كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [(٣)] .

لما انصرفوا عن كلام الله ، وكلام رسوله ، ولم يستمعوا ، صرف الله قلوبم عن الحق عقوبة لهم ، فلا يقبلون الحق بعد ذلك ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يزيغ قلوبم ، ويختم على قلوبم بسبب أنم أعرضوا عن الحق في أول مرة بعدما بلغهم ، أعرضوا عنه .

هذه خطورة عظيمة ، فكم نسمع من أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة ، ولكن ما مدى أخذنا با والعمل ؟ يجب أن نحاسب أنفسنا عن ذلك ، وأن نخشى من الزيغ ،

(١) سورة النور آية : ٦٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١١ .
(٣) سورة التوبة آية : ١٢٧ .

ونحذر مما حذرنا الله منه ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [(١)] ، والفتنة فتنة القلوب بالزيغ والانصراف عن الحق ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [(٢)] ، فلما زاغوا - يعني : أعرضوا عن الحق - أزاغ الله قلوبهم بمعنى أن الله صرفها عن قبول الحق ، فلا تقبل الحق بعد ذلك .

وهذه خطورة عظيمة لمن بلغته سنة رسول الله ﷺ ثم تركها رغبة عنها ، وعدم اهتمام بها ، أن يصيبه الله بالزيغ وفساد القلب وخراب الفطرة ، وهذه مسألة عظيمة يجب علينا أن نتعقلها ، أي مسلم بلغه حديث رسول الله ﷺ فليتقبله على الرأس والعين ، وليعمل به حسب استطاعته ، ولا يرغب عنه أو ينصرف عنه أو يزهد أو يعتبره شيئًا عاديا لا يلقى له بال ، فإن الخطورة عظيم ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٣)] .

هكذا يأمر الله عباده المؤمنين بطاعة الله ، وطاعة رسوله ، والاستجابة لله ، والاستجابة لرسوله ، وينهاهم عن الإعراض عن الامتثال لأوامر الله ، وأوامر رسوله ، ويحذرهم العقوبة ، وهي أن الله يحول بينهم وبين قلوبهم إذا أعرضوا ولم يمتثلوا ، فإن الله سبحانه وتعالى يحول بينهم وبين قلوبهم ، فلا يستفيدون منها بعد ذلك ؛ لأنها تقسو وتتحجر وتفسد ، فلا تقبل الحق بعد ذلك عقوبة من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن هذا القلب

---

(١) سورة النور آية : ٦٣ .
(٢) سورة الصف آية : ٥ .
(٣) سورة الأنفال الآيات : ٢٠ - ٢٥ .

هو محل الصلاح أو الفساد في هذا الإنسان ، كما قال ﷺ : ﴿ ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب ﴾ [1] ، والقلب إنما يصلح بتقبل أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ والإصغاء إلى كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ وبذلك يحيا ويفقه +ويتنور ويصبح قلبًا صالحًا ، فالقلب لا يصلح إلا بالإمداد الذي يـ ل عليه من كلام الله وكلام رسوله ﷺ فإذا قطع عنه ذلك الإمداد فسد ، مثل الأرض إذا انقطع عنها المطر ماتت ، فإذا نزل عليها المطر فإنا تحيا بإذن الله .

وقد شبه النبي ﷺ الناس حيال ما بعثه الله به بالأرض ، وقال : ﴿ مثل ما بعثني الله به كمثل غيث أصاب أرضًا ، منها أجادب أمسكت الماء . . . . ﴾ [2] ، أي : بالخوابي والغدران ، ونفعت الناس بأنا أمسكت لهم الماء يرتوون منها ، ويزرعون منها ، ويسقون دوابم ، وأرض أخرى أصابا الغيث ، فأمسكت الماء ، وأنبتت الكلأ ، فجمعت بين الأمرين : إمساك الماء وإنبات الكلأ ، وهو العشب ، فهذه أفضل من التي قبلها .

والنوع الأول مثال للحفاظ الذين يحفظون الأحاديث ، ويعتنون بالأسانيد ، ويبينون صحيحها من ضعيفها ، هؤلاء أمسكوا للناس نُصوص هذه الشريعة وحفظوها ودرسوها .

أما الصنف الثاني فهم الحفاظ الفقهاء وعلماء الحديث الذين رووا الأحاديث ، وتفقهوا في معانيها ، وشرحوها وفجروا ينابيعها للناس ، هذه الطائفة من أهل العلم أفضل من التي قبلها .

أما الصنف الثالث من الناس فأرض لا تحبس ماءً ، ولا تنبت كلأ ، كما في قوله ﷺ : ﴿ وأصاب أرضًا إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ ﴾ [3] ، وذلك مثل من لم

---

(١) البخاري الإيمان (٥٢) ، مسلم المساقاة (١٥٩٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٤) ، أحمد (٢٧٠/٤) ، الدارمي البيوع (٢٥٣١) .

(٢) البخاري العلم (٧٩) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٢) ، أحمد (٣٩٩/٤) .

(٣) البخاري العلم (٧٩) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٢) ، أحمد (٣٩٩/٤) .

يقبل هدى الله الذي جاء به رسول الله ﷺ ولم يرفع به رأسًا ، هذا مثال المنافقين والكفار ، وكل من لم يرفع رأسًا بكلام الله وكلام رسوله ﷺ وهؤلاء هم الذين خالفوا عن أمره ﷺ ولم يلقوا له بالهم ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (1) ، يعني زيغًا في القلب ، ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (2) في الدنيا وفي الآخرة ، في الدنيا يسلط الله عليهم جنوده ، فيقتلونهم أو يسبونهم ، وفي الآخرة يعذبهم الله سبحانه وتعالى بالنار ، فهم متوعدون بالعذاب الأليم عاجلًا وآجلًا بسبب أنهم يخالفون عن أمر الرسول ﷺ وفي هذا وعيد شديد لكل من خالف أوامر الرسول ﷺ ولم يهتم بها ولم يلق لها باله .

ويقول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (3) .

ما أتاكم الرسول يشمل كل ما أمر به الرسول ﷺ أمته من الأوامر والإرشادات ، وكذلك ما أعطاكم من المال ، فهذا عام لكل ما أعطاه الرسول ﷺ لأمته أن يتقبلوه وأن يأخذوه عن رغبة ومحبة ؛ لأن فيه الخير وفيه الصلاح للقلوب والأبدان والأعمال ، ﴿ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (4) ما أمركم الرسول ﷺ بتركه فاتركوه ؛ لأنه لا ينهى عن شيء إلا وفيه الضرر وفيه الشر ، ما نهى الرسول ﷺ عن شيء فيه خير للناس ؛ وإن قدر أن فيه شيئًا من الخير فإن فيه من الضرر ما هو أرجح وأبلغ مما فيه من الخير ، فالذي ينهى عنه الرسول ﷺ هو إما شر محض لا خير فيه ، وإما شر راجح . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (5) هذا وعيد من الله سبحانه وتعالى لمن لم يمتثل فيأخذ ما أعطاه الرسول ﷺ ويترك ما نهى عنه الرسول ﷺ

---

(1) سورة النور آية : ٦٣ .
(2) سورة النور آية : ٦٣ .
(3) سورة الحشر آية : ٧ .
(4) سورة الحشر آية : ٧ .
(5) سورة الحشر آية : ٧ .

ويقول ﷺ : ﴿ ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ﴾ [(١)] ، نأتي منه ما نستطيع ، أما الذي لا نستطيعه فالله جل وعلا ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [(٢)] .

فإذا تركت شيئًا مما أمر به الرسول ﷺ لأنك لا تستطيعه فإنك لا تؤاخذ على ذلك ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [(٣)] ، أما إذا تركته وأنت تستطيعه ، لكن تركته رغبة عنه أو اتباعًا لهوى نفسك ، فتقدم هوى نفسك على طاعة الرسول ﷺ أو تقدم رضا الناس على طاعة الرسول ﷺ هنا يأتي الوعيد ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٤)] .

مواضع الأمر بطاعة الرسول ﷺ في القرآن الكريم

والله سبحانه وتعالى أمر بطاعة الرسول ﷺ في مواضع متعددة من كتابه :

تارة يأمر بطاعة الرسول ﷺ مع طاعة الله سبحانه وتعالى ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [(٥)] .

ومثل قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [(٦)] ، ومثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [(٧)] .

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٨) ، مسلم الفضائل (١٣٣٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٩) ، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩) ، ابن ماجه المقدمة (٢) ، أحمد (٤٦٧/٢) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٤) سورة النور آية : ٦٣ .

(٥) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٦) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٧) سورة المائدة آية : ٩٢ .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [1] .

وتارة ينهى عن معصيته ومعصية رسوله مثل : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] . ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ [4] .

وتارة يذكر طاعة الرسول ﷺ مفردة مثل : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [5] . ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [6] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [7] .

فجعل طاعة الرسول ﷺ سببًا للهداية ، كما جعل طاعة الرسول ﷺ سببًا للرحمة ، وأخبر أن الذي لا يطيع الرسول مطيع لهواه ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [8] .

إذًا فطاعة الرسول ﷺ واجبة على كل مؤمن وكل مسلم بحسب ما يستطيع ، وأن يتجنب كل ما نهى عنه الرسول ﷺ .

---

(١) سورة النساء آية : ٦٩ .
(٢) سورة النساء آية : ١٤ .
(٣) سورة الجن آية : ٢٣ .
(٤) سورة النساء آية : ٤٢ .
(٥) سورة النساء آية : ٨٠ .
(٦) سورة النساء آية : ٦٤ .
(٧) سورة النور آية : ٥٦ .
(٨) سورة القصص آية : ٥٠ .

عاقبة المخالفة والهجوم على أحاديثه للرسول ﷺ

المخالفة للرسول ﷺ شر وبلاء وفتنة ، وقد تحصل به العقوبة عاجلًا ، فهناك رجل رآه النبي ﷺ لابسًا خاتمًا من ذهب ، فـ ع النبي ﷺ الخاتم من يده وقال : ﴿ يعمد أحدكم إلى جمرة من نار ، فيضعها في يده ، خذ خاتمك انتفع به ، قال : لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ ﴾ (١) فهذا هو الإيمان .

بينما رجل آخر ﴿ رآه النبي ﷺ يأكل بشماله فقال له : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع ، ما منعه إلا الكبر ، قال النبي : لا استطعت ﴾ (٢) ، دعاء عليه بعدم الاستطاعة ، فما رفع يده إلى فيه بعد ذلك ؛ لأن الله سبحانه وتعالى جمدها ولم يستطع رفعها بعد ذلك عقوبة له .

الحاصل أن من بلغته سنة الرسول ﷺ فإنه يجب عليه أن يتأدب معها وأن يحترمها ؛ لأن الكراهية لما جاء به رسول الله ﷺ ردة عن الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٩ ﴾ (٣) .

فإذا كان يترك ما صح عن الرسول ﷺ كراهية لذلك فهذا مرتد عن الإسلام ، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٩ ﴾ (٤) ، أما إذا كان تركه لا كراهية له ، وإنما من أجل الكسل أو من أجل هوى نفسه ، فهذا أخف من الأول ، ولكنه على خطر عظيم أن يصاب بالزيغ في قلبه والعياذ بالله .

---

(١) مسلم اللباس والزينة (٢٠٩٠) .
(٢) مسلم الأشربة (٢٠٢١) ، أحمد (٤٦/٤) ، الدارمي الأطعمة (٢٠٣٢) .
(٣) سورة محمد آية : ٩ .
(٤) سورة محمد آية : ٩ .

فالحاصل أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بطاعة رسوله ﷺ وأوجب ذلك علينا وجوبا لا اختيار فيه ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] .

فالذي يريد النجاة ، ويريد الصلاح ، ويريد الفلاح في الدنيا وفي الآخرة ، فعليه أن يتبع هذا الرسول ﷺ ويطيعه فيما أمر ، ويجتنب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع ، وأن يصدقه بما أخبر ﷺ وهذا هو معنى شهادة أن محمدًا رسول الله .

كما أن معنى شهادة لا إله إلا الله أن نعبده سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، بإفراد الله تعالى بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [2] ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3] .

هذا معنى شهادة لا إله إلا الله ، أما معنى شهادة أن محمدًا رسول الله فهو طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع .

احفظوا هذه الكلمات تفسر لكم معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وليس المقصود حفظها فقط ، ولكن حفظها مع العمل بها ، وطاعة الرسول طاعة لله سبحانه وتعالى ؛ لأن طاعة الرسول طاعة للمرسِل ، وهو الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الرسول مبلغٌ عن الله ﷻ كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [4] ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٦ .
(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٤) سورة النجم الآيتان : ٣ - ٤ .

بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [(١)] .

وذكر عن المنافقين أنهم يقسمون ويحلفون أنه لو أمرهم الرسول لأطاعوه ، وهذا لا يحتاج إلى إقسام ، ولا إلى حلف ، بل المراد أنك إذا أمرك الرسول ﷺ بأمر ، امتثل بدون أن تحلف ؛ لأنك قد لا تفي بهذا الوعد ، كما ذكر الله عن المنافقين فقال : ﴿ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [(٢)] .

فالمؤمن لا يحتاج إلى أن يحلف أن يطيع الله ورسوله ؛ لأن إيمانه يحمله على ذلك بدون حلف ، وأيضًا ربما يعجز ، وإذا عجز عن الطاعة فهو معذور ، لكن إذا كان قد حلف وعاهد الله سبحانه وتعالى فإنه بذلك يحنث ، كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [(٣)] .

ولذلك ما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحلفون على طاعة الله ، وإنما يطيعون الله ﷻ ويعلقون على المشيئة ، كما قال إسماعيل عليه السلام : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [(٤)] ، وما قال : والله لتجدني من الصابرين ؛ لأنه لا يزكي نفسه ، فقد يعجز أن يكون من الصابرين ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة النور الآيتان : ٥١ - ٥٢ .
(٢) سورة النور الآيتان : ٥٣ - ٥٤ .
(٣) سورة التوبة الآيتان : ٧٥ - ٧٦ .
(٤) سورة الصافات آية : ١٠٢ .
(٥) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

والشيخ الكبير الذي تعاقد مع موسى عليه السلام ما قال : ستجدني والله من الصالحين ؛ لأن هذا تزكية للنفس ، بل قال : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (1) ، فهو استعان بالله ﷻ وهكذا أدب الأنبياء والصالحين ، وموسى عليه السلام لما قال له الخضر : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ (2) ، قال : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا ﴾ (3) .

هذا أدب الأنبياء ، فالحاصل أن الإنسان يعزم وينوي بقلبه على أن يطيع الرسول ﷺ وعلى أنه لا يعصي أمر الرسول ﷺ متى بلغه ، فهو يفعل ما يستطيع من أوامره ﷺ ويترك كل ما ناه الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الترك أخف من الفعل ، فالحاصل أن هذه الآية آية عظيمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (4) ، هذه الآية يجعلها كل مؤمن نصب عينيه مع أوامر رسول الله ﷺ دائمًا وأبدًا .

نسمع أحاديث الرسول ﷺ دائمًا ، نسمعها في المسجد ، نسمعها في الدروس ، نسمعها في الخطب ، نسمعها في المحاضرات ، فعلينا أن نبادر إلى ما نستطيع من امتثالها ، وأن نرغب في ذلك ، ومن لا يستطيع في الحال فإنه يعزم عليه في المستقبل ، وبذلك يؤجر على نيته الصالحة ، ومن يسمع حديثًا من أحاديث الرسول ﷺ ولم يهتم به ، ولم يلق له باله ، أو ترك العمل به وهو يقدر على ذلك رغبة عن الطاعة ، فهذا على خطر عظيم أن يصاب بما ذكره الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (5) ، ما أكثر ما نتعلم من أحاديث

---

(1) سورة الصافات آية : ١٠٢ .
(2) سورة الكهف آية : ٦٧ .
(3) سورة الكهف آية : ٦٩ .
(4) سورة النور آية : ٦٣ .
(5) سورة النور آية : ٦٣ .

الرسول ﷺ في دروسنا ، في مقرراتنا ، لكن علينا أن نحاسب أنفسنا ، ما موقفنا من أحاديث الرسول ﷺ ؟ أولًا يجب علينا أن نصغي ، وأن نتأدب ، وأن نحترم أحاديث الرسول ﷺ ثم يجب علينا أن ننفذ ما أمرنا به الرسول ﷺ أمر إيجاب ، أما ما أمر به أمر استحباب أو أمر إباحة ، فما أمر به أمر استحباب ففعله خير من تركه ، لكنه لو تركه فلا حرج عليه ، أما ما أمر به أمر إباحة فهذا مخيرٌ فيه بين الفعل والترك ، لا إثم في تركه ، ولا ثواب في فعله ؛ لأن المباح متساوي الطرفين .

ماذا تقولون في أناس يدعون العلم اليوم ، ويدعون الفهم ، وأنم دعاة إلى الله سبحانه وتعالى ؟ صاروا يتهجمون على أحاديث الرسول ﷺ بدل أن يتأدبوا معها ويحترموها ، صاروا يهاجموها ويقولون : حتى ولو صح عن الرسول ﷺ أنه قال ذلك ما دام العقل لا يوافق فإننا نأخذ بما يقتضيه العقل ، ويعرضون أحاديث الرسول ﷺ على عقولهم ، وعلى أفكارهم ، أو يعرضونا على ما يسمونه بالعلم الحديث ، فما أيده العلم الحديث بزعمهم قالوا هذا صحيح .

وليس هناك علم حديث صحيح يعارض أحاديث الرسول ، والذي يعارض حديث الرسول ﷺ جهل ، وإن كان صادرًا من خبراء أو من أطباء ؛ لأنا نظريات كاذبة ، كما قال أهل العلم : النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح ، لكن قد يظهر لنا وقد لا يظهر لنا ذلك ، فيظهر لغيرنا في المستقبل .

المهم أن ما صح عن الرسول ﷺ فيجب قبوله سواء عرفنا معناه أو لم نعرفه ، سواء وافق عقولنا أو لم يوافق عقولنا ، الواجب أن نتهم عقولنا ولا نتهم حديث رسول الله ﷺ هذا ما يجب علينا ، أما أننا نحكم عقولنا في أحاديث الرسول ﷺ أو نحكم العلم الحديث والتجارب التي يعملها البشر على أحاديث الرسول ﷺ ونقول : ما وافق هذه القواعد فهو صحيح وما خالفها هو مردود ، هذا أمر باطل - والعياذ بالله - ، وهذا يكون ضلالًا ، ويُخشى على صاحبه من الزيغ ومن الردة عن دين الإسلام ، لولا أننا نحمله على التأويل

أو على الجهل لحكمنا عليه بالردة ، ولكن نظرًا لجهله أو لتأويله أو لتقليده لمن قال هذه المقالات فيقال : إنه ضال ، وإنه مخطئ ، وإلا فهو على خطر عظيم .

ومن الناس الآن من تجرءوا على أحاديث الرسول ﷺ فمنهم من ينكر السنة إطلاقًا ويقول : لا يعمل إلا بالقرآن ، ويسمون بالقرآنية ، وهذه طائفة كافرة ، لا تعمل بالقرآن ؛ لأن القرآن أحال على السنة ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ (1) ، الله سبحانه وتعالى يقول عن نبيه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (2) ، الكتاب هو القرآن ، والحكمة هي سنة الرسول ﷺ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (3) ، فوكل البيان للرسول ﷺ وهذا في سنة الرسول ﷺ فهي تبين مجملات القرآن ، وتفسر القرآن ، فمن يقول : لا نعمل إلا بالقرآن ينطبق عليه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (4) ، والذي يرفض سنة الرسول ، أو يرفض بعضها ويأخذ ببعضها ، أو يقول : نأخذ بالمتواتر ، ولا نقبل أحاديث الآحاد إذا خالفت القواعد العقلية أو القواعد المنطقية ، ولا نعمل بها في العقائد ، أو لا نعمل بها في الأمور التي يسمونها علمية ، وهي في الواقع جهلية ، فهذا أيضًا يدخل في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ (5) دخولًا أوليًا ، فهؤلاء أشد من الذين يخالفون عن أمره لهوى أو لجهل أو لشهوة في نفوسهم ؛ لأنهم خالفوه متعمدين - والعياذ بالله - .

---

(1) سورة الحشر آية : ٧ .
(2) سورة البقرة آية : ١٢٩ .
(3) سورة النحل آية : ٤٤ .
(4) سورة النور آية : ٦٣ .
(5) سورة النور آية : ٦٣ .

وكذلك مما ظهر في العصر الأخير خصوصًا بين الشباب الهجوم على بعض أحاديث الرسول ﷺ بالتصحيح والتضعيف والتجريح من دون علم ، وهذا أيضًا خطر عظيم ، فلا يجوز لأحد أن يتكلم في أحاديث الرسول ﷺ إلا عن علم وعن خبرة وعن معرفة ، أما إنسان أخذ يقرأ في الكتب فقط ، ولم يأخذ العلم عن العلماء ومن مصادره الصحيحة ، وصار يتكلم على الأحاديث يصحح ويضعف ، فهذه خطورة عظيمة ، وهذا سوء أدب مع أحاديث الرسول ﷺ وتجرؤ على أحاديث الرسول ؛ فعليهم أن يتوقفوا عن هذا الأمر ؛ لأنه خطير جدا عليهم ، وعلى الأمة التأدب مع سنة رسول الله ﷺ واحترام سنة الرسول ﷺ . واجب على الإنسان أن لا يتكلم فيها إلا عن علم وعن خبرة حقيقية ، بأن يكون من أهل هذا الفن ، أما إنسان متطفل أتى الأمور من سطوحها ، ولم يأت البيوت من أبوابا ، فهذا خطر عظيم ، وهذا يدخل في سوء الأدب مع رسول الله ﷺ ومع سنته ، فعلينا أن نفطن لهذا الأمر ، فإنه أمر عظيم .

وسنة الرسول ﷺ الآن تجرأ عليها كثير من الناس من الجهلة ، ومن الزنادقة والملاحدة من أصحاب الأفكار الهدامة ، فيجب أن يكون لنا موقف مع سنة الرسول ﷺ موقف الإيمان ، وموقف المؤمنين بأحاديث الرسول ﷺ علمًا وعملًا واحترامًا وتوقيرًا ، فكما نوقر الرسول ﷺ نوقر أحاديثه ؛ لأنا من عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [1] ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [2] ، فهي وحي من الله سبحانه وتعالى .

وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، وأسأله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع ، والعمل الصالح ، والبصيرة في ديننا ، والثبات على الحق ، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) سورة الحشر آية : ٧ .
(٢) سورة النجم الآيتان : ٣ - ٤ .

المحاضرة العشرون
إصلاح ذات البين

المراد بإصلاح ذات البين وبيان أهميته

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الموضوع الذي سنتحدث عنه - إن شاء الله - هو " إصـلاح ذات البيـن " ، وهو موضوع لا شك أنه مهم جدا ؛ لما يترتب عليه من الآثار الحميدة والعواقب الحسنة ، والإصلاح ضد الإفساد ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾ (١) .

فالإصلاح ضد الإفساد ، أما ذات البين فالمراد بالبين الفرقة ، أي : الفرقة التي تكون بين المسلمين بعضهم مع بعض ؛ لأن المطلوب أن يكون المسلمون أمة واحدة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (٢) .

وكما شَبه النبي ﷺ هذه الأمة بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وشبك بين أصابعه ﷺ فأيّ اختلاف وأي فرقة بين اثنين أو بين جماعة وجماعة من هذه الأمة فإنه سيؤثر عليها أثرًا سيئًا ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ (٣) .

فإصلاح ذات البين معناه لَـم الشمل ، وجمع الكلمة ، والتقريب بين قلوب المؤمنين بعضهم مع بعض ؛ حتى يكونوا عبادًا لله إخوانًا كما أراد الله سبحانه وتعالى ، فالإسلام الذي بُعِثَ به النبي ﷺ وحدَ بين المؤمنين بعد الفرقة ، فقد كانوا في الجاهلية متفرقين

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٠ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٦ .

بعضهم أعداء لبعض ، فأبناء القبيلة الواحدة كانوا متعادين ، ناهيك عن الفرقة بين القبيلة وغيرها ، فكانت الحروب والا اعات مستمرة لا تنتهي ، وكان العرب متمزقين ومتشتتين ومتباغضين ، الولاء بينهم للقبيلة فقط ، وكل قبيلة تحارب الأخرى ، والقوي يستولي على الضعيف ، والظالم يسيطر على المظلوم ، هكذا كانت حالة العرب بل وحالة الأمم قاطبة قبل بعثته ﷺ .

ولما بُعِثَ رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق ، ودعا الناس إلى دين الله وطاعة الله ورسوله ﷺ وآمن من القبائل من أراد الله له الهداية ، فاجتمعت كلمتهم ، وقامت دولتهم ، وذهب ما بينهم من العداء حتى صاروا إخوانًا متحابين ، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (1) .

تحولوا من العداوة إلى الإخوة بنعمته سبحانه وتعالى ، وهي نعمة الإيمان واتباع الرسول ﷺ فلم يجمعهم مال أو طمع ، وإنما جمعهم الإيمان الذي بعث الله رسوله ﷺ فلم يجمع بين المؤمنين طمع في الدنيا ، أو مال قدم لهم ؛ لأن هذا لا يمكن أن يجمع بين القلوب المتعادية ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (2) .

فالرسول ﷺ لو أنفق ما في الأرض جميعا من الأموال على أن يؤلف بين قلوب أصحابه فلن يستطيع ؛ لأن المال لا يجمع القلوب ، وإنما الذي يجمعها هو الإيمان الذي من عند الله سبحانه وتعالى ، وقد بعث به النبي ﷺ ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ (3) بأي شيء ؟ بالإيمان ﴿ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (4) ، فصاروا بعد العداوة إخوانًا متحابين

(1) سورة آل عمران آية : 103 .
(2) سورة الأنفال آية : 63 .
(3) سورة الأنفال آية : 63 .
(4) سورة الأنفال آية : 63 .

متناصرين متناصحين كما وصفهم سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (1) .

فالإيثار عند المؤمنين سببه الإيمان ، فالمؤمن يقدم حاجة أخيه على حاجته ولو كانت قد بلغت به الحاجة إلى درجة الخصاصة ، ولا يقدم على هذه إلا مَن من الله عليه بالإيمان ، فالإسلام هو دين الحق الذي وحدَ بين القلوب المتنافرة ، وجمع بين القلوب المتشتتة ، فتجاوز المسلمون جزيرة العرب إلى أقطار الدنيا فاتحين ، فكانت أمة المسلمين من المشرق إلى المغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب دولة واحدة لا تغيب عنها الشمس ، وبلغ هذا الدين مبلغ الليل والنهار ، كما قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (2) .

فتحقق وعد الله سبحانه وتعالى ، وظهر هذا الدين على سائر الأديان ، واجتمعت عليه قلوب الناس من عرب وعجم ، حتى قال النبي ﷺ : ﴿ كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على الأسود ، إلا بالتقوى ﴾ (3) ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (4) .

بذا وحدَ الإسلام بين القلوب والشعوب ، فتكونت هذه الأمة التي تغطي سائر المعمورة ، فلا يجمع بين القلوب ويوحد بين المختلفين إلا هذا الدين ، ويقصد بالدين الدين الصحيح ؛ لأن الدين المزيف لا يجمع بين القلوب ، إنما يفرق بينها ويشتتها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ (5) .

---

(1) سورة الحشر آية : 9 .
(2) سورة التوبة آية : 33 .
(3) الترمذي المناقب (3956) ، أبو داود الأدب (5116) .
(4) سورة الحجرات آية : 13 .
(5) سورة الأنعام آية : 159 .

وهذا الدين الذي جمع بين القلوب فيما سبق قادر بإذن الله أن يجمع بين القلوب في وقتنا الحاضر ، وما بعده إلى أن تقوم الساعة ، كما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، فالذي أصلح أولها هو الدين الصحيح ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا الدين الصحيح ، والعقيدة السليمة بالله ﷻ والاقتداء برسوله ﷺ فلا يمكن أن يجمع بين المتفرقين والمختلفين إلا هذا الدين المتمثل فيما جاء به كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] .

خير في الحاضر وخير في المستقبل ، وتأويلا بمعنى العاقبة والمآل ، فهذا الدين يحل جميع ال اعات ، ويعيد الحق إلى نصابه إذا حكم به في ال اعات والخصومات ، قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [3] ، فإقامة هذا الدين تجمع بين قلوب المختلفين ، وتنهي الفرقة والاختلاف بين الناس إذا أقيم إقامة صحيحة .

قد يقول قائل : نرى المسلمين اليوم مختلفين ومتفرقين ، ونقول له : إنم لم يقيموا الدين كما ينبغي ، بل دينهم فيه خلل ، ليس دينًا قائمًا كما أمر الله سبحانه وتعالى ، فبقدر ما يحصل الخلل في إقامة الدين يحصل التفرق والاختلاف ، فلو أقيم الدين كما أمر سبحانه وتعالى ما حصل هذه الاختلاف أبدًا بين المسلمين ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ، وقد أخبر سبحانه ووعد أن هذا الدين إذا أقيم إقامة صحيحة فلن يكون بين المسلمين اختلاف أو تنازع يؤدي إلى الفرقة والتقاطع ، نعم قد يوجد اختلاف صغير

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٢) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٣) سورة الشورى آية : ١٣ .

في مسائل فرعية أو خصومات مالية أو في الأملاك ، وهذا أمر يسير ، يمكن تسويته بسهولة إذا حُكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وإذا كان هذا الدين هو الذي وحد بين السلف على اختلاف قبائلهم ، واختلاف بلادهم ، واختلاف ألوانم ، فهو قادر بإذن الله على أن يوحد بين أهل هذه الزمان وما بعده إلى أن تقوم الساعة .

أضربُ لذلك مثلًا نعيشه الآن ، فقد كانت بلادنا ، بلاد نجد ، في حالة يرثى لها من التشرذم والتفرق والاختلاف ، ففي كل قرية أمير يتحارب مع أمير القرية الأخرى ، وقامت الحروب بين القرى ، وحصل السلب والنهب ، فالقرى المتجاورة لا يربط بينها شيء ، بل قامت الحروب والعداوات بين بعض القبيلة في القرية الواحدة ، بل إن أفراد القبيلة كان يقتل بعضهم بعضًا ، فلما أراد الله لتلك البلاد الهداية وفق عالمًا تربى على الكتاب والسنة ، وتفهم منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وأدرك ما في العقائد من الفساد ، وأدرك ما عليه أهل زمانه من الفرقة والتناحر والاختلاف ، وهذا الإمام هو المُجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، فقام يدعو الله ﷻ وإلى هذا الدين الذي وحد بين أول هذه الأمة .

قام يدعو إليه بعقيدته وأحكامه ومعاملاته ، ويسر الله له من ناصره ، حيث التقى بأمير قرية من تلك القرى ، اتصل به ، وأقنعه بدعوة الله ﷻ وأن هذه الدعوة سيجمع الله با أهل نجد وغيرها إذا التزموا با ، وأخلصوا العبادة لله ﷻ واتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقنعه بذلك ، فقام الأمير محمد بن سعود رحمه الله وناصر الشيخ وأيده ، ثم شرع الشيخ في دعوة القرى ا ااورة ، والأمير يساعده ويناصره ويجاهد المعارضين له .

وما لبث الشيخ إلا زمنًا يسيرًا حتى وحد الله به بلاد نجد كلها ، وصارت تحت سلطة هذا الأمير ، وصارت تلك القرية المعمورة عاصمة لتلك البلاد كلها ، وعادت دولة الإسلام في تلك البلاد كما كانت في عصر السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - من حيث العقيدة والمعاملة ، ومن حيث الإخوة والجهاد في سبيل الله ، ومن حيث الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتكونت حركة علمية ، وتخرج علماء في هذه الدعوة ، وامتد الخير والجهاد في سبيل الله ، وأزيلت مظاهر الشرك ، وعادت دولة التوحيد كما كانت في عهد السلف الصالح ، ثم امتد إلى خارج بلاد نجد ، واتسع ليشمل الجزيرة العربية كلها .

فهذا مثال يدل على أنه لا يمكن جمع الناس والألفة بين قلوبهم إلا بهذا الدين ، والدعوة إليه ، فمن قام بهذا الدين فإن الناس يجتمعون حوله ويتفادون له ؛ لأنه يدعوهم بدعوة الله سبحانه وتعالى ، لا يدعوهم لحزبية ولا لغرض شخصي ولا لعصبية وقومية جاهلية .

فقامت الدولة الإسلامية في تلك البلاد ، وأمن الناس ، وانتشر الخير والبركات على أهل تلك البلاد ، وصار المسافر يسافر وحده ومعه الأموال العظيمة ولا يخشى إلا الله ، بعدما كان الإنسان في الوقت السابق لا يأمن وهو في قعر بيته ، فأمن الله تلك البلاد ، وعاشت تحت راية التوحيد ودين الإسلام ، وهذا شيء مشاهد ، ولم يكن السبب فيه الإرهاب والانتقام أو الترغيب بالمال ، وإنما كان السبب فيه هذا الدين ، كما قال الإمام مالك : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها .

ثم ما لبثت بلاد نجد أن أصيبت بشيء من الفتور ، ودخلها شيء من الترف والاشتغال بالدنيا ، وهنا حصلت لها العقوبة ، وتسلط عليها أعداؤها ، وعادت الحالة كما كانت قبل دعوة الشيخ من حيث اختلاف الناس وتقاتلهم ، ثم عادوا إلى الله ، فعادت دولتهم ، ثم حصل شيء من الخلل فعادت الفوضى والتفرق والاختلاف ، حتى جاء الملك عبد العزيز رحمه الله ، وسار على الخط الذي كان عليه أسلافه من التوحيد ، وجمع الناس تحت كلمة لا إله إلا الله ، فعادت للمرة الثالثة لهذه البلاد دولتها وعزتها - ولله الحمد - ، ونرجو أن يزيدها - جل وعلا - من الخير والتوفيق والحماية لها من أعدائها ، وأن يوفق الله هذه الدولة - ولاة ورعية - ليعرفوا نعمة الله عليهم ، ويشكروا ربهم عليها .

فهذا الاجتماع المبارك ، وهذا الأمن والاستقرار ، لم نحصل عليه بأموالنا ولا بجاهنا وقوتنا ، إنما حصلنا عليه بالشيء الذي حصل به صدر هذه الأمة وهو الدين ، فهو صمام الأمن والأمان ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١) .

بذا الشرط الذي هو إقامة الدين وعدم التفرق فيه ، أي : أن يكون الدين واحدًا ، فلا يكون بين الناس عدة أديان أو مذاهب أو فرق ، فدين الله سبحانه وتعالى واحد ليس فيه اختلاف ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٢) .

إصلاح ذات البين يعني إزالة الفرقة والاختلاف

وذلك بالنظر في سبب الخلاف ، ثم محاولة إزالته بالطرق الشرعية ، وهذا هو الإصلاح ، والإصلاح قد يكون بين متنازعين اثنين فقط ، فإذا تنازع اثنان من المسلمين أو حصل بينهما اختلاف في أمر ما فوظيفة المسلمين أن يسعوا بينهما بالإصلاح ، يقول ﷺ : ﴿ على كل سلامى من الناس صدقة ﴾ (٣) ، وذكر أن من هذه الصدقات ﴿ أو تعدل بين اثنين ﴾ (٤) ، فإذا وجدت اثنين مختلفين وعدلت بينهما وأصلحت النزاع فهذه صدقة منك على نفسك ، وقد يكون النزاع بين الزوجين والإصلاح بينهما مطلوب ، قال تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ (٥) .

فإذا حصل النزاع بين الزوجين فإن الله تعالى حث الزوجين أن يصلحا ما بينهما بأنفسهما ، فيتنازل الزوج مثلًا عن شيء من حقه ، أو تتنازل الزوجة عن شيء من

(١) سورة الشورى آية : ١٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٣) البخاري الصلح (٢٥٦٠) ، مسلم الزكاة (١٠٠٩) ، أحمد (٣١٦/٢) .
(٤) البخاري الصلح (٢٥٦٠) ، مسلم الزكاة (١٠٠٩) ، أحمد (٣١٦/٢) .
(٥) سورة النساء آية : ١٢٨ .

حقها ، فيحصل بذلك الوفاق بينهما ، فإذا لم يستطع الزوجان لتسوية ال اع بينهما فإن القاضي يبعث حكمين بينهما ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [1] .

فيرسل الحكمان من قبل القاضي ليبحثا أسباب الخلاف بين الزوجين ويصلحا بينهما بما فيه المصلحة ﴿ صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ ﴾ [2] ، فلا يجوز لنا أن نترك بيوت المسلمين تعيش على ال اع وعلى الخصومة ، بل لا بد من الإصلاح بين الزوجين ، وكذلك الإصلاح واجب على المسلمين إذا حصل نزاع بين قبيلة وقبيلة ، أو بين جماعة وجماعة من المسلمين .

الترغيب في السعي في الإصلاح ذات البين

قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾ [3] .

فإذا حصل نزاع بين قبيلتين من المؤمنين ، وأدى هذا ال اع إلى الاقتتال ، فإنه لا يجوز للمسلمين أن يقفوا مكتوفي الأيدي ، بل لا بد من التدخل للصلح بينهما ، وذلك بأن ينظر في سبب ال اع الذي تقاتلا من أجله ، فيصلح بينهما لينتهي القتال بين المسلمين ، فإن انتهى على هذا فالحمد لله ، أما إذا أبت إحدى الطائفتين أن تخضع للصلح فإنه يجب على المسلمين أن ينضموا إلى الطائفة المظلومة ، ويقاتلوا معها الطائفة الظالمة . ﴿ فَإِنۢ بَغَتْ

(١) سورة النساء آية : ٣٥ .
(٢) سورة النساء آية : ١٢٨ .
(٣) سورة الحجرات الآيتان : ٩ - ١٠ .

إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي ﴾ [1] . والبغي معناه التعدي ، فإن أبت طائفة من الطوائف المقتتلة أن تقبل الصلح ، وأرادت الاستمرار في القتال ، فإنه يجب على المسلمين وولي أمرهم أن ينضموا إلى الطائفة التي بُغِي عليها ، ويقاتلوا معها الطائفة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ، أي : ترجع إلى أمر الله ، فتوافق على الصلح ، وتحكيم شرع الله في هذا ال اع ، ﴿ فَإِن فَآءَتۡ ﴾ [2] أي : رجعت ، ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [3] من غير حيف أو عاطفة مع طائفة دون أخرى ؛ لأن كلا الطائفتين من المسلمين ، فالصلح بينهما بالعدل ، أي : بالمساواة التي لا ميل معها ولا إجحاف ، ﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ ﴾ [4] أي : اعدلوا ، فالقسط معناه العدل ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ ﴾ [5] .

وهذا فيه ترغيب في القسط والعدل بين الناس ؛ لأن الله يحب أهله ، وفيه وصف الله سبحانه وتعالى بأنه يحب ، وهذا كسائر صفاته سبحانه وتعالى الفعلية ، فهو سبحانه وتعالى يحب ويكره ويعادي ويبغض ، وهذه الصفات على وجه يليق بالموصوف ، وهو الله سبحانه وتعالى ، ثم قال سبحانه معللًا ما سبق : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [6] ، وهذا هو السبب في عمليات الإصلاح إن أمكن أو عملية القتال إذا دعت الضرورة إليه ، كله من أجل أن المؤمنين إخوة ، ولا يليق بالإخوة أن يبقوا مختلفين ، أو أن يبقوا على هذه الحالة ؛ لأن هذه ال اع سيتأجج ويزداد ، وبالتالي يمزق الأمة .

فهذه الآية الكريمة تشعرنا بأننا حينما نقوم بذا العمل إنما هو من أجل الإخوة ، ليس الإخوة في النسب ، بل الإخوة فيما هو أقوى من النسب ، وهو الإيمان ، وهذا عام في كل المؤمنين من عرب وعجم ، وأغنياء وفقراء ، وحاضرة وبادية ، وكل مسلم ، وهذا

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٢) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٣) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٤) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٥) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٦) سورة الحجرات آية : ١٠ .

كله من أجل إنهاء الـ اعات والإصلاح بين الناس ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [1] .

فهذا ترغيب لنا في أن نسعى في الإصلاح دائمًا وأبدًا بين الأفراد ، أو بين الزوجين ، أو بين الفرق من المسلمين ، لتبقى وحدة الإسلام وقوة المسلمين وإخوة الإيمان كما أراد لها الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه وتعالى قد نهى عن أسباب العداوة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ ﴾ [2] ، فالسخرية بالناس عامة أو بالمسلمين خاصة تسبب العداوة ، فلا يجوز أن يسخر أحد بمسلم ؛ لأن المسلم مكانته عند الله عظيمة ، وإذا سَخَرْتَ منه فمعناه أنك تنتقصه ، وهو له مكانة عند الله سبحانه وتعالى ، فالسخرية سبب من أسباب العداوة ، فاجتنبوا السخرية ، ولا تستهزئوا بالناس ، قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ [3] . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [4] ، يعني : إذا رأى هؤلاء الـ رمون المؤمنين ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [5] ، يقولون : هؤلاء مساكين ، شقوا على أنفسهم ، هؤلاء سطحيون قريبو النظر .

---

(١) سورة النساء آية : ١١٤ .
(٢) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٣) سورة الهمزة آية : ١ .
(٤) سورة المطففين الآيات : ٢٩ - ٣٢ .
(٥) سورة المطففين آية : ٣٢ .

فالله جل وعلا نهى عن السخرية ؛ لأنها تسبب العداوة ، ثم قال : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [(١)] ، واللمز هو التنقص ، أي : لا ينتقص بعضكم بعضا ، وقال : أنفسكم لأنك إذا لمزت أخاك فقد لمزت نفسك ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [(٢)] ، يعني لا يقتل بعضكم بعضًا ، وكما قال تعالى : ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [(٣)] ، لأن المسلمين نفس واحدة . ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ ﴾ [(٤)] أي : لا تُعيروا الناس بألقابهم ، فيقال : فلان أعرج أو فلان الأحول أو الفقير ، فهذا لا يجوز إلا إذا اشتهر بهذا الشيء ، ولم يُشْعِر بذم ، فإذا كان اللقب لا يُشعر بذم فلا بأس به ، أما إذا قلته من باب السخرية فهذا لا يجوز ، فالمسلم يدعو أخاه بأحب أسمائه إليه فيقول : يا أبا فلان بكنيته ؛ لأن الكنية فيها تطييب للنفوس ، وتكريم لها ، ولا يلقبه أي : لا يُعَيره بلقبه الذي يكرهه لأنه يسبب العداوة ، ثم قال تعالى : ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ ﴾ [(٥)] ، ومن يفعل ذلك يكون قد اتصف بالفسق ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [(٦)] من استمر على ذلك ولم يتب منه فهو ظالم ، وصفه بالفسق ثم بالظلم تنفيرًا في هذا العمل .

ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [(٧)] ، لأن الظن السيئ من أسباب العداوة ، فإساءة الظن بالمسلمين لا تجوز ؛ لأن الأصل في المسلمين الخير والعدالة ، فقد يظن الناس بعض الظنون بالمسلم ، ويبنون عليها أحكامًا ، ويقاطعون إخوانهم المسلمين بسبب تلك الظنون التي يظنونها .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٢) سورة النساء آية : ٢٩ .
(٣) سورة النور آية : ٦١ .
(٤) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٦) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٧) سورة الحجرات آية : ١٢ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [(١)] ، أي : لا تتبعوا عورات إخوانكم المستورة ، ولكن تغاضوا عنها ، واستروا عليهم مع نصيحته في تركها ؛ لأن من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، إلا إذا كانت المصلحة في كشفه ، ذلك من أجل القضاء على الجريمة ، أو الحفاظ على الأمن ، فلا بأس من كشفه ؛ لأن هذا مصلحته أرجح من المفسدة ، فالتجسس إذا كان من مصلحة المسلمين لحفظ الأمن ، وردع المرمين ، فهذا مطلوب ؛ لأن مصلحته أرجح من مفسدته ، ومضرته لو بقي أكبر من المصلحة في كتمانه .

ومن أسباب العداوة أيضًا الغيبة ، وهي ذكرك أخاك بما يكره ، قال النبي ﷺ : ﴿ الغيبة ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : يا رسول الله ، أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ﴾ [(٢)] ، ثم صور الغيبة بأقبح صورة فقال تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [(٣)] ، فالذي يغتاب الناس مثل الذي يأكل لحوم الأموات ، وهل يطيق أحد أن يأكل من لحم الميت ؟ فلحم الميت تعافه النفوس ، فكيف تعاف النفوس لحم الميت ولا تعاف الغيبة ، مع أن الغيبة مثل أكل لحم الميت ؟ فالله سبحانه وتعالى نهى عن جميع أسباب العداوة ، وهذا من أجل أن تبقى المودة والرحمة والشفقة بين المسلمين .

أجر عظيم في الإصـلاح بين النـاس

إن الإصلاح بين الناس أجره عظيم عند الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .
(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٧٤) ، أحمد (٤٥٨/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٤) .
(٣) سورة الحجرات آية : ١٢ .

ﭐبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [(١)] ، فهذا وعد الله سبحانه وتعالى أن يؤتي من يفعل ذلك أجرًا عظيمًا ، وما وصفه الله بالعظمة فهو عظيم ، ولا يمكن أن يحدد ؟ لأن الله سبحانه وتعالى لم يحدده ، بل وصفه بالعظمة ، فالله يعطي المصلحين أجرًا عظيمًا ، وهذا فضل كبير .

إباحة الكـذب من أجل الإصـلاح

والكذب من الكبائر وهو محرمٌ ، وقد قال تعالى : ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [(٢)] ، والنبي ﷺ عد الكذب من آية المنافقين ، فقال في آيات المنافق : ﴿ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان ﴾ [(٣)] ، فالكذب من صفات المنافقين ، وقد قال ﷺ : ﴿ الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذأبًا ﴾ [(٤)] ، فالكذب محرم ، وكبيرة من الكبائر ، ولكن الله سبحانه وتعالى أباحه من أجل الإصلاح بين الناس ، قال ﷺ : ﴿ ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا ﴾ [(٥)] ، وفي الحديث الآخر : ﴿ لم يرخص النبي ﷺ في شيء من الكذب إلا الكذب للإصلاح بين الناس ، وكذب أحد الزوجين على الآخر ، والكذب في الحرب ﴾ [(٦)] ؛ لأن

---

(١) سورة النساء آية : ١١٤ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٦١ .

(٣) البخاري الإيمان (٣٣) ، مسلم الإيمان (٥٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣١) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١) ، أحمد (٥٣٦/٢) .

(٤) مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٠٧) ، الترمذي البر والصلة (١٩٧١) ، أبو داود الأدب (٤٩٨٩) ، أحمد (٣٨٤/١) .

(٥) البخاري الصلح (٢٥٤٦) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٠٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٨) ، أبو داود الأدب (٤٩٢١) ، أحمد (٤٠٤/٦) .

(٦) البخاري الصلح (٢٥٤٦) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٠٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٨) ، أبو داود الأدب (٤٩٢١) ، أحمد (٤٠٤/٦) .

الحرب خدعة ، ففي هذه الأمور الثلاثة يجوز الكذب من أجل المصلحة ، ومصلحة الكذب في هذه الأحوال راجحة على مفسدته ، بل ليس فيه مفسدة في هذه الأحوال ؛ لذلك أباح الله سبحانه وتعالى الكذب من أجل الإصلاح بين الناس ، لكن ما صورة ذلك ؟

* **صورة ذلك :** أن تذهب إلى أحد المتنازعين وتقول له : فلان يثني عليك ، أو فلان يحبك ويريد أن يجتمع بك ، فلان وصاني أن أقول لك : إنه يرغب في الإصلاح بينكما ، وهو ما قال لك ذلك ، ولكن أنت تريد الإصلاح بينهما ، فتلين قلبه ، وتحبب إليه أخاه ، ثم تذهب إلى الآخر وتقول له مثل ما قلت للأول ؛ حتى يذهب ما بينهما من النزاع ، ويذوب ما في نفوسهما من العداء ، وتجمع بينهما وتصلح ما أفسده النزاع ، فالكذب هنا أدى إلى مصلحة ؛ ولذلك رخص النبي ﷺ فيه ؛ لأن الذي يكذب هنا لا يريد إلا المصلحة بين الناس ، فهو يؤجر على ذلك .

للمصلح بين الناس نصيب في الزكـــاة

كذلك مما يدل على الترغيب في الإصلاح بين الناس أن الله سبحانه وتعالى جعل قسمًا من الزكاة للذي يصلح بين الناس ، فإذا حصل نزاع بين قبيلتين من المسلمين ، وتدخل أحد الأمراء أو غيرهم من أجل أن يصلح بين القبيلتين ، وتحمل مالًا أو غرامة ، فلا ينبغي أن نتركه يتحمل هذه الغرامة من ماله ، بل نعطيه من الزكاة وإن كان غنيا ، قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١) .

فمن تحمل مالًا للإصلاح بين الناس يعطى من الزكاة وإن كان غنيا ؛ لأننا لو تركناه لأدّى هذا إلى الإجحاف بماله ، وربما أدى هذا إلى سد الطريق إلى الإصلاح ، ولأنه إذا

(١) سورة التوبة آية : ٦٠ .

عَرَف المصلح أن الناس سيساعدونه ويتحملون معه ، فإنه سيقوم بالإصلاح بين الناس ، وهذا يدل على أن هذا الدين يُرغب في الإصلاح بين الناس .

النبي ﷺ يحكم بصحة الصلح بين المسلمين

كذلك مما يدل على الترغيب في الإصلاح قوله ﷺ : ﴿ الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا ﴾ [(١)] ، فلم يستثن ﷺ إلا الصلح في أمر محرم ، وقال ﷺ : ﴿ المسلمون على شروطهم إلا شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا ﴾ [(٢)] .

فالصلح جائز إلا إذا كان هذا الصلح يؤدي إلى ارتكاب حرام أو استحلال محرم ، وإذا كان الصلح على هذا فهو باطل ، أما إذا جرى الصلح على الوجه المشروع فهو جائز ، وينفذ ولا يعترض عليه ، والصلح بين المتنازعين أفضل من الذهاب إلى المحاكم ؛ لأن حكم القاضي بين المتنازعين لا يقضي على العداوة بينهما ، إلا إذا كان هناك إيمان قوي ، وإلا قد تبقى العداوة بين المتخاصمين ، أما إذا أُصلِح بينهما فإن العداوة تزول من قلوبهم .

فالصلح مطلوب - يا عباد الله - بين المسلمين ، وخاصة في هذا الزمان الذي نعيشه ؛ لأنه قد كثرت فيه الفتن ، والشعارات الكاذبة ، والتيارات الهدامة التي تغزونا من كل صوب ، وأخطر هذه التيارات تيار المبادئ الفاسدة التي ربما تسمى باسم الإسلام وباسم الدعوة إلى الإسلام ، وهي تريد التفريق بين المسلمين ، وجعلهم أحزابا وجماعات مختلفة متنازعة ، فلنحذر من هذا ، وإذا رأينا جماعة من المسلمين تختلف مع جماعة أخرى فعلينا أن نقوم بالإصلاح ، ونبادر - خصوصًا - إذا كان هذا في بلادنا ، أو بين شبابنا ، أو بين طلبة العلم ، نسعى إلى الإصلاح ، وإزالة أسباب الفرقة ، وأن نُقْنِع الجميع بأنهم إخوة ، وأن نُحذرهم من قبول الأفكار الوافدة التي تسبب الانقسام ، فنحن - ولله الحمد - في

---

(١) الترمذي الأحكام (١٣٥٢) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٥٣) .

(٢) الترمذي الأحكام (١٣٥٢) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٥٣) .

هذه البلاد جماعة واحدة ، وعلى عقيدة واحدة ، ودين واحد ، وقبلة واحدة ، وأمتنا واحدة ، نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، ونحكم بشريعة الله ، فالمحاكم الشرعية مفتوحة للحكم بين الناس في كل المنازعات ، لا في الأحوال الشخصية فقط كما في البلاد الأخرى .

ونحن - ولله الحمد - ندرس العلوم الشرعية في مدارسنا وفي مساجدنا ، فنحن جماعة واحدة من الراعي إلى الرعية ، كلنا نعلم ذلك ، فلماذا نسمح لهذه المبادئ أن تدخل علينا من هنا أو من هنا ؟ ولماذا نتقبلها وقد فرقت شبابنا ، وكونت أحزابًا وجماعات ؟ وهذه بادرة خطيرة يجب أن نتنبه لها ، وأن نصلح هذا التفرق الذي حصل بين بعض الجماعات أو بعض الشباب ، وذلك بأن نقول لهم : يا إخواننا نحن - والحمد لله - نعيش في بلاد تمتاز عن بلاد العالم ، ليس عن بلاد العرب فقط ، بل عن بلاد العالم كله ، تمتاز بالاستقامة والصلاح ، وإقامة الشريعة ، فلماذا - يا عباد الله - يحدث هذا بيننا ؟ ولماذا نقبل كلام العدو فينا ونحسن الظن به ؟

فيجب علينا ألا نقبل كل ما جاءنا ، أو كل ما سمعنا ، أو كل من قال : أنا عالم أنا داعية ، لا نقبل منه حتى نعرف حقيقته ، ونتأمل منهجه ، وندرس حاله ، ونُسير أموره ، فالأمور الوافدة على بلادنا يجب أن نتأمل فيها ونتريث ، وندرسها ونعرضها على علمائنا حتى نعلم المفسد من المصلح ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾ (1) ، فيجب علينا أن نتم بذه الأمور ؛ لأننا إذا تغافلنا عنها سرت فينا ، وحطمت قوتنا ، وشتتت شملنا ، وفرقت جمعنا .

فعلينا أن نبادر بالعودة إلى ما كُنا عليه من الاجتماع والمحبة ، وإقامة الشريعة ، ومن أراد أن يتعاون معنا من إخواننا فالله يجعل فيه البركة والخير ، ومن أراد غير ذلك ، أو أراد أن يزرع العداوة ، أراد أن يُشكك في العلماء ، أو أراد أن يُشكك في منهجنا ، أو أراد

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٢٠ .

أن يُشكك في دولتنا ، فنقول له : قف عند حدك ، فنحن أعرَف بوضعنا ، وأدرى بمجتمعنا ، وأعْلَم بأمورنا ، فإذا أردت الإصلاح والخير فنحن نرحب بك ، أما إذا أردت أن تجلب الأفكار والمبادئ والأمور التي تشتت ، أو الأمور المشبوهة ، فلا مرحبًا بك ، ولا أهلًا ولا سهلًا .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحاضـرة الحادية والعشرون
مسئولية الشباب المسلم

أهمية العناية بمسئولية الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سلك سبيلهم ، واقتفى أثرهم ، وسار على نهجهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فأيها الإخوة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في بداية حديثنا نشكر الله سبحانه وتعالى ، وندعوه أن يكتب لنا ولكم الأجر والفائدة ، وموضوعنا هو : " **مسؤولية الشباب المسلم** " .

فمما لا شك فيه أن الواجب مشترك بين أفراد الأمة شبابا وشيوخها ، ولكننا نخص الشباب المسلم ؛ لأن الشباب أمل المستقبل ، وهم الذين يقومون بواجبهم بعد رحيل الجيل الذي سبقهم ؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل الناس يخلف بعضهم بعضًا ، فكل جيل يخلف الجيل الذي قبله ، ويقوم بالواجب الذي تحمله الجيل السابق ؛ ولذلك فلا بد أن يكون عنده استعداد وتيؤ لتحمل المسؤولية ، كما تحملها أسلافهم ، وهم - أي الشباب - لن يستطيعوا القيام بذه المسؤولية إلا إذا تيئوا لها ، وأعدّوا لها عدتا ، وفهموها حق فهمها ، مع الاستعانة بالله سبحانه وتعالى ، وطلب التوفيق منه .

ونخص الشباب المسلم بالذكر لأن الشباب غير المسلم لا أهمية له ، وكذلك لا مستقبل له ما دام على الكفر بالله سبحانه وتعالى ؛ ولذلك فوجوده كعدمه ، بل إن عدمه خير من وجوده .

أما الشباب المسلم فله قيمته وأهميته ، ولذلك كان النبي ﷺ يوجه إرشاداته وتعليماته للشباب ، ومن ذلك قوله ﷺ لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ يا غلام إني

أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا سألت فاسأل الله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ﴾ وفي رواية : ﴿ واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا ﴾ .

هذه توجيهات نبوية ، وجهها النبي ﷺ لابن عمه الشاب عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وهي توجيهات لسائر شباب الأمة ؛ لأن كلماته ﷺ وأوامره ونواهيه عامة لجميع الأمة ، وإن وجهها لبعض الأفراد ، إلا بدليل يدل على الخصوص .

وقوله : ﴿ احفظ الله يحفظك ﴾ [1] ، أي : احفظ أوامر الله جل وعلا بفعل الطاعة ، وترك المعصية ، فإذا حفظ الإنسان حدود ربه وفرائضه حفظه الله في جميع أموره ؛ لأن من كان مع الله كان الله معه ، فمن حفظ دين الله ﷻ بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتزام حدوده ، فإن الجزاء من جنس العمل ؛ ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يحفظه مما يكره ، وقوله ﷺ : ﴿ احفظ الله تجده تجاهك ﴾ [2] تأكيد ، يعني يكون أمامك دائمًا ، ييسر لك الأمور ، ويخرجك من الشدائد ، ويسهل لك كل حال استصعب عليك .

وهذه التوجيهات العظيمة قال على ضوئها أهل العلم : إن من حفظ الله في شبابه حفظه الله عند مشيبه ، وحفظ الله في الشباب يعني : النشأة على الخير والطاعة ، فلا يسفه في شبابه ، فإن الله سبحانه وتعالى يحفظه عند المشيب ، ويحسن له الخاتمة ، وهذا شيء مجرب ؛ لأن الذين لازموا الطاعة وحفظوا دين الله سبحانه وتعالى فإن الله يحفظهم عند

---

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .

(٢) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٢٩٣/١) .

الكبر ، وعند الوفاة ، يحسن لهم الختام ، ويحفظهم من عدُوّهم الشيطان ؛ جزاءً لعملهم الصالح .

والنبي ﷺ يقول لربيبه عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه : ﴿ يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ﴾ [(١)] ، وهذه الكلمات النبوية قد انطبعت في ذهن الشاب ، وحفظها ورواها وبلغها للناس ، مما يدل على أن العناية بالشباب والأطفال أمر مطلوب .

وكذلك قال النبي ﷺ : ﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء ﴾ [(٢)] ، ففي هذا الحديث يظهر اهتمام النبي ﷺ بتوجيه الشباب إلى حفظ فروجهم ، وعدم انزلاقهم في الشهوات المحرمة ؛ لأن الشباب عندهم قوة ، وعندهم ضعف الإدراك ، لأنهم ليسوا كالشيوخ الذين قد نضجت عقولهم .

فالشباب وإن كانت عندهم قوة إلا أن عقولهم ليست في مستوى عقول الشيوخ في النضج ، فهم يخشى عليهم من الانزلاق عند المراهقة وعند البلوغ ، ولذلك وجههم النبي ﷺ إلى المبادرة إلى أخذ الحيطة ، فقال : ﴿ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ﴾ [(٣)] ، أي : من استطاع منكم تكاليف الزواج فليتزوج ، ثم علل ﷺ ذلك بقوله : ﴿ فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ﴾ [(٤)] ، فالشباب المتزوج لا يمتد بصره إلى ما لا يجوز النظر إليه ، وبالتالي يحفظ فرجه من الحرام ؛ لأنه استغنى بالحلال ، ثم قال ﷺ : ﴿ ومن لم

---

(١) البخاري الأطعمة (٥٠٦١) ، مسلم الأشربة (٢٠٢٢) ، أبو داود الأطعمة (٣٧٧٧) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٦٧) ، أحمد (٢٦/٤) ، مالك الجامع (١٧٣٨) ، الدارمي الأطعمة (٢٠١٩) .

(٢) البخاري النكاح (٤٧٧٩) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٣٩) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٥) .

(٣) البخاري النكاح (٤٧٧٨) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٤٠) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٦) .

(٤) البخاري الصوم (١٨٠٦) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٤٠) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٦) .

يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء ﴾ [1] ؛ لأن الصوم يكسر الشهوة ويحدها ، ويضعف مجاري الشيطان ويطرده ؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وكل هذا من أجل العناية بشؤون الشباب .

وسائل تربية وتعليم الشباب من الوقت المبكر

وكذلك حث النبي ﷺ على تربية الشباب من وقت مبكر ، فقال ﷺ : ﴿ مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع ﴾ [2] ، فابن السبع ليس عليه واجبات ، لكنه يؤمر بالصلاة لأجل أن يعتادها ويألفها وينشأ عليها ، فتنطبع في ذهنه ، وتصبح خفيفة عليه عندما يكبر ؛ لأن الصلاة فيها سر عظيم كما قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ [3] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [5] .

فالصلاة فيها سر عظيم ؛ ولذلك وجه النبي ﷺ الآباء أن يأمروا أولادهم بها في وقت مبكر ؛ ليعتادوها ويألفوها وينشئوا عليها ، ولأنها تحفظهم ، وتطهر قلوبهم ، وتربطهم بالمسجد وبالعبادة وبالمجتمع المسلم ، فالشاب عندما يلازم أباه ، ويلازم جماعة المسلمين في

---

(١) البخاري الصوم (١٨٠٦) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٤٠) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٦) .

(٢) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

(٤) سورة البقرة الآيتان : ٤٥ - ٤٦ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٥٣ .

وقت مبكر ، فإنه ينشأ على الاجتماع ، وترك الشذوذ والانفراد ، وكذلك على الألفة ، فيألف الكبار ، ويتعود الجلوس معهم ومصاحبتهم ، ويسلم من النفرة ، فإن كثيرًا من الشباب اليوم ما حصلت منهم النفرة من كبار السن ومن آبائهم إلا بسبب الإهمال ؛ لأن آباءهم تركوهم كالبهائم تدخل وتخرج للرعي ، ولا حساب عليهم في دخولهم وخروجهم .

فكثير من الآباء مشغول بدنياه وأعماله ووظيفته وأسفاره ، ولا يعرف عن أولاده إلا أنهم يخرجون من البيت في أول النهار ، ويعودون إليه في الليل ، وربما في وقت متأخر منه ، ولا يدري أين ذهبوا ؟ أو أين سرحوا ؟ ولذلك نشأ كثير من الأولاد على النفرة من الكبار ومن المساجد واستماع الذكر ، بسبب إهمال آبائهم .

ما ظنكم لو أن الآباء قد أخذوا أولادهم من سن التمييز إلى المساجد ، وسمعوا القرآن والمواعظ ؟ لو فعلوا ذلك لنشئوا عليه ، وألفوه وأحبوه ؛ فغالب أسباب نفرة الشباب اليوم من آبائهم ومن مجتمعهم لأنهم ضيعوهم ، ولم يربطوهم بالمساجد ودراسة القرآن وحضور حلق الذكر ومجالس الخير .

فلو أن الآباء قد أخذوا بتوجيهات النبي ﷺ فصاروا يأخذون أولادهم في سن التمييز إلى المساجد خمس مرات في اليوم والليلة ، ليسمعوا ويروا ويستفيدوا ، لنشئوا على الخير ، فقول النبي ﷺ : ﴿ مروا أولادكم بالصلاة لسبع ﴾ [1] الغرض منه التربية والتمرين ، وربط الشباب بالجمع والمساجد ، ﴿ واضربوهم عليها لعشر ﴾ [2] أي : إذا بلغ الصبي عشر سنوات فإنه يضرب إذا ترك الصلاة أو بعضها ؛ لأن الضرب فيه فائدة له من حيث التعزير ، وإذاقته للألم ، وعقوبته على المعصية حتى يكرهها .

فكما أن الصبي يعطى جائزة على الأعمال الطيبة تشجيعًا وترغيبًا له في الأعمال الطيبة ، فكذلك يضرب على المعصية والمخالفة من أجل أن يكره المعصية ؛ لأنه إذا ذاق

---

(١) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

(٢) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

العقوبة فإنه يبغض المعصية ، فالضرب من وسائل التربية ، وهذا عكس ما يقوله الغرب وأذنابهم من أدعياء التربية الذين ينكرون الضرب بالعصا ، فالضرب أرشد إليه النبي ﷺ وأرشد إليه القرآن في حق النساء الناشزات ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ (1) .

فالمرحلة الأخيرة هي الضرب ؛ لأن الضرب له فائدة ، فالسوط الذي تضرب به ولدك تأديبًا له خير من أن تعطيه الأموال والجوائز ؛ لأن الجوائز تغريه وقد تفسده ، أما الضرب فإنه يؤدبه ويقومه ، فالضرب وسيلة من وسائل التربية إذا كان في حدود المأذون به من غير إسراف أو مجاوزة للحد .

أما الذين تخرجوا في المدارس الغربية فإنهم يقولون : إن الضرب وسيلة وحشية فهذا قول باطل ؛ لأن الضرب له فائدة في الإسلام ، فقوله ﷺ : ﴿ واضربوهم عليها لعشر ﴾ (2) لأن ابن عشر سنين إما أن يكون قد بلغ الحلم فيكون قد ترك واجبًا ، ومن ترك واجبًا استحق العقوبة ، وإما أن يكون مراهقًا ومقاربًا للبلوغ ، فيضرب تأديبًا وتنفيرًا له من المعاصي والمخالفات .

وقوله ﷺ : ﴿ وفرقوا بينهم في المضاجع ﴾ (3) أي : لا تتركوهم ينامون جميعًا تحت غطاء واحد على فراش واحد خشية أن تظهر بينهم الفتنة ، وهذا من باب سد الذرائع المفضية إلى الفتنة ، والتفريق بينهم في المضاجع عملية تربوية أرشد إليها النبي ﷺ وهي تكون في سن مبكرة حتى يألف الأولاد الخير ، وينفروا من الشر ، ويبتعدوا عن أسباب الفتنة .

---

(1) سورة النساء آية : ٣٤ .

(2) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

(3) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

قيمة الشباب في الإسلام والحرص على تقويمهم

والنبي ﷺ أخبر أن الشاب الذي نشأ في عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وأخبر أن الله يعجب من الشاب الذي ليس له صبوة ؛ لأن الشباب في العادة يغري ، لكن إذا وجد شاب قد احتفظ بالأخلاق في شبابه ، ولم يكن عنده أي نزوات ، فهذا شاب له ميزة ، وسوف يظله الله يوم القيامة في ظله ، يوم الحر الشديد الذي تدنو فيه الشمس من الرؤوس ، ويكثر العرق الذي يضايق الناس في ذلك الموقف ، وهؤلاء يكونون في ظل يرتاحون فيه من عناء الموقف إكرامًا لهم وجزاءً ؛ لأنهم حفظوا حدود الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا .

إذن فالشباب في الإسلام له قيمة ومكانة لا يستهان بها ؛ لأن الشباب طاقة للأمة ، إذا ضُيعت فقدت مقوماته ، وإذا حُفِظت بقيت للأمة مقوماتها وقوتها ومهابتها ، ومن هنا يجب العناية بالشباب من ناحية آبائهم ، ومن ناحية المسؤولين ، ومن ناحية عموم المجتمع ، فيجب أن يتعاون المجتمع على توجيه الشباب نحو الخير ، كل على حسب مسؤوليته .

فالشباب كما أخبر النبي ﷺ يتكيفون بتكييف البيئة التي يعيشون فيها ، فيتأثرون بالخير والشر الذي في بيوتهم ومجتمعهم ، ولهذا قال النبي ﷺ : ﴿ كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ﴾ [1] .

فالشاب أو المولود إنما ينحرف عن فطرته السوية بسبب انحراف التربية ، وانحراف البيئة التي يعيش فيها ، أما إذا وجد المجتمع وأهله مسلمين مستقيمين على الطاعة ، فإن فطرته تسلم وتنشأ على الخير ؛ لأن الفطرة مثل التربة الصالحة ، فهي صالحة للبذور والإنبات ، وإذا أهملت أو أُدخل عليها مواد فاسدة فسدت ، مثل الأرض التي تحولت إلى

(١) البخاري الجنائز (١٣١٩) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٢/٣١٥) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

سبخة لا تنبت كلأ ولا تمسك ماء ، وقوله ﷺ في هذا الحديث : ﴿ فأبواه يهودنه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ﴾ [1] ، ولم يقل : يسلمانه ؛ لأن الأصل هو الإسلام ، وهو قد ولد على الأصل ، فلو حُوفظ على فطرته ونُميت في الخير لسلمت ، ولكن حينما تعارض الفطرة بيئة فاسدة ، أو توجيهات منحرفة ، فإنا تفسد حينئذٍ ويصعب علاجها .

فأنت حينما تُنشئ ولدك على الطاعة شيئًا فشيئًا فإنه يسهل عليك أخذه إلى الخير ، أما إذا أهملته في أول الأمر ، وأردت أن تستدرك فلن تستطيع ؛ لأن فطرته قد فسدت ، أما مع التعاهد الحسن والتربية الطيبة فتبقى فطرته سليمة ، وعند ذلك يقبل كل توجيه طيب ، يقول الشاعر :

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ... ولا تلين إذا كانت الخشب

فالغصون ما دامت لينة وصغيرة يمكن تعديلها على ما يريد الإنسان منها ، لكن إذا صارت من الخشب فلن يستطاع تعديلها ، وكذلك الشباب إذا حصل عناية مبكرة بهم سهل قيادتهم ، وسلمت فطرتهم ، وقبلوا ، أما إذا أهمل الشباب حتى تتلوث فطرتهم فإن العلاج يصعب حينئذ ، ومن هنا يجب على الوالدين أن يكونا قدوة صالحة لأولادهما ، فلا يرون منهم إلا خيرًا ، ولا يسمعون منهم إلا الطيب ، حتى يقتدوا بهم ؛ لأن الولد ينشأ على ما عوده أبوه ، قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

ويقول الآخر :

إذا كان رب البيت بالطار مولعًا ... فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

---

(1) البخاري الجنائز (١٢٩٢) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٣١٥/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

لأنهم يقتدون بعائلهم وقائدهم ، فإذا رأوا فيه انحرافًا في القول أو السلوك فإنهم يقلدونه ، وإذا رأوا فيه استقامة في القول والعمل فإنهم يقتدون به ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [1] .

فصلاح الآباء له أثره على الأبناء بلا شك ، وإذا كانت البيوت مملوءة بالصور الماجنة ، والأفلام الخليعة ، والمناظر السيئة ، والعادات القبيحة ، فما ظنكم بالأولاد الذين يخرجون من هذه البيوت ؟ إنهم سيكونون بلا شك أجيالًا منحرفة ، وهذا بخلاف البيوت المعمورة بالطاعة والخير والعبادة والاستقامة ، فإن الأولاد الذين يخرجون منها سيكونون - بإذن الله - على الاستقامة ، ونحن مأمورون بفعل الأسباب ، وإلا فالهداية والصلاح بيد الله سبحانه وتعالى ، فإذا فعلنا أسباب الصلاح فالله ييسر النتائج ، فعلينا أن نوجد أسباب الخير في بيوتنا حتى ينشأ أولادنا على الاستقامة بإذن الله ، ونتجنب الأسباب القبيحة حتى يبتعد أولادنا عن الانحراف والفساد ، وكثير من الناس يلومون الشباب إذا رأوا منهم انحرافًا ، ولا ينظرون إلى البيوت التي خرجوا منها .

فلماذا نلوم الشباب لانحرافهم ، ولا ننظر إلى أنهم لم يوجهوا التوجيه السليم ، ولم يهتم بهم آباؤهم ، بل ربما يكون الآباء هم الذين قادوا أولادهم إلى الانحراف في سلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم ؟ فلكل شيء سبب ، ولا يكون الأولاد صالحين إلا بفعل أسباب الصلاح .

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ؟ إن السفينة لا تجري على اليبس

فلا بد من الأخذ بالأسباب ، فإذا اشتكى بعض الآباء من انحراف أبنائه فإنه يكون قد نسيَ أنه هو السبب في هذا الانحراف ، وأن هذا عقوبة من الله سبحانه وتعالى له ، فإن الله سبحانه وتعالى يأمر الأبناء بأن يحسنوا إلى آبائهم عند الكبر ؛ لأنهم أحسنوا إليهم عند الصغر قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [2] .

(١) سورة الطور آية : ٢١ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٢٤ .

أتظنون أن المراد بالتربية هنا التربية الحيوانية فقط ، كالرضاع والطعام والشراب والكسوة ؟ لا إنما المقصود هنا التربية الخلقية ؛ لأنا أعظم من تربية الجسم ، إلا أن بعض الآباء يربي أولاده تربية جسمية فقط ، ويظن بذلك أنه ربّاهم ، وأحسن إليهم ، وهو بهذا لم يحسن إليهم ، بل إنه أساء لأنه مكنهم من الشهوات البهيمية والترف والفراغ ، وملأ جيوبهم بالنقود ، والشاعر يقول :

إن الـــشباب والفـــراغ والجـــدة   مفـــسدة للمـــرء أي مفـــسدة

التربية الصحيحة للشباب

والتربية الصحيحة هي التربية الأخلاقية ، فكونك تضرب ولدك للتعزير أحسن من أن تعطيه ألف درهم للترفيه ؛ لأن الألف ريال قد يسبب له الانحراف ، أما هذا السوط فإنه يسبب له الاستقامة بإذن الله .

قسا ليزدجـروا ومـن يـك حازمًـا   فلـيقس أحيانًـا علـى مـن يـرحم

فالقسوة في محلها والتأديب في محله له قيمته ، فلا تأخذك الشفقة على أولادك ، والرحمة أن تؤدبهم ، وتضربهم إذا استحقوا الضرب ؛ لأن عدم ضربهم حينئذ ليس شفقة بهم ، بل هو إضرار بهم وإهمال لهم . إذن الشباب لهم على آبائِهم واجبٌ ، ولهم على مجتمعهم واجبٌ ؛ وذلك حتى ينشئوا نشأة صالحة ، يستطيعون بها القيام بواجبهم في المستقبل ، ومن هنا يجب على الآباء وأصحاب البيوت أن يعتنوا بتربية أولادهم ، ويجب على المسؤولين في الأمة وفي الدولة كذلك أن يعتنوا بتربية الشباب ، فيوجدوا لهم وسائل التربية النافعة من مقررات دراسية مفيدة ، ومن أعمال طيبة ، وأن يبعدوا عن المجتمع كل أسباب الانحراف المحلية والوافدة ؛ حتى ينشأ شباب المسلمين نشأة صالحة حسنة ، فالشباب لهم واجب على المجتمع من ناحية التوجيه والتربية والعناية بهم ، وإبعاد وسائل الشر عنهم ، ثم بعد ذلك يكون على الشباب أن يتحملوا واجبهم ، وذلك بالقيام بالأعباء نحو المجتمع .

واجب الشباب المسلم

واجبات الشباب واجبات كثيرة منها :

أولًا : يجب على الشباب المسلم أن يعتنوا بتعلم العلم النافع ، ولو بالقدر الذي يستقيم به دينهم ، وتصح به عبادتهم ، فيجب عليهم أن يهتموا بمعرفة العقيدة الصحيحة ، وما يخالفها من المفسدات والمنقصات ، ويجب عليهم أن يعرفوا أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وأركان الإيمان الستة ، ومعرفة نواقض الإسلام ؛ وذلك حتى يقيموا دينهم على أساس صحيح .

فهذا القدر من العلم واجب على كل مسلم وجوبًا عينيًا ، ولا يعذر أحد بجهالته ، فعلى الشباب أن يركزوا على هذا الجانب من العلم الضروري ، ثم بعد ذلك من أراد التزود بالعلم فإن طلب العلم من أفضل العبادات ، بل هو أفضل من نوافل الجهاد ، ونوافل الصلاة والحج ، فطلب العلم أفضل من سائر النوافل ؛ لأن بالعلم يستقيم الدين وتقوم الملة .

فعلى الشباب أن يهتموا بالعلم الشرعي أولًا وقبل كل شيء ضرورية ، الذي لا يعذر أحد بجهالته ، وما زاد عن ذلك من التفقه في علوم الشريعة من أجل أن يقوم الشباب بواجب الأمة ؛ حتى يحسنوا فيها ، ويقيموها على الوجه المطلوب ، ومن كانت عنده مقدرة أن يتعلم الصناعات والمهن الأخرى ، وكذلك الفنون العسكرية ، والفنون الزراعية ، والفنون الطبية ، فعليه أن يقوم بها ؛ لأن الشباب يجب أن يتعلم الفنون التي تحتاجها الأمة ، فمن كانت عنده الميول إلى تعلم هذه العلوم الدنيوية بعد أخذه القسط الضروري من العلم الشرعي فهذا شيء لا بد منه للأمة لأن المواهب تختلف .

والله سبحانه وتعالى بحكمته جعل المواهب متفاوتة من أجل أن تتكامل مصالح الأمة ، فيكون هناك من يقوم بالعلم الشرعي ، وهناك من يقوم بالعلم العسكري ، وكذا الزراعي والصناعات التي تحتاجها الأمة ؛ حتى تتكامل مصالحها ، ولا يقوم بهذه الأمور إلا شباب

الأمة ، فعليهم أن يعتنوا بالعلم النافع ، وفي المقدمة العلوم الشرعية ثم العلوم الدنيوية التي تحتاجها أمتهم ؛ لأنهم لا يستطيعون القيام بمسئوليتهم في المستقبل إلا إذا تسلحوا بالعلم ، فلا يجوز لهم أن يفرطوا فيه ، وأن يبقوا في جهلهم وسذاجتهم ؛ لأنهم مهيئون لتحمل أمر عظيم .

قد هيئـوك لأمـر لـو فطنـت لـه فاربأ بنفسك أن ترعـى مـع الهمـل

ثانيًا : يجب على الشباب المسلم أن يرتبطوا بعلمائهم ، وأن يرتبطوا بكبارهم وأصحاب العقول الناضجة من آبائهم ومواطنيهم ، وأن يتعلموا من أصحاب التفكير السليم والرأي السديد ، ويتلقوا منهم التجارب النافعة ، والحِكَم السديدة ، ولا ينفصل الشباب عن الكبار أبدًا ؛ لأنه إذا حصل الانفصال حصلت الفجوة بين أفراد الأمة ، وحينئذ يحصل الخلل والضعف ، وتسنح الفرصة لأعداء المسلمين أن يتلاعبوا بهم ، فعلى الشباب أن يرتبطوا بأهل العلم ؛ ليأخذوا عنهم العلم النافع والتوجيهات السديدة .

أما إذا انفصل الشباب عن العلماء وأصحاب العقول النيرة السليمة ؛ فإن الأمر يصير خطيرًا ؛ لأنهم سوف ينفتحون على الخارج ، ويتلقون التيارات المنحرفة من خلال الجرائد أو المجلات ، أو الوسائل الوافدة من الخارج ، من هنا يجب على الشباب أن يدركوا هذا ؛ لأنهم إذا فرطوا في تلقي العلم من علمائهم ومفكريهم وصلحائهم ، وانصرفوا إلى تلقي التوجيهات من خارج بلادهم ، ومن أعدائهم ، ومن أصحاب الأفكار المنحرفة والمبادئ الضالة ، ومن مجهولي الهوية في العلم والعقيدة ، فإن الأمر خطير ؛ لأن البلاد ستتغير وتتحول .

ونحن في هذه البلاد - ولله الحمد - على اجتماع في الكلمة ، وصلاح في الراعي والرعية ، فمنهجنا سليم ، وعقيدتنا صحيحة - ولله الحمد - ، نسير على المنهج الرشيد ، أنا لا أقول : إننا قد كملنا من كل وجه ، وليس عندنا نقص ، بل عندنا نقص ، ولكن إذا قارناه بما عليه البلاد الأخرى يتبين الفرق العظيم ، فنقصنا يمكن إصلاحه بإذن الله إذا توافرت الجهود المخلصة ، وبذلت النصيحة ، وحصل التعاون ، فأنا أوجه النصيحة إلى

شباب هذه الأمة وشباب بلادنا خاصة أن يعتنوا بذا الأمر ، وأن يعرفوا أنم مقصودون من العدو ، سواء الأعداء الذين يصرحون بأنم كفار ، أو الأعداء الذين يتسمون الإسلام ، ويغزوننا باسم الإسلام ، ويدسون بيننا الأفكار الغربية البعيدة عن عقيدتنا ومنهجنا .

فعلى شباب الإسلام أن يدركوا هذه الخطورة ، وأن لا يفتحوا الباب أمام الأفكار الوافدة حتى لو كانت تسمى باسم الإسلام ، باسم الدعوة ، فيجب ألا يقبلوا شيئًا إلا بعد تمحيصه ، وعرضه على العلماء ، وعلى أصحاب الرأي السديد ، حتى يأخذوا ما يصلحهم ، ويرفضوا ما لا يصلح ، أما إذا قبلنا هذه الأفكار ، واعتبرناها هي الرقي واليقظة أو الصحوة كما يسمونا فهذا غلط كبير ، نحن نقبل الحق ، لكن لا يعرف الحق إلا العلماء من أهل البصيرة والعلم والتجارب الصحيحة ، فنحن نتمسك بمنهجنا وجماعتنا وعقيدتنا ، وإذا وفد إلينا شيء من الأفكار أو من الأشياء الأخرى ، فيجب أن نعرض هذه الأمور على أهل البصيرة منا ، فما كان فيه خير نقبله ، وما كان فيه من شر فإننا ندفعه ونسلم من شره ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (1) .

والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته ، وأولو الأمر هم العلماء والأمراء وأصحاب الرأي السديد في الأمة ، وهذا لا يتم إلا بالتعاون بين العلماء والمتعلمين ، وبين الشباب والكبار ؛ حتى لا ينخدع البعض بما يقرأ أو يسمع ، يقول الشاعر :

ولا تحكـــم بـــأول مـــا تـــراه فـــأول طـــالع فجـــر مكـــذوب

فلا بد من التثبت وعدم التسرع في الأمور ؛ لأن الناس في هذا الزمان لهم أغراض وأهداف ، خاصة بعدما اشتدت غربة الإسلام ، وكثرت الفتن ، وماج العالم بعضه في بعض ، والتبس الحق بالباطل ، وهذا يستدعي اليقظة والتبصر ، وعدم التسرع في الأمور ،

---

(1) سورة النساء آية : ٨٣ .

ويجب علينا أن نحمد الله سبحانه وتعالى على ما نعيشه من واقع طيب تفقده كل المتمعات في هذا الزمان حسب ما نعلم ، على ما فينا من تقصير وخلل ، ولكن التحدث بنعمة الله واجب ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾ [1] .

فالنعمة تشكر ، والشكر له ثلاثة أركان :

الأول : التحدث بالنعمة ظاهرًا .

والثاني : الاعتراف بها باطنًا .

والثالث : صرفها في طاعة الله سبحانه وتعالى .

فنحن في نعمة يجب أن نشكرها ، وإذا كان من نقص فطريق الإصلاح - ولله الحمد - مفتوح بالتعاون والتشاور والتناصح ، وهذا سبيل المؤمنين .

ثالثا : أوصي شبابنا - أصلحهم الله - بعدم التشدد في الأمور ؛ لأن بعض الشباب يتشددون في بعض الأمور ، والتشدد أخطر من التساهل ، والله سبحانه وتعالى حذر من الغلو ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝ ﴾ [2] .

والغلو هو الزيادة في الدين والتنطع ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ [3] ، ويقول ﷺ : ﴿ هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ﴾ [4] قالها ثلاثًا عليه الصلاة والسلام ، وقال ﷺ : ﴿ لا يشاد الدين أحد إلا غلبه ﴾ [5] ، ولذلك لا يمكن لأحد أن يستوفي كل الدين ؛ لأنه كثير وطاقة الإنسان محدودة ، ولكن عليه عمل ما يستطيع ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ سددوا وقاربوا واستقيموا

---

(١) سورة الضحى آية : ١١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٧٧ .

(٣) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .

(٤) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (٣٨٦/١) .

(٥) البخاري الإيمان (٣٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤) .

ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ﴾ [1] ، فلن تستطيع أن تحصي الدين كله ، لكن عليك بالاستقامة والتسديد والمقاربة ، أي : إذا لم تستطع التسديد فعليك بالمقاربة من التسديد والإصابة .

فالغلو طريقة خاطئة ، كما أن التساهل كذلك ، وطريق النجاة هو الاعتدال بين التساهل وبين الغلو ، فإن الغلو طرف ، والتساهل طرف ، أما الاعتدال بين التساهل وبين الغلو فهو الوسط ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [2] ، أي : خيارًا عدولًا ، ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [3] ، فالوسط هو خير الأمور بين التساهل والغلو ، ودين الله تعالى بين الغالي والجافي ، بين الغالي الذي يتشدد ، وبين الجافي الذي يعرض ويبتعد عن الخير ، فخير الأمور أوسطها ، فعلى شبابنا أن يعتدلوا .

رابعًا : على شبابنا - وفقهم الله - أنهم كما يعتدلون في السلوك والعمل أيضًا يعتدلون في القول حينما يتكلمون في شيء أو في مذهب ، فعليهم بالاعتدال من غير تجازف أو تساهل ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ﴾ [4] .

فعليهم بالاعتدال في القول والعمل ؛ لأن هذا طريق النجاة ، فلا تحملهم العاطفة أو الحماس على تجريح الناس والكلام فيهم بغير علم كما قال تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [5] .

فيجب حفظ اللسان ووزن الكلام ، وكذلك عليهم الاعتدال في العبادة من غير غلو فيها ولا تساهل ، هذا هو الطريق الصحيح ، أما الغلو والزيادة فهو كما قال النبي ﷺ :

---

(١) ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٧٧) ، أحمد (٢٨٢/٥) ، الدارمي الطهارة (٦٥٥) .
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٣ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .
(٥) سورة النور آية : ١٥ .

﴿ كالمنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى ﴾ ، أما المعتدل فهو الذي يسير على الطريق الصحيح ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [(1)] .

والرسول ﷺ لما ﴿ بلغه أن ثلاثة من شباب الصحابة أرادوا أن يجتهدوا في العبادة ، وأن يشُقوا على أنفسهم ، فقال أحدهم : أنا أصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أنا أصلي ولا أنام ، وقال الثالث : أنا لا أتزوج النساء ، فلما بلغه ﷺ ذلك غضب غضبًا شديدًا ، وقال لهم : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم لله ، وإني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأتزوج النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس مني ﴾ [(2)] ، فعلى الشباب أن يعتدلوا في القول والعمل .

خامسًا : على الشباب - وفقهم الله - أن يجتنبوا قرناء السوء ؛ لأنهم يحملون أفكارًا منحرفة وإن تظاهروا بالصلاح والإصلاح والدعوة إلى الله ، فعلى شبابنا أن يحذروا قرناء السوء وأصحاب البدع والأفكار المنحرفة ، إلا إذا كان الغرض من مجالستهم هو دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذا إنما يكون لمن كانت عنده مقدرة علمية واستطاعة لمجادلتهم بالتي هي أحسن ، أما الذي لا يحسن هذه المجادلة ، أو الذي ليس عنده علم ، فيجب عليه أن يحذر منهم ومن مجالستهم ؛ لأنهم يؤثرون على جلسائهم ، فعلى الشباب أن يجالسوا أهل الصلاح والاستقامة ، الذين يعرفون أصلهم وعقيدتهم ، وأهل العلم النافع المعروفين بذلك .

وقد شبه النبي ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك ، فإذا جلست إلى حامل المسك فإنك لا تفقد الفائدة ، إما بالرائحة الطيبة ، وإما أن تشتري منه ، وإما أن يعطيك من المسك ، وكذلك الجليس الصالح والعالم العامل بعلمه ، المستقيم في سلوكه ، لا تفقد الفائدة من مجالسته ، ولو على الأقل أن تسلم من الشر ، وتستفيد الأجر وقت جلوسك معه ، أما

---

(1) سورة التغابن آية : ١٦ .

(2) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٢٨٥/٣) .

الجليس السيئ فقد وصفه النبي ﷺ بنافخ الكير ، ونافخ الكير إذا جلست إليه لا بد أن تُضَر ، فإما أن يحرق ثوبك ، وإما أن تجد منه رائحة خبيثة وقت جلوسك عنده ، وهذا كجليس السوء إما أن يؤثر على عقيدتك وعلى تفكيرك وسلوكك ، أو على الأقل أن تأثم إذا جلست إليه ، وسمعت كلامه السيئ وفكره المنحرف .

والشاعر يقول :

إذا صحبت قومًا فاصحب خيارهم ولا تصاحب الأردا فتردى مع الردي

ويقول الآخر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فعلى شبابنا - أصلحهم الله - أن يجالسوا أهل العلم والفقه والعقيدة السليمة والأفكار الطيبة ، وأن يحذروا من المشبوهين وحملة الأفكار المنحرفة ؛ لأنهم سوف يضلونهم عن سبيل الله عز وجل .

فنحن - ولله الحمد - نعيش في بلاد طيبة ، قامت على التوحيد والعلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الحميدة ، فعلينا أن نحافظ على بقاء هذه النعمة ، وألا نسمح لأي فكر أو أي رأي يأتينا إلا بعد تمحيصه وعرضه على أهل العلم والبصيرة ، مع أننا - ولله الحمد - في غنى ، ولكن إذا كان هناك شيء من الخير فزيادة الخير خير ، ولكن الواجب الحذر من هذه الأمور ، والحذر من الدساسين ، والحذر من الخداعين ، والحذر من وسائل الإعلام التي فيها شر من جرائد أو مجلات تحمل أفكارًا مسمومة ؛ لأن هذه الوسائل وسائل تدمير ، فلا نفسح لها المجال في بيوتنا أو في محلاتنا ، وعلى أن نناصح ولاة الأمور في إبعادها عن المجتمع ، هذا هو الواجب على شباب المسلمين ، ألا يفتحوا ثغرة في بلاد المسلمين تقبل كل ما وفد أو ما هب ودب من الأفكار ، ثم يصعب بعد ذلك علاجها ، وعلى الشباب أن يعتنوا بأنفسهم ، وأن يعتنوا بثقافتهم ومناهجهم ودروسهم التي يدرسونها حتى يكونوا رجالًا صالحين للمستقبل بإذن الله .

وأستغفر الله وأتوب إليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المحاضـرة الثانية والعشرون
الديـن والأخـلاق مسؤولية الجميع

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وندعو الله أن يشملنا برحمته ، وأن يرزقنا منه علمًا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [1] ، ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] .

أما بعد :

فيا أيها الإخوة الكرام ، لا شك أن كل عاقل مكلف ، عليه مسؤولية حمله الله إياها ، ويجب عليه رعايتها ، والقيام بها ، ويحرم عليه التفريط فيها والإخلال بها ؛ لأن الإنسان لم يخلق عبثًا ، ولن يترك سدى ، بل خلقه الله سبحانه وتعالى لعبادته ، وسخر له ما في السماوات والأرض ، وحمله أمانة امتنعت من حملها السماوات والأرض والجبال ، بل وأشفقن منها ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [3] .

فالأمانة قد عرضها الله على السماوات والأرض عرض تخيير ، أي : إن قامت بها فلها الثواب ، وإن فرطت فيها فعليها العقاب ، ولذلك اختارت العافية ﴿ وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [4] ، حمل الإنسان أمانة هذه المسؤولية فيما بينه وبين الله ، وكذلك أمانة المسؤولية فيما بينه وبين الخلق ، كل حسب استطاعته ، ثم ذكر

---

(١) سورة طه آية : ١١٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ٣٢ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٧٢ .
(٤) سورة الأحزاب آية : ٧٢ .

الله سبحانه وتعالى انقسام هذا الإنسان أمام هذه الأمانة بعد تحملها ، فقال : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ ﴾ (١) .

فجنس الإنسان انقسم في عمل الأمانة كما أخبر الله سبحانه وتعالى إلى ثلاثة أصناف :

صنف فرط فيها ظاهرًا وباطنًا ، وهم المشركون والمشركات ، فهؤلاء ضيعوا الأمانة ظاهرًا وباطنًا ؛ لأنم كفروا بالله سبحانه وتعالى وأشركوا به .

والصنف الثاني : تحملها ظاهرًا ، وضيعها في الباطن ، وهم المنافقون والمنافقات ، وقد وعد الله الصنفين بالعذاب كما قال تعالى : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ﴾ (٢) ، وبدأ بالمنافقين قبل المشركين لأن كفرهم أغلظ والعياذ بالله .

ثم ذكر الصنف الثالث : وهو الذي تحمل الأمانة ظاهرًا وباطنًا ، وهم المؤمنون ، فقال تعالى : ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (٣) .

فالحاصل أن الإنسان محمل بمسؤولية منذ بلوغه سن التكليف إلى أن يموت ، ويجب عليه رعايتها والقيام با ، ويحرم عليه التفريط والتساهل في شأنا ، كل حسب حاله ، ولا يوجد إنسان عاقل إلا وهو متحمّل الأمانة ، فهو متحمل أمانة نفسه بأن يحملها على طاعة الله ، ويجنبها معصيته ، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (٤) ، وكذلك محمل أمانة

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٧٣ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٧٣ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٧٣ .
(٤) سورة الشمس الآيات : ٧ - ١٠ .

أهله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝ ﴾ [1] .

وهو أيضًا محمل أمانة التمع بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [2] ، ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ ﴾ [3] ، وقال ﷺ : ﴿ من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [4] ، وقال : ﴿ كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته ﴾ [5] ، إذًا فكل واحد من البشر محمل هذه الأمانة ، ومسؤول عنها أمام الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا جاء عنوان هذه المحاضرة " الدين والأخلاق مسؤولية الجميع " ، ليشعرنا أننا جميعًا مسؤولون أمام هذه الحقائق الثلاث ، وحقوق الله سبحانه وتعالى بل وحقوق عباده كلها داخلة في هذه الأمور الثلاثة ، وهذا يتلخص في الضروريات الخمس التي ذكرها أهل العلم ، وهي : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، فهذه الضروريات الخمس يجب المحافظة عليها ، ويدخل فيها جزئيات وتفاصيل كثيرة ، لكن كلها ترجع إلى هذه الضروريات الخمس .

---

(١) سورة التحريم آية : ٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٤) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٤/٣) .

(٥) البخاري الجمعة (٨٥٣) ، مسلم الإمارة (١٨٢٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٥) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨) ، أحمد (١٢١/٢) .

الضروريات الخمس

أولا : حفظ الديــن

المراد بحفظ الدين :

وأول هذه الضروريات حفظ الدين ، وحفظ الدين مسؤولية الجميع ، والدين يعني توحيد الله سبحانه وتعالى ، وإخلاص العبادة له ، وترك عبادة ما سواه ، وكذلك اتباع الرسول ﷺ فيما جاء به عن الله سبحانه وتعالى ، وحفظ الدين هو الأساس والأصل ، وكل نبي بعثه الله سبحانه وتعالى يبدأ دعوته بذا الأمر ، أي بإصلاح الدين ، وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ، ومن أول الرسل نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ خاتم النبيين كلهم ، فأول ما بدءوا به هو حفظ الدين ، الذي أساسه العقيدة السليمة التي هي معنى لا إله إلا الله ، وتحقيقها قولًا وعملًا واعتقادًا ، فكان كل رسول يقول لقومه : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (1) ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ (2) .

وهذا يدخل فيه كل أوامر الدين ، فأول ما يجب أن يعتني به المسلمون وخصوصًا العلماء والدعاة هو إصلاح العقيدة ، وذلك بإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ، وترك عبادة ما سواه ، وإخلاص المتابعة للرسول ﷺ وترك البدع والمحدثات التي تخالف ما جاء به الرسول ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ (3) فلا بد من حفظ الدين ، وذلك بأن يهتم العلماء وولاة الأمور والدعاة ، وكل مسلم بإصلاح الدين كما قال تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا

---

(1) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

(2) سورة النحل آية : ٣٦ .

(3) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٥٦) .

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ۚ ﴾ (١) ، وإقامة الدين تعني الاجتماع على عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه ، ونبذ التفرق والاختلاف ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ۚ ﴾ (٢) .

فالله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا دينًا واحدًا ، وهو ما بعث به النبي ﷺ ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (٤) ، فحفظ الدين يعني إخلاص العبادة لله ﷻ على بصيرة وعلم وهدى من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وترك كل ما ألصق بالدين من البدع والمحدثات واستحسانات البشر التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فيجب حماية الدين من ذلك كله .

وهذا يعني أن نتعلم هذا الدين ، فلا يكفي أن ينتسب الإنسان إليه ويقول : إنه مسلم ، دون أن يعرف ما هو الدين ؟ وما المطلوب منه فعله وتركه ؟ لأن الدين عمل وحقيقة ومتابعة وإخلاص لله سبحانه وتعالى ، وهذا هو الدين الصحيح ، والله سبحانه وتعالى لم يتركنا لعقولنا ، أو عادات آبائنا وأمهاتنا ، وإنما َبين لنا الدين ، وما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد أكمل الله الدين ، وَبيَنه أتم بيان ، قال تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (٥) .

فأول ما يعنيه حفظ الدين أن نتعلم ما هو الدين الصحيح ؟ وما هي الأديان الباطلة المخالفة له ؟ وما هي نواقض الإسلام ؟ حتى نكون على بصيرة ، وكذلك حماية الدين

---

(١) سورة الشورى آية : ١٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٨٥ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٥) سورة المائدة آية : ٣ .

تعني نفي كل الشبهات والشكوك التي تروج ضده من قبل أعداء هذا الدين من الكفار والمنافقين ، وعلى رأسهم اليهود والنصارى ، الذين ما زالوا يكيدون لهذا الدين ، لا سيما وأن الشر يتزايد كلما تأخرت الأزمان ، وخفيت آثار الرسالة ؛ ولذلك فإن شر اليهود والنصارى مُوجّه إلى هذا الدين الذي جاء به النبي ﷺ .

فلا بد لنا من حفظ ديننا ، وذلك بمجابة أهل الأفكار المنحرفة ، وخاصة الذين يظهرون هذه الأفكار من المسلمين ، أو من نسميهم بالمسلمين ، وقد وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم قوم من بني جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، وهم يدعون إلى إخراج الناس من الدين الإسلامي ، ويروجون البدع والخرافات .

فحماية هذا الدين تعني أن نقف في وجه هؤلاء الأعداء الذين هم من الداخل ومن الخارج ، وإن كان أعداء الداخل أشد خطرًا ؛ لأنهم يتلبسون بالدين ، ويتسمّوْن به ، ويتكلمون بألسنتنا ، ويعيشون بيننا ، ويكيدون لنا ، فيجب أن نُرْجِع كل الأمور إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، والقرون المفضلة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ (1) ، وكما قال النبي ﷺ : ﴿ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ (2) .

كذلك حفظ الدين يعني الدعوة إليه ؛ لأنه الدين الحق ، ودين النجاة ، فإذا تركنا العالم يموج في كفره وإلحاده ولم ندعهم إلى الإسلام فإننا نكون أهملنا الواجب نحو هذا الدين ؛ لأن الدين لا ينتشر إلا بأمرين ، وهما : الدعوة إليه ، والجهاد في سبيله ، كما فعل سلف هذه الأمة الذين قادوا الجيوش الإسلامية ، وفتحوا المشارق والمغارب ، ودخل

---

(1) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(2) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

الناس في دين الله أفواجًا راغبين مختارين ، وانتشر هذا الدين بسبب دعوتم وجهادهم ؛ لذلك يجب علينا أن نواصل خطتهم حسب استطاعتنا بالدعوة إلى الدين أولًا ، وإقامة الحجة ، ثم الجهاد لمن عاند وأبى إلا الكفر ، ولهذا كان النبي ﷺ يوصي قواده بالدعوة إلى الإسلام أولًا ثم القتال بعد الدعوة ، وهذا واجب المسلمين في كل زمان ومكان .

فالاتباع للمهاجرين والأنصار ليس فقط في أداء العبادة ، وترك المحرمات ، ولكن يكون أيضًا بالدعوة إلى هذا الدين ، والجهاد في سبيل الله ﷻ بالنشر لهذا الدين ، وردّ عدوان المعتدين ، فكل هذا من حفظ الدين .

وإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله يقول : " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها " ، يعني عند ظهور الفساد والاختلاف ، وظهور الفرق والجماعات والأحزاب ، وذلك يكون بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونبذ البدع والخرافات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجهاد في سبيل الله ، فهذا الذي يصلح أول الأمة وآخرها .

قتـــل المرتـــــد :

كذلك من حفظ هذا الدين إقامة الحدّ على المرتدين ، قال ﷺ : ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [(1)] ؛ لأن المرتد عرف الحق وتركه بعد معرفة ، فيجب قتله لأنه استهزأ بالله ورسوله ، ويكون سببًا لفتنة غيره من ضعاف الإيمان ؛ لأنم قد يقتدون به ، فإذا أقيم حدّ الله ارتدع من يريد التلاعب بذا الدين ، كما قالت اليهود من قبل : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [(2)] ، أي : لعلهم يرجعون عن دينهم ؛ لأنم إذا رأوا اليهود قد أسلم

(1) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) .
(2) سورة آل عمران آية : ٧٢ .

منهم من أسلم ثم ارتدوا قالوا : أهل اليهود أهل العلم والمعرفة ، فلو عرفوا أن في هذا الدين خيرًا لما ارتدوا عنه وتركوه ، فالله جل وعلا أخبر بمكيدته ، وكشف نواياهم ، فلذلك يجب قتل المرتد ؛ لأنه متلاعب بدين الله ، ولأنه يضر بغيره من ضعاف الإيمان ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [1] ، وقال ﷺ : ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾ [2] .

وهذا من حماية الدين من عبث العابثين ؛ لأن هذا المرتد عرف الدين ، وعرف أنه حق ، فإذا تركه أصبح عضوًا فاسدًا وزائغًا يجب قتله إلا أن يتوب إلى الله ﷻ فإذا كان ممن يقبل توبته فإنه يدرأ عنه الحد بالتوبة .

القصـــاص لحفظ النفـــس :

كذلك بعد حفظ الدين حفظ النفس ، فإن الإنسان إذا دخل في دين الله فإنه يصبح في مأمن ، قال ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ﴾ [3] .

فإذا دخل الإنسان في دين الله ونطق بالشهادتين فإنه يعصم دمه وماله حتى يتبين منه ما يناقض ذلك من أنواع الردة ، فيقام عليه حد المرتد ، فدم المسلم حرام ، رتب الله عليه وعيدًا في الآخرة لمن استباحه ، ووعيدًا في الدنيا ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

---

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) .

(٢) البخاري الديات (٦٤٨٤) ، مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦) ، الترمذي الديات (١٤٠٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠١٦) ، أبو داود الحدود (٤٣٥٢) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤) ، أحمد (٣٨٢/١) ، الدارمي الحدود (٢٢٩٨) .

(٣) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

﴿ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (1) ، وذلك لحرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى وعظيم م لته ؛ لأنه دخل في دين الله ، وأصبح من عباد الله ، فمن تعدّى عليه فقد توعده الله بذا الوعيد ، وقد كتب الله على اليهود في التوراة : ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (2) ، وذلك لعظمة حرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى .

وأنتم تعلمون قصة ابني آدم ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (3) ، وقال النبي ﷺ : « ما قُتِلت نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل من دمها ، فإنه أول من سن القتل » (4) ، وذلك يدُل على عظمة حرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى .

أما حكم القاتل في الدنيا فإن الله سبحانه وتعالى أمر بالقصاص منه ، وذلك بأن يقتل القاتل حفظًا للدماء ، وصيانة للأنفس ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ﴾ (5) ، وكُتِبَ معناه فُرض ، فقتل القاتل فرض إلا إذا عفا ولي الدم عن القصاص ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ

(1) سورة النساء آية : 93 .
(2) سورة المائدة آية : 32 .
(3) سورة المائدة الآيات : 27 - 30 .
(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3158) ، مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (1677) ، الترمذي العلم (2673) ، النسائي تحريم الدم (3985) ، ابن ماجه الديات (2616) ، أحمد (1/433) .
(5) سورة البقرة آية : 178 .

بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ [1] إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ [2] .

وهذا بيان للحكمة الإلهية في تشريع القصاص ؛ لأنه بالقصاص تحصل حياة المجتمع ، فإذا قُتل القاتل فإن الناس يأمنون على دمائهم وأنفسهم ، أما إذا لم يقتل القاتل فإن هذا يصبح خطرًا على المجتمع ، وقد جعل الله القصاص حياة ؛ لأنه يسبب الحياة وإن كان موتًا للمقتَص منه ، لكنه حياة للبقية ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [3] ، وكانوا في الجاهلية يقولون : " القتل أنفى للقتل " يعني قتل الجاني أنفى لقتل الآخرين ، بمعنى أنه يمنع قتل الآخرين .

ولكن الله ﷻ جاء بعبارة يعجز عنها البشر ، ففي القصاص حماية للنفوس البريئة من الاعتداء عليها ، وفيه منع أذى العابثين والمجرمين من سفك الدماء ، وهذا واقع مشاهَد في البلاد التي يُقتَص فيها من القاتل ، والمشاهَد فيها استتباب الأمن وقلة القتل ، أما البلاد التي لا ينفذ فيها القصاص ويكتفى فيها بالسجن أو الغرامة ، فالدماء فيها مراقة ، والأمن فيها مختل ، والعيش فيها نكد ؛ لأنهم عطلوا هذا الحد العظيم ، وإن كانوا ينتسبون إلى الإسلام ، لهذا أصبح مجتمعهم مضطربًا قلقًا ؛ لأنه لا يعوض عن القصاص شيء من العقوبات مهما كانت القسوة فيها ؛ ولهذا قال جل وعلا : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [4] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٩ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٩ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٧٩ .

ثانيا : حفظ العقل

إن الله سبحانه وتعالى أعطى للإنسان نعمًا عظيمة ، ومن هذه النعم نعمة العقل ، وإذا أردت أن تعرف قيمة هذه النعمة فانظر الفرق بين العاقل والمجنون ، وبين السكران والصاحي ، وإذا تأملت في هذا عرفت نعمة الله سبحانه وتعالى وعجيب قدرته وحكيم صنعته في هذا العقل العظيم ، الذي جعله الله في هذا الإنسان ، ولذلك أمر الله بصيانته مما يخل به ، فحرم على الإنسان أن يتناول ما يخل بعقله أو يخبله من المسكرات والمخدرات ، وأنواع المؤثرات على العقل ؛ لأن ذلك يسلب الإنسان أكبر ميزة مَيَّزَهُ الله بها عن الحيوانات ، وعن أسوأ المخلوقات .

فإذا جنى الإنسان على عقله بتناول ما يفسده أو يغطيه من المسكرات فإن ذلك يصبح خطرًا على نفسه وعلى مجتمعه ؛ لأن الإنسان في هذه الحالة قد يزني بأمه أو أخته أو بنته وهو لا يدري ، فهو إذا سكر صار كالحيوان لا يفرق بين الحلال والحرام ، وقد يقتل الأنفس البريئة ، يقتل نفسه أو ولده أو زوجته أو والديه ؛ لأنه ليس له عقل يحجزه عن ذلك ؛ فلذلك حرم الله سبحانه وتعالى تعاطي المسكرات ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝ ﴾ (1) .

والنبي ﷺ أخبر أن ﴿ كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ﴾ (2) ، وقال ﷺ : ﴿ ما أسكر كثيره فقليله حرام ﴾ (3) ، فالمسكر حرام بالكتاب والسنة وبإجماع المسلمين ، ومن أي مادة كان هذا المسكر ، سواء كان من العنب أو التمر ، أو من الشعير ، أو من

---

(1) سورة المائدة الآيتان : ٩٠ - ٩١ .

(2) مسلم الأشربة (٢٠٠٣) ، الترمذي الأشربة (١٨٦١) ، أبو داود الأشربة (٣٦٧٩) ، ابن ماجه الأشربة (٣٣٩٠) ، أحمد (٢/٢٩) ، الدارمي الأشربة (٢٠٩٠) .

(3) الترمذي الأشربة (١٨٦٥) ، أبو داود الأشربة (٣٦٨١) ، ابن ماجه الأشربة (٣٣٩٣) ، أحمد (٣/٣٤٣) .

أي مادة ، لقول النبي ﷺ : ﴿ كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ﴾ [1] ، ولم يخالف في هذا أحد ، إنما اختلفوا في تسميته خمرًا حقيقة أو مجازًا إذا كان في غير العنب .

فالحاصل أن الله سبحانه وتعالى حرم الخمر لمفاسدها العظيمة ، وكذلك كل ما كان بمعنى الخمر أو أشد من الخمر مما يفسد العقول والأخلاق مثل المخدرات ، فالمخدرات أشد من الخمر ؛ لأن الخمر يسكر ، ويحصل منه مفاسد ، لكنها موقوتة بوقت السكر .

أما المخدرات - والعياذ بالله - فإنا تفسد الجسم والصحة والعقل ، ويصبح الإنسان مثل البهيمة ، بل أحطّ منها ، ولا يزول عنه ضرر المخدرات أبدًا ، بل يفضي به إلى الموت ، ويفسد عليه جسمه وصحته وعقله ، ويصبح الإنسان لا يأنف من الفواحش ، بل إن منظمات الصحة العالمية قد عجزت عن معالجة ضرر المخدرات ؛ لأنه مرض مستعصٍ ، والله سبحانه وتعالى لا يحرم شيئًا إلا لخبثه وآثاره القبيحة .

فالله جل وعلا حرم كل ما يخل بعقل الإنسان ، ويحوله من الإنسانية إلى البهيمية ، وإذا كان هذا التحويل مثل تحويل المخدرات فخطره أشد ، وضرره أشد ، وحكمه في الإسلام أن الله سبحانه وتعالى شرع حد الخمر من أجل ردع الذين يتلاعبون بعقولهم ، فشرع النبي ﷺ حد الخمر أربعين جلدة من أجل ردع الشارب ، ثم لما جاء عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه واتسعت رقعة العالم الإسلامي ، ودخل في الإسلام الكثير من أهل الأرض ، وفيهم ما فيهم من ضعاف الإيمان ، فكثر شرب الخمر ؛ فاستشار الخليفة رضي الله عنه صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، فأشاروا عليه بأن يرفع حد الخمر إلى ثمانين جلدة من أجل ردع الناس عن تعاطي الخمر ؛ لأن النبي ﷺ لم يحدد حدا بيِّنًا في الجلد ، إنما جلد نحوًا من أربعين ، ورفع عمر رضي الله عنه بعد مشاورة الصحابة حد شارب الخمر إلى ثمانين جلدة ردعًا لهؤلاء الذين يقعون في هذه الجريمة ، من أجل حفظ عقولهم ، وحفظ المجتمع من شرهم .

---

(١) مسلم الأشربة (٢٠٠٣) ، الترمذي الأشربة (١٨٦١) ، أبو داود الأشربة (٣٦٧٩) ، ابن ماجه الأشربة (٣٣٩٠) ، أحمد (٢/٢٩) ، الدارمي الأشربة (٢٠٩٠) .

ولما كان ضرر المتعاطين للمخدرات والمروجين لها أشد من ضرر الخمر فإن أهل العلم قرروا أن يقتل الذي يروج المخدرات ؛ لأنه من المفسدين في الأرض ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (١) فجعل الفساد في الأرض مما يبرر قتل المفسد ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) ، فالذي يروج المخدرات من أعظم المفسدين في الأرض ، ولذلك قرر أهل العلم قتله حماية للعقول ؛ لأن لها مكانة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى ، وفائدتا للمجتمع أفرادًا وجماعات لا يجهلها أحد .

ثالثا : حفظ العرض

يجب على المسلم أن يحفظ عرضه من الوقوع في الزنا أو اللواط ؛ لأن هذا إفساد للعرض والأنساب ، ومرض اجتماعي إذا تفشى في مجتمع فسد ، فالله سبحانه وتعالى وضع حدا رادعًا من الزنا ، وذلك برجم الزناة المحصنين ، وجلد غيرهم ، والمحصن هو الثيب ، وهو من وطئ امرأته سواء كانت مسلمة أو كتابية في نكاح صحيح ، وهما بالغان عاقلان حران ، والبكر من ليس كذلك ، ولكل منهما حد خاص .

فالثيب إذا زنى يرجم بالحجارة بالسنة المتواترة التي فعلها وأمر بها النبي ﷺ فقد رجم ﷺ وأمر بالرجم في أحاديث متواترة عنه ﷺ وذلك في كتاب الله في الآية التي نسخ لفظها وبقي حكمها ، وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب : (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم) ، وما زال المسلمون المتمسكون بالإسلام يقيمون هذا الحد ، فيرجمون الثيب حتى الموت ، أما البكر فإنه يجلد مائة جلدة ، قال

(١) سورة المائدة آية : ٣٢ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣٣ .

تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [(١)] .

هذه أنواع من العقوبات على الزانية والزاني بأن يجلدا إذا كانا بكرين مائة جلدة ، وأن يكون هذا بمحضر من المسلمين من أجل أن يشتهر هذا الحد ، فيرتدع كل من تسولُ له نفسه فعل هذه الفاحشة ، وكذلك من أجل النكاية بهذا الجرم ، ونهى الله أن تأخذنا بهم رأفة ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [(٢)] ، ولهذا جاء الوعيد الشديد لمن يَحُول دون إقامة هذا الحد من الشفعاء والوسطاء ، ويقول ﷺ : « لعن الله من آوى محدثًا » [(٣)] ، وهو الذي يحول بين الجرم وبين إقامة الحد عليه ، فهو ملعون من الله ورسوله ﷺ لهذا يقول : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)] .

أما اللوطي فحكمه على القول الصحيح أن يقتل على كل حال ، سواء كان بكرًا أو ثيبًا ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كما ذكر الإمام ابن القيم أجمعوا على قتل اللوطية ، واختلفوا في الكيفية التي يقتلون بها ، فمنهم من رأى أنه يقتل بالسيف ، ومنهم من رأى أنه يرجم بالحجارة حتى يموت ، ومنهم من رأى أن يلقى من شاهق حتى يموت ، أي : من مكان مرتفع ، ومنهم من رأى أن يحرق بالنار كما أمر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد بتحريق اللوطيين في النار ، فهم جميعًا قد أجمعوا على قتله ، لكن اختلفوا في الوسيلة فقط ، وهذا اختلاف لا يؤثر ما دام أنهم أجمعوا على قتله ؛ وذلك لأن اللواط مفسد للأخلاق والأعراض ، ناشر للأمراض .

---

(١) سورة النور آية : ٢ .

(٢) سورة النور آية : ٢ .

(٣) مسلم الأضاحي (١٩٧٨) ، النسائي الضحايا (٤٤٢٢) ، أحمد (١/١١٨) .

(٤) سورة النور آية : ٢ .

وتعلمون ما قصه الله سبحانه وتعالى عن قوم لوط ، وما أوقعه بم من العقوبة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى ، فقد رفع الله قراهم على جناح جبريل إلى أن سمعت الملائكة نباح كلابم ، وصياح ديكتهم ، ثم قلبها عليهم ، وأتبعهم بحجارة من سجيل منضود ، قال تعالى : ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝ ﴾ [(١)] .

هذا في حفظ الأعراض من الفاحشة ، وكذلك يجب حفظ الأعراض من التلطيخ والاتام ، ولأجل ذلك شرع الله سبحانه حد القذف ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [(٢)] ، هذا في الدنيا ، وهو الجلد ثمانين جلدة ، وذلك إذا رمى امرأة أو رجلًا بالزنا ، ولم يثبت عليه بأربعة شهداء يشهدون الشهادة التي بينها الشرع ، فإذا شهد الشهداء حكم بالحد على المقذوف ، وإلا فإن القاذف يجلد ثمانين جلدة ، ويحكم عليه بالفسق ، ولا تقبل شهادته ؛ وذلك من أجل تطهير الأعراض من الكلام البذيء والتلطيخ .

أما في الآخرة فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ [(٣)] ، فلا يجوز الكلام في أعراض الأبرياء بأن يقال : فلان زنا ، أو فلانة زنت ، أو يقول له : يا زان أو

---

(١) سورة هود الآيتان : ٨٢ - ٨٣ .

(٢) سورة النور الآيتان : ٤ - ٥ .

(٣) سورة النور الآيات : ٢٣ - ٢٦ .

يا زانية أو ابن الزاني أو الزانية وما أشبه ذلك ، وإذا تكلم فعليه أن يقيم البينة أو يجلد كما قال الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [(٢)] .

كل هذا صيانة لأعراض المسلمين من أن تنتهك ، أو تلطخ ، أو أن يقال فيها ما يقال ، ومن أجل الابتعاد عن التلفظ بذا الكلام القبيح .

رابعا : صيانـــة الأمـــوال

أما الأموال فتعلمون ما شرع الله سبحانه وتعالى فيها من قطع يد السارق ، قال سبحانه وتعالى في كتابه : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٣)] ، فالسارق إذا أخذ ما يساوي ثلاثة دراهم أو أربعة على وجه الخفية من الحرز فإنه تقطع يده اليمنى من مفصل الكف جزاءً بما كسب ، ونكالًا من الله سبحانه وتعالى له ، وحماية لأموال المسلمين من الاعتداء عليها ، فهذه اليد الخائنة أمر الله تعالى ببترها ، وإذا قطعت يد السارق فستبقى أيدٍ كثيرة تترك السرقة ، فتبقى أنفس كثيرة تسلم من القتل ، فإقامة الحدود ضمان للمجتمع ، وحفظ للأمن .

ولما اعترض بعض الملاحدة ، وهو المعري الخبيث بقوله :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

يقول : اليد فيها نصف الدية إذا جني عليها ، فلماذا تقطع بربع دينار ؟ فرد عليه بعض المسلمين بقوله :

---

(١) سورة النور آية : ١٩ .

(٢) سورة النور آية : ١٣ .

(٣) سورة المائدة آية : ٣٨ .

عــز الأمانــة أغلاهــا وأرخــصها ذل الخيانــة فــافهم حكمــة البــاري

فاليد لما خانت هانت عند الله ، ولهذا يقول بعضهم : لما كانت أمينة كانت ثمينة ، فلما خانت هانت ، فهذه حكمة من الله سبحانه وتعالى ؛ ولذلك إذا قطعت يد السارق في بلدة واحدة أمنت البلدة كلها بإذن الله ، وأمن الناس على أموالهم ، ولكن لو ترك السارق ، وأخذت الرحمة الكاذبة بعض الناس نحوه ، فإن البلد كله سيضطرب ، ويخاف الناس على أموالهم وبيوتم ، ولذلك أمر الله ﷻ بقطع يد السارق .

هذا في السرقة الصغرى أما السرقة الكبرى ، وهي ما تسمى بالحرابة أي قطع الطريق ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] ، هذا من أجل حفظ الأموال ، وتأمين الطرق .

خامسا : حفظ الأمن

والله سبحانه وتعالى أمر بقتال البغاة الذين يعرضون أمن البلاد للخطر ، ويشغبون على أولي الأمر ، ويريدون الاستيلاء على السلطة ، وإفساد شأن المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [2] .

فالذين يعتدون على الأمن ، ويريدون أن يفرقوا كلمة المسلمين ، هؤلاء يقاتلون ، ويجب أن ينضم المسلمون إلى ولي الأمر لمقاتلة هذه الفئة الباغية حتى يريحوا المسلمين من شرها ، وذلك لحفظ الأمن ، ولجمع كلمة المسلمين ؛ لأن المسلمين إذا كان لهم ولاية

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٣ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٩ .

مسلمة ويعيشون تحت سلطان مسلم فإن الله سبحانه وتعالى يجعل في ذلك الخير الكثير من استتباب الأمن ، وإقامة الحدود ، وحفظ الأموال ، وردع الظلمة ، وإنصاف المظلومين ، أما إذا اختل الأمن وتفرقت كلمة المسلمين فإن نعمة الأمن ستزول من البلاد ، ويصبح الناس في فوضى معرضين للسلب والنهب والفساد الذي لا يعلمه إلا الله .

فولاية الأمر المسلمة فيها مصالح عظيمة ، حتى لو كان عندها شيء من التقصير لم يصل إلى الكفر ، فإن فيها مصالح عظيمة للمسلمين ، ولا يجوز منازعتها ؛ ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (1) ، ويقول ﷺ : ﴿ اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي ﴾ (2) ، وقال : ﴿ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ﴾ (3) .

والحاصل أن مِنْ حفظ الأمن طاعة ولي الأمر ، إلا إذا أمر بمعصية ، فإنه لا يجوز طاعته في المعصية ، لكن يطاع فيما عدا ذلك ، كما قال ﷺ : ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾ (4) ، ولكن ليس معنى هذا أننا ننقض الأمر ، ونخرج على ولاة الأمور إذا أمروا ببعض المعاصي إلا إذا أمروا بالكفر ، قال ﷺ : ﴿ إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم عليه من الله برهان ﴾ (5) ، وحينئذ لا تجوز طاعة ولي الأمر ، أما ما عدا ذلك فإن المصلحة في طاعته أكثر من المفسدة في معصيته ، والخروج على الولاة بسبب المعاصي التي هي دون الكفر مذهب الخوارج والمعتزلة المخالفين لأهل السنة والجماعة ولنصوص

---

(1) سورة النساء آية : 59 .

(2) البخاري الأحكام (6723) ، ابن ماجه الجهاد (2860) ، أحمد (3/114) .

(3) البخاري الأحكام (6723) ، ابن ماجه الجهاد (2860) ، أحمد (3/114) .

(4) البخاري المغازي (4085) ، مسلم الإمارة (1840) ، النسائي البيعة (4205) ، أبو داود الجهاد (2625) ، أحمد (1/131) .

(5) البخاري الفتن (6647) .

الكتاب والسنة والإجماع ، وقال ﷺ : ﴿ من يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن عصى الأمير فقد عصاني ﴾ [(١)] .

وكل هذه الأمور التي أجملتها لكم ، وإن كانت تحتاج إلى تفاصيل أوسع ، كلها من حفظ الدين ، وحفظ النفس والأخلاق ، وحفظ الأمن ، وهي مسؤولية الجميع ، كل مسلم بحسب استطاعته ومقدرته ، قال ﷺ : ﴿ الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [(٢)] ، وقال ﷺ : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثًا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(٣)] ، والمناصحة لولي الأمر معناها بذل النصيحة له بالطريقة المناسبة التي تؤدي ثمرتا ، وكذلك من نصيحة ولي الأمر القيام بالمهمات التي يكلف بها بعض رعيته على الوجه المطلوب .

فالموظفون كلهم يجب عليهم مناصحة ولي الأمر بأن يقوموا بأعمالهم على الوجه المطلوب ، وأن يحافظوا أتم المحافظة على ما تحت أيديهم ؛ لأن هذا من مناصحة ولي الأمر ، وكذلك من مناصحة المجتمع مناصحة المسلمين ، أي : دعوتم إلى الله ، وترغيبهم في الخير ، وتحذيرهم من الشر ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وتعليم جاهلهم ، وتذكير مخالفهم ، كل ذلك مسؤولية الجميع ، كل بحسب استطاعته ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [(٤)] ، ويقول الرسول ﷺ : ﴿ مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا

---

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٧٩٧) ، مسلم الإمارة (١٨٣٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٥٩) ، أحمد (٣٨٧/٢) .

(٢) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (١٠٣/٤) .

(٣) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٤) سورة المائدة آية : ٢ .

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [1] ، وقوله ﷺ : ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ﴾ [2] ، ويقول ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [3] .

إذن فمسؤولية الجميع حفظ الدين والأمن وحفظ الأخلاق ، وهذا مسؤولية كل مسلم حسب استطاعته ، وحسب ما أنيط به ، وإذا قام كل واحد منا بواجبه فإن المجتمع يصبح مجتمعًا إسلاميا متكاملًا ، وإذا أخل أحد منا بشيء حدث في المجتمع خلل بنسبة ما حصل من التقصير .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٤/٢٧٠) .

(٢) البخاري الصلاة (٤٦٧) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) .

(٣) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

المحاضرة الثالثة والعشرون
من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، هدانا للإسلام ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (١) ، ونسأله سبحانه أن يثبتنا عليه إلى الوفاة كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٢) ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ (٣) ، وصلى الله وسلم على نبينا وقدوتنا وحبيبنا محمد رسول الله الذي بعثه رحمة للعالمين ، ورضي الله عن أصحابه البررة الأطهار المهاجرين منهم والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار ، وبعد :

فهذه كلمات مختصرة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، دعا إلى كتابتها ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من تفرق واختلاف يتمثلان في كثرة الفرق المعاصرة والجماعات المختلفة ، كل يدعو إلى نحلته ويزكي جماعته ، حتى أصبح المسلم الجاهل في حيرة من أمره : من يتبع ؟ ومن يقتدي ؟ وأصبح الكافر الذي يريد أن يسلم لا يدري ما هو الإسلام الصحيح الذي قرأ وسمع عنه ، الإسلام الذي هدى إليه القرآن وسنة النبي ﷺ الإسلام الذي مثلته حياة الصحابة الكرام وانتهجته القرون المفضلة ، وإنما يرى للإسلام اسمًا في الغالب بدون مسمى كما قال أحد المستشرقين : الإسلام محجوب بأهله يعني المنتسبين إليه بدون اتصاف بحقيقته ، لا نقول : إن الإسلام مفقود بالكلية ، لأن الله سبحانه ضمن بقاءه ببقاء كتابه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٤٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٨ .

لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [(١)] ، وببقاء جماعة من المسلمين تقوم على تطبيقه وحفظه والدفاع عنه كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٣)] .

نعم هي الجماعة التي قال عنها الرسول ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهم على ذلك ﴾ [(٤)] [(٥)] .

ومن هنا يجب علينا التعرف على هذه الجماعة المباركة التي تمثل الإسلام الصحيح - جعلنا الله منها - ليعرفها من يريد التعرف على الإسلام الصحيح وعلى أهله الحقيقيين ليقتدي بهم ويسير في ركابهم ، ولينضم إليها من يريد الدخول في الإسلام من الكفار .

المراد بالفرقة الناجية أهل السنة والجماعة

كان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ أمة واحدة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [(٦)] ، وكم حاول اليهود والمنافقون تفريق المسلمين على عهد رسول الله ﷺ فلم يستطيعوا ، قال المنافقون : ﴿ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .
(٢) سورة المائدة آية : ٥٤ .
(٣) سورة محمد آية : ٣٨ .
(٤) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .
(٥) (أخرجه البخاري ، (٧٤٦٠/٤ ، ٣٦٤١) ، ومسلم (٥/ جزء ١٣/ ص٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧/ نووي)) .
(٦) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .

عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [1] ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [2] .

حاول اليهود تفريق المسلمين وارتدادهم عن دينهم : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3] ، لكن الخطة لم تنجح لأن الله كشفها وفضحها ، حاولوا مرة ثانية فأخذوا يذكرون الأنصار ما جرى بينهم من عداوة وحروب قبل الإسلام وما تقاولوا به من أشعار الهجاء فيما بينهم فكشف الله خطتهم بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [4] إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [5] .

وجاء النبي ﷺ إلى الأنصار فوعظهم وذكرهم بنعمة الإسلام واجتماعهم به بعد الفرقة فتصافحوا وتعانقوا [6] وفشلت خطة اليهود وبقي المسلمون أمة واحدة ، والله تعالى أمرهم بالاجتماع على الحق وَنَهَاهُم عن الاختلاف والتفرق فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [7] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [8] .

---

(١) سورة المنافقون آية : ٧ .
(٢) سورة المنافقون آية : ٧ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٢ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٠ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٦ .
(٦) (انظر تفسير ابن كثير رحمه الله ، (٣٩٧/١) ، و أسباب الـ ول للواحدي (١٤٩ ، ١٥٠)) .
(٧) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٨) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

وقد شرع لهم سبحانه الاجتماع في أداء العبادات في الصلاة والصيام والحج وطلب العلم ، والنبي ﷺ كان يحث على اجتماع المسلمين وينهاهم عن التفرق والاختلاف وكان ﷺ يخبر خبرًا معناه الحث على الاجتماع والنهي عن التفرق ، فكان يخبر بحدوث تفرق في هذه الأمة كما حصل للأمم قبلها حيث قال ﷺ : ﴿ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ﴾ [(١)] [(٢)]

وقال ﷺ : ﴿ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قلنا : من هي يا رسول الله ﷺ ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [(٣)] [(٤)] .

وقد وقع ما أخبر به ﷺ فتفرقت الأمة في أواخر عصر الصحابة ، ولكن هذا التفرق لم يؤثر كثيرًا في كيان الأمة طيلة عصر القرون المفضلة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ﴾ [(٥)] [(٦)] .

قال الراوي : لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ، وذلك لوفرة العلماء من المحدثين والمفسرين والفقهاء بما فيهم علماء التابعين وأتباع التابعين والأئمة الأربعة وتلاميذهم ، ولقوة دولة الإسلام في تلك القرون ، فكانت الفرقة المخالفة تجد الجزاء الرادع بالحجة والقوة ، وبعد انقضاء عصر القرون المفضلة اختلط المسلمون بغيرهم من

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) (أخرجه أبو داود (٤٦٠٧/٥) ، والترمذي (٢٦٧٦/٥) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والإمام أحمد (١٢٦/٤ ، ١٢٧) ، وابن ماجه (٤٣/١)) .

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٤٠) ، أبو داود السنة (٤٥٩٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩١) ، أحمد (٣٣٢/٢) .

(٤) (رواه الإمام الترمذي (٢٦٤١/٥) ، والحاكم في مستدركه (١٢٨/١ ، ١٢٩) ، والإمام الآجري في الشريعة (ص ١٥ ، ١٦) ، والإمام ابن نصر المروزي في السنة (ص ٢٢ ، ٢٣) ط مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨هـ ، والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ برقم ١٤٥ - ١٤٧) .

(٥) البخاري الشهادات (٢٥٠٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٢) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٩) ، أبو داود السنة (٤٦٥٧) ، أحمد (٤٢٧/٤) .

(٦) (أخرجه البخاري (٣٦٥٠/٣ ، ٣٦٥١) ، ومسلم (٦/ جزء١٦/ ص ٨٦ ، ٨٧/ نووي)) .

أصحاب الديانات المخالفة ، وَعُرِّبت علوم أهل الملل الكافرة ، واتخذ ملوك الإسلام بعض البطانات من أهل الكفر والضلال ، فصار منهم الوزراء والمستشارون ، فاشتد الخلاف وتعددت الفرق والنحل ونجمت المذاهب الباطلة ، ولا يزال ذلك مستمرا إلى وقتنا هذا وإلى ما شاء الله .

ولكن بحمد الله بقيت الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة متمسكة بالإسلام الصحيح تسير عليه وتدعو إليه ، ولا تزال بحمد الله مصداقًا لما أخبر به النبي ﷺ من بقاء هذه الفرقة واستمرارها وصمودها ، وذلك فضل من الله سبحانه من أجل بقاء هذا الدين وإقامة الحجة على المعاندين .

إن هذه الطائفة المباركة تمثل ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم مع الرسول ﷺ في القول والعمل والاعتقاد ، كما قال ﷺ : ﴿ هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [(١)] [(٢)] إنهم بقية صالحة من الذين قال الله فيهم : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٣)] .

أسماء الفرقة الناجية ومعناها

لما كانت هذه الفرقة هي الفرقة السالمة من الضلال تَطلَّبَ الأمر معرفة أسمائها وعلاماتها لِيُقْتَدَى بها ، فلها أسماء عظيمة تميزت بها من بين سائر الفرق ، ومن أهم هذه الأسماء والعلامات : أنها الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وأهل السنة والجماعة ، ومعانيها كما يلي :

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) (رواه الإمام الترمذي (٢٦٤١/٥) ، والحاكم في مستدركه (١٢٨/١ ، ١٢٩) ، والإمام الآجري في الشريعة (ص ١٥ ، ١٦) ، والإمام ابن نصر المروزي في السنة (ص ٢٢ ، ٢٣) ط مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨هـ ، والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ برقم ١٤٥ - ١٤٧) .

(٣) سورة هود آية : ١١٦ .

١ - أنا الفرقة الناجية ، أي : الناجية من النار حيث استثناها النبي ﷺ لما ذكر الفرق وقال : ﴿ كلها في النار إلا واحدة ﴾ [(١)] [(٢)] يعني ليست في النار .

٢ - أنا تتمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار حيث قال فيها النبي ﷺ : ﴿ هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [(٣)] [(٤)] .

٣ - أن أهلها هم أهل السنة والجماعة : فهم يتميزون بميزتين عظيمتين :

الميزة الأولى : تمسكهم بسنة الرسول ﷺ حتى صاروا أهلها بخلاف سائر الفرق فهي تتمسك بآرائها وأهوائها وأقوال قادتا ، فهي لا تُنْسَبُ إلى السنة وإنما تُنسَبُ إلى بِدَعِهَا وضلالاتا كالقدرية والمرجئة ، أو إلى أئمتهم كالجهمية ، أو إلى أفعالهم القبيحة كالرافضة والخوارج .

والميزة الثانية : أنم أهل الجماعة لاجتماعهم على الحق وعدم تفرقهم ، بخلاف الفرق الأخرى لا يجتمعون على حق ، وإنما يتبعون أهواءهم فلا حقّ يجمعهم .

٤ - أنا الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ؛ لأنا نصرت دين الله فنصرها الله كما قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ [(٥)] .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) (رواه الإمام الترمذي (٢٦٤١/٥) ، والحاكم في مستدركه (١٢٨/١ ، ١٢٩) ، والإمام الآجري في الشريعة (ص ١٥ ، ١٦) ، والإمام ابن نصر المروزي في السنة (ص ٢٢ ، ٢٣) ط مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨هـ ، والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ برقم ١٤٥ - ١٤٧) .

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٤) (رواه الإمام الترمذي (٢٦٤١/٥) ، والحاكم في مستدركه (١٢٨/١ ، ١٢٩) ، والإمام الآجري في الشريعة (ص ١٥ ، ١٦) ، والإمام ابن نصر المروزي في السنة (ص ٢٢ ، ٢٣) ط مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨هـ ، والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ برقم ١٤٥ - ١٤٧) .

(٥) سورة محمد آية : ٧ .

ولهذا قال فيها النبي ﷺ : ﴿ لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهم على ذلك ﴾ [(١)] [(٢)] .

أصول أهل السنة والجماعة

إن أهل السنة والجماعة يسيرون على أصول ثابتة وواضحة في الاعتقاد والعمل والسلوك ، وهذه الأصول العظيمة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، وهذه الأصول تتلخص فيما يلي :

الأصل الأول

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره :

١ - فالإيمان بالله هو الإقرار بربوبيته وإلهيته ، يعني الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة واعتقادها والعمل با ، وهي : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، فتوحيد الربوبية معناه توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ، وأنه رب كل شيء ومليكه ، وتوحيد الألوهية معناه إفراده بأفعال العباد التي يتقربون با إليه إذا كان مما شرعه الله ، كالدعاء والخوف والرجاء والمحبة والذبح والنذر والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والصلاة والصوم والحج والإنفاق في سبيل الله ، وكل ما شرعه الله وأمر به لا يشركون مع الله غيره فيه لا ملكًا ولا نبيا ولا وليا ولا غيرهم ، وتوحيد الأسماء والصفات وت يه الله عنه نفسه أو َنزههُ عنه رسول الله من العيوب والنقائص من غير تمثيل ولا تشبيه ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل كما قال تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ

(١) البخاري التوحيد (٧٠٢٢) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) .

(٢) (أخرجه البخاري ، (٧٤٦٠/٤ ، ٣٦٤١) ، ومسلم (٥/ جزء ١٣/ ص٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧/ نووي)) .

﴿ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [2] .

٢ - والإيمان بالملائكة معناه التصديق بوجودهم ، وأنهم خلق من خلق الله ، خلقهم من نور ، خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره في الكون كما قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [3] ، ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ [4] .

٣ - والإيمان بالكتب يعني التصديق با وبما فيها من الهدى والنور ، وأن الله أنزلها على رسله لهداية البشر ، وأعظمها الكتب الثلاثة : التوراة والإنجيل والقرآن ، وأعظم الثلاثة القـرآن الكريـم وهو المعجزة العظمى ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ ﴾ [5] .

ويؤمن أهل السنة والجماعة بأن القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق حروفه ومعانيه ، خلافًا للجهمية والمعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق كله حروفه ومعانيه ، وخلافًا للأشاعرة ومن شابهم القائلين بأن كلام الله هو المعاني ، وأما الحروف فهي مخلوقة ، وكلا القولين باطل ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [6] ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [7] ، فهو كلام الله لا كلام غيره .

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .
(٣) سورة الأنبياء الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .
(٤) سورة فاطر آية : ١ .
(٥) سورة الإسراء آية : ٨٨ .
(٦) سورة التوبة آية : ٦ .
(٧) سورة الفتح آية : ١٥ .

٤ - والإيمان بالرسل يعني التصديق بهم جميعًا ، من سمى الله منهم ومن لم يُسَمّ ، من أولهم إلى آخرهم ، وآخرهم وخاتمهم نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، والإيمان بالرسل إيمان مجمل ، والإيمان بنبينا محمد ﷺ إيمان مفصل ، واعتقاد أنه خاتم الرسل فلا نبي بعده ، ومن لم يعتقد ذلك فهو كافر .

والإيمان بالرسل يعني أيضًا عدم الإفراط والتفريط في حقهم خلافًا لليهود والنصارى الذين غلوا وأفرطوا في بعض الرسل حتى جعلوهم أبناء الله كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [1] ، والصوفية والفلاسفة فرطوا في حق الرسل وتنقصوهم وفضلوا أئمتهم عليهم ، والوثنيون والملاحدة كفروا بجميع الرسل ، واليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، والنصارى كفروا بمحمد ﷺ ومن آمن ببعضهم وكفر ببعضهم فهو كافر بالجميع ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [3] .

٥ - والإيمان باليوم الآخر يعني التصديق بكل (ما يكون بعد الموت) مما أخبر الله به ورسوله من عذاب القبر ونعيمه والبعث من القبور والحشر والحساب ووزن الأعمال وإعطاء الصحف باليمين أو الشمال والصراط والجنة والنار ، والاستعداد لذلك بالأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة والتوبة منها .

وقد كفر باليوم الآخر الدهريون والمشركون ، واليهود والنصارى لم يؤمنوا به الإيمان الصحيح المطلوب ، وإن آمنوا بوقوعه ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ [4] ، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [5] .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٠ .
(٢) سورة النساء الآيتان : ١٥٠ - ١٥١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ١١١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٨٠ .

٦ - والإيمان بالقدر يعني الإيمان بأن الله علم كل شيء ما كان وما يكون ، وقدر ذلك في اللوح المحفوظ ، وأن كل (ما يجري من خير وشر) وكفر وإيمان وطاعة ومعصية فقد شاءه الله وقَدَرَه وخلقه ، وأنه يحب الطاعة ويكره المعصية ، وللعباد قدرة على أفعالهم واختيار وإرادة لما يقع منهم من طاعة أو معصية ، لكن ذلك تابع لإرادة الله ومشيئته خلافًا للجبرية الذين يقولون : إن العبد مجبر على أفعاله ليس له اختيار ، وللقدرية الذين يقولون : إن العبد له إرادة مستقلة ، وأنه يخلق فعل نفسه دون إرادة الله ومشيئته .

وقد رَدّ الله على الطائفتين في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [(١)] ، فأثبت للعبد مشيئة ردا على الجبرية الغلاة ، وجعلها تابعة لمشيئة الله ردا على القدرية النفاة ، والإيمان بالقدر يكسب العبد صبرًا على المصائب ، وابتعادًا عن الذنوب والمعائب ، كما يدفعه إلى العمل ، ويبعد عنه العجز والخوف والكسل .

الأصل الثاني

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فليس الإيمان قولًا وعملًا دون اعتقاد ، لأن هذا إيمان المنافقين ، وليس هو مجرد المعرفة بدون قول وعمل ؛ لأن هذا إيمان الكافرين الجاحدين ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٣)] ، وقال تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٤)] .

(١) سورة الإنسان آية : ٣٠ .
(٢) سورة النمل آية : ١٤ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٣ .
(٤) سورة العنكبوت آية : ٣٨ .

وليس الإيمان اعتقادًا فقط أو قولًا واعتقادًا دون عمل لأن هذا إيمان المرجئة ، والله تعالى كثيرًا ما يسمي الأعمال إيمانًا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾ (1) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ ﴾ (2) ، أي : صلاتكم إلى بيت المقدس ، سمى الصلاة إيمانًا .

الأصل الثالث

ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحدًا من المسلمين إلا إذا ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام ، أما ما كان من الكبائر التي هي دون الشرك ، ولم يدل دليل على كفر مرتكبه - كترك الصلاة تكاسلًا - فإنهم لا يحكمون على مرتكبها - أي الكبائر - بالكفر ، وإنما يحكمون عليه بالفسق ونقص الإيمان ، وإذا لم يتب منها فإنه تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه ، لكنه لا يخلد في النار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (3) .

ومذهب أهل السنة في ذلك وسط بين الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة إن كانت دون الشرك ، وبين المرجئة الذين يقولون : هو مؤمن كامل الإيمان ، ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

الأصل الرابع

ومن أصول أهل السنة والجماعة وجوب طاعة ولاة أمور المسلمين ما لم يأمروا بمعصية ، فإذا أمروا بمعصية فلا تجوز طاعتهم فيها ، وتبقى طاعتهم بالمعروف في غيرها عملًا

(1) سورة الأنفال الآيات : ٢ - ٤ .
(2) سورة البقرة آية : ١٤٣ .
(3) سورة النساء آية : ٤٨ .

بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (١) ، وقول النبي ﷺ : ﴿ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ﴾ (٢) (٣) ويرون الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، والدعاء لهم بالصلاح والاستقامة ومناصحتهم .

الأصل الخامس

ومن أصل أهل السنة تحريم الخروج على ولاة أمور المسلمين إذا ارتكبوا مخالفة دون الكفر ؛ لأمره ﷺ بطاعتهم في غير معصية ما لم يحصل منهم كفر بواح ، بخلاف المعتزلة الذين يوجبون الخروج على الأئمة إذا ارتكبوا شيئًا من الكبائر ولو لم يكن كفرًا ، ويعتبرون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والواقع أن عمل المعتزلة هذا هو أعظم المنكر ، لما يترتب عليه من مخاطر عظيمة من الفوضى وفساد الأمر واختلاف الكلمة وتسلط الأعداء .

الأصل السادس

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله بذلك في قوله تعالى لما ذكر المهاجرين والأنصار وأثنى عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ (٤) .

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) البخاري الأحكام (٦٧٢٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٠) ، أحمد (١١٤/٣) .

(٣) (وهو قطعة من حديث العرباض بن ساريةفي موعظة النبي للصحابة) .

(٤) سورة الحشر آية : ١٠ .

وعملًا بقوله ﷺ : ﴿ لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [1] [2] خلافًا للمبتدعة من الرافضة والخوارج الذين يسبون الصحابة ويجحدون فضائلهم .

ويرى أهل السنة أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، فمن طعن في خلافة واحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله ؛ لمخالفته النص والإجماع على خلافة هؤلاء على هذا الترتيب .

الأصل السابع

ومن أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل بيت رسول الله ﷺ وتوليهم عملًا بوصية رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ أذكركم الله في أهل بيتي ﴾ [3] [4] ومن أهل بيته أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن ، فقد قال الله تعالى بعدما خاطبهن بقوله : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [5] ، ووجه إليهن نصائح ووعدهن بالأجر العظيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [6] .

والأصل في أهل البيت قرابة النبي ﷺ والمراد بم هنا الصالحون منهم خاصة ، أما قرابته غير الصالحين فليس لهم حق كعمه أبي لهب ومن شابه ، قال تعالى : ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [7] . . . السورة ، فمجرد القرابة من الرسول ﷺ والانتساب إليه من

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) ، أحمد (٥٥/٣) .

(٢) (أخرجه البخاري (٣٦٧٣/٣) ، ومسلم (٦/ جزء ١٦/ ص ٩٢ ، ٩٣/ نووي)) .

(٣) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .

(٤) (أخرجه مسلم (٥ / جزء ١٥ / ص١٨٠ / نووي) ، والإمام أحمد (٣٦٦/٤ ، ٣٦٧) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم (١٥٥١) (ص ٦٢٩)) .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٠ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٧) سورة المسد آية : ١ .

غير صلاح في الدين لا يغني صاحبه من الله شيئًا ، قال ﷺ : ﴿ يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا ﴾ (١) (٢) .

وقرابة الرسول الصالحون لهم علينا حق الإكرام والمحبة والاحترام ، ولا يجوز لنا أن نغلو فيهم فنتقرب إليهم بشيء من العبادة أو نعتقد فيهم أنم ينفعون أو يضرون من دون الله ؛ لأن الله سبحانه يقول لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ ﴾ (٣) ، ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ ﴾ (٤) ، فإذا كان الرسول ﷺ كذلك فكيف بغيره ، فما يعتقده بعض الناس بمن ينتسبون لقرابة الرسول اعتقاد باطل .

الأصل الثامـن

ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء ، وهي ما قد يجريه الله على أيدي بعضهم من خوارق العادات إكرامًا لهم كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وقد أنكر وقوع الكرامات المعتزلة والجهمية وهو إنكار لأمر واقع معلوم ، ولكن يجب أن نعلم أن من الناس في وقتنا من ضل في موضوع الكرامات وغالى فيها حتى أدخل فيها ما ليس منها من الشعوذة وأعمال السحرة والشياطين والدجالين ، والفرق واضح بين الكرامة والشعوذة ، فالكرامة ما يجري على أيدي عباد الله الصالحين ، والشعوذة ما يجري

---

(١) البخاري الوصايا (٢٦٠٢) ، مسلم الإيمان (٢٠٦) ، النسائي الوصايا (٣٦٤٦) ، أحمد (٣٥٠/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢) .

(٢) (أخرجه البخاري (٣ / برقم ٤٧٧١) ، (٢٧٥٣/٢) ، ومسلم (١ / جزء٣ / ص ٨٠ ، ٨١ / نووي)) .

(٣) سورة الجن آية : ٢١ .

(٤) سورة الأعراف آية : ١٨٨ .

على يد السحرة والكفرة والملاحدة بقصد إضلال الخلق وابتزاز أموالهم ، والكرامة سببها الطاعة ، والشعوذة سببها الكفر والمعاصي .

الأصل التاسـع

ومن أصول أهل السنة والجماعة في الاستدلال اتباع ما جاء في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا ، واتباع ما كان عليه الصحابة من المهاجرين والأنصار عمومًا ، واتباع الخلفاء الراشدين خصوصًا ، حيث أوصى النبي ﷺ بذلك في قوله ﷺ : ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ﴾ [(١)] [(٢)] .

ولا يقدمون على كلام الله وكلام رسوله كلام أحد من الناس ، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة ، وبعد أخذهم بكتاب الله وسنة رسوله يأخذون بما أجمع عليه علماء الأمة ، وهذا هو الأصل الثالث الذي يعتمدون عليه بعد الأصلين الأولين : الكتاب والسنة ، وما اختلف فيه الناس رَدّوه إلى الكتاب والسنة عملًا بقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [(٣)] .

فهم لا يعتقدون العصمة لأحد غير رسول الله ﷺ ولا يتعصبون لرأي أحد حتى يكون موافقًا للكتاب والسنة ، ويعتقدون أن المجتهد يخطئ ويصيب ، ولا يسمحون بالاجتهاد إلا لمن توفرت فيه شروطه المعروفة عند أهل العلم ، ولا إنكار عندهم في مسائل الاجتهاد السائغ ، فالاختلاف عندهم في المسائل الاجتهادية لا يوجب العداوة والتهاجر بينهم كما يفعله المتعصبة وأهل البدع ، بل يحب بعضهم بعضًا ، ويوالي بعضهم بعضًا ، ويصلي بعضهم خلف بعض ، من اختلافهم في بعض المسائل الفرعية ، بخلاف أهل البدع فإنهم يعادون أو يضللون أو يكفرون من خالفهم .

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) (أخرجه أبو داود (٤٦٠٧/٥) ، والترمذي (٢٦٧٦/٥) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والإمام أحمد (١٢٦/٤ ، ١٢٧) ، وابن ماجه (٤٣/١)) .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .

الخاتمــة

ثم هم مع هذه الأصول التي مر ذكرها يتحلون بصفات عظيمة هي من مكملات العقيدة ، ومن أعظم هذه الصفات :

أولًا : أنم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة عملًا بقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [1] ، وبقوله ﷺ : ﴿ من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [2] [3] .

وقلنا على ما توجبه الشريعة خلافًا للمعتزلة الذين يخرجون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عما توجبه الشريعة ، فيرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على ولاة أمر المسلمين إذا ارتكبوا معصية وإن كانت دون الكفر ، فأهل السنة والجماعة يرون مناصحتهم في ذلك دون الخروج عليهم ؛ وذلك لأجل جمع الكلمة والابتعاد عن الفرقة والاختلاف ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ولعله لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي في إزالته " [4] .

ثانيًا : ومن صفات أهل السنة والجماعة المحافظة على إقامة شعائر الإسلام من إقامة صلاة الجمعة والجماعة ، خلافًا للمبتدعة والمنافقين الذين لا يقيمون الجمعة والجماعة .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/٥٤) .

(٣) (أخرجه مسلم (١/ جزء٢/ ص ٢٢ -٢٥/ نووي) عن أبي سعيد الخدري) .

(٤) (مجموع الفتاوى (٢٨/١٧٩ ، ١٨٠)) .

ثالثًا : ومن صفاتهم قيامهم بالنصيحة لكل مسلم والتعاون على البر والتقوى ، عملًا بقوله ﷺ ﴿ الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [(١)] [(٢)] وبقوله ﷺ ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ﴾ [(٣)] [(٤)] .

رابعًا : ومن صفاتهم ثباتهم في مواقف الامتحان ، وذلك بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمر القضاء .

خامسًا : ومن صفاتهم أنهم يتحلون بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار ، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والظلم والترفع على الناس عملًا بقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [(٥)] ، وبقوله ﷺ : ﴿ أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ﴾ [(٦)] [(٧)] .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (١٠٣/٤) .
(٢) (أخرجه مسلم (١/جزء ٢/ص ٣٦ ، ٣٧/ نووي) ، وأبو داود (٤٩٤٤/٥) ، والنسائي (٤١٩٧/٧ ، ٤١٩٨) ، والإمام أحمد (١٠٢/٤) ، عن تميم الداري) .
(٣) البخاري الصلاة (٤٦٧) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) .
(٤) (أخرجه البخاري (٤/برقم ٦٠٢٦) ، ومسلم (٦/جزء ١٦/ ص ١٣٩/ نووي)) .
(٥) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٦) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٧٥) ، الترمذي الرضاع (١١٦٢) ، أبو داود السنة (٤٦٨٢) ، أحمد (٢٥٠/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٢) .
(٧) (رواه الإمام أحمد (١٣/ برقم ٧٣٩٦/ شاكر) ، والترمذي (١١٦٢/٣) ، وأبو داود (٤٦٨٢/٥) ، واللفظ له ، والهيثمي في موارد الظمآن برقم (١٣١١ - ١٩٢٦)) .

المحاضرة الرابعة والعشرون
وجوب التثبت في الأخبار
واحترام العلماء وبيان مكانتهم في الأمة

معنى التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخاتم أنبيائه ورسله نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبين الطاهرين وعلى التابعين ومن تبعهم واهتدى بديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين . أما بعد :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (١) .

في هذا الآيات الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ؛ لأنم هم الذين يمتثلون أوامر الله سبحانه وتعالى ، ويصغون لندائه : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (٢) .

معنى التقوى :

التقوى معناها في اللغة : " أن تتخذ بينك وبين ما تكره وقاية وحائلًا يحول بينك وبين ما تكره " كما يتخذ الإنسان الثياب يتقي بها البرد والحر ، ويتخذ الدروع ليتقي بها

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

سهام الأعداء ، ويبني الحصون ليتحصن بها من كيد الأعداء كما يلبس على رجليه ما يقيهما من حر الرمضاء ومن الشوك والحفاء ، من فعل ذلك فقد اتقى هذه المحاذير ولكن تقوى الله لا تكون لا باللباس ولا بالحصون ولا بالسلاح ولا بالجنود ، وإنما تكون تقوى الله ﷻ بطاعته وامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه سبحانه .

فتقوى الله معناها : أن تفعل ما أمرك سبحانه وتعالى به رجاء ثوابه ، وأن تترك معصية الله خوفًا من عقابه . **و** ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [(١)] **معناها :** أن الإنسان لا يترك شيئًا مما أمر الله به إلا وفعله ، وأن لا يفعل شيئًا مما نهى الله عنه بأن يتجنب كل ما نهى الله عنه .

تفسير ابن مسعود لـ حق تقاته

ولهذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " اتقوا الله حق تقاته ، أن يُطاعَ فلا يُعْصَى ، وأن يُذْكَر فلا يُنسَى ، وأن يُشْكَرَ فَلاَ يُكْفَرَ " [(٢)] من فعل ذلك فقد اتقى الله حق تقاته .

التقوى بحسب الاستطاعة

ولكنّ أحدًا لن يستطيع أن يقوم بهذا ، لن يستطيع أن يفعل كل ما أمر الله به ولا يترك شيئًا ، وأن يتجنب كل ما نهى الله عنه ، لذلك أشكلت هذه الآية على بعض الصحابة فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [(٣)] .

فكانت هذه الآية مبينة لقوله تعالى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [(٤)] ، فإذا قام الإنسان بما يستطيع فقد اتقى الله حق تقاته ؛ لأن الله سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها وهذا من رحمته سبحانه وتعالى بعباده أنه لا يكلفهم ما لا يطيقون .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٢) إسناده صحيح وهو موقوف عليه ، رواه ابن مردويه ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، والحاكم في المستدرك (٢/٢٩٤) موقوفًا غير مرفوع ، وقال ابن كثير رحمه الله : والأظهر أنه موقوف . انظر زاد المسير لابن الجوزي (١/٤٣١) سورة آل عمران ، وابن كثير (١/٣٩٦) .

(٣) سورة التغابن آية : ١٦ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

فالإنسان إذ بذل وسعه في طاعة الله ﷻ وتجنب ما نهى الله عنه فإن الله يعفو عن ما لا يستطيعه الإنسان ، ولهذا قال الرسول ﷺ : ﴿ إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ﴾ [(1)] [(2)] . فالأوامر يأتي الإنسان منها بما يستطيع ، أما النواهي فالإنسان يتجنبها كلها ؛ لأن الاجتناب سهل على الإنسان .

الحرص على الأسباب المؤدية لحسن الخاتمة

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [(3)] هذا أمر من الله سبحانه وتعالى بأن المؤمن لا يموت إلا وهو مسلم متمسك بدينه .

وهل الإنسان يملك أن يموت مسلمًا أو أن هذا بيد الله سبحانه وتعالى ، هذا بيد الله سبحانه وتعالى ، ولكن معنى قوله : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [(4)] أي اثبتوا على الإيمان وعلى الإسلام ومن ثبت على الإيمان وعلى الإسلام فإنه قد فعل السبب الذي يُسَبِّبُ أن الله جل وعلا يُحْسِن له الخاتمة ؛ لأن من عاش على شيء مات عليه .

فهذا فيه حث للإنسان أن يتمسك بدينه وأن يصبر عليه من أجل أن لا تأتيه منيته وهو على المعاصي فيختم له بخاتمة السوء ، ومن عاش على شيء فإنه يُخْتَمُ له به .

فمن عاش على الطاعة ومحبة الله ورسوله ﷺ فإنه قد فعل السبب الذي يُسَبِّب له حسن الخاتمة .

وأما من ارتكب المعاصي والمخالفات فإنه قد فعل السبب الذي سبب له سوء الخاتمة - ليحذر الإنسان من هذا - .

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٨) ، مسلم الفضائل (١٣٣٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٩) ، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩) ، ابن ماجه المقدمة (٢) ، أحمد (٢/٤٦٧) .

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨/٤) ، ومسلم (٣/ جزء٩/ ص ١٠٠ - ١٠١) .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

الدعوة إلى الاعتصام بشرع الله وكتابه

ثم قال تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [(١)] ، هذا أمر من الله لنا أن نعتصم بحبل الله بمعنى أن نتمسك بشرع الله .

وحبل الله هو القرآن ، ويُرَادُ به أيضًا الإسلام ، ويُرَادُ به العهد فحبل الله يراد به الإسلام والقرآن واتباع الرسول ﷺ .

فإذا تمسك به الإنسان نجا ، كالغريق إذا كان في لُجّة الماء وتمسك بالحبل الذي ينجو به من الغرق فإنه قد فعل السبب ، كذلك نحن في حياتنا وفي معترك الفتن والشرور إذا تمسكنا بحبل الله نجونا ، وقد قال النبي ﷺ : ﴿ فإنه من يَعِشْ منكم فَسَيَرَى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعَضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ﴾ [(٢)] [(٣)] .

وأخبر ﷺ : ﴿ أنه ستكون فتن ، قالوا : وما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ﴾ [(٤)] [(٥)] .

وقال ﷺ : ﴿ إنني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي ﴾ [(٦)] وهذا هو حبل الله .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٣) رواه أبو داود (٤٦٠٧/٥) ، ورواه الترمذي (٢٦٧٦/٥) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والإمام أحمد (١٢٦/٤ ، ١٢٧) ، وابن ماجه (٤٣/١) .

(٤) الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٦) ، أحمد (٩١/١) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣١) .

(٥) رواه الترمذي (٢٩٠٦/٥) ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال ، والإمام أحمد (٧٠٤/٢) بتحقيق أحمد شاكر ، والدارمي (٣٣٣١/٢) بتحقيق خالد العلمي وفؤاد زمرلي .

(٦) رواه الإمام مالك في الموطأ (٨٩٩/٣/٢) ، والحاكم في المستدرك (٩٣/١) ، وقال : صحيح الإسناد ، وذكره الألباني في الصحيحة (١٧٦١/٤) .

وجوب الاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة

وقوله : ﴿ جميعًا ﴾ ، ولاحظوا كلمة جميعًا فإن الله يطلب منا أن نجتمع على كتاب الله وأن يكون لنا هو الهادي والمرشد الذي نسير عليه وأن نترك الأهواء والمخالفات والآراء ونتمسك بحبل الله ﷻ مجتمعين فجماعة المسلمين كلها مرجعها شيء واحد هو كتاب الله عز وجل .

ولهذا يقول ﷺ : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم ثلاثًا : القيل والقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ﴾ (1) (2) .

الأمر بإصلاح العقيدة

هذه الثلاث التي يكرهها الله لنا ، فقوله ﷺ : ﴿ أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ﴾ (3) هذا فيه إصلاح العقيدة من الشركيات والبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، لا يكون هناك منهاج غير الكتاب والسنة ، ولا يكون لنا طرق ولا يكون لنا متبعون غير الكتاب والسنة ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (4) .

نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله نرجع إليهما ونصدر عنهما .

---

(1) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٢/٣٦٧) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .
(2) رواه مسلم (١٠/١٢/٤) ، والإمام أحمد (٨٧٠٣/١٦) بتحقيق أحمد شاكر ، ومالك في الموطأ (٩٩٠/٢٠/٢) .
(3) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٠/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .
(4) سورة النساء آية : ٥٩ .

اتباع الكتاب والسنة طريق للاجتماع

وهذا ضمان من الاختلاف والتفرق أما إذا أحدثنا مناهج وطرقًا وسننًا مخالفة للكتاب والسنة فإننا نلك ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [(١)] .

﴿ وقد خط النبي ﷺ خطًا مستقيمًا وخط عن يمينه وشماله خطوطًا معوجة ، وقال للمستقيم : هذا سبيل الله ، وقال للمعوجة : هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليها ﴾ [(٢)] [(٣)] .

هذا توضيح من النبي ﷺ لهذه الآيات الكريمة وبيان واضح أن من ترك الاعتصام بكتاب الله فإنه يذهب مع الشياطين ومع الطرق المعوجة .

سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٤)] الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [(٥)] .

هذه الآية نزلت في حادثة وقعت بين الأنصار بسبب إفساد اليهود ، كان بين الأنصار قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حروب طاحنة فقد كانت بينهم حرب بعاث التي استمرت أكثر من مائة سنة وهي بين الأوس والخزرج وهم أولاد عم وفي بلد واحد .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٢) البخاري الرقاق (٦٠٥٤) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٤) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٣١) ، أحمد (٤٣٥/١) ، الدارمي المقدمة (٢٠٢) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٤١٤٢/٦) ، والنسائي في الكبرى (١١١٧٤/٦ ، ١١٧٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٤١/١ ، ١٤٢) شاكر .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣١ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

فلما هاجر إليهم الرسول ﷺ وآمنوا بالله ورسوله طفئت هذه الحرب وأصبحوا إخوانا متحابين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بم خصاصة وكانوا يجتمعون ويتحادثون محادثة مودة .

حرص اليهود على إثارة الفتنة بين المسلمين

فلما رأي اليهود ذلك غاظهم فجاء شيطان منهم وجلس بين الأنصار وهم يتحادثون فيما بينهم ، فجعل يذكر لهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية والثارات وجعل ينشد الأشعار التي يقولها بعضهم في بعض ، من أشعار السب والشتم .

فعند ذلك دبت الفتنة بين الأنصار بسبب هذا اليهودي الذي أثار بينهم نعرة الجاهلية وصار في نفوس بعضهم على بعض ثم تثاور الحيان وأمروا بإحضار الأسلحة وتواعدوا في الحرة من الغد ، فلما علم النبي ﷺ بذلك جاء إليهم وجلس بينهم وقال ﷺ : ﴿ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ﴾ ثم أنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [(١)] .

فعند ذلك أذهب الله ما في قلوب الأنصار من الحقد والبغضاء فيما بينهم وقام بعضهم وسلم على بعض وتعانقوا وذهب ما بينهم الذي أثاره هذا اليهودي [(٢)] .

حرص الأعداء على تفريق جماعة المسلمين

فانظروا يا عباد الله ماذا يصنع بنا الأعداء قديمًا وحديثًا يريدون أن يفرقوا جماعتنا ، يريدون أن يشتتوا شملنا ، يريدون أن لا نجتمع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٠٢، ١٠٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله (٣٩٧/١) تفسير آل عمران ، وانظر أسباب الـ ول للإمام الواحدي ص ١٤٩ - ١٥٠ سورة آل عمران .

هذا ما يريده لنا الأعداء .

وهذه الحادثة التي سمعتم شيئًا منها وسمعتم ما أنزل الله فيها من قرآن فيها عبرة لنا في أن الأعداء يغيظهم إذا اجتمعنا على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ .

فالأعداء يحاولون أن يلقوا بيننا العداوة والبغضاء وأن يفرقوا جماعتنا وأن يشتتوا شملنا وأن يعيدوا بيننا النخوة الجاهلية ، فلنحذر من ذلك ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ (1) فالتفرق شر وبلاء وفتنة ولا يحسم ذلك الشر إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

الأمور التي يتحقق بها الاجتماع والقوة والائتلاف للمسلمين

وفي الحديث الذي سمعتم قوله ﷺ : ﴿ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ (2) (3) .

هذا الحديث أمرنا فيه ﷺ بثلاثة أشياء : -

بوحدة العقيدة : في قوله : ﴿ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ﴾ (4) .

وبوحدة المرجع والمصدر الذي نرجع إليه في حل مشاكلنا في قوله : ﴿ وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ (5) .

وبوحدة القيادة في قوله : ﴿ وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ (6) .

---

(1) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(2) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٠/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(3) تقدم تخريجه .

(4) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٢) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٣) ، الترمذي الاستئذان والآداب (٢٧١٧) ، أحمد (٢٦٣/١) .

(5) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٠/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(6) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

وقال ﷺ : ﴿ الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [1] [2] .

مناصحة ولاة الأمور والنصيحة لهم وطاعتهم في المعروف ، كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [3] .

هذا مما يحصل به الاجتماع والائتلاف والقوة للمسلمين .

فهذه الأمور الثلاثة : وحدة العقيدة ، ووحدة المصدر ، ووحدة القيادة إذا تجمعت للمسلمين فإنه قد اجتمع لهم الخير كله . . وهذه الثلاث والحمد لله مجتمعة لنا الآن ، عقيدتنا عقيدة التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

كون هذه البلاد بلاد التوحيد الخالص

عقيدتنا عقيدة التوحيد الخالص فليس عندنا والحمد لله شيء من مظاهر الشرك التي توجد في البلاد الأخرى ، بلادنا بلاد التوحيد وبلاد العقيدة وبلاد الدعوة كما كانت في عهد النبي ﷺ ولا تزال إن شاء الله .

وكذلك عندنا وحدة المصدر وهو كتاب الله وسنة رسولنا ﷺ على الصغيرة والكبيرة نطبق الحدود ، ونقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وننفذ الحدود ، وهذه نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى .

قيادتنا والحمد لله مسلمة قامت على الكتاب والسنة وعلى الدعوة إلى الله ﷻ لا أقول بأننا قد كملنا من كل الوجوه .

---

(١) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (١٠٣/٤) .

(٢) رواه مسلم (٣٧/٢/١) ، وأبو داود (٤٩٤٤/٥) ، والنسائي (٤١٩٧/٧ ، ٤١٩٨ ص ١٥٦) ، والإمام أحمد (١٠٢/٤) ، عن تميم الداري .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .

علاج الخلل والنقص الموجود في مجتمعنا

عندنا نقص وعندنا خلل ولكن هذا يمكن إصلاحه بالتعاون على البر والتقوى والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتناصح والعمل بقوله ﷺ : ﴿ الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [1] [2] .

ومعنى ذلك أن نتمسك بهذه النعمة وأن نشكر عليها وأن نعمل على بقائها وتنميتها وأن نصلح ما يحصل فيها من الخلل بالطرق الصحيحة السليمة ، بطرق العلاج السليمة الصحيحة التي أرشد إليها نبينا ، هذه النعمة نعمة عظيمة فلنحافظ عليها ، وإن لم نتمسك بها وإن لم نحرص عليها فإنا سوف تضيع من بين أيدينا .

أسباب التفرق

والتفرق له أسباب كثيرة من أعظمها :

أولًا : مخالفة منهج السلف من صحابة رسول الله ﷺ وأتباعهم

فالسلف لهم منهج يسيرون عليه ، منهج في الاعتقاد ، ومنهج في الدعوة ، ومنهج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنهج في الحكم بين الناس ، وهذا المنهج كله متوحد على كتاب الله وسنة رسولنا ﷺ .

وكانت هذه البلاد والحمد لله تسير على هذا النهج كما يعرف هذا القاصي والداني لا ينكره إلا مكابر ، كانت هذه البلاد تسير على منهج سليم ، تسير على منهج السلف الصالح في العقيدة ، وفي الدعوة إلى الله ﷻ وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي

(١) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (١٠٢/٤) .
(٢) تقدم تخريجه .

الحكم بين الناس بما أنزل الله ، كل هذا موجود ولا يزال ولله الحمد في هذه البلاد لا ينكر ذلك إلا مكابر .

خطورة المناهج المستوردة المخالفة للكتاب والسنة :

لكن إذا تنكرنا لهذا المنهج الذي كان عليه سلفنا الصالح واستوردنا مناهج من هنا وهناك تفرقنا وصار كل جماعة لها منهج يخالف منهج الجماعة الأخرى وكل جماعة تخطئ الجماعة الأخرى .

لماذا هذا يا عباد الله ؟ ! ألسنا أمة واحدة ؟ ! أليس ديننا الإسلام ؟ أليس منهجنا هو منهج الرسول ﷺ وصحابته ؟ أليس دليلنا ومرجعنا هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟ إذن لماذا نستورد المبادئ والمناهج من هنا وهناك ، والواجب علينا أن نصدر هذا المنهج السليم الذي نحن عليه في بلاد العالم ، كما قال الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

تعدد المناهج سبب للتفرق :

أما إذا تفرقنا فإن هذا يرضي أعداءنا كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (٢) . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٣) .

إن الله لا يرضى لنا هذا ، ورسولنا ﷺ لا يرضى لنا هذا ، وكذلك سلفنا الصالح وأئمتنا لا يرضون لنا هذا .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ٥٣ .

لا يليق بنا إلا أن نكون جماعة واحدة متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ الجماعات الإسلامية في خارج بلادنا ، لا يفسد شبابنا لا يزيل هذه النعمة التي نعيش فيها .

السبب الثاني من أسباب التفرق
الاستماع إلى الأكاذيب ونحوها

ثانيًا : ومن أسباب هذا التفرق وهذا الاختلاف الاستماع إلى الأكاذيب وإلى الوشايات والإرجافات والترويجات التي يروجها بيننا ضعاف الإيمان أو المنافقون أو المغرضون الذين لا يريدون لنا أن نجتمع على عقيدة واحدة وعلى دين واحد .

فالواجب علينا التثبت وعدم التسرع والله سبحانه أمرنا بالتثبت فيما يختص بالعامة من الأمة وجعل أمور السلم والحرب والأمور العامة جعل المرجع فيها إلى ولاة الأمور وإلى العلماء خاصة ، ولا يجوز لأفراد الناس أن يتدخلوا فيها ؛ لأن هذا يشتت الأمر ويفرق الوحدة ويتيح الفرصة لأصحاب الأغراض الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر .

فهناك أمور هي من اختصاص ولاة الأمور ومن اختصاص علماء الأمة أما أفرادنا فإنه لا ينبغي لهم أن يتدخلوا فيها ؛ لأنها ليست من شؤونهم وإذا تدخل فيها كل أحد فسدت .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [1] .

الرجوع فيما يشكل على الناس من أمور الأمن والخوف والحرب والسلم إلى أولي الأمر وأهل الحل والعقد .

---

(١) سورة النساء آية : ٨٣ .

فأمور الأمن وأمور الخوف وأمور الحرب والسلم والمعاهدات هذه من شؤون ولاة أمور المسلمين ، ومن شؤون أهل الحل والعقد هم الذين يدرسونا وهم الذين يتولونا وفيهم الكفاية ولله الحمد ، أما إذا صارت مباحة لكل أحد وتدخل فيها كل أحد فإن هذا مما يفسد الأمر ومما يبلبل الأفكار ومما يشغل الناس بعضهم ببعض ومما يفقد الثقة بين المسلمين وبين الراعي والرعية وبين الأفراد والجماعات وتصبح شغل الناس الشاغل وفي النهاية لا يتوصلون إلى شيء وهذا ما يريده الأعداء .

كذلكم الله جل وعلا أمرنا بالتثبت حينما يبلغنا شيء عن جماعة من الجماعات أو عن قبيلة من القبائل أو عن فئة من المسلمين إذا بلغنا خبر سيئ يقتضي قتال هذه الجماعة ، أمرنا الله جل وعلا أن لا نتسرع في هذا الأمر حتى نتثبت .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (١) .

يعني إن بلغكم خبر عن جماعة أو قوم أو عن قبيلة أو عن فئة من الناس أنا فعلت فعلًا تستحق به أن تقاتل فلا تتعجلوا في الأمر ولا تعلنوا الحرب عليهم ، ولا تداهموهم حتى تتأكدوا من صحة الخبر .

سبب قوله تعالى : ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ﴾ (٢) الآية :

وسبب نزول هذه الآية كما ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله وغيره نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه الرسول ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق الحارث بن

(١) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٢) سورة الحجرات آية : ٦ .

أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها .[1] أنا نزلت في بني المصطلق قبيلة دخلت في الإسلام وأرسل النبي ﷺ إليهم من يجبي الزكاة منهم كغيرهم من المسلمين ولكن جاء الخبر أن هذه القبيلة منعت الزكاة وأبت أن تسلمها لمندوب الرسول ﷺ ولكن الرسول ﷺ لم يتسرع في الأمر ولم يداهم القوم حتى أنزل الله هذه الآية ، ثم جاء رئيس القبيلة إلى رسول الله ﷺ معتذرًا وبين للرسول ﷺ أن مندوبه لم يصل إليهم واستبطئوه ، والله جل وعلا حمى نبيه ﷺ أن يتعجل وأن يتسرع وأن يداهم القوم وهم لا ذنب لهم وإنما الذي أرسل إليهم لم يصل إليهم لسبب من الأسباب الله أعلم به ، فهم لم يمتنعوا من أداء الزكاة وما خالفوا أمر الله ورسوله ، وهذه الآية ليست مقصودة على هذه الحادثة ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخوص السبب فهي قاعدة يسير عليها المسلمون إلى يوم القيامة .

وجوب التثبت :

فالتثبت واجب إذا بلغنا عن قوم أو عن جماعة أنم ارتكبوا ما يستحقون به القتال ، والله أمر ولي الأمر ومن بيده الحل والعقد أن يتثبت من شأن هؤلاء لعل لهم عذرًا ، ولعله لم يصح ما نسب إليهم ، ولهذا قال تعالى ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ﴾[2] الآية .

تعريف الفاسق ومفهومه عند أهل السنة :

والفاسق معناه : هو الخارج عن طاعة الله ؛ لأن الفسق في اللغة هو : الخروج عن طاعة الله .

والفاسق عند أهل السنة والجماعة : هو من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب دون الشرك فهو يسمى فاسقا ساقط العدالة ، لا تقبل شهادته ولا يقبل خبره .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢٢٣/٤ ، ٢٢٤) ، ط دار المعرفة ١٤٠٧هـ ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٤٦٠/٧ ، ٤٦١) ، وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٥٠ -٤٥١ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ، ومجمع الزوائد للهيثمي (١٠٨/٧ ، ١٠٩ ، ١١٠) .

(٢) سورة الحجرات آية : ٦ .

وهو ليس بكافر بل هو مؤمن ولكنه ناقص الإيمان ، لا تقبل شهادته ولا يعتبر عدلًا حتى يتوب إلى الله ﷻ مما ارتكب ثم تعود إليه العدالة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [1] .

حرص علماء الأمة على التثبت في الرواية وقبولها :

ولهذا كان علماء المسلمين وعلماء الرواية لا يقبلون الرواية إلا من توفرت فيه شروط العدالة والضبط والإتقان ، فهم لا يقبلون الرواية من المجروح أو المجهول الحال ، هذا من باب التثبت في أخبار الرسول ﷺ .

هذا شأن هذه الأمة : التثبت في الرواة ، التثبت في المخبرين ؛ لأن المخبر قد يكون فاسقًا لا يهمه الصدق ، أو قد يكون كافرًا يريد الإيقاع بين المسلمين ، أو منافقًا ، أو يكون رجلًا صالحًا ولكن فيه نزعة التسرع وشدة الغيرة فيبادر بالأخبار قبل أن يتثبت ، فالواجب علينا أن نتثبت من الخبر حتى ولو كان الذي جاء به من الصالحين .

هذا في حق ما يبلغنا عن الجماعات من المسلمين والقبائل .

وكذلك بالنسبة في حق الأفراد يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [2] .

---

(١) سورة النور الآيتان : ٤ - ٥ .

(٢) سورة النساء آية : ٩٤ .

سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [1] الآية :

هذه الآية نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة خرجوا للجهاد فالتقوا براعي غنيمة يرعى غَنَمَه فلما رآهم قال لهم : السلام عليكم ، ولكنهم لم يقبلوا منه السلام وقتلوه وأخذوا غُنيمَتَه وظنوا أنه إنما ألقى إليهم السلام من أجل أن يتستر على نفسه ، وأن يسلم على دمه وغنمه وأنه ما ألقى عليهم السلام لأنه مسلم وإنما قال هذا من باب التستر [2] .

فالله جل وعلا عاتبهم على ذلك ، وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [3] يعني للجهاد ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [4] يعني تثبتوا ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنًا ﴾ [5] وما الذي يدريكم أنه ليس مؤمنًا ما دام أنه أظهر الإيمان وأظهر الإسلام وسلم بتحية الإسلام ، فالواجب أن تتثبتوا ولا تتعجلوا عليه بالحكم وتقولون : ﴿ لَسۡتَ مُؤۡمِنًا ﴾ [6] فما الذي أدراكم أنه ليس بمؤمن ، هل شققتم عن قلبه ؟

هذا التسرع لا يقره الله سبحانه وتعالى حتى من أفضل خلقه بعد الأنبياء وهم الصحابة رضوان الله عليهم لما تسرعوا عاتبهم الله .

قاعدة في عدم التسرع في الأمور وأن الحكم في الأمور يكون بالظاهر :

وهذه قاعدة لهذه الأمة إلى أن تقوم الساعة أنهم لا يتسرعون في الأمور والأحكام ولا يحكمون على الإنسان أنه ليس بمسلم إذا أظهر الإسلام ، من الذي يدري ؟ ! الله هو الذي يعلم ، أما نحن فليس لنا إلا الظاهر ، فمن أظهر لنا الخير تقبلناه منه ونكل باطن أمره

(١) سورة النساء آية : ٩٤ .
(٢) أخرجه البخاري (٢١٩/٤٥٩١/٣) ، وأخرجه مسلم ، كتاب التفسير (٦ / جزء١٦١/١٨) نووي .
(٣) سورة النساء آية : ٩٤ .
(٤) سورة النساء آية : ٩٤ .
(٥) سورة النساء آية : ٩٤ .
(٦) سورة النساء آية : ٩٤ .

إلى الله ﷻ ولهذا يقول ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﴾ [1] [2] .

فلا يحكم على من أظهر الإسلام أنه ليس مسلمًا إلا إذا تبين منه ما يدل على عدم صحة إسلامه من قول أو فعل يقتضي الردة عن الإسلام ، وقيل إن هذه الآية نزلت في شأن أسامة بن زيد رضي الله عنه وعن أبيه ، وذلك أن أسامة طلب رجلًا من الكفار ليقتله فلما أدركه قال الكافر : أشهد أن لا إله إلا الله ، ولكن أسامة رضي الله عنه تسرع فقتله بعدما قال لا إله إلا الله .

فلما عَلِمَ النبي ﷺ بذلك أنكر عليه وشدد الإنكار ، وقال له : ﴿ أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله . . . وما زال يكررها ، فقال : يا رسول الله إنما قالها يتستر بها أو يتقي بها السيف فقال له الرسول ﷺ هل شققت عن قلبه ؟ فما زال يكررها ويقول : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ وماذا تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ، فعند ذلك ندم أسامة ندمًا شديدًا ، وقال : تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ﴾ [3] [4] .

وهذا درس عظيم للأمة بأنهم لا يتسرعون في الأمور حتى يتثبتوا وحتى يتبين لهم الحق .

أثر التسرع ونتائجه بالنسبة للدماء والأعراض مثال ذلك قصة الإفك :

أما التسرع دائمًا فإنه يؤدي إلى الندم وإلى ما لا تحمد عقباه هذا بالنسبة للدماء ، وكذلك بالنسبة لأعراض المسلمين لا يجوز لنا أن نتسرع في قبول الشائعات وقبول الأخبار الكاذبة ، ولهذا يقول سبحانه وتعالى في حادث الإفك الذي قَصّه الله سبحانه

(١) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) البخاري الديات (٦٤٧٨) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٢٠٧/٥) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٥٥٢/١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٧١/٢) وأسباب النزول للواحدي (ص ٢٠٥ ، ٢٠٦) ، ط دار القبلة ١٤٠٧هـ .

وتعالى علينا في كتابه لما اتهم المنافقون عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مما برأها الله سبحانه وتعالى منه ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [1] إلى قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] .

الأصل في المسلم العدالة ، والأصل في المسلم النزاهة فلا نتسرع إذا رماه أحد بسوء أو بارتكاب الفاحشة لا نتسرع بقبول ذلك بل نتثبت غاية التثبت .

وقصة الإفك الكذب فيها ظاهر جدًا ؛ لأنه لا يمكن أن تكون زوجة نبي الله بهذا الوصف ؛ لأن الله لا يختار لنبيه إلا الطيبات كما قال تعالى ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [3] .

فالكذب في قصة الإفك ظاهر ولذلك يقول الله : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [4] قيل معناها أن نفوس المؤمنين كالنفس الواحدة فإذا سمعت في أخيك شائعة فاعتبر هذا كأنه فيك أنت ؛ لأن المسلمين أمة واحدة وجسد واحد [5] .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [6] يعني لا يقتل بعضكم بعضًا ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [7] يعني يسلم بعضكم على بعض

---

(١) سورة النور الآيتان : ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة النور الآيتان : ١٦ - ١٧ .

(٣) سورة النور آية : ٢٦ .

(٤) سورة النور آية : ١٢ .

(٥) (للعلامة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله في تفسير محاسن التأويل كلام جميل على معنى هذه الآية ، فانظره (٤٦١/١٢) (سورة النور) .

(٦) سورة النساء آية : ٢٩ .

(٧) سورة النور آية : ٦١ .

فاعتبر المؤمنين كالنفس الواحدة ، وقيل معناه والله أعلم : إذا سمع المؤمن هذه الشائعة فليطبقها على نفسه هل يرضى لنفسه أن يقال فيها هذا ، وهل ترضى هذا لنفسك فكيف ترضاه لغيرك من إخوانك المسلمين .

هذا بالنسبة لأعراض المسلمين ، يجب أن تصان وألا تُصدق فيها الشائعات والأخبار من غير تثبت حتى لو ثبت أن مسلمًا صدرت منه جريمة أو وقع في جريمة فعلًا فإنه يجب الستر عليه وعدم إشاعة ذلك بين الناس ؛ لأن المسلمين كالجسد الواحد فكيف والخبر كله كذب وكله بهتان .

السبب الثالث من أسباب التفرق
تنقص المسلم وسوء الظن

ثالثًا : تنقص المسلم الذي هو دون الإفك لا يجوز :

ولا يجوز سوء الظن بالمسلم ، قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [(١)] .

هذا كله نهي عن تنقص المسلمين وعن استماع من ينتقصهم بالغيبة أو النميمة أو غيرها ، ولهذا حرم الله جل وعلا الغيبة فقال سبحانه ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [(٢)] .

---

(١) سورة الحجرات الآيتان : ١١ - ١٢ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٢ .

تعريف الغيبة :

الغيبة كما بينها النبي ﷺ حيث قال : ﴿ أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته ﴾ (١) (٢) .

تعريف النميمة :

والنميمة هي : نقل الحديث بين الناس على وجه الإفساد بينهم يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾ (٣) .

وأشد ذلك كله الذي يسعى بين طلبة العلم وبين الدعاة من أجل إفساد ما بينهم ومن أجل تشتيت الجماعة المسلمة ومن أجل أن يحقد بعضهم على بعض ، الذي يفعل هذا نمام ، وقد نهى الله عن تصديقه وعن طاعته حتى ولو حلف بقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾ (٤) .

وقال النبي ﷺ : ﴿ لا يدخل الجنة نمام ﴾ (٥) (٦) .

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٧٤) ، أحمد (٤٥٨/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٤) .

(٢) أخرجه مسلم (٦ / ج١٦ / ص ١٤٢ / نووي) ، والإمام أحمد في المسند (١٢ / برقم ٧١٤٦ شاكر) ، والترمذي (١٩٣٤/٤) وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود (٤٨٧٤/٥) .

(٣) سورة القلم الآيتان : ١٠، ١١ .

(٤) سورة القلم الآيتان : ١٠، ١١ .

(٥) البخاري الأدب (٥٧٠٩) ، مسلم الإيمان (١٠٥) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٦) ، أبو داود الأدب (٤٨٧١) ، أحمد (٣٩١/٥) .

(٦) رواه بهذا اللفظ الإمام المسلم (١/ جزء ٢/ ص١١٢/ نووي) والإمام أحمد في المسند (٣٩٦/٥ ، ٣٣٩ ، ٤٠٦) .

وفي الأثر أن النمام يفسد في ساعة ما يفسده الساحر في سنة ، والنميمة من السحر ؛ لأن السحر يفسد بين الناس ويوقع العداوة بين الناس كما قال تعالى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [(١)] .

يعني السحر ، فالسحر يفرق بين القلوب ويحدث البغضاء ، وكذلك النميمة هي أشد من السحر ربما تقوم حروب طاحنة بسبب نمام ، وربما يتفرق المسلمون ويتباغضون ويتفرقون بسبب نمام .

فعلينا أن نتقي الله ﷻ وأن نحذر من النمامين .

وقال ﷺ لما مر بقبرين قال : ﴿ إنما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، بلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله ﴾ [(٢)] .

وقال الرسول ﷺ : ﴿ لا يدخل الجنة نمام ﴾ [(٣)] [(٤)] وفي رواية : ﴿ لا يدخل الجنة قتات ﴾ [(٥)] [(٦)] والقتات هو النمام .

وقال تعالى ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [(٧)] .

هذا كله من أجل بقاء صلاح الجماعة وصلاح المسلمين وعدم تفرقتهم ، السخرية ، الهمز ، اللمز ، التنابز بالألقاب ، سوء الظن بالمسلمين ، التجسس على عوراتم بغير

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٢) البخاري الوضوء (٢١٣) ، مسلم الطهارة (٢٩٢) ، الترمذي الطهارة (٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٦٩) ، أبو داود الطهارة (٢٠) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٣٤٧) ، أحمد (٢٢٥/١) ، الدارمي الطهارة (٧٣٩) .

(٣) البخاري الأدب (٥٧٠٩) ، مسلم الإيمان (١٠٥) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٦) ، أبو داود الأدب (٤٨٧١) ، أحمد (٣٩١/٥) .

(٤) تقدم تخريجه

(٥) البخاري الأدب (٥٧٠٩) ، مسلم الإيمان (١٠٥) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٦) ، أبو داود الأدب (٤٨٧١) ، أحمد (٣٨٩/٥) .

(٦) أخرجه البخاري (٤ / ٥٦) : ومسلم (١ / جزء ٢ / ص ١١٢ ، ١١٣ / نووي) .

(٧) سورة الحجرات آية : ١٢ .

حق ، الغيبة كل هذه من الآفات الاجتماعية التي تفرق جماعة المسلمين ، والله أمرنا بالاجتماع والاعتصام بحبله عز وجل .

رابعا : التهاجر بين المسلمين

السبب الرابع :

رابعًا : التهاجر بين المسلمين ، والهجرة معناها : الترك والابتعاد هو ابتعاد الشخص عن الآخر وعدم مكالمته مع مقاطعته .

متى يجوز الهجر ومتى لا يجوز :

حكم الهجر في حق الكافر والمشرك :

أما الكافر والمشرك فيجهران هجرًا تاما ، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [(1)] ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ ﴾ [(2)] ، والرجز هو الأصنام وأهلها قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وغيرهم ، انظر " تفسير ابن كثير " [(3)] .

فالله أمر نبيه أن يهجر الأصنام وأهلها وعبدتا بأن يتركهم ، فالكافر والمشرك يهجر هجرًا تاما إلى أن يسلم ويدخل في دين الله عز وجل .

حكم الهجر في حق المسلم العاصي :

والمسلم إذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ولم تجد فيه النصيحة واستمر على المعصية وكان الهجر فيه علاج له وفيه رجاء لتوبته فإنه يهجر ؛ لأن النبي ﷺ هجر بعض أصحابه فقد هجر الثلاثة الذين خلفوا هجرتم خمسين ليلة وأمر الناس بجرهم حتى تاب

---

(١) سورة المزمل آية : ١٠ .

(٢) سورة المدثر آية : ٥ .

(٣) (٤/٤٧٠) ط . دار المعرفة ١٤٠٧هـ ، وانظر كذلك زاد المسير لابن الجوزي (٩/٤٠١ ، ٤٠٢) ط . المكتب الإسلامي .

الله عليهم ، كما قال تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾ [(1)] .

فإذا كان هجر العاصي مصلحة راجحة بأن يتوب ويخجل ويرجع عن ذنوبه فإن الهجر مطلوب .

أما إذا كان هجره لا يزيد إلا شرا ولا يزيده إلا معصية فإن الهجر حينئذ لا يجوز بل تواصل معه النصحية والمالسة لعل الله أن يهديه أو يخفف من شره على الأقل .

هجر المؤمن المستقيم :

وأما هجر المؤمن المستقيم فهذا حرام إذا لم تصدر منه معصية ولهذا نهى النبي ﷺ عن التدابر والتقاطع فقال : ﴿ لا تحاسدوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ ﴾ [(2)] [(3)] .

يعني إن كان لا بد ليكن إلى ثلاثة أيام وما زاد عليها لا يجوز إذا كان الهجر من أجل أمور الدنيا ، مثل إنسان أخذ شيئًا من مالك ، أو اعتدى عليك بشيء من أمور الدنيا فغضبت عليه إن الذي ينبغي أن تدفع بالتي هي أحسن ، وإن كان ولا بد فإنك تهجره إلى ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يحرم عليك أن تهجره أكثر من ذلك ؛ لأنه مسلم .

فالهجرة إذن منها هجر دائم وهو هجر المشرك ، وهجر بقدر الحاجة وهو هجر العاصي حتى يتوب ، وهجر لا يجوز وهو هجر المسلم من أجل أمر من أمور الدنيا ؛ لأن المطلوب من المسلمين هو الاجتماع والتعاون على البر والتقوى والتآلف على الخير .

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٨ .

(٢) البخاري الأدب (٥٧١٨) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٥) ، أبو داود الأدب (٤٩١٠) ، أحمد (٢٢٥/٣) ، مالك الجامع (١٦٨٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥/٤ ، ٦٠٧٦) ، ومسلم (٦ جزء١٦ / ص١١٥ / نووي) .

والتهاجر إنما يقع بسبب شياطين الجن والإنس يوقعونه بين المسلمين لتشتيت جماعتهم وتفريق كلمتهم .

حوادث من السيرة فيها دروس وعبر

فائدة في الذب عن عرض المسلمين

قصة كعب بن مالك وتخلفه في غزوة تبوك

حصلت في عهد النبي ﷺ بعض الحوادث فيها عبرة وذلك أن النبي ﷺ لما كان في غزوة تبوك وتخلف كعب بن مالك رضي الله عنه سأل عنه النبي ﷺ لما بلغ تبوك فقال رجل : يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه أو غير ذلك من الكلمات التي فيها تجريح لهذا الصحابي فقام رجل من المسلمين وقال منكرًا على هذا : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا ، من قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وتخلفه عن غزوة تبوك [1] .

فهذا الرجل دفع عن عرض أخيه وذب عنه فأقره النبي ﷺ على ذلك ، وكهذا ينبغي للمسلم أن يدفع عن عرض أخيه وأن يذب عنه .

وهذا من المواقف المشرفة ، ولو أن المسلمين أخذوا بذا وصاروا يدفعون ويذبون عن أعراض إخوانم لارتدع النمامون وارتدع الذين ينتهزون الفرص لزرع الشر والعداوة بين الناس .

ذب النبي ﷺ عن عرض من قال لا إله إلا الله يبتغي وجه الله

وحادثة أخرى وهي أن النبي ﷺ خرج لزيارة بعض أصحابه ومعه جماعة من أكابر الصحابة فلما جلسوا عند المزور قال النبي ﷺ أين فلان ؟ فقال بعض الحاضرين : إنه منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ : ﴿ إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ﴾ [2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨/٣) ، ومسلم (٦ / جزء١٧ / ص٨٧ / نووي) .

(٢) البخاري الأطعمة (٥٠٨٦) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٣٣) .

فالنبي ﷺ دفع عن عرض صحابي ؛ لأنه يشهد أن لا إله إلا الله ، ويبتغي بذلك وجه الله لم يقلها نفاقًا وإنما قالها عن صدق وإخلاص فإن الله حرمه على النار ولا يجوز لأحد أن يتكلم في حق من كان كذلك من المسلمين .

وقصة أخرى :

وهي أنه جيء برجل يشرب الخمر فأمر النبي ﷺ بجلده وإقامة الحد عليه وتكرر هذا منه حتى قال رجل من الحاضرين : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ منكرًا عليه : « لا تلعنه ، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله » [1] .

يعني أنه مؤمن ، وإن كان ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ولكن فيه الإيمان ، فالمؤمن له مكانته وله م لته فلا يجوز لأحد أن ينال منه ولو كان عاصيًا ، هذه كلها دروس تعطي المسلم أن يحترم أعراض إخوانه المسلمين .

آية من كتاب الله تدل على خطر الوقيعة في العلماء

وأتم تقرؤون هاتين الآيتين وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ [2] أتدرون فيمن نزلتا ؟ نزلتا في جماعة كانوا يضحكون من رسول الله ﷺ ومن صحابة رسول الله ﷺ ويسخرون منهم وينتقصونهم ويقولون : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء - يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه - فأنزل الله هاتين الآيتين وجاءوا يعتذرون للرسول ﷺ بأنهم لم يقصدوا ما قالوا وإنما أرادوا المزح وتقطيع السفر كما حكى الله عنهم في الآية في قوله : ﴿ وَلَئِن

(١) البخاري الحدود (٦٣٩٨) .

(٢) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [1] . فالله جل وعلا ردّ عليهم بقوله : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] [3] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [4] . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ [5] .

فالحاصل أن المسلم له حق على أخيه المسلم وله مكانة عند الله سبحانه وتعالى ولهذا يقول ﷺ : ﴿ إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ﴾ [6] [7] .

الحاصل من هذا كله أن المسلمين يجب أن يكونوا جماعة واحدة وأن يكون مصدرهم واحدًا وأن تكون قيادتم واحدة ، كما أنم يجتمعون على عقيدة واحدة وهي عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له ، هذه هي جماعة المسلمين ، وإذا دب فيهم تباغض وهجر أو وجد فيهم منافقون فإن الأمر خطير جدًا .

عظمة مكان العلماء وخطورة الكلام في أعراضهم أو انتقاصهم

لا سيما وأننا نسمع في زماننا هذا من يتكلم في أعراض العلماء ويتهمهم بالغباوة والجهل وعدم إدراك الأمور وعدم فقه الواقع كما يقولون وهذا أمر خطير .

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٥ .

(٢) سورة التوبة آية : ٦٥ .

(٣) سبب نزول الآية انظر تفسير ابن كثير (٣٨١/٢) ط . دار المعرفة ١٤٠٧ هـ ، وأسباب ا ول للواحدي (ص ٢٨٧ ، ٢٨٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٤٦٤ ، ٤٦٥) ، والدر المنثور (٢٥٤/٣) .

(٤) سورة المطففين الآيات : ٢٩ - ٣١ .

(٥) سورة الهمزة آية : ١ .

(٦) البخاري الحج (١٦٥٢) ، أحمد (٢٣٠/١) .

(٧) أخرجه البخاري (١ / برقم ١٧٣٩/١٧٤١) ، ومسلم (٤ / جزء١١/١٦٩ ، ١٧٠) .

فإنه إذا فقدت الثقة في علماء المسلمين فمن يقود الأمة الإسلامية ؟ ومن يرجع إليه الفتاوى والأحكام ؟ وأعتقد أن هذا دس من أعدائنا وأنه انطلى على كثير من الذين لا يدركون الأمور أو الذين فيهم غيرة شديدة وحماس لكنه على جهل فأخذوه مأخذ الغيرة ومأخذ الحرص على المسلمين لكن الأمر لا يكون هكذا ، أعز شيء في الأمة هم العلماء فلا يجوز أن ننتقصهم أو نتهمهم بالجهل والغباوة وبالمداهنة أو نسميهم علماء السلاطين أو غير ذلك ، هذا خطر عظيم يا عباد الله ، فلنتق الله من هذا الأمر ولنحذر من ذلك ، كما يقول الشاعر :

علمـاء الـدين يـا ملـح البلـد ... ما يـصلح الـزاد إذا الملـح فـسد

الطريقة الصحيحة للتعامل مع العلماء عند ظن خطئهم :

نعم أنا لا أقول إن العلماء معصومون وأنم لا يخطئون ، العصمة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والعلماء يخطئون ولكن ليس العلاج أننا نشهر بم وأننا نتخذهم أغراضًا في المالس ، أو ربما على بعض المنابر أو بعض الدروس لا يجوز هذا أبدًا ، حتى لو حصلت من عالم زلة أو خطأ فإن العلاج يكون بغير هذه الطريقة ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

نسأل الله العافية والسلامة ، فالواجب أن ننتبه لهذا الأمر وأن يحترم بعضنا بعضا ولا سيما العلماء ورثة الأنبياء ولو كان فيهم ما فيهم .

أثر فقد العلماء وما يترتب عليه

أتدرون ما أثر فقد العلماء وما الذي يترتب عليه ؟

ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعًا وتسعين نفسًا ، فجاء يطلب من يفتيه هل له توبة ؟ وجواب هذا السؤال لا يقدر

(١) سورة النور آية : ١٩ .

عليه إلا عالم ، لكنهم دلوه على عابد مجتهد في العبادة والورع والزهد لكنه جاهل فتعاظم الأمر وقال : ليس لك توبة ، فقتله الرجل فكمل به المائة ، ثم سأل عن عالم فدلوه على عالم فسأله أنه قتل مائة نفس فهل من توبة ؟ ! قال له : نعم ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ولكن أرضك أرض سوء فاذهب إلى أرض كذا وكذا ، فإن فيها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك .

تاب الرجل وخرج مهاجرًا إلى الأرض الطيبة وحضرته الوفاة وهو في الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأنزل الله ملكًا في صورة آدمي ليحكم بينهم فقال : قيسوا ما بين البلدتين ، فوجدوه إلى البلدة الطيبة أقرب بشبر فقبضته ملائكة الرحمة ﴾ [(١)] [(٢)] .

وفي رواية أخرى أنه لما حضرته الوفاة نأى بصدره إلى الأرض الطيبة لما عجز عن المشي برجليه صار ينوء بصدره وذلك بسبب الحرص وصدق التوبة .

هذا كان بسبب العالم وبسبب فتواه الصحيحة المبنية على العلم ، أرأيتم لو بقي على فتوى ذلك العابد الجاهل لصار يقتل الناس ويستمر في القتل وربما مات من غير توبة بسبب الفتوى الخاطئة .

وكذلك قوم نوح لما صورت الصور ونصبت على الالس وكان العلماء موجودين لم تعبد هذه الصور ؛ لأن العلماء ينهون عن عبادة غير الله فلما مات العلماء وفقد العلم جاء الشيطان وتسلط على الجهال وقال : إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا لُيسْقَوا با المطر وليعبدوها ، [(٣)] فعبدوها وحينئذ وقع الشرك في الأرض ، وذلك كله بسبب فقد العلم وموت العلماء .

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٨٣) ، مسلم التوبة (٢٧٦٦) ، ابن ماجه الديات (٢٦٢٦) ، أحمد (٢٠/٣) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٠/٢) ، ومسلم (٦ / جزء١٧ / ص٨٢ - ٨٤ نووي) .
(٣) انظر تفسير ذلك في تفسير ابن كثير رحمه الله (٤٥٥/٤) ط . دار المعارف ١٤٠٧هـ ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٣/٨ ، ٣٧٤) المكتب الإسلامي .

حال الأمة عند فقد علمائها

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ﴾ (١) (٢) .

أرأيتم إن فقدت هذه الأمة علماءها ماذا تكون الحال ؟ !

إن الذين يسخرون من العلماء يريدون أن يفقدوا الأمة علماءها ، حتى ولو كانوا موجودين على الأرض ما دام أنا قد نزعت الثقة منهم فقد فقدوا . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المثقفون والمتحمسون لا يعوضون عن العلماء

إن وجود المثقفين والخطباء المتحمسين لا يعوض الأمة من علمائها وقد أخبر النبي ﷺ ﴿ أنه في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء ﴾ (٣) .

وهؤلاء قراء وليسوا فقهاء ، فإطلاق لفظ العلماء على هؤلاء إطلاق في غير محله والعبرة بالحقائق لا بالألقاب ، فكثير من يجيد الكلام ويستميل العوام وهو غير فقيه .

والذي يكشف هؤلاء أنه عندما تحصل نازلة يحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي فيها فإن الخطباء والمتحمسين تتقاصر أفهامهم وعند ذلك يأتي دور العلماء ، فلننتبه لذلك ونعطي علماءنا حقهم ونعرف قدرهم وفضلهم ونـ ل كلًّا مـ لته اللائقة به .

قال ابن رجب رحمه الله : وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم ، فمنهم من يظن في شخصه أنه أعلم من كل من

(١) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (١٦٢/٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠/١ / ص٣٥) ، ومسلم (٦ / جزء١٦ / ص ٢٢٣ - ٢٢٥ / نووي .

(٣) رواه الحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٨٤١٢/٤ ص ٥٠٤) ط . دار الكتب العلمية ١٤١١هـ ، والهيثمي في المجمع (١٨٧/١) ، وابن عبد البر في جامع البيان العلم وفضله (١٥٦/١) .

تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله ، ومنهم من يقول : هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين وهذا يلزم منه ما قبله ؛ لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولًا ممن كان قبلهم فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن أقل منهم قولًا بطريق الأولى كالثوري ، والأوزاعي ، والليث ، وابن المبارك وطبقتهم وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضًا ، فإن هؤلاء كلهم أقل كلامًا ممن جاء بعدهم ، وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبة لهم إلى الجهل وقصور العلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة : إنهم أبر الأمة قلوبًا وأعمقها علومًا وأقلها تكلفًا ، وروي نحوه عن ابن عمر أيضًا وفي هذه إشارة إلى أن من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا ، وقال ابن مسعود أيضًا : إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه . انتهى .

فائدة مهمة من تفسير الشيخ ابن سعدي رحمه الله

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ (١) .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية : " هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق ، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة - ما يتعلق بالأمن سرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم - أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر ، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها ، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسرورًا لهم وتحرزًا من أعدائهم فعلوا ذلك ، وإن رأوا ما فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه . ولهذا

(١) سورة النساء آية : ٨٣ .

قال تعالى ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [1] ، أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة ، وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي : أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولي من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه ، ثم قال تعالى ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ [2] . أي في توقيفكم وتأديبكم وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون . ﴿ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [3] لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل فلا تأمره نفسه إلا بالشر ، فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك لطف به ربه ووفقه لكل خير وعصمه من الشيطان الرجيم " [4] .

---

(١) سورة النساء آية : ٨٣ .

(٢) سورة النساء آية : ٨٣ .

(٣) سورة النساء آية : ٨٣ .

(٤) انتهى كلامه رحمه الله رحمة واسعة - من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الجزء الثاني ص ٥٤ - ٥٥ ط السلفية ١٣٧٥ .

المحاضرة الخامسة والعشرون
التحذير من الاختلاف والفرقة

نعمة الله تعالى على أهل الأرض ببعثة هذا الرسول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، فعلم به من الجهالة وهدى به من الضلالة ، وأغنى به من العيلة ، وكثر بعد القلة ، فتح الله به أعينًا عميًا ، وهدى الله به قلوبًا غلفًا ، وترك أمته على المحجة البيضاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

أما بعد ،

فإن نعمة الله سبحانه وتعالى في بعثة هذا الرسول عليه الصلاة والسلام على أهل الأرض نعمة لا تعادلها نعمة ، فقد كان الناس قبل بعثته ﷺ متفرقين في عباداتم ، ومتفرقين في جماعاتم ، ومتفرقين في أهوائهم ، ورغباتم ، وكانت تسود العالم قبل بعثته ﷺ الفوضى من جميع النواحي ؛ لأن آثار الرسالات السابقة اندرست ؛ لأن الفترة بينه ﷺ وبين أخيه عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل كانت تزيد على أربعمائة سنة حدث في خلال هذه الفترة من التغيير ، والتبديل ، والضلال ، والتفرق ما الله به عليم ، يصور ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [(١)] .

وصف ضلالهم بأنه مبين ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٢)] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .

(٢) سورة التوبة آية : ٣٣ .

كانت حالة الناس عمومًا ، وحالة العرب خصوصًا أسوأ حالة حتى قال ﷺ : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب »[1] ، فعندما اندرست آثار الرسالات السماوية وأصبح الناس في ظلام حالك ، عند ذلك أذن الله ببزوغ فجر الرسالة المحمدية ، ففرج الله سبحانه وتعالى للعالم ببعثه هذا الرسول ﷺ ودعا إلى نبذ الوثنيات كلها ، ودعا إلى ملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وواصل الدعوة والجهاد ولقي من العنت والعناد من كثير من الناس ما الله به عليم ، ولكنه ﷺ صبر وصابر ، وجاهد ، ودعا إلى الله حتى ظهرت كلمة الله سبحانه وتعالى واجتمع حوله ﷺ من خيرة الناس من اختارهم الله لصحبته ، من المهاجرين والأنصار وتكونت جيوش للتوحيد وكتائب للإيمان يقودها محمد ﷺ حتى فتح الله مكة المشرفة ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، وجاءت الوفود من أنحاء الجزيرة العربية تعلن الإيمان والدخول في الإسلام ، وحطم ﷺ الأصنام التي كانت فوق الكعبة وكانت تبلغ ثلاثمائة وستين صنمًا ، ثم دخل ﷺ جوف الكعبة وغسل ما رسم على حائطها من الصور وأزالها وهلل الله سبحانه وتعالى وكبره في نواحي الكعبة ثم أرسل ﷺ إلى الأصنام التي كانت خارج مكة فكسرت كلها وأزيلت من الوجود وعادت عقيدة التوحيد صافية نقية وتكاملت شريعة الإسلام واجتمع الناس عليها من جميع أنحاء الجزيرة ، وكاتب الرسول ﷺ ملوك كسرى وقيصر يدعوهم إلى الإسلام ويعلن لهم أنه لا بد لهم من الدخول في الإسلام وإلا فإن جيوش التوحيد وكتائب الإيمان سوف تقتحم بلادهم ثم إن الله سبحانه وتعالى بعد أن تكامل هذا الدين قال ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾[2] .

---

(١) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥) ، أحمد (١٦٢/٤) .

(٢) سورة المائدة آية : ٣ .

واختار الله لرسوله الانتقال إلى الرفيق الأعلى فتوفي ﷺ بعدما أكمل الله به الدين قائلًا لأمته : ﴿ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي ﴾ ، وقائلًا : ﴿ من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴾ [1] .

محاولات لتفريق المسلمين بعد تكوين دولة الإسلام واجتماع المسلمين

ولما تكونت دولة الإسلام واجتماع المسلمون وتوحدت صفوفهم مع رسول الله ﷺ حاول الأعداء أن يفرقوا هذا الاجتماع وأن يشتتوا هذه الأمة بشتى الوسائل ، من ذلك محاولة اليهود لما قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [2] .

هذه دسيسة حاولوا بها تفريق المسلمين وذلك بأن يسلم أناس منهم خدعة ومكرًا في أول النهار ثم يرتدون في آخره من أجل أن يقول الناس هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم فلو كان في دين الإسلام خير لما ارتدوا عنه ، هكذا حاولوا أول محاولة ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ولله الحمد وكشفها الله ، وأنزل فيها هذه الآية الكريمة لتكشف خطة اليهود وتحذر المسلمين من كيدهم .

ومرة ثانية من المحاولات ، جاء رجل من اليهود ورأى الأنصار من الأوس والخزرج مجتمعين متآلفين يجلس بعضهم إلى بعض جلوس الأخوة ، فأراد هذا اليهودي أن يفرق بينهم فصار يذكرهم بالحروب التي كانت بينهم في الجاهلية ما بين الأوس والخزرج ، وما قاله بعضهم في بعض من الهجاء والسب والقصائد التي قالها بعضهم في بعض ، فثارت في نفوسهم الحمية بسبب هذا الشيطان وتذكروا هذه الثارات القديمة .

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧٢ .

فتشاور الحيان حي الأوس والخزرج وتواعدوا القتال من الغد فلما علم رسول الله ﷺ بذلك بادر إليهم وخرج إليهم وجلس بينهم وجعل يتلو عليهم كتاب الله ويذكرهم بنعمة الله وأنزل الله عليه قوله تعالى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [1] .

وعندما سمعوا كلام الله زال ما في نفوسهم من المحن التي أثارها عدو الله اليهودي وقام بعضهم يسلم على بعض ويبكي ، وزالت مكيدة هذا اليهودي الخبيث ورجع الاجتماع إلى الإيمان والأخوة في الدين ، والمنافقون أيضًا حاولوا التفريق بين المسلمين كما قال تعالى ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [2] .

يقول المنافقون لا تنفقوا على من عند رسول الله من الصحابة والمهاجرين والأنصار لا تعطوهم من أموالكم حتى يضيق بم العيش ويخرجوا من المدينة ويتفرقوا عن رسول الله ﷺ فرد الله عليهم بأن الرزق بيد الله فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [3] فهو الذي يرزق عباده المؤمنين ولستم أنتم الذين ترزقون أو لستم السبب في اجتماعهم على الإيمان ، ولما توفي الرسول ﷺ كاد الشيطان أيضًا إلى كثير من الأعراب والبوادي الذين دخلوا في الإسلام ولم يتمكن الإسلام من نفوسهم فارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يثبت على الإيمان إلا أهل العقيدة الصحيحة الراسخة من المهاجرين والأنصار ، ولما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ قاتل المرتدين بحزم وعزم وقوة تتلاشى دونا الجبال الراسيات حتى إنه قال : والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٠٢ - ١٠٣ .
(٢) سورة المنافقون آية : ٧ .
(٣) سورة المنافقون آية : ٧ .

لقاتلتهم عليه ، حتى إن بعض الصحابة جادله في ذلك وقال : كيف تقاتلهم وهم يقولون : لا إله إلا الله ؟ فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . وقال : إن رسول الله ﷺ يقول : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ﴾ [(١)] فقال : وإن الزكاة من حقها والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فقاتلهم رضي الله عنه حتى أرجعهم إلى دين الله وبقيت جماعة المسلمين قوية في خلافته رضي الله عنه وبدأت الغزوات إلى بلاد فارس في عهده رضي الله تعالى عنه وإلى بلاد الروم ، ثم توفي رضي الله عنه وانتهت الخلافة إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي أخذ الأمر بقوة وعزم وحزم وواصل الجهاد في سبيل الله والفتوحات حتى سقطت الدول الكبرى دولة فارس ودولة الروم تحت أقدام المسلمين وانتشر الإسلام وقوي في خلافة فاروق الأمة ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم اختاره الله إلى جواره شهيدًا ، وجاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين وهو من أول السابقين إلى الإسلام الذي له الفضائل العظيمة فقام بالأمر خير قيام وسار على منهج سلفه ، ثم إن أهل الشر من اليهود والمجوس وغيرهم لم يتركوا المحاولة فحاولوا في خلافة عثمان فجاء رجل من اليهود يقال له عبد الله بن سبأ وأعلن الإسلام ظاهرًا ، ولكنه على اليهودية في الباطن يريد بذلك الكيد للمسلمين وجعل يندد بعثمان رضي الله عنه ويختلق عليه الأكاذيب حتى تجمع عليه من الأغرار ومن الأشرار ومن الشباب ضعاف العقيدة وضعاف الإيمان والدهماء تجمع عليه من تجمع وحاصروا عثمان رضي الله عنه في بيته وانتهى الأمر بقتله رضي الله عنه شهيدًا ، ومن ذلك التاريخ نشبت الفتنة بين المسلمين وجاءت الحروب والفرقة بين المسلمين إلى أن جمعهم الله في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لما تنازل له الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه عن الخلافة من أجل جمع الكلمة والإصلاح بين المسلمين وتحققت فيه بشارة رسول الله ﷺ بقوله عن الحسن بن علي رضي الله عنه : ﴿ إن ابني هذا سيد وسيصلح الله

---

(١) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين ﴾ [(١)] فأصلح الله بالحسن رضي الله عنه وبتنازله لمعاوية رضي الله عنه أصلح الله بين طائفتين من المسلمين واجتمعت كلمة المسلمين وصار الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو من هو في سياسته الرشيدة وحزمه وعزمه رضي الله عنه حتى سمي العام الذي تنازل فيه الحسن رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه عام الجماعة وعادت للمسلمين دولتهم واستمر الأمر في بني أمية والفتوحات تنتشر في المشارق والمغارب والإسلام في عز ، ثم جاءت دولة بني العباس كذلك وبقيت دولة الإسلام قوية مجتمعة حتى إن أحد خلفاء بني العباس وهو هارون الرشيد رحمه الله لما رأى سحابة في السماء قال : " أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك " وذلك لسعة مملكة الإسلام وانتشار الإسلام في الأرض ؛ لأن غالب المعمورة تحت ولاية المسلمين حينئذ وكل ما يـ ل من المطر في أي مكان وينبت الخير فإنه يكون في يد المسلمين ، هكذا كانت جماعة المسلمين تتوالى عليها الأحقاب ويعترضها شيء من الصعاب ولكن الله سبحانه وتعالى يبقي العزة ويبقي لها الاجتماع والائتلاف حتى انقضت القرون المفضلة القرون الأربعة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ﴾ [(٢)] قال الراوي : لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ، كل هذا والمسلمون في عز واجتماع وائتلاف ، وتحقق في ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٣)] .

أسباب اجتماع المسلمين بعد إجمالا

لقد ظهر دين الله في المعمورة وصار للمسلمين دولة عظيمة وتوالت قرون وأحقاب وهم مجتمعون على كلمة التوحيد التي قال فيها الرسول ﷺ لقريش : ﴿ قولوا كلمة تدين

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٧) ، الترمذي المناقب (٣٧٧٣) ، النسائي الجمعة (١٤١٠) ، أبو داود السنة (٤٦٦٢) ، أحمد (٥/٥١) .

(٢) البخاري الشهادات (٢٥٠٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٢) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٩) ، أبو داود السنة (٤٦٥٧) ، أحمد (٤/٤٢٧) .

(٣) سورة التوبة آية : ٣٣ .

بكم لها العرب وتؤدي لكم بها العجم الجزية ﴾ [1] أو كما قال الرسول ﷺ : ﴿ قالوا : وما هي ؟ لعمر أبيك خذ عشرًا ، قال لهم : قولوا لا إله إلا الله ، عند ذلك نفروا وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [2] ﴾ فالذي يجمع المسلمين على الحقيقة هو عقيدة التوحيد كلمة لا إله إلا الله ، كما قال الرسول ﷺ : ﴿ قولوا كلمة تدين لكم بها العرب ويؤدي لكم بها العجم الجزية ﴾ [3] كلمة التوحيد هي العقيدة الصحيحة وهي التي تجمع المسلمين وهي ما كان عليها رسول الله ﷺ وكان عليها صحابة رسول الله ﷺ وكانت عليها القرون المفضلة أول هذه الأمة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، فكما أصلحت العقيدة أول الأمة فإن آخر الأمة لا يصلحها إلا عقيدة التوحيد كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [4] ، هذه هي عقيد التوحيد ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [5] . بدون هذا لن يحصل الاجتماع أبدًا ولو تسموا بالمسلمين ما دامت العقيدة غير سليمة ولو تسموا بالمسلمين فلن يجتمعوا حتى تخلص العقيدة وحتى تصفو العقيدة من أدران الشرك والخرافات .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ

(١) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٣٢) ، أحمد (٢٢٨/١) .
(٢) سورة ص آية : ٥ .
(٣) الترمذي تفسير القرآن (٣٢٣٢) ، أحمد (٢٢٨/١) .
(٤) سورة النور آية : ٥٥ .
(٥) سورة النور آية : ٥٥ .

﴿ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [(١)] ، هذه أسباب الاجتماع ﴿ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [(٢)] . بدون ذلك لن يحصل اجتماع ، ولن تحصل للمسلمين قوة ، إلا في هذه المقومات عقيدة التوحيد ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذا يحصل الأمن والاستقرار والتمكين في الأرض ، وبدونه تحصل الفتن ، والخلافات ، والشقاق وإن تسموا بالمسلمين ، فإن العبرة بالحقيقة لا بالتسمي والانتساب فقط ، وكذلك مما يسبب اجتماع المسلمين الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند النزاع يحكم كتاب الله عند النزاع في العقائد ، وعند النزاع في مسائل الفقه ، وعند النزاع في الخصومات والاختلافات بين الناس ولا يجتمعون إلا إذا حكم كتاب الله ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [(٣)] ، ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [(٤)] .

أسباب اجتماع المسلمين تفصيلا

تحكيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ

فلا يحسم النزاع بين الناس ولا يقنع المختلفين ولا يزيل آثار الفرقة إلا تحكيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أما بدون ذلك كأن يلتمس حل النزاع بعوائد الجاهلية أو بالقوانين الوضعية أو بتقليد الآباء والأجداد فهذا يزيد النزاع ويزيد الفرقة ؛ لأن الأهواء تختلف ، كل له هواه ، وكل له رغبته ، وكل له عصبيته ، إنما يزيل هذه الأمور كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(١) سورة الحج الآيتان : ٤٠ - ٤١ .
(٢) سورة الحج آية : ٤١ .
(٣) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٤) سورة النساء آية : ٥٩ .

ٱلْأَخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾ [(١)] أي أحسن مئالًا وعاقبة ؛ لأن تحكيم القرآن وتحكيم السنة يحصل به اجتماع الكلمة وزوال النـ اع ، ولا يمكن أن تقنع الناس إلا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكما قال ﷺ في الحديث الذي سمعتم : ﴿ فإنه من يعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بـا وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ﴾ [(٢)] .

وكذلك مما يسبب الاجتماع طاعة ولاة أمور المسلمين ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [(٣)] .

طاعة ولاة أمور المسلمين

فطاعة ولاة أمور المسلمين مما يسبب الاجتماع ويسبب القوة ويسبب الائتلاف ؛ لأن ولاة أمور المسلمين فيهم خير كثير من جمع الكلمة ، ورد المظالم ، والأخذ على يد الظالم ، وإقامة الحدود ، ورد الحقوق إلى مستحقيها ، فلا يحصل اجتماع إلا بولاية صحيحة ولاية إسلامية تحكم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ ولهذا حث الرسول ﷺ على السمع والطاعة قال ﷺ لما وعظ الناس موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون قالوا : يا رسول الله كأنا موعظة مودع فأوصنا قال : ﴿ أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ﴾ [(٤)] .

وقال ﷺ : ﴿ من يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن عصى الأمير فقد عصاني ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٤) البخاري الأحكام (٦٧٢٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٠) ، أحمد (١١٤/٣) .

(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٧٩٧) ، مسلم الإمارة (١٨٣٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٥٩) ، أحمد (٣٨٧/٢) .

فطاعة الأمير المسلم طاعة للرسول ﷺ ومعصية الأمير معصية للرسول ﷺ وليس من شرط ولاة الأمور الذين تجب طاعتهم أن لا يصدر منهم خطأ أو أن يكونا معصومين ؟ لا ، بل تجب طاعة ولاة الأمور وإن كان عندهم خطأ وتقصير ومعاصي ، وحتى لو كانوا فسقة ما لم يخرجوا عن دين الإسلام فإن النبي ﷺ حذر من الخروج عن ولاة أمور المسلمين وإن كانوا فسقة ما لم يكن منهم كفر بواح ، فما دام أنه على الإسلام ولو كان عنده شيء من التقصير والخطأ فإن مصلحة الاجتماع ومصلحة الائتلاف ترجح على ما فيه من الخلل والنقص ، فاجتماع الكلمة على ولاة أمور المسلمين وتحبيبهم إلى الناس بدلا ممن يلتمسون الأخطاء ويكبرون الصغائر وينشرون الرذائل ويكتمون المحاسن ، فهؤلاء دعاة فتنة والعياذ بالله .

فالذين يلتمسون أخطاء ولاة المسلمين ويكبرون الصغير ، وينشرون المستتر ، ويفضحون الأمور هؤلاء ليسوا مصلحين ، هؤلاء دعاة فتنة يريدون تفريق كلمة المسلمين سواء كانوا قاصدين أو غير قاصدين ، قد يكون منهم من نيته حسنة ولكنه مخدوع ومغرر به .

فالواجب علينا أن نتنبه لذلك وأن نعلم أن الاجتماع على طاعة ولي الأمر المسلم وعلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو سبب الاجتماع والقوة قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ﴾ (١) فالحاكم هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والمنفذ هو ولي أمر المسلمين .

الحرص على الصلاة مع الجماعة في المساجد وحضور الجمع

كذلك من أسباب اجتماع المسلمين الحرص على الصلاة مع الجماعة في المساجد وحضور الجمع فإن الله سبحانه وتعالى شرع لنا الاجتماع للصلاة اجتماعًا يوميًا ،

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

واجتماعًا أسبوعيًا ، واجتماعًا سنويًا على العبادة ليحصل بذا الاجتماع التآلف والتعارف بين المسلمين وتفقد أحوال المسلمين .

أما إذا صلى كل واحد في بيته وكل واحد صلى في مزرعته وهجرت المساجد فإن ذلك يسبب النفرة ويسبب الفرقة كما قال ﷺ : ﴿ إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ﴾ [1] فصلاة الجماعة التي تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات فيها أسرار عظيمة وفيها حكم بالغة أعظمها بعد أداء حق الله سبحانه وتعالى اجتماع القلوب وائتلافها فجماعة المسجد يتعارفون ويتآلفون ويتجالسون ؛ لأن الإيمان ربط بينهم ، واللقاء على الصلاة ربط بينهم ، يقف الغني بجانب الفقير ، ويقف الكبير بجانب الصغير ، يقف الموظف بجانب الإنسان العادي ، كلهم جماعة واحدة يؤدون عبادة واحدة ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [2] .

وكذلك الاجتماع الأسبوعي في صلاة الجمعة وهو اجتماع أكبر من الاجتماع للصلوات الخمس ؛ لأن صلاة الجمعة تقام في مكان واحد في البلد أو في أمكنة متعددة إذا اتسع البلد وتباعدت أطرافه ، المهم أنه يجتمع للجمعة أكثر عدد ممكن إما أهل البلد كلهم أو معظم أهل البلد يجتمعون لصلاة الجمعة ويستمعون إلى الخطبة والنصيحة والموعظة والتوجيهات والإرشادات ويلتقي بعضهم ببعض ويرى بعضهم بعضًا ويسلم بعضهم على بعض ، أما لو بقي كل واحد في بيته أو في مزرعته أو في متجره ولم ير الآخرين فإن هذا يسبب الفرقة .

هناك اجتماع سنوي أكبر وهو الاجتماع لصلاة العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى في صحراء يجتمع أهل البلد لإقامة شعيرة من شعائر الإسلام يتآلفون ويتعارفون ويسلم بعضهم على بعض ، هناك اجتماع أكبر من هذا أيضًا وهو الاجتماع من جميع الأرض

(١) النسائي الإمامة (٨٤٧) ، أبو داود الصلاة (٥٤٧) ، أحمد (٤٤٦/٦) .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .

لأداء فريضة الحج في مكان واحد يتلاقى المسلمون من أقطار الأرض العرب والعجم والأبيض والأسود والغني والفقير يجتمعون على شكل واحد وعلى نمط واحد وفي مكان واحد للتعارف وتبادل الآراء وطرح المشكلات وتدارس الحلول إلى غير ذلك من المنافع ، قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [1] ، ليشهدوا منافع لهم وهذه منافع كثيرة لم يحدد الله عددها ولا نوعها لأنها كثيرة ليس لها حد ، منها : اجتماع المسلمين من أقطار الأرض ، وتعارف المسلمين ، وظهور قوة الإسلام وفرح المسلمين إذا رأوا إخوانهم ورأوا قوة الإسلام فإن هذا يسبب الاطمئنان ، فلو أن الناس كل منهم يبقى في بلده ولا يحصل لقاء ولو مرة في السنة لحصل التهاجر وحصل الافتراق وانقطعت الروابط ، فهذه حكمة الله سبحانه وتعالى شرع لنا هذه الاجتماعات اليومية والأسبوعية والاجتماعات السنوية من أجل أن تحصل للمسلمين وحدتهم وقوتهم ، وأن يتدارسوا مشاكلهم وأن يتبادلوا المحبة فيما بينهم .

تصحيح العقيدة وتنقيتها من أنواع الشرك والبدع

فهذه مقومات الاجتماع بين المسلمين :

أولًا : تصحيح العقيدة وتنقيتها من أنواع الشرك والبدع ، أما ما دامت العقيدة مهتزة ومختلة فلن يجتمع المسلمون ، فلا يمكن أن يجتمع صاحب بدعة مع صاحب سنة أبدا ، ولا يمكن أن يجتمع صاحب عقيدة فاسدة مع صاحب عقيدة سليمة أبدًا ولو كان الاسم واحدًا وهو المسلمون لا بد من عقيدة صحيحة ولا بد من اجتماع على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ لا بد من قيادة مسلمة نجتمع عليها ونطيع أمرها ما دام أن ولي الأمر فيها لم يخرج عن طاعة الله ورسوله ، ويقول الرسول ﷺ : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثًا :

---

(١) سورة الحج الآيتان : ٢٧ - ٢٨ .

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه أمركم ﴾ [1] .

أما من يدعو إلى اجتماع المسلمين ولو كانوا مختلفي العقيدة فإنه يحاول مستحيلًا ، إذا كنا نريد جمع كلمة المسلمين فلنعالج العقيدة ونرجعها إلى ما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ إلى كلمة التوحيد كلمة تدين لكم بها العرب ويؤدي لكم بها العجم الجزية ، أو كما قال الرسول ﷺ هذا هو الأساس ، أما الذي يقول : نجتمع على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه ، فهذه مقولة غير صحيحة ، لماذا لم يقل نزيل الخلاف بيننا بإصلاح سبب الخلاف ؟ أما إننا نبقي على الاختلاف ونجتمع فهذا لا يمكن ؛ لأنه جمع بين متضادين اختلاف واجتماع في آن واحد .

لا يمكن الاجتماع إلا إذا أزلنا سبب الخلاف وهو اختلال العقيدة ؛ لأنه الذي سبب اختلاف الناس من قديم الزمان وحديثه ، حدث الاختلاف لما كثرت الفرق الضالة وكثر الخلل في العقيدة من معتزلة وغيرهم ، أما في القرون المفضلة لما كانت العقيدة واحدة والمنهج واحد كانوا مجتمعين ، ولما ظهرت الفرق والأهواء والتعصب للآراء حين ذلك وجد ال اع ، ولن يلتئم إلا كما قال الإمام مالك رحمه الله : " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها " .

أما أن نجتمع على ما اتفقنا عليه والعقيدة مختلة فعلى ماذا اتفقنا ؟ هذه المقولة لو كان أراد بها قائلها الخلاف في مسائل الفقه لكان الأمر هيِّنًا مع إنه حتى في مسائل الفقه يجب الرجوع إلى كتاب الله ﷻ والأخذ بما دل عليه الكتاب والسنة من آراء الفقهاء ، لكن الاختلاف في المسائل الاجتهادية لا يسبب فرقة بين المسلمين ، لكن لا يمكن أن تجمع بين قبوري وموحد ، لا يمكن أن تجمع بين مبتدع وسني ، لا يمكن من تجمع بين قومي أو

---

(١) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

حداثي مع متمسك بالكتاب والسنة ولو كان الاسم والانتساب واحدًا وهو الإسلام والمسلمون .

فلا بد من اجتماع المسلمين على عقيدة التوحيد ، لا بد أن يجتمعوا على الأمر الأول الذي جمع بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصار ووحد بين القبائل ، والمثال في هذا قريب مثال نعيشه الآن : كانت هذه البلاد قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله متفرقة خصوصًا بلاد نجد كان كل قرية لها أمير ، وكل لا يخضع للأمير الآخر ، وكان بين القريتين قتال حتى إنهم ذكروا - واقرأوا تاريخ ابن بشر ذكر أن أهل القرية الواحدة يتقاتلون ، بل ذكر أنه حصل في بعض القرى أربعة أمراء كل جانب من القرية الواحدة فيه أمير ، وكل جانب من القرية يقاتل الجانب الآخر في الشوارع والأسواق ، هذا كان في بلاد نجد فلما جاء الشيخ رحمه الله ودعا الناس إلى التوحيد وإلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ودعا ولاة الأمور من آل سعود وكانوا أمراء قرية واحدة دعاهم إلى التوحيد استجابوا لذلك وناصروا الشيخ دخلت جميع بلاد نجد تحت سيطرتهم ، هذه القرية الصغيرة التي كان فيها أمير لما هداه الله وناصر دعوة التوحيد ملك البلاد كلها ، توحدت البلاد وامتد الخير إلى المشارق والمغارب وتكونت دولة على التوحيد وعلى العقيدة وصارت هذه البلاد جماعة واحدة بدل ما كانت متفرقة ، منهجها واحد وعقيدتها واحدة ، ولي أمرها واحد فبذلك توحدت البلاد ، ولا تزال ولله الحمد على هذا المنهج ؛ لأنه إحياء لمنهج الرسول ﷺ .

ولا يصلح حال هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، هذا نموذج من النماذج بلاد وقرى متقاتلة متصارعة لما دخلت تحت دعوة التوحيد والقيادة المسلمة صارت بلدًا واحدًا ، وإن أردتم أن تعرفوا ذلك فانظروا إلى حال هذه البلاد وحال البلاد الأخرى تعرفوا قدر نعمة الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه لا يعرف قيمة الصحة إلا من ذاق المرض ، لا يعرف قيمة الطعام والشراب إلا من مسه الجوع والعطش ، لا يعرف قيمة النور إلا من وقع في الظلام ، والشاعر يقول :

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

فلا شك أنه لا يمكن جمع كلمة المسلمين إلا على إصلاح العقيدة وإصلاح القيادة والرجوع إلى المصدر الذي أنزله الله سبحانه وتعالى ، هذه وصية الرسول ﷺ : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثًا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ﴾ [(1)] هذا صلاح العقيدة ﴿ وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [(2)] هذه وحدة المصدر والمنهج الذي هو المرجع لحل النزاع وهو كتاب الله ورسوله ﷺ : ﴿ وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(3)] هذا وحدة القيادة .

وقال ﷺ : ﴿ الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [(4)] .

فنصيحة ولاة أمور المسلمين طاعتهم بالمعروف وعدم إفشاء عيوبهم وتنفير الناس عنهم ، هذه هي النصيحة لهم ، ليست النصيحة مقصورة على تنبيههم على الأخطاء ، لكن أصل النصيحة أنك لا تبحث عن العيوب وتنشرها على الناس وتنسى المحاسن هذا ليس من النصيحة بل هو خيانة وكذلك إذا ولّوكَ على عمل فمن النصيحة لهم أن تقوم بهذا العمل على خير وجه وألا تفرط في عملك الوظيفي طاعة لله سبحانه وتعالى وأداء للأمانة ونصيحة لولاة أمور المسلمين ولعامتهم .

تعدد الجماعات من أسباب الاختلاف

ومما يسبب الاختلاف تعدد الجماعات التي تسمى جماعات الدعوة ، الدعوة لا شك أنها من أهم أمور الدين وأمر مطلوب قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ

---

(1) مسلم الأقضية (1715) ، أحمد (360/2) ، مالك الجامع (1863) .
(2) مسلم الأقضية (1715) ، أحمد (360/2) ، مالك الجامع (1863) .
(3) مسلم الأقضية (1715) ، أحمد (367/2) ، مالك الجامع (1863) .
(4) مسلم الإيمان (55) ، النسائي البيعة (4198) ، أبو داود الأدب (4944) ، أحمد (102/4) .

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [1] لكن هذا لا يعني أن كل داعية يكون له جماعة وينفصل عن جماعة الآخر ، الواجب على الدعاة إلى الله أن يجتمعوا وأن يوحدوا منهجهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن يصححوا أخطاءهم ويتعاونوا على الدعوة ويتشاوروا ويتفاوضوا ، هذا طريق الدعوة الصحية .

أما تشتت الجماعات وكثرة الحزبيات وتقبل الأفكار التي تفد من الخارج هذا هو الذي يسبب الافتراق ، لماذا نتلقى الأفكار من الخارج ؟ لماذا لا نرجع إلى كتاب ربنا وإلى سنة نبينا ونرجع إلى هدي السلف الصالح وإلى ما كان عليه علماؤنا في هذه البلاد التوحيد ؟ لماذا لا يكون منهجنا هذا ؟ لماذا نستورد الأفكار ونستورد المبادئ من جماعات في الخارج الله أعلم بها ؟

لو كان فيها صلاح لأصلحت بلادها ، فلماذا نفرط بهذه النعمة التي نعيشها ونستورد الأفكار والمبادئ والمناهج من الخارج ، هل نحن في شك من واقعنا ؟ هل نحن في شك من عقيدتنا ؟ هل نحن في شك من علمائنا ؟ لماذا نغير المسار ؟ لماذا لا نسير على ما سار عليه سلفنا ؟ لماذا لا نبقى على هذه الجماعة في بلادنا وهذه النعمة ونكون جماعة واحدة نتعاون ونتشاور ونتناصح ونكون جماعة واحدة كما كانت ولا تزال ولله الحمد ؟ لكن فيه من يريد أن يفرق بين هذه الجماعة ، نسأل الله أن يصلح ضال المسلمين ، وأن يهدي ضال المسلمين ، وأن يجمع كلمة المسلمين على الدين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

الأسئلة الواردة على موضوع المحاضرة

الرد على من زعم أن ما في كتب العقيدة لا يناسب عصرنا

س١ : قرأت قبل كتابًا اسمه " منهج الأنبياء والدعوة إلى الله " قال فيه مؤلفه محمد سرور زين العابدين : نظرت في كتب العقيدة ووجدتها أنها كتبت في عصر غير عصرنا وأنها تحل قضايا ومشكلات ليست في عصرنا وفيها نصوص وجفاف ، فأعرض عنها كثير من الشباب ، ما الحكم في هذا الموضوع ؟

ج١ : أنا قلت من قبل لماذا نستورد الأفكار من الخارج ؟ لماذا نستورد من محمد سرور زين العابدين في لندن أو غيره هذه الأفكار ، لماذا لا نرجع إلى الكتب التي بين أيدينا من كتب السلف الصالح وكتب علماء التوحيد التي صدرت من علماء محققين ولم تصدر عن كاتب أو مثقف ليس عنده علم ، ولعله يقصد التضليل في هذا الكلام ، لعله يقصد أن يصرف الشباب عن كتب العقائد وأن يوجههم على الأفكار الجديدة وإلى الكتب الجديدة التي تحمل أفكارًا عصرية فعلينا أن نحذر من الدسائس ، الحمد لله نحن أغنياء لما خلفه لنا أسلافنا من كتب العقائد وكتب الدعوة وليست بأسلوب جاف كما يقول ، بل بأسلوب حي ولله الحمد أسلوب علمي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أمثال صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، فالبخاري ومسلم فيهما باب للعقيدة وكذلك في غيرهما من دواوين الإسلام كتب الحديث بعد كتاب الله القرآن الكريم فيها العقيدة ، وفيها بيان العقيدة وبيان الشرك .

كتب الأئمة من الأمثال كتاب التوحيد لابن خزيمة إمام أهل السنة ، كتب الإمام أحمد رحمه الله في الرد على الجهمية والزنادقة ، كتاب السنة لابن أبي عاصم ، كتاب السنة للأجوري ، كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، كتب الأئمة المحققين كلها كتب عقيدة ولله الحمد وكلها كتب حية وليست كتبًا جافة كما يقول ، بل هذه الكتب تشتمل على كلام الله وسنة رسول الله ﷺ

وكلام السلف الصالح ، فإذا كان في كلام الله رسوله وكلام العلماء جفاف فما هو الكلام الصحيح ؟

حكم التمثيل الديني

س٢ : ما حكم التمثيل الذي يقوم به بعض الشباب الملتزمين ، مثل التمثيل الديني ؟

ج٢ : التمثيل لا أراه سائغًا ؛ لأن فيه :

أولًا : إلهاء للحاضرين ؛ لأنهم ينظرون إلى حركات الممثل ويضحكون ، فالمقصود بالتمثيل هو التسلية فقط وإلهاء الحاضرين هذا من ناحية .

الناحية الثانية : أن الأشخاص الذين يُمثَلون قد يكونون من الصحابة أو من الأئمة يمثلهم طفل أو إنسان على غير المظهر اللائق هذا أمر لا يجوز ولو جاء واحد يمثلك أنت في مشيك ويتكلم بكلامك فلن ترضى بذا ، فكيف ترضاه لغيرك من أئمة المسلمين وقادتهم .

ثالثًا وهو أخطر : أن بعضهم يتقمص شخصية كافرة كأبي جهل وفرعون ويتكلم بكلام الكفر بزعمه أنه يريد الرد عليهم وهذا تشبه بالكافر ، والرسول ﷺ نهى عن التشبه بالكافرين ، وهذا تشبه بهم .

رابعًا : والتمثيل ليس من هدي سلفنا ولا من منهجهم وإنما هو مستورد من الخارج فالمسرحيات والتمثيل عرفت من الخارج وتسربت إلينا ، واعتبارها من وسائل الدعوة غير صحيح فوسائل الدعوة ولله الحمد غنية عن هذه الطريقة .

وما عرف المسلمون هذه الطريقة وكانت الدعوة ناجحة في مختلف العصور ولما جاءت هذه الطريقة ما زادت الدعوة في شيء مما يدل على أنها سلبية .

تكلم بعض الشباب على ولاة الأمور ووصفهم بأنهم لا يحكمون شرع الله

س٣ : ما رأي فضيلتكم في بعض الشباب الذين يتكلمون في مجالسهم على ولاة الأمور ويقولون أنهم لا يحكمون شرع الله في هذه البلاد جزاكم الله خيرًا ؟

ج٣ : هذا الكلام معروف أنه باطل ، وهؤلاء إنما يقصدون الشر أو أنهم تأثروا بغيرهم من الدعايات المضللة التي تريد سلب هذه النعمة التي تعيشها هذه البلاد ، نحن ولله الحمد على ثقة من ولاة أمورنا وعلى ثقة من المنهج الذي نسير عليه ، وليس معنى هذا أننا قد كملنا وليس عندنا نقص ، عندنا نقص ولكن يمكن إصلاحه بغير هذه الطريقة وفي عهد النبي ﷺ وجد من يسرق ووجد من يزني ووجد من يشرب الخمر وكان الرسول ﷺ يقيم عليهم الحدود فنحن ولله الحمد نقيم الحدود على من ثبت عليه جرم ، ونقيم القصاص في القتلى فالخير موجود ولو كان هناك نقص ، فالنقص من طبيعة البشر ولكن نرجو الله سبحانه وتعالى أن يصلح أحوالنا وأن يسدد خطانا وأن يكمل نقصنا ، وتنقص ولاة الأمور أو الكلام فيهم ليس من طريقة أهل السنة والجماعة ، أهل السنة والجماعة يحثون على طاعة ولاة أمور المسلمين وعلى تحبيبهم للناس وعلى جمع الكلمة هذا هو المطلوب ، والغيبة والنميمة هما من أشد المحرمات لا سيما في حق ولاة الأمور لما يفضيان إليه من تفريق الكلمة .

الرد على من قال معنى لا إله إلا الله أي لا حاكم إلا الله ولا خالق إلا الله

س٤ : يقول الشيخ محمد قطب في كتابه حول تطبيق الشريعة أن معنى كلمة لا إله إلا الله أي لا حاكم إلا الله ولا خالق إلا الله فهل هذا المذهب حق وهل لكم من كلمة ؟

ج٤ : معنى لا إله إلا الله فسرها الله سبحانه وتعالى في كتابه وفسرها الرسول ﷺ في سنته بأن معناها لا معبود بحق إلا الله ، كما قال تعالى ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ ﴾ [(١)] .

هذا هو معنى لا إله إلا الله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [(٢)] .

هذا هو معنى لا إله إلا الله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [(٣)] .

هذا هو معنى لا إله إلا الله ، وقال سبحانه وتعالى عن إبراهيم : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [(٤)] هذا معنى لا إله إلا الله .

وقال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » [(٥)] وفي رواية « إلا أن يوحدوا الله » [(٦)] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [(٧)] .

فمعنى لا إله إلا الله إخلاص العبادة لله ويدخل فيها تحكيم الشريعة لكن ليس هو المعنى المقصود بالأصالة وإنما هو تابع ، بل معنى لا إله إلا الله أعم من ذلك وأكثر وأهم من تحكيم الكتاب في أمور المنازعات ، أهم من ذلك إزالة الشرك من على الأرض وإخلاص

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٣) سورة البينة آية : ٥ .
(٤) سورة الزخرف الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .
(٥) البخاري الصلاة (٣٨٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٦٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٢٢٥/٣) .
(٦) البخاري التوحيد (٦٩٣٧) .
(٧) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

العبادة لله سبحانه وتعالى فهذا التفسير الذي قاله قاصر ، تفسيرها بالحاكمية تفسير قاصر لا يعطي معنى لا إله إلا الله .

أما تفسيره بأنه لا خالق إلا الله فهو باطل ؛ لأن هذا يقر به المشركون ولو كان معناها لا خالق إلا الله لكان المشركون موحدين قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (1) فعلى هذا التفسير إن أبا جهل موحد وإن أبا لهب موحد فتعالى الله عن ذلك فهذا تفسير باطل .

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منهج السلف في الأصول والفروع

س5 : هل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تغني عن الإخوان المسلمين ودعوة جماعة التبليغ ؟

ج5 : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تغني عن هذه الدعوات لأنا منهج السلف في الأصول والفروع ، وهو في الأصول على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة الأربعة .

وفي الفروع هو على مذهب الإمام أحمد إمام أهل السنة وليس معنى ذلك أنه يقلد الإمام أحمد تقليدًا أعمى وإنما يقلده فيما عرف الدليل عليه ، ففيها كل مقومات الدعوة الصحيحة .

وهذا واضح في فتاواه وفي رسائله رحمه الله ، منهجه واضح لا يحتاج ، أما مسألة الجماعات الأخرى جماعة التبليغ ، جماعة الإخوان المسلمين ، جماعة كذا وكذا . . فنحن ندعوها كلها إلى أن ترد مناهجها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهدي السلف الصالح وتعرضها على ذلك فما وافق فالحمد لله وما خالف فإننا نصحح الخطأ ، هذا الذي ندعو إليه .

---

(1) سورة الزخرف آية : 87 .

المحاضرة السادسة والعشرون

الاستـقـامـــة

الحث على الاستقامة في الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد .

إن موضوع المحاضرة هو " الاستقامة وأثرها على الفرد والمتمع " .

الاستقامة ورد ذكرها في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ في عدة مواضع ، يأمر الله بها ويثني على أهلها ويعدهم بجزيل الأجر والثواب قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(١)] .

وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه آمرا له أن يقول : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [(٢)] ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٣)] ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [(٤)] ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [(٥)] ،

---

(١) سورة هود آية : ١١٢ .

(٢) سورة فصلت آية : ٦ .

(٣) سورة فصلت الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(٤) سورة الأحقاف الآيتان : ١٣ - ١٤ .

(٥) سورة الجن آية : ١٦ .

وقال النبي ﷺ في حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : ﴿ سألت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله قل لي قولا في الإسلام لا أسأل عنه غيرك ، قال ﷺ : قل آمنت بالله ثم استقم ﴾ [(١)] ، وقال في حديث ثوبان : ﴿ استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ﴾ [(٢)] ، وفي حديث أبي هريرة أن النبي قال : ﴿ سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة منكم بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾ [(٣)] .

فهذه الآيات والأحاديث تحث على الاستقامة ترغب فيها وتبين ثواب أهل الاستقامة مما يجعلنا نتطلع إلى معنى الاستقامة ، ما هي الاستقامة التي هذه مكانتها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى نعمل بها ؟

المراد بالاستقامة

بين العلماء رحمهم الله أن الاستقامة هي الاعتدال وضدها الاعوجاج والميل هذا من حيث اللغة يقال خط مستقيم يعني خط لا عوج فيه ولا ميل قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾ [(٤)] . ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [(٥)] الصراط المستقيم هو الطريق المعتدل الذي ليس فيه اعوجاج ولا ميل بخلاف الطرق الضالة فإن فيها اعوجاج وفيها ميل وفيها مخاطر أما الصراط المستقيم صراط الله سبحانه وتعالى فهو طريق معتدل لا اعوجاج فيه ولا ميل ولا خطر على من سلكه .

فالاستقامة معناها الاعتدال على طاعة الله سبحانه وتعالى ، الاعتدال على شريعة الله ، الاعتدال على كلمة التوحيد هذه هي الاستقامة شرعا كما تدل على ذلك عبارات

---

(١) مسلم الإيمان (٣٨) ، أحمد (٤١٣/٣) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٠) .

(٢) ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٧٧) ، أحمد (٢٧٧/٥) ، الدارمي الطهارة (٦٥٥) .

(٣) البخاري الرقاق (٦١٠٢) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٨) ، أحمد (١٢٥/٦) .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٥) سورة الفاتحة آية : ٦ .

السلف كلها تجتمع على أن الاستقامة شرعا هي لزوم طاعة الله سبحانه وتعالى من غير ميل ومن غير التفات إلى غيرها ، فهي تعني لزوم ما شرعه الله سبحانه وتعالى في التوحيد وإخلاص العبادة لله وفي الآداب والأخلاق والتعامل مع الناس ، وفي كل ما يفعله الإنسان في هذه الحياة يكون مستقيا على المنهج الصحيح الذي رسمه الله سبحانه وتعالى وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن هذا المنهج هو منهج الذين أنعم الله عليهم كما قال تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١) فالذين أنعم الله عليهم هم أهل الاستقامة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

فالاستقامة تعني التوسط بين الإفراط والتفريط ، بين التساهل وعدم المبالاة وبين الغلو والتشدد ، هذا هو طريق الاستقامة ؛ لأن دين الله بين الغالي والجافي ، الغالي هو الذي يزيد ويتشدد ، والجافي هو المتساهل الذي لا يهتم بدينه بل هو مفرط ، وكذلك الغالي والمتشدد الذي يزيد في العبادة ويزيد في التمسك يظن أنه يطيع الله ورسوله ، وهو بالعكس ؛ لأن من خرج عن الجادة ومال عنها سواء بتساهل أو بتشدد خرج عن شرع الله سبحانه وتعالى .

فالاستقامة هي الاعتدال من غير جفاء وتساهل ومن غير زيادة وتشدد وإفراط في العبادة ، هذا هو طريق الاستقامة .

الاستقامة بين الجفاء والغلو

فالعصاة والفساق هؤلاء متساهلون ومفرطون كل بحسبه ، منهم المقل ومنهم المستكثر من التفريط بحسب ما يرتكبون من الذنوب والسيئات والمخالفات هم بذا مفرطون في طاعة الله ومقصرون في عبادة الله وهم متفاوتون في تفريطهم وتساهلهم فمنهم من خرج بعيدا عن الاستقامة ، ومنهم من خرج قليلا إلا أنم كلهم يعتبرون جافين ومفرطين ،

(١) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

وعلى الطرف الثاني المتشددون الغالون في دين الله ﷻ الذين لا يقنعهم السير على طاعة الله وما شرعه الله بل يريدون أن يزيدوا عما شرعه ويقولون هذا من الدين وهو والله ليس من الدين ولهذا حذر الله تعالى منه في كتابه قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ (١) فأهل الكتاب غلوا في حق المسيح عليه الصلاة والسلام حتى اعتبروه ابنا لله أو اعتبروه هو الله أو ثالث ثلاثة ورفعوه من درجة العبودية والبشرية إلى درجة الربوبية ، هذا غلو وزيادة ، فمن غلا في حق شخص حتى رفعه عن م لته فهذا أعظم الغلو ، ومن غلا في العبادة ولم يقتصر على ما شرعه الله وزاد فهذا من الغلو الذي لا يقبله الله فلو أن إنسانا قال : صلاة الفجر ركعتان أنا أريد أن أصلي أربع ركعات زيادة في الخير ، فقوله هذا غلو وزيادة والله لا يقبل الزيادة ، وهذه الصلاة باطلة ، لا يقبل الله منك إلا ما شرعه بأن تصلي الفجر ركعتين وكذا لو قال : الصلوات الخمس لا تكفي أنا أريد أن أجعلها ست صلوات سبع صلوات زيادة خير قلنا له : لا هذا كفر بالله عز وجل ؛ لأن هذا زيادة في الدين وهي مثل النقص من الدين أو أشد لا يقبلها الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم قال النبي ﷺ في الخوارج وهم طائفة شددت في الدين على عهد الصحابة وغلت في الدين وعظمت من شأن الكبائر حتى حكمت على مرتكب الكبيرة بأنه كافر ، وقال النبي ﷺ فيهم : ﴿ تحقرون صلاتكم إلى صلاتم وعبادتكم إلى عبادتم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ﴾ (٢) فهم يمرقون من الدين بسبب الغلو والزيادة ، حتى إن الصحابة يحقرون عبادتم إلى عبادتم ، لكن الاجتهاد الذي يكون ليس على طريق صحيح لا ينفع بل يضر صاحبه ، ولهذا وصفهم بأنم يمرقون من الدين بسبب غلوهم وتشددهم والعياذ بالله ، وحتى إنم كانوا يعرفون بصفرة الوجوه من قيام الليل ، وكثرة التلاوة لكن لما زادوا على الدين ما ليس منه خرجوا من الدين ،

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٧ .

(٢) البخاري فضائل القرآن (٤٧٧١) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٦٠/٣) .

وسموا بالخوارج أيضًا لأنهم خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخرجوا أيضًا عن رسم العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى فكذلك كل من تأسى بهم فهو منهم ممن جاء بعدهم إلى أن تقوم الساعة ؛ لأن الخوارج يتكرر وجودهم في التاريخ وهذا مذهب يكون عليه طوائف من الناس لا تزال ، وهو مذهب باطل بسبب الغلو والتشدد الذي ما أنزل الله به من سلطان ، وحتى الاجتهاد في النوافل على غير الطريق الذي كان عليه الرسول يعتبر غلوا ، فقد جاء ثلاثة نفر إلى بيوت النبي يسألون عن عبادته وقيامه في الليل فلما أخبرهم أزواج النبي ورضي الله عنهن لما أخبرنهم بصلاة النبي في الليل وصيامه كأنهم تقالوا هذا ، لكنهم أجابوا عن فعل الرسول بأنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قالوا : فنحن لسنا مثله ، فهو بزعمهم لم يكثر من الصلاة لأنه مغفور له ونحن لسنا مثله فنحن بحاجة إلى أن نجتهد أكثر ، فلما جاء النبي وذكر له ذلك تغير وأنكر عليهم وقال : ﴿ أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأتقاكم لله ، وإني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء وآكل اللحم ، ومن رغب عن سنتي فليس مني ﴾ [(١)] يعني من لم تقنعه سنتي فأنا بريء منه ، فقوله : ﴿ ليس مني ﴾ أي بريء منه ، دل على هذا أن الخير كله في الاستقامة على سنة الرسول ﷺ والالتزام بشرع الله ﷻ كذلك النبي ﷺ في حجة الوداع لما أفاض من مزدلفة إلى منى أمر أحد الصحابة أن يلتقط له حصى الجمار فجاءه بحصى مثل حصى الخذف أي الذي يقذف به على رؤوس الأصابع أكبر من الحمص بقليل فجعل النبي ينفضه ويقول : ﴿ أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ [(٢)] يعني : لا يجيء واحد يقول هذه الحصى صغار ويأخذ حصى كبارًا هذا غلو لا يجوز فالحصى التي رمى بها النبي هي المشروعة وفيها الكفاية فلا يجيء واحد بحصى كبار ويقول : هذه زيادة

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٣/٢٨٥) .

(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .

خير نقول له : قف عند حدك هذه سنة الرسول أبي القاسم ﴿ من رغب عن سنتي فليس مني ﴾ [(١)] ولا يجوز العكس فيأتي واحد ويقول : أنا آخذ حصى صغارًا أقل مما جاء في الحديث نقول له : لا ، هذا تساهل لا يجوز فلا بد من السير على خطة الرسول قال رسول الله ﷺ : ﴿ تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ﴾ [(٢)] فالاستقامة هي العمل بسنة الرسول ﷺ لا يأتي واحد يقول : سنة الرسول فيها تشدد ويدعو إلى التساهل ويقول : الدين يسر ، نعم الدين يسر ، ولكن اليسر هو ما شرعه الله ورسوله وليس اليسر أن نترك الأوامر والنواهي ونقول الالتزام بالدين تشديد هذا ليس تشديدا هذا هو الدين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [(٣)] أو يأتي واحد يقول : هذا قليل أنا أزيد زيادة خير ، نقول له : قف عند حدك هذه سنة الرسول لا زيادة ولا نقص ، الناقص جاف والزائد غال ، والاعتدال هو لزوم سنة الرسول وفيها السهولة والحمد لله ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [(٤)] .

وقال : ﴿ هلك المتنطعون قالها ثلاثًا ﴾ [(٥)] من هم المتنطعون هم المتشددون الذين يرون أن السير على ما شرعه الرسول لا يكفي ولا بد من الاجتهاد والإكثار من العبادة أكثر مما شرعه الرسول ، إن هذا هو التنطع الذي يهلك صاحبة وبه هلك المتنطعون من قبل وقالها ثلاثا عليه الصلاة والسلام من أجل التحذير من التشدد في الدين والغلو في الدين فالاستقامة إذن عرفنا أنا السير على الطريق المعتدل وهو ما شرعه الله تعالى وشرعه رسوله التزام ذلك من غير إفراط ولا تفريط وقد ذكر الله في هذه الآيات التي سمعتم وذكر النبي ﷺ في الأحاديث التي سمعتم الحث على الاستقامة والأمر با وذكر جزاء أهل

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٣/٢٨٥) .
(٢) ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (٤/١٢٦) .
(٣) سورة التوبة آية : ٣٦ .
(٤) سورة الحج آية : ٧٨ .
(٥) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (١/٣٨٦) .

الاستقامة ، قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [(١)] قالوا ربنا الله نطقوا بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم استقاموا على هذا فعملوا بمقتضى الشهادتين ، أخلصوا العبادة لله ﷻ ولم يشركوا بالله شيئًا ولم يقصروا في عبادة الله ولم يتكاسلوا عن طاعة الله أدوا الفرائض وأيضًا اجتهدوا في النوافل في العبادات على ما رسم الرسول ﷺ وكذلك حققوا شهادة أن محمدًا رسول الله فاتبعوا ما شرع وتجنبوا البدع والخرافات والمحدثات ولزموا سنة الرسول عملًا بقوله ﷺ : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [(٢)] وفي رواية : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [(٣)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا با وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴾ [(٤)] .

عاقبة أهل الاستقامة عند الموت وفي الآخرة

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتا وكل بدعة ضلالة ﴾ [(٥)] فإنم لما قالوا ربنا الله فهذا معناه الإعلان بالشهادة لله بالوحدانية وأنم لا يعبدون إلا الله سبحانه وتعالى وكذلك إعلان لمتابعة الرسول ﷺ فلما أعلنوا ذلك ونطقوا به بألسنتهم فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

(٤) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٥) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣٧١/٣) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .

رسول الله واتبعوا ذلك بالعمل لأنه لا يكفي مجرد النطق بأن يقولوا ربنا الله فقط من دون عمل بل لا بد أن يتبعوا ذلك بالعمل ، أما القول بلا عمل فلا ينفع والذي يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ولكنه لا يتبع ذلك بالعمل فلا يعبد الله ﷻ أو يعبد غيره أو يقول : أشهد أن محمدا رسول الله ولكن لا يطيعه وإنما يطيع هواه ، ويطيع آباءه وأجداده ، ويطيع المخرفين والمشعوذين والدجالين ويطيع ما وجد عليه الناس ولو كان مخالفا لهدي الرسول فهذا لم يستقم ، فقول : ربنا الله يحتاج إلى تحقيق ويحتاج إلى عمل وإلى صدق ويحتاج إلى إخلاص ، فمن قال : ربنا الله ، فلا بد أن يستقيم على طاعة الله بالقول والعمل والإخلاص والصدق واليقين ، والذين فعلوا ذلك ما هو جزاؤهم : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (1) ملائكة الرحمة تتنزل عليهم عند الموت تبشرهم ؛ لأن الإنسان يخاف عند الموت وخصوصًا الكافر والمنافق إذا عاين الموت فإن الملائكة تتنزل عليهم في هذه اللحظة ، في لحظة الموت فتطمئنهم وتقول لهم : لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه لأنكم قادمون على رب رحيم وعلى جنات النعيم ، ولا تحزنوا على ما تركتم من الأولاد والزوجات الذين تخافون عليهم الضياع ولا تخافوا عليهم ، ولا تحزنوا على فراق الدنيا فراق الأولاد والأهل فنحن نخلفكم فيهم ، وتبشرهم بالجنة عند سكرات الموت عند ذلك يحبون لقاء الله ، فالمؤمن إذا بشر بلقاء الله أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، والكافر والمنافق إذا بشر بالنار كره لقاء الله فكره الله لقاءه . ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (2) كانوا مع المؤمنين يعينوهم على طاعة الله ويحفظونهم بأمر الله ؛ لأن المؤمن موكل به ملائكة ، وكل إنسان موكل به ملائكة ولكن المؤمن يكون معه ملائكة يحفظونه ويسددونه ويأمرونه بالخير وينهونه عن الشر . ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (3) نحن معكم في الآخرة لا تخافوا من أهوال الآخرة نحن معكم ونسير معكم ونحن معكم في الجنة كما قال

---

(1) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(2) سورة فصلت آية : ٣١ .

(3) سورة البقرة آية : ٢٠١ .

تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [1] ، هذه عاقبة أهل الاستقامة عند الموت وفي الآخرة . ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ ﴾ [2] أي ما تطلبون ، كل ما طلبتم في الجنة فهو موجود موفر وهذا بخلاف الدنيا ؛ لأن الإنسان قد يطلب أشياء ولا يحصل عليها ، قد يتمنى أشياء ولكن لا يحصل عليها ، والجنة دار السرور ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ [3] اا ل الضيافة ، والله أعد الجنة ضيافة لأهل الاستقامة وهذا اا ل ﴿ مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ [4] ما ظنكم بضيافة الغفور الرحيم ماذا تكون ؟ لا يعلمها إلا الله .

عظم مقام الاستقامة في الدين

فالحاصل أن الاستقامة مقامها في الدين عظيم ومن غير تشدد ومن غير تساهل وتفريط وجفاء وعدم مبالاة ، وإذا حاول الإنسان الاستقامة وحرص عليها وقصدها وحصل منه خلل فإنه يستغفر الله ﷻ ويكثر من الاستغفار ؛ لأن الإنسان ليس معصوما ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾ [5] .

فالذي يرى أنه قد أتى بالواجب وأنه وفى الحق الذي عليه لربه فهذا تزكية للنفس .

فالإنسان يعتبر نفسه مقصرًا دائمًا في حق الله سبحانه وتعالى فيستغفر الله ، ولهذا يقول سيد الخلق محمد ﷺ مع اجتهاده في العبادة التي لا يماثله أحد من الخلق فيها عليه

---

(١) سورة الرعد الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .
(٢) سورة فصلت آية : ٣١ .
(٣) سورة فصلت آية : ٣٢ .
(٤) سورة فصلت آية : ٣٢ .
(٥) سورة النجم آية : ٣٢ .

الصلاة والسلام ومع هذا يعتذر إلى ربه ويقول : ﴿ لا أحصي ثناء عليك ﴾ [1] ؛ لأنك مهما عبدت الله واجتهدت فإن نعم الله وفضله عليك أكثر ولكن الله جل وعلا عفو غفور .

فلو صليت الليل والنهار وصمت الدهر كله وأنفقت الأموال الكثيرة وعملت ما عملت فإنك لن تستكمل الدين كله ، الدين أكثر وأكثر ، ولكن الله سبحانه وتعالى إذا عملت ما تستطيع عفا الله عنك ما لا تستطيع ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [2] .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وأسأله أن يرزقني وإياكم الاستقامة على دينه والسلامة من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) مسلم الصلاة (٤٨٦) ، الترمذي الدعوات (٣٤٩٣) ، النسائي التطبيق (١١٣٠) ، أبو داود الصلاة (٨٧٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٤١) ، أحمد (٦/٥٨) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٧) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

الأسئلة

من جمع مالا لتوسعة مسجد معين فدفع المال إلى مسجد آخر أشد حاجة

س١ : فضيلة الشيخ لقد جمعت مبلغًا من المال لتوسعة مسجد ولم يكف هذا المبلغ بل بقي خمسة أضعاف ما عندي ولم أجد غير هذا المبلغ الذي عندي وسؤالي هل يجوز لي أن أدفع إلى مسجد آخر هو أشد حاجة من مسجدنا ؟

ج١ : لا بأس بذلك أنت مخير بين أمرين إما أن تنتظر وتحتفظ بهذا المبلغ لعل المحسنين أن يساعدوا ويكملوا هذا المبلغ بعد عرض المسألة عليهم حتى يغطي المبلغ المسجد الذي تريد عمارته ، والأمر الثاني أن تدفعها في مسجد آخر ويحصل المقصود إن شاء الله .

تأجير محلات الذهب مع العلم بأنا تتعامل معاملات ربوية غير شرعية

س٢ : هل يجوز تأجير محلات الذهب مع العلم بأنا تتعامل معاملات ربوية غير شرعية ؟ أفتوني مأجورين .

ج٢ : الأصل في التعامل بالذهب أنه جائز ليس محرمًا وكون بعض الناس يخطئون أو يرابون أو يتعاملون معاملات محرمة هذا خلاف الأصل فيجوز التأجير ؛ لأن أصل العمل جائز إلا إذا علمت عن شخص أنه يرابي فلا تؤجره ، أما إذا لم تعلم عنه شيئًا فأجره ؛ لأن الأصل الجواز .

شرح حديث أول ما خلق الله القلم

س٣ : فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته في كتاب التوحيد الذي كنت شرحتموه أن أول ما خلق الله القلم ولم توضحوا معه الأولية فما معناها وهل هناك تعارض مع القول بأن الحوادث لا أول لها ؟ جزاكم الله خيرًا .

ج٣ : حديث : ﴿ أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ﴾ [(١)] الحديث ، تكلم أهل العلم عن الحديث بعضهم يرى أن القلم هو أول المخلوقات كما في هذا الحديث بعضهم يرى أن العرش هو أول المخلوقات ؛ لأن في الحديث الآخر أن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ودل ذلك على أن العرش كان موجودا قبل الكتابة بالقلم ، وهذا هو الصحيح أن العرش هو أول المخلوقات المشاهدة الموجودة وأن القلم بعده ، ولهذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في النونية :

والنـاس مختلفـون في القلـم الـذي	**كتـب القـضاء بـه مـن الـديان**
هل كان قبل العـرش أو هـو بعـده	**قـولان عنـد أبي العـلاء الهمـذاني**
والحق أن العـرش كـان قبـل لأنـه	**وقـت الكتابـة كـان ذا أركـان**

يشير إلى قوله ﷺ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [(٢)] . وأما حوادث لا أول لها فهذا التعبير غير سليم ، والصحيح أن يقال أفعال الله جل وعلا لا أول لها ؛ لأن أفعاله صفة من صفاته سبحانه وتعالى ، فهو لا يزال يخلق ويرزق ويدبر وهو سبحانه وتعالى أول آخر ظاهر باطن ليس لأوليته سبحانه وتعالى بداية ولا لآخريته سبحانه نهاية فهو يفعل ما يشاء فأفعاله أزلية بأزليته سبحانه وتعالى ، أما المخلوقات فهي تتجدد وتحدث بعد أن لم تكن والسماوات ما كانت موجودة ثم وجدت والعرش ما كان موجودا ثم وجد والقلم ما كان موجودا ثم وجد ، فالمخلوقات تتجدد وتحدث شيئًا فشيئًا أما أفعال الله سبحانه وتعالى فإنها لا أول لها ، هذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية أن أفعال الله لا بداية لها كما أن الله سبحانه لا بداية له فأفعاله سابقة أزلية بقدمه سبحانه وتعالى .

---

(١) الترمذي القدر (٢١٥٥) .

(٢) سورة هود آية : ٧ .

من يقول بعض الصحابة كان لديه نقص عملي

س٤ : ما تقول يا فضيلة الشيخ فيمن يقول إن بعض الصحابة كان لديه نقص عملي أرجو التوضيح ؟

ج٤ : ن ه الصحابة عن هذا الكلام ، صحابة الرسول لا يجوز الكلام فيهم ولا الطعن فيهم ولا تنقصهم ؛ لأن النبي ﷺ قال : ﴿ لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [(١)] . فيجب احترام الصحابة وعدم الكلام فيهم ولا داعي لمثل هذا الكلام لأنه فتح باب لتنقص الصحابة رضي الله عنهم .

هجر من ظهر منه بدعة من التشدد والغلو

س٥ : هل يعتبر هجر من ظهر منه بدعة من التشدد والغلو أم لا ؟

ج٥ : هذا فيه تفصيل الذي حصل منه بدعة أو معصية من المعاصي يجب مناصحته بالحكمة والموعظة الحسنة والطريقة اللبقة ، الطريقة التي تعبر عن الأخوة وعن الشفقة وعن الرحمة فإذا لم يمتثل وأصر على الابتداع أو العمل أو البدعة فإنه يهجر بعد ذلك لأنه زال عذره لأنه إذا نصح وبين له ولم يقبل زال عذره عند ذلك ، وهجر المبتدعة من هدي السلف الصالح ، وكانوا يوصون بالابتعاد عن المبتدعة من أجل أن يحاصروا شرهم وهذا يعتبر مثل الحجر الصحي لكنه حجر صحي في الدين ، فالمبتدع فيه مرض وبائي والذي فيه مرض وبائي يحجر عليه حيث إنه يجعل في مكان لائق يعالج فيه ولكنه لا يختلط بالناس لئلا يؤثر على صحتهم والعدوى بيد الله وبإذنه لكن الله أمر باتخاذ الأسباب الواقية فالمبتدع فيه مرض ديني وبائي فيجب أن يهجر بحيث لا تنتشر عدواه إلى غيره ولأجل أن

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) ، أحمد (٥٥/٣) .

يرتدع ولأجل أن يحذره الناس فلا ينتشر شره على الناس وكل هذا بعد المناصحة وإقامة الحجة ، نعم .

الفرق بين التورع والغلو

س٦ : فضيلة الشيخ ما الفرق بين التورع والغلو وشكرًا ؟

ج٦ : التورع الاحتياط وهذا ليس فيه غلو والنبي ﷺ قال : ﴿ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ﴾ [(١)] ، وقال ﷺ : ﴿ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ﴾ [(٢)] ، فالتورع مشروع ؛ لأنه احتياط للدين ، وأما الغلو فهو ممنوع ومنهي عنه لأنه زيادة في الدين والنبي محمد ﷺ أمر بالاحتياط والتورع ونهى عن الغلو .

الغلو والتشدد في ضوء النصوص الشرعية والعلماء المعتبرين

س٧ : فضيلة الشيخ إن البعض جعلوا الالتزام بالدين هو المقياس الحقيقي للغلو في الدين فكل من التزم بالدين يعدونه متشددًا ، ويرون أن الإنسان الذي لا يحافظ على الصلوات ولا يهتم بسائر أمور الالتزام في الذي يجعلون منه إنسانًا معتدلًا فما هي توجيهاتكم لمثل هذا ؟

ج٧ : نحن أشرنا إلى هذا في كلمتنا وقلنا : إن المتساهلين يعتبرون الدين تشددًا ويرون أن من تمسك بدينه وحافظ على صلاته وحافظ على آداب الإسلام متشدد ، لماذا ؟ لأنهم متساهلون ، فالمتساهل يعتبر المتمسك بالدين متشددًا كالمريض الذي يعتبر العسل علقمًا بسبب المرض الذي فيه ، والذي يبين الغلو والتشدد هو النصوص الشرعية والعلماء المعتبرون لا عرف الناس خصوصًا المتساهلين منهم ، والله أعلم .

---

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٨) ، النسائي الأشربة (٥٧١١) ، أحمد (٢٠٠/١) ، الدارمي البيوع (٢٥٣٢) .

(٢) البخاري الإيمان (٥٢) ، مسلم المساقاة (١٥٩٩) ، الترمذي البيوع (١٢٠٥) ، النسائي البيوع (٤٤٥٣) ، أبو داود البيوع (٣٣٢٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٤) ، أحمد (٢٧٠/٤) ، الدارمي البيوع (٢٥٣١) .

المحاضرة السابعة والعشرون
في الحث على طلب العلم وبيان فضل العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ، وصلى الله عليه وعلى آله وأحبابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليمًا .

أهمية العلم

فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ﴾ [1] .

هذا حديث عظيم بين فيه النبي ﷺ علامة توفيق الله لعبده على الخير أن ذلك بأن يفقهه في دينه .

والفقه معناه الفهم ، فالفقه في الدين معناه الفهم في الدين بأن يفهم الإنسان دينه وما أوجب الله عليه فعله وما أوجب عليه تركه مع العمل بذلك والقيام به علمًا وعملًا وإخلاصًا لله ﷻ فإن هذا هو الفقه في الدين .

فالفقه في اللغة معناه الفهم ، ومعناه في اصطلاح أهل العلم معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية .

وهذا يشمل العلم بأصول الدين وفروعه من معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وما يجب من حقه على عباده ومعرفة الحلال والحرام والواجب والمحرم إلى غير ذلك مما

---

(١) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢١) ، أحمد (٩٣/٤) ، مالك الجامع (١٦٦٧) ، الدارمي المقدمة (٢٢٦) .

جاء في الكتاب والسنة مما شرعه الله لنا وطلب منا معرفته والعمل به ، فإن من وفقه الله لمعرفة ذلك فقد فقهه في الدين وفهمه دينه الذي هو مناط سعادته في الدنيا والآخرة .

فالفقه في الدين هو أجل المطالب وأعظم المقاصد لأنه يؤدي إلى العمل على بصيرة وعلى معرفة فيكون الإنسان عالمًا عاملًا مخلصًا لله ﷻ في علمه وعمله ، وهذا هو الذي بعث الله به رسوله ﷺ فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق فقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [(١)] .

فالهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح .

أقسام الفقه

والفقه في اصطلاح أهل العلم ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يسمى بالفقه الأكبر وهو معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وما يجب له من العبادة والإخلاص ، وما يـ ه عنه من العيوب والنقائص .

والقسم الثاني : هو الفقه في أحكام العبادات والمعاملات والجنايات والأنكحة وغير ذلك وهذا يعتبر مكملًا للقسم الأول وتابعًا له .

أقسام العلم الواجب

ومن العلم ما هو واجب وجوبًا عينيا على كل مسلم أن يعرفه ولا يعذر أحد بجهله وهو معرفة ما لا يستقيم دين العبد إلا به من أحكام عقيدته وأحكام صلاته وزكاته وصومه وحجه ، فهذا القسم من العلم أو هذا القدر من العلم واجب على كل مسلم أن يعرفه معرفة تامة ولا يعذر أحد بجهله لأنه لا يمكن أن يستقيم دين الإنسان إلا به .

كيف يعرف ربه ؟ كيف يعرف صلاته ؟ كيف يعرف زكاته ؟ كيف يعرف صيامه ؟ كيف يعرف حجه ؟ فلا يعذر أحد من ذكر أو أنثى حر أو عبد بالجهل بذا النوع من

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٣ .

العلم ؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : اعلم أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل والعمل بن :

الأولى : العلم .

والثانية : العمل به .

والثالثة : الدعوة إليه .

والرابعة : الصبر على الأذى به .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [1] .

هذه هي المسألة الأولى الإيمان ، وأساسه العلم وهو معرفة الحق واعتقاده ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [2] هذه هي المسألة الثانية وهي العمل بالعلم ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ [3] هذه هي المسألة الثالثة وهي الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [4] هذه هي المسألة الرابعة وهي الصبر على الأذى الذي يلحق الإنسان بسبب قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله .

والقسم الثاني من العلم :

ما تحتاجه الأمة ولا بد من وجوده ولكنه لا يتعين على كل مسلم أن يقوم به لأنه قد يعجز عنه كثير من الناس وإنما يقوم به أفراد أو جماعات من الأمة يحصل بم المقصود ، وهذا ما يسمى بفرض الكفاية ، وذلك بقية أبواب العلم من معرفة أحكام المعاملات ما يجوز منها وما لا يجوز ، وما يصح وما لا يصح ، ومعرفة أحكام المواريث والوصايا ، ومعرفة أحكام الأنكحة والطلاق والعدد وما أشبه ذلك ، ومعرفة أحكام الجنايات من

---

(١) سورة العصر الآيات : ١ - ٣ .

(٢) سورة العصر آية : ٣ .

(٣) سورة العصر آية : ٣ .

(٤) سورة العصر آية : ٣ .

الجناية على النفس أو ما دون ذلك وما يترتب على ذلك من القصاص أو الدية وتفاصيل ذلك ليحكم بذلك بين الناس بالحق ، هذا القدر من العلم وهو بحر لا ساحل له لا بد من وجوده في الأمة لأنا بحاجة إليه فإذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وإذا لم يقم به أحد فإن الأمة تأثم كلها حتى تعمل على وجوده وتضمن وجود من يقوم به منها .

هذا هو الفقه في الدين بقسميه الضروري الذي لا يعذر أحد بتركه والكفائي الذي إذا قام به بعض الناس ممن يحصل به المقصود سقط الإثم عن الباقين وبقي بحقهم سنة .

وعلى كل حال فإن طلب العلم أمر مطلوب وواجب من حيث الجملة على كل مسلم لأنه لا حياة للناس إلا بالعلم الذي هو النور الذي يسيرون عليه في حياتهم وبعد مماتهم فمن وفق في ذلك وتفقه في دين الله فإن هذا دليل على أن الله أراد به خيرًا ﴿ من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ﴾ [1] ، ومفهوم الحديث أن من لم يرد الله به خيرًا لم يفقهه في الدين .

العلم حياة للقلوب

وقد شبه النبي ﷺ ما جاء به من الهدى والنور شبهه بالغيث ، والغيث كما تعلمون تحيا به الأرض بعد موتها والعلم كذلك تحيا به القلوب والبصائر ، وحياة القلوب أعظم وأشد حاجة من حياة الأرض بل أشد حاجة من حياة الجسم ، فحياة القلب يحتاجها الإنسان أشد من حاجته لحياة جسمه ؛ لأن حياة قلبه يترتب عليها السعادة في الدنيا والآخرة ، وموت قلبه يترتب عليه الشقاء في الدنيا والآخرة ، أما حياة جسمه فإنها لا يترتب عليها أهمية كبيرة ؛ لأن الإنسان مهما عاش فإنه سيموت ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [2] .

---

(١) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢١) ، أحمد (٩٣/٤) ، مالك الجامع (١٦٦٧) ، الدارمي المقدمة (٢٢٦) .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

ولكن المطلوب حياة قلبه التي يمتد نفعها في الدنيا والآخرة .

وقد ضرب ﷺ مثلًا لما جاء به من العلم النافع بالغيث الذي يصيب الأرض ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

أرض أمسكت الماء وأنبتت الكلأ أي العشب فهي أرض مباركة وأرض طيبة أمسكت الماء للناس يشربون منه ويرتون ويسقون وأنبتت العشب الذي منه تأكل دوابهم والزروع التي يأكلون منها وهذا مثل العلماء الذين حفظوا العلم وتفقهوا فيه واستنبطوا منه الأحكام بأن حفظوا النصوص من الكتاب والسنة وفجروا منها المسائل النافعة المفيدة ، هذا مثلهم كالأرض التي أمسكت الماء فهم أمسكوا النصوص وحفظوا وتفهموا واستخرجوا كنوزها ومعانيها وبينوها .

والقسم الثاني :

أرض أجادب لا تنبت ولكنها تمسك الماء للناس وهذه فيها خير لأنها أمسكت الماء للناس في الخوابي وفي الغدران حتى يشرب الناس منها أو في بطن الأرض حتى يستنبطوا منها الماء لزروعهم وأشجارهم وهذا مثل العلماء الذين يحفظون النصوص ويميزون بين الصحيح منها وغير الصحيح ويردون عنها الزيف والدخيل والكذب وهم الحفاظ الذي شغلوا بالحفظ والرواية وحراسة سنة رسول الله ﷺ من أن يدخلها كذب أو تزييف حتى حفظ الله بهم هذه الشريعة فهؤلاء فيهم خير كثير ولكنهم أقل من الصنف الأول ، وهؤلاء يسمون علماء الرواية والأولون يسمون علماء الرواية والدراية .

والقسم الثالث :

والعياذ بالله أرض قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ يأتيها الغيث وكأنه لم ينزل عليها وهذا مثل من لم يقبل هدى الله الذي جاء به الرسول ﷺ ولم يرفع به رأسًا يسمعون ولكنهم لا يسمعون ولا يحفظون ولا يهتمون وهذا مثل الذين لا عناية لهم بالدين لا بحفظ نصوصه ولا التفقه في معانيه ، وهؤلاء أراد الله بهم شرًا لأنه لو أراد بهم خيرًا لفقههم في الدين .

فليحذر الإنسان أن يكون من هذا الصنف الثالث الذي لا خير فيه ولا رواية ولا دراية ولا حفظًا ولا فقهًا ولا اهتمامًا .

النفور لطلب العلم

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [(١)] ،

وللآية معنيان :

المعنى الأول :

أن الله سبحانه وتعالى يقول لا يمكن أن يسافر الناس كلهم إلى طلب العلم ويتفرغوا لطلب العلم ؛ لأن الناس مختلفون في اتجاهاتهم وحاجاتهم وضروراتهم ولكن مطلوب أن ينفر أي أن يتفرغ ويسافر من كل جماعة طائفة سواء كان واحدًا أو أكثر يتفرغون لطلب العلم ويقومون بكفاية الناس في الفتوى وفي القضاء وفي الدعوة إلى الله ﷻ وفي الإمامة وفي الخطابة تكون مهمتهم الفقه في دين الله حيث وجدوه في أقطار الأرض ، يسافرون إليه ويجلسون لتحصيله حتى إذا أدركوا قسطًا من العلم فإنهم يُعلمونه للناس وينشرونه حتى يتم المقصود منه .

فطلبة العلم عليهم مهمتان :

المهمة الأولى : مهمة التحصيل بحيث يطلبون هذا العلم ويسافرون إليه حتى ولو كلفهم ذلك المشقة والتعب ؛ لأن هذا في سبيل الله .

المهمة الثانية : تبدأ من حين انتهاء التحصيل وهي مهمة نشر هذا العلم والدعوة إليه وتعليم الناس كما قال تعالى ﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾ [(٢)] .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

المعنى الثاني للآية :

من العلماء من يقول : معنى الآية أن الله سبحانه وتعالى بين أن لا يمكن للناس أن ينفروا للجهاد كافة أي جميعهم وأنهم لا يستطيعون ذلك لأنهم بحاجة إلى نواحي أخرى غير الجهاد **فينقسمون إلى قسمين :**

قسم ينفر للجهاد وهم من فيهم اللياقة للجهاد والشجاعة والقوة والسياسة الحربية فهؤلاء ينفرون للجهاد .

والقسم الثاني يتفرغ لطلب العلم يجلس في البلد أو يسافر إلى بلد آخر لطلب العلم والناس يحتاجون إلى مجاهدين وإلى طلبة علم ، لا بد للناس من هذين الحالين : الجهاد لإعلاء كلمة الله وصد العدوان ونشر الدين والعلم للقيام بما أوجب الله سبحانه وتعالى ، فإذا رجع المجاهدون فإن طلبة العلم يبلغونهم ما حصلوا في غيابهم فيحصل بذلك التعاون على البر والتقوى وتقوم مصالح العباد . والمعنيان صحيحان في تفسير الآية سواء أريد النفور في طلب العلم أو أريد النفور والجهاد .

فضل العلماء

الله سبحانه وتعالى أثنى في كتابه الكريم على العلماء ، والنبي ﷺ في سنته أثنى على العلماء العاملين ثناء كثيرًا كفى به لهم شرفًا وميزة ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [1] .

فذكر شهادة أهل العلم مع شهادته وشهادة ملائكته على أجل مشهود به وهو التوحيد فدل على فضل أهل العلم .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا ﴾ [2] .

فالله جل وعلا نفى التسوية بين الجهال والعلماء لعظم الفرق بينهم .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٢) سورة الزمر آية : ٩ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [1] .

فأخبر أن العلماء هم أهل الخشية لله ؛ لأن العلم يُعَرف بالله ويبين عظمة الله ويبين أسماءه وصفاته ويبين جزاءه وعقابه ويبين أشياء عظيمة ، وهذا يكسب العبد خشية الله عز وجل ؛ لأن من كان بالله أعرف كان منه أخوف ، فالجاهل يكون أقل خشية وإن كان عابدًا ورعًا لكنه بسبب جهله بالله يكون أقل خشية لجهله بالله .

علماء الشريعة هم أهل الخشية

والمراد هنا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [2] هم علماء الشريعة لأنهم هم الذين يعرفون الله حق معرفته ويعرفون عظمته وجلاله سبحانه وتعالى ويقدرونه حق قدره .

أما ما يفعله الناس اليوم من إطلاق لفظ العلماء على علماء الصناعة والاختراع والطب والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم فهذا من تغيير الحقائق حتى أصبح لفظ العلماء يطلق على كفار الأمريكان والروس ، وهؤلاء ليسوا علماء ؛ لأنهم لا يفيدهم علمهم خشية الله وإنما يفيدهم علمهم التكبر في الأرض والإعجاب بأنفسهم والتسلط على الناس بغير حق ، كيف يكونون يخشون الله وهم يجهلونه ﷻ ومنهم من ينكر وجود الله ﷻ كالشيوعيين مثلًا ، كيف يكونون هؤلاء أهل خشية لله وهم أجهل الناس به ، نعم علماء الصناعة علماء وعلماء الاختراع علماء وعلماء الطب علماء إذا كان عندهم علم شرعي فقد يخشون الله ، أما إذا كانوا لا يعلمون شيئًا عن الشريعة وإنما يعرفون الأمور الدنيوية فهؤلاء ليسوا علماء هؤلاء جهال ضلال أكثرهم كفار وأكثرهم أعداء لله ورسله وللإسلام .

---

(١) سورة فاطر آية : ٢٨ .

(٢) سورة فاطر آية : ٢٨ .

ولفظ العلماء لفظ جليل ولفظ شريف لا يجوز إطلاقه على هؤلاء ، لكن نقول هؤلاء صناع ، هؤلاء مخترعون فقط أو نقول علماء صناعة ، علماء اختراع أي نضيف علمهم إلى تخصصهم فقط ، أما هذه الكلمة العظيمة فإنها لا تطلق إلا على ورثة الأنبياء ، وإنما هم في الغالب ورثة الطواغيت ورثة المستكبرين في الأرض إلا من هدى الله منهم وجمع بين علم الشريعة وعلم الصناعة ، هذا يجب أن ننتبه له وأن نحذر من هذا الإطلاق ؛ لأن الواقع أنهم ما زادهم علمهم إلا تكبرًا في الأرض وتجبرًا على الناس وإعجابًا بأنفسهم ، بخلاف علماء الشريعة فإنهم هم أهل التواضع والبصيرة ، وهم الذين يعرفون الله سبحانه وتعالى حق معرفته ، هم أهل خشيته ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ (١) .

فالله جل وعلا يرفع أهل العلم والإيمان على غيرهم درجات لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى بحسب إيمانهم وبحسب عملهم .

الحث على طلب العلم وبيان فضله

عن أبي الدرداء ﵁ أن النبي ﷺ قال : ﴿ من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله طريقه إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ﴾ (٢) فهذا الحديث فيه فضل طلب العلم وبذل الأسباب لتحصيله من الاجتماع لتدارسه والجلوس لتعلمه وسلوك الطريق للحصول عليه وهو يشمل على سلوك الطريق الحسي من المشي إليه حيث يوجد والسفر من أجله وبذل كل سبب لنيله فإنه لا يحصل عفوًا بدون

(١) سورة المجادلة آية : ١١ .

(٢) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢/٢٥٢) ، الدارمي المقدمة (٣٤٤) .

مشقة واستفراغ وقت وراحة ، ومن طلب العلا سهر الليالي ، وهناك الطريق المعنوي وهو تفريغ الإنسان لطلب العلم ، وكذلك حفظه للمتون ، وعنايته بالنصوص ، وجلوسه في فصول الدراسة أو حلقات التدريس في المساجد ، وشراؤه للكتب أو استنساخه لها أو كتابته لها بيده ، هذا طريق معنوي إلى العلم فأنت حينما تشتري الكتب بنية صالحة فأنت تسير لطلب العلم ، أو حينما تجلس في الحلقة فأنت تسلك طريقًا إلى العلم ، وهذا الطريق يؤدي إلى الجنة ؛ لأن العلم النافع يؤدي إلى الجنة لقوله عليه السلام : ﴿ سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ﴾ (1) ، و ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ﴾ (2) تقديرًا له فإذا كانت الملائكة تتواضع لطالب العلم رضا بما يصنع فإن غيرهم من باب أولى يجب أن يحترم أهل العلم وأن يوقرهم وأن يجلهم ؛ لأنم يشتغلون بشيء هو أعز شيء يطلب ويبتغى فقد قال النبي : ﴿ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ﴾ (3) .

ووجه التمثيل هنا أن القمر ينير لنفسه وينير لغيره ، نوره يتعدى إلى الأرض وإلى الدنيا فيستنير الناس به كذلك العالم يمتد علمه على غيره وينتفع به الناس ممن حوله ومن بعد عنه في أقطار الأرض كلهم ينتفعون بعلمه حتى لو مات من مئات السنين فعلمه باق ينتفع ولو كان تحت التراب فلا يزال الناس يذكرون أهل العلم والأئمة وينتفعون بعلمهم وهم أموات من مئات السنين ويدعون لهم ويترحمون عليهم ، فهم مثل القمر ينير لنفسه وينير لغيره ، بخلاف العابد فالعبادة نور لكنه نور قاصر على صاحبه ، فالعابد نفعه خاص بنفسه وضوءه كضوء الكوكب خاص والناس يستضيئون بالقمر وليس بالكواكب فهذا وجه تمثيل النبي ﷺ بالقمر والعابد بالكواكب وإن كان النبي ﷺ في حديث آخر شبه العلماء بالنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فالعلماء من ناحية ثانية هم كالنجوم أيضًا لأنم

---

(1) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢/٢٥٢) ، الدارمي المقدمة (٣٤٤) .

(2) الترمذي الدعوات (٣٥٣٥) ، النسائي الطهارة (١٥٨) ، أحمد (٤/٢٣٩) .

(3) الترمذي العلم (٢٦٨٢) ، أبو داود العلم (٣٦٤١) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٣) ، أحمد (٥/١٩٦) .

أدلة على الحق ، والمسافرون في البر والبحر إنما يقتدون بالنجوم قال تعالى : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(١)] .

وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾ [(٢)] .

فالعلماء نجوم من حيث إن أهل الأرض يسيرون على هداهم ويقتدون بهم في حياتهم العلمية كما يهتدي المسافرون بالنجوم التي في السماء ، وهم كالقمر من حيث إن ضوءهم عظيم يمتد إلى أقطار الدنيا - وأما قوله ﷺ : ﴿ وإن العلماء ورثة الأنبياء ﴾ [(٣)] فكفى بذلك فخرًا أنهم هم ورثة الأنبياء ، وإنما ورثوا الأغنياء وربما يورث المال عن كافر وقد يورث عن تقي مؤمن لكن المال نفعه قاصر بخلاف العلم ، فالعلم الشرعي لا يمكن أن يورث إلا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقال ﷺ : ﴿ إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ﴾ [(٤)] ما جاؤوا من أجل طلب الدنيا ؛ لأن هذا عرض عاجل وهم أجل قدرًا من أن تكون مهمتهم طمع الدنيا الزائل ، وإنما مهمتهم أعلى من ذلك وهي الدلالة على الله سبحانه وتعالى وعلى جنته وعلى صراطه المستقيم ، فالعلماء ورثة الأنبياء وفي هذا شرف لهم وفخر لهم .

قد مر أبو هريرة رضي الله تعالى عنه على الناس وهم يتبايعون ويتاجرون في الأسواق فقال لهم : أنتم هاهنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فانجفل الناس بسرعة إلى المسجد يريدون الأخذ من الميراث ، فلما دخلوا ما وجدوا شيئًا يقسم وإنما وجدوا هذا يدرس القرآن وهذا يدرس الفقه وهذا يدرس السنة ، فقالوا : يا أبا هريرة ما وجدنا شيئًا يقسم ، قال : ماذا وجدتم ؟ قالوا : وجدنا هذا يدرس القرآن وهذا يدرس الفقه ، قال : ويحكم هذا ميراث رسول الله ﷺ فإن الأنبياء إنما ورثوا العلم .

(١) سورة النحل آية : ١٦ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٩٧ .
(٣) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .
(٤) الترمذي العلم (٢٦٨٢) ، أبو داود العلم (٣٦٤١) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٣) ، أحمد (١٩٦/٥) .

هذا هو الميراث الصحيح الذي يبقى ويستمر نفعه بخلاف الدنيا والأموال وإن كانت تنفع لكن نفعها محدود قليل وينقطع إلا من جعل الدنيا مطية له للآخرة واستعان بها على طاعة الله فهذا خير لكن هؤلاء قليلون ، والغالب على أهل الدنيا أنهم يشتغلون بدنياهم وتقل رغبتهم في الآخرة أو ينصرفون عنها لدنياهم ، لكن أهل العلم في الحقيقة هم الفائزون ، لذلك قال الرسول ﷺ : ﴿ فمن أخذه أخذ بحظ وافر ﴾ [1] ولو لم يكن معه من الدنيا ولا قطمير لأنه أخذ بخير الدنيا والآخرة ، والناس إنما ينتفعون بالعلم ومعرفة الله سبحانه وتعالى ، والناس يقدرون العالم أكثر مما يقدرون صاحب الدنيا ، هذا شيء جعله الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس فتجد الناس يجلون العالم أكثر مما يجلون الملك أو الوزير أو التاجر يجلونه عن حق وعن صدق وعن شيء يجدونه في نفوسهم .

أما إجلالهم لأصحاب الدنيا فالغالب لأنه مجاملة أو طمع وربما يجلونهم في الظاهر وهم يبغضونهم في الباطن ولكن العالم الحقيقي وهو العالم العامل بعلمه هذا يجله الناس عن طوع واختيار وعن صدق : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [2] .

فهذه النصوص من الكتاب والسنة وغيرها كثير وكثير وتدل على فضل العلم وشرفه وفضل التفقه في دين الله ﷻ ومن أراد المزيد من ذلك فأنا أرشده إلى كتاب (مفتاح دار السعادة) للعلامة ابن القيم ، فقد ذكر في أول الجزء الأول منه ما يزيد عن مائة وخمسين وجهًا في فضل العلم وأهله بأدلتها بل إنه استغرق في ذلك أكثر من مائتي صفحة وكذلك رسالة للإمام الحافظ ابن رجب في شرح حديث أبي الدرداء الذي سمعتم طرفًا منه ﴿ من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ﴾ [3] كتب عليه رسالة مستقلة فيها فوائد عظيمة .

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٨٢) ، أبو داود العلم (٣٦٤١) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٣) ، أحمد (١٩٦/٥) .
(٢) سورة مريم آية : ٩٦ .
(٣) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .

المقصود من العلم

العلم ليس مقصودًا لذاته وإنما يقصد من أجل العمل لأنه وسيلة إلى العمل وخشية الله سبحانه وتعالى هذا هو المقصود بالعلم .

فالعلم نوعان :

علم على اللسان فقط ، وهذا حجة الله على عباده بمعنى أن الإنسان يكون عالمًا بلسانه يحفظ النصوص فيحفظ المتون ويحفظ الكثير والكثير لكنه لا يعمل بعلمه ولا يخشى الله بقلبه فهذا عالم بلسانه فقط قامت عليه الحجة من الله سبحانه وتعالى .

والعلم الثاني علم القلب ، وهو خشية الله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾ [1] .

هذا هو العلم النافع الذي يستفيد منه صاحبه خشية الله سبحانه وتعالى والعمل بطاعته وترك معاصيه ويفيد محبة الله ﷿ والرغبة إليه .

قبض العلم في آخر الزمان

في آخر الزمان يرفع هذا العلم كما جاء في الأحاديث أن ذلك من علامات الساعة وأول شيء يرفع العلم الذي في القلوب فلا تجد من يخشى الله إلا القليل وإن كانوا علماء فإنه يرفع العلم من قلوبم ويبقي العلم على ألسنتهم لا نقول يرفع بكامله ؛ لأن الخير موجود في هذه الأمة والحمد لله ولا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ، لكن يرفع العلم من قلوب أكثر الناس ولذلك تقل خشية الله ﷿ في قلوب الناس في آخر الزمان .

ثم يرفع النوع الثاني من العلم وهو العلم الذي على الألسن فينقرض العلماء ويقل الفقهاء ويكثر الجهال ، قال النبي ﷺ : « إن الله لا ي ع هذا العلم انتزاعًا من صدور

(١) سورة فاطر آية : ٢٨ .

الرجال ، ولكن يقبض العلم بموت العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ﴾ [1] .

كيفية قبض العلم

يقبض العلم ثلاث مرات :

القبض الأول :

يقبض من الصدور ويبقى على الألسن وذلك حينما تقبض خشية الله من قلوب العلماء .

والقبض الثاني :

يقبض بموت العلماء فلا يبقى هناك حافظ لهذا العلم وإن كانوا يهتمون بأمور الدنيا ومصالح الدنيا ومنافع الدنيا لكن يقل من يتفرغ لطلب العلم الشرعي من الناس فيقل العلماء ويكثر القراء الذين يقرأون الكتب ويكثرون من اقتناء الكتب في بيوتهم وفي مكاتبهم لكن الفقه الصحيح يكون قليلًا ؛ لأن الفقه له طرق وهو مجالسة العلماء والأخذ عنهم وهذا يقل في آخر الزمان فيكثر القراء ويقل الفقهاء وهذه مصيبة عظيمة وهؤلاء القراء قد يكونون يفتون الناس من غير فقه وعلى غير بصيرة لأنهم يظنون أنهم صاروا من العلماء فيخطئون في فتواهم كما قال ﷺ : ﴿ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ﴾ [2] .

القبض الثالث للعلم :

أنه يقبض مصدر العلم وهو القرآن الكريم بحيث يرفع من الأرض ويسرى به من المصاحف ومن صدور الرجال فلا يبقى للقرآن وجود في الأرض .

---

(١) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (١٦٢/٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

(٢) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (١٦٢/٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

فالحاصل أنه لا حياة للناس ولا هداية إلا بطلب العلم ووجود العلماء والعمل بالعلم النافع ، هذا هو الحياة وهذا هو النور وهذا هو الذي يجب العناية به والتوجيه إليه ، فيجب على الآباء وعلى ولاة الأمور وعلى العلماء يجب أن يوجهوا إلى طلب العلم وأن يحرضوا عليه وأن يتعاونوا عليه حتى يبقي لهم الخير ، ولا نقول إن الخير يعدم بالكلية لكن ينتقل فإذا أهملنا نحن فإنه ينتقل إلى غيرنا ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] .

فنخشى أن يسلب هذا الخير منا وأن يذهب إلى غيرنا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يضيع دينه ، إذا أعرض عنه طائفة يسر الله طائفة أخرى تقوم به من أجل بقاء الحق والرحمة في الأرض ، فالذي نخشاه على أنفسنا أننا نضيع ونضيع العلم فنهلك .

نسأل الله العافية والسلامة وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

(١) سورة محمد آية : ٣٨ .

أسئلة وأجوبة

انقطاع طالب العلم عن الناس وعن مجالات الخير

س١ : بعدما ذكرت أهمية طلب العلم والتفرغ له فهل معنى ذلك أن طالب العلم ينقطع عن الناس وعن مجالات الخير الأخرى ؟ أرجو بيان ذلك لأهمية ذلك الإشكال .

ج١ : يجب أن يعطي العلم ما يكفيه من الوقت بحيث يعطيه وقتًا كافيًا وما زاد عن ذلك يصرفه في الأمور الأخرى كالالتقاء بالناس للمصلحة ودعوة الناس إلى الخير وأموره وأعماله الأخرى لكن بالدرجة الأولى يجعل القسم الأكبر من وقته لطلب العلم .

دخول علماء الطب والعلوم والأحياء وغيرهم من المسلمين تحت الآية ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾

س٢ : هل العلماء المسلمون كعلماء الطب والعلوم والأحياء وغير ذلك من العلوم مما تدلهم على زيادة الإيمان بالله وقدرته فهل هؤلاء يدخلون تحت الآية ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [(١)] **أم لا ؟**

ج٢ : عالم الطب وعالم الكيمياء وعالم الاختراع . . . إذا كان معهم علم من الشريعة فإن هذا يزيده خيرًا بلا شك وهذا جمع بين المصلحتين العلم الشرعي والعلم الذي ينفع به مجتمعه أما إذا كان عنده العلوم الدنيوية فقط فهذا لا يستفيد منها إلا المادة ولا تفيده خشية الله ﷻ بل ربما تفيده غفلة عن الله فالعلم الدنيوي لا بد أن يوجه بالعلم الشرعي ليستفاد منه وإلا أصبح ضرارًا .

(١) سورة فاطر آية : ٢٨ .

حث أئمة المساجد ومن له مسؤولية في هذا الأمر بالاجتهاد في نصح إخوانهم

س٣ : نرجو من فضيلتكم أن تحثوا أئمة المساجد ومن له مسؤولية في هذا الأمر بأن يجتهدوا وينصحوا إخوانهم كما قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] ، لأننا نلاحظ في بعضهم نوعًا من التقصير حتى في الصلاة وغير ذلك وجزاكم الله خيرًا .

ج٣ : **أولًا :** لا شك أن أئمة المساجد عليهم مسؤولية يجب عليهم القيام بها ؛ لأن الإمام مؤتمن فيجب عليه أن يحافظ على الصلاة بالجماعة ولا يتخلف عن جماعته ولا يتأخر عنهم ويشق عليهم وإذا رأى أنه لا يتمكن من الحضور فإنه ينيب عنه من يقوم بالواجب .

ثانيًا : ويجب عليه أن يتخولهم بالموعظة ؛ لأن النبي ﷺ كان يتخول أصحابه بالموعظة من حين لآخر وخصوصًا عندما تحصل مناسبة أو تنبيه على خطأ .

ثالثًا : على الإمام أيضًا أن يتفقد المتخلفين عن الصلاة ويعظهم ويذكرهم وإذا استدعى الأمر أن يبلغ عنهم ولاة الأمور للأخذ على أيديهم فالنبي ﷺ كان يتفقد أصحابه وحضورهم للصلاة وكان ينهى عن التأخر ويقول : ﴿ تقدموا فأتموا بي وليأتم بكم من خلفكم ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله ﴾ [2] ، وكان ﷺ يقول : ﴿ لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجالًا معهم حزم من حطب ثم أخالف إلى

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٥ .

(٢) مسلم الصلاة (٤٣٨) ، النسائي الإمامة (٧٩٥) ، أبو داود الصلاة (٦٨٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٧٨) ، أحمد (٣/٣٤) .

قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتم بالنار ﴾ [(1)] ، فهذا دليل على أنه واجب على الإمام أن يتفقد المصلين معه وأن يعاتب المتأخرين وأن يقوم بالواجب نحوهم من باب النصيحة أما أنه يترك المتخلفين ويترك الناس فهذا يكون نقصًا في المسؤولية .

تأخير صلاة الفجر حتى طلوع الشمس

س٤ : سائل يقول : هل يجوز تأخير صلاة الفجر حتى طلوع الشمس مع أنه قد نوى القيام للصلاة ولكنه لم يبذل الأسباب ؟ وجزاكم الله خيرًا .

ج٤ : لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لما يترتب على ذلك من الأضرار :

أولًا : أنه يترتب عليه ترك الجماعة ، وصلاة الجماعة واجبة .

ثانيًا : أنه أخرها عن وقتها وتأخير الصلاة عن وقتها حرام وربما لا تقبل منه ، وهذا تضييع للصلاة ، قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [(2)] ، ومعنى أضاعوا الصلاة أخروها عن وقتها وليس معناه تركوها بالكلية بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [(3)] . فسماهم مصلين وتوعدهم لأنهم ساهون عن صلاتهم بمعنى أنهم يؤخرونها عن مواقيتها .

فالواجب على المسلم أن يقوم وأن يحضر صلاة الفجر ليصلي مع الجماعة ثم يذهب إلى نومه أو إلى أعماله .

---

(1) البخاري الأذان (٦١٨) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١) ، الترمذي الصلاة (٢١٧) ، النسائي الإمامة (٨٤٨) ، أبو داود الصلاة (٥٤٨) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٩١) ، أحمد (٢/٣١٤) ، مالك النداء للصلاة (٢٩٢) ، الدارمي الصلاة (١٢١٢) .

(2) سورة مريم آية : ٥٩ .

(3) سورة الماعون الآيتان : ٤ - ٥ .

قضاء السنن الرواتب لمن فاتته

س٥ : إذا فاتتني السنة الراتبة فهل أقضيها بعد الصلاة ؟

ج٥ : الذي ورد أنه يقضي من الرواتب سنة الفجر إذا فاتت الإنسان فإنه يصليها ولا يتركها ، أما بعد ارتفاع الشمس فهذا أحسن وصلاتا بعد صلاة الفجر فلا بأس في ذلك ؛ لأن النبي ﷺ رأى رجلًا يصلي بعد صلاة الفجر فسأله فقال إنه يصلي راتبة الفجر ولم يتمكن من فعلها قبل الصلاة فأقره النبي ﷺ على ذلك .

وكذلك الرواتب الأخرى إذا قضاها مثل راتبة الظهر التي قبلها إذا قضاها بعد الظهر فهذا أحسن .

الأكل مع الأيتام من مالهم

س٦ : هناك أيتام ويأتيهم مال ونفقة لهم فهل يجوز لوالد أمهم أن يأكل معهم من مالهم سواء في زيارة أو دائما ؟

ج٦ : إذا كان في زيارة فلا بأس أن يأكل معهم في بعض الأوقات أما أن يأكل معهم دائمًا ولا ينفق من ماله فهذا لا يجوز له ، لكن يجوز أن يخلط طعامه ويأكل معهم ، أما أن يعتمد على طعامهم دائمًا فهذا لا يجوز لأنه يوفر ماله ويأكل مال الأيتام قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴾ [١] ومعنى الآية الكريمة أنه لا بأس أن يخلط طعامه مع طعامهم ولا يأكل منفردا لما في ذلك من الحرج .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٠ .

الخروج في سبيل الله بدون علم

س٧ : ماذا تقول لمن يخرجون إلى خارج المملكة للدعوة وهم لم يطلبوا العلم أبدًا ، يحثون على ذلك ويرددون شعارات غريبة ويدعون أن من يخرج في سبيل الله للدعوة سيلهمه الله ، ويدعون أن العلم ليس شرطًا أساسيًا ، وأنت تعلم أن الخارج إلى خارج المملكة سيجد مذاهب وديانات وأسئلة توجه إلى الداعي ، ألا ترى يا فضيلة الشيخ أن الخارج في سبيل الله لا بد أن يكون معه سلاح لكي يواجه الناس وخاصة في شرق آسيا يحاربون مجدد الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ أرجو الإجابة على سؤالي لكي تعم الفائدة .

ج٧ : الخروج في سبيل الله ليس هو الخروج الذي يعنونه الآن ، الخروج في سبيل الله هو الخروج للغزو ، أما ما يسمونه الآن بالخروج فهذا بدعة لم يرد عن السلف ، وخروج الإنسان يدعو إلى الله غير مقيد في أيام معينة بل يدعو إلى الله حسب إمكانيته ومقدرته بدون أن يتقيد بجماعة أو يتقيد بأربعين يومًا أو أقل أو أكثر .

وكذلك مما يجب على الداعية أن يكون ذا علم لا يجوز للإنسان أن يدعو إلى الله وهو جاهل قال تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [(١)] .

أي على علم ؛ لأن الداعية لا بد أن يعرف ما يدعو إليه من واجب ومستحب ومحرم ومكروه ، ويعرف ما هو الشرك والمعصية والكفر والفسوق والعصيان ، يعرف درجات الإنكار وكيفيته .

والخروج الذي يشغل عن طلب العلم عمل باطل ؛ لأن طلب العلم فريضة وهو لا يحصل إلا بالتعلم لا يحصل بالإلهام هذا من خرافات الصوفية الضالة ؛ لأن العمل بدون علم ضلال ، والطمع بحصول العلم بدون تعلم وهم خاطئ .

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

العادة السرية

س٨ : أنا شاب والحمد لله تبت إلى الله تعالى وتركت جميع المعاصي التي كنت أرتكبها وأصبحت شابًا ملتزمًا ولكن هناك مشكلة تعذبني لم أتركها وقد عجزت عنها وهي العادة السرية قد يكون الجواب بأن أتزوج فأنا فكرت في هذا ولكن أهلي لا يوافقوني ويرفضون زواجي مع أنني أستطيع الصرف على الزواج جزاكم الله خيرًا .

ج٨ : الحل بأن تتزوج ما دام أنك تستطيع النفقة على الزواج فتزوج وليس لأهلك الحق بأن يمنعوك من الزواج كما أمر النبي ﷺ في الحديث : ﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ﴾ [(١)] ، فإذا كان عندك القدرة على الزواج من ناحية المال وأنت تريد المحافظة على عرضك فالواجب عليك أن تتزوج ولا يجوز لأحد لا لوالديك أو غيرهما أن يمنعوك ويعترضوا عليك في هذا الأمر .

تعلم الطب والمخترعات الحديثة بقصد إغناء المسلمين

س٩ : ما رأي فضيلتكم فيمن يتعلم من المسلمين الطب والمخترعات الحديثة بقصد إغناء المسلمين عن الحاجة إلى الكفار والمشركين ؟

ج٩ : لا بأس في ذلك ويؤجر عليه لكن بشرط أن يكون قد تعلم من دينه ما يحتاج إليه فلا بد أن يتعلم أولًا أمور الدين الضرورية التي لا يعذر أحد بجهلها ثم يتعلم بعد ذلك أمور الطب وغيرها من العلوم ، أما أن يقبل على أمور الطب والعلوم الأخرى وهو يجهل أمر دينه فهذا لا يجوز .

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٨) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٤٠) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٥) .

عزوف عدد كبير من الناس عن مجالس العلم

س١٠ : فضيلة الشيخ نلاحظ عزوف عدد كبير من الناس عن مجالس العلم المقامة في هذا البلد وعدم التشجيع على هذا الحال من بعض الأهالي ، بل قد يكون هناك تثبيط بدلًا من التشجيع ، رغم قلة هؤلاء إلا أنم يكثرون من التشدق بالقول من الاستهانة بأعراض طلبة العلم محاولة صدهم وتشويه دورهم ودور أهل الخير فما توجيهكم ؟

ج١٠ : نقول الله يهديهم ويدلهم على الخير ، وهذا الأمر لا يجوز ، فلا يجوز للإنسان أن يتساهل في حضور مجالس العلم والسعي إليها لأنه قد يستفيد فائدة تكون سببًا لدخوله الجنة ، قد يسمع كلمة واحدة تكون سببًا لدخوله الجنة ونجاته من النار .

والإعراض عن حضور مجالس العلم فيه خطورة عظيمة وقد ذكر بعض أهل العلم أن الإعراض عن دين الله لا يعلمه ولا يتعلمه ردة عن الإسلام كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [(١)] .

وإن كان إن شاء الله هؤلاء الذين لم يحرصوا على حضور مجالس العلم ليس لعدم رغبة فيها وإنما يكون عن كسل وتاون فهؤلاء قد حرموا أنفسهم من خير كثير .

أما إذا كان عدم الحضور لأنم لا يرون العلم ولا يرون تعلمه فهذا خطر عظيم أو يسخرون من العلم ويسخرون من العلماء فهذا يكون ردة عن الإسلام .

احتواء بعض الأقلام على ريشة خفيفة من ماء الذهب

س١١ : هناك أنواع من الأقلام تحتوي على ريشة خفيفة من ماء الذهب فما حكم استعمالها ؟

ج١١ : لا يجوز استعمال القلم إذا كان فيه شيء من الذهب لا للرجال ولا للنساء مثل الأواني من الذهب أو الأواني التي فيها شيء من الذهب لا يجوز استعمالها لا للرجال

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٣ .

ولا للنساء لنهي النبي ﷺ عن الشراب في آنية الذهب والفضة أو في الآنية التي فيها شيء من ذلك ، والقلم مثلها .

إعطاء العامل مبلغا من المال إكرامية

س١٢ : يقول السائل : لدينا قصر أفراح وفيه طباخون ، وبعض الطباخين يطلب إكرامية بالإضافة إلى راتبه ، فهل يجوز إعطاء العامل مبلغا من المال (إكرامية) حيث إنه تعود أخذ المبلغ من الناس ؟

ج١٢ : إذا كان هناك عامل من العمال له راتب وله أجر مقطوع من صاحب العمل فلا يجوز لأحد أن يعطيه ؛ لأن هذا يفسدهم على الآخرين ؛ لأن بعض الناس فقراء لا يستطيعون إعطاءهم فهذا العمل سنة سيئة .

كتابة اسم الميت على حجر عند القبر أو كتابة آية من القرآن في ذلك

س١٣ : هل يجوز كتابة اسم الميت على حجر عند القبر أو كتابة آية من القرآن في ذلك ؟

ج١٣ : لا يجوز كتابة اسم الميت على حجر عند القبر أو على القبر ؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن ذلك حتى ولو آية من القرآن ولو كلمة واحدة ولو حرف واحد لا يجوز ، أما إذا علم القبر بعلامة غير الكتابة لكي يعرف للزيارة والسلام عليه كأن يخط خطًا أو يضع حجرًا على القبر ليس فيه كتابة من أجل أن يزور القبر ويسلم عليه لا بأس بذلك ، أما الكتابة فلا يجوز ؛ لأن الكتابة وسيلة من وسائل الشرك فقد يأتي جيل من الناس فيما بعد ويقول إن هذا القبر ما كتب عليه إلا لأن صاحبه فيه خير ونفع للناس وبهذا حدثت عبادة القبور .

كيفية التخلص من وسوسة الشيطان

س١٤ : أنا شاب يوسوس لي الشيطان أحيانًا ، ماذا أعمل لرد وسوسته ؟

ج١٤ : وسوسة الشيطان ترد بالاستعاذة بالله من الشيطان وعدم الالتفات إلى وسوسته ، والوسوسة لا تضر ما لم يتكلم الإنسان فعلى المسلم أن يرفضها ويتركها ولا يلتفت إليها وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم .

دخول دورات المياه بالكتب الإسلامية والأشرطة النافعة من القرآن والمحاضرات

س١٥ : هل يجوز دخول دورات المياه بالكتب الإسلامية والأشرطة النافعة من القرآن والمحاضرات ؟

ج١٥ : الأصل كما ذكر أهل العلم لا يجوز دخول الحمام (وهو محل قضاء الحاجة) بشيء فيه ذكر الله ﷻ لا المصحف ولا الأحاديث المكتوبة ولا شيء فيه اسم الله ﷻ إلا إذا خاف عليه من السرقة أو الضياع فلا بأس أن يدخل به للاحتفاظ به وجعله في داخل جيبه أو في مكان مغطى داخل ثيابه ، أما الأشرطة فلم يتبين لي فيها شيء فهي ليست مثل المصحف والكتاب لأنه لا يوجد بها كتابة وإنما هي عبارة عن صوت مخزون .

الفرق بين المني والمذي

س١٦ : ما الفرق بين المني والمذي ؟ الذي أعرف به كل واحد منهما لأنني قد أقوم من النوم وأجد الماء مع أني لم أر في نومي سببًا لخروج ذلك الماء ، وما الحكم الشرعي إذا خرج المذي ؟

ج١٦ : إذا قمت من النوم ووجدت البلل في ثوبك يجب عليك الاغتسال ؛ لأن هذا البلل من الاحتلام فقد تكون احتملت وأنت لا تدري أو لم تشعر به ، إلا إذا سبق نومك تفكير أو ملاعبة للزوجة فإن هذا البلل يعتبر مذيا لا يوجب غسلا .

المحاضرة الثامنة والعشرون
الفقه الأكبر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم بارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بديه وتمسك بسنته وسار على نجه إلى يوم الدين .

أما بعد ،

يقول النبي ﷺ : ﴿ من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ﴾ [1] [2] .

ومعنى هذا أن من علامات إرادة الله سبحانه وتعالى الخير بعبده أن يوفقه للتفقه في دينه ، وأن من لم يوفقه الله في الدين فإنه لم يرد به خيرًا ، وفي هذا دليل على أهمية التفقه في الدين .

والله تعالى حث في كتابه الكريم على التفقه في الدين ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [3] . وذم الله سبحانه وتعالى الذين لا يفقهون قال سبحانه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [5] .

---

(١) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢١) ، أحمد (٩٣/٤) ، مالك الجامع (١٦٦٧) ، الدارمي المقدمة (٢٢٦) .

(٢) رواه البخاري (كتاب العلم) (٧١/١ ص ٤٢) ، ط السلفية ، ورواه مسلم (كتاب الزكاة) (٣ / جزء ص ١٢٣٨ / نووي) كلاهما عن معاوية رضي الله عنه .

(٣) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

(٤) سورة المنافقون آية : ٧ .

(٥) سورة النساء آية : ٧٨ .

فالذي لا يتفقه في دين الله ولا يهتم بذلك ولا يسعى لطلب العلم معناه أنه إنسان محروم من الخير لأنه لا يمكن للإنسان أن يعبد الله سبحانه وتعالى حق عبادته على الوجه الذي يرضاه إلا إذا تفقه في دينه وأدى العبادة على الوجه الذي شرعه الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن للإنسان أن يؤدي العبادة على الوجه المشروع إلا إذا تفقه في دين الله ﷻ والذي يعمل ويعبد الله من غير فقه لا يكون عمله مؤسسا على أساس صحيح ، فقد يكون كله أو أكثره ضلالًا .

من هنا نعرف أهمية التفقه في دين الله سبحانه وتعالى ، وأنه أمر عظيم ، وأنه مطلوب من كل مسلم أن يتفقه في دين الله ولا يبقى على جهل وعلى خطأ ولا يدري كيف يعبد الله ﷻ وكيف يؤدي ما افترضه الله عليه ، وكذلك يحتاج للفقه في دينه في معاملاته ويحتاج إلى الفقه في دينه في علاقته بأهله وأولاده وجيرانه وأقاربه وإخوانه ، يحتاج إلى التفقه في الدين من أجل أن يعطي كل ذي حق حقه ، فالذي لا يتفقه في الدين لا يمكن أن يعطي أصحاب الحقوق حقوقهم على الوجه المطلوب ابتداء من حق الله سبحانه وتعالى ثم حقوق العباد .

أنواع الفقه

والفقه في الدين على نوعين :

النوع الأول : الفقه في العقيدة

المراد بالفقه في العقيدة :

التي هي أساس الدين فلا بد أن يعرف الإنسان ما يصحح عقيدته وما يخل بها وما ينقصها من الأمور الشركية أو البدعية فالتفقه في العقيدة بمعنى أن الإنسان يتعلم عقيدة التوحيد ويتعلم ما يلزم لهذه العقيدة ويتعلم ما يضاد هذه العقيدة أو يخل بها أو ينقصها ، هذا النوع من الفقه هذا هو الأساس ويسمى عند بعض العلماء (بالفقه الأكبر) وذلك بأن يعرف الإنسان ربه ﷻ بأسمائه وصفاته ، ويعرف كيف يعبد الله حق عبادته ؟ ولماذا

خلق هذا الإنسان ؟ وما المطلوب منه نحو ربه سبحانه وتعالى ؟ وما الذي لا يجوز في حق الله سبحانه وتعالى حتى يتجنبه ، هذا النوع من الفقه هو الفقه الأساسي ، وهو أن يعرف أقسام التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات من أجل أن يقوم بكل نوع منها على الوجه المطلوب وكذلك إلى جانب معرفة أنواع التوحيد ومكملاته وحقوقه لا بد أن يعرف ما يضاد التوحيد ويخالفه من عقائد الشرك والبدع والمخالفات حتى يتجنبها وإلا فقد يلتبس عليه الأمر وقد يظن أن الشرك لا بأس به خصوصًا إذا نشأ في بلد أو في جيل لا يعرفون التوحيد ولا يعرفون معنى الشرك .

فإن كثيرًا من البلدان يعتقد أهلها أن البناء على القبور والطواف بها وسؤال الموتى ونداء الموتى والاستغاثة بهم وطلب الحوائج منهم يظنون أن هذا من الدين كما قال الأوائل فيما حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [2] .

فهم يعتقدون أن هذا من الدين لأنهم أدركوا عليه آباءهم وأجدادهم وأهل بلدهم حتى ظنوه من الدين وأن الله يرضى به حتى قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ [3] ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ [4] فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [5] .

فلو كان رضي ذلك ما أرسل الرسل بإنكاره وذلك بسبب الجهل وعدم الرجوع إلى التوحيد الصحيح الذي جاءت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو إخلاص العبادة

(١) سورة يونس آية : ١٨ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٤) سورة النحل آية : ٣٥ .
(٥) سورة النحل آية : ٣٦ .

لله ﷻ وترك عبادة ما سواه ، فقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (١) .

المراد بالطاغوت كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى سواء سمي وليا أو سمي شفيعًا أو سمي بأي اسم كان فإنه طاغوت إذا كان رضي بأن يعبد من دون الله .

الذي لا يرضى أن يعبد من دون الله لا يسمى طاغوتًا :

أما إذا عبد من دون الله وهو لم يرض بذلك وكان ينهى عن ذلك في حياته فهذا لا يعتبر طاغوتا لكن عبادته تعتبر شركا بالله ﷻ وإلا فقد عبد المسيح عليه السلام وعبد الملائكة وعبد ناس من الصالحين وهم لا يرضون بذلك بل كانوا ينهون عنه أشد النهي ويقاتلون عليه ، لكن لما ماتوا بنوا على قبورهم وقربوا لهم القرابين وعبدوهم من دون الله فهؤلاء لا يعتبرون طواغيت (٢) ولكن يعتبر من عبدهم من دون الله مشركًا ، ولهذا لما أنزل الله سبحانه وتعالى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٣) فرح المشركون قالوا نحن نعبد عزيرًا ونعبد المسيح ونعبد الملائكة فإذا كان هؤلاء معنا في النار فلا لوم علينا ، وقد بين الله سبحانه وتعالى الرد عليهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ (٤) يعني عيسى عليه السلام والعزير والملائكة ومن عبد من دون الله من المؤمنين وهو لا يرضى بذلك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٢) وإنما عبدوا الشيطان الذي أمرهم بذا ، فهم بذا الاعتبار عبدوا الطاغوت .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٨ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ١٠١ .
(٥) سورة الأنبياء الآيات : ١٠١ - ١٠٣ .

فالصالحون الذين ماتوا على العقيدة الصحيحة ولكنهم عبدوا بعد موتم وهم لم يرضوا بذلك ، هؤلاء ليس عليهم حرج مما فعله المشركون بالنسبة إليهم لأنم لم يرضوا بذلك ولم يأمروا الناس بعبادتم ، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [1] .

وقال الله تعالى عن المسيح عليه السلام : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [2] .

أما الذي يرضى بأن يعبد من دون الله ويدعو الناس إلى عبادة نفسه فهذا طاغوت .

لا تصح عبادة الله إلا مع ترك عبادة ما سواه :

قال تعالى : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [4] .

لم يقتصر على قوله : اعبدوا الله ، بل قال : ولا تشركوا به شيئًا لأن العبادة لا تنفع إلا إذا خلت من الشرك .

لم يقتصر على قوله : فليعمل عملًا صالحًا بل نى عن الشرك لأن الإنسان قد يعمل عملًا صالحًا لكنه يفسده بالشرك بالله ﷻ فيكون عمله هباء منثورًا لا يستفيد منه شيئًا ، إن العمل الصالح لا ينفع إلا إذا خلا من الشرك وهذا خطر عظيم يحتاج منا إلى تفقه في

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٧٩ - ٨٠ .
(٢) سورة المائدة آية : ١١٧ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٤) سورة النساء آية : ٣٦ .

معرفة الشرك ، ما هو الشرك ؟ وما أنواع الشرك ؟ حتى نتجنبه وحتى نبتعد عنه وحتى تسلم لنا عبادتنا وديننا لله عز وجل ؛ لأن كثيرًا من الناس يظن أن الشرك هو الشرك في الربوبية فقط ، وكثير من الناس تساهلوا في هذا الأمر واعتبروا دراسة التوحيد ودراسة العقيدة والدعوة إلى عبادة الله اعتبروا أن هذا يفرق بين الناس ويقولون : (نحن نريد أن نجمع الناس) ونقول لهم : الاجتماع لا يحصل إلا على التوحيد ، أما الاجتماع الذي على غير التوحيد فإنه اجتماع لا خير فيه ولا فائدة منه ومآله إلى العداوة ومآله إلى الزوال قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [(٢)] .

الاجتماع المثمر لا يكون إلا على العقيدة الصحيحة ومن هنا يجب علينا أن نعرف العقيدة الصحيحة وأن ندعو إليها دائمًا وأبدا ، وأن ندرسها ونسأل عنها وندرسها في مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا لأنا هي الأساس وهي الفقه الأكبر .

النوع الثاني : الفقه في الأمور العلمية

الفقه في أحكام الصلاة ، الفقه في أحكام الزكاة ، الفقه في أحاكم الصيام ، الفقه في أحكام الحج ، الفقه في أحكام البيع والشراء والمعاملات ، الفقه في أحكام النكاح والطلاق والعدة ، الفقه في أحكام الطهارة الكبرى والصغرى وهكذا ، فالفقه في هذه الأمور هو أيضًا مكمل للفقه الأول وتابع له ولا ينفع هذا الفقه إلا بعد أن يتحقق الفقه الأكبر .

---

(١) سورة الأحقاف الآيتان : ٥ - ٦ .

(٢) سورة الزخرف الآيات : ٦٧ - ٦٩ .

فلو أن الإنسان تبحر في فقه المعاملات وفي فقه الصلاة والزكاة والصوم والحج ولكنه لا يعرف الفقه الأكبر أو يتساهل فيه فإن هذا الفقه لا يفيده شيئًا لأنا لا تصح صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة ولا أي عبادة إلا بعد أن يتحقق الفقه الأكبر وهو التوحيد ، إذن هذا الفقه الثاني مكمل للأول وتابع له ، وإن كان كثير من الناس يهتمون بالفقه الثاني ويتساهلون في الفقه الأول كما ذكرنا لكم وهذا من الجهل العظيم والتفريط العظيم ، وهذا بمنزلة من يعالج بدنا قد قطع رأسه والبدن الذي قطع رأسه لا فائدة منه لأنه يصبح جيفة هامدة ولو عالجته بأنواع العلاج .

وسائل تحصيل الفقه بقسميه

ما دمنا عرفنا أهمية الفقه وعرفنا أقسام الفقه ومنزلة كل قسم من الدين علينا أن نعرف الوسائل التي نحصل بواسطتها على الفقه في الدين :

أولا : التعلم :

الفقه في الدين إنما يحصل بالتعلم بالجلوس في حلقات التدريس ، وفي فصول الدراسة المنهجية ، الجلوس للتعلم أمام المعلم ، هذا هو أول وسيلة وأحسن وسيلة وأقرب وسيلة إلى تحصيل العلم الدراسة على العلماء ، الجلوس في حلق الذكر سواء إن كانت في المساجد أو في المدارس أو في أي مكان .

يقول الشاعر :

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ... تجرع كأس الجهل طول حياته

الإنسان لا يتكبر على طلب العلم ولا يقول : أنا إنسان لي مكانة ، ما يليق بي أن أجلس بين يدي مدرس في المسجد أو في الفصل أو في المدرسة أنا أكبر من ذلك ، هذا غلط ، لا بد أن تجلس ، لا بد أن تربط نفسك في طلب العلم ، لا بد أن تصبر على التعب وعلى المشقة في طلب العلم تتحمل العناء والسهر وطول الجلوس أمام المعلم وإلا فإنك ستعيش جاهلًا تتجرع كأس الجهل طول حياتك .

القدوة في طلب العلم

جبريل عليه الصلاة والسلام الروح الأمين جاء إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه دخل عليهم كما يقول عمر رضي الله عنه : ﴿ بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإيمان قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، ثم قال : أخبرني عن الإسلام ، قال : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا ، وفي رواية : وأن تحج البيت وتعتمر ، فقال : صدقت أخبرني عن الإحسان ، قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : صدقت أخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ﴾ [(1)] يعني أنا وأنت في ذلك سواء كل منا لا يعرف متى تقوم الساعة لأن هذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ ﴾ [(2)] . ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [(3)] . ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(4)] . ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [(5)] .

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) سورة لقمان آية : ٣٤ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٦٣ .

(٤) سورة النازعات الآيات : ٤٢ - ٤٤ .

(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٧ .

قال النبي ﷺ لجبريل : ﴿ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : أخبرني عن أماراتها ﴾ [(١)] - يعني علامتها - علامات يوم قيام الساعة تكون آخر الزمان وإذا ظهرت فإنها تدل على قرب قيام الساعة وهي علامات كثيرة منها علامات كبار وعلامات دون ذلك ، ﴿ قال : أن تلد الأمة ربتها - يعني سيدتها - وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ﴾ [(٢)] فمن علامات الساعة تطاول الأعراب والبادية في تشييد المباني ؛ لأنه معروف أن البادية كانت ترحل وتتبع مواطن القطر لا تبني بيوتًا ولا تـ ل في القرى والأمطار ، ولكن آخر الزمان يتوطنون في المدن والقرى ويبنون ويتطاولون في البنيان ، هذا من علامات الساعة ، قال : ثم خرج الرجل بعدما أنهى جلسته مع النبي ﷺ قال الراوي : ﴿ ولبثنا مليًا فقال النبي ﷺ أتدرون من السائل ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ﴾ [(٣)] [(٤)] .

أي أن جبريل أراد أن يعلم أمة محمد ﷺ كيف تتعلم دينها ، كيف تجلس بين يدي المعلم بأدب واحترام ، فجلس بين يدي النبي ﷺ بأدب واحترام مجلس التلميذ من معلمه من أجل أن يعلم الصحابة والأمة كيف يتلقون العلم بأدب يسألون والمعلم يجيب على كل سؤال ، ففي هذا الحديث بيان لأهمية تعليم العلم من العلماء والجلوس بين أيديهم والتأدب معهم وحسن السلوك .

---

(١) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦) .

(٢) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (١/٥٢) .

(٣) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (١/٥٢) .

(٤) رواه مسلم كتاب الإيمان ١/ص١٥٧/ بشرح النووي ، والإمام أحمد في المسند ١/ برقم ١٨٤ ، ٣٦٧ ، بتحقيق أحمد شاكر ، والترمذي كتاب الإيمان ٢٦١٠/٥ ، وأبو داود كتاب السنة ٤٦٩٥/٥ ، والنسائي كتاب الإيمان وشرائعه ٤٩٩٠/٨ ، وابن ماجه المقدمة ٦٣/١ .

هذا موسى عليه السلام ذكر الله لكم نبأه أنه ذهب وسافر لطلب العلم لما سمع أن في الأرض من عنده علم ليس عند موسى عليه السلام ، ذهب يبحث عنه وتكبد المشاق حتى لقيه فقال : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] .

فموسى كليم الله عليه السلام ذهب لطلب العلم وصبر على المشاق مما يدل على أن العلم لا يحصل عفوًا وإنما لا بد له من مشقة ولا بد له من تعب ولا بد له من سفر إذا اقتضى الأمر ولا بد من اغتراب أيضًا .

ثانيًا : ومن وسائل تعلم العلم تدبر القرآن فحينما تقرأ القرآن فإنك تتدبر معانيه ، ما معنى هذه الآية ؟ ما معنى هذه الكلمة ؟ وليس المطلوب أن تتخرص من عندك ، هذا لا يجوز ، لكن ترجع إلى كتب التفسير الصحيحة الموثوقة فتعرف معنى الآيات معنى كلام الله سبحانه وتعالى كذلك تعرف معنى كلام الرسول إذا قرأت حديثًا من أحاديث الرسول ﷺ فإنه لا يكفي أن تقرأ ألفاظه وتمر عليها عابرًا ، بل لا بد أن تتفقه في معانيها وتعرف مراد الرسول ﷺ من كل كلمة وكل حديث ولا تتخرص ولكن ترجع إلى الشروح وشروح الأحاديث وتكثر من الطاعة في كتب الفقه والمطالعة في كتب العقيدة والمطالعة في كتب اللغة .

ثالثًا : ومن وسائل تحصيل العلم بعد كثرة المطالعة في الكتب سؤال أهل العلم

فعليك أن تسأل أهل العلم ، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] .

والنبي ﷺ يقول : ﴿ ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال ﴾ [3] [4] .

(١) سورة الكهف الآيتان : ٦٦ - ٦٧ .

(٢) سورة النحل آية : ٤٣ .

(٣) أبو داود الطهارة (٣٣٦) .

(٤) رواه أبو داود (كتاب الطهارة) (٣٣٦/١ ، ٣٣٧) ، والإمام أحمد في (المسند) (٣٠٥٧/٥) بتحقيق العلامة أحمد شاكر ، وابن ماجه (كتاب الطهارة) (٥٧٢/١) ، والدارقطني في سننه (كتاب الطهارة) (١٩٠/١ ، ١٩١) .

فلا يمنعك الحياء من أن تسأل فإن الحياء الذي يمنع من سؤال أهل العلم ليس محمودًا وإنما هو جبن وخور وضعف ، ولا يمنعك التكبر من أن تسال أهل العلم ، فإن بعض الناس يرى أنه إذا سأل العلماء نقص ذلك من قدره ، والواقع أن سؤال الناس أمور الدنيا والأموال منهي عنه إلا عند الضرورة وبقدر الحاجة ، أما سؤال العلماء فهذا مرغوب فيه إلا إذا كان السؤال على وجه التعنت أو على وجه التعاظم فهذا لا يجوز ، فالذي يسأل العلماء للتعجيز أو ليظهر الإنسان نفسه أمام الناس فهذا لا يجوز .

ولما سئل عبد الله بن عباس رضي الله عنه بماذا حصلت هذا العلم ؟ قال : (بلسان سؤول وقلب عقول) بلسان سؤول يعني كثير السؤال لأهل العلم ، وقلب عقول يعني يعقل ما يقال له ويفهم له وبذلك يتحصل العلم شيئًا فشيئًا ، ومجاهد بن جبر التابعي الجليل رحمه الله يقول : (إن هذا العلم لا يناله مستح ولا مستكبر) [1] .

رابعًا : ومن وسائل طلب العلم الاستماع للمحاضرات والندوات التي تعقد في المساجد وخطبة الجمعة كل أسبوع ، فإذا حضرت وسألت عما أشكل في الخطبة أو غيرها فإنه مع مرور الأسابيع والأيام والأزمنة يتكون عندك علم عظيم لأن خطبة الجمعة إنما شرعت من أجل تعليم الناس وتفهيمهم وتذكيرهم ، وقد تساهل الناس اليوم في حضور خطب الجمعة فلا يأتي أكثرهم إلا عند الإقامة أو بعدما يفوت أول الصلاة أو عند السلام من الصلاة وهذا حرمان عظيم يقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ﴾ [2] .

وذكر الله المراد به الخطبة ويراد به الصلاة ، ولكن الأساس الخطبة ولهذا قال في نهاية السورة : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ ﴾ [3] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (كتاب العلم) ، باب الحياء في العلم (١/ رقم الباب ٥٠/ ص ٦٣) ، ط السلفية .
(٢) سورة الجمعة آية : ٩ .
(٣) سورة الجمعة آية : ١١ .

فحضور الخطبة فيه خير كثير وعدم حضورها فيه حرمان للإنسان لهذا أمر من يحضر أن ينصت للخطيب وألا يتكلم ولا يتحرك حتى تفرغ الخطبة من أجل أن يستفيد .

خامسًا : ومن وسائل التعلم الاستماع للبرامج النافعة التي تذاع في الإذاعة إذا تتبعها الإنسان وحرص عليها فإنه يحصل على علم غزير ، ففيها فتاوى وفيها مواضيع يتكلم عنها العلماء ويوضحونا للناس ، إذا كنت في بيتك أو في سيارتك ما عليك إلا أن تفتح إذاعة القرآن وتستمع وبذا يتحصل عندك من العلم الشيء الكثير ، تنبهك هذه البرامج إلى أشياء كنت غافلًا عنها وتتعلم أشياء كنت تجهلها .

أما إذا أعرضت ولم تلق بالًا ولم تحضر عند مدرس ولم تقرأ في كتاب ولم تستمع إلى محاضرة أو خطبة جمعة ولا تستمع إلى برنامج ديني فمن أين يتحصل لك العلم ؟ ستبقى في جهلك طول حياتك وربما تعبد الله على جهل وضلال ، فلا تستفيد من عبادتك .

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين والعمل الصالح وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحاضرة التاسعة والعشرون
تدبر القرآن

نعمة الله على هذه الأمة بـ ول القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على رسوله نبيًا محمدا وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ،

فإن أكبر نعمة أكرم الله بـا هذه الأمة هي بعثة محمد ﷺ وأنزل القرآن الكريم عليه لهداية الناس وتبصيرهم وتذكيرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه مـ ل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾ [1] فيه الهدى والنور .

قال الله سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ [2] .

فهو كتاب عالمي لجميع البشر بل للجن والإنس ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ ﴾ [3] ، سمعه الجن : ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ - ١٩٥ .
(٢) سورة الفرقان آية : ١ .
(٣) سورة البقرة آية : ١١٩ .
(٤) سورة الجن الآيتان : ١ - ٢ .

وقال تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤ ﴾ [(١)] إلى آخر الآيات .

ما وصف الله تعالى به القرآن الكريم

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا القرآن الكريم بأوصاف عظيمة ، فقال في أول سورة البقرة التي هي ثاني سورة في القرآن بعد الفاتحة ، قال سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ [(٢)] .

وصفه بأنه هدى للمتقين .

وقال في أثناء هذه السورة : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾ [(٣)] .

فوصفه الله في أول السورة بأنه هدى للمتقين ، ووصفه في أثنائها بأنه هدى للناس ، وهذا الوصف عام للمتقين وغير المتقين .

أما المتقون فهو هدى لهم بمعنى ينتفعون به ويستفيدون منه ويستضيئون بنوره ، وأما غير المتقين فهو هدى بمعنى أن يبين لهم طريق الرشاد إذا أرادوا لأنفسهم الرشاد فهو هدى دلالة وإرشاد لكل الناس وهدى توفيق للمتقين خاصة الذين استجابوا لهذا القرآن .

لأن الهداية على قسمين هداية توفيق وعمل وهذه خاصة للمؤمنين وهداية دلالة وإرشاد وهذه عامة لجميع الناس ، وقال سبحانه وتعالى في وصف هذا القرآن : ﴿ إِنَّ

---

(١) سورة الكهف الآيات : ١ - ٤ .

(٢) سورة البقرة الآيات : ١ - ٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ ﴾ [1] .

وصفه الله بأنه يهدي للتي هي أقوم يعني للطريقة التي هي أقْوم الطرق وأعدلها الموصلة إلى الله ﷻ وإلى جناته ، فعليك أن تعمل بذا القرآن الكريم لأنه يدلك ويهديك ويرشدك إلى الطريق إلى الله سبحانه وتعالى .

كما وصفه في آية أخرى بأنه روح ومن معاني الروح ما تحيا به القلوب وتحصل به الحياة المعنوية كالجسم إذا كان فيه روح يكون حيًا وإذا خرجت منه الروح يكون ميتًا قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ [2] .

والمقصود بالروح هنا القرآن الكريم الذي أوحاه الله إلى رسوله .

هو روح للقلوب ، وروح القلوب أخص من روح الأبدان ، سماه الله روحًا لأنه تحيا به القلوب ، فإذا خالط هذا القرآن بشاشة القلب فإنه يحيا ويستنير ويعرف ربه ويعبد الله على بصيرة ويخشاه ويتقيه ويخافه ويحبه ويجله ويعظمه ، لأن هذا القرآن روح تحرك القلوب كالروح التي تحرك الأبدان والأجسام .

فكما أن الروح إذا دخلت الأبدان حركتها وأحيتها كذلك القرآن إذا دخل القلوب فإنه يحييها ويحركها لخشية الله ومحبته ، أما إذا خلت القلوب من القرآن فإنا تموت كما أن الجسم إذا خلا من الروح فإنه يموت ، فهناك موتان وحياتان : أما الموتان فهما موت الجسم وموت القلب وأما الحياتان فحياة الجسم وحياة القلب لأن حياة الجسم تحصل للمؤمن وللكافر والتقي والفاسق بل تحصل للإنسان والحيوان ليس فيها ميزة ، إنما الميزة في حياة القلب وهي لا تحصل إلا لعباد الله المؤمنين المتقين ، أما الكفار وأما البهائم فإنا فاقدة لحياة القلوب وإن كانت فيها حياة الأجسام وحياة الأبدان .

---

(١) سورة الإسراء الآيتان : ٩ - ١٠ .

(٢) سورة الشورى آية : ٥٢ .

أما المؤمن فإن فيه الحياتين : حياة الجسم ، وحياة القلب ، والكافر به حياة الجسم وليس فيه حياة القلب .

الحاصل أن الله سمي القرآن روحًا بمعنى أنه تحيى به القلوب وتبصر بنور الله بواسطته ويدلها على نجاتها وربها وهاديها .

وكذلك سمي الله هذا القرآن نورًا والنور وهو الذي يضيء الطريق أمام الإنسان ويبصر به ما أمامه من الحفر والأشواك ليتجنبها ويبصر به الطريق السليم فيمشي معه .

أما فاقد النور فيكون في ظلمة فلا يرى الحفر والأشواك ولا الأخطار لأنه لا يبصرها .

ونحن نعرف النور الحسي مثل نور الشمس ونور السراج ونور المصباح وسائر الأنوار المخلوقة ، هذا النور نعرف كيف نسير به في الطرقات والأسواق والبيوت ، ونعرف عن طريقة ما يحتاج إلى تجنب وإلى احتياط .

لكن نور القرآن نور معنوي تبصر به ما ينفعك في دينك ودنياك ، يبين لك الحق من الباطل ويصف لك الطريق إلى الجنة فأنت تسير فيه على نور من الله .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [(١)] .

فالقرآن نور معنوي تبصر به طريق الهدى من طريق الظلام ، تبصر به طريق الجنة من طريق النار ، تعرف به الضار والنافع ، تعرف به الخير والشر ، والقرآن نور يضيء للعالم طريق نجاتهم وطريق سعادتهم وطريق فلاحهم في الدنيا والآخرة .

كما وصفه الله بأنه فرقان قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [(٢)] .

---

(١) سورة النساء الآيتان : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) سورة الفرقان آية : ١ .

فرقان بمعنى أنه يفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، فهو فارق وفرقان يميز لك أيها المسلم ما ينفعك وما يضرك ، ويأمرك بفعل الخير وينهاك عن فعل الشر ، ويبصرك بما تحتاج إليه في دنياك وأخرتك فهو فرقان بمعنى أنه فرق بين الحق والباطل .

وهو هدى بمعنى أنه يهدي ويدل ويرشد إلى الطريق المستقيم وهو نور لأنه يضيء لك الطريق .

وهو حياة لأنه يحيى به القلب ويشفى ويحيى به إذا كان قلبًا مريضًا أو ميتًا .

كما أنه سبحانه وتعالى وصف هذا القرآن بأنه شفاء قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [(١)] .

فهو شفاء من الأمراض الحسية والأمراض المعنوية ، هو شفاء للأمراض الحسية بحيث إذا قرئ على المريض أو المصاب بالعين أو الذي مسه جني أو أي مرض فإنه يشفى بإذن الله إذا كانت هذه القراءة من قلب مؤمن واثق بالله سبحانه وتعالى ، فإذا اجتمعت الثقة من القارئ والمقروء عليه فإن الله يكتب الشفاء للمريض .

وهو أيضا شفاء من الأمراض المعنوية من أمراض الشكوك وأمراض الشبهات وأمراض الكفر والنفاق ، وهذه الأمراض أخطر من الأمراض الجسمية ، فهو يشفي القلوب ويزيل عنها ما أصابها من هذه الأمراض ، كما أنه يشفي الأبدان مما يصيبها من الأمراض الحسية .

وأمراض القلوب أشد من أمراض الأبدان ؛ لأن أمراض الأبدان غاية ما تنتهي إلى الموت والموت حاصل ولا محالة قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ [(٢)] .

ولكن مرض القلب هو الخطير لأن مرض القلب إذا استمر به فإنه يموت بمعنى أنه يفسد نائيًا ويصبح صاحبه من الكافرين أو من الزائغين أو من الفاسقين فمرض القلب أشد خطرًا على الإنسان من مرض البدن ، ولا شفاء له إلا بالقرآن الكريم الذي أنزله الله

(١) سورة يونس آية : ٥٧ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

شفاء للناس قال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] .

فجعله الله شفاء للمؤمنين وخصهم بذلك لأنهم هم الذين ينتفعون به ويهتدون به فيزيل عنهم ما في قلوبهم من الوساوس والشكوك والشبهات .

وأما أهل النفاق وأهل الكفر وأهل الشرك فإنهم لا يستفيدون منه ما داموا على شركهم وعلى نفاقهم وكفرهم إلا إذا تابوا إلى الله سبحانه وتعالى .

ذلكم هو القرآن الكريم وهذه بعض أوصافه وله أوصاف كثيرة ذكرها الله سبحانه وتعالى في مواضع متعددة .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٢ .

موقف المسلمين من هذا القرآن العظيم

أولًا : وجوب تعلمه وتعليمه لأولادهم ولإخوانهم مع الاعتناء بحفظه وإتقانه

ولكن ما موقفنا نحن المسلمين من هذا القرآن العظيم ، إنه يجب على المسلمين نحو هذا القرآن العظيم واجبات عظيمة ومسؤولية كبيرة سنتحدث عن أهمها :

أولًا : يجب على المسلمين أن يتعلموا هذا القرآن ويتدارسوه ويدرسوه لأولادهم ولإخوانهم وأن يعتنوا بحفظه وإتقان أدائه لقول الرسول ﷺ : ﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾ [(١)] أي تعلم القرآن في نفسه وأتقن تعلمه ثم يعلمه لغيره من إخوانه المسلمين لا يقتصر على نفسه بل يمد خيره ويمد نفعه إلى إخوانه وإلى أبناء المسلمين .

فالمطلوب من المسلم أن يعتني بتعلم هذا القرآن ولا يكفي من الإنسان أن يتهجى القرآن تجيًا مادام أنه متمكن من أن يتعلمه ويتقنه إتقانا صحيحًا وينطق به على الوجه الصحيح ولا يكتفي بالتهجي ، وإن كان التهجي ومحاولة قراءة القرآن فيه خير كثير ، وقد قال النبي ﷺ : ﴿ والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ﴾ [(٢)] ، ولكن هذا لمن لا يقدر إلا على ذلك فإنه يقرأ حسب استطاعته ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ولا يترك المسلم تلاوة القرآن مهما قدر عليها ، ولكن من كان يقدر ويجد من يعلمه ويرشده إلى القراءة الصحيحة فإنه يجب أن يتعلم القراءة على الوجه المطلوب ولا

---

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٣٩) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٨) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٢١١) ، أحمد (٦٩/١) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣٨) .

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٦٥٣) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٤) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٤) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٧٩) ، أحمد (١١٠/٦) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٨) .

يبقى على جهله بالقراءة الصحيحة قال ﷺ : ﴿ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ﴾ [(١)] .

الماهر المقصود به الذي يجيد قراءة القرآن على الوجه الصحيح هذا يكون يوم القيامة مع السفرة الكرام البررة أي الملائكة الكرام سموا سفرة : فهم سفراء من الله ﷻ يرسلهم إلى عباده ويرسلهم إلى أنبيائه ورسله لتبليغ الرسالات .

كرام بررة أي كرام عند الله سبحانه وتعالى (بررة) جمع بار من البر وهو فعل الخير وفعل الطاعة ، فهذا يا أخي المسلم جزاء من يتقن قراءة القرآن على الوجه المطلوب ينال هذه الرفعة الطيبة فاحرص على أن تكون مع الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فلا يترك قراءة القرآن فإنه يقرأ حسب استطاعته إلى أن يتمكن ويجد من يعلمه القراءة على الوجه الصحيح ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [(٢)] .

ثانيًا : قراءته وتلاوته

ثانيًا : فإذا تعلمنا القرآن وأجدنا النطق به وأجدنا أداءه فإن هذا لا يكفي بل يجب أن نتعاهد قراءته وتلاوته لأن تلاوته عبادة وفيها أجر كبير .

قال ﷺ : ﴿ من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ﴾ [(٣)] .

وقال ﷺ : ﴿ تعاهدوا هذا القرآن فإنه أشد تفلتًا من الإبل في عقلها ﴾ [(٤)]

والمقصود أكثروا من تلاوة هذا القرآن ، فالإنسان إذا غفل عن القرآن ومضى عليه مدة

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٦٥٣) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٤) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٤) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٧٩) ، أحمد (١١٠/٦) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٨) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٣) الترمذي فضائل القرآن (٢٩١٠) .

(٤) البخاري فضائل القرآن (٤٧٤٦) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩١) ، أحمد (٣٩٧/٤) .

وهو لم يتل يصاب قلبه بالإعراض والغفلة والقسوة ، أما إذا أكثر من تلاوته فإنه يحيي قلبه ويجلي ذاكرته .

ولهذا ينبغي للمسلم أن لا يمر عليه شهر على الأقل إلا وقد قرأ القرآن كله - هذا هو الحد الأخير - وإن قرأه فيما هو أقل من ذلك في كل عشرة أيام مرة بحيث يختمه في الشهر ثلاث مرات فهذا أحسن .

وإذا قرأه في كل سبعة أيام مرة فهذا أحسن .

وإذا قرأه في كل ثلاثة أيام مرة فهذا أحسن .

فإنه كلما زاد من تلاوة القرآن زاد أجره واستنارت بصيرته وحياة قلبه .

وتلاوة القرآن ميسرة سواء كانت تلاوة مجردة عن الصلاة بأن يتلو الإنسان القرآن وهو جالس أو راكب أو مضطجع متوضئا أو غير متوضئ من غير مس للمصحف في حالة عدم الوضوء .

أما من عليه حدث أكبر فلا يقرأ القرآن حتى يغتسل .

ويتلوه في الصلاة وهذا أفضل أو يتلوه في قيام الليل أو التهجد قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝ ﴾ (١) .

فالذي يتلو القرآن في صلاة الليل أفضل من الذي يتلو القرآن وهو جالس أو في النهار ، وإن كانت قراءة القرآن في أي وقت عبادة عظيمة لكنها تتفاضل وتتفاوت بحسب الأوقات والأحوال .

وكلما أكثر الإنسان من تلاوة القرآن في صلاة الفريضة في الركعتين الأوليين من الرباعية والثلاثية أو في صلاة الفجر فإنه كلما أطال فإن ذلك أفضل ولذلك سمى الله القرآن صلاة قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المزمل الآيتان : ٥ - ٦ .

(٢) سورة الإسراء آية : ١١٠ .

والمقصود لا تجهر بالقرآن في صلاتك ولا تخافت به ، كما أن الله سمى الصلاة قرآنا كما في قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] .

فسمى صلاة الفجر قرآنا لأنا تطول فيها القراءة أكثر من غيرها .

الحاصل من هذا كله أن الله سبحانه وتعالى يطلب منا ويأمرنا أن نقرأ القرآن وأن نكثر من تلاوة القرآن في صلاتنا الفريضة والنافلة وفي بقية أحوالنا سواء كنا جالسين أو راكبين أو مضطجعين ، وقد كان النبي ﷺ يقرأ القرآن على غالب أحواله ولم يكن يمنعه من تلاوة القرآن إلا الجنابة ، وكذلك لا يجوز قراءة القرآن في حالة الحيض للمرأة أو النفاس لأن هذا حدث أكبر يمنعها من تلاوة القرآن إلا عند الضرورة ، ولا يجوز قراءة القرآن في الأمكنة النجسة والقذرة كالحمام ، أما الأماكن النظيفة والأماكن الشريفة الطاهرة المناسبة فينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن كلما تمكن من ذلك سواء قرأه عن ظهر قلب أو قرأه من المصحف ليكون له حظ من أجر التلاوة التي أخبر عنها ﷺ : ﴿ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ﴾ [2] .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الإسراء الآيتان : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢/٢٥٢) .

(٣) سورة فاطر الآيتان : ٢٩ - ٣٠ .

مدحهم الله على هذه الصفات وأولها أنهم يتلون كتاب الله ﷻ بمعنى أنهم يقرأونه ويكثرون من قراءته طلبًا للأجر والثواب واحتسابًا لوعد الله سبحانه وتعالى ثم يعملون به فيقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله سرًا وعلانية رجاء ثوابه .

ثالثًا : تدبر القرآن والتفكر في معانيه وأسراره

ثالثًا : لا يكفي منا أن نتعلم القرآن الكريم وأن نتلوه ونكثر من تلاوته ، لا يكفي هذا بل لا بد من التدبر والتفكر في معانيه وأسراره وما عرفنا به من أسماء الله وصفاته وعظمته ، وما قصه علينا من أخبار الأمم السابقة المؤمنين والكافرين .

وما حل بالمكذبين والمجرمين وما أكرم الله به المؤمنين الطائعين وكذلك نتدبر أخباره عن اليوم الآخر وما فيه من الحساب وما فيه من وزن الأعمال وما فيه من تطاير الصحف وما فيه من الجنة والنار وما فيه من الأهوال العظيمة وكذلك نتدبر ما يكون بعد الموت وما يكون في القبر ، ولقد ذكر لنا القرآن هذا مفصلًا وهو أمر مستقبل نحن قادمون عليه من أجل أن نستعد له بالأعمال الصالحة ونتجنب الأعمال المحرمة ، وكذلك نتفكر في أحكامه الشرعية ، فقد بين ما يحل علينا وما ينبغي لنا وما لا ينبغي لنا من الأفعال والصفات وغير ذلك .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ مُبَـٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (1) .

فبين الله في هذه الآية الهدف من إنزال القرآن وهو أن نتدبر آياته بمعنى أن نتفكر في معانيها ومدلولاتها وأسرارها وأخبارها حتى نستفيد منها الهداية ونستفيد منها خشية الله سبحانه وتعالى وعبادته وحده لا شريك له ونعرف ما نأتي وما نترك من الأعمال والأقوال والمعاملات وغير ذلك ولا يتم هذا ولا يحصل إلا بتدبر القرآن .

(1) سورة ص آية : ٢٩ .

ووصف الله تعالى القرآن بأنه مبارك ففيه البركة بكل معانيها فمن يتدبره يحصل على هذه البركة ، ومن تعلمه يحصل على هذه البركة ، ومن قرأه وتلاه يحصل على هذه البركة ، ومن عمل به حصل على البركة ، وكلما قربت منه حصلت على هذه البركة .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [(١)] .

فالله يستنكر على هؤلاء الذين أعرضوا عن كتاب الله ﷻ وأنه قد سبب لهم هذا الإعراض الحيرة والضلال ، ولو أنهم تدبروا كتاب الله وأقبلوا عليه وتأملوا فيه لحصلت لهم الهداية ولانتقلوا من حالة الشقاء إلى حالة السعادة ، ولو تدبروه لعرفوا أنه كلام الله لأنه لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضًا ويفسر بعضه ويشبه بعضه بعضًا في الحسن والبلاغة والصدق والإعجاز ، فليس فيه اختلاف بل يصدق بعضه بعضًا ويوضح بعضه بعضًا ويؤيد بعضه بعضًا فهو كتاب متآلف ومتشابه قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [(٢)] أي يشبه بعضه بعضًا في الحسن والإتقان والصدق ويفسر بعضه بعضًا وليس فيه اختلاف أبدًا .

بخلاف كلام المخلوق فإنه يوجد فيه الخلل لأن المخلوق ناقص وفيه تناقض وربما يكذب بعضه بعضًا ، أما كلام الخالق جل وعلا فإنه م ه عن ذلك ، هو كتاب متقن محكم ليس فيه خلل وليس فيه نقص وليس فيه تناقض مما يدل على أنه ت يل من حكيم حميد ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [(٣)] .

فإذا قرأت القرآن بتدبر وتمعن وحضور قلب وتفكر في معانيه فإنه يزيل عنك أوهاما كثيرة ووساوس عظيمة ويبعث في قلبك الطمأنينة ويقوي فيك الإيمان ، قال تعالى :

(١) سورة النساء آية : ٨٢ .
(٢) سورة الزمر آية : ٢٣ .
(٣) سورة هود آية : ١ .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (١) .

فتلاوة القرآن مع تدبره والتفكر فيه تزيد في إيمان العبد ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (٢) .

وكلما أكثر الإنسان من تدبر هذا القرآن فإنه يزيد إيمانه ويزيد يقينه ويطمئن قلبه ويزيد علمه وفقهه ، فإنه لا تفنى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد .

وقال سبحانه وتعالى في الرد على المرتدين والزائغين : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٣) .

ولو أنهم تدبروا القرآن لزالت عنهم كل هذه الأمراض وهذه العوارض القبيحة ولوصلوا أرحامهم ووصلوا ما أمر الله به أن يوصل ولأطاعوا الله ورسوله ، ولكنهم لما أعرضوا عن القرآن ولم يتدبروه ابتلوا بهذه المصائب فابتلوا بالقطيعة وحقت عليهم اللعنة ووقعوا في الردة ، كل ذلك بسبب أنهم لم يتدبروا القرآن .

وأغلقت قلوبهم عن الفهم : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنفال الآيات : ٢ - ٤ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٤ .

(٣) سورة محمد الآيات : ٢٢ - ٢٦ .

(٤) سورة محمد آية : ٢٤ .

فالإنسان إذا أعرض عن القرآن فإن قلبه يقسو ويمرض وفي النهاية يقفل فلا يصل إليه الهدى ولا النور عقوبة له والعياذ بالله ، كل هذا بسبب عدم تدبر القرآن الكريم ، ولهذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

تدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

رابعًا : تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه

رابعًا : لا يكفي منا أن نتعلم القرآن وأن نتلو القرآن وأن نتدبر القرآن بل لا بد من الأمر الرابع وهو العمل به بمعنى أن نحل حلاله ونحرم حرامه ونتقيد بأوامره ونتجنب ما نهانا عنه .

وهذا هو المقصود وما سبق من تعلمه وتلاوته وتدبره كله وسيلة إلى العمل ، أما إذا اقتصرنا على التلاوة والتدبر وتركنا العمل فإننا وقفنا في أول الطريق ولم نحصل على شيء وصار تعبنا لا فائدة منه لأننا أتعبنا أنفسنا في السبب وتركنا الثمرة ، لأن الثمرة هي العمل بالقرآن .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾ [١] .

فهذه الآية دلت على أنم لم يقتصروا على التلاوة بل أقاموا الصلاة بعد أن قاموا بتلاوة كتاب الله وكذلك أنفقوا مما رزقهم الله بإيتاء الزكاة والصدقات والإحسان إلى المخلوقين وهذه هي ثمرة التلاوة وهي العمل بما فيه ؛ لأنك إذا عملت به صار حجة لك عند الله سبحانه وتعالى ، وإذا عطلت العمل به صار حجة عليك ، قال رسول الله ﷺ :

(١) سورة فاطر الآيتان : ٢٩ - ٣٠ .

﴿ والقرآن حجة لك أو عليك ﴾ [(١)] يسألك الله عنه يوم القيامة فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [(٢)] ، ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [(٣)] .

فالله سبحانه وتعالى يوم القيامة يقول للكفرة وأصحاب النار : ألست قد بينت لكم في القرآن الكريم هذا المصير وهذه العاقبة من أجل أن تتجنبوها ومن أجل أن تعملوا الأعمال الصالحة التي تنقذكم منها .

فمن اقتصر على تعلم القرآن وتلاوة القرآن وتدبره ولم يعمل أقام الحجة على نفسه ، ولهذا يقول بعض السلف : رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : يقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [(٤)] وهو يكذب ويقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٥)] وهو يظلم .

فليس المطلوب من قراءة القرآن هو مجرد التغني بألفاظه والتلذذ بالصوت الجميل فإن هذا لا يكفي ولا يفيد ، كما يفعل بعض الناس اليوم فقد اتخذوا تلاوة القرآن حرفة للتطريب ولتشنيف الأسماع ، يتلذذون بسماع القرآن ويلذذون آذانهم ، ولكنهم لو سألوا عن العمل والتطبيق لم تجد إلا القليل فهذا لا يكفي ولا يفيد .

نعم مطلوب تحسين الصوت بالقرآن والأداء الحسن ؛ لأن هذا يؤثر ، ولأن هذا يليق بالقرآن الكريم ، ولكن لا يكون هذا هو المقصود ، بل يكون المقصود أن ينتفع الإنسان بالقرآن ، وأن يستفيد ويخشع إذا سمعه .

---

(١) مسلم الطهارة (٢٢٣) ، الترمذي الدعوات (٣٥١٧) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٨٠) ، أحمد (٣٤٤/٥) ، الدارمي الطهارة (٦٥٣) .
(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٥ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٦٦ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٦١ .
(٥) سورة هود آية : ١٨ .

والرسول ﷺ كان يحب أن يستمع القرآن من غيره فكان ﷺ يستمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري وكان ذا صوت حسن .

وأمر عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه ليستمع فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كيف أقرأ عليك وعليك أنزل فقال ﷺ : « إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أول سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [1] ، فقال النبي ﷺ : حسبك ، قال : فالتفت إليه ، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فإذا عيناه تذرفان » .

فدل هذا على أنه يشرع للمستمع للقرآن أن يخشع ولا يكون مقصوده هو التلذذ فقط ، بل المقصود الخشوع من كلام الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [2] .

وهذا من آداب المسلمين مع القرآن : الاستماع والإنصات ، أما الذي يقرأ القرآن أو يستمع للقرآن لمجرد التلذذ به فقط فهذا لا يستفيد شيئاً ، إنما للذي يستفيد هو الذي يخشع من كلام الله سبحانه وتعالى ، هو الذي يفقه يتفقه معاني كلام الله سبحانه وتعالى ، هو الذي يعمل بكلام الله سبحانه وتعالى ، هو الذي يقرأ القرآن أو يستمع للقرآن احتساباً لوجه الله سبحانه وتعالى ، لا من أجل الرياء والسمعة أو تحسين الصوت أو التلذذ بالأصوات فهذا كله لا يكفي ولا يفيد الإنسان شيئا ما لم يتصف بهذه الصفات العظيمة .

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين يتلونه حق تلاوته ويتدبرونه حق تدبره ويعملون به ويخلصون لله سبحانه وتعالى أعمالهم إنه سميع مجيب .

---

(١) سورة النساء آية : ٤١ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠٤ .

خامسًا : صيانة القرآن عن أن يفسر بغير علم

قال الترمذي : هذا حديث حسن ، فالقرآن يجب أن يفسر بالقرآن ، أو بسنة رسول الله ﷺ أو بأقوال الصحابة والتابعين أو بما تقتضيه لغة العرب التي نزل بها ، هكذا على الترتيب المذكور ، أما تفسير القرآن بالرأي فحرام وعليه وعيد شديد وهو من القول على الله بلا علم .

ومن ذلك تفسيره بالنظريات الحديثة التي هي في الغالب من تخرصات الجهال وهي تتناقض وتتغير ويكذب بعضها بعضًا فلا يجوز أن تجعل تفسيرا لكتاب الله ﷻ كما يفعله بعض الجهال اليوم فيما يسمونه بالإعجاز العلمي ، فإذا هذا الأمر جد خطير ، وهو من التلاعب بكتاب الله ﷻ فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك والتحذير منه ، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أسئلة وأجوبة

أنواع النسيان

وهذه أسئلة وأجوبة في موضوع المحاضرة أحببنا ذكرها تتميمًا للفائدة :

س١ : ورد في الحديث قول الرسول ﷺ : ﴿ عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر أعظم من رجل حفظ آية ثم نسيها ﴾ [(١)] **أو كما قال ﷺ فما معنى هذا الحديث ؟**

ج١ : أنا لا أعرف هذا الحديث ولم أطلع عليه ، ولكن النسيان على قسمين :

الأول : إذا كان ذهولًا أو بسبب مرض أصاب الإنسان فهذا لا يؤاخذ عليه .

والثاني : إذا كان بسبب الإعراض عن تلاوة كتاب الله فهذا يؤاخذ عليه لأنه نسيه بسبب الإهمال .

من لا يستطيع إكمال التلاوة لضيق صدره

س٢ : فضيلة الشيخ : إني أحاول أن أقرأ القرآن الكريم وأحب كتاب الله كثيرًا ولكن صدري يضيق علي فلا أستطيع أن أكمل التلاوة فما هو الحل ؟

ج٢ : الحل فيما أرشد الله سبحانه وتعالى إليه في قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [(٢)] .

أرشدنا الله سبحانه وتعالى قبل أن نتلو القرآن أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم من أجل أن يطرد الله عنا هذا العدو وأن يبعده عنا .

وعليك بالتدبر فإنك إذا تدبرته فإن هذا مما يجلب لك الخشوع ويرغبك بالقرآن ولا يكون كل همك إكمال السورة أو ختم الجزء أو ما أشبه ذلك بل يكون مقصودك هو

---

(١) الترمذي فضائل القرآن (٢٩١٦) ، أبو داود الصلاة (٤٦١) .

(٢) سورة النحل الآيات : ٩٨ - ١٠٠ .

التدبر والتفكر فيما تقرأ من آيات الله سبحانه وتعالى وكان رسول الله ﷺ يطيل القراءة في صلاة الليل ولا يمر على آية رحمة إلا وقف وسأل الله ولا يمر بآية فيها ذكر العذاب إلا وقف واستعاذ بالله ، مما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بتدبر وحضور قلب .

أسهل طريقة لحفظ كتاب الله

س٣ : فضيلة الشيخ حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، ما نصيحتكم للشباب في أسهل طريقة لحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى ؟

ج٣ : القرآن ميسر وسهل الحفظ ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)] والشأن هو في عزيمة الإنسان وصدق نيته ، فإذا كان لديه عزيمة صادقة وإقبال على القرآن فإن الله ييسر له حفظه ويسهله عليه ، وهناك أمر يساعد على حفظه كتخصيص وقت مناسب في كل يوم تحضر مع مدرس القرآن في المسجد ، والحمد لله المدرسون اليوم كثيرون ولا تجد حيا من الأحياء إلا وفيه من يدرس القرآن ، وهذه فرصة عظيمة ما كانت موجودة في الزمان السابق ، فعلى الأخ أن يختار أي حلقة من الحلقات أو أي مدرس من المدرسين ويلازم الحضور معه يوميًا إلى أن يكمل القرآن .

وأيضًا عليك أن تكثر من استعادة ما قرأت مرة ثانية وثالثة حتى يثبت في قلبك وذاكرتك ، وعليك بالعمل بكتاب الله فإنه أعظم وسيلة لتعلمه ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [(٢)] .

التفسير الذي ينصح بقراءته

س٤ : فضيلة الشيخ حفظه الله ، التفاسير كثيرة فما هو التفسير الذي ينصح بقراءته وجزاك الله خيرا ؟

ج٤ : لا شك أن التفاسير كثيرة والحمد لله ، وهذا من نعم الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة القمر آية : ١٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢ .

والتفاسير متفاوتة منها المطول ومنها المختصر ومنها التفسير السالم من الأخطاء ومنها التفسير الذي فيه أخطاء ولا سيما في العقيدة ، والذي أنصح به إخواني من الشباب هو تفسير ابن كثير فإنه من أعظم التفاسير وأحسنها طريقة ومنهجا بالرغم من اختصاره لأنه يفسر القرآن بالقرآن أولا ثم بالسنة النبوية ثم بأقوال السلف ثم بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها ، فهو تفسير متقن وموثوق .

وأيضا هناك تفسير البغوي وتفسير الحافظ ابن جرير الطبري فهو تفسير واسع وشامل ، فهذه التفاسير موثوق بها ، وكذلك تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي فهو تفسير جيد وسهل العبارة غزير العلم ، أما بقية التفاسير فهي تجيد في بعض النواحي ولكنها فيها أخطاء ولا سيما في العقيدة ، ولا يصلح أن يقرأ فيها إلا الإنسان المتمكن بحيث يأخذ منها ما فيها من الخير ويتجنب ما فيها من الخطأ ، لكن المبتدئ لا يستطيع هذا فعليه أن يأخذ التفسير الذي ليس فيه مزالق وليس فيه أخطاء مثل تفسير ابن كثير ، وتفسير البغوي ، وتفسير الحافظ ابن جرير وكلها تفاسير والحمد لله قيمة وجيدة .

أهم الدروس التي يبدأ بها طالب العلم

س٥ : ما هي أهم الدروس التي يبدأ بها طالب العلم ؟ وبماذا تنصحه ؟ وماذا تقول لمن يتعلل بالدراسة حينما نريد أن نصحبه إلى حضور الدروس والمحاضرات ؟

ج٥ : أولا : طالب العلم يجب عليه أن ينضم إلى أحد المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فإن فيها المقررات الطيبة المرتبة على حسب درجات طلبة العلم شيئا فشيئا ، السنة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة وهكذا ، وكل سنة فيها مقررات تختلف عن مقررات السنة السابقة بالتدرج ، وهي مقررات اختارها علماؤنا وأساتذتنا الذين أحسنوا في تأسيس هذه المعاهد واختيار المناهج المقررة لها ، فأوصي طالب العلم أن ينضم إلى أحد هذه المعاهد واختيار المعاهد المقررة لها ، فأوصي طالب العلم أن ينضم إلى أحد هذه المعاهد مهما أمكن ذلك ، ثم يلتحق بعدها بالكليات الجامعية مثل

كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية الحديث وعلومه وكلية اللغة العربية وهكذا ، وبإمكان طالب العلم الذي لم يلتحق بهذه المعاهد وهذه الكليات أن يجد مجالا له في دروس العلماء الذين يدرسون في المساجد وهي والحمد لله كثيرة ، وهذه الدروس شاملة لجميع العلوم الشرعية .

وأوصي طالب العلم بأن يلازم هذه الدروس سواء في الكليات أو في الدروس التي تلقى في المساجد فلا يكفي منه أن يحضر في أسبوع ويتغيب في أسابيع أو يحضر شهرًا ويتغيب شهورًا ، فإن هذا لا يستفيد شيئاً ؛ لأنه إذا فاته شيء من العلم يبقى فارغا في ذاكرته ومعلوماته ويفوته خير كثير ، فالشأن في الملازمة والإقبال والحرص .

استعاذة المأموم إذا مر الإمام في الصلاة بآية عذاب وسؤال الله إذا مر بآية رحمة

س٦ : فضيلة الشيخ حفظه الله ، ما رأيكم فيما يفعله بعض الناس الآن حيث إنهم إذا مر الإمام في الصلاة بآية عذاب استعاذ بالله مع أنهم في صلاة ، وإذا مر بآية رحمة سأل الله وهكذا ؟ فما الحكم في ذلك جزاكم الله خيرا ؟

ج٦ : لا شك في مشروعية ذلك في النافلة ؛ لأن الرسول ﷺ كان يفعله في النافلة ، أما في الفريضة فالذي أراه أن هذا لا يشرع لأن الرسول ﷺ ما كان يفعله في الفريضة ، وإنما كان يفعله بالنافلة .

فينبغي للمأموم أن ينصت للقرآن في الصلاة ولا يقول شيئًا أبداً ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [(١)] ، قال الإمام أحمد رضي الله عنه نزلت هذه الآية في الصلاة ، أي : سبب نزولها كان في الصلاة ، فالمأموم يستمع إلى قراءة إمامه في الفريضة ولا يدعو عند آية الرحمة أو يستعيذ عند آية العذاب وإنما هذا في النافلة .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٤ .

ترك المساجد المجاورة للصلاة خلف إمام حسن الصوت

س٧ : فضيلة الشيخ هناك إمام في أحد مساجد الرياض له صوت جميل وحسن في القرآن وصار الناس يتوافدون عليه بكثرة من أماكن بعيدة وتركوا مساجدهم المجاورة لهم في الصلاة الجهرية خصوصًا في ليالي رمضان في التراويح فهل هذا جائز ، أفيدونا جزاكم الله خيرًا ؟

ج٧ : نعم ، هذه ظاهرة موجودة ، وهو أن الناس يتكاثرون في بعض المساجد ويأتون من مكان بعيد إليها وهذا غير مرغوب فيه ، وأنا لا أستحسن ذلك لأن الأفضل أن تصلى في المساجد المجاور لبيتك وتعمره ، ولأن هذا لا تكلف فيه وأبعد عن الرياء ، ولما قد يحصل عند إمام المسجد المتروك من التأثر النفسي والفرقة بينه وبين جماعة مسجده الذين لا يصلون معه ، وإذا ترك الناس مساجدهم وذهبوا إلى مساجد معينة تعطلت المساجد الأخرى ، فأنا لا أستحسن ذلك ، والأفضل أن كل أهل حي من الأحياء يصلون في مسجدهم .

الشيء الثاني :

أن الناس إذا تكاثروا في مسجد ربما يصلون في الشوارع ، والصلاة في الشارع في مثل هذه الحالات إذا ضاق المسجد لأنها لا تفعل في غيره ، فإذا ترتب على الاجتماع في مسجد من المساجد أنهم يصلون في الشارع في غير صلاة الجمعة فهذا لا يجوز لأن الصلاة في الشارع تجوز في حالة الضرورة ، وهي الصلاة التي لا تؤدى في غير هذا المسجد .

قراءة القرآن بغير وضوء

س٨ : فضيلة الشيخ ، ما حكم من يقرأ القرآن وهو على غير وضوء سواء كانت قراءة عن ظهر غيب أو من المصحف ؟

ج٨ : يجوز للإنسان أن يقرأ القرآن على غير وضوء إذا كانت القراءة حفظًا عن ظهر قلب ؛ لأن الرسول ﷺ لم يكن يحبسه عن القراءة إلا الجنابة ، كان يقرأ متوضئًا وغير متوضأ .

أما المصحف فلا يجوز لمن عليه حدث أن يمسه لا الحدث الأصغر ولا الحدث الأكبر ، قال الله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [١] أي المطهرون من الأحداث والأنجاس ومن الشرك ، وفي الحديث عن النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه إلى عامله عمرو بن حزم قال : ﴿ لا يمس المصحف إلا طاهر ﴾ [٢] ، وهذا باتفاق الأئمة الأربعة أنه لا يجوز للمحدث حدثًا أصغر أو أكبر أن يمس المصحف إلا من وراء حائل كأن يكون في صندوق أو كيس أو يمسه من وراء ثوب أو من وراء كمه .

الاهتمام بأمور المسلمين دون حفظ القرآن لضيق الوقت

س٩ ما رأي فضيلتكم فيمن يهتم بأمور المسلمين المهمة كالدعوة إلى الله وتربية الشباب على التمسك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ولا يجد الوقت لحفظ القرآن الكريم فما نصيحتكم لمثل هؤلاء ؟

ج٩ : يجب على الداعية أولا أن يتأهل قبل أن يباشر الدعوة بأن يدرس القرآن الكريم ومعانيه وتفسيره ، ويدرس السنة النبوية ما تيسر منها ، ويقرأ في شروحها ويتعلم الأحكام

---

(١) سورة الواقعة آية : ٧٩ .

(٢) مالك النداء للصلاة (٤٦٨) .

الشرعية ، فيجب على الداعية إلى الله أن يكون مؤهلًا ، فلا يصلح للدعوة إلا من كان معه علم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (١) .

البصيرة هي العلم والحكمة ، وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ (٢) .

فالجاهل لا يصلح للدعوة لأنه ربما يسيء للدعوة كأن يحلل حرامًا أو يحرم حلالًا أو يشدد في موضوع لا يتحمل التشدد أو غير ذلك فلا بد من شروط للداعية ، الشرط الأساسي منها أن يكون متعلمًا العلم الذي يستطيع به أن يدعو الناس إلى دين الله عز وجل .

وأيضًا ربما يعرض على الداعية شبهات تحتاج إلى جواب عنها فإذا كان جاهلًا فكيف يجيب على هذه الشبهات .

كيف يجيب على اعتراضات المعترضين ، أو كيف يقاوم الملاحدة والفساق والمشبهين ، فإذا لم يكن عنده علم فسوف ينهزم أمامهم ، فلا بد للداعية من العلم بالقرآن وبالسنة النبوية وبالحديث وبالفقه والعقيدة وغيرها من العلوم .

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .

المحاضرة الثلاثون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه والمتمسكين بسنته إلى يوم الدين تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ،

فإن الموضوع الذي سنتحدث عنه - إن شاء الله - هو موضوع يهم جميع المسلمين ، ألا وهو " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " .

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة الأنبياء والمرسلين ولا سيما خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ فإن الله وصفه بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [(1)] .

وكما أن هذا هو وصف النبي ﷺ فهو صفة أمته كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [(2)] .

(1) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

(2) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [1] .

معنى المعروف والمنكر

والمراد بالمعروف جميع الطاعات ، وسميت معروفا لأنا تعرفها العقول السليمة والفطر المستقيمة ، أول المعروف وأعظمه عبادة الله وحده لا شريك له ، وإخلاص العبادة لله ﷻ وترك عبادة ما سواه ، وهذا أعظم المعروف ، وبعد ذلك سائر الطاعات من واجبات ومستحبات كلها تدخل في نطاق المعروف ، فكل ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسوله ﷺ فإنه معروف .

والمنكر : كل ما نهى الله عنه ورسوله ، فجميع المعاصي منكر لأنا تنكرها العقول السليمة والفطر المستقيمة ، وتنكرها الشرائع السماوية ، كما أن المعروف تقره الشرائع السماوية ، فكذلك المنكر تنكره جميع الشرائع السماوية وتنكره أيضا العقول السليمة .

أعظم المنكر : وأعظم المنكر الشرك بالله ﷻ ولهذا أول ما تأمر الرسل عليهم الصلاة والسلام بأعظم الطاعات وهو عبادة الله ، وأول ما تنهى عنه الشرك وهو أعظم المنكرات وهو عبادة غير الله ﷻ أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَۖ ﴾ [2] .

وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ [3] .

وكذلك يدخل في المنكر كل المعاصي كبائرها وصغائرها .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

فائدة قيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا صلاح للبشرية إلا بقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن طبيعة الاجتماع البشري أن الإنسان لا يعيش وحده ، وحتى لو عاش وحده فإنه يجب عليه أن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر ، ولكن في المجتمعات البشرية يتأكد ذلك ويتعاظم وجوبه لأن من طبيعة البشر - إلا من رحم الله - العدوان والظلم بحكم النفوس الأمارة بالسوء وبحكم وجود شياطين الأنس والجن الذين يزينون للناس القبائح ويثبطونهم عن الطاعات ، وبحكم وجود المغريات من الشهوات المحرمة في كل وقت بحسبه ، فإن المجتمعات البشرية توجد فيها المغريات للوقوع في المحرمات من النساء والمآكل والمشارب والمكاسب ، فهناك مغريات فاتنة تغري كثيرًا من الناس لمقارفة المنكر وتثبط كثيرًا من الناس عن أداء الواجبات والمستحبات .

وبحكم أن هذا من لازم البشر اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستقيم شأن الأمة وحتى تقاوم هذه الأمراض ، والآن توجد مستشفيات لعلاج الأمراض الحسية التي تصيب الأبدان ، ويوجد الأطباء لمعالجة الأجسام ، وهذا شيء يحمد عليه وشيء مطلوب ، والمجتمعات كذلك تحاول توفير كل ما فيه بقاء المجتمع وقوة المجتمع ، ومن أعظم ما يهدده أمراض الشهوات والشبهات ، فإن أمراض الشهوات والشبهات أشد خطرًا من أمراض الأجسام ؛ لأنها أمراض تصيب القلوب وتصيب الدين الذي لا صلاح للبشر إلا به ، والقلوب هي ملوك الأجسام ، كما قال ﷺ : ﴿ ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ﴾ [1] .

---

(١) البخاري الإيمان (٥٢) ، مسلم المساقاة (١٥٩٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٤) ، أحمد (٢٧٠/٤) ، الدارمي البيوع (٢٥٣١) .

فأمراض الشهوات والشبهات تصيب القلوب حتى تمرض أو حتى تموت ، إذا لا بد من مقاومة هذه الأمراض وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل مجتمع حتى ولو كان مجتمعًا إسلاميًا ولو كان الإيمان قد انتشر فيه لا بد أن يكون هناك فيه من الفساق ومن ضعفاء الإيمان ، ولا بد أن يكون هناك من يقع في المحرمات ، حتى في العهد النبوي عهد الرسول ﷺ والقرون المفضلة التي هي أزكى القرون والتي أثنى عليها رسول الله ﷺ بالخيرية : ﴿ خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ﴾ [1] ، قال الراوي : لا أدري ذكر بعد قرنه اثنين أو ثلاثة ، في هذه القرون المفضلة وجد من يعصي ، وجد من يزني ، وجد من يسرق ، ولذلك أقيمت الحدود في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين في القرون المفضلة لقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعلاج هذه الأمراض الفتاكة ، فما بالكم بالقرون المتأخرة ؟ وما بالكم بالقرون التي نعيش فيها ؟ وقد فتحت الدنيا وتقاربت البلدان واختلط العالم أقصاه بأقصاه ، وصار ما يحدث في أقصى المعمورة يصل إلى أقصاه بسرعة .

ويتأكد إذن قيام جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الوقت والاهتمام به ، فليس هو الأمر الهين ، فالإنسان يجب عليه أن يأمر نفسه وينهاها ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [3] .

---

(١) البخاري الشهادات (٢٥٠٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٢) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٩) ، أبو داود السنة (٤٦٥٧) ، أحمد (٤/٤٢٧) .

(٢) سورة النازعات الآيات : ٣٧ - ٤١ .

(٣) سورة الشمس الآيات : ٧ - ١٠ .

كذلك على الإنسان أن يأمر أهله وأهل بيته ، قال تعالى : ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ [1] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [2] وقال ﷺ : ﴿ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ﴾ [3] .

وكذلك يمتد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من البيوت إلى الشوارع إلى التمعات ، لأن هذه من باب التعاون على البر والتقوى ، وهذا هو التكافل الاجتماعي الصحيح ، وهو أعظم التعاون على البر والتقوى ، كما قال ﷺ : ﴿ الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ [4] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في هذه النصيحة .

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وما دام الأمر كذلك فيجب أن نعرف حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقد نص العلماء رحمهم الله على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على هذه الأمة لا خيار فيه ، ولكن هو واجب على الكفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وإذا لم يقم به أحد أثم عليه جميع أفراد الأمة ، ويسألها الله يوم القيامة عنه

(١) سورة طه آية : ١٣٢ .

(٢) سورة التحريم آية : ٦ .

(٣) البخاري الجمعة (٨٥٣) ، مسلم الإمارة (١٨٢٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٥) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨) ، أحمد (٢/١٢١) .

(٤) مسلم الإيمان (٥٥) ، النسائي البيعة (٤١٩٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٤٤) ، أحمد (٤/١٠٣) .

ويحاسبها عليه ، قال تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [1] .

فقوله : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ ﴾ [2] " من " هنا حرف تبعيض ، أي تقوم جماعة فيها الكفاية وفيها السداد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع المسلمين ، وحينئذ تكون الأمة قد أدت هذا الواجب ، إذا جندت جماعة تقوم به على الواجب المطلوب ، ومع هذا يجب على الجميع التعاون مع هذه الجماعة وألا تلقي المسؤولية عليها ، بل يتعاون جميع المسلمين مع هذه الجماعة بما يتطلبه الأمر ، وكون هذه الجماعة هي القائمة عليه ، وإذا لم يقم به جماعة من المسلمين على الوجه المطلوب أثمت الأمة جميعًا ، وكل فرد من أفرادها يناله الإثم ويحاسب يوم القيامة ، لماذا أهملتم هذا الجانب ؟ هذا هو حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه واجب لا بد منه ، ووجوبه على الكفاية ، يعني : أن لا بد أن تقوم جماعة من المسلمين يكلفها ولي الأمر ويجندها لمتابعة هذا الجانب والقيام به على خير وجه ، ويجب على المسلمين أن يتعاونوا مع هذه الجماعة وأن يناصحوها وأن يبذلوا معها ما يستطيعون ، لان المسلمين كما شبههم النبي ﷺ كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، هذا هو حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذه الأمة لأن قوله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ ﴾ [3] خطاب لهذه الأمة ، فقوله : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [4] قال المفسرون : كنتم خير الناس للناس .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

سبب مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

" لماذا شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ "

لأنه لا يكفي الإنسان أن يكون صالحا في نفسه ، بل عليه أن يصلح نفسه ويصلح الآخرين : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ (١) ، وكما أنك تحب لنفسك دخول الجنة والنجاة من النار فتعمل بطاعة الله وتجتنب معاصي الله كذلك تحب لإخوانك دخول الجنة والنجاة من النار ، ولا يكون ذلك إلا بأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنت حين تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر تريد لهم الخير ، لا تريد إظهار نقص فيهم ولا إظهار عيب ما ولا الحط من قدرهم ولا تعييرهم ، وإنما تريد نفعهم ، تريد إنقاذهم من النار ودخولهم الجنة ، كيف تتركهم يقعون في النار وأنت تقدر على إنقاذهم بأن تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر ؟ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها - يعني : أن بعضهم صار في الطابق العلوي وبعضهم صار في الطابق السفلي ، والطابق السفلي أقرب إلى الماء - فكان الذين في الطابق السفلي إذا أرادوا الماء يصعدون إلى الطابق العلوي للحصول على الماء ، فقالوا : لو خرقنا في نصيبنا خرقا لنأخذ منه الماء ، - أي من الجانب السفلي- ولا نؤذى من فوقنا - بأن نصعد إليهم ونتردد عليهم ، ومعلوم أن السفينة إذا خرقت دخلها الماء وغرقت وغرق أهل الطابق الأعلى والطابق السفلي - ولو أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا ﴾ (٢) ، هكذا المجتمع أهل الطابق الأعلى فيه هم ولاة الأمور والعلماء وأهل الرأي وأهل العقول السليمة ، ومن دونهم هم بعض القصار وبعض الفساق وبعض ضعاف

---

(١) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

(٢) البخاري الشركة (٢٣٦١) ، الترمذي الفتن (٢١٧٣) ، أحمد (٢٧٠/٤) .

الإيمان هؤلاء في الطابق السفلي ، فيجب على أهل الطابق العلوي من أهل الإيمان والعقول أن يأخذوا على أيدي هؤلاء بأن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر حتى تحصل النجاة للجميع ، وأما إذا تركوهم يقعون في المعاصي فهم كمن تركوا أهل الطابق السفلي في السفينة يخرقون فيها ، لأن العقوبة إذا نزلت عمت الجميع ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [(١)] عمت الصالح والطالح ، عمت الطالح لمعصيته وعمت الصالح لسكوته وتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام الأمان لهذه الأمة ، متى تحقق ووجد فإن هذا علامة نجاتنا وسلامتها ، ومتى عدم هذا الجانب - ولا حول ولا قوة إلا بالله - أو ضعف فإن هذا علامة هلاك الأمة ، ولهذا لما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : ﴿ يا رسول الله أنلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث ﴾ [(٢)] .

ما أصاب المجتمعات في هذا العصر
بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المجتمعات المعاصرة وما فيها الآن من النكبات وما فيها من الفتن وما فيها من البهيمية وضياع الأخلاق وضياع الأعراض واختلال الأمن ، تسمعون من ذلك الشيء الكثير ، حتى وإن كانت تملك السلاح وتملك القوة والمخترعات ، لكنها ضائعة في أخلاقها ، وفي أعراضها ، مهددة في أمنها ، أما الأمة التي تؤمن بالله ورسوله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فإنا آمنة كما ترون والحمد لله في هذه البلاد ، ونرجو الله أن يتم نعمته ، وأن يديم علينا فضله ، وأن يجعلها أمة صالحة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر ، هذا جانب عظيم يا عباد الله ، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوائد عظيمة ، وقد نص الله تعالى عليها في كتابه الكريم فأخبر سبحانه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب الاستقرار والتمكين

(١) سورة الأنفال آية : ٢٥ .

(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٦٨) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٠) ، الترمذي الفتن (٢١٨٧) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٣) ، أحمد (٦/٤٢٩) .

في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝ ﴾ (1) أخبر سبحانه بل أقسم سبحانه وتعالى أن ينصر من ينصره ، فمن هم الذين ينصرون الله ؟ هم الذين ينصرون دين الله ﷻ ثم بينهم بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝ ﴾ (2) .

إذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للأمن والاستقرار والنصر على الأعداء والتمكين في الأرض ، وأخبر سبحانه وتعالى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينجي من عذاب الله إذا نزل في الأرض ، لا ينجو إلا الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، أما الساكتون والمداهنون فإنهم يهلكون ولو كانوا صالحين ، يهلكون مع العصاة ، قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ (3) ناهم الله عن صيد السمك يوم السبت ابتلاء وامتحانًا لهم ، ولكنهم احتالوا عليه ونصبوا له الشباك وحفروا الحفر يوم السبت فصاروا يأخذونه يوم الأحد احتيالًا على ما حرم الله ﷻ قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ ﴾ (4) حتى إن الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحيتان تأتيهم وتكثر في اليوم الذي نهوا عن صيدها فيه ابتلاء لهم وامتحانا فأغراهم ذلك بأن يحتالوا على أكلها ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ (5) يعني نختبرهم ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ ﴾ (6) ، ﴿ وَإِذْ

(1) سورة الحج الآيتان : ٤٠ - ٤١ .
(2) سورة الحج آية : ٤١ .
(3) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .
(4) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .
(5) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .
(6) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .

قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [1] .

لما نزل العذاب لم ينج إلا الذين نهوا عن المنكر ، أما الذين سكتوا فلا يدرى هل هم من الناجين أم هم مع الهالكين ؟ ولما ذكر سبحانه وتعالى في سورة هود ما وقع في الأمم السابقة من النكبات والعقوبات والهلاك ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [2] .

ما قال صالحون فقط بل قال : " مصلحون " والمصلحون هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولهذا قال : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ ﴾ [3] .

فذكر أنه سبحانه وتعالى نجا هؤلاء القليل الذين ينهون عن الفساد في الأرض ، وأن الأكثرين هلكوا لأنهم لا ينهون عن الفساد في الأرض ، وكما أن الإنكار سبب للنجاة من العذاب والعقاب فإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للهلاك وسبب للعنة الله سبحانه وتعالى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [4] .

وقد تلى النبي ﷺ هذه الآية على أصحابه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ، ولتأطرونه على الحق

---

(١) سورة الأعراف الآيتان : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) سورة هود الآيتان : ١١٦ - ١١٧ .

(٣) سورة هود آية : ١١٦ .

(٤) سورة المائدة الآيتان : ٧٨ - ٧٩ .

أطرا ، أو ليضربن الله على قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم ﴾ [1] ، والله جل وعلا قص علينا هذا لأجل أن نحذر من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء ، حتى لا تحق علينا لعنة الله ﷻ وغضب الله ، إذا لا بد من وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أمة محمد ﷺ التي هي خير أمة أخرجت للناس ، قال أبو هريرة : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأتون بهم يقادون في السلاسل حتى يدخلون الجنة ، بمعنى أنكم تأسرون الكفار ثم يسلمون ويدخلون الجنة ، فأسرهم كان لمصلحتهم وإنقاذهم من عذاب الله ، فهذا من فضل هذه الأمة الذي منحه الله لها .

الحكمة من مشروعية الجهاد في سبيل الله

المسلمون لا يجاهدون الكفار طمعًا في أراضيهم أو طمعًا في أموالهم ، وإنما يجاهدون لأجل إنقاذهم من النار إن اهتدوا ، ولأجل إراحة المسلمين منهم وتطهير الأرض من شركهم وكفرهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [2] .

هذا هو الغرض من الجهاد الذي هو أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مزية عظيمة لهذه الأمة تجاهد الناس لأجل مصلحة الناس ، ولأجل إدخالهم في الجنة وإنقاذهم من النار .

الصفات التي يجب توافرها فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

لكن ما كل أحد يصلح لأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا بد من صفات تتحقق في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحلى بثلاث صفات :

الصفة الأولى : العلم : بأن يكون عالمًا يأمر به وبما ينهى عنه ، يعلم ما هو المنكر من المحرم والمكروه ، وبعبارة أخرى : يعلم ما هو المنهي عنه شرعًا حتى ينهى عنه ، ويعلم ما

---

(١) أبو داود الملاحم (٤٣٣٦) .

(٢) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

هو المأمور به شرعًا حتى يأمر الناس به ، لا بد أن يكون على جانب من العلم ، يعلم به ما هو المنكر ويعلم ما هو المعروف ، فإن أمر ونهى بغير علم فإن ضرره يكون أكثر من نفعه ؛ لأنه قد يأمر بما ليس بمشروع وينهى عما كان مشروعًا ، وقد يحلل الحرام ويحرم الحلال وهو لا يدري يتكلم بغير علم ، فهذا ضرره أكثر من نفعه إن وجد فيه نفع فالضرر أكثر والخطر أعظم ، هذه هي الصفة الأولى .

الصفة الثانية : الرفق : أن يكون رفيقًا حكيمًا بما يأمر به وفيما ينهى عنه .

الصفة الثالثة : أن يكون صبورًا على الأذى .

إذا ثلاث صفات : العلم ، والرفق ، والصبر .

(الصفة الأولى) وهي العلم تكون قبل الأمر والنهي (الصفة الثانية) وهي الرفق تكون في حالة الأمر والنهي ، (الصفة الثالثة) وهي الصبر تكون بعد الأمر والنهي (والرفق) بأن يرفق بالناس ويأمرهم بطريقة حكيمة وطريقة رفيقة لأنه يريد بهم الخير ويكون تأثيره فيهم أبلغ .

الأمور التي يجب أن ينظر إليها قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر الأول : أن ينظر في نتيجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أن يدخل فيه ، ما الذي يترتب عليه ، ما الذي يحصل إذا أمر ونهى ؟ وفي ذلك ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زوال الحالة يتأكد الأمر بالمعروف ويجب لأنه إزالة شر وإقرار خير .

الحالة الثانية : ألا يزول المنكر كله ولكن يخفف ، وفي هذه الحالة أيضًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تخفيفًا للشر ، لأنه إذا لم يمكن إزالته بالكلية فعلى الأقل يخفف .

الحالة الثالثة : العكس بأن يترتب على الإنكار حصول منكر أعظم أو مساو ، ففي هذه الحالة يتوقف الإنسان لأنه إذا ترتب على إنكاره حصول معصية أكبر منها فإنه لا

يجوز الإنكار إلى أن يفتح الله سبحانه وتعالى ويأتي الله بالفرج ، ويكون هذا من باب (ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما) هذه قاعدة معروفة في الدين ، ومن سيرة النبي ﷺ تجد هذا واضحًا ، فيوم أن كان بمكة عليه الصلاة والسلام وكان يرى الأصنام ويرى غيرها لكنه يقتصر على دعوة الناس إلى التوحيد وإلى العبادة ولم يكسر الأصنام ولم يحطمها لأنه يترتب على هذا شر أشد وهو القضاء على الدعوة ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [1] .

فإذا ترتب على مسبة الأصنام ومسبة المعبودات أن تسلط الكفار وسبوا الله ﷻ فهذه مفسدة أعظم ، و (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ، هذا من جانب النظر فيما يثمره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليس التوقف معناه أننا نعطل هذا الشيء ، بل معناه أن نعمل ما نستطيع من الدعوة والترغيب والبيان ، وأما إزالته فتتوقف حتى تكون بأيدينا المقدرة الكافية .

النظر في حالة الشخص الواقع في المعصية ومعاملته بحسبها

وكذلك من الرفق أو من الحكمة النظر في حالة الشخص الذي يؤمر وينهى ، والذي وقع في المعصية ثلاث حالات :

الحالة الأولى : يكون جاهلًا أنا معصية وجاهلًا أن هذا الشيء محرم ، فهذا يكفي أنك تبين له ، فتقول : فلان فعلت معصية ، يا فلان فعلت محرمًا ، فإذا وقع فيه عن جهل فإنه سيتركه .

الحالة الثانية : أن يعلم أنه فعل مصيبة وأنه فعل محرمًا فهذا يوعظ ويخوف بالعقوبة .

الحالة الثالثة : أن يجادل ويأتي بشبه ، فهذا يجادل بالتي هي أحسن حتى تدحض شبهته .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٨ .

حالات الناس اليوم مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الناس في هذا الوقت ثلاثة أصناف طرفان ووسط :

الطرف الأول : أناس تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وهذا ترك لواجب عظيم من واجبات الإسلام ، وهدم لأعظم المقومات لهذا الدين ، وتسلط لأعداء الله ورسوله ، وتسلط للعصاة والمفسدين ، فإن الشر إنما ينتشر إذا عطل جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه يصبح بدون مقاوم ، وأنتم تعلمون أن شياطين الإنس والجن إذا سنحت لهم الفرصة فإنهم ينشرون شرهم بسرعة وبشتى الوسائل ولا يقاومهم إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المؤيد بالسلطان .

الطرف الثاني : أناس تشددوا في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخرجوه عن إطار الحكمة والموعظة الحسنة إلى إطار التنفير والتشديد ومواجهة الناس بالغلظة والقسوة ، وهذا لا يجوز ولا يصلح أن يكون أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ، فإذا جاء أحدهم على إنسان جاهل ارتكب معصية من المعاصي فعنفه ووبخه تكلم في حقه وجرحه ، فهذا ليس من الحكمة ، أو زاد في إنكاره عليه أكثر من اللازم ، هذا والجانب الأول كلاهما خطأ .

أما الوسط : وخير الأمور أوساطها ، وقد جعل الله هذه الأمة أمة وسطًا فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن الإنسان الذي يواجه الناس ويأمرهم وينهاهم يحصل له أذى بلا شك بالقول أو بالفعل ، يواجه الناس مواجهات ، فلا بد أن يصبر ، وإذا لم يكن صبورًا فإنه سيقف في أول الطريق ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا

عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [(١)] .

وقال لقمان لابنه في جملة ما أوصاه به : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٢)] فدل هذا على أن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى الصبر ؛ لأن في مقابل الأمر والنهي مشقة من الناس وتعبًا ، فلا بد أن يصبر .

والصبر معناه ، حبس النفس وهو ثلاثة أنواع :

حبس النفس على طاعة الله .

وحبس النفس عن معصية الله .

وحبس النفس عن الجزع لأقدار الله المؤلمة .

ويكون للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر النصيب الأكبر من الصبر والتحمل ، وتعرفون ما جرى على الرسل عليهم الصلاة والسلام خلال ما قصه الله عن أول الرسل نوح عليه السلام وأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [(٣)] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا إلى آخر السورة .

---

(١) سورة النحل الآيات : ١٢٥ - ١٢٧ .

(٢) سورة لقمان آية : ١٧ .

(٣) سورة نوح الآيات : ١ - ١٠ .

والنبي محمد ﷺ خاتم الرسل ، ماذا لقي من قومه في مكة وهو يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ ؟ وكيف قابلوه بالأذى بالقول والفعل ، وقالوا : ساحر ، قالوا : كاهن ، قالوا : إنه يتعلم من غيره من النصارى أو من أهل الكتب السابقة ، معلم مجنون ، قالوا . . وقالوا لأكرم الخلق عليه الصلاة والسلام ، وضعوا له الأذى في الطريق ووضعوا عليه الأذى وهو ساجد عليه الصلاة والسلام ، وضربوه بالحجارة حتى أدموا عقبه عليه الصلاة والسلام في الطائف ، شجوه في أُحد وكسروا رباعيته ، وهشموا المغفر على رأسه عليه الصلاة والسلام وماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة أن نصره الله ﷻ وماذا قابلهم به بعد أن نصره الله ودخل مكة بعد ثمان سنوات من الهجرة ومعه جيوش الإسلام وكتائب التوحيد ، حتى استولى على مكة وظفر بأعدائه وجلسوا تحت قدمه عليه الصلاة والسلام ، وقال لهم : « يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، هذه سيرة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، صبر وانتظار للفرج ، وفي النهاية تكون العاقبة لهم بالنصر والنجاة ، ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [1] .

درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان » [2] . بين ﷺ في هذا الحديث الصحيح الوجيز درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن كلا منا يتحمل ما يستطيع .

---

(١) سورة يونس آية : ١٠٣ .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٣/٣) .

﴿ من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ﴾ [(١)] ، إذا كان يستطيع إزالة المنكر باليد ؛ لأن الله أعطاه سلطة ، حيث ملكه الله كسلطان المسلمين وإمامهم الذي ولاه الله هذا الأمر أو نائبه ، يستطيع إزالة المنكر باليد .

﴿ فإن لم يستطع فبلسانه ﴾ [(٢)] : إذا لم يكن باستطاعته إزالة المنكر بيده ، فإنه ينتقل إلى المرتبة الثانية ﴿ فإن لم يستطع فبلسانه ﴾ [(٣)] بأن يبين للناس الحلال والحرام والطاعات والمعاصي عن طريق المناصحة الفردية فيما بينك وبين أخيك المسلم ، والمناصحة العملية بالخطب والمحاضرات والندوات والدروس بالحكمة والموعظة الحسنة ، يبين للناس ليهدي الله من يشاء ﷻ وكم من كلمة حكيمة أغنت عن كثير من القوة ، كلمة حكيمة تؤثر في القلوب ، كم من خطبة أو محاضرة أثرت ونفعت بإذن الله ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [(٤)] ، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(٥)] . ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ [(٦)] .

وإذا كان الإنسان لا يستطيع - ولا حول ولا قوة إلا بالله - أن يعلن للناس بيان ما وجب عليهم وما حرم عليهم فإنه لا أقل من أن ينكر بقلبه ، ينكر على أهل المعاصي معاصيهم ، يعني : يكره المعاصي وأهلها .

---

(١) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/٥٤) .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/٥٣) .

(٣) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/٥٣) .

(٤) سورة الغاشية آية : ٢١ .

(٥) سورة الذاريات آية : ٥٥ .

(٦) سورة الأعلى آية : ١٠ .

حكم مخالطة العصاة

إذا لم يكن في مخالطة العصاة طمع في هدايتهم والتأثير عليهم يعتزلهم ، ولا يخالطهم مسرورًا معهم ومنبسطًا معهم لأن هذا هو المداهنة ، فالذي يخالط الناس العصاة والفساق ولا ينكر هذا عليهم ولا يكره ما هم عليه بقلبه بل يكون منشرح الصدر معهم منبسط البال يكون مداهنًا المداهنة المنهي عنها ، والإنكار بالقلب واجب على كل مسلم ، لا يعذر أحد به ، لأنه لا يمكن أن يمنع من الإنكار بالقلب أبدًا فإذا كان لا ينكر المنكر بقلبه فهذا دليل على خلوه من الإيمان ، وقال ﷺ : ﴿ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ﴾ [(١)] ، وفي رواية : ﴿ وذلك أضعف الإيمان ﴾ [(٢)] هلك من لم ينكر المنكر بقلبه ، فإذا مرتبة الإنكار بالقلب واجبة عينية على كل مسلم لا يعذر أحد بتركها ، أما الإنكار باليد والإنكار باللسان فهذا يكون حسب الإمكان وحسب الاستطاعة ، والله تعالى يقول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [(٣)] .

ويقول النبي ﷺ : ﴿ إذا أمرتكم بأمر فأتمروا ما استطعتم ﴾ [(٤)] .

الآمر بالمعرف والناهي عن المنكر يبدأ بنفسه

ثم لنعلم يا عباد الله أنه يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون أول مبادر لفعل المعروف وترك المنكر ، وألا ينكر على الناس أشياء هو يفعلها في نفسه ، قال تعالى : ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا

---

(١) مسلم الإيمان (٥٠) .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (١٠/٣) .

(٣) سورة التغابن آية : ١٦ .

(٤) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٨) ، مسلم الحج (١٣٣٧) ، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩) ، ابن ماجه المقدمة (٢) ، أحمد (٣١٤/٢) .

تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [2] ، ويقول النبي ﷺ : ﴿ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار حتى تندلق أقتابه - يعني : حتى يفتح بطنه وتظهر أمعاؤه -والعياذ بالله - فيدور فيها - يعني في أمعائه - كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون : يا فلان ما لك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأناكم عن المنكر وآتيه ﴾ [3] ، ونبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام يقول لقومه : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ ﴾ [4] .

فالإنسان يصلح نفسه أولًا حتى يكون قدوة حسنة .

هذا ونسأل الله ﷻ أن يمن علينا بالتوفيق والهداية ، وأن يجعلنا وإياكم من الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، الحافظين لحدود الله ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى صحبه أجمعين .

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٤ .

(٢) سورة الصف الآيتان : ٢ - ٣ .

(٣) البخاري بدء الخلق (٣٠٩٤) ، مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٩) ، أحمد (٢٠٥/٥) .

(٤) سورة هود آية : ٨٨ .

الأسئلة

نصيحة للشباب الذين يشاهدون المنكرات في الأماكن العامة كالأسواق

س١ : سائل يقول : ما هي نصيحتكم للشباب الملتزم وهم يشاهدون المنكرات في الأماكن العامة كالأسواق ، والخاصة كالعمل والمنزل وما شابه ذلك ؟ وما هو موقفهم من أصحاب البدع إذا وجدوا في الأماكن المذكورة أو المساجد ؟ نرجو توضيح ذلك .

ج١ : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ، الذي ننصح به الشباب وكل مسلم إذا رأى شيئًا من المنكر أن ينصح أولًا ، ينصح هذا المخالف فيما بينه وبينه ، ويبين له أن هذا لا يجوز وأن هذا منكر ، وأنه مسلم يجب عليه أن يتقي الله ، يحذره فيما يحضره من الأدلة في الوعيد على العصاة ، فإذا أزال المنكر بذلك فالحمد لله ، يكون قد اختصر الطريق وستر على هذا الإنسان ، فإذا لم يجد هذا بعد البيان وبعد النصيحة فعليه أن يبلغ عنه الجهة المختصة من ولاة الأمور وأهل الحسبة ، عن هذا الشخص وهذا المكان الذي فيه المكر ، وهذه هي الخطوة الثانية التي يستخدمها ، ويتابع ذلك مع اتخاذ الحكمة والرفق والصبر والاحتساب ، يعني يسعى في هذا الإصلاح حتى يزول المنكر بإذن الله ، والبلاد - والحمد لله - لا تزال بخير ، فهي بلاد إسلامية وفيها - والحمد لله - هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيها مراكز في كل بلد ، وعليه أن يتابع معهم وأن يكرر الشكاية إلى أن يزول هذا المنكر .

استئجار النساء اللواتي يضربن على الدف في الحفلات وحكم ذهاب الزوجة إلى هذه الحفلات

س٢ : سائل يقول : ما حكم استئجار النساء اللواتي يضربن على الدف في الحفلات ويرددن كلام الأغاني ؟ وما حكم ذهاب الزوجة إلى هذه الحفلات وإن كانت لا تدف مع ضاربات الدف ؟

ج٢ : على كل حال إعلان النكاح مشروع وذلك بضرب الدف عليه من قبل النساء ، ولا بأس أن يتغنين ببعض الألفاظ التي ليس فيها محذور ، والتي ليس فيها فتنة ، ولا يسمعها الرجال وإنما يكون في محيط النساء وفي مجمع النساء فقط ، هذا هو الإعلان المشروع ، وكذلك من الإعلان صناعة الوليمة واجتماع الناس للأكل منها ، في حدود المشروع لا في حدود الإسراف والتبذير والبذخ فإن هذا لا يجوز ، فكل شيء تجاوز حده فإنه سينقلب إلى ضده ، أما جعل أغان أو طرب أو جعل تسجيلات أو جعل ميكروفونات وسماعات تأخذ أصوات النساء فهذا لا يجوز ؛ لأن هذا يحصل فيه مفاسد ويحصل فيه سماع لأصوات النساء ، وإنما يكون هذا في داخل محيط النساء الموجودات ، ولا يطول أيضًا وإنما يكون في حدود زمن يسير ، قدر ما يحصل به الإعلان فقط .

أما ترك الإنسان امرأته تحضر مثل هذه الحفلات إذا كانت هذه الحفلات تمشي على الوجه المشروع وليس فيها محذور فلا بأس أن يترك زوجته تحضر ، أما إذا ترتب على حضورها محظور ، أو خطر عليها ، أو كانت هذه التمعات أو هذه التجمعات فيها منكرات فإنه لا يجوز للرجل أن يسمح لزوجته بحضور هذه الاجتماعات التي تشتمل على منكرات ، أو كان يترتب على حضورها خطر عليها في الطريق فإنه لا يجوز له أن يتركها تذهب إليه وتتعرض للخطر أو تتعرض للفتنة .

التصوير في الحفلات ودخول العريس

س٣ : إكمال للسؤال السابق : كذلك عند التصوير في الحفلات ودخول العريس ؟

ج٣ : التصوير لا يجوز ، والتصوير حرام ؛ لأن النبي ﷺ لعن المصورين وأخبر أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة ، وأنهم في يوم القيامة تحضر هذه الصور ويكلفون أن ينفخوا الروح في كل صورة صوروها في الدنيا ، وأخبر ﷺ أن هذه الصور يوم القيامة يجعل للمصور في كل صورة منها نفس يعذب بها في نار جهنم ، الأمر عظيم ، فلا يجوز

التصوير لا في حفلات الزواج ولا في غيرها ، إنما يجوز من التصوير ما دعت إليه الضرورة - كصورة التابعية وصورة رخصة القيادة أو البطاقة الشخصية أو جواز السفر - هذه أمور أصبحت ملزمة فصارت ضرورية للإنسان ، أما التصوير الفني أو للتذكار أو التصوير في الحفلات كل هذا لا يجوز ، هذا داخل في عموم النهي وعموم الوعيد الشديد من الرسول ﷺ .

علة تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان

س٤ : سائل يقول : نرجو منكم أن تبينوا لنا مناسبة تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [(١)] **، وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخصوص برجال الهيئة فقط ؟**

ج٤ : تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان من باب الاهتمام ؛ للدلالة على أهميته ، وإلا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان فهو داخل في الإيمان ، لأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من أعظم خصال الإيمان ، وإنما أفرد بالذكر لأجل التنبيه على أهميته كما قال تعالى : ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [(٢)] فإفراد الصلاة الوسطى بالذكر بعد دخولها في قوله ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ [(٣)] لأهميتها ، وكما في قوله : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [(٤)] .

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٨ .
(٤) سورة البقرة آية : ٩٨ .

فذكر جبريل وميكال مع أنهما داخلان في الملائكة لعظم شأنهما عليهما الصلاة والسلام ، فقد يكون ذكر الشيء مفردًا مع دخوله فيما قبله أو بعده لأجل الاهتمام به والتنبيه على عظم شأنه ، ورجال الهيئة عليهم جانب الإنكار باليد وإزالة المنكر باليد ؛ لأن ولي الأمر أعطاهم السلطة في حدود ما منحهم فهم يستعملون السلطة التي أعطاهم ولي الأمر ، أما بقية المسلمين فيتعاونون - كما ذكرنا - مع أهل الحسبة بتبليغهم عن المنكرات ومحلاتها بعد أن يناصحوا أهلها ويعظوهم ويذكروهم ، فلا بد لكل واحد أن يسهم في إنكار المنكر إما باليد وإما باللسان ، وعلى الجميع الإنكار بالقلب .

الدف المقصود به في حفلات الزواج
وحكم سماع غيره من الطبول وغيرها

س٥ : سائل يقول : ما هو الدف المقصود به في حفلات الزواج ، وما حكم سماع غيره من الطبول وأشياء أخرى ؟

ج٥ : الدف معروف عند العرب ، يرجع إلى كتب اللغة ويعرف الدف فيها ، وهو ما كان مستعملًا عند العرب أو في عهد النبي ﷺ أما ما أحدث من آلات الطرب والموسيقى فهذه لا تجوز وليست دفًا ولا تدخل في مسمى الدف .

تغيير المنكر باليد والشروط اللازمة لهذا التغيير

س٦ : سائل يقول : متى يجوز تغيير المنكر باليد ؟ وما هي الشروط اللازمة لهذا التغيير ؟ لأن النبي ﷺ جعله السبيل الأول لتغيير المنكر .

ج٦ : قلنا : يكون الإنكار باليد لأهل السلطة ، لأننا لو قلنا إن كل واحد ينكر المنكر باليد لصارت الدنيا فوضى واختل الأمن ، فلا بد من انضباط الأمور ولا بد من رجوع إلى ولاة الأمور في هذا لئلا يختل الأمن ، فلو أن كل واحد ينكر المنكر بيده ويتلف الأشياء المحرمة ويضرب الناس لحصلت فوضى ، لأنه ليس معه سلطة ، بخلاف من

معه سلطة وولاية من ولي الأمر فالناس ينقادون له ، والإسلام لا يريد الفوضى ، وإنما يريد ضبط الأمور ويريد اجتماع الكلمة .

الأناشيد الإسلامية والتمثيليات الدينية ونادي كرة القدم

س٧ : سائل يقول : ما حكم الأناشيد المسماة إسلامية ؟ وما حكم التمثيليات المسماة دينية ؟ وما حكم نادي كرة القدم مع التفصيل ؟

ج٧ : أما قضية الأناشيد فتسميتها إسلامية خطأ ، لكن تسمى عربية ، وأما حكمها المعروف من السنة أن النبي ﷺ رخص للحداة في السفر أن يحدوا بالإبل ، لأجل أن تتبع صوت الرعي أو صوت الحادي ، وكذلك رخص في إنشاد الشعر وقت العمل ووقت التعب من العمل كما في بناء المسجد النبوي ، فإنشاد شيء من الشعر في حالة السفر لأجل التنشيط على السير أو لأجل إزالة النوم والنعاس عن المسافرين أو لأجل تنشيط العاملين في البناء هذه أمور وردت بها السنة ولا بأس بها ، لكن لا تكون بأصوات جماعية ونغمات وتنغيمات وترنيمات ، وإنما كل واحد ينشد بصوته ولا يرتبط بجماعة آخرين منتظمين ينغمون الصوت ويصبح على شكل ترانيم النصارى أو ترانيم الصوفية هذا لا يجوز .

فالأصل في الأغاني التحريم ، والأصل في الغناء التحريم ، وإنما يرخص منه بما وردت الأدلة له ، وهو الحداء في السفر أو شيء من الغناء وقت السآمة من العمل بأصوات فردية لا بأصوات منتظمة وأصوات منغمة وأصوات لها فرق إنشادية يرتبونها وينظمونها ، هذا كله لا يرخص فيه لأنه من الزيادة على ما جاء في الأدلة .

واتخاذها وسيلة للدعوة -كما يظن بعضهم - غلط لأن وسائل الدعوة ومناهج الدعوة بينها الرسول ﷺ بقوله وبفعله ، وليس منها الأناشيد ، نرجع إلى سيرة الرسول ﷺ نرجع إلى منهجه في الدعوة ، كيف كان يدعو الناس ؟ ونمشي على حذوه ﷺ هل نجد أن الرسول رتب أناشيد لأجل الدعوة ؟

كذلك التمثيليات كلها مستوردة ، ليست من الطرق أو وسائل الدعوة التي جاء بها الرسول ﷺ وفيها تقليد للكفار ، وما أظن فيها جدوى ، وإنما فيها ترفيه عن الحاضرين ، وربما أنه يتقمص الشخصيات الإسلامية من لا يصح ، كالذي يتقمص شخصية عمر أو شخصية أبي بكر أو شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية أو الإمام أحمد وهو ليس على هذا المستوى ، والحاصل أن هذا لا يجوز ، لا التمثيليات ولا الأناشيد بأن نجعلها من وسائل الدعوة ، لكن الإنشاد -إنشاد الشعر - في حدود ما ورد بالأدلة لا بأس به ، والرخصة إذا جاءت يقتصر عليها ولا يزاد عليها .

وأما حكم لعب الكرة : لا شك أن لعب الكرة إذا كان في حدود ، ولا يكون معه كشف للعورات ، ولا يكون معه تضييع للصلاة ، أو تعطيل للمصالح النافعة في الدين والدنيا ، وإنما يكون في حدود شيء يسير لتقوية الجسم ، يكون خاليًا من المنكرات ، في هذا القدر مباح ، لكن إذا خرج عن هذه الحدود بأن صار فيه كشف للعورات أو صار فيه استمرار حتى تضاع الصلوات أو تؤخر عن أوقاتها أو يكثر هذا حتى يطغى على حياة الإنسان بحيث يصبح ليس له مهنة إلا لعب الكرة يسمى بالفنان أو الرياضي - هذه ليست مهنة - فالمسلم أعز من أن يصبح ، مجرد لاعب ليس له هم إلا اللعب .

اللعب من المباحات ونفي كونه وسيلة للدعوة

س٨ : وسئل الشيخ من قبل أحد الحاضرين : يقال عن اللعب إنه وسيلة من وسائل الدعوة ؟

ج٨ : فأجاب حفظه الله : ليس هو وسيلة للدعوة ، قلنا : إن وسائل الدعوة يتبع فيها طريقة الرسول ﷺ لكن هذا من المباحات في الحدود والشروط التي ذكرناها ، يكون من المباحات لأجل تقوية الجسم أو إعطاء شيء من الراحة للنفس ، أما أنه وسيلة من وسائل الدعوة فأنا لا أعرف أنه من وسائل الدعوة ، ونحن لا ندخل في وسائل الدعوة شيئًا ليس منها .

لبس الملابس الضيقة للنساء أمام النساء

س٩ : سائل يقول : هل لبس الملابس الضيقة للنساء أمام النساء تدخل في حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه : ﴿ نساء كاسيات عاريات . . . ﴾ [(١)] إلى آخر الحديث ؟

ج٩ : لا شك أن لبس المرأة للشيء الضيق الذي يبين مفاتن جسمها لا يجوز إلا عند زوجها فقط ، أما عند غير زوجها فلا يجوز ، حتى ولو كان بحضرة نساء لئلا تكون قدوة سيئة لغيرها ، إذا رأينها تلبس هذا يقتدين با ، وأيضًا هي مأمورة بستر عورتا بالضافي والساتر عن كل أحد إلا عن زوجها ، تستر عورتا عن النساء كما تسترها عن الرجال إلا ما جرت العادة بكشفه عند النساء كالوجه واليدين والقدمين مما تدعو الحاجة إلى كشفه .

إزالة شعر الحاجبين

ج١٠ : أما شعر الحاجبين فلا يجوز إزالته بأي وسيلة لا بنتف ولا بقص ولا بإزالة بأي وسيلة ، لأن هذا هو النمص الذي لعن النبي ﷺ من فعلته ، فقد لعن ﷺ النامصة والمتنمصة ، النامصة : التي تقص الشعر من نفسها أو من غيرها ، والمتنمصة : التي تطلب من غيرها أن تزيله من حاجبها ، فهذا من الكبائر ، لأن المعصية إذا لعن عليها صارت من الكبائر ؛ ولأن هذا من تغيير خلق الله سبحانه وتعالى الذي أخبر الله تعالى أنه من أمر الشيطان : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)] .

وأما إزالة الشعر من بقية الوجه فهذا ما يسمى عند العلماء بالحف ، وإزالة شعر الحاجب يسمونه النمص ، أما إزالة شعر الوجه فهذا إذا كان مشوهًا للوجه فيه تشويه للوجه وشين للوجه لا بأس بإزالته ، أما إذا كان عاديًا لا يلفت النظر فهذا قد اختلف

---

(١) مسلم اللباس والزينة (٢١٢٨) ، أحمد (٣٥٦/٢) ، مالك الجامع (١٦٩٤) .

(٢) سورة النساء آية : ١١٩ .

أهل العلم في حكم إزالته : فمنهم من منعه واعتبره داخلًا في النمص ، ومنهم من رخص فيه ، والأحوط والأبرأ للذمة أنه إذا لم يكن مشوهًا للوجه فإنه لا يؤخذ بل يترك ؛ لأنه ليس في أخذه فائدة وليس في بقائه مضرة .

عدم استطاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في مجلس فيه إساءة إلى الإسلام والمسلمين

س١١ : سائل يقول : إنه يعمل في إحدى الشركات ، ولكنه لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، مع أن جلساءه يسيئون إلى الإسلام وإلى المسلمين ؟

ج١١ : لا يجوز له أن يعمل في هذه الشركة التي فيها إساءة إلى الإسلام والمسلمين وهو لا يستطيع إزالة ذلك ، بل عليه أن يطلب الرزق في غير هذه الشركة ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾ [(١)] .

والله جل وعلا أكثر من أسباب الرزق ولم يقصره على هذه الجهة التي فيها الإساءة إلى دين الله وإلى رسوله ﷺ ودينه .

تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾

س١٢ : سائل يقول : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [(٢)] **يرجو إلقاء الضوء على هذه الآية .**

ج١٢ : هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [(٣)] يبين الله سبحانه وتعالى أن المهتدي لا يضره ضلال من ضل لأن كلا

---

(١) سورة الطلاق الآيتان : ٢ - ٣ .
(٢) سورة المائدة آية : ١٠٥ .
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٥ .

يجزى بعمله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [1] ، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴾ [2] .

فالإنسان إذا اهتدى بأن فعل ما أوجب الله عليه وترك ما حرم الله عليه فقد اهتدى ، ولا يضره ضلال الضالين وكفر الكافرين ، وإنما إثمهم على أنفسهم ، لكن ليس معنى هذا أن الإنسان يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما فهم ذلك بعض الناس ؛ لأن الذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يستطيع القيام به لا يعتبر مهتديًا ؛ لأن المهتدي هو الذي يفعل ما أمر الله تعالى به ، ومن أعظم ما أمر الله تعالى به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا تركه لم يكن مهتديًا الهداية التامة ، والله جل وعلا اشترط ﴿ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ [3] ، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فإذا قام الإنسان بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد اهتدى ، وبعد ذلك هو لا يملك أن يهدي الناس بأن يخلق الإيمان في قلوب الناس ؛ لأن هذا من أمر الله عز وجل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [4] .

فالهداية التي هي بمعنى التوفيق للإيمان هذه بيد الله ، أما الهداية التي هي بمعنى البيان والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه يستطيعها الإنسان ، يستطعها الرسول ﷺ ويستطيعها كل من اقتدى به ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [5] .

فالرسول يهدي بمعنى أنه يبين للناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلم الخير عليه الصلاة والسلام وكذلك أتباعه من الناس .

---

(١) سورة الجاثية آية : ١٥ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٦٤ .
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٥ .
(٤) سورة القصص آية : ٥٦ .
(٥) سورة الشورى الآيتان : ٥٢ - ٥٣ .

التهليل أثناء حمل الجنازة والدعاء للميت جماعة عند دفنه

س١٣ : سائل يقول : ما حكم التهليل أثناء حمل الجنازة بصوت مبتكر ؟ وهل الدعاء للميت جماعة عند دفنه جائز ؟

ج١٣ : التهليل عند حمل الجنازة بدعة ، لم يرد عن النبي ﷺ ولاسيما إذا كان بصوت جماعي فهو بدعة ظاهرة ومنكر ظاهر ، لأنه لم يكن من سنة النبي ﷺ وقد قال ﷺ : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [١] ، وفي رواية : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [٢] ، وكانت الجنائز تحمل على عهد النبي ﷺ وكان يشيعها عليه الصلاة والسلام ويمشي معها ويحضرها ، ولا ثبت ولا ورد أنم كانوا يرفعون أصواتم بالتهليل أو بأصوات جماعية ، أما الدعاء للميت بعد دفنه فهذا مشروع قد أمر به النبي ﷺ ولكن بدون صوت جماعي ، وإنما كل يدعو لأخيه بنفسه ومفرده ، قال ﷺ لما دفن بعض أصحابه وفرغ من دفنه وقف على قبره عليه الصلاة والسلام وقال : ﴿ استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ﴾ [٣] فهذا مشروع ، أن ندعو لأخينا بعد دفنه ونستغفر له ونترحم عليه ، ولكن بدون صوت جماعي بل كل يدعو لأخيه بمفرده .

طريقة الدعوة بالنسبة للمدعوين وطريقة إنكار المنكر بالنسبة لمن وقع فيه

س١٤ : سائل يقول : ما طريقة الدعوة بالنسبة للمدعوين ؟ وما طريقة إنكار المنكر بالنسبة لمن وقع فيه ؟

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

(٣) أبو داود الجنائز (٣٢٢١) .

ج١٤ : قلنا إن الدعوة إلى الله تكون على مراتب ، فالجاهل يبين له بدون تعنيف ، فإذا بين له وتباطأ في القبول والعمل فإنه يوعظ ويخوف بالله ﷻ فإذا لم تجد فيه الموعظة وصار عنده شيء من رد الفعل أو من الاستدلالات الباطلة فإذًا يجادل بالتي هي أحسن ، فإذا لم تجد معه هذه الأمور فإنه يكون قد ظلم ، فهذا يتخذ معه ما يليق بالظالم من المنع والردع بحسب الاستطاعة .

تحدث المرأة مع صاحب محل الملابس أو الخياط

س١٥ : سائل يقول : ما حكم تحدث المرأة مع صاحب محل الملابس أو الخياط ؟ مع الرجاء توجيه كلمة شاملة إلى النساء ؟

ج١٥ : تحدث المرأة مع صاحب المتجر ، التحدث الذي بقدر الحاجة وليس فيه فتنة لا بأس به ، كانت النساء تكلم الرجال في الحاجات والأمور التي لا فتنة فيها وفي حدود الحاجة ، أما إذا كان ذلك مصحوبًا بضحك أو بمباسطة أو بصوت فاتن فهذا محرم لا يجوز ، يقول الله سبحانه وتعالى لأزواج نبيه عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهن :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [1] .

والقول المعروف ما يعرفه الناس وبقدر الحاجة ، أما ما زاد عن ذلك بأن كان على طريق الضحك والمباسطة ، أو بصوت فاتن ، أو غير ذلك ، أو أن تكشف وجهها أمامه ، أو تكشف ذراعيها أو كفيها ، فهذه كلها محرمات ومنكرات ومن أسباب الفتنة ومن أسباب الوقوع في الفاحشة ، فيجب على المرأة المسلمة التي تخاف الله ﷻ أن تتقي الله وألا تكلم الرجال الأجانب بكلام يطمعهم فيها ويفتن قلوبهم ، تتجنب هذا الأمر ، وإذا احتاجت إلى الذهاب إلى متجر أو إلى مكان فيه الرجال فلتحتشم ولتتستر وتتأدب بآداب الإسلام ، وإذا كلمت الرجال فلتكلمهم الكلام المعروف الذي لا فتنة فيه ولا ريبة .

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

عدم صحة نسبة كتاب أحكام تمني الموت للشيخ محمد بن عبد الوهاب

س١٦ : سائل يقول : ماذا عن كتابكم في الرد على عدم صحة نسبة كتاب " أحكام تمني الموت " للشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟

ج١٦ : هذه النسبة باطلة ، والكتاب ليس للشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا يليق بدعوته رحمه الله ، وقد كتبت والحمد لله في رده وبيان أنه منحول وأنه منسوب إلى الشيخ خطأ كتبت في هذا وسيطبع إن شاء الله قريبًا ويصل إلى أيديكم إن شاء الله ، الحاصل أن هذا الكتاب ليس من مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لأمور كثيرة ، فهذا الكتاب ليس له قطعًا وأقسم بالله أنه ليس من مؤلفات محمد بن عبد الوهاب ، ومؤلفاته رواها تلاميذه وتلاميذ تلاميذه وأولاده وأحفاده ولم يذكروا هذا الكتاب منها والحمد لله .

من ترك الصلاة عمدًا لمشاهدة مباراة أو مسلسل في التلفاز

س١٧ : سائل يقول : من ترك الصلاة عمدًا وذلك لمشاهدة مباراة أو مسلسل في التلفاز ؟

ج١٧ : لا يجوز ترك الصلاة ، بمعنى أنه يتأخر عن أدائها مع الجماعة ، أو يؤخرها عن وقتها ، فهذه كلها محرمات ومنكرات وتضييع للصلاة ، والله تعالى يقول : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [1] .

ويقول جل وعلا : ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [2] .

فليس الشأن أن الإنسان يصلي فقط في أي وقت وفي أي حالة ، لا ، الشأن أن الإنسان يصلي كما أمره الله في وقتها في المسجد مع جماعة من المسلمين كما أمره الله

---

(١) سورة مريم آية : ٥٩ .

(٢) سورة الماعون آية : ٤ - ٥ .

سبحانه وتعالى ، هذا معنى إقامة الصلاة ، الله تعالى يقول : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [(١)] ، ومعنى إقامتها : أن يؤتى بها قائمة كما أمر الله سبحانه وتعالى ، أما إذا صليت على غير الصفة التي شرعها الله فإنها صلاة غير قائمة ، بل هي صلاة مضيعة ، وقد توعد الله من يضيع الصلاة - والعياذ بالله - بأشد الوعيد ، ولو أن الإنسان جلس يقرأ القرآن حتى خرج الوقت لكان فعله ذلك منكرًا مع أنه يقرأ القرآن ، فكيف إذا جلس ينظر إلى شيء أقل ما يقال فيه إنه مباح وإلا الغالب فيه ألا يكون خاليًا من المحرمات ؟

الجلوس مع قوم عصاة مع مناصحتهم وتذكيرهم بالله ولكن لا يسمعون الكلام

س١٨ : سائل يقول : إنه جلس مع قوم عصاة وينصحهم ويذكرهم بالله ولكن لا يسمعون الكلام ، وأنه مع العلم يجلس معهم في بيت واحد فهل عليه إثم لأنه يأكل ويشرب معهم ؟

ج١٨ : مخالطة العصاة وأهل الفسق لا تجوز إلا إذا كان الإنسان يطمع في هدايتهم ويقوم بمناصحتهم ، فإذا كان يخالطهم على أساس أنه ينصحهم ويدعوهم ويطمع في هدايتهم فإنه يكون من الدعاة إلى الله ﷻ وهو يعالج إخوانه ، أما إذا كان إنما يجلس معهم لأجل الاستئناس بهم والفرح معهم ولا ينكر عليهم أو كان ينكر عليهم لكن لا يطمع في استجابتهم فعليه ألا يجلس معهم ، عليه أن يعتزلهم وأن يبتعد عنهم وأن يهجرهم في الله ﷻ حتى يتوبوا إلى الله ﷻ لئلا يصيبه ما أصابهم ، لأن الإنسان إذا جلس مع أهل الفسق وأهل المعاصي من غير إنكار أصابه ما أصابهم ، بل ربما يدخل في اللعنة ، كما قال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا

(١) سورة البقرة آية : ٤٣ .

كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] ، وقد بين ﷺ ذلك بأنه كان أحدهم يلقى أخاه على المعصية فينهاه في أول يوم ويقول له : يا عبد الله اتق الله فإن هذا لا يحل لك ، ثم يراه في اليوم الثاني وهو على معصية فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وجليسه وشريبه ، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان أنبيائهم ، كما قال تعالى :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [2] .

(١) سورة المائدة الآيتان : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) سورة المائدة الآيتان : ٧٨ - ٧٩ .

المحاضرة الحادية والثلاثون
شيخ الإسلام ابن تيمية ودوره في التجديد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله ﷻ الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه .

فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين [(١)] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وبعد :

فمن المعلوم أنه كلما تأخر الزمان وبعد الناس عن آثار الرسالة حدثت البدع والخرافات ، وفشا الجهل ، واشتدت غربة الدين ، وظن الناس أن ما وجدوا عليه إباءهم هو الدين وإن كان بعيدًا عنه ، ولكن الله سبحانه لا يخلي الأرض عمن هم على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى ، وأخبر ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الحاكم وغيره حيث قال : ﴿ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ﴾ [(٢)] .

---

(١) هذه خطبة الإمام أحمد في كتاب (الرد على الجهمية) ، رأينا مناسبتها للموضوع فقدمناه با .

(٢) أبو داود الملاحم (٤٢٩١) .

قال المناوي في فيض القدير (٢٨٢/٢ - ٢٨١) : (يبعث) أي يقيض ﴿ لها على رأس كل مائة سنة ﴾ [١] أي من الهجرة أو غيرها ، والمراد بالرأس تقريبًا ، (من) أي رجلًا أو أكثر ﴿ يجدد لها دينها ﴾ [٢] أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ، ويكسر أهل البدعة ويذلهم ، قالوا : ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة ، قال ابن كثير : قد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث ، والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف من مفسر ومحدث وفقيه ونحوي ولغوي وغيرهم . انتهى .

أقول : وفي زمننا منح لقب التجديد لكل جاهل مدع يظهر على الناس بآراء شاذة وأقوال جاهلة ، وهذه مغالطة وتضليل ، إنما المجدد في الحقيقة هو العالم بشرع الله المستقيم على سنة رسول الله ﷺ الذي يرد الناس إلى الهدى .

وقد وقع مصداق ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث ، فلا يزال والحمد لله فضل الله على هذه الأمة يتوالى بظهور المجددين عند اشتداد الحاجة إليهم ، ومن هؤلاء المجددين : الإمام أحمد بن حنبل في القرن الثالث ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في آخر القرن السابع وأول الثامن ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر ، وغرضنا في هذه الكلمة الموجزة أن نبين الحقيقة ونزيل الشبه والتعميم اللذين روج لهما أعداء السنة ضد الإمام الجليل والمجدد الكبير ، شيخ الإسلام ابن تيمية عند من لم تتوفر له المعلومات الكافية عنه وعن علمه الصافي الغزير ، فإن كثيرًا من خصومه وحاسديه قديما وحديثا اختلقوا حوله الأكاذيب واتهموه زورًا وبتأنًا باتهامات كثيرة وكتبوا ضده كتابات شوهت التاريخ وسرت أعداء الإسلام ، ولكن والحمد لله طوى النسيان ذكرهم ومحى الحق ما كتبوه من ضلال ، وبقي ذكر شيخ الإسلام دائمًا عطرا في الأوساط العلمية وتتلمذ على كتبه الأفواج تلو الأفواج وأصبحت مؤلفاته نبراسا وضاء لكل من يريد الحق في كل

---

(١) أبو داود الملاحم (٤٢٩١) .

(٢) أبو داود الملاحم (٤٢٩١) .

زمان ، وصدق الله العظيم حيث يقول سبحانه : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)] .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : إن الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلا فإن الله سبحانه سيسحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو الماء فيلقيه الماء ويضمحل . انتهى . وهذا المثل العظيم ينطبق على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مع خصومه فإنهم حاولوا الظهور عليه واستعدوا عليه السلطة في وقته وضايقوه وكتبوا ما كتبوا ضده من التلبيس والتدليس ، ولكن سرعان ما نسف الحق الذي معه ما روجوه من الباطل ، وبقي علمه النافع في كتبه التي صار المسلمون ولله الحمد يتسابقون إلى نشرها وإحيائها - وعفا الزمان على كتب خصومه ونسيها الناس فأصبحت في زوايا الإهمال والامتهان - وهذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلًا .

(١) سورة الرعد آية : ١٧ .

التعريف بشيخ الإسلام ابن تيمية

نسبه ومولده

هو شيخ الإسلام الحافظ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي .

ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ .

مشايخه وتحصيله

أخذ الفقه والأصول عن والده وسمع عن خلق كثير منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ زين بن المنجا ، والمجد بن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوي ، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وعني بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات ، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ، ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك . ورد على أكابر المتكلمين ، والفلاسفة ، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين من السنين ، وتضلع في علم الحديث وحفظه وكان سريع الحفظ قوي الإدراك آية في الذكاء رأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف بحرا في النقليات ، وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين .

اشتغاله في التدريس

كان والده من كبار أئمة الحنابلة فلما مات خلفه في وظائفه وكان عمره تسع عشرة سنة فاشتهر أمره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير القرآن الكريم أيام الجمع من حفظه ، قال عنه الحافظ أبو حفص عمر بن علي البراز ، وكان من معاصريه [1] لقد كان

---

(١) الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠)

إذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم شرع في تفسيرها فينقضي المجلس بجملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها ، وقد منحه الله تعالى معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل وما روي عن كل واحد منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود ، حتى كان إذا سئل عن شيء من ذلك كأن جميع المنقول عن الرسول ﷺ وأصحابه والعلماء فيه من الأولين والآخرين متصور مسطور بإزائه ، وهذا قد اتفق عليه كل من رآه أو وقف على شيء من علمه ممن لم يغلظ عقله الجهل والهوى . انتهى .

وقال أيضًا : وأما ذكر دروسه فقد كنت في حال إقامتي بدمشق لا أفوتا ، وكان لا يهيئ شيئًا من العلم ليلقيه ويورده بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ﷺ على صفة مستحسنة مستعذبة لم أسمعها من غيره ، ثم يشرع فيفتح الله عليه إيراد علوم ، وغوامض ، ولطائف ، ودقائق ، وفنون ، ونقول ، واستدلالات بآيات وأحاديث ، وأقوال العلماء ، ونقد بعضها وتبيين صحته ، أو تزييف بعضها ، وبإيضاح حجته ، واستشهاد بأشعار العرب وربما ذكر ناظمها ، وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ويفيض كما يفيض البحر ، من غير تعجرف ولا توقف ولا لحن بل فيض إلهي حتى يبهر كل سامع وناظر فلا يزال كذلك إلى أن يصمت ، ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الأبصار والعقول ، وكان لا يذكر رسول الله ﷺ قط إلا ويصلي ويسلم عليه ، ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيما لرسول الله ﷺ ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى إذا كان أورد شيئًا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديثه يعمل به ويفتي بمقتضاه ، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان ، وقال رضي الله عنه كل قائل إنما يحتج لقوله لا به إلا رسول الله ، وكان إذا فرغ من درسه يقبل على الناس بوجه طلق بشيش وخلق دمث ، وربما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال ، ولقد كان درسه الذي يورده حينئذ قدر عدة كراريس ، وهذا الذي ذكرته من أحوال درسه أمر مشهور يوافقني عليه

كل حاضريه ، وهم بحمد الله خلق كثير لم يحصر عددهم ، علماء ، ورؤساء ، وفضلاء من القراء والمحدثين والفقهاء والأدباء ، وغيرهم من عوام المسلمين . انتهى كلام البزار في كتاب الأعلام العلية عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية .

مؤلفاته العظيمة

لقد خلف رحمه الله للمكتبة الإسلامية ثروة ضخمة من المؤلفات القيمة التي تحمل التحقيق والتدقيق والتجديد لدين الله في مختلف الفنون ، والتي ترد الزيف والدخيل والدجل والتضليل ، قال الحافظ الذهبي : وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد .

وقال تلميذه ابن عبد الهادي : وللشيخ رحمه الله من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط ، وقال : ولا أعلم أحدًا من متقدمي الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ، وكثير منها صنفه في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب ، فمن ذلك ما جمعه في تفسير القرآن العظيم ، وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم ، وذلك في أكثر من ثلاثين مجلدًا ، وقد يفوت أصحابه بعض ذلك وكثيرًا منه لم يكتبوه ، وكان رحمه الله يقول : ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ثم أسأل الله الفهم وأقول : يا معلم إبراهيم علمني ، وقال العلامة ابن الزملكاني : (لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين ، وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد ، وقال الشيخ عمر البزار : وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنا أكثر من أن أقدر على إحصائها ، بل هذا لا يقدر عليه أحد ؛ لأنا كثيرة جدًا كبارًا وصغارًا ، وهي منتشرة في البلدان فقل بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه ، فمنها ما يبلغ عشرين مجلدًا كنقض التأسيس ، وما يبلغ خمس مجلدات كالجمع بين العقل والنقل ، وما يبلغ أربع مجلدات ككتاب الرد على طوائف الشيعة والقدرية وابن المطهر الرافضي ،

وما يبلغ ثلاث مجلدات كالرد على النصارى ، وما يبلغ مجلدًا واحدًا فكثير جدًا فكتاب تفسير سورة الإخلاص مجلد وكتاب الكلام على قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] مجلد نحو خمس وثلاثين كراسة ، والصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد ، وتنبيه الرجل العاقل على تمويه الجادل الباطل مجلد ، وكتاب المسائل الإسكندرية في الرد على الملاحدة الاتحادية ، وله في الرد على الفلاسفة مجلدات ، قال : وبالجملة فذكر أسماء كتبه مما يطول ، وله من الرسائل والقواعد والتعاليق ما لا يمكن حصره ، وقد ذكر كثيرًا منها الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه القواعد الدرية ، وكان شيخ الإسلام رحمه الله إنما يكتب على قدر الحاجة ، أما إجابة أو توضيح مشكل أو ردًا على مبطل ، فهو رحمه الله يقول : الفروع أمرها قريب ، فمن قلد فيها أحدًا من الأئمة جاز له العمل بقوله ما لم يتبين خطؤه ، وأما الأصول فقد رأيت أهل البدع تجاذبوا فيها وأوقعوا الناس في التشكيك في أصول دينهم ، ولذلك أكثرت من التصنيف في أمر الرد عليهم ، وكان الشيخ سريع الحفظ ، قال بعض من رآه : حضرت مجلس الشيخ ﷺ وقد سأله يهودي عن مسألة في القدر قد نظمها شعرًا ثمانية أبيات فلما وقف عليها الشيخ فكر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابا ، وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرًا فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه وإذا هو نظم من بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتًا ، وقد أبرز فيها من العلوم ما لو شرح لبلغ مجلدين كبيرين ، وهذا من جملة بواهره .

قال ابن عبد الهادي : بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم إلى دمشق وقال : سمعت في البلاد بصبي يقال له أحمد ابن تيمية وأنه كثير الحفظ وقد جئت قاصدًا لعلي أراه ، فقال له خياط : هذه طريق كتابه وهو إلى الآن ما جاء ، فاقعد عندنا ، الساعة يمر ذاهبًا إلى الكتاب ، فلما مر قيل هاهو الذي معه اللوح الكبير ، فناداه الشيخ وأخذ منه اللوح

(١) سورة طه آية : ٥ .

وكتب من متون الحديث أحد عشر حديثًا ، وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته إياه ، ثم كتب عدة أسانيد تحتها فنظر فيها كما فعل أول مرة فحفظها ، فقام الشيخ وهو يقول : إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم ، فإن هذا لم ير مثله فكان كما قال .

وأما سرعته في الكتابة فقد ذكروا عنه الشيء العجيب وأنه كان يكتب من حفظه من غير نقل وذكروا أنه كتب مجلدًا لطيفًا في يوم ، وكتب غير مرة الأربعين ورقة في جلسة ، ومن عجائب حفظه أنه لما سجن صنف كتبًا كثيرة وذكر فيها الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم ، وذكرت فيها تلك النقول والأقوال ومواضعها منها ، كل ذلك من حفظه .

عصره وما فيه من الفتن وغربة الدين

ظهر شيخ الإسلام في عصر قد اشتدت فيه غربة الإسلام وتفرقت كلمة المسلمين وظهرت الفرق المخالفة لما كان عليه السلف الصالح في العقائد والفروع وخيم الجمود الفكري والتقليد الأعمى فأثر في الجو العلمي ، وظهرت فرق الشيعة والصوفية المنحرفة والقبورية ونفاة الصفات والقدرية وطغى علم الكلام والفلسفة حتى حَلا محل الكتاب والسنة لدى الأكثر من المتعلمين في الاستدلال ، هذا كله في داخل المجتمع الإسلامي في ذلك العصر ، ومن خارج المجتمع تكالب أعداء الإسلام فغزوا المسلمين في عقر دارهم فجاءت جيوش التتار تداهم المسلمين وتفتك بهم ، وفي هذا الجو المعتم عاش شيخ الإسلام ابن تيمية ضياء لامعًا بعلمه الأصيل الغزير يدرس الطلاب ويؤلف الكتب والرسائل ويفتي في النوازل والمسائل ، ويناظر المنحرفين ، ويرد على المخرفين وينازل الفرق والطوائف ، فيرد على الشيعة والقدرية ويرد على علماء الكلام والفلاسفة ويرد على المعطلة والمؤولة في الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، ويرد على الصوفية المنحرفة وعلى القبوريين والمبتدعة ، ويحرك أهل الجمود الفقهي والخمول الفكري برد الفقه إلى أصوله الصحيحة

ومنابعه الصافية وتصحيح وتزييف الزائف حتى أعاد للشريعة نقاءها وإلى العلوم الشريعة صفاءها ، يظهر ذلك في مؤلفاته التي خلفها ثروة علمية هائلة ، وإلى جانب مجهوده العلمي العظيم شارك في الجهاد في سبيل الله فحمل السلاح وخاض المعارك ضد التتار عدة مرات مما كان له أطيب الأثر في تقوية معنوية المجاهدين حتى انتصروا على عدوهم ، وقد تخرج على يد هذا العالم الجليل أئمة من طلابه حملوا الراية من بعده ، منهم الإمام ابن القيم ، والإمام ابن كثير ، والحافظ الذهبي ، والحافظ ابن عبد الهادي ، وغيرهم ممن أخذوا عنه العلم ونشروه في الآفاق بما ألفوه من المؤلفات القيمة التي تزخر بها المكتبات الإسلامية اليوم ، فجزى الله شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ونفعنا بعلومه ، ولما قام بهذا الواجب العظيم غاظ خصومه فرمته كل طائفة من الطوائف المنحرفة بلقب سيئ تريد بذلك صد الناس عن دعوته وتشويه عمله .

فنفاة الصفات قالوا : إنه مجسم ، لأن إثبات الصفات عندهم تجسيم ، ومتعصبة الفقهاء والمبتدعة قالوا : خرق الإجماع ، لأنه أخذ القول الراجح بالدليل المخالف لما هم عليه ، ورد البدع خرق للإجماع عندهم ، وغلاة الصوفية والقبوريون قالوا : إنه يبغض الأولياء ويكفر المسلمين ويحرم زيارة القبور لأن الدين عندهم هو التقرب إلى الأولياء والصالحين وتعظيم مشايخ الطرق الصوفية واتخاذهم أربابا من دون الله والغلو في تعظيمهم بصرف العبادة إليهم ، هذا موقف هذه الطوائف من دعوة وتجديد شيخ الإسلام ، وهو موقف يتكرر مع كل مصلح ومجدد يدعو إلى دين الله الذي جاء به رسوله ﷺ ونبذ ما خالفه من دين الآباء والأجداد وعادات الجاهلية ، وليس هذا بغريب فقد قوبلت دعوة النبي ﷺ من قبل بأعظم من هذا وقيل عنه إنه ساحر كذاب ، وإنه شاعر مجنون إلى غير ذلك من الألقاب السيئة التي يراد بها الصد عن دين الله والبقاء على دين الشرك الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، فلشيخ الإسلام وإخوانه من الدعاة إلى الله أسوة بينهم ، ولهؤلاء المنحرفين سلف من المشركين والمكذبين ، ولكن العاقبة للمتقين .

فهذه كتب شيخ الإسلام تأخذ طريقه إلى أيدي كل من يريدون الحق ، يتنافس الناس في الحصول عليها والتنقيب عن المفقود منها لإخراجه للناس ، فعليك أيها المسلم الناصح لنفسه أن لا تلتفت إلى أقوال المرجفين في حق هذا العالم الزاهد وأن تنظر إلى أقواله هو لا إلى ما يقال عنه لتصل إلى الحقيقة : ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [1] .

(١) سورة الروم آية : ٦٠ .

فتاواه

قال تلميذه الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على الملل فهي أكثر من أن تحصى لكن دُون منها بمصر على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدًا وهذا ظاهر مشهور ، وقل أن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل ومطالعة كتب على السؤال الواحد مجلدًا ، وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين فكثير جدًّا .

وقال عنه أيضًا مبيّنا لمنهجه في الفتوى : ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم أو بخلاف المشهور في مذاهبهم . انتهى .

والمطبوع من فتاواه الآن الفتاوى المصرية في خمسة مجلدات ، ومجموعة الرسائل والمسائل ستة أجزاء طبعت في مطابع المنار وعلق عليها وصححها السيد محمد رشيد رضا ، وأخيرًا قام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بجمع الموجود من فتاواه المطبوع منها والمخطوط وترتيبها على الأبواب فبلغت خمسة وثلاثين مجلدًا ، وقد استفاد منها أهل العلم فائدة عظيمة وأصبحت مرجعا كبيرا ومنهلا غزيرًا ، وقال في مقدمتها : ولعظيم النفع بفتاويه والثقة بها واعتماد مبتغي الصواب عليها فتشت عن مختصراتها في بعض مكتبات نجد ، والحجاز ، والشام وغيرها فجمعت منها أكثر من ثلاثين مجلدًا ورتبتها ، وهو بدء - وإلا فعسى الله سبحانه أن يقيض لفتاواه من يجمعها من مشارق الأرض ومغاربها ومن المكتبات التي لم نطلع عليها ويلحقه بما جمعته منها فهو سبحانه المستعان ، وقال ابنه الشيخ محمد : تتألف هذه المجموعة القيمة من فتاوى وهي الأكثر ، ومن كتب ورسائل ونقول بلغ عدد مجلدات قسم منها مطبوع عدد صفحاته (٧٠٠٠) صفحة تقريبًا ، وقسم في أصول الدين يشمل العقائد وما يتصل بها ، وقسم في تفسير القرآن الكريم ، وقسم في الحديث ، وقسم في الفقه مرتبًا على ترتيب كتب المتأخرين من فقهاء الحنابلة مبتدئًا من

كتاب الطهارة إلى كتاب الإقرار ، وهذا المجموع يعتبر رصيدا ضخما من علوم شيخ الإسلام ابن تيمية في مختلف العلوم الشرعية قد استفاد منه الباحثون فائدة كبيرة فجزى الله من قام بجمعه وترتيبه ومن قام بطبعه وتوزيعه خير الجزاء عن الإسلام وأهله ، انتهى . ونسأل الله أن يوفق العلماء والباحثين والجهات العلمية مثل رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ومثل الجامعات الإسلامية إلى تتبع مؤلفات الشيخ ورسائله وفتاويه في مظانها من المكتبات العالمية وجمعها وتصحيحها ونشرها فإن رصيده العلمي ضخم لم يعثر حتى الآن إلا على القليل منه ، قال تلميذه الحافظ ابن عبد الهادي ، وكان - يعني الشيخ - : يكتب الجواب من حفظه فإن حضر من يبيضه وإلا أخذ السائل حظه وذهب ، ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم في الأصول والفروع والتفسير وغير ذلك فإن وجد من يبيضه وإلا لم يشتهر ولم يعرف ، وربما أخذه بعض أصحابه فلا يقدر على نقله ولا يرده إليه فيذهب ، وكان كثيرًا ما يقول : قد كتبت في كذا وفي كذا ، ويسأل عن الشيء فيقول : قد كتبت في هذا فلا يدري أين هو ، فيلتفت إلى أصحابه ويقول : ردوا خطي وأظهروه لينقل ، فمن حرصهم عليه لا يردونه ، ومن عجزهم لا ينقلونه ، فيذهب ولا يعرف اسمه ، فلهذه الأسباب وغيرها تعذر إحصاء ما كتبه وما صنفه ، وما كفي هذا ، لأنه لما حبس تفرق أتباعه وتفرقت كتبه وخوفوا أصحابه من أن يظهروا ما كتبه فذهب كل أحد بما عنده وأخفاه ولم يظهروا ما كتبه فبقي هذا يهرب بما عنده ، وهذا يبيعه أو يهبه ، وهذا يخفيه ويودعه ، حتى إن منهم من تسرق كتبه أو تجحد فلا يستطيع أن يطلبها ولا يقدر على تخليصها ، ولولا أن الله تعالى لطف وأعان ومن وأنعم وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه لما أمكن لأحد أن يجمعها ، وقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها وإصلاح ما فسد منها ورد ما ذهب منها ما لو ذكرته لكان عجبا يعلم به كل منصف أن لله عناية به وبكلامه ، لأنه يذب عن سنة رسول الله ﷺ تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، انتهى كلام ابن عبد الهادي رحمه الله .

مما طعن به خصومه عليه والجواب عنه

١- قالوا عنه إنه يخالف الإجماع ، وقد أجاب عن هذه الشبهة الشيخ محمد بجت البيطار [(١)] بقوله : اشتهر ابن تيمية بمسائل أثرت عنه وظن وكثير من الناس أنه انفرد بها عن غيره ، بل ظنوا أنه خالف في بعضها الإجماع وهي أمور اجتهادية يقع في مثلها الخلاف بين العلماء ومن المفروغ منه أن ابن تيمية قد بلغ رتبة الاجتهاد في الأحكام الشرعية ، وأنه كان يفتي الناس بما أدى إليه اجتهاده [(٢)] وأنه موافق في فتاواه بعض الصحابة أو التابعين أو أحد الأئمة الأربعة أو غيرهم ممن عاصرهم أو جاء قبلهم أو بعدهم .

وقد قال العلامة برهان الدين ابن الإمام محمد المعروف بابن القيم الجوزية : لا نعرف مسألة خرق فيها الإجماع ، ومن ادعى ذلك فهو إما جاهل وإما كاذب ، ولكن ما نسب إليه الانفراد به ينقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : ما يستغرب جدا فينسب إليه أنه خالف فيه الإجماع لندور القائل به وخفائه على مخالفه .

الثاني : ما هو خارج عن مذاهب الأئمة الأربعة ، وقال به بعض الصحابة أو التابعين أو السلف والخلاف فيه محكي .

الثالث : ما اشتهرت نسبته إليه مما هو خارج عن مذهب الإمام رضي الله عنه لكن قد قال به غيره من الأئمة وأتباعهم .

الرابع : ما أفتى به واختاره مما هو خلاف المشهور في مذهب أحمد وإن كان محكيا عنه وعن بعض أصحابه ، انتهى [(٣)] .

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٤ - ٥٥) .

(٢) أي أنه الراجح من الأقوال

(٣) من كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بجهت البيطار (ص ٥٤ ، ٥٥) .

قلت : وبذا يعلم أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم ينفرد بقول لم يقم عليه دليل من الكتاب والسنة ولم يقل به أحد من الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

٢ - قالوا إنه أفتى بفتاوى تخالف فتاوى الأئمة أهل السنة والجماعة ، وهذا من الكذب على شيخ الإسلام ابن تيمية فهو لم ينفرد بقول يخالف به الأئمة جميعًا ، سواء الأئمة الأربعة أو أئمة السلف الذين هم قبل الأربعة كما سبق بيانه فلم يقل قولا إلا وله سلف فيه من الأئمة وأهل السنة والجماعة ، اللهم إلا أن يريد هذا القائل بأهل السنة والجماعة جماعة الأشاعرة والماتريدية ، فهذا اصطلاح خاطئ ؛ لأن المراد بأهل السنة والجماعة حقا من كان على طريقة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجهم واتبع طريقهم ، والأشاعرة والماتريدية خالفوا الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة في كثير من المسائل الاعتقادية وأصول الدين فلم يستحقوا أن يلقبوا بأهل السنة والجماعة ، وهؤلاء لم يخالفهم شيخ الإسلام ابن تيمية وحده بل خالفهم عامة الأئمة والعلماء الذين ساروا على نهج السلف ، والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحاضرة الثانية والثلاثون
التكفير وضوابطه

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [1] .

ويقول - سبحانه - : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [2] .

ويقول ﷻ: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] .

ويقول الرسول ﷺ لما بين لمعاذ رضي الله عنه أبواب الخير ، قال له : « ألا أدلك على ملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه وقال : (كف عليك هذا) ، فقلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال : على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم » [4] .

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٠ - ٧١ .
(٢) سورة ق الآيات : ١٦ - ١٨ .
(٣) سورة النور آية : ١٥ .
(٤) الترمذي الإيمان (٢٦١٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٣) ، أحمد (٢٣٧/٥) .

ثم **أما بعد :**

فإن سبحانه وتعالى قد أمر هذه الأمة بالاجتماع والائتلاف ، وناها عن التفرق والاختلاف ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ [1] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾ [2] .

ولقد سار صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة على هذا المنهج الذي أمرهم الله سبحانه وتعالى بالسير عليه ، فكانوا إخوة متحابين ، متناصرين ، متآلفين ، كما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾ [3] .

وقد وصفهم الله ﷻ بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [4] . ﴿ مُّحَمَّدٞ

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٥ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(٣) سورة الأنفال الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .

(٤) سورة المائدة آية : ٥٤ .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] .

وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [2] وكما قال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه ﷺ » [3] .

وهكذا كان سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة متمسكين بهذا المنهج الرباني عاملين به في أمور حياتم كلها ، ولذلك عندما حدثت الفتنة وحصل ما حصل من القتال بينهم لم يكفر بعضهم بعضًا ، ولا فسق بعضهم بعضًا ، ولا بدع بعضهم بعضًا ، بل مع اقتتالهم وما شجر بينهم كانت الإخوة باقية ، فلم يكونوا يتنابذون بالتكفير ، والتفسيق ، والتبديع ، فما كان يسبي بعضهم بعضًا ، وما تكلم أحد في عقيدة الآخر ودينه ، بل كانوا إخوة متحابين فيما بينهم .

بل عندما ظهرت أصول الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة كالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة لم يتركوا هذا المنهج بل كانوا مع ذلك جماعة واحدة ، كما وصفهم النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهم على ذلك » [4] ، عاملين بقوله ﷺ لما أخبر

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .

(٣) البخاري المظالم والغصب (٢٣١٤) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) ، أحمد (٤٠٥/٤) .

(٤) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (١٠) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

عن افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، كانوا عاملين بقوله عندما سألوه عن هذه الواحدة الناجية من هي ؟ قال ﴿ من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [(١)] فكانوا متمسكين بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ولا يزالون كذلك بحمد الله تعالى .

علامة أهل السنة والجماعة

علامة أهل السنة والجماعة : أنهم يد واحدة ، لأنهم إخوة ، فلا يكفر بعضهم بعضًا ، ولا يفسق بعضهم بعضًا ، ولا يبدع بعضهم بعضًا ، لأن هذه الأمور هي سمة الفرق الضالة .

ومنها : أنهم عاملون بوصية النبي ﷺ في قوله : ﴿ من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ﴾ [(٢)] ، فكانوا على هذا المنهج الرباني متمسكين بسنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين ، ومنهج السلف الصالح ، ولا يزالون كذلك - ولله الحمد - وإن كانوا قلة ، إلا أنهم فيهم البركة وفيهم الخير .

وقد وصفهم الله تعالى في قوله : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [(٣)] .

فكانوا متبعين لمنهج المهاجرين والأنصار بإحسان متمسكين بذلك ، عاملين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [(٤)] .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .
(٢) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .
(٣) سورة التوبة آية : ١٠٠ .
(٤) سورة الحشر آية : ١٠ .

من أصول مذهب أهل السنة والجماعة

ومن أصول مذهب أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ وسلامة قلوبهم وألسنتهم لإخوانهم المسلمين في أي وقت وفي أي مكان ، ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [(١)] .

عاملين بقول النبي ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [(٢)]

وهذه صفة أهل السنة والجماعة (الفرقة الناجية) ، إنهم سائرون على هذا المنهج يوالي بعضهم بعضًا ، ويألف بعضهم بعضًا ، ويرحم بعضهم بعضًا ، ويوقر بعضهم بعضًا ، لأنهم جسد واحد ، وبنيان واحد ، وأمة واحدة ، يغار بعضهم على بعض ، ويحترم بعضهم بعضًا ، وهذه الأمور هي سمة أهل السنة والجماعة .

أما المخالفون لأهل السنة والجماعة فسمتهم التبديع ، والتفسيق ، والتكفير ، في كل زمان ومكان .

أثر ظهور الفرق الضالة

وعندما ظهرت الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة نتج عن ذلك مضاعفات قبيحة وإفرازات سيئة ، أثرت على كثير من الناس ، فتأثروا بها ، وتوارثوها ، وصاروا يبعثونها وينشرونها في كل وقت مهما واتت لهم الفرصة ، وذلك بإملاء من شياطين الجن والإنس ، وهذا خطره عظيم ؛ لأنه يقضي على وحدة الأمة الإسلامية ، ومن هذه المضاعفات القبيحة والإفرازات السيئة لهذه الفرق الضالة ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير ، ينشرها من ورثهم من أتباعهم ، بل هي أصل منهجهم .

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

(٢) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

وعلامة أهل السنة والجماعة هي سلامتهم من هذه الأمراض ، وعلامة المخالفين لهم اتصافهم بهذه الأمراض الخبيثة الوبائية التي هي التبديع والتفسيق والتكفير ، والاشتغال بها ، مهما تطاول الزمن ومهما تنوعت الأساليب ، ويبعث هذه الآفات والأوبئة منهج الفرق الضالة ، لأن منهج أهل السنة والجماعة هو : الابتعاد عن هذه الأمور المذمومة ، والتفقه في دين الله ﷻ والتمسك بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلامة قلوبهم وألسنتهم لسلف هذه الأمة ولإخوانهم المؤمنين .

ولذلك قال الله ﷻ في حقهم : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [1] .

ومن أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النهي عن التبديع والتفسيق والتكفير بغير حق ، فهم ينهون عن ذلك ويحذرون منه ، وشغلهم الشاغل هو العمل الصالح ، يأمرون به ، ويفعلونه ، ويتفقهون فيه ، هذا عملهم : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [2] ، ينفعون أنفسهم وينفعون غيرهم ، ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ [3] .

ومن أعظم طاعة الله ورسوله أنهم يحثون على الاجتماع على كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ وعلى التآلف والتآخي في الله ، لأن المؤمنين جعلهم الله إخوة كما قال : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [4] ، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [5] .

فأخوة الإيمان عندهم أوثق من أخوة النسب ، فهم يحافظون على هذه الأخوة ، وهذا من منهج أهل الإيمان .

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٢) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٣) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١٠ .

أما أهل النفاق وفيهم الفرق الضالة فصفتهم كما قال الله -تعالى- : ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] ، فصفاتهم على عكس صفات المؤمنين تمامًا .

ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير

لقد ظهرت في هذا الزمان بين أوساط الشباب خاصة ، وبين أوساط بعض المسلمين الذين يجهلون حقيقة الإسلام ، بأن تكون عندهم غيره زائدة ، أو حماسة في غير محلها ، ظهرت عندهم ظاهرة التكفير والتفسيق والتبديع ، وصار شغلهم الشاغل في كل أمور حياتهم هذه الصفات المذمومة من البحث والتنقيب عن المعائب وإظهارها ونشرها حتى تشتهر ، وهذا علامة فتنة وعلامة شر ، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يقي المسلمين شرها ، وأن يبصر شباب المسلمين بالطريق الصحيح ، وأن يرزقهم العمل على منهج السلف الصالح والسير عليه ، وأن يبعد عنهم دعاة السوء .

ما هو الفسق ؟ ومتي يكون المسلم فاسقًا ؟

الفسق هو الخروج عن طاعة الله ، ففيه نوع خروج لكنه لا يخرج صاحبه من الإسلام ، ولا يجعله فاجرًا ، بل يكون فاسقًا ، ويكون المسلم فاسقًا إذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، كالزنا ، وشرب الخمر ، والسرقة ، وأكل الربا ، وما شابه ذلك من كبائر الذنوب إذا لم يستحلها ، وإنما ارتكبها عن هوى وشهوة قادته إليها ، فإنه يعد فاسقًا .

وحكمه عند أهل السنة والجماعة : أنه مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فهو من المؤمنين ومن أهل التوحيد ، وإذا لم تكن فيه خصلة من خصال الشرك المخرج من الملة فإنه يبقى له اسم الإيمان واسم الإسلام ، ويكون مسلمًا ومؤمنًا إلا أنه

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٧ .

ناقص الإيمان ، وهذا يسمى بالفسق أو الفاسق ، وإذا فعل كبيرة تستوجب الحد أقيم عليه الحد ، لكنه مع هذا يعد من المؤمنين ، ويعامل معاملة المؤمنين لأنه لو لم يكن من المؤمنين لما كفى لإقامة الحد عليه ، بل كان لا بد من قتله ، لأن المرتد لا بد أن يقتل ، لقوله ﷺ ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [1] ، فكون هذا العاصي يقام عليه الحد يدل على أنه من أهل الإيمان ، ويعامل معاملة المؤمنين ، ويوالى بقدر ما فيه من الإيمان ، ويبغض بقدر ما فيه من المعصية ، لأنه لم يخرج عن دائرة الإيمان وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

مذهب الخوارج في مرتكب الكبيرة

أما مذهب الخوارج والمعتزلة فهو على النقيض من مذهب أهل السنة والجماعة ، فالخوارج يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه كافر خارج من الملة ، وإذا مات ولم يتب فإنه يكون مخلدًا في النار على مذهبهم .

أما المعتزلة فإنم يقولون : إنه يخرج من الإسلام ، لكنه لا يدخل في الكفر ، فيكون عندهم في م لة بين الم لتين ، فلا يقال : هو كافر ، ولا مؤمن ، وإذا مات ولم يتب فإنه يكون مخلدًا في النار كما يقول الخوارج .

حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة

أما مذهب أهل السنة فيقولون : المؤمن الذي ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب لا يقال عنه كامل الإيمان ، بل ناقص الإيمان ، والذين يقولون إنه كامل الإيمان هم المرجئة الذين يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وهم بذلك على النقيض من الخوارج الذين يقولون هو خارج من الإيمان ، فهم على طرفي نقيض .

ومذهب أهل السنة هو الوسط في هذا الباب ، فلا يقولون إنه كامل الإيمان كما تقول المرجئة ، ولا يقولون إنه كافر كما تقول الخوارج ، ولا في م لة بين الم لتين كما

---

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) .

تقول المعتزلة ، بل يقولون : إنه مؤمن ناقص الإيمان ، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، يحب من وجه ويبغض من وجه ، وإذا مات ولم يتب فأمره إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه ، ثم يخرج من النار بعد ذلك ، كما قال - سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] .

وكما في الحديث : ﴿ أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان ﴾ [2] .

فمذهب أهل السنة والجماعة مبني على الأدلة من الكتاب والسنة ، وهو مذهب الاعتدال والوسطية ، لأنه وسط بين الفرق الضالة ، كما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم الكافرة ، قال - تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [3] .

أدلة عدم خروج الفاسق من الإيمان

مما يدل على أن الفاسق ليس خارجًا من الإيمان أن الله سبحانه وتعالى أمر بالإصلاح بين المتقاتلين ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ [4] ، فالله سبحانه وتعالى جعل الطائفتين من المؤمنين مع أنما يقتتلان ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) البخاري الإيمان (٢٢) ، مسلم الإيمان (١٨٤) ، النسائي التطبيق (١١٤٠) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٩) ، أحمد (٥٦/٣) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

(٤) سورة الحجرات آية : ٩ .

بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ ﴾ [(1)] ثم قال تعالى - : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ [(2)] .

فجعل الله المقتتلين أخوين للمؤمنين ، فدل ذلك على أن الكبيرة التي هي دون الشرك لا تخرج من دائرة الإيمان .

ومن ذلك : قوله سبحانه وتعالى لما حكم بالقصاص لأولياء القتيل من القاتل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [(3)] ، فعفي له يعني : القاتل ، ومن أخيه يعني : المقتول ، فسمي القتيل أخًا للقاتل ، مع أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب ، ومع هذا جعلهما أخوين ، فدل ذلك على أن الكبائر التي هي دون الشرك لا تخرج من الملة .

ظاهرة التبديع

البدعة عرفها أهل السنة والجماعة بأنا : ما أحدث في الدين مما ليس منه ، فمن جاء بعبادة يتقرب بها إلى الله وهي لم تكن في دين الله وليس لها دليل من الكتاب أو من السنة فهذه هي البدعة ، بدليل قوله ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [(4)] وفي رواية : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [(5)] ؛ لأن الواجب على المسلمين أن يقتصروا على ما شرعه الله ورسوله من العبادات ، فلا يزيدون شيئًا لم يشرعه الله ورسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٨ .
(٤) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٥٦) .
(٥) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(١)] ، فأسلم وجهه لله يعني : جاء بالتوحيد الخالص ، وهو محسن أي : متبع للرسول ﷺ عاملًا بما جاء به ، ولم يزد على ذلك ، أما الذي زاد في العبادة شيئًا لم يشرعه الرسول ﷺ فهذا مبتدع وليس محسنًا ؛ لأن تفسير شهادة أن محمدًا رسول الله أي طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع ، فهذا مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله .

كما قال الله -سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [(٢)] . ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [(٣)] .

اذن المبتدع هو الذي أحدث في دين الله ما ليس منه بحيث لم يدل عليه دليل من القرآن أو من السنة ، وليس المبتدع كل من خالف أو أخطأ في الاجتهاد ؛ لأن المجتهد إذا أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد على اجتهاده .

والمقصود بالمجتهدين هم من تأهلوا للاجتهاد وتوفرت فيهم شروطه المعروفة ، وكذلك إذا أخطأ عن تأويل ، لأن التأويل شبهة تدرأ عنه الحكم بأنه مبتدع ، ولأنه ظن أن تأوله سائغ ، أو قلد من ظن أنه على حق فهذا يقال في حقه : إنه أخطأ أو مخالف ، ولا يقال : إنه مبتدع .

دليل ذلك أن الصحابة -رضي الله عنهم - كانوا يجتهدون ويختلفون فيما بينهم في بعض المسائل ، لم يبدع بعضهم بعضًا ، ولم يهجر بعضهم بعضًا ، بل كانوا إخوة متحابين متناصرين ؛ لأنم أمة واحدة ، مع أنم يختلفون في بعض الأمور والاجتهادات التي سمح با الشرع بالاجتهاد فيها ، والاستنباط منها .

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٢) سورة الحشر آية : ٧ .
(٣) سورة الحجرات آية : ١ .

معرفة قدر العلماء ومكانتهم

فالعلماء لهم مكانتهم وقدرهم ، ولذلك فإن ظاهرة التبديع إنما جاءت على لسان بعض الجهال أو المبتدئين في طلب العلم ، لأنهم يعتبرون المتأول والمقلد مبتدعًا ، بل أظهروا هذه المقالة ، وصار بعضهم يبدع بعضًا فتعادوا وتقاطعوا وتدابروا ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فيما بينهم ، بل تناول العلماء السابقين ، فنجد هؤلاء الجهال يقولون : ابن حجر مبتدع ، النووي مبتدع ، أبو حنيفة مبتدع ، وغيرهم من كبار الأئمة ، وذلك من أجل أخطاء في الاجتهاد لا تقتضي أن نبدعهم ، لأنها أخطاء جزئية ، وهؤلاء العلماء لهم فضل في الإسلام وأمانة ومكانة ، وقد قدموا للإسلام والمسلمين الكثير من الأشياء النافعة ، فمؤلفاتهم وكتبهم ينتفع بها المسلمون في فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو قدر أن في كلام بعضهم شيئًا من الخطأ فما لهم من مكانة وفضل وعلم في الإسلام وخدمة السنة النبوية تغطي هذه الجزئية الصغيرة ، فيجب أن نعرف قدر علمائنا -سلفًا وخلفًا - وأن نترحم عليهم ، وأن ندعو الله لهم كما قال -تعالى - : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [1] .

وهذه صفة أهل الإيمان ، لأنهم لا يتلمسون العيوب والعثرات ، أما غيرهم فيتبعون العيوب والعثرات وينشرونها ، وهذه هي البدعة .

أنواع البدعة

والبدعة ليست على حد سواء ، فهناك بدعة مكفرة ، وهناك بدعة دون ذلك ، ومن هنا يجب أن نزن الأمور بموازينها ، ونراجع أهل العلم في ذلك ؛ لأنهم قسموا البدعة إلى قسمين : بدعة مكفرة كمقالات الجهمية والغلاة من الفرق ، وكذا المقالات التي تخرج

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

من الإسلام ، وبدعة دون ذلك يعد صاحبها من المسلمين لكن عنده شيء من البدعة ، فلا نجحف في حق الناس ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ [1] .

التكفير

من الظواهر -أيضًا - التي ظهرت ظاهرة التكفير ، والتكفير على نوعين :

أحدهما : كفر أصلي ، وهو الكافر الذي لم يدخل في الإسلام أصلًا ، كالمشركين والمعطلة ، وأنواع الكفرة من وثنيين وملحدين ، فهؤلاء الكفار أصليون .

والنوع الثاني : كافر مرتد عن دين الإسلام ، كأن يكون مسلمًا ثم يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام فيخرج من الدين ويصير مرتدا ، فهذا كافر مرتد .

ونواقض الإسلام معروفة ومحددة عند أهل العلم ، فمن أشرك بالله ، أو دعا غير الله ، أو استغاث بغير الله ، أو ذبح لغير الله يعد كافرًا مرتدا عن الإسلام ، لأنه فعل الشرك وإن كان ينطق بالشهادتين ، وكذلك من نواقض الإسلام سب الله ورسوله ﷺ أو الاستهزاء بشيء من كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بسنته فإنه يكفر بذلك ، جادًا أو هازلًا لقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾ [2] ، فما المقالة التي قالوها ؟ قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكذب ألسنة ، وأرغب بطونًا ، وأجبن عند اللقاء ، يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأنزل الله تكفيرهم في كتابه في آية تتلى إلى يوم القيامة من أجل تحذير المسلمين من الوقوع في مثل هذا ، وكذلك السحر تعلمه وتعليمه ، كفر بالله ﷻ وادعاء علم الغيب عن طريق الكهانة ، أو عن طريق السحر والتنجيم ، أو العرافة فهذا كفر يخرج من الملة ، وهذا هو الذي يحكم عليه بالكفر .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .

(٢) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

وكذلك إذا حرم حلالًا مجمعًا على حله ، أو أحل حرامًا مجمعًا على تحريمه فإنه يكفر بذلك ، أو أنكر شيئًا من الدين قد علم بالضرورة ، كما لو جحد وجوب الصلاة ، أو وجوب الزكاة ، أو وجوب الصوم ، أو الحج ، فإنه يحكم عليه بالكفر ، أما من لم يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام فإنه لا يحكم عليه بالتفكير ، حتى وإن كان الذي ارتكبه كبيرة من الكبائر فإنه يحكم عليه بالفسق ، وإن كان ارتكب خطأ أو معصية ومخالفة يحكم عليه بأنه مخطئ أو مخالف أو ما أشبه ذلك من الصفات التي تليق بما ارتكبه ، فالإنصاف يقتضي أن نزن الأمور بموازينها الشرعية ولا نطلق الكفر على كل من ارتكب مخالفة أو فعل ذنبًا .

فمن أكل الربا مثلا نحكم عليه بأنه فاسق مرتكب لكبيرة إلا إذا استحله أي قال : إن الربا حلال ، حينئذ نقول : إنه كافر ؛ لأنه استحل حرامًا مجمع على تحريمه ، أما إذا أكله غير مستحل له فإنه يعد فاسقًا ، ولا يخرج بذلك من الدين بل يعامل معاملة الفاسقين من المؤمنين .

إنما يطلق التكفير جزافا الجهلة الذين يظنون أنهم علماء وهم لم يتفقهوا في دين الله ﷻ وإنما يقرؤون الكتب ويتتبعون العثرات ، ويأخذون مسميات التفسيق ويطلقونها بغير علم على غير أصحابها أو من يستحقها ، لأنهم لا يعرفون وضع هذه الأمور في موضعها لعدم فقههم في دين الله ﷻ ومثلهم في ذلك كمثل إنسان جاهل أخذ سلاحًا وهو لا يعرف كيف يستخدمه ، فهذا يوشك أن يقتل نفسه وأهله وأقاربه ؛ لأنه لا يحسن استعمال هذه الآلة .

ومن هنا يجب على هؤلاء الذين يأخذون مسميات التبديع والتفسيق والتكفير وهم لا يفقهونها أن يتعلموا قبل أن يتكلموا ، وأن يتقوا الله ﷻ لأن الكلام بغير علم في هذه الأمور شر عظيم ؛ ولأنه - أيضًا - من الكلام على الله بغير علم ، وهذا أعظم من الشرك

لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [1] - إلى قوله : ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [3]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [4] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [5] .

ولهذه الأمور يجب على شباب المسلمين وطلاب العلم أن يتعلموا العلم النافع من مصادره وعلى أهله المعروفين به ، ثم بعد ذلك يتعلمون كيف يتكلمون ، وكيف ي لون الأمور منازلها ؛ لأن أهل السنة والجماعة قديما وحديثا قد حفظوا ألسنتهم فلم يتكلموا إلا بعلم .

الخلاصة

إن كلمة التفسيق والتبديع والتكفير كلمة خطيرة ، لا تذهب سدى إذا نطق با الإنسان ، فهي كلمة لها أثرها ، فقد قال ﷺ : ﴿ لا يقول الرجل للرجل : يا كافر ، إلا باء با أحدهما ﴾ [6] وقال ﷺ : ﴿ تكفير المؤمن كقتله ولعن المؤمن كقتله ﴾ [7] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٣) سورة النحل آية : ١١٦ .
(٤) سورة النحل آية : ١٠٥ .
(٥) سورة الصف آية : ٧ .
(٦) البخاري الأدب (٥٧٥٢) .
(٧) البخاري الأدب (٥٧٥٤) ، مسلم الإيمان (١١٠) ، أحمد (٣٣/٤) .

فإذا قال الرجل لأخيه : يا فاسق ، يا كافر ، يا عدو الله ، وهو ليس كذلك ، حار عليه - أي رجع عليه - وبال هذه الكلمة ؛ لأنه لما قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك ﴾ [(١)] ، وهذه كلمة واحدة .

وقال النبي ﷺ : ﴿ إن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض ﴾ [(٢)] ، إذن فالكلمة وإن كانت واحدة فهي خطيرة جدًا .

فهؤلاء الذين يتكلمون في أعراض العلماء من السلف وغيرهم بالتكفير والتفسيق والتبديع لا يضرون العلماء وإنما يضرون أنفسهم ، لأن العلماء لهم قدرهم وعلمهم ومكانتهم ، والله لا يضيع أعمالهم وما قدموه للإسلام والمسلمين من الأعمال الجليلة ، والخوض فيهم يرجع وباله على المتكلمين .

فيجب أن يتقوا الله من يتكلمون في أعراض العلماء الميتين والأحياء ؛ لأن الله ﷻ قد حذر الأمة من اتباع هؤلاء لقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [(٣)] ، ومعنى فتبينوا أي : تثبتوا من كلامهم ولا تتأثروا به لأول مرة ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝١١ ﴾ [(٤)] .

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٢١) .

(٢) البخاري الرقاق (٦١١٣) ، مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٨) ، الترمذي الزهد (٢٣١٤) ، أحمد (٥٣٣/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٩) .

(٣) سورة الحجرات آية : ٦ .

(٤) سورة الحجرات آية : ١١ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [1] .

فالله سبحانه وتعالى نهى عن سوء الظن بالمسلمين عامة ، فكيف إذا كانوا من العلماء ، لذلك فسوء الظن بالعلماء جريمة ؛ لأنهم ورثة الأنبياء ، وإذا لم تثق الأمة في علمائها فبمن تثق ؟ ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [2] ، أي : لا تتبعوا عورات المسلمين المستورين ، ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾ [3] ، أي : أن أكل لحم الميتة أهون من الكلام في أعراض العلماء ؛ لأنهم خير الأمة ، وقد قال ﷺ : « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : يا رسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » [4] ، فهذا المتكلم لا يخرج عن حالتين : أولهما أن يكون مغتابًا يأكل لحم الميتة ، أو باهتا كذابا .

وجوب النصيحة

ومن هنا يجب على المسلمين مناصحة هؤلاء الذين استطالت ألسنتهم ، وأن ينكروا عليهم أشد الإنكار ، وأن يأخذوا على أيديهم لعلهم يرجعون إلى الصواب فتسلم جماعة المسلمين من الإثم والعقاب ، فانصحوهم ؛ لأن الدين النصيحة ؛ لأن كلامهم أخطر شيء على المسلمين ؛ لأنه يفرق شملهم ، ويضعف جماعتهم ، ويزيد العداوة بينهم ، ويذهب الثقة من علماء المسلمين ، وضياع الثقة بين الأمة وعلمائها هو هدف الأعداء حتى تضيع هذه الثروة العظيمة من العلم .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٤) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٧٤) ، أحمد (٢/٤٥٨) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٤) .

ولذلك يجب على الذين يتتبعون عثرات العلماء أن يتوبوا إلى الله ، ويكفوا عن هذه الخطوات ؛ لأنها من خطوات الشيطان ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ [1] .

فعلينا وعلى جميع المسلمين التوبة إلى الله سبحانه وتعالى ، وبث المحبة بين المسلمين ، وإزالة ما يسبب الأحقاد والفرقة والبغضاء بينهم .

وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، وأسأله أن يوفقنا وإياكم لصالح العمل ، وأن يجعل عملنا صالحا خالصا لوجهه الكريم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) سورة النور آية : ٢١ .

تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
على محاضرة : التكفير وضوابطه
التي ألقاها فضيلة الشيخ صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بداه أما بعد :

فهذا الكلام الطيب الذي تكلم به فضيلة الشيخ صالح الفوزان هو في موضوع خطير جدير بالعناية والتنبيه ، وهو ما يقع من بعض الناس من الكلام في أعراض العلماء بشأن ما قد يقع من أخطاء لا يسلم أحد منها كما قال رسول الله ﷺ : ﴿ كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ﴾ [(1)] ، فالعصمة من الخطأ هي للأنبياء والرسل ؛ لأنهم يبلغون عن الله ﷻ أما غيرهم فقد يقع منهم الخطأ ، والعالم الموفق البصير بدين الله على خير عظيم ، إذا اجتهد وتحرى الحق فله أجران إذا أصاب ، وله أجر واحد إذا أخطأ ، وذنبه مغفور ، كما ثبت بذلك النص عن النبي ﷺ .

وقد أوضح صاحب الفضيلة في هذا الموضوع ما ينبغي إيضاحه وفسر كلامه ، فجزاه الله خيرًا ، وأعظم مثوبته ، وزادنا الله وإياه وجميع المسلمين هدى وتوفيقًا ، ونفعنا جميعًا بذا الكلام الطيب ، وأنا أؤكد على جميع إخواني وجميع الطلبة العناية بذا الأمر ، والاستفادة من هذه النصيحة ، والحذر من القول على الله بغير علم ، والحذر من الكلام في أعراض العلماء بغير علم ، والإنسان إذا علم خطأ نبه عليه مع احترام العلماء ، وحفظ مكانتهم ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ﴾ [(2)] ، فينبه على الخطأ بالدليل مع معرفة ما لصاحب الخطأ من م لة وقدر واحترام .

---

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٥١) ، أحمد (١٩٨/٣) .

(2) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٢٨٥/٣) .

فالعلماء لهم بعض الأخطاء ، والله - جل وعلا - من لطفه وإحسانه غفر لهم ما يقع من الخطأ ؛ لأنه بعد اجتهاد وتحر للحق ، وأثابهم على الاجتهاد بالأجر وأعطاهم على الإصابة أجرين ؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم الشهداء بتوحيد الله ﷻ قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (1) .

فالواجب معرفة أقدارهم ، وحسن الظن بهم ، وحملهم على أحسن المحامل ، وذكر محاسنهم ، وما قد يقع من الخطأ فليسوا معصومين ، والذين أصابوا لهم أجران ، والذين أخطأوا لهم الأجر على صبرهم واجتهادهم وغفر الله لهم وجعلنا جميعًا من أتباعهم .

والواجب على أهل العلم أينما كانوا التثبت من الأمور ، وخصوصًا ما يتعلق بالأحكام الشرعية ، فلا يتكلمون إلا عن علم وبصيرة ، حتى لا يقولوا على الله بغير علم ، وحتى لا يقولوا على رسول الله ﷺ بغير علم ؛ لأن القول على الرسول بغير علم كبيرة من الكبائر ، حتى جعل الله ذلك فوق كبيرة الشرك ، لما يترتب على ذلك من البلاء العظيم ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ (2) ، أي : قل يا محمد للناس : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (3) .

فجاء الكلام على الله بغير علم فوق الشرك لما يترتب عليه من الخطر العظيم ، سواء كان في أسماء الله وصفاته أو في شرعه ودينه ، أو في أعراض الناس ، وأخبر الله تعالى في آية أخرى أنه من خطوات الشيطان فيدعوهم إليه ، كما في سورة البقرة ، قال تعالى :

---

(1) سورة آل عمران آية : ١٨ .
(2) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(3) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (1) .

فالشيطان يأمر بكل شر ومن ذلك القول على الله بغير علم ، والإنسان مسؤول عن سمعه وبصره وقلبه وعقيدته ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (2) .

فالواجب على أهل العلم التثبت والتبصر ، وعلى طالب العلم أن يعتدل وأن يتحرى الدليل وأن يتحرى الحق ، وأن يسأل أهل العلم فيما أشكل عليه ، ولا يدخل في أمور قد يغلط فيها ، ويقع فيما يضره ولا ينفعه .

نسأل الله لنا ولكم ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه ، والعافية من أسباب غضبه ، ونسأله - سبحانه - أن يوفق جميع العلماء وطلبه العلم إلى الفقه في الدين ، والبصيرة في ذلك ، كما أسأله - سبحانه - أن يوفق جميع المسلمين لما فيه صلاحهم وأن يمنحهم الفقه في الدين إنه جل وعلا جواد كريم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(1) سورة البقرة الآيتان : ١٦٨ - ١٦٩ .

(2) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

مقدمة اللد الثالث

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذه مجموعة محاضرات في العقيدة والدعوة كنت قد ألقيتها في مناسبات مختلفة ، رأيت جمعها وطباعتها ، رجاء أن يستفاد منها في الحاضر والمستقبل - إن شاء الله - فيكون فيها إسهام في الدعوة إلى الله ، ولو بجهد قليل . وأسأل الله لي ولوالدي ولجميع المسلمين المغفرة والمثوبة . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المؤلف

المحاضرة الثالثة والثلاثون
الدعوة إلى الله شروطها ومنهاجها ووسائلها

مقدمة في بيان أهمية الدعوة إلى الله وثمارها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن الموضوع الذي سنتحدث فيه - إن شاء الله - موضوع مهم جدًا ، موضوع لا بد للمسلمين منه ، والخطأ فيه خطأ فادح ، إذا تولاه غير أهله . ألا وهو موضوع الدعوة إلى الله ﷻ وبيان شروطها ووسائلها ومنهاجها ، فإن هذا الموضوع يحتاجه طلبة العلم ، بل يحتاجه العلماء ؛ لأن الدعوة إلى الله من واجبات الدين ، ومن صفات هذه الأمة ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [2] ، وأمر الله تعالى نبيه بها فقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [3] .

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٣) سورة النحل الآيات : ١٢٥ - ١٢٨ .

وأثنى على أهل الدعوة إلى الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] .

أخبر - سبحانه وتعالى - أنه لا أحد أحسن قولا من قول من دعا إلى الله ﷻ فقوله أحسن القول ، وعمله أحسن العمل ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [2] فالدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والمرسلين ، فإن الله - سبحانه وتعالى - أرسل الرسل ، وأنزل الكتب للدعوة إلى الله ﷻ فهي وظيفة الرسل عليهم والصلاة والسلام ، ومن اقتدى بم وسار على نجهم إلى يوم القيامة . ومن ثم يجب الاهتمام با وتوضيحها والحث عليها ، وبيان ضوابطها ومقوماتا حتى تتحقق الدعوة إلى الله ﷻ وبين المسلمين في كل وقت .

ولا شك أنه كلما تأخر الزمان وفشا الجهل وكثر الانحراف فإنا تتأكد الدعوة إلى الله ﷻ لإرجاع الناس إلى الحق ، ولإقامة الحجة على الخلق ، والدعوة إلى الله معناها طلب الرجوع إلى الله - سبحانه وتعالى - وطلب الإيمان بالله ، والقيام بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له ، ونيهم عن الشرك والبدع والخرافات التي تصدهم عن دين الله ، وتخرجهم من دين الله ﷻ إلى دين الجاهلية ، فالدعوة إلى الله هي مطالبة الناس بالإيمان بالله ﷻ ومطالبتهم بتوحيده وعبادته ، ونيهم عن الشرك به ، ونيهم عن البدع والمحدثات في الدين ، كل هذا داخل في الدعوة إلى الله ﷻ وكذلك دعوتم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، والالتزام بأحكام الله - سبحانه وتعالى - في المعاملات بأخذ الحلال وترك الحرام من المكاسب .

وبالجملة ، فالدعوة إلى الله تعني : الدعوة إلى دين الله ﷻ بكل ما فيه من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وسمات طيبة ، كل هذا داخل في الدعوة إلى الله - سبحانه

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٣ .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٣ .

وتعالى - والله - سبحانه وتعالى - وصف نفسه بأنه يدعو عباده إلى الجنة ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [(1)] .

فالله - سبحانه وتعالى - يدعو عباده ، بمعنى : يطلب منهم ويأمرهم أن يعملوا الأعمال الصالحة التي تؤهلهم لدخول الجنة ، ويدعوهم إلى التوبة من الذنوب والسيئات .

يدعو إلى المغفرة بإذنه ، أي : بشرعه ودينه - سبحانه وتعالى - ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [(2)] .

يوضح لهم الآيات التي أنزلها على رسوله ﷺ والآيات التي نصبها أدلة على وحدانيته ؛ ليتأملوها فيتذكروا من هذه الآيات عظمة الله - سبحانه وتعالى - ووجوب عبادته ، فيرجعون إليه - سبحانه وتعالى .

وقال تعالى : ﴿ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ [(3)] ، الله - جل وعلا - يدعوكم ويأمركم سبحانه ويطلب منكم ؛ ليغفر لكم من ذنوبكم ، فهو لا يدعوكم لمصلحته هو ، ولا لحاجته إليكم ؛ لأنه غني عن العالمين .

وإنما يدعوكم لمصلحتكم ؛ ليغفر لكم من ذنوبكم ، ويؤخركم إلى أجل مسمى .

فمصلحة دعوته لكم راجعه إليكم .

وهذا من رحمته - سبحانه وتعالى - بكم ، وإحسانه إليكم أنه لا يترككم تلكون ، وتضيعون وتضلون ، بل إنه يدعوكم ويأمركم وينهاكم من أجل مصالحكم : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [(4)] ، يعني : الجنة ، ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(5)] ، ويأمركم ويطلب منكم أن تعملوا والأعمال الصالحة

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٢١ .
(2) سورة البقرة آية : ٢٢١ .
(3) سورة إبراهيم آية : ١٠ .
(4) سورة يونس آية : ٢٥ .
(5) سورة يونس آية : ٢٥ .

التي تؤهلكم لدخول دار السلام وهي الجنة ، وينهاكم عن الأعمال التي تبعدكم عن هذه الدار وتدخلكم في دار البوار وهي جهنم ، فالله - سبحانه وتعالى - يدعوكم ، وهذا من رحمته بكم ، يدعوكم وهو غني عنكم ، وأنتم تعرضون عنه وأنتم بحاجة إليه وفقراء إليه لا تستغنون عنه طرفة عين .

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرسلهم الله لدعوة الخلق فهم من أولهم إلى آخرهم يدعون إلى الله ﷻ ليتوبوا إليه وليرجعوا إليه ؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته ، ولكن الشياطين تجتالهم وتخرجهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (1) .

والدعوة إلى الله ضرورية لإصلاح المجتمعات ، سواء كانت هذه المجتمعات كافرة أو كانت مؤمنة .

الكل بحاجة إلى الدعوة إلى الله ، فالكفار والمشركون يدعون إلى الدخول في الإسلام والخروج من الكفر ، الدخول في الإسلام الذي هو دين الله - سبحانه وتعالى - والخروج من الكفر الذي هو دين الطاغوت . والمؤمنون يدعون إلى الله ؛ ليتوبوا من ذنوبهم ، وليلتزموا بالسنة . ليلتزموا بالعمل بالكتاب والسنة ويجتنبوا المحدثات التي تصدهم عن الدين الحق ، فهم يدعون وإن كانوا مؤمنين ، يدعون لتكميل إيمانهم وتحقيق إيمانهم ، وحماية إيمانهم من الانحراف والضلال ، فإن شياطين الإنس والجن لا تغفل عن المؤمنين أبدا ، بل تحاول صد المؤمنين عن دين الله ﷻ فإن لم يستطيعوا صدهم بالجملة فإنهم يحاولون أن يدخلوا عليهم بالخلل شيئا فشيئا حتى يصابوا بالنقص العظيم في دينهم ، فشياطين الإنس والجن دائما يحرصون على صد المؤمنين عن دين الله ، أو على تزيين

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .

الشبهات والشهوات لهم حتى ينقص الإيمان في قلوبهم ، وحتى يكثر الانحراف في سلوكهم ، وبالتالي يسهل عليهم إخراجهم من الدين بالكلية .

فالدعوة إلى الله عامة في كل الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وكل يدعى إلى الله حسب واقعه وحسب ما حصل فيه من الخلل في عبادة الله ﷻ حتى العلماء يحتاجون إلى الدعوة للعمل بعلمهم والقيام بما أوجب الله عليهم ونشر علمهم ، فليس أحد يستغني عن الدعوة إلى الله لا العالم ولا الجاهل ، ولا المؤمن ولا الكافر ، ولكن كل يدعى بحسب حاله ، فالنبي ﷺ حينما بعث معاذا ﷺ إلى اليمن قال له : ﴿ إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ﴾ [(١)] [(٢)] .

فهم أهل كتاب وأهل علم ، مع هذا فإنهم بحاجة إلى الدعوة إلى الله ﷻ لما أصابهم من الانحراف فهم بحاجة إلى الدعوة فكيف بالعاصي ؟ ! قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عند هذا الحديث : ﴿ إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ﴾ [(٣)] ، قال فيه : إن الإنسان قد يكون عالما وهو لا يعرف معنى لا إله إلا الله ، أو يعرفه ولا يعمل به [(٤)] .

---

(١) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٢) (رواه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٥/٢) ، ومسلم برقم (١٩) ، من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -) .

(٣) البخاري الزكاة (١٣٨٩) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٤) (انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١٩٢/١) للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الدكتور/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان) .

فإذا كان العلماء يحتاجون إلى الدعوة فكيف بغيرهم من الجهال ، وكيف بغيرهم من عامة الناس ؟ ! فالدعوة إلى الله دائما وأبدا ضرورية من ضروريات المجتمعات البشرية .

والدعوة إلى الله - جل وعلا - لها ثمرات يحصل عليها الداعية ، وثمرات يحصل عليها المدعو ، وثمرات يحصل عليها المجتمع كله .

أما الثمرات التي يحصل عليها الداعية : فالذي يدعو إلى الله يثاب على دعوته وله مثل أجور من تبعه ، كما قال ﷺ : ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ﴾ [1] [2] .

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما دفع له الراية في غزوة خيبر وأمره بقتال اليهود قال له : ﴿ انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ﴾ [3] [4] فهذا في فضل الدعوة إلى الله وأن الذي يدعو إلى الله يكون مأجورا ومثابا ، سواء استجيب له أو لم يستجب له ، فإن استجيب له حصل له من الأجر مثل أجور من استجاب له ، ومن تبعه إلى يوم القيامة ، وإن لم يستجب له فإنه أدى الواجب عليه وبرأ ذمته من المسؤولية ، وحصل على أجر الدعوة والبلاغ .

وأما الثمار التي يحصل عليها المدعو فهي عظيمة جدا ، إذا يسر الله واهتدى هذا المدعو وتاب إلى الله عز وجل فإنه يخرج من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهداية ، ويكون عمله صحيحا مفيدا بدل أن كان على عمل ضال وعمل فاسد يرجع عليه بالبوار .

---

(١) مسلم العلم (٢٦٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٧٤) ، أبو داود السنة (٤٦٠٩) ، أحمد (٣٩٧/٢) ، الدارمي المقدمة (٥١٣) .

(٢) (رواه الإمام مسلم ، برقم (٢٦٧٤) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٨٤٧) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، أبو داود العلم (٣٦٦١) ، أحمد (٣٣٣/٥) .

(٤) (رواه الإمام البخاري (٧٦/٥ ، ٧٧) ، من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه -) .

إذا دعي إلى الله واستجاب وقبل وعاد إلى الحق فإنه يكون على بصيرة وتصح أعماله وتغفر له ذنوبه فيكون المدعو قد استفاد فائدة عظيمة .

وقد جاء في وصف هذه الأمة عند قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [(١)] .

قال : تجيئون به بالسلاسل - يعني : الكفار - مصفدين أسرى فيتوبون إلى الله فيدخلون الجنة ، في الأول يكون كارها ثم يقبل الحق فيدخل الجنة يجر إليها بالسلاسل ، وفي الأثر : ﴿ عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل ﴾ [(٢)] [(٣)] فالجنة كل يريدها ، لكن كثير من الناس يعملون أعمالا تبعدهم عنها ويكابرون في قبول الأعمال الصالحة ، فإذا يسر الله قوة مجاهدة من المسلمين وقاتلت الكفار وحصل منهم أسرى ، فإن هؤلاء الأسرى حري بهم أن يراجعوا صوابهم ، وأن يفكروا في أمرهم فيتوبوا إلى الله ﷻ فيكون ذلك سببا في نجاتهم من النار ودخولهم الجنة ، وما كثر الضلال ولا انتشرت البدع إلا بقلة الدعاة إلى الله ﷻ وغفلة المصلحين ، فإذا قل الدعاة أو فقدوا حصلت الكارثة للبشرية قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [(٤)] ، يقول الله - سبحانه وتعالى - لما ذكر هلاك الأمم السابقة في سورة هود : ﴿ فَلَوْلَا ﴾ [(٥)] ، أي : هلا ، وهي كلمة حث ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ [(٦)] لو كان هناك دعاة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ما حصل هذا الهلاك لهذه الأمة : ﴿ وَٱتَّبَعَ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٨٤٨) ، أبو داود الجهاد (٢٦٧٧) ، أحمد (٢/٤٠٦) .
(٣) (رواه البخاري (٤/٢٠) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .
(٤) سورة هود آية : ١١٦ .
(٥) سورة هود آية : ١١٦ .
(٦) سورة هود آية : ١١٦ .

﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ ﴾ [(١)] ، أي : اتبعوا شهواتهم وملذاتهم المحرمة ، فيحصل هذا الهلاك ، وهذا الدمار الذي حل بالأمم ، فدل على أن فقدان الدعاة والآمرين والناهين في المجتمع يؤول به إلى الهلاك - والعياذ بالله - كما حصل للأمم السابقة ، فوجود الدعاة في المجتمع ووجود الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ضمانة له من الهلاك ؛ لأنهم يقومون بالواجب ويهدي الله على أيديهم من يشاء من عباده ، فما دام الخير موجودا في الناس فإنهم على سبيل نجاة ، وإذا فقدوا الخير فإنهم يكونون على شفير هلاك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إذًا فالدعوة إلى الله لها ثمار عظيمة على الدعاة أولا ، وعلى المدعوين ثانيا ، وعلى المجتمعات ثالثا .

شروط الدعوة إلى الله

أما شروط الدعوة :

من أجل أن تكون دعوة صحيحة نافعة ، وإذا فُقِدَت هذه الشروط أو بعضها فإننا تكون فاشلة ، ودعوة لا تجدي شيئا ، بل تضر أكثر مما تنفع .

أول هذه الشروط : الإخلاص لله ﷻ بأن تكون نية الداعي وقصده وجه الله - سبحانه وتعالى - وطلب الثواب من عنده ، ويكون أيضا من قصده النصح للعباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور ونشر العلم ونشر الخير ؛ ولهذا ، فإن كل الآيات التي جاءت في الدعوة تقول : إِلَى اللهِ فتكون الدعوة إلى الله ولا تكون الدعوة إلى أشياء أخرى ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [(٢)] ، ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [(٣)] ، قال تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ [(٤)] ، فالدعوة لا

---

(١) سورة هود آية : ١١٦ .

(٢) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٣) سورة فصلت آية : ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

تكون صحيحة إلا إذا كانت خالصة لوجه الله ﷻ لا يقصد منها الداعية رياء ولا سمعة ، ولا يقصد منها الداعية العصبية لمذهب ولا العصبية لشخص إلا لرسول الله ﷺ ولا لمنهج إلا منهج السلف الصالح ، لا يكون فيها دعوة إلى حزبية ولا دعوة إلى مذهبية مخالفة لما عليه مذهب السلف الصالح والرعيل الأول من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان ، فإذا كان قصد الداعية أن ينشر مذهبا معينا غير مذهب السلف أو يدعو إلى شخص معين غير رسول الله ﷺ كأن يدعو إلى صاحب طريقة ، أو إلى متبوع على غير الكتاب والسنة ، أو يدعو إلى نفسه بأن يُعظم ويُبجل ، وتكون له مكانته ، أو يكون قصده طمع الدنيا والحصول على وظيفة ، فإن أُعطي رضي وإن لم يعط سخط وترك الدعوة ، كل هذا ليس دعوة إلى الله ﷻ وإنما هو دعوة إلى ما يقصد صاحبه والله - جل وعلا - لا يخفى عليه شيء ، فقوله تعالى : ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [(١)] ، هذا فيه وجوب الإخلاص في الدعوة ؛ ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عن هذه الآية : فيها التنبيه على الإخلاص ؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه [(٢)] .

والذي يدعو إلى نفسه أو يدعو إلى ما ذكرت لكم من مذهب أو شخص أو عصبية أو غير ذلك - فإن دعوته ليست إلى الله ﷻ وإنما هي دعوة إلى الهوى والرياء والسمعة والطمع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . فعلى الداعية أن يحاسب نفسه عند ذلك ، وينظر في مقصده ، وينظر إلى نيته فيصحح ما عنده من الخطأ ويتوب إلى الله - عز وجل .

لا نقول : يترك الدعوة ، بل عليه أن يصحح الخطأ الذي عنده ، ويخلص النية لله ﷻ ويخلص القصد والمسلك من أجل أن يكون من الدعاة إلى الله على الحقيقة .

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٢) (انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١/١٨٥) ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب . تحقيق الدكتور/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان) .

الشرط الثاني : أن يكون الداعية على علم بما يدعو إليه ، على علم من الكتاب والسنة ، عنده فقه وبصيرة ومعرفة . يدعو إلى الله ﷻ على بصيرة ، قال تعالى : ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [(١)] .

والبصيرة معناها : العلم ، فلا بد للداعية أن يتزود بالعلم النافع في علم العقيدة ، وفي علم الفقه ، وفي علم الحلال والحرام ، وفي علم الكتاب والسنة ، ويكون ملما بالعلم من نصوص الكتاب والسنة حتى يبين للناس طريق الخطأ من طريق الصواب ؛ لأنه إذا كان جاهلا فإنه لا يعرف الخطأ ولا يعرف الصواب ، وربما يدعو إلى الخطأ وهو لا يدري ، وربما يحذر من الصواب وهو لا يدري ؛ لأن الجهل داء قاتل ؛ لأن الذي يدعو إلى الله يتعرض لشبهات يعرضها شياطين الإنس والجن : شبهات في العقيدة ، وشبهات في الحلال والحرام .

وإذا لم يكن عنده علم يدحض هذه الشبهات فإنه سيتحير وربما ينهزم أمام أهل الضلال فتكون الخسارة الفادحة ، فالذي يدعو إلى الله يتهيأ بالعلم النافع والسلاح الذي يقاوم به الأعداء ؛ ولهذا قال ﷺ لمعاذ : ﴿ إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ﴾ [(٢)] [(٣)] يعني : خذ حذرك .

وأهل الكتاب معروفون ، عندهم تأويل وعندهم شبه وعندهم مجادلة بالباطل ، فلا بد أن يكون الذي يتوجه إليهم على علم بأحوالهم ، وفي هذا دليل على أن الداعية يجب عليه أن يدرس أحوال المجتمع الذي يدعو فيه فيعرف مشاكله ، ويعرف طباع أهله ، ويعرف ما عندهم من المستوى العلمي حتى يكون على استعداد لمواجهتهم وإلا فإنهم سيحيرونه ،

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(٢) البخاري الزكاة (١٣٨٩) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .
(٣) (تقدم تخريجه ص١١ الحاشية رقم (١)) .

وربما ينهزم أمامهم فيكون ذلك نقصا في الدعوة إلى الله ﷻ ويكون فاشلا أمام الخصوم وأمام الأعداء .

فلا يليق أن يدخل ميدان الدعوة حتى يتعلم ويتبصر ويتروى بالعلم النافع ، وإذا كان عنده بعض علم أو شيء من العلم فإنه يدعو بقدر ما عنده من العلم ، ويتوقف عن الأشياء التي لا يعرفها ، ولا يدخل مع الناس في معمعة لا يحسنها ، لكن إذا كان عنده شيء من العلم فليدع بمقدار علمه ، ويتوقف عن الأمور التي لا يحسنها ، هذا أمر مهم جدا وهو أن يكون الداعية على قدر من العلم الذي يستطيع به مواجهة المدعوين وحلول مشاكلهم حتى تكون دعوته مؤسسة على أساس صحيح ، قال تعالى : ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ (1) .

دل هذا على أن أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام يدعون إلى الله على بصيرة ، أي علم : ﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ (2) ، سبحان الله : ت يه الله - جل وعلا - عما لا يليق به من الشرك والنقائص والعيوب .

ففي هذا العناية بالعقيدة الصحيحة التي فيها ت يه الله - سبحانه وتعالى - عما لا يليق به من الشرك والنقائص التي يوردها شياطين الإنس والجن . فلا بد أن يكون الداعية على مستوى من هذا العلم العظيم ، ولا يستطيع أن ي ه الله عما لا يليق به إلا إذا تعلم العقيدة الصحيحة وتعلم ما يضادها من الشرك والشبهات حتى ي ه الله - سبحانه وتعالى .

وقوله : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ (3) : فيه البراءة من المشركين ، فلا بد في الداعية أن يكون متبرئا من الشرك ، ومن المشركين مخلصا لله - سبحانه وتعالى - في عقيدته مبغضا للمشركين ، وفى ضمن ذلك الموالاة لأولياء الله والمعاداة لأعداء الله ؛ لأن من الناس من لا يتبرأ من أهل الأديان الباطلة ، بل يقول : الناس أحرار . . هذا يقوله

---

(1) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(2) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(3) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

البعض - مع الأسف - يقولون : الناس أحرار في عقائدهم وفى أديانهم ، بل ربما أن بعضهم يدعو إلى تقارب الأديان (النصرانية واليهودية والإسلام) ، ويزعمون أنهم من الدعاة ، ولا يتبرءون من المشركين ، ولا يبطلون ما هم عليه ، وهذا ضلال مبين كيف يكون داعية إلى الله ، وهو لا يتبرأ من الشرك ، ولا من المشركين ويسمونها حرية الأديان ؟

لا حول ولا قوة إلا بالله ليس هناك حرية للأديان . الدين واحد هو دين الله - سبحانه وتعالى - الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه فهو دين واحد ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [1] دين واحد ، وهو دين الإسلام ، وما عداه فإنه باطل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [4] . والأديان المحرفة والمنسوخة لا تسمى إسلاما ، فهذه الآية وهى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ [5] ، فيها :

أولا : أن من شروط الدعوة الإخلاص لله .

ثانيا : أن الداعية يجب أن يكون على علم بما يدعوا إليه .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٤) سورة آل عمران الآيتان : ٨٣ - ٨٤ .

(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

ثالثا : فيه اشتراط الولاء والبراء في الداعية إلى الله - عز وجل . كذلك من شروط الدعوة أن الداعية يعمل بما يدعو إليه فلا يدعو الناس إلى العمل الصالح وإلى الخير ، وهو لا يعمل به ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [(١)] ، فالذي يدعو الناس إلى الخير ، وهو لا يعمل به متناقض والناس سيقولون عنه لو كان ما يقول حقا لعمل به :

يـا أيهـا الرجـل المعلـم غـيره ... هـلا لنفـسك كـان ذا التعلـيم
ابـدأ بنفـسك فانهـا عـن غيهـا ... فـإذا انتـهت عنـه فأنـت حكـيم

يقول - سبحانه وتعالى - عاتبا على بني إسرائيل : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(٢)] .

فيجب على الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة صالحة لغيرهم . أما الذي يدعو الناس إلى الخير ، وهو لا يعمل به فهذا يكون ضالا عن الهدى .

وقد جاء في الحديث : ﴿ إن من أول من تسعر بم النار يوم القيامة عالما لا يعمل بعلمه ﴾ [(٣)] [(٤)] وكذلك يجب على الداعية أن يصلح بيته وأهله أولًا ، قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [(٥)] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [(٦)] .

---

(١) سورة الصف آية : ٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ٤٤ .
(٣) مسلم الإمارة (١٩٠٥) ، الترمذي الزهد (٢٣٨٢) ، النسائي الجهاد (٣١٣٧) ، أحمد (٣٢٢/٢) .
(٤) (انظر : سنن الترمذي ، رقم الحديث (٢٣٨٢) ، وابن حيان برقم (٤٠٨) ، والحاكم في المستدرك برقم (١٥٢٧) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه . وللفائدة : انظر جامع بيان العلم وفضله (ص ٢٧٨ - ٣٠٨)) .
(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .
(٦) سورة التحريم آية : ٦ .

فيجب على الداعية أن يبدأ بنفسه ، ثم أهل بيته فيجعل بيته صالحا قدوة للبيوت . أما أنه يذهب يدعو الناس وبيته يعج بالمعاصي ، وأولاده لا يصلون ، ونساؤه كاسيات عاريات ، وأصوات المعازف والمزامير ترتفع من بيته . . إلى غير ذلك . . فكيف يكون داعية يدعو الناس ؟ ! ثم بعد دعوة أهل بيته يدعو جيرانه فالأقرب ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾ [(١)] ، ثم أهل بلده ، ثم تمتد دعوته إلى الآخرين وإلى البلاد الأخرى .

أما أن يدعو في مكان بعيد وبيته وجيرانه وأهل بلده واقعون في المنكرات والمخالفات ، فهذا لا يليق بالداعي . . كما نرى من بعض الجماعات أنا تذهب إلى البلاد البعيدة وتترك بلادها تعج بالوثنيات والمنكرات ، ولا يقومون بالدعوة فيها ، ولا بإصلاحها .

هذه أهم شروط الدعوة :

أولا : الإخلاص لله - عز وجل .

ثانيا : العلم ، لا بد أن يكون الداعية على علم فيما يدعو إليه .

ثالثا : البراءة من الشرك وأهله والموالاة لأولياء الله من المؤمنين .

رابعا : العمل بما يدعو إليه في نفسه وفي أهله وفيمن حوله .

خامسا : الصبر على مشاق الدعوة ؛ لأن الذي ليس عنده صبر لا يمضي في الدعوة ، بل يقف عند أول عقبة وعند أول عائق وعارض فإذا كان فاقدا للصبر فإنه لا يستمر ، والله - سبحانه وتعالى - أمر بالدعوة فقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [(٢)] ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٣ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٣) سورة النحل آية : ١٢٧ .

فأمره بالصبر ؛ لأنه بدون الصبر لا يستمر الداعية في الدعوة ، بل يتراجع ؛ لأن الصبر يحمله على المضي ، وعلى الاستمرار في الدعوة ، والرسل عليهم الصلاة والسلام عرض لهم من العوارض والعقبات ما قصه الله علينا في القرآن ، ولكنهم صبروا وصابروا حتى صارت العاقبة لهم ولأتباعهم .

وما نجح من الدعاة في دعوته إلا من لازم الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله ، وفي سورة العصر ، يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [1] .

قال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :

الأولى : العلم ، **الثانية** : العمل به ، **الثالثة** : الدعوة إليه ، **الرابعة** : الصبر على الأذى فيه . والدليل قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [2] [3]

فقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [4] هذا هو العلم ؛ لأن الإيمان لا بد أن يكون على علم وبصيرة ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [5] هذا العمل بالعلم ، وفي قوله : ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [6] الدعوة ، وفي قوله : ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [7] الصبر على الأذى ، فيه كل هذه الأربع المسائل في هذه السورة القصيرة الموجزة .

---

(١) سورة العصر الآيات : ١ - ٣ .

(٢) سورة العصر الآيات : ١ - ٣ .

(٣) (انظر : كتاب الأصول الثلاثة (ص ٩ - ١٢) ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - مع حاشية الشيخ عبد الرحمن بن محمد قاسم - رحمه الله -) .

(٤) سورة العصر آية : ٣ .

(٥) سورة العصر آية : ٣ .

(٦) سورة العصر آية : ٣ .

(٧) سورة العصر آية : ٣ .

ولقمان عليه السلام يقول لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [1] ، لما أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ [2] ؛ لأن الذي يأمر وينهى ويدعو إلى الله يتعرض للأذى ويتعرض للمضايقات ويتعرض للعقبات فيحتاج إلى الصبر .

فلا بد للداعية من الصبر الذي به يستطيع المضي في طريقه وعدم اليأس فلا ييأس من النتيجة أبدا ؛ لأن النتيجة حاصلة بإذن الله ﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [3] ، ﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [4] ولهذا قال في هذه الآيات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [5] ، فهذه معية خاصة تقتضي النصر والتأييد والحماية من الله - عز وجل - .

هذه باختصار أهم شروط الدعوة إلى الله ﷻ فأي داعية لا تتوفر فيه هذه الشروط فإنه لا يكون ناجحا في دعوته ، بل لا تكون دعوته صحيحة ، ولا مثمرة .

أما وسائل الدعوة

فالدعوة لها مناهج ولها وسائل ، ولا بد أن تعرف المناهج وتعرف الوسائل . والمناهج توقيفية تؤخذ من الكتاب والسنة ، والوسائل غير توقيفية هذا هو الفرق بينهما . فالمناهج ذكرها الله تعالى في الآيات التي سمعتم : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [6] ، إلى آخر الآيات ، حيث ذكر الله مناهج الدعوة

---

(١) سورة لقمان آية : ١٧ .
(٢) سورة لقمان آية : ١٧ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٢٨ .
(٤) سورة طه آية : ١٣٢ .
(٥) سورة النحل آية : ١٢٨ .
(٦) سورة النحل آية : ١٢٥ .

مرحلة مرحلة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [1] ، والحكمة هي العلم ، ففيه اشتراط العلم في الداعية ، والحكمة - أيضًا - : وضع الشيء في موضعه ، بأن يضع الأمور في مواضعها فيخاطب كلا حسب مستواه ، فالجاهل له خطاب والعالم له خطاب . يخاطب الناس بحسب مستوياتهم : العوام لهم خطاب ، والعلماء لهم خطاب ، وطلبة العلم لهم خطاب ، وولاة الأمور لهم خطاب . . فكل يخاطب بقدر ما يليق به بحسب مكانته فلو خاطبت العامي بخطاب العالم أخطأت ، ولو خاطبت السلطان بخطاب غير السلطان أخطأت .

ولهذا لما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون الطاغية الجبار الكافر الذي ادعى الربوبية ، قال : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [2] ، مع أنه جبار طاغية ، وهو أكفر الخلق ، ومدع للربوبية ، يقول : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ [3] ملك عنده سلطة وعنده بطش وجبروت فلو خوطب بخطاب غليظ لانتقم ممن يخاطبه وبطش به ، لكن بخطاب لين يؤثر فيه ويجتذبه ، هذا الذي يليق بمثل هذا وقال تعالى : ﴿ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [4] .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره وابن القيم [5] على هذه الآية : المدعوون على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : طبقة الجهال الذين وقعوا في الخطأ من غير قصد ، ولو عرفوا الحق لأخذوا به ، هؤلاء يخاطبون بالحكمة لا تزيد على أن تقول لأحدهم : إنك أخطأت ، والصواب كذا وكذا ، ثم يقبل إذا كان جاهلا ، ولا يحتاج إلى عناء ، ولا إلى جهد .

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .
(٢) سورة طه الآيتان : ٤٣ - ٤٤ .
(٣) سورة طه آية : ٤٤ .
(٤) سورة النحل آية : ١٢٥ .
(٥) في (زاد المعاد) .

الطبقة الثانية : الإنسان الذي وقع في خطأ عن جهل ، ولكن إذا تبين له الصواب قد يتكاسل عن القبول ، ويتأخر عن القبول ، فهذا يحتاج إلى موعظة .

تقول له : أنا بينت لك الحق والخطأ ، ولا أرى عندك مسارعة للقبول ، اتق الله يا فلان ؛ لأنك الآن عرفت الحق ، فيجب عليك المبادرة بقبوله وعدم التأخر ، فإن تأخرت فإني أخشى عليك العقوبة بأن تعاقب عقوبة من وقع في الخطأ عن علم وتعمد ، فيحل عليك العقاب .

وذكره بأحوال الأمم التي بين لها الحق ، ولم تسارع إلى قبوله فيعظه بالتخويف والوعيد .

الطبقة الثالثة : من عرف الحق وعاند في قبوله وكابر وجادل وجاء بشبهات . والذين يجادلون الآن في كثير من المحرمات في الربا وفي الأغاني والمزامير وفي صلاة الجماعة يحاولون أن يخطئوا الدعاة ويأتوا بشبهات . هذا الصنف يحتاج إلى جدال ، من أجل إبطال شبهاته والرد عليها ، هذه مناهج الدعوة نأخذها من الآيات وهي :

أولا : الدعوة بالحكمة .

ثانيا : الدعوة بالموعظة الحسنة .

ثالثا : الجدل بالتي هي أحسن ، وذلك بحسب أحوال المدعوين ، وليس من مناهج الدعوة ما يفعله بعض الناس من الأناشيد والتمثيليات وغير ذلك مما أحدثوه وشغلوا الناس به .

أما وسائل الدعوة - ولله الحمد - كثيرة وميسرة ، خصوصا في هذا الوقت .

والوسائل معناها : الطرق التي تُسلك لإيصال الدعوة إلى الناس . هذه هي الوسائل وهي كثيرة ، وهي :

أولا : قصد تجمعات المسلمين في المساجد ، نقصد المساجد التي يجتمع فيها المسلمون للصلوات ، ونتخولهم بالموعظة ، والدعوة إلى الله ، وإلقاء الدروس النافعة ، وتدريس القرآن ، وتدريس الحديث ، وتدريس الفقه ، هذا من أعظم وسائل الدعوة ، وتشمل

كذلك المحاضرات والندوات والخطب في بيان ما يحتاجه الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وسلوكياتهم ، وكذلك طبع الكتب النافعة ، والحرص على اختيار الكتب النافعة والرسائل المفيدة من مؤلفات علماء المسلمين السابقين ، وكلما كان الكتاب أقدم فإنه أقرب إلى الصواب وأقرب إلى العلم وأبعد عن الخطأ فيختار من الكتب القديمة النافعة فتطبع وتوزع ، هذا من وسائل الدعوة إلى الله - عز وجل .

ومن وسائل الدعوة : كتابة المقالات في الصحف والمجلات والدوريات ، فتكتب المقالات النافعة والمفيدة ، وتنشر في الصحف والمجلات والدوريات ؛ لأنها تصل إلى أيدي الناس في المكاتب وتصل إليهم في أي مكان ، والناس يطالعون الصحف ويطالعون المجلات ويحرصون عليها ، فلتكن هذه الصحف وهذه المجلات وسيلة إلى الدعوة نكتب فيها ، وننبه على الأخطاء التي تقع ، ونرد على الشبهات .

كذلك من وسائل الدعوة أيضا : البرامج الإعلامية في الإذاعة ، إذا تولاها علماء يلقون فيها برامج يستمع إليها الناس ويستفيدون منها يوميا أو أسبوعيا أو شهريا ، تصل إلى الناس في كل مكان : تصل إلى الراكب في سيارته ، تصل إلى الجالس في دكانه ، إلى النائم في فراشه ، هذا من وسائل الدعوة العظيمة ، ومن النعم ، فإذا استفدنا منها صارت من النعم ، وإذا أهملناها صارت من النقم وراج فيها الباطل ، فنستعمل هذه الأشياء في وسائل الدعوة إلى الله - عز وجل . هذه أهم وسائل الدعوة وليس من وسائل الدعوة الرحلات الجماعية والاجتماعات السرية والانقطاع عن المجتمع ، كما يفعل بعض الجماعات . والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحاضرة الرابعة والثلاثون
لقاء مع الطلاب فرع جامعة الإمام في القصيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) كلمة بين يدي اللقاء

إنها فرصة ثمينة اغتنمتها ، هذه الفرصة التي سنحت لي للقاء بإخوة في هذه الجامعة المباركة أشكر الله على ما يسر ومن به من هذا اللقاء ثم أشكر القائمين على هذا الصرح العلمي من عمداء ووكلاء وأسرة تدريس ، ثم أشكر إخواني الطلاب الذين حضروا واقتطعوا جزءا من وقتهم الثمين ، وأنا مسرور والحمد لله لرؤية هذه النخبة الطيبة من طلبة العلم في هذا الوطن المبارك ؛ لأن الأمة في حاجة إلى مختلف التخصصات العلمية ، وعلى رأسها التخصص الشرعي الذي أنتم ولله الحمد تمثلونه ، وسيكون إن شاء الله منكم الموجهون لهذه الأمة ، يكون منكم القضاة ، ويكون منكم الدعاة ، ويكون منكم أهل الفتوى ، ويكون منكم أهل الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكون منكم الخطباء الموجهون للأمة .

وإن كانت الأمة كما ذكرت بحاجة للتخصصات الأخرى التي تحتاج إليها والله - جل وعلا - جعل الناس مواهب كل يتوجه إلى ما يتلائم مع موهبته ، فمن الناس من يتوجه إلى ما توجهتم إليه من طلب العلم الشرعي ، وهذا أشرف المقامات ، وأعلى

الدرجات عند الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [1] .

وكذلك الأمة بحاجة إلى التخصص المهني العسكرى ، وبحاجة إلى التخصص الطبي ، وبحاجة إلى كل التخصصات التي تحتاجها في بناء مجتمعها ، وقيام مصالحها ، فكلا هيأه الله للقيام بما يتلاءم مع مواهبه ، والكل ينفع الأمة .

أشرف التخصصات

لكن بلا شك أن من توجه إلى العلم الشرعي أنه اختار أعلى المقامات وأشرف التخصصات ، ومن المعلوم ما هي الغاية التي من أجلها أوجدت هذه التخصصات في البلاد ، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله - سبحانه وتعالى - أولا ، ثم بالجد والاجتهاد والصبر والتحمل وحفظ الأوقات ، وتحقيق ما توجه إليه الطالب حتى يقوم به خير قيام ، فلا يمكن أن يكون هناك طبيب لا يجيد الطب ، ولا يمكن أن يكون هناك عسكرى لا يجيد العلوم العسكرية ، ولا يكون هناك صناعي لا يجيد الأمور الصناعية ، ومن باب أولى لا يكون هناك عالم شرعي يقوم بحاجة الأمة في مختلف أمورها من قضاء وإفتاء وإرشاد ودعوة وأمر بالمعروف وني عن المنكر وخطابة لا يمكن أن يقوم بذه التخصصات على الوجه المطلوب ؛ إلا من تأهل لذلك وإلا فإنه سيفشل ، وليت الأمر يقتصر على أنه يفشل في نفسه ، لكن سيترتب على ذلك نقص في حاجة الأمة لمن يشغل هذا التخصص على الوجه المطلوب ؛ لأن الغلط في أمور الدين والغلط في العلم الشرعي ليس كالغلط في الأمور الأخرى ، وإن كان الغلط في كل شيء مرفوضا ومصيبة ، ولكن الغلط في أمور الشرع وفي أمور الدين والتقصير في القيام بالأمانه العلمية والشرعية لا شك أن الغلط في ذلك والتقصير في ذلك يترتب عليه ضرر عظيم بالنسبة للأمة ، ولا شك أنكم تدركون ذلك .

(١) سورة المادلة آية : ١١ .

وقد هيأ الله لكم فرصة عظيمة ما كانت تتهيأ لمن كان قبلكم ، بل كانوا يتحملون المشاق في طلب العلم ، ويتعرضون للأخطار ، ويتعرضون للمجاعات في سبيل الأسفار لطلب العلم ، والكتاب لا يجدونه إلا بعد جهد شاق يستنسخونه بأيديهم وبأقلامهم ، ولو بلغ عدة مجلدات ، لا يجدون المشايخ إلا بعد التعب والعنت والسفر إليهم في أي بلد ذكروا فيه ، أما أنتم - والحمد لله - فكل شيء وفر لكم ، بنيت لكم المدارس والجامعات ، ووفرت لكم الكتب ، ووفرت لكم المكافآت التي تعينكم على قضاء حوائجكم ، جلب لكم المدرسون بدل ما كان أسلافكم يسافرون إليهم ، الآن المدرسون يقدمون إليكم ، ويسافرون إليكم ، ويحضرون عندكم من غير تعب عليكم ، ولا مشقة ، هم يأتون إليكم عند بيوتكم فتأملوا هذه النعمة واشكروا الله عليها ، البلاد الراقية كما يسمونا لا تتوافر فيها هذه الفرص ، فهم ينفقون على أولادهم من الأموال في سبيل تعليمهم النفقات الطائلة ، وأكثرهم لا يستطيعون الإنفاق على أولادهم ، أما أنتم - والحمد لله - فلا يطلب منكم إلا الحضور ، كل شيء ميسر بتوفيق الله تعالى ، فهذه فرصة عظيمة اغتنموها ، فإن الفرص لا تدوم .

اغتنموا الفرصة واشغلوها بما يعود عليكم ، وعلى مجتمعكم بالنفع العظيم ؛ لأنكم مهيأون لتحمل مسؤولية وأمانة ، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [1] ، أمانة عظيمة ، وأعظم الأمانات أمانة العلم الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى - لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهذا العلم لا يقوم هو بنفسه ، إنما يقوم العلم برجاله وبحملته ، فأنتم تحملتم أمانة عظيمة تؤجرون عليها عظيم الأجر إذا أنتم قمتم بما تستطيعون منها ، أو تكون المسؤولية إذا قصرتم أمام الله عظيمة .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٧٢ .

فطالب العلم يجب عليه أولا : أن يخلص النيه لله ﷻ بأن يكون هدفه وقصده من طلب العلم وجه الله - سبحانه وتعالى - وطلب الأجر والثواب ؛ لأن هذا العلم هو ميراث الأنبياء ، كما قال ﷺ : ﴿ وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ﴾ [(١)] [(٢)] .

فأنتم تيئون أنفسكم لوراثة النبي ﷺ في أمته وحمل ما جاء به ﷺ وتبليغه للناس : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [(٣)] .

فأولا : علينا جميعا إخلاص النية لله ﷻ وأن يكون قصدنا وهدفنا رضا الله ﷻ وامتثال ما أمرنا به ، حيث يقول - جل وعلا - : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [(٤)] .

فهذا حث من الله ﷻ لعباده أن تنفر طائفة ممن فيهم الأهلية والكفاءة ينفرون لطلب العلم يتفقهون في دين الله ﷻ ثم لا يقتصر الأمر على أنم يتفقهون في أنفسهم ، بل لا بد أن يفقهوا غيرهم ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [(٥)] ، فليس القصد أن الإنسان يتفقه في نفسه فقط ، بل لا بد مع ذلك أن يفقه غيره فالعلم مشترك بين الأمة لا يختزنه أحد لنفسه أو يحفظه لنفسه فقط ، وإنما يبلغه للمحتاجين إليه ،

---

(١) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .

(٢) (رواه الإمام أحمد في مسنده (١٩٦/٥) ، وأبو داود في سننه برقم (٣٦٤١) ، والترمذي في سننه برقم (٢٦٨٢) ، وابن ماجه في سننه برقم (٢٢٣) ، والدارمي برقم (٣٤٩) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص٦٣ ، ٦٤) ، كلهم من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه -) .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٩ .

(٤) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

(٥) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

فإذا كان احتكار الطعام والناس في حاجة إليه معصية عظيمة ومتوعد ، فكيف باحتكار العلم الذي الناس في حاجة إليه ؟ ﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [(١)] .

ثم نلاحظ أن التفقه في الدين سابق للإنذار مما يدل على أنه يجب على الداعية إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والقائم بوظائف الدين - الواجب عليه أن يتفقه أولا في الدين .

فالتفقه في الدين سابق للإنذار ، أما من باشر الفتوى أو باشر الأمور العلمية قبل أن يتفقه في دين الله فإنه يخل بهذا الأمر ويفسد أكثر مما يصلح ، وقد جاء في الأثر : ﴿ تفقهوا قبل أن تسودوا ﴾ [(٢)] [(٣)] .

ثانيا : البعد عن الفرقة والاختلاف :

ثم علينا جميعا ، لا سيما ونحن نمثل طلبة العلم ونمثل العلماء ، يجب علينا أن نقوم بالإصلاح بين الناس ، وذلك بتأليف القلوب ، وجمع الكلمة ، وإزالة الأحقاد بين المسلمين ، فالله - جل وعلا - يقول : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [(٤)] . وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [(٥)] . ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [(٦)] .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٢ .
(٢) الدارمي المقدمة (٢٥٠) .
(٣) (رواه البخاري (١/٢٦) ، والدارمي برقم (٢٥٦) ، منسوب لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -) .
(٤) سورة النساء آية : ١١٤ .
(٥) سورة الأنفال آية : ١ .
(٦) سورة الحجرات آية : ١٠ .

والنبي ﷺ يقول : ﴿ كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ﴾ [1] [2] .

فالواجب على طلبة العلم والعلماء أن يقوموا بهذا الجانب ، وأن يحرصوا على أن يصلحوا بين الناس ، وأن يسووا النزاع بين المتخاصمين مهما أمكن ، وأن يزيلوا سوء التفاهم الذي ينجم بين المسلمين ، وأن يجمعوا كلمة المسلمين ويحذروا من التفرقة والاختلاف ، وأن يكونوا دائما دعاة إصلاح ، ودعاة أخوة ، ودعاة خير لأمتهم .

ثالثا : قبل أن يباشر العالم أو طالب العلم الإصلاح والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قبل ذلك كله يبدأ بنفسه وأن يعمل بعمله في نفسه ، وفي أهله ، وفي بيته ، وفي أقرب الناس إليه ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤ ﴾ [3] ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ ﴾ [4] .

فيبدأ الداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بنفسه أولا ، ويعمل بما علمه الله حتى يكون قدوة صالحة لغيره ، وحتى يثق الناس من دعوته ، فإن السلف الصالح كانوا يبدءون بأنفسهم قبل أن يتكلموا ، فإذا رآهم الناس استفادوا منهم واقتدوا بهم بمجرد رؤيتهم في أشخاصهم ؛ لأنهم يعملون بما علمهم الله فيكونون قدوة لغيرهم ، أما الذي يتكلم مع الناس ، وهو مضيع لنفسه ، فإنه كما قيل كالسراج يحرق نفسه ويضيء لغيره ، وأنت أولى بالنصيحة ، وأنت أولى بالعمل ، وأنت أولى بالانتفاع بعلمك من غيرك ، فهذا جانب مهم ، وهو أن يكون طالب العلم قدوة صالحة في نفسه قبل أن يتكلم مع الناس

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٦٠) ، مسلم الزكاة (١٠٠٩) ، أحمد (٣١٦/٢) .
(٢) (رواه الإمام البخارى (١٥/٤) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وللحديث بقية) .
(٣) سورة البقرة آية : ٤٤ .
(٤) سورة الصف آية : ٢ .

ويبدأ بأهله قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (١) ، ابدأ بأهلك ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (٢) .

فهذه هي الطريقة الصحيحة للإصلاح .

أطباء الأرواح والقلوب

وإذا كان الأطباء في المستشفيات يعالجون الأجسام ويعالجون الأمراض الحسية ، فأنتم أطباء القلوب تعالجون من أمراضها بالشفاء الذي أنزله الله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ (٥) .

فأنتم أطباء القلوب وأطباء الأرواح ، ومرض القلب ومرض الأرواح أشد من مرض الأجسام ، إذن طبيب القلب يكون أهم من طبيب الأبدان ، فلا شك أنكم - والحمد لله - قد اخترتم لأنفسكم المكانة اللائقة وانتسبتم إلى أشرف تخصص ، فحققوا هذا الانتساب ، وهذا الاختيار ، حققوه بالعمل حتى تحصلوا على النتيجة المطلوبة .

واعلموا أن الناس ينظرون إليكم ، كل الناس ينظرون إلى أفعالكم وإلى تصرفاتكم وإلى عبادتكم وإلى محافظتكم على صلواتكم وإلى حضوركم في المساجد والناس ينظرون إليكم أكثر من غيركم ؛ لأنكم طلبة علم وأنتم قدوة ، يقول الشاعر :

قد هيئـوك لأمـر لـو فطنـت لـه فاربأ بنفسك أن ترعـى مـع الهمـل

(١) سورة التحريم آية : ٦ .
(٢) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٨٢ .
(٤) سورة يونس آية : ٥٧ .
(٥) سورة فصلت آية : ٤٤ .

رابعًا : عليكم بحفظ الوقت ، فإن المغريات اليوم والشواغل كثيرة ، والصوارف - كما تعلمون - كثيرة مما جلبته المدينة الحديثة ، فعليكم أن تحذروا من هذه الشواغل ، وأن تقبلوا على ما اخترتم الانتماء إليه ، أن تقبلوا على طلب العلم ، وعلى حفظ الوقت ، وفي الحكمة يقولون : " " الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك " " .

ولا شك أن حفظ الوقت عليه مدار كبير ، فاحفظوا أوقاتكم وأنفقوها فيما هيأتم أنفسكم له ، فإن طالب العلم إذا مرت عليه ساعة ، أو فترة غفل فيها عن طلب العلم ستبقى هذه الساعة ، أو هذه الفترة ، أو هذا اليوم ، أو هذا الأسبوع سيبقى ثلمة في معلوماته يتحسسها فيما بعد .

بينما من حفظ وقته ، ولم يضّيع شيئا منه ، فإن معلوماته ستكون متواكبة ، ولا يفوت عليه شيء ، وفي الحكمة يقولون : " " لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتعجز عن عمل يومين في يوم واحد " " هذا ما أحببت أن أقوله وإن كنت أعلم أنكم -والحمد لله- أحرص على أنفسكم ، وعلى تخصصكم وأنتم أدرى مني أيضا بذه الأمور ؛ لأن من زاول الشيء أدرى به ممن هو بعيد عنه ، وأنتم أدرى بأموركم وأحرص على أوقاتكم ، ولكن من باب التذكير والذكرى تنفع المؤمنين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٢) أسئلة اللقاء والإجابة عليها

إهمال الشباب وزهدهم في تعلم العقيدة ومدارستها والاهتمام بها

س١ : يلاحظ على الشباب في الآونة الأخيرة إهمالهم وزهدهم في تعلم العقيدة ومدارستها والاهتمام بها ، وانشغالهم بأمور أخرى ؛ فما هو توجيه فضيلتكم لمثل هؤلاء الشباب ؟

ج١ : أنصح للشباب ولغيرهم من المسلمين أن يهتموا بالعقيدة أولا وقبل كل شيء ؛ لأن العقيدة هي الأصل الذي تبنى عليه كل الأعمال قبولا وردا ، فإذا كانت العقيدة صحيحة موافقة لما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، خصوصا خاتم الرسل نبينا محمد ﷺ فإن سائر الأعمال تقبل ، إذا كانت هذه الأعمال خالصة لوجه الله تعالى ، وإذا كانت العقيدة فاسدة ، أو كانت ضالة مبنية على العوائد وتقليد الآباء والأجداد ، أو كانت عقيدة شركية ، فإن الأعمال مردودة ، لا يقبل منها شيء ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ، وصوابا على سنة رسوله - ﷺ .

فمن كان يريد النجاة لنفسه ، ويريد قبول أعماله ، ويريد أن يكون مسلما حقا ، فعليه أن يعتني بالعقيدة ، بأن يعرف العقيدة الصحيحة وما يضادها وما يناقضها وما ينقصها ، حتى يبني أعماله عليها ، وذلك لا يكون إلا بتعلمها من أهل العلم وأهل البصيرة الذين تلقوها عن سلف هذه الأمة .

قال الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد ﷺ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [1] .

وقد ترجم الإمام البخاري - رحمه الله - [2] ترجمة قال فيها :

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

(٢) في (صحيحه) .

" باب : العلم قبل القول والعمل " ، وساق هذه الآية الكريمة ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [(١)] حيث بدأ الله - سبحانه وتعالى - بالعلم قبل القول والعمل .

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [(٢)] ؛ فرتب السلامة من الخسارة على مسائل أربع :

المسألة الأولى : الإيمان ؛ ويعني : الاعتقاد الصحيح .

المسألة الثانية : العمل الصالح والأقوال الصالحة ، وعطف الأعمال الصالحة على الإيمان من باب عطف الخاص على العام ؛ لأن الأعمال داخلة في الإيمان ، وإنما عطفها عليه اهتماما بها .

المسألة الثالثة : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ [(٣)] يعني : دعوا إلى الله وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، لما اعتنوا بأنفسهم أولا وعرفوا الطريق دعوا غيرهم إلى ذلك ؛ لأن المسلم مكلف بدعوة الناس إلى الله - سبحانه وتعالى - والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

المسألة الرابعة : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [(٤)] الصبر على ما يلاقونه في سبيل ذلك من التعب والمشقة ، والصبر : حبس النفس على المشقة في سبيل الله .

فلا سعادة لمسلم إلا إذا حقق هذه المسائل الأربع .

أما الاهتمام بالثقافات العامة ، والأمور الصحفية ، وأقوال الناس ، وما يدور في العالم ، فإنما يطلع الإنسان عليها بعدما يتحصل على العلم الشرعي ويحقق العقيدة ، فيطلع على هذه الأمور من أجل أن يعرف الخير من الشر ، ومن أجل أن يحذر مما يدور في الساحة من شرور ودعايات مضللة ، لكن هذا بعدما يتسلح بالعلم ويتسلح بالإيمان بالله

(١) سورة محمد آية : ١٩ .
(٢) سورة العصر الآيات : ١ - ٣ .
(٣) سورة العصر آية : ٣ .
(٤) سورة العصر آية : ٣ .

ورسوله ، أما أن يدخل في مجالات الثقافة والأمور الصحفية وأمور السياسة ، وهو على غير علم بعقيدته ، وعلى غير علم بأمور دينه ، فإن هذا لا ينفعه شيئا ، بل هذا يضره بحيث يشتغل بما لا فائدة له منه ، ولا يستطيع أن يميز الحق من الباطل .

كثير من جهلوا العقيدة واعتنوا بمثل هذه الأمور ضلوا وأضلوا ، ولبسوا على الناس ؛ بسبب أنهم ليس عندهم بصيرة وليس عندهم علم يميزون به بين الحق والباطل ، وما يؤخذ وما يترك ، وكيف تعالج الأمور ، فبذلك حصل الخلل ، وحصل اللبس عند كثير من الناس ؛ لأنهم دخلوا في مجالات الثقافة ومجالات السياسة ، من غير أن يكون عندهم علم بعقيدتهم وبصيرة من دينهم ، فحسبوا الحق باطلا ، والباطل حقا .

إعراض كثير من الشباب عن قراءة كتب السلف الصالح وتصحيح العقيدة عليها

س٢ : لقد أعرض كثير من الشباب عن قراءة كتب السلف الصالح وتصحيح العقيدة عليها ؛ ككتاب (السنة) لابن أبي عاصم وغيره ، التي توضح منهج أهل السنة والجماعة وموقفهم من السنة وأهلها والبدع وأهلها ، وانشغلوا بالقراءة لمن يسمون بالمفكرين والدعاة ، الذين يوجد في كلامهم ما يناقض كتب السلف ، ويقررون خلافها ، فبماذا توجهون هؤلاء الشباب ؟ وما هي الكتب السلفية التي تنصحونهم بقراءتها وبناء العقيدة وتصحيحها عليها ؟

ج٢ : هذا السؤال متفرع عن السؤال السابق ، وهو : لما عرفنا أنه يجب العناية بالعقيدة وتعلمها وتعلم ما يجب على الإنسان نحوها ، فإنه يأتي السؤال : ما هي المصادر التي تؤخذ منها هذه العقيدة ؟ ومن هم الذين نتلقى عنهم هذه العقيدة ؟

المصادر التي تؤخذ عقيدة التوحيد وعقيدة الإيمان منها هي الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، فإن القرآن قد بين العقيدة بيانا شافيا ، وبين ما يخالفها وما يضادها وما يخل بها ، وشخص كل الأمراض التي تخل بها ، وكذلك سنة الرسول ﷺ وسيرته ودعوته

وأحاديثه ﷺ وكذلك السلف الصالح والتابعون وأتباع التابعين من القرون المفضلة قد اعتنوا بتفسير القرآن وتفسير السنة وبيان العقيدة الصحيحة منها وتبيينها للناس ، فيرجع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى كلام السلف الصالح ، وهو مدون ومحفوظ في كتب التفسير وشروح الحديث ، ومدون أيضا بشكل خاص في كتب العقائد .

وأما من يتلقى عنه العقيدة فهم أهل التوحيد وعلماء التوحيد الذين درسوا هذه العقيدة دراسة وافية وتفقهوا فيها ، وهم متوفرون ولله الحمد ، خصوصا في هذه البلاد ؛ بلاد التوحيد ، فإن علماء هذه البلاد على وجه الخصوص وعلماء المسلمين في غير هذه البلاد المستقيمين على وجه العموم لهم عناية بعقيدة التوحيد ، يدرسونها ويفهمونها ، ثم يوضحونها للناس ، ويدعون إليها ، فالرجوع إلى أهل التوحيد وإلى علماء التوحيد الذين سلمت عقيدتهم وصفت ، فهؤلاء الذين تؤخذ عنهم عقيدة التوحيد .

أما الانصراف عن كتب العقيدة إلى كتب الثقافات العامة والأفكار المستوردة من هنا وهناك ، فهذه لا تغني شيئا ، وهي كما يقول القائل : لحم جمل غث فوق جبل وعر ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى ! هذه كتب لا يضر الجهل بها ، ولا ينفع العلم بها ، ولكن من تضلع بعلوم التوحيد وعلوم العقيدة والعلوم الشرعية ، وأراد أن يطلع عليها من باب معرفة نعمة الله - سبحانه وتعالى - عليه ، بأن هداه للعقيدة الصحيحة ، وحرم هؤلاء الذين انشغلوا بالقيل والقال وملئوا الكتب والصحف بالكلام الذي لا طائل تحته ، وشره أكثر من خيره - فهذا لا بأس به ، على ألا ينشغل عن قراءة ما يفيد .

فلا يجوز لطالب العلم والمبتدئ بالخصوص أن ينشغل بهذه الكتب ؛ لأنها لا تسمن ، ولا تغني من جوع ، وإنما تأخذ الوقت ، وتشتت الفكر ، وتضيع الزمان على الإنسان . فالواجب على الإنسان أن يختار الكتب النافعة ، والكتب المفيدة ، والكتب التي تعتني بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتشرح فهم السلف الصالح لهما ، فالعلم ما قاله الله وما قاله رسول الله ﷺ قال ابن القيم - رحمه الله - :

العلـــم قـــال الله وقـــال رســـوله	**قال الـصحابة هـم أولـوا العرفـان**
ما العلم نـصبك للخـلاف سـفاهة	**بين النـصوص وبـين رأي فـلان** [1]

زهد كثير من الشباب في متابعة الدروس العلمية ولزوم دروس أهل العلم الموثوقين

س٣ : كثير من الشباب زهدوا في متابعة الدروس العلمية ولزوم دروس أهل العلم الموثوقين ، واعتبروها غير هامة ، أو قليلة النفع ، واتجهوا إلى المحاضرات العصرية التي تتحدث عن السياسة وأوضاع العالم ؛ لاعتقادهم أنا أهم ؛ لأنا تعتني بالواقع ، فما نصيحتكم لهؤلاء الشباب ؟

ج٣ : هذا كما سبق ، الاشتغال بالمحاضرات العامة والصحافة وبما يدور في العالم دون علم بالعقيدة ودون علم بأمور الشرع تضليل وضياع ، ويصبح صاحبها مشوش الفكر ؛ لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

والله - سبحانه وتعالى - أمرنا بتعلم العلم النافع أولا ، قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [5] .

إلى غير ذلك من الآيات التي تحث على طلب العلم الم ل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن هذا هو العلم النافع المفيد في الدنيا والآخرة ، وهذا هو النور الذي يبصر

(١) (انظر : شرح القصيدة النونية ، لابن القيم ، شرح د/ محمد خليل الهراس (١٥٢/٢)) .
(٢) سورة محمد آية : ١٩ .
(٣) سورة الزمر آية : ٩ .
(٤) سورة فاطر آية : ٢٨ .
(٥) سورة طه آية : ١١٤ .

الإنسان به الطريق إلى الجنة وإلى السعادة والطريق إلى المعيشة الطيبة الـ يهة في الدنيا ، وفي الآخرة .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [1] .

ونحن نقرأ سورة الفاتحة ، وفيها الدعاء العظيم : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [2] .

والذين أنعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح : ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [3] ، و ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [4] : هم الذين أخذوا العلم وتركوا العمل ، ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [5] : هم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم .

فالصنف الأول : منعم عليهم ، وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح .

والصنف الثاني : مغضوب عليهم ؛ لأنهم عصوا الله على بصيرة .

والصنف الثالث : ضالون ؛ لأنهم عملوا بدون علم .

وأما الاشتغال بواقع العصر كما يقولون ، أو فقه الواقع ، فهذا إنما يكون بعد الفقه الشرعي ؛ إذ الإنسان بالفقه الشرعي ينظر إلى واقع الناس وما يدور في العالم وما يأتي من أفكار ، ومن آراء ، ويعرضها على العلم الشرعي الصحيح ؛ ليميز خيرها من شرها ، وبدون العلم الشرعي فإنه لا يميز بين الحق والباطل والهدى والضلال ، فالذي يشتغل بادئ

---

(١) سورة النساء الآيتان : ١٧٤ - ١٧٥ .
(٢) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .
(٣) سورة النساء آية : ٦٩ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٧ .
(٥) سورة الفاتحة آية : ٧ .

ذي بدء بالأمور الثقافية والأمور الصحافية والأمور السياسية ، وليس عنده بصيرة من دينه ؛ فإنه يضل بذه الأمور ؛ لأن أكثر ما يدور فيها ضلال ودعاية للباطل وزخرف من القول وغرور ، نسأل الله العافية والسلامة .

الأخذ بمناهج دعوية مستوردة وافدة وأثر ذلك على العقيدة

س٤ : الأخذ بمناهج دعوية مستوردة وافدة ؛ هل لذلك أثر على العقيدة ، إذا علمنا ضعف عقيدة المتبوعين ، أو ضعف عقيدة الولاء والبراء ، أو عدم التفريق بين الفرق الضالة بمناهجهم عند أولئك ؟ وجزاكم الله خير ؟

ج٤ : الفيصل في هذا هو إتباع منهج الرسل ، خصوصا خاتم الرسل ﷺ وخاتم الرسل كان أول ما يأمر بالتوحيد ويوصي دعاته أن يدعوا أول شيء إلى التوحيد ، ثم يأمر بعد ذلك بأوامر الدين من صلاة وزكاة وصيام وحج .

قال ﷺ لمعاذ : ﴿ ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات . . ﴾ [(١)] إلى آخر الحديث [(٢)] .

ثم أيضا منهج الرسول ﷺ في الدعوة مأخوذ من سيرته ، ومن كتاب الله ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [(٣)] ، ويقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [(٤)] . ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [(٥)] : فيجب على الداعية أن يكون مخلصا في نيته ، بأن يكون قصده الدعوة إلى الله ، ليس

---

(١) البخاري الزكاة (١٣٣١) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٢) (تقدم تخريجه ص١١ الحاشية رقم (١)) .

(٣) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٤) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

قصده الدعوة إلى نفسه ، أو الدعوة إلى شخص معين غير الرسول ﷺ أو منهج معين ، أو طائفة معينة غير أهل السنة والجماعة ، وإنما يقصد الدعوة إلى الله ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ونفع الناس ، هذا قصد الداعية المخلص .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى على هذه الآية : ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [(١)] ؛ قال : " " فيه وجوب الإخلاص في الدعوة ؛ لأن بعض الناس إنما يدعو إلى نفسه ، ولا يدعو إلى الله " " [(٢)] فالذي يدعو إلى نفسه ، أو يدعو إلى طائفة ، أو يدعو إلى منهج ، أو يدعو إلى متبوع غير الرسول ﷺ وأتباعه ؛ لا يدعو إلى الله ، وإنما يدعو إلى ما دعا إليه من تلك الأمور .

فالواجب على الداعية أن يكون قصده الإخلاص لله ﷻ ويكون قصده نفع الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، لا التحزب ، ولا التجمع مع الطوائف الأخرى ، ولا المنازعات ، ولا الخصومات ، ولا الانتصار لفلان أو علان ، وإنما ينتصر للحق ، ويتبع منهج الحق ، هذا هو الذي يدعو إلى الله على المنهج الصحيح .

الدعوة إلى الله بالإخلاص ، الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

هذا منهج الدعوة المستخلص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن سار على هذا المنهج فهو الداعية إلى الله حقا ، ومن خالف هذا المنهج فإنه ليس داعية إلى الله حقا .

والمنهج في الإسلام واحد ، لا مناهج في الإسلام ، قال تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [(٣)] ،

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٢) (انظر : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى (ص٤٥ ، ٤٦) ، بمعناه) .

(٣) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

هذا منهج الإسلام ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [(١)] .

ليس في الإسلام إلا منهج واحد ، منهج الرسول ﷺ الذي سار عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن جاء بعدهم من الدعاة والـدين لدين الله ، منهج واحد ، لا انقسام فيه ، ولا اختلاف .

وعلامة هذا المنهج أن الذين ساروا عليه لا يختلفون ، بل يكونون جماعة واحدة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وعلامة المناهج المنحرفة وجود الاختلافات بين أهلها ، والعداوة بين أهلها ، والـ اع بين أهلها ، فهذا هو الفارق .

الواجب أن نكون على منهج واحد ، منهج الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة ، وهو المنهج الصحيح الذي يجب أن نسير عليه في دعوتنا إلى الله ، وفي عملنا ، وفي علمنا ، وفي جميع أمورنا ، لو أخذنا بـذا لم يحصل اختلاف ، ولم يحصل عداوات ، ولم يحصل تفرق ، إنما يحصل التفرق من مخالفة هذا المنهج ، والتماس مناهج أخرى ، هذا هو الذي يوجب التفرق والاختلاف .

سبب اهتمام كثير من المسلمين بعلم العقيدة
وبيان المقصود بالعقيدة والإيمان والتوحيد

س٥ : لماذا يهتم كثير من المسلمين بعلم العقيدة ، وما المقصود بالعقيدة والإيمان والتوحيد ؟ وهل هناك فرق بين هذه المصطلحات ؟ وما رأيكم فيمن يقول : إن بعض أمور العقيدة وموضوعاتا قد انتهى ومضى زمنها ، وبالتالي لا جدوى من تعميم دراستها ؟

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

ج٥ : يهتم الموفقون من المسلمين بعلم العقيدة اقتداء بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، حيث كانوا يبدءون دعوتم بتصحيح العقيدة ؛ لأنا هي الأساس الذي يبنى عليه سائر الأعمال ؛ فإذا صحت العقيدة صحت الأعمال ، وما لم تصح العقيدة لم تصح الأعمال .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [2] .

والمقصود بالعقيدة والإيمان والتوحيد شيء واحد من حيث إنا عمل قلبي ، ويزيد الإيمان على ذلك أنه أيضا قول باللسان وعمل بالجوارح .

وجميع أمور العقيدة وموضوعاتا لا بد من معرفتها والعناية با في كل زمان ومكان ، ولا ينتهي العمل با إلى أن تقوم الساعة .

والذي يرى أن بعض أمور العقيدة ومواضيعها قد انتهى وقتها ، لا يخلو : إما أن يكون جاهلا لا يعرف مواضيع العقيدة وأهميتها ، وإما أن يكون عنده خلل في عقيدته ، ويريد التستر على هذا الخلل ؛ لئلا ينكشف .

كالذين يقولون : اتركوا الكلام في موضوع توحيد الألوهية ؛ لأن هذا يفرق بين المسلمين واكتفوا بالدعوة إلى توحيد الربوبية ، وإثبات وجود الله ، والرد على الملاحدة والشيوعيين ، ولا تتعرضوا لعباد القبور والأضرحة !

وكالذي يقول : اتركوا الكلام في موضوع إثبات الأسماء والصفات ، والرد على من يعترض لها بنفي ، أو تأويل . . إلى غير ذلك .

وكل هذا كلام باطل لا بد من كشف زيفه وبيان مغزاه وتعرية مضمونه الباطل وما ينطوي عليه من سوء معتقد ! والرسول ﷺ جاء ببيان العقيدة للناس ، وبيان ما يفسدها

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٨ .

قبل كل شيء ، وكثير من آيات القرآن وسوره في توضيح هذا الأمر ، ووجوب بيانه للناس ، فهل يريد هؤلاء منا أن نترك القرآن وما فيه من بيان العقيدة ؟ ! !

من يزهد في دروس العقيدة بحجة أننا مسلمون

س٦ : هناك من يزهد في دروس العقيدة ، ويقول : نحن مسلمون ولسنا بكفرة ، أو مشركين حتى نتعلم العقيدة ، أو ندرسها في المساجد . فما توجيه فضيلتكم حيال هذا ؟

ج٦ : ليس معنى تدريس العقيدة وتعليم العقيدة أننا نحكم على كل الناس أنهم كفار ، نحن ندرسها للمسلمين والموحدين من أجل أن يعرفوها تماما ، ويعرفوا ما يناقضها ، ويعرفوا ما يضادها ؛ لئلا يقعوا فيه وهم لا يعلمون ، فهذا من باب الوقاية .

وكان حذيفة بن اليمان ﷺ يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني [1] .

وعمر بن الخطاب ﷺ يقول : (يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) .

فنحن إذا درسنا العقيدة ليس معناه أننا نحكم على الناس كلهم بالكفر ، بل معناه أننا نريد أن نعرف العقيدة الصحيحة حتى نتمسك بها ونعرف ما يضادها حتى نتجنبه .

والله تعالى يقول لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [2] ؛ فلا بد أن الإنسان يتعلم ، ولا يكتفي أنه يقول : أنا مسلم ! والحمد لله ، ولو سألناه : ما هو الإسلام ؟ أو قلنا له : عرف لنا الإسلام ؟ فالكثيرون لا يستطيعون أن يعرفوا الإسلام تعريفا صحيحا .

(١) (رواه الإمام البخاري (١٧٨/٤) ، من حديث حذيفة بن اليمان) .

(٢) سورة محمد آية : ١٩ .

ولو قلت له : بيّن لي نواقض الإسلام ؟ فالكثيرون لا يعرفون نواقض الإسلام ، وإذا جهلها يوشك أن يقع فيها ، وهو لا يدري .

ولو قلت له : بين لي أركان الإسلام ، أو : بيّن لي أركان الإيمان التي بينها الرسول ﷺ واشرحها لي ؟ لوجدنا الكثيرين لا يعرفون ذلك فكيف تقول : إنك مسلم وأنت لا تعرف ما هو الإسلام وما نواقضه ؟

بل إن الكثير من الذين يزعمون أنم دعاة لا يعرفون أنواع التوحيد وأنواع الشرك ، ولا يعرفون شروط الصلاة ، ولا يعرفون أحكام الوضوء ، ولا يعرفون نواقض الوضوء ، ولا يعرفون أركان الصلاة ، وواجبات الصلاة ، ولا يعرفون مبطلات الصلاة ، أين هؤلاء من معرفة الإسلام فضلا عن الدعوة إليه ؟ ! الإسلام ليس دعوى فقط ، الإسلام حقيقة وعمل ومعرفة . . لا بد من المعرفة والعلم والبصيرة ؛ لأن الذي لا يعلم يقع في الخطر ، وهو لا يدري ، مثل الجاهل الذي يسير في طريق لا يعرفه ، وهذا الطريق فيه حفر وفيه أعداء وسباع ، يقع في الخطر ، وهو لا يدري .

فلا بد من تعلم التوحيد ؛ لأن التوحيد هو الأساس ، ولا يزهد في تعلم التوحيد إلا أحد رجلين : إما جاهل ، والجاهل لا عبرة به ، وإما مغرض مضل يريد أن يصرف الناس عن عقيدة التوحيد ، ويريد أن يسدل الغطاء على عقائد المنحرفين الذين ينتسبون إلى الإسلام وعقائدهم فاسدة ، لئلا ينكر عليهم .

والله تعالى يقول : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [(١)] ، ويقول الرسول ﷺ : ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ [(٢)] [(٣)] فمفهوم الحديث :

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

(٢) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢١) ، أحمد (٩٣/٤) ، مالك الجامع (١٦٦٧) ، الدارمي المقدمة (٢٢٦) .

(٣) (رواه الإمام البخاري (٢٥/١ ، ٢٦) ، من حديث معاوية - رضي الله عنه -) .

أن الذي لا يريد الله به خيرا لا يفقهه في الدين ، فهذا الذي يقول : لا تتعلموا العقيدة ! يقول : لا تتفقهوا في الدين ! وهذا إما جهل وإما تضليل .

إنعكاس العقيدة على حياة المسلم وتصرفاته

س٧ : كيف تنعكس العقيدة على حياة المسلم وتصرفاته ؟

ج٧ : كما أشرنا ؛ إذا صحت العقيدة ، صحت أعمال المسلم ؛ لأن العقيدة الصحيحة تحمل المسلم على الأعمال الصالحة ، وتوجهه إلى الأفعال الحميدة ، وأنه إذا شهد أنه لا إله إلا الله شهادة مبنية على علم ويقين ومعرفة لمدلولها ؛ توجه إلى الأعمال الصالحة ؛ لأن شهادة لا إله إلا الله ليست مجرد لفظ يقال باللسان ، بل هي إعلان للاعتقاد والعمل ، ولا تصح هذه الشهادة ، ولا تنفع إلا إذا قام بمقتضاها من الأعمال الصالحة ، فأدى أركان الإسلام وأركان الإيمان ، وما زاد على ذلك من أوامر الدين وشرائعه وسننه ومكملاته .

التردي والاضطراب الفكري والديني
بسبب كثرة الجماعات والفرق الإسلامية

س٨ : إضافة لحالة التردي تعيش الأمة الإسلامية حالة اضطراب فكري ، خصوصا فيما يتعلق بالدين ؛ فقد كثرت الجماعات والفرق الإسلامية التي تدعي أن نجها هو المنهج الإسلامي الصحيح الواجب الاتباع ، حتى أصبح المسلم في حيرة من أمره أيها يتبع ؟ وأيها على الحق ؟

ج٨ : التفرق ليس من الدين ؛ لأن الدين أمرنا بالاجتماع ، وأن نكون جماعة واحدة وأمة واحدة على عقيدة التوحيد ، وعلى متابعة الرسول - ﷺ - .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1] ، ويقول تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [2] ، وقال - سبحانه وتعالى -

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [1] ، وهذا وعيد شديد على التفرق والاختلاف ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] .

الإسلام دين الجماعة ودين الألفة والاجتماع ، والتفرق ليس من الدين ، فتعدد الجماعات في الإسلام ليس من الدين ؛ لأن الدين يأمرنا أن نكون جماعة واحدة ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا ﴾ [3] [4] ويقول : ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ﴾ [5] [6] .

إن البنيان وإن الجسد شيء واحد متماسك ، ليس فيه تفرق ؛ لأن البنيان إذا تفرق سقط ، كذلك الجسم إذا تفرق فقد الحياة .

ولا بد من الاجتماع ، وأن نكون جماعة واحدة ، أساسها التوحيد ، ومنهجها دعوة الرسول ﷺ ومسارها على دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [7] .

فهذه الجماعات ، وهذا التفرق الحاصل اليوم لا يقره دين الإسلام ، بل ينهى عنه أشد النهي ، ويأمر بالاجتماع على عقيدة التوحيد ، وعلى منهج الإسلام ، جماعة واحدة ، كما أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بذلك .

والتفرق وتعدد الجماعات ، إنما هو من كيد شياطين الجن والإنس لهذه الأمة ، فما زال الكفار والمنافقون من قديم الزمان يدسون الدسائس لتفريق الأمة ، قال اليهود من

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٣) البخاري الأدب (٥٦٨٠) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) ، أحمد (٤٠٥/٤) .
(٤) (رواه الإمام البخاري (٨٠/٧) ، ومسلم برقم (٢٥٨٥) ، من حديث أبي موسى) .
(٥) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .
(٦) (رواه الإمام مسلم ، رقم الحديث (٢٥٨٦) ، من حديث النعمان بن بشير) .
(٧) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

قبل : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [1] ، أي : يرجع المسلمون عن دينهم إذا رأوكم رجعتم عنه ، وقال المنافقون : ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [3] .

أهمية العقيدة للمسلم

س٩ : هناك من يتساهل في أهمية العقيدة ، ويرى أن الإيمان يكفي ، هل لكم في بيان أهمية العقيدة للمسلم ، وكيف تنعكس عليه في حياته ، وفي علاقاته مع نفسه ومجتمعه ومع غيره من المسلمين ؟

ج٩ : إن تصحيح العقيدة هو الأصل ؛ لأن شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله هما أول أركان الإسلام ، والرسل أول ما تدعوا الأمم إلى تصحيح العقيدة ؛ لأجل أن تنبني عليها سائر الأعمال من العبادات والتصرفات ، ودون تصحيح العقيدة لا فائدة من الأعمال ، قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [4] أي : لبطلت أعمالهم .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [5] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [6] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٢ .
(٢) سورة المنافقون آية : ٧ .
(٣) سورة التوبة آية : ١٠٧ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٨ .
(٥) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٦) سورة الزمر آية : ٦٥ .

من هذه النصوص وغيرها يتبين ما لتصحيح العقيدة من أهمية ، وهي أولى أوليات الدعوة ، وأول ما تقوم الدعوة على تصحيح العقيدة ، فقد مكث النبي ﷺ في مكة بعد بعثته ثلاث عشرة سنة ، يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة وإلى التوحيد ، ولم تـ ل عليه الفرائض إلا في المدينة ، نعم ، فرضت الصلاة عليه في مكة قبل الهجرة ، وبقية الشرائع ، إنما فرضت عليه بعد الهجرة ، مما يدل على أنه لا يطالب بالأعمال إلا بعد تصحيح العقيدة .

وهذا الذي يقول : إنه يكفي الإيمان دون الاهتمام بالعقيدة ! هذا تناقض ؛ لأن الإيمان لا يكون إيمانا إلا إذا صحت العقيدة ، أما إذا لم تكن العقيدة صحيحة ، فليس هناك إيمان ولا دين .

الواجب على المسلم أن يعرفه من دينه عقيدة وشريعة

س١٠ : ما الواجب على المسلم أن يعرفه من دينه عقيدة وشريعة ؟

ج١٠ : يجب على المسلم أن يعرف جميع أمور دينه عقيدة وشريعة حسب استطاعته ، بأن يتعلم أمور العقيدة ، وما يجب لها وما يضادها ، وما يكملها وما يُنقصها ، ولو مجملا ، حتى تكون عقيدته عقيدة صحيحة سليمة ، ويجب عليه كذلك أن يتعلم أحكام دينه العملية ، حتى يؤدي ما أوجب الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه على بصيرة .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ ﴾ [1] ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

فلا بد من العلم والعمل ؛ فالعلم بدون عمل لا يكفي ، وإنما يكون مغضوبا على صاحبه ، ويكون حجة على الإنسان ، والعمل بدون علم لا يصح ؛ لأنه ضلال ، وقد

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

أمرنا الله أن نستعيذ من طريق المغضوب عليهم والضالين في آخر سورة الفاتحة في كل ركعة من صلاتنا .

عزوف عدد كبير من الناس عن مجالس العلم والاستهانة بأعراض طلبة العلم

س١١ : نلاحظ عزوف عدد كبير من الناس عن مجالس العلم المقامة في هذا البلد ، وعدم التشجيع على هذا الحال من بعض الأهالي ، بل قد يكون هناك تثبيط بدلا من التشجيع ، رغم قلة هؤلاء ، إلا أنهم يكثرون من التشدق بالقول ، مع الاستهانة بأعراض طلبة العلم ، ومحاولة صدهم وتشويه دورهم ودور أهل الخير ، فما توجيهكم ؟

ج١١ : نقول : الله يهديهم ويدلهم على الخير ، وهذا الأمر لا يجوز ، فلا يجوز للإنسان أن يتساهل في حضور مجالس العلم والسعي إليها ؛ لأنه قد يستفيد فائدة تكون سببا لدخوله الجنة ، ونجاته من النار . والإعراض عن حضور مجالس العلم فيه خطورة عظيمة ، وقد ذكر أهل العلم أن الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ، ولا يعلمه ردة عن الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ [1] ، وإن كان هؤلاء لم يصلوا إلى هذا الحد من الإعراض ، وإنما لم يحرصوا على حضور مجالس العلم عن كسل لا عن عدم رغبة فيها ، وهؤلاء قد حرموا أنفسهم من خير كثير .

أما إذا كان عدم الحضور لأنهم لا يرون العلم ، ولا يرون تعلمه ، فهذا خطر عظيم ، أو يسخرون من العلم ويسخرون من العلماء ، فهذا يكون ردة عن الإسلام كما سبق .

(١) سورة الأحقاف آية : ٣ .

أفضل الكتب وأسهلها المؤلفة في العقيدة

س١٢ : ما هي أفضل الكتب وأسهلها والتي ألفت في العقيدة ؟

ج١٢ : الكتب التي ألفت في بيان العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة كتب كثيرة والحمد لله ، منها المختصر ، ومنها المطول ، ومن أخصرها وأسهلها : رسالة : (ثلاثة الأصول) ، ورسالة (كشف الشبهات) ، و(كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) . . وكلها لشيخ الإسلام الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وشروح (كتاب التوحيد) ؛ مثل : (تيسير العزيز الحميد) ومختصراه (فتح المجيد) ، و(قرة عيون الموحدين) . . كلاهما للشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - وغيرهما .

ومن الكتب السهلة المختصرة في العقيدة : (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وكتاب (شرح الطحاوية) للعز بن أبي العز الحنفي ، وكذا قسم العقيدة من (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) ، ومجموع فتاوى ورسائل علماء نجد المسمى بـ (الدرر السنية) جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، وكتاب (إغاثة اللهفان) للإمام ابن القيم ، و(المنظومة النونية) له ، وكتاب (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) له أيضًا .

الذهاب لبلاد يعاني فيها المسلمون من الجهل من أجل الدعوة إلى توحيد الله والعقيدة الصحيحة

س١٣ : نحن شباب لدينا بعض العلم ، وقد طلب منا الذهاب إلى الجمهورية السوفيتية المسلمة ؛ حيث يعاني المسلمون هناك من الجهل ودخول بعض الفرق المنحرفة لتضليلهم ، فهل يجوز لنا الذهاب هناك والدعوة إلى توحيد الله والعقيدة الصحيحة ؛ علما بأن الذهاب يكون شهرا واحدا في الإجازة الصيفية ؟ أفيدونا وفقكم الله .

ج١٣ : لا شك أن هذا أمر مهم ، والذهاب إلى هؤلاء لدعوتم للإسلام ودعوة المسلمين منهم إلى تصحيح العقيدة مهم جدا ، وهو من الجهاد في سبيل الله ، وفيه أجر عظيم ، ولكن هذا لمن يكون عنده الاستطاعة العلمية ، بأن يكون عنده علم يستطيع أن يبين للناس العقيدة الصحيحة ، ويبين للناس ما يضاد العقيدة ، أو ينقص العقيدة من الشركيات والبدع ، فإذا كان عنده استعداد علمي ، فهذا من أفضل الأعمال ، فليذهب ويدع إلى الله ويعلم ويرشد ، وهو مثاب إذا صلحت نيته قال ﷺ : ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ﴾ [(١)] [(٢)] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٣)] .

الدعوة إلى الله من أفضل الأعمال ، لكن بشرط أن يكون الداعية مؤهلا بالعلم النافع .

التراشق المكتوب والمسموع الذي حدث بين بعض العلماء

س١٤ : وما رأي فضيلتكم في ذلك التراشق المكتوب والمسموع الذي حدث بين بعض العلماء ؟ ألا ترون أن جلوسهم للحوار كان أجدى ؟ وأن ذلك ربما أفسد مشاريعهم الإسلامية ؟

ج١٤ : العلماء المعتبرون لم يحصل بينهم شيء مما ذكر في السؤال ، وإنما الذي يمكن حدوثه من ذلك هو بين بعض المتعلمين والشباب المتحمسين ، ونسأل الله لهم الهداية والتوفيق ، وندعوهم إلى ترك هذا العمل المشين والتآخي فيما بينهم على البر والتقوى ، والرجوع إلى أهل العلم فيما أشكل عليهم ، وعليهم بدراسة منهج أهل السنة والجماعة

---

(١) مسلم العلم (٢٦٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٧٤) ، أبو داود السنة (٤٦٠٩) ، أحمد (٣٩٧/٢) ، الدارمي المقدمة (٥١٣) .

(٢) (تقدم تخريجه ص١٢ الحاشية رقم (٢)) .

(٣) سورة فصلت آية : ٣٣ .

على أيدي العلماء حتى يتضح لهم الحق ويستبين لهم طريق الصواب ، وألا يتأثروا بالأفكار الوافدة التي تريد تفريق جماعتهم وفصلهم عن مشايخهم ومنهج سلفهم الصالح ، فإن الفتنة إنما حدثت وتحدث بين شباب المسلمين بسبب الإصغاء إلى الأفكار الوافدة المشبوهة والإعراض عن المنهج الصحيح ، ولا يفهم في هذا ترك الرد على الأخطاء والانحرافات التي في بعض الكتب من باب النصيحة للأمة .

المحاضرة الخامسة والثلاثون
أدلة وجوب الاجتماع وذم الفرقة

الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الاجتماع وذم الفرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أدلة وجوب الاجتماع وذم الفرقة) ، وهو عبارة عن ندوة أقيمت في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد : فإننا نشكر للجامعة الإسلامية عنايتها واهتمامها بذا الموضوع ، وهو موضوع العقيدة التي هي أساس الدين وهي مفتاح دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ لأن العقيدة هي الأساس فإذا صلحت العقيدة صلحت سائر الأعمال وتقبلت إذا توفر فيها شروط القبول وبدون صلاح العقيدة فلا فائدة من الأعمال مهما كثرت ؛ لأنا أعمال مؤسسة على غير أساس صحيح ، وكل ما بني على غير أساس فإنه ينهدم ، قال تعالى في الكفار ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [1] ، وشبه أعمالهم بالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وشبه بالرماد الذي يسلط عليه الريح فيتبعثر ، كل ذلك لأنا أعمال لم تبن على عقيدة صحيحة سليمة .

والعقيدة في اللغة : مأخوذة من العقد ، وهو الإبرام والشد والربط تقول عقدت الحبل إذا شددت بعضه إلى بعض فتماسك ، ومنه العقود : عقد البيع وعقد النكاح وغير ذلك من أنواع العقود سميت عقودا ؛ لأنا إبرام واتفاق بين طرفين والعقيدة في اللغة مأخوذة من هذا المعنى وأما العقيدة في الشرع ، فهي ما ينعقد عليه القلب فيجزم به ويؤمن به من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ، فالعقيدة

(١) سورة الفرقان آية : ٢٣ .

والإيمان بمعنى واحد وإن كان الإيمان أيضا يزيد على العقيدة بأمور أخرى بأنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، قال الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [1] .

وقال - سبحانه وتعالى - ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [2] .

ولما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإيمان قال : ﴿ الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [3] [4] .

فهذه هي أصول العقيدة ويتبع ذلك بقية أمور العقيدة ومكملاتا ، وذلك كالولاء والبراء والهجرة والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة وطاعة ولاة أمور المسلمين في غير معصية الله ، والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وموالاة أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم والترضي عنهم ، كل هذا يدخل في مجال العقيدة والتمسك بسنة رسول الله ﷺ والعمل با فالعقيدة لها مجالات واسعة والاجتماع لا يتم ، ولا يتحقق إلا بالتمسك بالعقيدة الصحيحة ، فالعقيدة الصحيحة هي التي تجمع القلوب وتؤلف بينها واعتبر هذا با لـتمعات الجاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ كيف كانت الفرقة والتنابذ والتناحر والعداوة حتى بين أفراد القبيلة الواحدة فلما جاء النبي ﷺ وجاء هذا الدين معه ودخل فيه من أراد الله له السعادة اجتمعت القلوب وتآلفت ولهذا يذكر الله - جل وعلا - بذه النعمة فيقول - جل وعلا - ﴿ وَٱذْكُرُوا۟

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٣) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٤) (رواه البخاري (٣٨/١) ومسلم برقم (٨) واللفظ له) .

نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا ﴾ [1] ، ألف بين قلوبهم بالإيمان والعقيدة الصحيحة كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ [2] .

ولا يجمع القلوب ويوحد الكلمة إلا العقيدة الصحيحة الصافية المستمدة من كتاب الله ﷻ ومما يدل على الأمر بالاجتماع على هذه العقيدة والتآخي بموجبها قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [3] ، فأمر بالاجتماع على هذه العقيدة والاعتصام بحبل الله ، وهو القرآن الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى - وما يتبع ذلك من سنة رسوله ﷺ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [4] .

الله - جل وعلا - يخبر ويؤكد أن المؤمنين أمة واحدة من أولهم إلى آخرهم يجمع بينهم الإيمان والعقيدة الصحيحة وإفراد الله - جل وعلا - بالعبادة ، ويكون المعبود واحدا ، ويكون المنهج واحدا ، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكذلك يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [5] فجعل الله المؤمنين إخوة بموجب الإيمان ، والإيمان هو العقيدة الصحيحة فهذه توجب الأخوة بين المؤمنين أخوة أقوى من أخوة النسب ، ولا ينبغي للإخوة أن يكون بينهم تفرق واختلاف بل يجب أن يكون بينهم اجتماع بين المؤمنين أن الله - سبحانه وتعالى - شرع لهم الاجتماعات الدينية فشرع لهم الاجتماع في اليوم والليلة خمس مرات في المساجد لأداء الصلاة ونهى النبي ﷺ عن التخلف

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٢) سورة الأنفال الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١٠ .

عن الجماعة من غير عذر - يعني : عن صلاة الجماعة - لأن المسلمين يجب أن يكونوا جماعة واحدة في عبادة ربهم - عز وجل . واجتماع أسبوعي في صلاة الجمعة ، وهو أكبر من الاجتماع في الصلوات الخميس واجتماع سنوي في صلاة العيد ، وهو اجتماع أكبر من ذلك والاجتماع لأداء شعيرة الحج من أقطار الأرض في حين واحد وحول بيت واحد ، وهو بيت الله - سبحانه وتعالى .

وهذه اجتماعات عظيمة تربي المسلمين على الوحدة واجتماع الكلمة ، وكذلك الاجتماع في الصيام أمر المسلمين أن يصوموا جميعا لرؤية الهلال ، وأن يفطروا جميعا لرؤية الهلال ، قال ﷺ : ﴿ صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ﴾ [(١)] [(٢)] وقال ﷺ : ﴿ صومكم يوم تصومون ، وفطركم يوم تفطرون ﴾ [(٣)] [(٤)] .

فالاجتماع لأداء العبادات : الصلاة والصيام والحج وهي من كبريات العبادات وهي من أركان الإسلام - كل هذا تربية على اجتماع الكلمة واجتماع القلوب وبعد بالمسلمين عن التفريق والاختلاف .

ومن سنة رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تحث على اجتماع المسلمين ووحدتهم وتآخيهم وتعاونهم ، من ذلك حديث : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(٥)] [(٦)] .

---

(١) البخاري الصوم (١٨١٠) ، مسلم الصيام (١٠٨١) ، الترمذي الصوم (٦٨٤) ، النسائي الصيام (٢١١٧) ، ابن ماجه الصيام (١٦٥٥) ، أحمد (٤٩٧/٢) ، الدارمي الصوم (١٦٨٥) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (٢٢٩/٢) من حديث أبي هريرة) .

(٣) الترمذي الصوم (٦٩٧) ، أبو داود الصوم (٢٣٢٤) ، ابن ماجه الصيام (١٦٦٠) .

(٤) (رواه أبو داود برقم (٢٣٢٤) بدون ذكر صومكم يوم تصومون رواه الدارقطني في سننه (١٦٤/٢) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٥٢/٤) كلهم من حديث أبي هريرة) .

(٥) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٠/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٦) (رواه الإمام أحمد (٣٦٧/٢) ومسلم (١٧١٥) وابن ماجه برقم (٣٤١١) والدارمي (٢١٣٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .

ففي هذا وجوب وحدة المعبود ووحدة المرجع ووحدة القيادة ؛ لأن الاختلاف في واحد من هذه الثلاثة يسبب الفرقة والتنازع والشقاق ، كل هذه الأدلة - وهناك أكثر منها وأكثر - كلها تحث على الاجتماع بين المسلمين والترابط والتراحم والتآخي ونبذ الفرقة والاختلاف ؛ لأن المسلمين أمة واحدة وجسد واحد وبنيان واحد نسأل الله ﷻ أن يحقق اجتماع كلمة المسلمين ، وأن يجعلهم متحابين متآلفين متعاونين على البر والتقوى ، وأن يبعد عنهم كل ما يؤثر على هذا الاجتماع ، وهذا الارتباط إنه سميع مجيب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الأسئلة الواردة على موضوع المحاضرة

الانتساب للسلف الصالح والتسمي بذلك

س١ : ما حكم الانتساب للسلف الصالح والتسمي بذلك ؟

ج١ : السلف الصالح يراد بم : صدر هذه الأمة ، وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [(١)] .

وقال - سبحانه وتعالى - لما ذكر المهاجرين والأنصار في سورة الحشر : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [(٢)] .

ثم قال في الأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [(٣)] .

ثم قال في الذين من بعدهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [(٤)] فهؤلاء هم السلف الصالح صدر هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ ومن التابعين ، ومن جاء بعدهم من القرون المفضلة وكل من تمسك بذا المنهج وسار عليه

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠ .
(٢) سورة الحشر آية : ٨ .
(٣) سورة الحشر آية : ٩ .
(٤) سورة الحشر آية : ١٠ .

من جاء بعدهم وسار على نجهم كما قال الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - : ﴿ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ﴾ [1] .

والانتساب إلى السلف الصالح شرف إذا تحقق هذا الانتساب ، ولم يكن مجرد دعوى ، وأما أن يقول الإنسان : أنا سلفي ، أو هذه الجماعة جماعة سلفية ، فهذا إن كان له موجب فلا بأس ، كما لو كان هناك فرق مخالفة وفرق مناوئة للسلف الصالح فيظهر الإنسان البراءة من هؤلاء المخالفين وينتسب إلى السلف فلا بأس بذلك ، بل هذا محتم وقد قال الله - جل وعلا - : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] هذا الانتساب إلى المسلمين وإظهار لهذا الانتساب أما إذا كان ليس هناك موجب وإنما كل المجتمع وأهل البلد كلهم على عقيدة السلف ، وعلى منهج السلف فإنه لا ينبغي أن يقول الإنسان أنا سلفي ؛ لأن هذا فيه تزكية للنفس من غير موجب لهذا الأمر فالأمر كما يظهر لي فيه تفصيل والله أعلم .

الآثار السيئة التي تترتب على الافتراق في الدين

س٢ : ما هي الآثار السيئة التي تترتب على الافتراق في الدين ؟

ج٢ : يترتب على افتراق المسلمين فيما بينهم ضعفهم وضعف شوكتهم وطمع العدو فيهم ؛ ولهذا قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [3] .

---

(١) (انظر : كتاب (الشفا) للقاضي عياض (٨٨/٢) كما في اقتضاء الصراط المستقيم (٧١٨/٢) ، حاشية رقم (٦)) .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٣ .

(٣) سورة الأنفال الآيتان : ٤٥، ٤٦ .

فبين - سبحانه وتعالى - ما يقابل به العدو ، والعدو دائما يتربص بالمسلمين ، ويلتمس الثغرات للانقضاض عليهم من كل وجه والمسلمون بذه الوصايا الإلهية : الصبر وذكر الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(1)] ، ويرهب العدو وطاعة الله ورسوله وامتثال ما أمر الله به الرسول ﷺ وعدم التنازع والافتراق في الصفوف ، بل أمر أن يكون رأيهم واحدا وقيادتم واحدة ؛ لأن ذلك أجمع لكلمتهم وأظهر لقوتم ، ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ ﴾ [(2)] رتب الفشل على وجود التنازع فدل على أن اجتماع الكلمة فيه نجاح للمسلمين ، وأن افتراق الكلمة فيه فشل ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [(3)] والريح هي القوة ، وذلك بضعف المسلمين أمام عدوهم الذي يتربص بم الدوائر فإذا سنحت له فرصة انقض عليهم ، وخير مثال لذلك ما حصل على المسلمين في وقعة أحد لما كانوا متمشين على خطة النبي ﷺ لهم نصرهم الله ﷻ فلما حصل من بعضهم إخلال بالتزام هذه الخطة انقض العدو عليهم ؛ عقوبة من الله - سبحانه وتعالى - وتربية من الله لهم ولغيرهم من أجيال الأمة ، وهذا سببه الـ اع وسببه الإخلال بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وهم خير القرون فما بالك بغيرهم .

ومن آثار التفرق بين المسلمين السيئة أنم يضلون عن الصراط المستقيم ، وهذا ما تتضمنه الآية .

وهي قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [(4)] .

فالتفريق يسبب الضلال عن صراط الله ﷻ وإذا ضل المسلم عن صراط الله وقع في الهلاك ، إما أن يكون في صراط المغضوب عليهم ، أو الضالين ، وفي الحديث في وصف دعاة

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٨ .
(٢) سورة الأنفال آية : ٤٦ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٤٦ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

الضلال في آخر الزمان : ﴿ دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ﴾ [(١)] [(٢)] هذا بسبب التفريق والله - جل وعلا - أيضا نانا عن التفرق ؛ لأنه تشبه بالمشركين : ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [(٤)] فمن مفاسد التفرق أيضا أن فيه تشبها بالمشركين والكافرين وقد قال النبي ﷺ : ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾ [(٥)] [(٦)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ ليس منا من تشبه بغيرنا ﴾ [(٧)] [(٨)] .

وهذا أعظم زاجر عن التفرق ؛ لأن الله يريد المسلمين أن يكونوا جماعة واحدة ويريد منهم أن يتميزوا عن المشركين وعن الكافرين ، ومن جملة ذلك ، بل أخطر من ذلك التفرق في الدين ، فإن من سمات المشركين والكافرين الافتراق في دين الله ﷻ فالله ﷻ حذر المسلمين من هذا المزلق الخطير وأمرهم بالاجتماع والسير على صراط الله - عز وجل - .

ومن أعظم مفاسد التفريق : حصول العذاب في الدنيا ، وفي الآخرة ، فإن الله - سبحانه وتعالى - هدد المتفرقين بالعذاب ، فقال ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ

---

(١) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) ، أحمد (٥/٤٠٦) .

(٢) (رواه البخاري (٩٢/٨ ، ٩٣) من حديث حذيفة بن اليمان) .

(٣) سورة الروم الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

(٥) أبو داود اللباس (٤٠٣١) .

(٦) (رواه الإمام أحمد (٢ / ٥٠) وأبو داود برقم (٤٠٣١) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما) .

(٧) الترمذي الاستئذان والآداب (٢٦٩٥) .

(٨) (رواه الترمذي برقم (٢٦٩٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم) .

بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [1] هذا وعيد شديد من الله ﷻ أن المتفرقين في دينهم سيصيبهم عذاب عظيم .

ثم قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ [2] .

قال بعض السلف : يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف [3] .

والنبي ﷺ حينما حذر من الاختلاف توعد المتفرقين بالنار ، وذلك في قوله ﷺ : ﴿ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا : من هي يا رسول الله ؟ من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [4] [5] .

فلا ينجو من النار إلا من تمسك بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأما من خالف ذلك فإنه متوعد بالنار إما لكفره إن كانت فرقته تقتضي الكفر ، وإما لضلاله إن كانت فرقته دون ذلك فهو متوعد بالنار ومفاسد التفرق كثيرة وخطيرة ، نسأل الله أن يجنبنا وإياكم والمسلمين أخطارها وأضرارها ، وأن يرزقنا وإياكم التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ والسير على منهج السلف الصالح والاجتماع مع المسلمين ، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق ، وأن يهديهم صراطه المستقيم !

من مفاسد التفرق كذلك حصول التفرقة بين المسلمين بسبب اشتغال بعضهم ببعض في التجريح بالألقاب السيئة ، وكل يريد أن ينتصر لنفسه من الآخر فينشغل المسلمون

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٦ .

(٣) (انظر تفسير ابن أبي حاتم (٤٦٤/٢) بنحوه . وانظر تفسير ابن كثير) .

(٤) الترمذي الإيمان (٢٦٤٠) ، أبو داود السنة (٤٥٩٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩١) ، أحمد (٣٣٢/٢) .

(٥) (رواه الإمام أحمد (٣٣٢/٢) وأبو داود برقم (٤٥٩٦) والترمذي برقم (٢٦٤٠) من حديث أبي هريرة والترمذي برقم (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وابن ماجه برقم (٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣) بنحوه من حديث عوف بن مالك وأنس بن مالك رضي الله عنهما) .

بأنفسهم ، وهذا يكون على حساب تعلم العلم النافع ، فإن كثيرا من طلبة العلم فيما يبلغنا أن همهم وشغلهم الشاغل هو الكلام في الناس ، وفي أعراض الناس في مجالسهم ، وفي تجمعاتم يخطئون هذا ويصوبون هذا ، ويزكون هذا ويخطئون هذا ويضللون هذا ويكفرون هذا فليس لهم شغل إلا الكلام في الناس ، وربما يكون في خيرة الناس من ولاة الأمور ، ومن العلماء ، أو من بعضهم في بعض .

فإذا كان الله - سبحانه وتعالى - نى عن السخرية بالمؤمنين واللمز والتنابز بالألقاب ، وهي أمور دون ما ذكرنا من التضليل والتفسيق والتبديع قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (١) يعني : لا يلمز بعضكم بعضا ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ (٢) وهذا يدل على أن هذا ليس من الإيمان ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ ﴾ (٣) ، سماهم ظالمين ، فهذا من أعظم مفاسد التنازع بين المسلمين .

مضار الاختلاف في المسائل العلمية

س٣ : ما مضار الاختلاف في المسائل العلمية ؟

ج٣ : الاختلاف في الجملة منهي عنه ، ومأمور الاجتماع والاتفاق هذا من حيث الجملة والاختلاف لا يكون إلا مذموما ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٢) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٣) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٤) سورة هود الآيتان : ١١٨ - ١١٩ .

لكن من حيث التفصيل هناك خلاف لا يجوز ، وذلك كالخلاف في مسائل العقيدة وأصول الإيمان ، فإن هذه الأمور توقيفية لا يجوز الاختلاف فيها ؛ لأنها ليست مجالا للاجتهاد والأخذ والرد ، وإنما هي على التسليم والإيمان ؛ لأنها في الغالب من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله ﷻ فيجب التسليم لها والإيمان بها لا يجوز الاختلاف فيها ، بل يجب الرجوع فيها إلى الدليل والتوقيف من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو أن المسلمين سلكوا هذا المسلك لم يحصل اختلاف في العقيدة ، ولكن حينما نبتت نابتة خرجت على هذا الأصل حصل الاختلاف في أمور العقيدة وأيضا هناك أحكام ليست مجالا للاختلاف نص الله على حكمها في كتابه ؛ كوجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام وبر الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك فهذه الأمور معروفة من الشرع حكمها لا يحتاج إلى اجتهاد ، وإنما يتلقى حكمه من الشرع .

وهناك محرمات نص الله على تحريمها فلا مجال للبحث في حكمها ، وإنما يسلم لحكمه الذي بينه الله ، فالله حرم الشرك وحرم الربا وحرم الزنا وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وحرم الخمر وحرم الغيبة والنميمة وحرم الميتة ولحم الخ ير ، كل هذه محرمات لا مجال للبحث فيها ، بل يجب التسليم بها أما الأمور التي هي مجال للاجتهاد ، وهي الأمور التي لم ينص الله على حكمها ، وإنما تستنبط أحكامها من الأدلة فهذه وظيفة العلماء الراسخين في العلم البحث فيها فنستبعد العوام والمبتدئين في طلب العلم من الدخول في مجال الاجتهاد والاختلاف ؛ لأنهم ليسوا أهلا لذلك ، وإنما سبيلهم سؤال أهل العلم قال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] أما أهل العلم الراسخون فيه فلهم أن يجتهدوا في الأمور التي لم ينص على حكمها في كتاب الله ، أو سنة رسوله ﷺ بحسب ما أعطاهم الله من العلم والمدارك ؛ ونظرا لأن الأدلة تحتمل هذا الاجتهاد وهذه الآراء ، ولكن من علمنا أنه أخطأ فإننا لا نأخذ بخطئه ، وإنما نرجع إلى الصواب وهؤلاء

---

(١) سورة النحل آية : ٤٣ .

الذين شرع لهم الاجتهاد هم بين رجلين : إما مصيب له أجران وإما مخطئ له أجر واحد والخطأ مغفور ، كما قال ﷺ : ﴿ إذا حكم الحاكم فاجتهد ، ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ، ثم أخطأ فله أجر ﴾ (١) (٢) .

فهؤلاء لهم حق الاجتهاد والبحث ، وهذا هو مجال الفقه ومجال الأحكام الفقهية ، وما زال العلماء يجتهدون من عهد النبي ﷺ إلى عهدنا هذا ، فمنهم من يصيب ويسدد ومنهم من يخطئ ، ولكن الاختلاف - والحمد لله - لا يوجب عدوانا ، ولا خصومات ؛ لأن هدف الجميع هو الوصول إلى الحق ؛ ولذلك نجد فقهاء الإسلام إخوة متحابين فيما بينهم يتواصلون ويتزاورون ويصلي بعضهم خلف بعض ويتراحمون ويترابطون بالأنساب والصلات وغير ذلك مع أنهم قد يختلفون في بعض المسائل الاجتهادية .

فاختلاف التضاد هو ما كان من النوع الأول ، وهو الاختلاف في مسائل لا مجال للاجتهاد فيها ، بل هي توقيفية ، فهذا مبناه على التسليم أما اختلاف التنوع فذلك بأن يكون النص محتملا لعدة معاني فيأخذ كل عالم باحتمال منه قد يكون مصيبا وقد يكون مخطئا ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (٣) .

يحتمل أن المراد بالقروء : الحيض ويحتمل أن المراد بها : الأطهار ؛ لأن القرء لفظ مشترك بينهما فكل فريق من العلماء أخذ باحتمال ، ولا حزازات ، ولا خصومات على مختلف العصور ، فمن هنا يتبين لنا ما هو الخلاف الذي يوجب العداوة والبغضاء بين المسلمين والخلاف الذي لا يوجب العداوة والبغضاء بين المسلمين ، ولكن على كل حال

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٩١٩) ، مسلم الأقضية (١٧١٦) ، أبو داود الأقضية (٣٥٧٤) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣١٤) ، أحمد (٢٠٤/٤) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (١٩٨/٤) والبخاري (١٥٧/٨) ومسلم برقم (١٧١٦) وأبو داود برقم (٣٥٧٤) والنسائي في الكبرى برقم (٥٩١٨ ، ٥٩١٩) وابن ماجه برقم (٢٣١٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما ورواه الترمذي برقم (١٣٢٦) والنسائي في الـتبى برقم (٥٣٨١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٨ .

المدار على الدليل قال الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [2] فالعمل على ما تبين لنا دليله ، أما ما دام الدليل لم يتبين وكل من التهدين أخذ باحتمال ، فكل له حظ من النظر وبالله التوفيق .

الخروج على ولاة أمور المسلمين وحكم الأناشيد والتمثيل

س٤ : ما حكم الخروج على ولاة أمور المسلمين . وما حكم الأناشيد والتمثيل ؟

ج٤ : لا يجوز الخروج على أئمة المسلمين ، ولو جاروا ، ولو ظلموا ، ولو فسقوا ، ما لم يكن منهم كفر بواح فيه من الله سلطان ، هذه سنة الرسول ﷺ وليس للخارجين على الإمام في هذه الأحوال حجة من كتاب ، ولا سنة ، بل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ضد هذا ، وإنما يقول بذا الخوارج ، ومن ذهب مذهبهم .

أما قضية الأناشيد والتمثيل ، ومن قال : إنا غير سائغة ، وهل هي من الاجتهاد المحمود ، أو هو من غير الاجتهاد ؟

أولا : نبحث عن نسبة هذه الأناشيد والتمثيليات إلى الإسلام من أين جاءتنا ؟ هل كانت في تاريخ الإسلام ؟ وهل كانت عند المسلمين ، أو أنا كانت وافدة جديدة وشعارات لجماعات مشبوهة ؟ لو بحثنا في تاريخ الإسلام ما وجدنا التمثيل فيه ، ولا وجدنا اتخاذ الأناشيد وسيلة للدعوة إلى الله ﷻ ؟ ، وإنما هذه أمور حادثة ومستوردة ، وهي من شعارات الأحزاب والجماعات التي لا نرضى كثيرا من أفعالها فلا احتمال

(١) سورة الشورى آية : ١٠ .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

لإدخالها في قضية الاجتهاد والنظر ، وإنما نحن في غنى عنها والحمد لله ، فالنبي ﷺ دعا إلى الله ، وهو خير قدوة ، قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [(١)] .

هل دعا بهذه الوسائل ، أو جعل التمثيل والأناشيد وسيلة للدعوة ؟ من وجد شيئا من هذا فليبرزه إن كان صادقا ، وهل السلف الصالح فعلوا هذا ؟ أبدا ما عرفت الأناشيد تدينا وتقربا إلى الله - سبحانه وتعالى - فما دام الأمر كذلك ، فإن إدخالها في مسائل الاجتهاد غلط والواجب تركها والابتعاد عنها والاستغناء بما شرع الله - سبحانه وتعالى .

حكم مرتكب الكبيرة

س٥ : ما حكم مرتكب الكبيرة ؟

ج٥ : نقول إن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون مسلما بارتكاب الكبيرة التي هي دون الشرك ، ولا يخرجونه من الملة ، وإنما يحكمون عليه بأنه مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ومن هذه الكبائر أكل الربا فمن أكله مستحلا له فهو كافر بلا شك ؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين في تحريم الربا وأما من باب الشهوة وحب المال مع اعترافه بأنه محرم وأنه كبيرة من كبائر الذنوب فهذا نحكم عليه بأنه فاسق ، ولا نحكم عليه بأنه كافر ، ولا نحكم على البلاد التي يؤكل فيها الربا بأنها بلاد كفر حتى تستبيح الربا وتعلن بأن الربا مباح .

الحكم بغير ما أنزل الله

س٦ : هل الحكم بغير ما أنزل الله كفر ؟

ج ٦ : الحكم بغير ما أنزل الله على قسمين : قسم يكون من الكفر الأكبر إذا اعتقد إباحة الحكم بغير ما أنزل الله ، أو أن الحكم بما أنزل الله والحكم بغيره متساويان فمن استباح الحكم بغير ما أنزل الله فهو كافر الكفر الأكبر ، أما من اعتقد تحريمه واعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله ولكنه حكم بغيره لعذر يراه لنفسه ، أو من باب التشهي

(١) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

والرغبة ، فهذا يعتبر فاعلا كبيرة من كبائر الذنوب لكنه لا يحكم بكفره فيكون من جملة أصحاب الكبائر ، ويكون كفره كفرا أصغر ، وهو ما يعنيه ابن عباس رضي الله عنهما بقوله ﴿ كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم ﴾ [(١)] .

موقف الإسلام من التفجيرات والخروج على الولاة

س٧ : ما موقف الإسلام من التفجيرات والخروج على الولاة ؟ وهل هو من الجهاد في سبيل الله تعالى ؟

ج٧ : الاغتيالات والتفجيرات والتمرد على الولاة ، كل هذا ليس من الإسلام ، بل هذا يسبب على المسلمين شرا وضرا وخطرا كما هو معلوم من الوقائع المعاصرة .

والجهاد بينه الله ورسوله ، وذلك بأن يجتمع المسلمون تحت إمام واحد ، ويكون لهم شوكة ودولة ، ثم يدعون المخالف إلى الحق وإلى الصواب ، فيدعون الكفار والمرتدين إلى الحق والدخول في الإسلام ، ثم أن قبل فالحمد لله ، وإن لم يقبل فإنم يجاهدونه على أن يتقابل الجيشان جيش الإيمان وجيش الكفر ، ثم تكون النتيجة بعد ذلك في علم الله - سبحانه وتعالى - والعاقبة للمتقين إذا صدقوا مع الله ﷻ ونصروا دينه ، وذلك بعد الدعوة إلى الله ﷻ وإقامة الحجة هذا هو الجهاد الذي بينه رسول الله ﷺ بقوله وبفعله وسار عليه المسلمون من بعده من أئمة المسلمين .

فلا يجوز الجهاد إلا تحت راية مسلمة ، ويكون القصد منه إعلاء كلمة الله - سبحانه وتعالى - ونشر هذا الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ولم يكن أبدا الجهاد بالاغتيالات ، أو بالخيانات ، أو بالإفساد في الأرض من إتلاف المرافق النافعة ومصادر الثروة ، فلم يكن الجهاد بذه الصفة أبدا في تاريخ الإسلام ، بل هذا نسميه بالتخريب ، ولا نسميه بالجهاد .

---

(١) (للفائدة : انظر تفسير ابن جرير (١٦٦/٦ ، ١٦٥) وتفسير ابن كثير (٦٢/٢)) .

فالجهاد بريء من هذا ؛ لأن هذا لا نتيجة له ، بل نتيجته عكسية ليس له نتيجة في إظهار الدين وإعلاء كلمة الله ، وإنما نتيجته تقتيل المسلمين والقضاء عليهم وتشويه الإسلام أمام العالم بأنه دين وحشية وتعطش للدماء ودين حقد وغير ذلك من الاتامات فما كان في يوم من الأيام الجهاد بذه الصورة ، ولا بذه الصفة ، وإنما يقول إن هذه الأمور من الجهاد أحد رجلين : إما جاهل بالإسلام والجهاد الصحيح ، وهذا الجاهل لا عبرة به ، ولا بقوله ، وإما مغرض يريد القضاء على الإسلام وتشويه الإسلام بذه الطريقة ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله .

الكتب التي تبين عقيدة السلف الصالح

س ٨ : ما الكتب التي تبين عقيدة السلف الصالح ؟

ج ٨ : الحمد لله ، الكتب التي تبين عقيدة السلف الصالح كثيرة ومتوفرة - ولله الحمد - أعظمها كتاب الله ففيه بيان العقيدة ، بل هو يركز على العقيدة في كثير من آياته وسوره وكذلك سنة رسول الله ﷺ وسيرته ودعوته عليه الصلاة والسلام توضح العقيدة أجل توضيح ، كذلك ما ألفه علماء السلف الصالح ، ومن تبعهم بإحسان في عهد القرون المفضلة ؛ كمؤلفات الإمام أحمد والبخاري ومؤلفات علماء هذه العصور التي يسمونا بكتب السنة ، أو الاعتصام بالسنة ، وهي كتب كثيرة لأئمة متعددين ككتاب " " السنة " " لعبد الله ابن الإمام أحمد و " " السنة " " للخلال و " " السنة " " للآجري و " " الاعتصام " " لابن أبي عاصم و " " شرح أصول أهل السنة والجماعة " " للالكائي و " " كتاب التوحيد " " لابن خزيمة ، وكذلك ما ألفه الإمام ابن القيم وعقيدة الإمام الطحاوي وشرحها وكذلك كتب الإمام المحدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وكتب تلاميذه وكذلك " " تطهير الاعتقاد " " للإمام الصنعاني و " " الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد " " للإمام الشوكاني و " " الرسالة " " لابن أبي زيد القيرواني ، كل هذه - ولله الحمد - كتب تجلي العقيدة السلفية وتوضحها وتبينها ، فإن

كان السائل من طلاب الدراسات النظامية في الجامعة ، أو في المعاهد العلمية ، فإن ما قرره من كتب العقائد في الجامعات فيه كفاية ، وهو منتقى ومختار لبيان العقيدة الصحيحة ، فيجب العناية بهذه المقررات ودراستها وفهمها وإتقانا ، وأن لا يكون المقصود هو فهم هذه المناهج المقررة والكتب المقررة في العقيدة .

أما إن كان من طلبة العلم الذين يدرسون في المساجد ، وعلى أيدي المشايخ فعليه أن يسأل المدرسين الذين يحضر عندهم عن الكتب التي يختارونا له ويشرحونا له ويوضحونا له ، وهم خبراء بهذا الموضوع ، وإنما الخوف على إنسان ليس في دراسة منهجية ، ولا في دراسة في المساجد وحلق العلماء ، وإنما يدرس على نفسه ، أو على جاهل مثله ، هذا هو الذي نخاف عليه بأن يقع في كتب ليست على منهج السلف ، وليست على عقيدة السلف يظنها حقا ، وهي ليست كذلك ، فعلى طالب العلم أن يرجع في هذه الأمور إلى المختصين من العلماء أن كان خارج الدراسات النظامية في هذه البلاد أما إذا كان داخل الدراسات النظامية ففيها عقائد مختارة وكتب مقررة وفيها الخير والصلاح إن شاء الله .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة السادسة والثلاثون
الاستقامة على دين الله تعالى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم (1)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بداه وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد : فإنا فرصة كريمة هذا اللقاء الذي يسره الله في هذه الجامعة المباركة مع إخواني المشايخ وأبنائي طلبة العلم ، فإن التلاقي بين الإخوة والتواصي بالحق من أهم أمور الدين ، وهو علامة تتميز با هذه الأمة على غيرها .

أما الموضوع فإنه موضوع مهم ، ولا أظنني سأوفيه حقه ، أو قريبا من ذلك ، وإنما هو جهد المقل .

فالاستقامة على دين الله ﷻ أمر مهم جدا ترتبط به سعادة العبد في الدنيا والآخرة ، قال الله - سبحانه وتعالى - في محكم كتابه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (2) .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (3) .

---

(1) (ألقيت هذه المحاضرة في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ليلة الخميس (١٤١٧/٨/٢هـ)) .

(2) سورة فصلت الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(3) سورة الأحقاف الآيتان : ١٣ - ١٤ .

وقال لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(١)] وقال لعباده المؤمنين : ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ ﴾ [(٢)] .

وقال - سبحانه وتعالى - ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [(٣)] .

وقال النبي ﷺ كما في حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : ﴿ يا رسول الله قل لي قولا في الإسلام لا أسأل عنه غيرك فقال رسول الله ﷺ : قل آمنت بالله ، ثم استقم ﴾ [(٤)] [(٥)] .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ﴾ [(٦)] [(٧)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يُدخِلَ أحدكم الجنة عمله ، قالوا ، ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾ [(٨)] [(٩)] .

---

(١) سورة هود آية : ١١٢ .
(٢) سورة فصلت آية : ٦ .
(٣) سورة الجن آية : ١٦ .
(٤) مسلم الإيمان (٣٨) ، الترمذي الزهد (٢٤١٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٢) ، أحمد (٣٨٥/٤) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٠) .
(٥) (رواه الإمام مسلم برقم (٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي) .
(٦) ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٧٧) ، أحمد (٢٧٧/٥) ، الدارمي الطهارة (٦٥٥) .
(٧) (رواه الإمام أحمد (٢٧٦/٥ ، ٢٧٧) وابن ماجه برقم (٢٧٧) والدارمي برقم (٦٦١) والبيهقي في (سننه) (٤٥٧/١) والحاكم في (مستدركه) (١٣٠/١) كلهم من حديث ثوبان وروي الحديث عن مالك في (الموطأ) برقم (٥٦)) .
(٨) البخاري الرقاق (٦١٠٢) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٨) ، أحمد (١٢٥/٦) .
(٩) (رواه الإمام البخاري (١٨٢/٧) من حديث أبي هريرة وهو جزء من حديث أوله : لن ينجي أحدا منكم عمله . . . . الحديث ورواه مسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها) .

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين ما للاستقامة من أهمية ، وأن الله - سبحانه وتعالى - أمر با رسوله وأمر با عباده المؤمنين ، وأن الله وعد أهل الاستقامة الخير في الدنيا والآخرة .

تعريف الاستقامة

إذًا فما هي الاستقامة . . . . التي هذا شأنا ؟

الاستقامة كما فسرها السلف الصالح :

قال أبو بكر ﵁ الاستقامة على الأوامر والنواهي .

وقال غيره : " ألا يروغ الإنسان كروغان الثعالب " [(١)] .

وقال عثمان ﵁ الاستقامة : إخلاص العبادة لله ﷻ [(٢)] فهذه التفاسير كلها تجتمع على أن الاستقامة تعني الاعتدال على أمر الله ورسوله من غير إفراط ولا تفريط ، من غير غلو ولا تقصير ، ومنه الشيء المستقيم والصراط المستقيم معناه : المعتدل ، فالاستقامة معناها : الاعتدال على أمر الله ورسوله من غير إفراط ، ولا تفريط ولهذا قال - سبحانه وتعالى - لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ﴾ [(٣)] أي : فاستقم كما أمرك الله - سبحانه وتعالى - ومن تاب معك من المؤمنين ليستقيموا كما أمروا .

والطغيان : معناه : الزيادة والخروج عن الحد المشروع والزيادة على ما شرعه الله - سبحانه وتعالى - والتشدد في ذلك والخروج عن الحدود الشرعية إلى زيادات وتكلفات لم يشرعها الله ، ولا رسوله ﷺ سماه الله طغيانا ، والطغيان معناه الزيادة عن الحد كما يقال طغى الماء إذا ارتفع عن الحد وزاد عن الحد ، فنتج عن ذلك أنه يخرج عن مكانه وعن قراره ، فكذلك الطغيان في العبادة طغيان في الشرع معناه : أن الإنسان يزيد على ما

---

(١) (انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) .

(٢) (انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) .

(٣) سورة هود آية : ١١٢ .

شرعه الله ويخرج عن ما يرضاه الله - سبحانه وتعالى - فتكلفات وتنطعات وتشددات لم يأمر الله - جل وعلا - بها ، ولا رسوله .

وفي الجانب الثاني الذي يقابل الطغيان : التساهل والتفريط . بمعنى أن الإنسان يتساهل في أوامر الله ويضيع كثيرا منها ويكسل عن الواجبات فهما على طرفي نقيض ، المتشدد الزائد عن الحد والمتساهل المنحرف ولهذا يقول الناس : فلان مستقيم وفلان منحرف : خارج عن الحد المألوف المشروع ، إما بزيادة لم يشرعها الله وإما بنقص عما شرعه الله ﷻ فهو منحرف عن الاستقامة ، منحرف عن الاعتدال ، والشيطان لعنه الله يشم ابن آدم ، فإن وجد منه رغبة في الخير ، حمله على الزيادة وعدم الإقناع بالحد المشروع حتى يخرجه عن المطلوب ويكلفه ما لم يكلفه الله به ، ويصور له ما شرعه الله بأن قليل ، ولا يكفي فلا يزال به حتى يزيد ويزيد ويخرج كما حصل للخوارج ، فإن الخوارج عندهم رغبة في الخير وعندهم محبة للخير ، ولكن الشيطان جاءهم فحملهم على الغلو حملهم على الزيادة والتكلف حتى مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

وإن وجد الشيطان من الناس حبا للشهوات وحبا لاتباع أهوائهم فإنه يزين لهم الشهوات ويزين لهم الكسل ، ويزين لهم ترك الواجبات ، وفعل المحرمات حتى يخرجهم من الأوامر والنواهي ، أو حتى يخرجهم من كثير منها ، ويحملهم على التضييع والتفريط هذا هو الشيطان مع ابن آدم إلا من رحم الله ﷻ إما أن يأتيهم من طريق الزيادة والتشدد والتزهيد فيما شرع الله ، وإما أن يأتيهم بالتساهل والترغيب في الشهوات ويفتح لهم باب الانحلال حتى يخرجهم من دين الله فمهمته أن يخرج بني آدم ما استطاع عن طاعة الله ﷻ من هنا ، أو من هناك ، هذه مهمة شياطين الإنس والجن يحاولون حمل الناس إما على الإفراط وإما على التفريط ، إما على الغلو وإما على التساهل ، ولا يحزنم ويقف في وجوههم إلا المستقيم المعتدل .

ثم أيضا الاعتدال والاستقامة أدعى إلى الاستمرار على العمل الصالح ، أما الغلو والزيادة والتشدد فهو أدعى إلى ترك الطاعة وترك العبادة ، كما قال ﷺ : ﴿ فإن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى ﴾ [(١)] .

أما الإنسان المعتدل في طاعة الله ﷻ المستقيم ، فهذا يساعده الله بالتوفيق والاستمرار على دين الله ﷻ وكذلك الطرف الثاني إذا تساهل وتساهل فقد يصل إلى حد الزندقة والإلحاد والكفر بالله ﷻ فلا ينجو من هذين الخطرين إلا المستقيم على دين الله - عز وجل - .

أنواع الاستقامة

الاستقامة في العقيدة

والاستقامة أنواع كثيرة :

أولها : الاستقامة في العقيدة بأن يكون المسلم مستقيما في عقيدته فيحقق الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله قولا وعملا واعتقادا ، وذلك بالعمل بمعرفة معناهما والعمل بمقتضاهما ظاهرا وباطنا ، فيحقق أنواع التوحيد التي لا تستقيم عقيدة المسلم إلا با ، ومن ذلك أن يثبت لله الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل . أما من انحرف عن الاستقامة في هذا الباب فإنه إما أن يعطل أسماء الله وصفاته بدافع التـ يه كما يقول فيحمله الغلو في التـ يه إلى أن ينفي ما سمى الله به نفسه ، أو وصف به نفسه ، أو سماه به رسوله ، أو وصفه به رسوله ، هذا جانب المعطل والذي حمله على هذا التعطيل والإلحاد هو غلوه في التـ يه ، ولا شك أن تـ يه الله - جل وعلا - مطلوب ، ولكن ليس من تـ يه الله نفي ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ فإن الله - جل وعلا - أعلم بنفسه وأعلم بغيره

---

(١) (رواه البيهقي في (السنن الكبرى) (١٨/٣ ، ١٩) من حديث جابر وذكر الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) (٦٢/١) ، وابن حجر في (الفتح) (٧١/١) ، وذكره غيرهم) .

وأحسن حديثا من خلقه ، وأعلم الناس بالله ﷻ من الخلق هو رسوله ﷺ فليس فيما سمى الله به نفسه ، أو وصف به نفسه ، أو سماه به رسوله ، أو وصفه به ليس في ذلك تشبيه ؛ لأن لله - جل وعلا - أسماء وصفات تخصه وتليق به وللمخلوقين أسماء وصفات تليق بم ، وإن اشتركت في اللفظ والمعنى إلا أنا تختلف في الكيفية والحقيقة ، هذا مسلك أهل السنة والجماعة .

الطرف الثاني : طرف المشبهة الذين غلوا في الإثبات ، حتى شبهوا الله بخلقه وجعلوا أسماءه وصفاته من جنس أسماء المخلوقين وصفاتم لا فرق بينهما حتى شبهوا الخالق بالمخلوق تعالى الله عما يقولون والذي حملهم على ذلك هو الغلو في الإثبات ، والذي حمل الأولين هو الغلو في التنـ يه ، الغلو دائما وأبدا مرفوض ؛ لأنه يفضي إلى ما لا تحمد عقباه ، وطريق الاستقامة في هذا الباب هو ما عليه السلف الصالح وأهل السنة والجماعة ، وهو إثبات الأسماء والصفات لله ﷻ على وجه يليق بجلاله ، فيـ هون الله - جل وعلا - عن مشابهة المخلوقين تـ يها بلا تعطيل ، ويثبتون لله الأسماء والصفات ، وهو الاعتدال ولله الحمد ، وكذلك في حق الرسول ﷺ وشهادة أنه رسول الله لا بد من الاستقامة فيها بين الإفراط والتفريط فهناك من جحد رسالة النبي ﷺ من الكفار والمشركين والملاحدة وهناك من غلا في حق الرسول ﷺ حتى جعل له شيئا من خصائص الربوبية ، وزعم أنه يستغاث به بعد موته وأنه يجيب الدعاء وأنه يتصرف في الكون كما يعتقدون .

هذا غلو في حقه ﷺ فجانب نفوا رسالته وكذبوا برسالته ، وجانب غلوا في حقه ﷺ والاعتدال والاستقامة ما عليه المسلمون وأهل السنة والجماعة بالخصوص : أن تشهد أنه عبد الله ورسوله ، كما قال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله » [(١)] [(٢)] .

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (١٤٢/٤) ، من حديث عبد الله بن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول على المنبر : سمعت النبي يقول . . . . . الحديث) .

ففي قوله : " قولوا : عبد الله " : رد على الغلاة في حقه ﷺ الذين تجاوزوا في حقه إلى أن جعلوا له شيئا من خصائص الربوبية حتى قالوا : إنه ليس بشرا ، وقالوا : إنه مخلوق من نور وليس بشرا ، وقالوا : إنه مخلوق قبل آدم كل هذا من الغلو في حقه ﷺ وقد يعتمدون على أحاديث موضوعة ويعتبرونا حجة لهم في هذا الباب وضعها الزنادقة ، أو وضعها شياطين الإنس والجن من أجل أن يخرجوا هؤلاء ، ومن أطاعهم عن جادة الاعتدال ، وفي قوله : " " ورسوله " " رد على الكفرة والمشركين الذين جحدوا رسالته - ﷺ .

الاستقامة في العبادة

ومن أنواع الاستقامة في العبادة :

وذلك أن نعبد الله بما شرعه لنا كما قال ﷺ : ﴿ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [1] [2] .

ومن أنواع الاستقامة في العبادة :

أن لا يشدد الإنسان في العبادة على نفسه تشديدا يكلفه ما يشق عليه ، أو ما يطيقه ، ولا يتساهل في العبادة ويتكاسل عن العبادة ويتبع نفسه هواها ، ويتمنى على الله الأماني ، فالعبادة لا تكون عبادة صحيحة إلا إذا توفر فيها شرطان :

الشرط الأول : الإخلاص لوجه الله ﷻ بحيث لا يكون فيها شائبة شرك ، أو قصد لغير الله - عز وجل .

والشرط الثاني : أن تكون صوابا على سنة رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [3] .

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٥٦) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (٣/٢٤) ، من حديث ابن أبي أوفى) .

(٣) سورة الملك آية : ٢ .

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - في هذه الآية ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [(1)] أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال أخلصه أن يكون خالصا لوجه الله وأصوبه أن يكون صوابا على سنة رسول الله ﷺ فإن العمل إذا كان خالصا ، ولم يكن صوابا لم يقبل ، وكان صوابا ، ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا [(2)] فالاستقامة في العبادة هي أن تكون مؤسسة على هذين الشرطين : الإخلاص لله ، والمتابعة لرسول الله ﷺ كما في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [(3)] فقوله تعالى : ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [(4)] هذا هو الإخلاص . وقوله ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [(5)] أي متبع للرسول - ﷺ . أما من تنطع في العبادة وشدد على نفسه ، فإن مآله إلى الفشل ، ﴿ وقد جاء ثلاثة نفر إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته من أجل أن يقتدوا به ، فلما أخبروا بعبادة النبي ﷺ كأنهم تقالوها ، ولكنهم قالوا : إن رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلي ، ولا أنام . وقال الآخر : أما أنا فأصوم ، ولا أفطر ، وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء .

فلما علم رسول الله ﷺ بذلك غضب وخطب عليه الصلاة والسلام وقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ﴾ [(6)] [(7)] .

---

(١) سورة الملك آية : ٢ .
(٢) (انظر : تفسير البغوي (معالم التنزيل) (١٧٦/٨)) .
(٣) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٤) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٥) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٦) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٢٨٥/٣) .
(٧) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (١١٦/٦) ، من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -) .

فأنكر عليهم ﷺ ما هموا به من التشديد على أنفسهم ، وفي قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴾ (1) ، إشارة إلى أن العبد قد يحصل منه تقصير في الاستقامة لكونه بشرا فيجبره بالاستغفار ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ سددوا وقاربوا ﴾ (2) (3) و ﴿ استقيموا ولن تحصوا ﴾ (4) (5) و ﴿ سددوا وقاربوا ﴾ (6) ، السداد ، أو السداد ، وهو : إصابة الهدف ، والمقاربة : مقاربة الإصابة أن لم يصب الهدف .

فالإنسان إذا بذل جهده وأدى وسعه ، فإن أصاب الهدف فالحمد لله ، وإن قارب ، ولم يستطيع الإصابة لكنه اجتهد في طلب الإصابة فإنه معذور ومأجور ، ولا يلجأ إلى التشديد والغلو ، أو يلجأ إلى التساهل والكسل ، فهذا هو الملوم ، أما من بذل جهده وحرص على إصابة السنة وإصابة الحق ولكنه لم يوفق لذلك وحصل شيء من النقص في عمله ، فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يؤاخذه على ما أخطأ فيه من غير قصد ، ولكن يستعمل الاستغفار عن التقصير والخلل ؛ ولهذا كان النبي ﷺ كثير الاستغفار كثير التوبة مع أنه رسول الله وأتقى الخلق لله ﷻ وأعظم الخلق عبادة لله وكان يكثر من الاستغفار ؛ لأن الإنسان بشر ومهما عمل فإنه لا يؤدي حق الله كاملا .

ولكن الاستغفار فيه جبر لما يحصل من النقص ، وكان ﷺ إذا صلى بأصحابه الفريضة وفرغ منها وسلم من الصلاة يستغفر الله ثلاثا ، وهو متوجه إلى القبلة قبل أن ينصرف لأصحابه مما يدل على أن الاستغفار مطلوب ، وأن الإنسان لا يزكي نفسه ، ولكن دائما يحمل نفسه التقصير في حق الله ﷻ وأن حق الله عليه عظيم ؛ ولهذا قال ﷺ :

---

(1) سورة فصلت آية : 6 .

(2) البخاري الرقاق (6102) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (2818) ، أحمد (125/6) .

(3) (تقدم تخريجه ص83 الحاشية رقم (1)) .

(4) ابن ماجه الطهارة وسننها (277) ، أحمد (277/5) ، الدارمي الطهارة (655) .

(5) (تقدم تخريجه ص82 الحاشية رقم (2)) .

(6) البخاري الرقاق (6102) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (2818) ، أحمد (125/6) .

﴿ واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾ [(١)] [(٢)] .

وذلك لأن الإنسان عاجز عن القيام بحق الله ﷻ على الوجه التام مهما أتعب نفسه ؛ لأن حق الله عظيم ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ لا أحصي ثناءً عليه ﴾ [(٣)] [(٤)] فهذا جانب عظيم إذا استشعره المسلم فإنه دائما يلهج بالاستغفار ؛ ولهذا قال : ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ ﴾ [(٥)] ، أي : مع الاستقامة استغفروا ربكم ؛ لأن الإنسان عرضة للخطأ دائما وعرضة للتقصير .

الاستقامة في الحكم على الأشياء

ومن أنواع الاستقامة : الاستقامة في الحكم على الأشياء :

ومن ذلك الحكم بالتحليل والتحريم فلا يجوز للإنسان أن يتشدد في التحريم حتى يخرج عن المشروع فيحرم ما أحله الله ﷻ ولا يجوز له أن يتساهل في الحكم حتى يحل ما حرم الله ، بل يكون معتدلا على وفق الكتاب والسنة فما حرمه الله ورسوله حرمه المسلم ، وما لم يحرمه الله ورسوله فإنه حلال ، ولا يجوز لأحد أن يحرمه ؛ ولهذا قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [(٦)] .

---

(١) البخاري المرضى (٥٣٤٩) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠١) ، أحمد (٤٦٦/٢) .

(٢) (تقدم تخريجه ص٨٣ الحاشية رقم (١)) .

(٣) مسلم الصلاة (٤٨٦) ، الترمذي الدعوات (٣٤٩٣) ، النسائي التطبيق (١١٣٠) ، أبو داود الصلاة (٨٧٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٤١) ، أحمد (٥٨/٦) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٧) .

(٤) (رواه الإمام مسلم ، برقم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهو جزء من حديث - أوله : قالت عائشة : (فقدت رسول الله ليلة من الفراش ، فالتمسته . . . .) الحديث) .

(٥) سورة فصلت آية : ٦ .

(٦) سورة المائدة آية : ٨٧ .

ففي تحريم ما أحل الله غلو وتشدد وقول على الله بلا علم ، وفي استباحة ما حرم الله تجاوز لحدود الله ﷻ واعتداء على شرع الله ، فالواجب على المسلم الاعتدال في أمر الحلال والحرام ، وأن لا يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بدليل ، كما قال - سبحانه وتعالى - ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ (١) .

وقد تناقض أهل الجاهلية في هذا الباب فتارة يحرمون أشياء لم يحرمها الله ، ولا رسوله ، كما ذكر الله أنهم يحرمون بعض بيمة الأنعام ، أو يحرمون بعض الزروع ويجعلونا لأصنامهم ، فهذا تحريم ما لم يحرمه الله ﷻ ومنهم من أباح الميتة واستحل الحرام فهم على طرفي نقيض مفرِط ومفرِّط في أمر الحلال والحرام ؛ لأنهم يبنون أحكامهم على الحكم الجاهلي لا على حكم الله ورسوله ، وكذلك الحكم على أصحاب الكبائر من المؤمنين فهناك طرفا نقيض وهناك وسط واعتدال واستقامة في هذا الأمر ، فالخوارج حكموا على مرتكب الكبيرة بأنه كافر وأنه إذا مات من غير توبة يكون مخلدا في النار ؛ لأنهم حكموا بكفره حكما من عند أنفسهم ما أنزل الله به من سلطان ، وإنما حملهم على ذلك التشدد والطغيان والغلو .

والطرف الثاني المناقض : من يرى أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهؤلاء هم المسمون المرجئة على طرف نقيض مع الخوارج والمعتزلة ، فالمعتزلة انضموا إلى الخوارج من ناحية وخالفوهم من ناحية ، قالوا : إن مرتكب الكبيرة خارج من الإيمان لكنه غير داخل في الكفر فهو في المنزلة بين المنزلتين ، وإن مات ، ولم يتب فإنه كما يقول الخوارج مخلد في النار . يقابلهم المرجئة الذين تساهلوا وفرطوا في الحكم حتى زعموا أن المعاصي لا تنقص الإيمان ، وأن الناس في الإيمان سواء ، بل قال قائلهم : لا يضر مع الإيمان معصية .

---

(١) سورة النحل آية : ١١٦ .

وأهل السنة والجماعة توسطوا في هذا الأمر على هدي من الكتاب والسنة فقالوا : إن مرتكب الكبيرة لا يكفر إذا كانت كبيرته دون الشرك ، ولا يخرج من الدين كما تقوله الخوارج والمعتزلة ؛ لأن الله - جل وعلا - يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) .

في أدلة كثيرة تدل على أن مرتكب الكبيرة دون الشرك لا يخرج بها من الإيمان كما تقوله الخوارج والمعتزلة ولكنه يكون ناقص الإيمان خلافا لما تقوله المرجئة ، فالمعاصي تنقص الإيمان نقصا بينا حتى قد لا يبقى منه إلا مثقال ذرة ، فلا يعطى اسم الإيمان المطلق فيقال : مؤمن كامل الإيمان كما تقوله المرجئة ، ولا يسلب منه اسم الإيمان بالكلية كما تقوله الخوارج والمعتزلة ، وإنما يقال : هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وهو معرض للوعيد إن شاء الله غفر له بمنه وكرمه ، وإن شاء عذبه ، ولكن لا يخلد في النار ، بل يخرج من النار بأمر الله - سبحانه وتعالى - لأنه لا يخلد في النار إلا الكفار والمشركون .

فالمؤمن العاصي ناقص الإيمان وإن عذب في النار فإنه لا يخلد فيها ، بل مآله إلى الجنة ، هذا هو الاستقامة ، وهذا هو الاعتدال الذي تجتمع به الأدلة والذي ينبني على العقيدة الصحيحة - ولله الحمد - وهو ما عليه أهل السنة والجماعة .

الاستقامة في الحكم على الأشخاص

ومن أنواع الاستقامة :

الاستقامة في الحكم على الأشخاص ، عندما تتكلم في شخص فعليك أن تستقيم في حقه فلا تجور عليه بالقول ، أو بالشهادة ، قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .

ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [2] .

فالمسلم يستقيم في قوله حتى مع الأعداء فلا يقول إلا ما يوافق الحق ، وكذلك يستقيم في الشهادة ، فلا تحمله الحمية مع قريبه إلى أن يشهد له بغير حق ، ولا تحمله البغضاء لخصمه إلى أن يشهد عليه بالباطل ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [3] ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [4] .

فيجب على المسلم أن يكون مستقيما في أقواله مع أعدائه ومع أصدقائه فلا يجور عليهم بالقول والشهادة ومع أصدقائه فلا يحيف معهم بغير حق ، بل يكون معتدلا في أقواله ، كما قال - جل وعلا - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [5] ، الاعتدال في كل شيء والاستقامة في كل شيء في القول ، وفي الفعل ، وفي الاعتقاد أمر واجب على كل مسلم .

---

(١) سورة المائدة آية : ٢ .
(٢) سورة المائدة آية : ٨ .
(٣) سورة المائدة آية : ٨ .
(٤) سورة النساء آية : ١٣٥ .
(٥) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٠ - ٧١ .

وعد الله لأهل الاستقامة والاعتدال

ومن لزم الاستقامة ولزم الاعتدال في جميع أموره فإنه يحصل على ما وعد الله المستقيمين به ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [1] ، استقاموا على هذه الكلمة وحققوها قولا وعملا ، ولا يكفي القول أن يقولوا : ربنا الله فقط ، ولا يستقيمون على ما تقتضيه هذه الكلمة ، من لزوم لمقتضياتا ومدلولاتا .

فالقول وحده لا يكفي ، بل لا بد أن يحقق القول بالعمل ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [2] على هذه الكلمة ، فأدوا حقها وما يجب لها مما أمر الله تعالى به وأمر به رسوله ﷺ أما من تظاهر بالإيمان وقلبه بخلافه فهو منافق في الدرك الأسفل من النار ، أو قالها بلسانه وعمل بخلافها فهو من الذين قال الله فيهم ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [3] ، ثم قال تعالى : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [4] يعني : عند الموت ، عند قبض أرواحهم ، وفي حالة نزع أرواحهم ، الحالة التي هي أشد الحالات وأحرج المواقف عند ختام حياتم ونماية أعمارهم وانتقالهم من دار الدنيا إلى دار الآخرة .

تتنزل عليهم ملائكة الرحمن : ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [5] تقول لهم : لا تخافوا أنتم قادمون عليه في الآخرة ، فإن الله قد أعد لكم كرامته وأعد لكم جنته فأنتم قادمون على رب رحيم ، وعلى دار كريمة ومقام عظيم .

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٠ .
(٢) سورة فصلت آية : ٣٠ .
(٣) سورة الصف الآيتان : ٢ - ٣ .
(٤) سورة فصلت آية : ٣٠ .
(٥) سورة فصلت آية : ٣٠ .

ولا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا : لا تحزنوا على أموالكم التي تركتموها ، ولا على أولادكم ، ولا على ما تركتموه في الدنيا ، لا تحزنوا عليه ؛ لأن الحزن على شيء فات ، وأما الخوف فهو على شيء مستقبل ، فهي تطمئنهم ، وذلك بنفي الحزن عنهم ونفي الخوف ، ثم تقول لهم : ﴿ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(1)] ، لما طمأنتهم من الحزن والخوف بشرتم ﴿ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(2)] ، التي وعدكم الله - سبحانه وتعالى - فإن الله سبحانه لا يخلف وعده لمن صدق معه فأطاعه واتقاه ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [(3)] فالملائكة تتولى شؤونم كما تولتهم في الدنيا على الطاعة ، وعلى الخير فهي تكون معهم في الآخرة ، كما قال - سبحانه وتعالى - ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(4)] .

كل هذه الكرامات وهذه البشارات بسبب الاستقامة أنم قالوا : ربنا الله ، ثم استقاموا على هذه الكلمة العظيمة ، وفي الآية الأخرى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [(5)] ، لا خوف عليهم من مستقبلهم ، ولا هم يحزنون على ما فاتم وما تركوا ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [(6)] .

هذه كالآية التي قبلها . . فيها البشارة لأهل الجنة عند الموت وعند خروجهم من هذه الدنيا يبشرون ويطمأنون حتى يفرحوا بلقاء الله - سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٠ .
(٢) سورة فصلت آية : ٣٠ .
(٣) سورة فصلت آية : ٣١ .
(٤) سورة الرعد الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .
(٥) سورة الأحقاف آية : ١٣ .
(٦) سورة الأحقاف آية : ١٤ .

هذا في الآخرة وعند الوفاة ، أما في الدنيا ، فإن أهل الاستقامة يكونون على هدى ، ويكونون على طمأنينة وراحة بال وهدوء نفس ؛ وانشراح نفس ؛ لأنهم يسيرون على طريق مستقيم ، وعلى جادة واضحة لا يعكرها معكر ؛ ولهذا يقول - جل وعلا - : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [(1)] ، لو استقاموا على الطاعة ، وعلى شريعة الله - سبحانه وتعالى - لأنزل عليهم البركات ولسقاهم الغيث وأخرج لهم من الثمرات التي يتنعمون ويقتاتون بها ، ولأزال عنهم الشدائد والمجاعات وأدر عليهم السماء ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [(2)] .

هذا يكون في الدنيا فأهل الاستقامة في الدنيا في راحة ، وفي نعمة من الله ﷻ وإن أصابهم شيء بسبب ذنوبهم فإنما هو تكفير لسيئاتهم وتمحيص لخطاياهم ، فهو من صالحهم وكما قال النبي ﷺ : ﴿ وما يصيب المؤمن من وصب ، ولا نصب ، ولا سقم ، ولا حزن ، حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته ﴾ [(3)] [(4)] وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله عجب ، إن أصابته سراء شكر فكان ذلك خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان ذلك خيرا له ، وليس ذلك إلا للمؤمن ﴾ [(5)] [(6)] هذا شأن أهل الاستقامة في الحياة وعند موتهم ، وفي الدار الآخرة . نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل الاستقامة على دينه والثبات على شرعه ، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين الذين يحصلون على هذا الوعد الكريم من رب رحيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة الجن آية : ١٦ .

(٢) سورة المائدة آية : ٦٥ .

(٣) البخاري المرضى (٥٣١٨) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٣) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٣٨) ، أحمد (١٩/٣) .

(٤) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما) .

(٥) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٩٩) ، أحمد (١٦/٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٧٧) .

(٦) (رواه الإمام مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب - رضي الله عنه -) .

المحاضرة السابعة والثلاثون
التحذير من الغلو في الدين وبيان أنواعه

مقدمة في التحذير من الغلو

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فالموضوع مأخوذ من قول الرسول ﷺ : ﴿ إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ (٢) .

وسبب هذا الحديث : أن النبي ﷺ لما جيء بحصى الجمار الذي يريد أن يرمي به جمرة العقبة ، إذا هو حصى متوسط ليس بالكبير ، ولا بالصغير ، وإنما هو بقدر حصى الخذف ، أي الذي يحذف على الأصابع ، فنفضه ﷺ بيده الكريمة ، ثم قال : ﴿ أمثال هؤلاء فارموا ، وإياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ (٣) (٤) .

فكان هذا الحديث قاعدة في الدين يرجع إليها ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالله - سبحانه وتعالى - جعل هذا الدين دينا سمحا سهلا قيما ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ ﴾ (٥) .

---

(١) (ألقيت هذه المحاضرة في مدينة جدة ، بتاريخ (١٤١٥/٨/٢٧هـ)) .
(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .
(٣) أبو داود المناسك (١٩٦٦) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٢٨) ، أحمد (٣٧٩/٦) .
(٤) (رواه النسائي في سننه برقم (٣٠٥٧) ، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٦١ .

فهذا الدين دين قيم ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [2] .

والدين القيم هو الدين المعتدل الذي لا اعوجاج فيه ، كما قال تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [3] .

والصراط المستقيم هو المعتدل كما بينه النبي ﷺ حينما قرأ قوله تعالى : ، ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [4] .

هذا هو دين الاعتدال دين الوسط بين الإفراط والتفريط ، دين الوسط بين الغلو والتساهل .

كما أن هذه الأمة أمة وسط بين الأمم ، وليس فيها غلو كغلو النصارى وليس فيها تساهل وتفريط كتفريط اليهود ، وإنما هذه الأمة وسطة بين الغالي من الأمم وبين الجافي المتساهل المفرط ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [5] .

فلا يصلح للشهادة إلا الوسط ، وهو الخيار العدل ، ولن يكون خيارا عدلا إلا إذا كان وسطا في الحق ، فإن كل من خرج عن الوسط فإنه يكون طرفا والطرف على خطر والوسط فيه الطمأنينة وفيه الأمن ، أما الطرفان ، أو الأطراف فإنا على خطر وفيها

---

(١) سورة يوسف آية : ٤٠ .
(٢) سورة البينة آية : ٥ .
(٣) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

الخوف قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ [(١)] يعني : طرف ﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ [(٢)] .

وهو دين الله - جل وعلا - الذي بعث به رسوله ﷺ وضد الوسط - كما ذكرنا - الأطراف ، فإن كان الخارج عن الوسط متشددا فإنه يسمى بالغالي ، وإن كان الخارج عن الوسط متساهلا متلاعبا ، فإن هذا يسمى بالمتساهل ، والمفرط في دين الله هو المضيع لدين الله المتبع لشهواته فهو ممن اتخذ إلهه هواه واتبع شهواته ورغباته .

ومحل كلامنا الآن هو الغلو ؛ لأن المتساهل والمضيع معلوم أنه ليس على حق ، لكن الغالي والمتشدد هو الذي يوهم الناس ، أو يوهم نفسه أنه على دين ، وأن فعله هذا محمود ، وأنه زيادة خير وزيادة صلاح فلذلك ناسب الكلام عن الغلو خاصة ؛ لأن خطر الغلو خطير ؛ لأنه يرى أنه على حق ، وأيضا الجهال وكثير من الناس يرون أنه على حق ويقولون : هذا زيادة خير ، وهذا زيادة صلاح وحرص على الخير ، فمن ، ثم يكون الخلط العظيم فيترك الدين بهذه الطريقة

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ ﴾ [(٣)] .

قال تعالى : ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [(٤)] .

هذا من غلو النصارى ولهم غلو كثير في أمور كثيرة ، لكن هذا والعياذ بالله أشد الغلو .

---

(١) سورة الحج آية : ١١ .
(٢) سورة الحج آية : ١١ .
(٣) سورة النساء آية : ١٧١ .
(٤) سورة الإخلاص الآيتان : ٣ - ٤ .

والنبي ﷺ حذر من ذلك في حقه ﷺ أن يغلى فيه ﷺ كما يغلى بالمسيح عليه السلام ، فقال ﷺ : ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله ﴾ (١) (٢) .

الإطراء معناه : شدة المدح ، يعني : لا تغلوا في مدحي وتزيدوا في مدحي فيجركم ذلك إلى غلو النصارى في المسيح فإنهم مدحوه حتى خرجوا به عن البشرية ووضعوه في مرتبة الربوبية والألوهية تعالى الله عما يقولون .

فالرسول ﷺ من كمال نصحه لأمته وشفقته ، ومن كمال بيانه ﷺ حذر من ذلك فقال : ﴿ لا تطروني ﴾ (٣) ، يعني : لا تغلوا في مدحي وتزيدوا في مدحي حتى يخرج بكم ذلك إلى الغلو الذي وقعت فيه النصارى في حق المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، ثم أرشد ﷺ إلى المنهج الصحيح في حقه ﷺ فقال : ﴿ إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ﴾ .

كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (٤) ، وقال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ (٥) وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ (٦) .

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .
(٢) (تقدم تخريجه ص ٨٨ الحاشية رقم (١)) .
(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .
(٤) سورة الفرقان آية : ١ .
(٥) سورة الكهف آية : ١ .
(٦) سورة الإسراء آية : ١ .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (١) .

فسمى الله نبيه محمدًا ﷺ عبدًا ، والعبد لا يعبد وليس له الحق في الربوبية ، أو الألوهية ، وإنما هو عبد الله ورسوله ، وهذه أشرف مرتبة ينالها البشر ، أما الربوبية والألوهية فهي حق لله - جل وعلا - لا يشاركه فيها غيره ، فلا ينفع ، ولا يضر ، ولا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيى ، ولا يميت إلا الله جلا وعلا .

تعريف الغلو

فالغلو لغة : الزيادة عن الحد .

ومعنى الغلو في **الشرع :** الزيادة عن المشروع ، فالزيادة عن الحد المشروع يسمى غلوًا ، والنقص عن الحد المشروع يسمى تساهلا وتفريطًا وإضاعة ، فهما على طرفي نقيض ، والنبي ﷺ في أحاديث كثيرة حذر من الغلو ، قال ﷺ : ﴿ إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ (٢) ، وكلمة إياكم : كلمه تحذير وتنبيه .

ثم بين ﷺ الحكمة من هذا التحذير وخطر الغلو فقال : ﴿ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ (٣) أي : من قبلكم من الأمم كالنصارى غلوا في المسيح عليه الصلاة والسلام حتى أخرجوه عن دائرة البشرية إلى دائرة الربوبية .

واليهود غلوا في العزير حتى أخرجوه من دائرة البشرية إلى دائرة الربوبية ، قال الله - جل وعلا - : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣ .
(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .
(٣) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .
(٤) سورة التوبة آية : ٣٠ .

فكلا الأمتين اليهودية والنصرانية غلوا في البشر حتى رفعوهم عن دائرة البشرية إلى دائرة الربوبية فكفروا وخرجوا من دين الله ﷻ كذلك غلوا في العلماء وجعلوا كلامهم شرعًا يتبع ، ولو كان مخالفًا لدين الله ﷻ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [1] .

أنواع الغلو

الغلو في الاتباع والاقتداء بالعلماء

والغلو أنواع كثيرة منها :

١- الغلو في الاتباع والاقتداء بالعلماء :

كغلوّ النصارى واليهود في أحبارهم ورهبانهم حتى أطاعوهم في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحلّ الله .

فهم عبدوهم بالتحليل والتحريم من دون الله فحرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله فأطاعوهم وهم يعلمون أنهم مخالفون لما شرعه الله ، وأنهم مغيرون ومبدلون ، فكان ذلك عبادة لهم ، وهذا من الغلو في الأشخاص .

فالعالم ، إنما يطاع في طاعة الله ﷻ وإنما يؤخذ قول العالم إذا وافق الدليل ، فإذا خالف الدليل فإنه لا يقبل ، ولهذا يقول ﷺ : ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾ [2] [3] .

والعلماء يقولون : إذا خالفت أقوالنا الدليل فلا تأخذوها .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٢) البخاري المغازي (٤٠٨٥) ، مسلم الإمارة (١٨٤٠) ، النسائي البيعة (٤٢٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٥) ، أحمد (١٣١/١) .

(٣) (رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٣٨١) ، من حديث عثمان بن حصين وأخرجه الإمام أحمد (١٣٧/١) بلفظ : (لا طاعة لمخلوق في معصية الله) ، من حديث علي - رضي الله عنه . ويقول : (، إنما الطاعة في المعروف) (٢) رواه البخاري (١٠٦/٨) ، والإمام مسلم ، رقم الحديث (١٨٤٠) ، من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه .

كما قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : " " إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط) [(١)] .

والإمام أحمد - رحمه الله - يقول : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٢)] .

فالأئمة رحمهم الله تعالى يحذرون من أخذ أقوالهم بدون دليل ؛ لأنهم رجال مجتهدون يخطئون ويصيبون .

٢ - الغلو في الصالحين حتى يعبدوا من دون الله

كما حصل لقوم نوح ، فقوم نوح ، إنما كان سبب شركهم وهلاكهم أنهم غلوا في الصالحين ، وقد ذكر الله قصتهم في القرآن الكريم فقد كان فيهم رجال صالحون على التوحيد على دين آدم عليه الصلاة والسلام ليس فيهم شرك وليس فيهم انحراف ، بل كانوا على دين آدم عشرة قرون بعد آدم ، وكان فيهم رجال صالحون يقتدون بهم ويحبونهم فقدر الله أن هؤلاء الرجال الصالحين ماتوا في عام واحد فحزنوا عليهم حزنًا شديداً فجاء الشيطان لعنه الله وقال لهم : صوروا صور هؤلاء الصالحين تذكركم بهم فتنشطكم على العبادة وتذكرون أحوالهم فقاموا ونفذوا الفكرة الشيطانية ، فصوروا صور هؤلاء الصالحين ونصبوها على مجالسهم من أجل أن يتذكروا العبادة برؤيتهم ، إلى هنا لم يحصل شرك ، لأن العلماء كانوا موجودين وكانوا ينهون عن الشرك ، فلما مات هذا الجيل ومات العلماء جاء جيل متأخر ليس فيهم علماء ، وجاء الشيطان إليهم وقال : إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها وكانوا يسقون بهم المطر فزّين لهم عبادة هذه الصور والتماثيل فعبدوها من دون الله وحينئذ وقع الشرك في الأرض [(٣)] .

---

(١) (انظر : سير أعلام البلاء (١٠/٣) ، وللفائدة : انظر : مجموع الرسائل المنيرية (٩٨/٤) وما بعدها) .

(٢) سورة النور آية : ٦٣ .

(٣) (انظر : صحيح الإمام البخاري (٧٣/٦) ، من حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما) .

فبعث الله نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام أول رسول إلى أهل الأرض بعثه إليهم يدعوهم إلى التوحيد والرجوع إلى عقيدة التوحيد وترك الشرك واستمر معهم عليه الصلاة والسلام ، كما ذكر الله ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد ويحذرهم من الشرك وحصل بينه وبينهم من المداولات وحصل منهم من الأذى على نبي الله الشيء الكثير كما قص الله ذلك في القرآن ، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [1] .

واستمر معهم ، لكن لم يؤمن معه إلا قليل والأكثر بقوا على الشرك وقالوا : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ [2] يعنون الأصنام والتماثيل ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] .

وهذه أسماء الرجال الصالحين الذين صورت هذه الصور على أشكالهم ، واتخذت أصناما تعبد من دون الله عز وجل وتواصوا بالبقاء على عبادتنا ومعصية نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام .

كل ذلك كان بسبب الغلو في الصالحين ، إذن من غلا في الصالحين من هذه الأمة فإنه يكون مثل قوم نوح سواء بسواء ، فالذي يغلو في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى

---

(١) سورة نوح الآيات : ٥ - ١٨ .
(٢) سورة نوح آية : ٢٣ .
(٣) سورة نوح آية : ٢٣ .

عنه ، أو يغلو في الحسن ، أو الحسين رضي الله تعالى عنهما ، أو يغلو في عبد القادر الجيلاني ، أو يغلو في البدوي ، أو يغلو في أي مخلوق ميت من الصالحين ويطلب منه المدد ، أو يستغيث به ، أو يذبح له ، أو ينذر له ، أو يتمسح بقبره ، أو أعتابه ، كل ذلك من دين قوم نوح سواء بسواء ، وهو الشرك الأكبر المخرج من الملة ، والسبب في هذا هو الغلو في الصالحين .

نحن نحب الصالحين ونحب أولياء الله ونقتدي بم وندعو لهم ، لكن لا نغلو فيهم ، ولا نزيد في حقهم .

أما أننا نصرف شيئا من أنواع العبادة لهم ، أو النذر ، أو الطواف ، أو الدعاء ، أو الاستغاثة ، فهذا هو الشرك الأكبر ، وهذا هو دين المشركين من قوم نوح وغيرهم . والسبب في هذا هو الغلو ، ولهذا يقول ﷺ : ﴿ إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾ [(1)] [(2)] .

أرأيتم الغلو كيف أهلك قوم نوح ؟ أرأيتم الغلو كيف أهلك اليهود وأهلك النصارى ؟ فلا تغلوا في دين الله فتكونوا مثل هؤلاء .

وقال ﷺ : ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله ﴾ [(3)] [(4)] .

فمن غلا في شخص وزعم له شيئا من الربوبية فقد اتخذه ربا إلهًا معبودا له من دون الله ﷻ وإن سمي هذا باسم محبة الصالحين ، أو توسلا بالصالحين ، أو سماه بأي اسم فالأسماء لا تغير الحقائق ، وهذا شرك ، ولو سمي بالتوسل ، أو سمي بمحبة الصالحين ، أو

---

(1) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .
(2) (تقدم تخريجه ص ٩٩ الحاشية رقم (٢)) .
(3) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، أحمد (٢٤/١) .
(4) (تقدم تخريجه ص ٨٨ الحاشية رقم (١)) .

ما أشبه ذلك هذا هو الشرك والاسم لا يغير الحقيقة فلو سميت السم عسلا ما صار عسلا ، ولو أكلته لقتلك .

فإذا سمي الشرك بالأولياء والصالحين توسلا ، أو سمي محبة لهم ، فإن هذا لا يغير مسماه فهو شرك بالله ﷻ وهذا هو الذي أهلك من كان قبلنا وحذرنا منه رسول الله ﷺ .

وأشد الغلو والعياذ بالله الاعتقاد في الأشياء فوق ما هي عليه من الاعتقاد في الأشخاص والاعتقاد في بقاع من الأرض ، أو الاعتقاد في جبال ، أو أشجار ، أو في أحجار ، أو في قبور فالاعتقاد فيها أنا تنفع ، أو تضر ، أو تجلب خيرا ، أو تدفع شرا اعتقاد ذلك غلو يبطل العقيدة ويخرج من الدين ويجعل صاحبه من المشركين وإن كان يظن أنه من المسلمين ؛ لأن الكلام على الحقيقة لا على الادعاء والانتساب فقط .

٣ - الغلو في التدين والعبادة

قال تعالى : ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [(١)] ، والغلو في الدين : هو أن الإنسان يتشدد فيحمل نفسه أكثر مما تتحمل من الصيام ، أو من الصلاة ، أو في تحريم المباحات .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [(٢)] .

فالغلو في الدين : هو أن الإنسان يزيد في الطاعة ويزيد في العبادة حتى يحمل نفسه ما لا تطيق ، وهذا منهي عنه .

ولما أراد نفر من الصحابة أن يزيدوا في العبادة على أنفسهم أنكر عليهم النبي ﷺ فقد جاء في الحديث أن ثلاثة من الصحابة جاءوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ من أجل أن يقتدوا به عليه الصلاة والسلام فأخبروا عن عبادة النبي ﷺ وعما كان الرسول ﷺ يفعل في بيته . فكأنم تقالوا عبادة الرسول ﷺ وقالوا : أين نحن من

---

(١) سورة النساء آية : ١٧١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٨٧ .

رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم : أما أنا فأصلي ، ولا أنام . وقال الثاني : أما أنا فأصوم ، ولا أفطر . وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء .

هذا من الاجتهاد منهم وقصدهم الحق ، ولكن الاجتهاد إذا خالف سنة الرسول ﷺ فهو مردود ، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك قال لهم : ﴿ أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ﴾ [(١)] [(٢)] .

فالنبي ﷺ نهاهم عن هذا الذي عزموا عليه ، وأمرهم بأن يتبعوا سنة الرسول - ﷺ . فالدين وسط والقدوة هو رسول الله ﷺ ومن اقتدى به من العلماء فهو قدوة ، قال ﷺ : ﴿ العلماء ورثة الأنبياء ﴾ [(٣)] [(٤)] .

والله جعل القدوة هو الرسول ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [(٥)] .

فمن أراد الوصول إلى الله ﷻ وأراد رضي الله فإنه يسأل عن سنة رسول الله ﷺ وما كان يفعله فيقتدي به ﷺ ولا يزيد على ذلك شيئا فليس هناك قدوة إلا الرسول ﷺ نعم من اقتدى بالرسول من العلماء فإنه يقتدى به ، أما من خالف الرسول ﷺ فإنه لا يقتدى به في ذلك .

والغلو في العلماء والعباد لا يجوز ، بل كل يـ ل م لته ، ومن رفع مخلوقا إلى مرتبة الخالق فقد كفر بالله - عز وجل . ومعنى رفع المخلوق إلى مرتبة الخالق ليس أنه يخلق ، أو

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٢٨٥/٣) .
(٢) (رواه الإمام البخاري (١١٦/٦) ، من حديث أنس بن مالك) .
(٣) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .
(٤) (تقدم تخريجه ص ٣٠ الحاشية رقم (١)) .
(٥) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

يرزق ، هذا لا يقوله أحد حتى كفار قريش لا يقولون إن أصنامهم تخلق ، أو ترزق ، إنما يرفعه إلى مرتبة الخالق إذا صرف له شيئا من العبادة واعتقد فيه أنه يضر وينفع من دون الله ، وأنه يجلب الخير ويدفع الشر فقد اتخذه ربا من دون الله ﷻ وجعله في مرتبة الخالق سبحانه وتعالى .

٤ - الغلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بحيث أن الإنسان يخرج عن نظام الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالنبي ﷺ يقول : ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [(١)] [(٢)] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون على قواعد الشريعة ، وعلى منهج السلف الصالح . أما إذا خرج عن ذلك وزاد بحيث أنه يخرج به على ولاة الأمور المسلمين وينقض ولايتهم ويدعو إلى تفريق الكلمة ، فهذا غلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا مذهب الخوارج ومذهب المعتزلة فهم الذين يرون أن الخروج على الأئمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وولاة أمور المسلمين وإن كان عندهم معاص ما داموا لم يخرجوا عن الإسلام ، فإن ولايتهم باقية وطاعتهم واجبة وإن عصوا وفسقوا ما لم يخرجوا إلى الكفر الصريح .

فعن عبادة بن الصامت قال : ﴿ دعانا النبي ﷺ فبايعنا فقال فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ﴾ [(٣)] [(٤)] .

---

(١) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٤/٣) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (٥٤/٣) ، ومسلم ، رقم الحديث (٤٩) ، من حديث أبي سعيد الخدري) .

(٣) البخاري الفتن (٦٦٤٧) ، النسائي البيعة (٤١٥٤) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٦) ، أحمد (٣٢٥/٥) ، مالك الجهاد (٩٧٧) .

(٤) (رواه الإمام البخاري (٨٧/٨ ، ٨٨) ، من حديث عبادة بن الصامت) .

وإنما وقع الخوارج فيما وقعوا فيه والمعتزلة وقعوا فيما وقعوا فيه من الضلال بسبب الغلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالخوارج خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الخليفة الراشد رابع الخلفاء الراشدين خرجوا عليه بزعمهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأن عليا ﷺ مقصر في ذلك ، ولم يقم بالواجب فخرجوا عليه ، بل كفروه والعياذ بالله . وهم يزعمون أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وتبعهم على ذلك المعتزلة واعتقدوا أن الخروج على الأئمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذه عقيدة المعتزلة والخوارج .

أما عقيدة أهل السنة والجماعة ، فهي تحريم الخروج على ولاة الأمور والصبر على طاعتهم مع مناصحتهم ، ولا يسكت عما يحصل منهم من المخالفات ، بل يناصحون ويبين لهم ويطلب منهم إنكار المنكر والأمر بالمعروف هذه عقيدة أهل السنة والجماعة .

والخوارج إنما خرجوا وسموا بالخوارج بسبب غلوهم في الدين فالخوارج كانوا أصحاب عبادة عظيمة حتى اصفرت وجوههم من قيام الليل وكانوا يتلون القرآن وكان يسمع لهم دوي من تلاوة القرآن وكانوا يصومون ، ولهذا وصفهم النبي ﷺ بقوله : ﴿ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم . . . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ﴾ ، ووصفهم أنهم : ﴿ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ﴾ [1] [2] لا يعملون بالقرآن ، وإنما يعملون بالزيادة . ولتشددهم وغلوهم سموا بالخوارج بسبب أنهم زادوا عن الحد في العبادة ، وزادوا عن الحد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى خرجوا على ولاة المسلمين .

---

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٧١) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٦٠/٣) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (١١٥/٧) و(٥١/٨ - ٥٣) ، من حديث علي بن أبي طالب وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، ومسلم برقم (١٠٦٤) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما) .

فبعض العلماء يكفرهم ؛ لأن الرسول ﷺ يقول : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »[1] ، وأمر بقتالهم[2] ولأنهم يستحلون دماء المسلمين ، ولذلك الخوارج على مدار التاريخ ما عرف أنهم قاتلوا الكفار ، إنما قتالهم للمسلمين ، ولهذا وصفهم النبي ﷺ بأنهم : « يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان »[3] [4] .

هكذا وصفهم الرسول ﷺ والسبب في هذا الغلو والعياذ بالله . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ضوابط وله حدود بينها الرسول في أحاديث منها قوله ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده »[5] [6] .

وهذا الذي يملك السلطة . كالسلطان والأمير ورجل الهيئة والحسبة هذا له سلطة وله يد ، كذلك صاحب البيت في بيته له سلطة على بيته قال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »[7] [8] .

وقال ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع »[9] [10] .

---

(١) البخاري المناقب (٣٤١٤) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٥/٣) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (٧/١١٥و ٨/٥١ - ٥٣) ، من حديث علي بن أبي طالب وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما) .

(٣) البخاري التوحيد (٦٩٩٥) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٦٨/٣) .

(٤) (رواه الإمام البخاري (١٠٨/٤ و١٧٨/٨) ، من حديث علي بن أبي طالب) .

(٥) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٣/٣) .

(٦) (تقدم تخريجه ص ١١١ الحاشية رقم (١)) .

(٧) البخاري الجمعة (٨٥٣) ، مسلم الإمارة (١٨٢٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٥) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨) ، أحمد (١٢١/٢) .

(٨) (رواه الإمام البخاري (١٠٤/٨) ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما) .

(٩) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

(١٠) (رواه أبو داود برقم (٤٩٥) ، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده رضي الله عنهم) .

فإن لم يستطع بأن لم تكن له سلطة ، ولا له يد فبلسانه يبين للناس الحلال والحرام ويبين لهم الأخطاء التي يقعون فيها ويحذرهم من المعاصي في الخطب ، وفي المحاضرات ، وفي الدروس يبين لهم هذا ويحذرهم من المعاصي وعقوباتا وشرورها من أجل أن ينفع الله تعالى به ، فإن لم يستطع بالبيان باللسان وليس عنده علم ، أو لا يقدر على البيان فبقلبه بأن يكره المنكر ويبغض المنكر وأهل المنكر ويبتعد عنهم ، ولا يرضى بفعلهم ، وإذا علم الله من قلبه ذلك فإنه يسلم من الإثم .

فالرسول ﷺ جعل الإنكار درجات بحسب الاستطاعة ، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ۚ ﴾ (1) .

والخلاصة : أن الغلو أنواع كثيرة : في أمور الدين ، وفي أمور الاعتقاد ، وفي الأشخاص ، وفي أنواع كثيرة يتطرق إليها الغلو والمنهج السليم هو ما وضحه الله - جل وعلا - ووضحه الرسول ﷺ هو منهج الاعتدال في كل شيء ، الاعتدال في العبادة ، والاعتدال في الأشخاص من مدح وذم ، والاعتدال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاعتدال في جميع أمور الدين ، هذا هو المنهج السليم والمنهج الصحيح ، وأما غير ذلك فهو كما ذكرنا إما إفراط وإما تفريط ، والإفراط يسمى بالغلو ، والتفريط يسمى بالتساهل .

وفي الحكمة المعروفة دين الله يبّين الغالي والجافي ، الغالي : هو الذي تشدد ، والجافي عنه : هو الذي تساهل فيه . فالدين بين هؤلاء : بين الغالي وبين الجافي .

هذا ، وأسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يمن علينا وعليكم بالهداية لصراطه المستقيم والاعتدال في القول والعمل والثبات على الحق إلى يوم نلقاه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

المحاضرة الثامنة والثلاثون

الخلاف بين العلماء وموقف المسلم منه

بيان فضل العلم والعلماء وذم الجهل وأهله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن الله - سبحانه وتعالى - نوه بشأن العلماء والعلم في كتابه المبين في آيات كثيرة ، وكذلك النبي ﷺ في سنته ، مما يدل على عظم مكان العلم والعلماء وحاجة الناس إليهما في كل زمان ومكان ، فإن الله - سبحانه وتعالى - نوه بشأن العلم في آيات كثيرة وحث على التعلم والتفقه ، وذم الذين لا يفقهون ، ولا يتفقهون ، ولا يبصرون في آيات كثيرة .

وشبههم بالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، ومدح العلماء ، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [1] .

فذكر شهادة العلماء مع شهادته وشهادة ملائكته ، وما ذاك إلا لأن عندهم أهلية استحقوا بها من الله هذه المكانة ، كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ ﴾ [2] .

فالعلماء هم أشد الناس خشية لله ؛ لأنهم يعرفون الله أكثر من غيرهم يعرفون جلاله وعظمته وكبرياءه وقدرته وفضله وإحسانه والرغبة لله ومحبته ، ولأن من كان بالله أعرف كان منه أخوف ، بخلاف الذين لا يعلمون فإنهم من أبعد الناس عن معرفة الله وأسمائه

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٢) سورة فاطر آية : ٢٨ .

وصفاته ، ولذلك هم أضعف الناس خشية لله ﷻ وكذلك قوله - سبحانه وتعالى - :
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ (١) .

الله - سبحانه وتعالى - أمر بإفساح المجالس لأهل العلم ولاسيما مجلس رسول الله ﷺ وتقديمهم وتصديرهم ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - رفعهم بعلمهم وإيمانهم فقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ (٢) .

وهذه الدرجات لا يعلمها إلا هو - سبحانه وتعالى - فهو رفعهم هذه الدرجات لصفتين لا من أجل أشخاصهم ، وأنسابهم وأموالهم ، أو من أجل مظهرهم ، أو منظرهم ، وإنما رفعهم درجات بموجب صفتين : الإيمان والعلم ، فقال تعالى : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ (٣) .

فكفى بهذا شرفا لأهل العلم العاملين بعلمهم بطاعة الله - سبحانه وتعالى - فإنهم أعلى الناس منزلة بعد النبيين ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (٤) .

نفى الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية مساواة الذين لا يعلمون بالعلماء فهم لا يستوون عند الله - سبحانه وتعالى - لأن العلم رفعهم ، فبالعلم والإيمان والعمل الصالح هم أرفع من غيرهم فلا يتساوى من رفعه الله ، ومن هو دونه حتى لو كان من أهل الإيمان فالمؤمنون لهم فضل عظيم ، ولكن لا يستوي العالم والجاهل منهم فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) سورة المجادلة آية : ١١ .
(٢) سورة المجادلة آية : ١١ .
(٣) سورة المجادلة آية : ١١ .
(٤) سورة الزمر آية : ٩ .

وأهل العلم هم أهل القول في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] .

وكذلك الله - سبحانه وتعالى - أمر بالرجوع إلى أهل العلم وأهل الفقه عند المشكلات وسؤالهم ؛ لأنهم هم الذين يعرفون أحكام الله على الحقيقة ، ولا يتخرصون ، وإنما يقولون بما يعلمونه من كتاب الله وسنة رسوله ، قال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [2] .

وأهل العلم أيضا هم أهل الثبات عند فتن الشهوات ، أو الشبهات . ولهذا لما انخدع قوم قارون بزينته واغتروا به وتمنوا أن يكونوا مثله أنكر ذلك عليهم أهل العلم ، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [3] .

هذا موقف عظيم فماذا كانت النتيجة أن أدرك هؤلاء الذين تمنوا مكانة قارون أدركوا خطأهم عما قريب وعرفوا قدر كلمة العلماء ، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الروم الآيتان : ٥٥ - ٥٦ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٧ .

(٣) سورة القصص الآيتان : ٧٩ - ٨٠ .

(٤) سورة القصص الآيتان : ٨١ - ٨٢ .

وكذلك موقف أهل العلم في كل مشكلة . لا ينخدعون بالمظاهر والأموال والجاه والأبة ؛ لأنم ينظرون بنور الله ﷻ حيث قال : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [1] .

ثم تبين وتمحض رأي أهل العلم ، وأن هذا البريق الذي كان مع قارون سرعان ما زال واضمحل ، وكم لأهل العلم من موقف في الدفاع عن هذا الدين وعن سنة رسول الله ﷺ لا يفقهه الجهال ، فمثلا ذكر النبي ﷺ في قصة الرجل الجبار الذي قتل تسعا وتسعين نفسا [2] ثم أن الله ألقى في قلبه الندم وأراد أن يتوب ولكنه استعظم ذنبه وخشي ألا تقبل توبته ، فسأل عمن يفتيه هل له توبة مما فعل من الجرائم الكبيرة ؟ فدل على عابد مجتهد في العبادة لكنه جاهل ليس عنده من العلم شيء ، فسأله أنه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فاستعظم هذا الذنب وظن أن رحمة الله لا تسع هذا الذنب ، وأن الله لا يقبل هذه التوبة ؛ لأنه جهل صفات الله ﷻ وسعة رحمته ، وجهل سعة توبة الله على عباده وفرحة بتوبة عبده ، فقال ذلك الجاهل : ليس لك توبة ، فقتله الظالم فكمل به المائة .

هذه نتيجة الجهل ، ثم سأل هل من عالم يفتيه ؟ فدل على عالم فذهب إليه ، وقال له : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ قال العالم : نعم ، ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ لأن العالم يعلم سعة رحمة الله وفضله وإحسانه ، وأن الله يقبل التوبة من عباده ، كما قال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [4] ، والتوبة تجب ما قبلها ، فهذا العالم استطاع بما آتاه الله من علم أن يفتي هذا الحائر بالحكم الصحيح الشرعي ، قال له : ومن يحول بينك وبين

---

(١) سورة القصص آية : ٨٠ .

(٢) (انظر : (صحيح الإمام البخاري) (١٤٩/٤) ، من حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه) .

(٣) سورة الزمر آية : ٥٣ .

(٤) سورة الأنفال آية : ٣٨ .

التوبة ، ولكنك في أرض سوء فاذهب إلى أرض كذا وكذا ، فإن فيها أناسا صالحين يعبدون الله فاعبد الله معهم ، فأفتاه - أيضا - بأن يهاجر إلى أرض صالحة ويترك البيئة التي عاش فيها ؛ لأنا بيئة غير صالحة فخرج مهاجرا ، وفي أثناء الطريق أدركته الوفاة فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .

ملائكة العذاب يقولون : إنه لم يعمل خيرا قط ، وملائكة الرحمة يقولون : جاء تائبا إلى الله ﷻ فأرسل الله من يحكم بينهم ، فقال لهم : قيسوا ما بين البلدتين ، فقاسوا فوجدوه أقرب إلى الأرض الصالحة بشبر فقبضته ملائكة الرحمة [1] ونجا من عذاب الله . كل ذلك بسبب هذا العالم الذي أفتاه بعلم ، فهذا يتجلى فيه موقف العلماء عند الشدائد والحاجات ، وأنه إذا نزل بالناس نازلة ومشكلة فليس لها إلا أهل العلم ، قال تعالى : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [2] .

والنبي ﷺ يقول : « العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » [3] [4] .

فهذا - أيضا - مما يدل على فضل العلماء أنم ورثة الأنبياء ، فحينما يرث الناس الأموال والقصور والخيل المسومة والأنعام والحرث ، فالعلماء يرثون العلم الذي جاءت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذا لا يعادله شيء . وقد مر أبو هريرة بسوق المدينة فوقف وقال : يا أهل السوق ما أعجزكم ! قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم ، وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد .

---

(١) (تقدم تخريجه ص ١٢٠ الحاشية رقم (١)) .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٧ .

(٣) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .

(٤) (تقدم تخريجه ص ٣٦٠ الحاشية رقم (١)) .

فخرجوا سراعا ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم : ما لكم ؟ قالوا : يا أبا هريرة ، قد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئا يقسم ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد ؟ قالوا : رأينا قوما يصلون ، وقوما يقرءون القرآن ، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة : فذاك ميراث محمد ﷺ [1] .

ويقول الرسول ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » [2] [3] وفي رواية : « كفضلي على أدناكم » [4] [5] .

وهذه رفعة عظيمة والنبي ﷺ شبه العلماء بالنجوم يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة .

فالعلماء في م لة الكواكب التي يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر فإذا طمست الكواكب ، فإن المسافرين يضيعون في البر والبحر كذلك إذا فقد العلماء ، فإن الناس يضيعون في هذه الحياة ؛ لأنهم لا يجدون من يرشدهم . ولهذا إذا قبض العلم من الأرض قامت القيامة كما في الحديث : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » [6] [7] .

---

(١) (بمعناه انظر : (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) (١/١٢٣ ، ١٢٤)) .

(٢) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .

(٣) (انظر : مسند الإمام أحمد (٣/١٥٧) ، من حديث أنس بن مالك وأبو داود برقم (٣٦٤١) ، والترمذي برقم (٢٦٨٢) ، وابن ماجه برقم (٢٢٣) ، والدارمي برقم (٣٤٩) ، من حديث أبي الدرداء) .

(٤) الترمذي العلم (٢٦٨٥) ، الدارمي المقدمة (٢٨٩) .

(٥) (رواه الترمذي برقم (٢٦٨٥) ، والدارمي برقم (٢٩٥) ، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه) .

(٦) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (٢/١٦٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

(٧) (رواه الإمام أحمد (٢/١٦٢ ، ١٩٠) ، والبخاري (١/٣٣ ، ٣٤) ، ومسلم برقم (٢٦٧٣) ، والترمذي برقم (٢٦٥٢) ، وابن ماجه برقم (٥٢) ، والدارمي برقم (٢٤٥) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما) .

وفي حديث : ﴿ لئن تموت قبيلة بأسرها أيسر على الله من موت عالم ﴾ [(١)] .

لعمـرك مـا الرزيـة فقـد مـال ولا شـاة تمـوت ، ولا بعـير
ولكـن الرزيـة فقـد حـبر يمـوت بموتـه خلـق كـثير

فالعلماء لهم مكانتهم ولهم قدرهم ، ولا يصلح الناس بدون وجود العلماء ، والمراد بالعلماء أهل العلم النافع والعمل الصالح الذي بعث الله به نبيه ﷺ فإن الله بعث نبيه بالهدى ودين الحق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [(٢)] ، وهو العلم النافع والعمل الصالح فمن جمع الله له بين العلم النافع والعمل الصالح فقد حصل على ما بعث الله به رسوله - ﷺ .

مكانة العلماء وقدرهم

العلماء لهم مكانتهم وقدرهم ، ولا يبخس ، ولا ينقص من قدرهم إلا زنديق منحرف يبغض الحق وأهله ، أو جاهل مركب يغتر بما يسمع من كلام أهل النفاق وأهل الريب . كما قص الله تعالى في القرآن أن المنافقين تناولوا بالذم رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا : (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء) يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأنزل الله ﷻ على رسوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [(٣)] .

فالذي ينتقص العلماء في هذا الزمان له نصيب من هذه الآية على قدر ما عنده من البغض لأهل العلم ، أو التنقص لأهل العلم يناله من هذه الآية ما يناله ؛ لأن العلماء لهم مكانتهم ولحومهم مسمومة ، فلا يجوز لأحد أن يصفهم بصفات برأهم الله منها كأن

---

(١) (انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/٢٠١ ، ٢٠٢) ، وذكره الغزالي في (إحياء علوم الدين) (١/١٦)) .
(٢) سورة التوبة آية : ٣٣ .
(٣) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

يقال : إنهم لا يعرفون فقه الواقع وهذه كلمة عظيمة خطيرة جدا ، فالعلماء يعرفون فقه الكتاب والسنة وفقه السنة يكشف لهم فقه الواقع .

هذه كلمة خطيرة جدا ، والواجب أن نستبعدها من الكتب التي كتبت فيها ، وأن ننصح من يتكلم بها ، وأن نعيد الثقة إلى أنفسنا وإلى علمائنا والذي يقول هذه المقالة لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر العلماء . فقد قيل في الرسول ﷺ وأصحابه أعظم من هذا ، ولم يضرهم هذا ، وإنما زادهم رفعة .

لكن هذا المسكين يضر نفسه ويضر غيره ممن يحسنون به الظن ويعظمون من شأنه . فالواجب أن نرفض هذه المقالة ، وأن ننزه ألسنتنا وكتاباتنا منها ، وأن نعرف لعلمائنا قدرهم ومكانتهم ، والبعض الآخر يقول : هؤلاء مداهنون هؤلاء علماء السلاطين إلى آخره : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾ [(1)] .

وبعض المخدوعين ، أو المغرضين يقول هؤلاء علماء الحيض والنفاس للتهوين من شأنهم ، وهذا ما يريد الأعداء من المسلمين يرون أن يفصلوا العامة عن العلماء ويريدون أن يفصلوا شباب الأمة عن العلماء بحيث لا يتعلمون العلم من العلماء ، وعند ذلك تسنح لهم الفرصة لتقطيع جسم الأمة والسطو عليها ؛ لأنه لا يقف في وجوههم إلا العلماء فإذا حالوا بين العلماء وبين الشباب وبين عامة الناس وعزلوا بعضهم عن بعض حينئذ سنحت الفرصة لأعداء الله ورسوله للانقضاض على أمة المسلمين وما كان يقف في وجوه الظلمة وما كان يقف في وجه الكفار والزنادقة والمنافقين إلا أهل العلم يبطلون شبهاتهم ويدمغون أقوالهم بالكتاب والسنة يوقفونهم عند حدهم ويردون عليهم الشبهات .

من الذي قام لمناصرة سنة رسول الله ﷺ وعزل الأحاديث المكذوبة عنها إلا أهل العلم ؟ من الذين قاموا برد الشبهات وألفوا المؤلفات في الرد على الزنادقة ، والرد على

---

(1) سورة الكهف آية : ٥ .

أهل الضلال من قديم الزمان وحديثه إلا أهل العلم ؟ أما الذين يتكلمون في العلماء فما قدموا للإسلام إلا السب والنقيصة .

فأهل العلم هم الذين يتقدمون إلى الميدان قبل غيرهم وهم المسئولون عن المحافظة على رصيد الأمة العلمي من الكتاب والسنة فإذا جاء من يتنقصهم ويحط من قدرهم ، فإن هذا يدل على شر عظيم ويجب على المسلمين أن يرفضوا هذه المقالات وأصحابها ، وأن يأخذوا على أيديهم ، ولا شك أن هناك فئة ، أو فئات من بعض الشباب انعزلت عن التعليم في المدارس النظامية ، وفي المعاهد والكليات والجامعات وانعزلت عن التعليم في المساجد ؛ لأنها تسيء الظن بالعلماء فانعزلت عن التعليم النظامي وغير النظامي وانطوت على نفسها . تشتري الكتب وتقرأ فيها وإذا قرأ الواحد منهم صفحة ، أو صفحتين من كتاب ، أو قرأ الكتاب كاملًا ظن أنه أصبح عالمًا فصار يقول ويفتي ويضعف في الأحاديث ويصحح ويجرح الرواة ، وهو جاهل مركب . غاية ما يكون أنه يقرأ الحروف فقط يتهجاها ، ولا يعرف معناها ، ولأنه لم يدرس القواعد العلمية والضوابط الفقهية .

والعلماء يشترطون في العالم ، أو المفتي شروطًا عظيمة : يشترطون بأن يكون عالمًا في كتاب الله ، وفي سنة رسول الله ﷺ عالمًا بلغة العرب والنحو والصرف والبيان والبديع ومشتقات اللغة التي نزل بها القرآن ونطقت بها السنة وعالمًا بالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم ، وعالمًا بالصحيح والحسن والضعيف والموضوع من الأحاديث ، فما كان أحد من العلماء في الأول يجلس للتدريس ، ولا يفتي بفتوى إلا إذا أعطاه شيوخه إجازة ، ثم بعد ذلك يزاول العمل على حسب استطاعته .

وأيضًا ما كانوا يحرصون على الكلام في المسائل ، بل كانوا يتدافعونها كل واحد منهم يقول : اذهب إلى فلان يخشون المسئولية . ما كانوا يحرصون على الكلام في العلم ، ولو كان عندهم مؤهلات ، ولو كانوا يستطيعون الكلام لكنهم مهما أمكنهم أن يجعلوها في غيرهم ، ومن هو أكبر منهم ، ولا يصلح أمر الأمة إلا هكذا . أما أن يأتي إنسان بدائي ، ثم يجلس يفتي الناس يؤلف المؤلفات ويحكم على رجال السند بالجرح والتعديل ويضعف

الأحاديث فهذه مصيبة وهذه من الفتن التي يجب علينا أن نحذر منها ، وأن نخاف منها غاية الخوف فالواجب أن يكون هناك ضوابط لهذا الأمر العظيم الخطير ، وأن لا يسمح لأحد أن يتكلم في مسائل العلم إلا من عنده أهلية بذلك ، ولا يتكلم إلا بقدر الحاجة أيضًا فلا يتكلم بأشياء الناس ليس بحاجة إليها .

أما عن قضية الاختلاف بين العلماء وموقف المسلم منه

فالاختلاف أمر واقع وأمر موجود والاختلاف على قسمين :

القسم الأول : اختلاف فيما لا يسوغ فيه الاجتهاد مثل أمر العقائد ؛ لأن العقائد توقيفية ليس لأحد أن يجتهد فيها ، وإنما يتبع فيها النصوص الواردة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله ﷺ ويتوقف عما سكت الله عنه ورسوله ، ولا يتكلم ، فالعقائد ليست مجالًا للاختلاف ، ومذهب السلف أنهم في العقائد يتبعون الكتاب والسنة ، ولا يتكلمون إلا بما في الكتاب والسنة من نفي ، أو إثبات فما أثبته الله ورسوله أثبتوه وما نفاه الله ورسوله نفوه وما لم يرد فيه نفيًا ، أو إثبات فإنهم يتوقفون فيه .

فالذي يخالف منهج السلف يعتبر ضالًا ، وضلاله يتفاوت فقد يكون ضلال كفر ، وقد يكون ضلال فسوق دون الكفر كالجهمية والمعتزلة ، ومن أخذ بمذهبهم ، فالعقائد ليس فيها مجال للخلاف ، والواجب سلوك مذهب السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين والقرون المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخير قال ﷺ : ﴿ خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم - قال الراوي : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين ، أو ثلاثة - ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته . . . . . ﴾ [1] إلى آخر الحديث [2] . قال ﷺ :

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٥١) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٨٥٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢) ، أحمد (٤٣٤/١) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (١٥١/٣) ، من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -) .

﴿ من يعيش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا با وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [1] [2] .

والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [3] ، من سلك هذا المسلك ﷺ وأدخله الجنة هذا منهج المسلمين منهجهم منهج السلف الصلح من المهاجرين لا اختلاف فيه ومصدره الكتاب والسنة فيجب ألا نتلفت إلى من خالفهم منهج السلف في العقيدة .

ولذلك يجب علينا أن ندرس عقيدة السلف ، وهذا سبيل المؤمنين ، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما وأصلاه جهنم ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [4] ، وهذا الاختلاف عن منهج السلف سببه الهوى .

وأما القسم الثاني من الاختلاف : فهو الاختلاف في غير مسائل العقائد من المسائل الفقهية الاستنباطية ، والسبب في ذلك أن للرأي فيها مجالًا ، وأن مدارك العلماء تختلف فهي ليست على حد سواء ، منهم من يخطئ ومنهم من يصيب ، وكلهم مأجورون مادام أن نيتهم طيبة ويريدون الحق وهم مؤهلون للاجتهاد وهدف الجميع الوصول إلى الحق ، وهذا أمر مشترك بين علماء المسلمين .

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (١٢٦/٤) ، وأبو داود برقم (٤٦٠٧) ، والترمذي برقم (٢٦٧٦) ، وابن ماجة برقم (٤٢ ، ٤٤) ، والدارمي برقم (٩٦) ، والحاكم في (مستدركه) (٩٧/١) ، كلهم من حديث العرباض بن سارية) .

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٤) سورة النساء آية : ١١٥ .

الهدف الوصول إلى الحق ، لكن منهم يطلبه ويوفق ومنهم من لا يصل إليه ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولكن كلهم مأجورون والحمد لله ، قال ﷺ : ﴿ إذا حكم الحاكم فاجتهد ، ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ، ثم أخطأ فله أجر ﴾ [1] [2] .

واختلاف المذاهب الأربعة من هذا القبيل وكلها والحمد لله مذاهب سنة .

فالأئمة الأربعة عقيدتم واحدة لم يختلفوا فيها عن منهج السلف ، لكن اختلفوا في الفقه والاستنباط ، وفي المسائل الفقهية ، وهذا لا يجلب عداوة فيما بينهم ، بل كانوا إخوة .

الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي كلهم والحمد لله إخوة ، ولا يؤثر بينهم الخلاف الذي في المسائل الفرعية عداوة ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة يبين فيها أن اختلافهم في المسائل الفقهية ليس فيه لوم ؛ لأنم كلهم يريدون الحق ، ولكن منهم من يصل إليه ، ومنهم من لا يصل إليه ، والذي لم يصل معذور ، ولكن إذا تبين لنا بالدليل أن قول فلان هو الصواب ورأي فلان خطأ يجب علينا أن نأخذ بالصواب ونترك الخطأ ، لكن لا نحط من قدر هذا المجتهد الذي أخطأ ، ولا ننتقصه ؛ لأنه مأجور عند الله - سبحانه وتعالى - بل ندعو له ونترحم عليه ، ونقول : العصمة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإمام مالك يقول : (كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر) [3] يعني : الرسول - ﷺ - .

والإمام الشافعي يقول : (إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط) ، ويقول رضي الله عنه (إذا صح الحديث فهو مذهبي) [4] .

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٩١٩) ، مسلم الأقضية (١٧١٦) ، أبو داود الأقضية (٣٥٧٤) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣١٤) ، أحمد (٢٠٤/٤) .

(٢) (تقدم تخريجه ص٧٢ الحاشية رقم (١)) .

(٣) (انظر : (سير أعلام النبلاء) (٣٥/١٠) وللفائدة انظر : (مجموعة الرسائل المنيرية) (٩٨/٤) ، وما بعدها) .

(٤) (انظر : (سير أعلام النبلاء) (٩٣/٨)) .

والإمام أحمد أيضًا يروي عنه الشيء الكثير في هذا أنه كان ينهى عن الأخذ برأيه ، أو برأي فلان ويوجب الأخذ بالدليل [1] وهذا الخلاف لا يوجب عداوة بين المسلمين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) (انظر : (سير أعلام النبلاء) (٣٥/١٠) ، وللفائدة انظر : (مجموعة الرسائل المنيرية) (٩٨/٤) ، وما بعدها) .

المحاضرة التاسعة والثلاثون
حقيقة التوكل على الله وثمراته وفعل الأسباب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهداه وسار على نجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

وبعد : فإن التوكل من أعظم أنواع العبادة ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [1] ، فجعل شرط الإيمان التوكل على الله - سبحانه وتعالى - وقال - سبحانه وتعالى - لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [2] .

فأمر نبيه ﷺ أن يتوكل على الله - سبحانه وتعالى - وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [3] ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ [4] .

فقرن التوكل بالتقوى ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾ [5] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٦٤ .
(٤) سورة الطلاق الآيتان : ٢ - ٣ .
(٥) سورة الطلاق الآيتان : ٤ - ٥ .

كما قرن التوكل بالعبادة في قوله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾ (1) ، وأمر الله بالتوكل وأثنى على أهله ، وأخبر أنه يحب المتوكلين في آيات كثيرة ، مما يدل على أهمية التوكل على الله - سبحانه وتعالى .

والتوكل على الله من أعمال القلوب فهو عبادة قلبية ، فالتوكل على الله لا يكون بالجوارح والأعضاء ، وإنما يكون في القلب مثل : الخوف والخشية والرغبة والرهبة والتقوى ، كلها أعمال قلبية .

وم لة التوكل كما قال بعض أهل العلم : التوكل من الدين بم لة الرأس من الجسد . فالذي ليس عنده توكل ليس عنده دين ، كالجسد الذي ليس له رأس ، ومعلوم أن الجسد إذا فقد الرأس فقد الحياة ، فكذلك الدين إذا فقد التوكل فقد الصحة ، فلا يكون دينًا صحيحًا .

فالتوكل على الله له مقام عظيم من مقامات العبودية لله ﷻ ميز عباده المؤمنين عن غيرهم ، فمن لم يتوكل على الله أصلًا فإنه يكون كافرًا ، ومن توكل على الله ، وعلى غيره يكون مشركًا ، ومن توكل على الله وحده فإنه هو الموحد المؤمن الذي يحبه الله ويرضى عمله وقوله ؛ لأنه بناه على أساس صحيح .

إذا ما معنى التوكل الذي هذه أهميته وهذه مكانته في الدين ؟

معنى التوكل على الله

التوكل على الله معناه : تفويض الأمور إليه ، والاعتماد عليه - سبحانه وتعالى - في جميع أموره ، وتفويض أموره إلى الله - سبحانه وتعالى - بحيث لا يلتفت إلى غيره . فالتوكل على الله يكون في أمور الاعتقاد بحيث لا يلتفت العبد بقلبه إلى غير الله - سبحانه وتعالى - فيكون دائمًا معتمدًا على الله - سبحانه وتعالى - مفوضًا أمره إليه في جميع شؤونه .

---

(1) سورة هود آية : ١٢٣ .

وما حصل للمشركين الشرك بالله ﷻ والكفر إلا ؛ لأنهم توكلوا على غيره ﷻ ووكلوا أمورهم إلى غير الله ، واعتقدوا أن غير الله - سبحانه وتعالى - يقضي حوائجهم ويفرج همومهم ويدفع الضرر عنهم فاعتمدوا على الأصنام والأوثان والأشجار والأحجار ، وعلى القبور والأضرحة والموتى ، اعتمدوا على المخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله - سبحانه وتعالى - فصاروا يستغيثون بهم ، ويذبحون لهم ، وينذرون لهم ويصرفون لهم أنواع العبادة ؛ لأنهم اعتمدوا عليهم من دون الله ﷻ وظنوا أنهم ينفعونهم ، أو يضرونهم ، أو يقضون حوائجهم فلذلك كفروا بالله ﷻ حين اعتمدوا على غيره وتوكلوا على سواه وصرفوا اعتقادهم وعبادتهم لغيره - عز وجل . فأساس الشرك هو التوكل على غير الله ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(1)] .

قال العلماء : تقديم المعمول ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ [(2)] يفيد الحصر . ومعنى ذلك : توكلوا على الله لا على غيره . فالله - جل وعلا - حصر التوكل عليه دون غيره . ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ [(3)] أي : لا على غيره . ﴿ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(4)] فجعل علامة الإيمان وعلامة التوحيد التوكل على الله - سبحانه وتعالى .

أما من زعم أنه مؤمن ، وأنه موحد ولكنه توكل على غير الله من الأحجار والأشجار والأصنام والقبور والأموات وغير ذلك ، فإن دعواه كاذبة ، وهو ليس بمؤمن ؛ لأنه توكل على غير الله ﷻ في أموره .

وكذلك التوكل على الله يكون في قضاء حوائجه الدنيوية في جلب الرزق ومنع العدو عنه ، ومنع الأذى والضرر عنه . فالتوكل على الله يكون في أمور الدين والدنيا . فأنت تعتمد على الله ﷻ في عقيدتك وتوحيدك وتعتمد على الله ﷻ في حصول حاجاتك

(١) سورة المائدة آية : ٢٣ .
(٢) سورة المائدة آية : ٢٣ .
(٣) سورة المائدة آية : ٢٣ .
(٤) سورة المائدة آية : ٢٣ .

حتى ، ولو كانت حاجات دنيوية كالأكل والشرب والكسوة وحصول المقاصد كذلك اجعل توكلك دائمًا على الله ﷻ واعتمادك عليه في جميع أمورك .

فليس التوكل مقصورًا على أمور العقيدة وأمور التوحيد ، بل حتى أمور الدنيا وطلب الرزق ، لا تعتمد على غير الله في حصول أي مقصود ؛ لأن الأمور بيد الله - سبحانه وتعالى - بيده مقاليد السماوات والأرض ، فيجب أن تتوكل عليه ، فحوائج العباد كلها بيده - سبحانه وتعالى . فكيف يتوكل الإنسان على غير الله ويعتمد على غير الله في دينه ودنياه ؟ ! لا شك هذا من الجهل والإعراض عن الله - سبحانه وتعالى .

فالتوكل مقامه من أعظم مقامات العبودية .

التوكل على الله واتخاذ الأسباب

ثم أيضًا ليس التوكل على الله - سبحانه وتعالى - معناه : ترك الأسباب وتفويض الأمور إلى الله فلا نترك الأسباب ونقول : إن كان الله أراد لنا رزقًا جاء ونحن جالسون ، ولا نترك طلب العلم ونقول : إن كان الله أراد لنا العلم جاءنا ونحن جالسون في بيوتنا ونترك سائر الأمور النافعة التي لا بد لنا من الأخذ بها ، ونقول : إن كان الله قدرها لنا جاءتنا من غير فعل سبب . . هذا غلط كبير . فلا بد من الجمع بين الأمرين : التوكل على الله - سبحانه وتعالى - وفعل الأسباب النافعة . فالإنسان يفعل الأسباب في طلب الرزق ، وهو متوكل على الله في حصول المطلوب .

الإنسان يزرع الزرع ، وهو متوكل على الله - سبحانه وتعالى - في إصلاح هذا الزرع ، وفي إثمار هذا الزرع وحفظه من الآفات وحصول نفعه والاستفادة منه ، لا بد من أنك تزرع الزرع وتبذر البذور وتسقيها وتتعاهدها وتتوكل على الله ﷻ في حفظها وإنمائها وإثمارها وتمكينك من حصول ثمرتها والانتفاع بها .

كذلك لو أن إنسانًا ترك الزواج وقال : هذا من التوكل . إن كان الله أراد لي الأولاد فسيأتونني من غير زواج . نقول : هذا غلط ، ولا يقوله عاقل فضلًا عن مؤمن ، فالله

جعل للأشياء أسبابًا ، فالزواج سبب للإنجاب وحصول الأولاد ، والله أمر باتخاذ الأسباب فلا بد من أنك تعمل الأسباب ، فالزواج سبب ، وهو منك أنت الذي تفعله وتطلبه ، وأما حصول الأولاد فهو من الله - سبحانه وتعالى - وهو الثمرة فالنتيجة بيد الله - سبحانه وتعالى - وأما فعل السبب فهو من قبلك أنت ، فلا بد من الجمع بين الأمرين : فعل الأسباب مع التوكل على الله - سبحانه وتعالى . أما الذي يعتمد على الأسباب ، ولا يتوكل على الله ، أو يعتمد على التوكل ، ولا يفعل الأسباب كلاهما مخطئ غالط ، ولهذا قال العلماء رحمهم الله : الاعتماد على الأسباب شرك وترك الأسباب قدح في الشرع .

لأن الشرع أمر باتخاذ الأسباب ، فتعطيل الأسباب وترك الأسباب قدح في الشرع وترك لما أمر الله - جل وعلا - به . قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ [1] .

فقوله : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ [2] أي : اطلبوا الرزق ، ولا تجلسوا في المساجد وتزعموا أنكم متوكلون ، ولا تجلسوا في البيوت وتزعموا أن الأرزاق تدخل عليكم . هذا غلط ، ولا يقول بذا مؤمن ، ولهذا لما رأى عمر ﷺ جماعة زعموا أنهم متوكلون على الله وتركوا الأسباب ، قال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون . قال : لا ، أنتم المتأكلون ، أي : تريدون أن تكونوا عالة على الناس .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [3] ، أي : بيعوا واشتروا واطلبوا الرزق بفعل الأسباب النافعة أمرهم الله - سبحانه وتعالى - بفعل العبادة والصلاة في وقتها ومكانا ، وهو المسجد .

---

(١) سورة العنكبوت آية : ١٧ .
(٢) سورة العنكبوت آية : ١٧ .
(٣) سورة الجمعة آية : ١٠ .

ثم أمر بطلب الرزق في مكانه ، وهو خارج المسجد : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(1)] ؛ لأن ذكر الله وعلا سبب لجلب الرزق أيضًا فهو أعظم سبب لجلب الرزق وتيسير الأمور : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾ [(2)] .

وعمر رضي الله عنه يقول : (لقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ، ولا فضة) ، ينكر على جماعة جلسوا للعبادة وصاروا عالة على غيرهم فصار يضربم بالدرة ويأمرهم بطلب الرزق ويقول : (لقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ، ولا فضة) ، إنما يحصل الذهب والفضة بالسعي وطلب الرزق وفعل الأسباب . أما الذي يزعم أنه متوكل على الله ويعطل الأسباب ، فهذا يقال له : عاجز . بمعنى : كسلان من العجز ، ومن الكسل [(3)] .

فالعجز الذي لا حيلة للإنسان فيه لتعطل عضو من أعضائه ، أو حاسة من حواسه هذا معذور عاجز يستحق المساعدة ، أما العجز الذي هو الكسل والخمول وتعطيل الأسباب ويزعم صاحبه أنه متوكل على الله ، فهذا عجز مذموم استعاذ منه النبي ﷺ واستعاذ من الجبن والبخل ، ومن غلبة الدين وقهر الرجال .

وكان ناس يحجون مع المسلمين وليس معهم زاد للسفر ويزعمون أنم متوكلون على الله ، وأن الرزق سيأتيهم بدون أن يأخذوا معهم الزاد ، فالله - جل وعلا - قال : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾ [(4)] ، أمرهم باتخاذ الزاد .

والزاد قسمان : زاد للدنيا ، وزاد للآخرة .

فزاد الدنيا : يكون بالطعام والشراب والملابس وسائر ما يحتاجه الإنسان من زاد المسافر .

---

(١) سورة الجمعة آية : ١٠ .

(٢) سورة الطلاق الآيتان : ٢ - ٣ .

(٣) (انظر : (صحيح الإمام البخاري) (١٥٨/٧) ، من حديث أنس بن مالك) .

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

أما زاد السفر للآخرة : فهو التقوى ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [(١)] .

فتزود لدنياك وتزود لآخرتك . فتزود لدنياك بالطعام والشراب وأهبة السفر بحيث لا تكون عالة على غيركم وتزود لآخرتك بالتقوى ، وهي فعل أوامر الله - سبحانه وتعالى - وترك نواهية فالتقوى معناها أن تتخذ وقاية تقيك من عذاب الله ، ومن غضبه وتقيك من النار وهذه الوقاية ، إنما تكون بالأعمال الصالحة وبتقوى الله - سبحانه وتعالى - تحصل النجاة من النار ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [(٢)] .

فلا يقي من النار إلا الأعمال الصالحة . فالإيمان بالله ﷻ والعمل الصالح هو زاد الآخرة ، وهو الوقاية من غضبه ، ومن ناره ، ومن عذابه ، فالعبد مأمور بمصالح دينه ودنياه ومأمور بمصالح دنياه وآخرته .

ومأمور بالتوكل على الله - سبحانه وتعالى - ومأمور بفعل الأسباب ، فلا بد من الجمع بين هذا ، وهذا . فلا يفهم أحد أن معنى التوكل على الله تعالى ترك الأسباب النافعة . هذا غلط ، ولا يفهم أحد أن معنى التوكل على الله تعالى ترك الأسباب النافعة . هذا غلط ، ولا يفهم أحد أيضًا أن فعل الأسباب يكفي عن التوكل على الله ، بل لا بد من الأمرين : التوكل على الله ، وفعل الأسباب النافعة .

وقد قال النبي ﷺ : ﴿ لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطآنًا ﴾ [(٣)] رواه أحمد والترمذي وحسنه [(٤)] خماصًا " " تذهب

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧ .
(٢) سورة مريم آية : ٧٢ .
(٣) الترمذي الزهد (٢٣٤٤) ، ابن ماجه الزهد (٤١٦٤) ، أحمد (٣٠/١) .
(٤) (رواه الإمام أحمد (٣٠/١) ، والترمذي برقم (٢٣٤٤) ، وابن ماجه برقم (٤١٦٤) ، والحاكم في (مستدركه) (٣١٨/٤) ، كلهم من حديث عمر بن الخطاب) .

أول النهار لطلب الرزق ؛ لأن الغدو معناه : أول النهار . تغدوا م أوكارها خماصًا ، يعني : جائعة ، وتروح يعني : ترجع أول النهاء بطأنا ، يعني : مليئة البطون بالرزق .

فلاحظوا أن الطير لم تبق في أوكارها ، بل بذلت السبب وخرجت من أوكارها وذهبت إلى مواطن الرزق ، فالطيور بفطرتا التي فطر الله عليها علمت أنه لا بد من فعل السبب فخرجت تطلب الرزق ، فالله - جل وعلا - رزقها فعادت مملوءة البطون برزق الله - سبحانه وتعالى . فلو أنكم يا بني آدم عملتم هذا العمل لرزقكم كما يرزق هذه الطيور ، لكن حينما يخل الإنسان بذا الأمر فإنه يحصل له الخلل ويحصل النقص ، فإن اعتمد على الأسباب وكله الله إليها ، كما في الحديث : ﴿ من تعلق شيئًا وكل إليه ﴾ [1] [2] فيوكل الإنسان إلى الأسباب ، والأسباب قد تكون مخففة ، ولا فائدة منها . وإن أهمل الأسباب وتوكل على الله بزعمه كان مخطئًا في ذلك وغير عامل بما أمر الله - سبحانه وتعالى - فإن الله أمر بفعل الأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [3] .

فالله قادر على أن ينصر المسلمين ، وأن يقتل الكفار ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ [4] .

فالله قادر على أن يهلك الكفار في لحظة واحدة ويريح المسلمين منهم ، ولكن بحكمته أراد أولًا : أن يبتلي هؤلاء بؤلاء لإعلاء كلمة الله - سبحانه وتعالى - وثانيًا : أراد حصول الشهادة للمسلم في سبيله ، وثالثًا : أراد حصول الجهاد من أولياء الله وبذل

---

(١) الترمذي الطب (٢٠٧٢) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (٤/٣١٠) ، والترمذي برقم (٢٠٧٢) ، والحاكم في (مستدركه) (٤/٢١٦) ، كلهم من حديث عبد الله بن عكيم ورواه النسائي في (التبى) برقم (٤٠٧٩) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .

(٣) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

(٤) سورة محمد آية : ٤ .

الروح والنفس والمنهج والأموال طاعة لله - سبحانه وتعالى - فالجهاد عبادة من أعظم أنواع العبادة .

فلو أن الله أهلك الكفار بعذاب من عنده تعطلت هذه المصالح وتعطل الجهاد ، ولم تحصل الشهادة للشهداء ، ولم يحصل الصدق في الإيمان بالله .

فالله يبتلي المؤمنين هل هم صادقون في إيمانهم ؛ لأن الصادق في إيمانه يجاهد في سبيل الله ويبذل نفسه وماله وراحته لإعلاء كلمة الله ، أما المنافق الذي يدعي الإيمان ، وهو كاذب ، فهذا يحجم عن الجهاد ويتأخر ويتبين النفاق من الإيمان الصحيح . ففي جهاد الكفار مصالح ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (١) ، أي : إن جهاد الكفار لا يحصل بالكلام ، أو الدعاء عليهم فقط . نعم ، الدعاء شيء طيب وسلاح قوي ، لكن وحده ، بل لا بد من مباشرة الجهاد لا يكون إلا بعدة والعدة سبب للنصر ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (٢) ، قوة السلاح وقوة الذخيرة وقوة آلات الجهاد لكل وقت بحسبه .

ولا نقول : نحن مسلمون ومؤمنون وهؤلاء كفار وسننتصر عليهم بإيماننا دون أن نفعل أسبابًا ، هذا غير صحيح ، لا بد في النصر من حصول أسباب ، ولا بد من ابتلاء وامتحان ، ولا بد من تضحية ، ولا بد من تقديم ما يدل على صدق الإيمان ، قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝ ﴾ (٣) .

هذه هي حكمة الله - سبحانه وتعالى . فلا بد في جهاد الكفار من أمرين :

الأمر الأول - وهو الأساس - : التوكل على الله - سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآيتان : ٢ - ٣ .

والأمر الثاني : إعداد القوة وإعداد الدفاع المناسب في كل وقت . فلا بد من الأمرين .

ولهذا لما حصلت وقعة أحد وحصل ما حصل على المسلمين من الامتحان والجراح والقتل . . . وانصرف الكفار - تشاوروا فيما بينهم - أي : الكفار - وقالوا : ما صنعنا شيئًا بمحمد وأصحابه الذين هم مثقلون بالجراح إلا أن خرجوا وبادروا بالخروج من المدينة وذهبوا يطلبون العدو وبعضهم مثخنون بالجراح ، خرج الجرحى بجراحهم ، ولم يتخلف أحد منهم ، فلما بلغ الكفار أن المسلمين خرجوا أوقع الله قلوبهم الرعب وقالوا : ما خرجوا إلا وفيهم قوة ، فهرب الكفار ، فأنزل الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [1] ، لما بلغهم تديد الكفار ما قالوا إلا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولم يقصروا على هذا ، بل خرجوا وفعلوا الأسباب فجمعوا بين الأمرين ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [2] .

فكانت النتيجة للمؤمنين بسبب توكلهم على الله وبسب فعلهم للأسباب ، ولو أنم بقوا في المدينة ، ولم يخرجوا وقالوا كلامًا فيه لين مع الكفار ، أو فيه ضعف لرجع الكفار حقيقة واستأصلوا شأفتهم ، ولكن لما قالوا : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [3] وخرجوا ، كانت النتيجة ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [4] . هل

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٣ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٤ .

هذه النتيجة حصلت مع الراحة وترك السبب وبزعم التوكل على الله فقط . . . أو حصلت بمجموع الأمرين ؟

وهكذا دائمًا وأبدًا - وهذه سنة الله في خلقه - أن من توكل عليه واتخذ الأسباب النافعة أن الله - جل وعلا - لا يخيب سعيه ، بل أن الله - جل وعلا - يكرمه ويحقق له ما أراد من الخير .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (١) ، هذا خطاب للرسول من ﷺ وأصحابه وهم سادة المتوكلين على الله قال : ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (٢) لا تغفلوا عن العدو وتقولوا : إننا مسلمون متوكلون على الله وسيكفينا الله شرهم ، وهذا لا يجوز . فلا يجوز الغفلة وإهمال شأن العدو ، بل لا بد من ترصد أحواله ودراسة أموره وإعداد العدة لجهاده . ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (٣) ، بمعنى : احذروا عدوكم . وأخذ الحذر سبب من الأسباب بعد التوكل على الله - سبحانه وتعالى - فالواجب على المؤمن أن يجمع بين التوكل على الله وفعل الأسباب النافعة ، ولا يركن إلى أحد الأمرين . ولما خرج النبي ﷺ وأصحابه لغزوة حنين بعد فتح مكة ، وكان مع النبي ﷺ جيوش كثيرة اجتمعت مع الرسول ﷺ معها قوة وسلاح وعتاد قال بعضهم : لن نغلب اليوم من قلة .

فلما التقى المسلمون والكفار حصل على المسلين ما حصل في أول القتال وحصل عليهم من المضايقات ، ومن العدو عليهم وخديعته لهم - الخديعة الحربية - حيث إن العدو أمهلهم حتى دخلوا في الوادي ، ثم انقض عليهم وسد عليهم خط الرجعة وحصل على المسلمين ما حصل بسبب الإعجاب بالكثرة ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ

(١) سورة النساء آية : ١٠٢ .
(٢) سورة النساء آية : ١٠٢ .
(٣) سورة النساء آية : ١٠٢ .

مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [(١)] .

ولما أعجبتهم كثرتم أدبم الله - سبحانه وتعالى - وهم عباده المؤمنون مما يدل على أن الإنسان لا يعتمد على السبب ، أو يعجب بقوله ، أو يعجب بسلاحه دون أن يتوكل على الله - سبحانه وتعالى - أولًا وقبل كل شيء ، ثم إعداد العدة الصالحة وبذين الأمرين لن يُغلب المسلمون بإذن الله - عز وجل .

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار - عليه الصلاة والسلام - قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قال الله للنار : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [(٢)] .

وهذا بسبب توكله على الله ﷻ وتفويضه الأمر إلى الله ﷻ وتوكله عليه ، وهو في هذه الحالة لا يملك غير التوكل ، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [(٣)] .

فالنار التي كانت تسقط الطير من جو السماء من حرارتا وعظمتها ، قال الله لها : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [(٤)] ، وصارت روضة خضراء .

وجاء في الحديث : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حينما ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حينما قالوا له : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [(٥)] [(٦)] مما يدل على عظم التوكل ، وأنه ما أمر به من اتخاذ الأسباب .

---

(١) سورة التوبة آية : ٢٦ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٦٩ .
(٣) سورة الطلاق آية : ٣ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٦٩ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٧٣ .
(٦) (انظر تفسير الطبري (٣ / ١١٨) وما بعدها) .

والنبي ﷺ وهو سيد المتوكلين على الله كان يأخذ بالأسباب فكان يجيش الجيوش ، ويعد السلاح ، ويأخذ الزاد في السفر ، وكان ﷺ يلبس الدروع من الحديد على جسمه ، وفي غزوة الخندق ظاهر بين درعين مع أنه رسول ، الله قادر على أن يحميه ، ولكن الله أمره باتخاذ الأسباب [1] فعلى المسلم أن يتفقه في هذا الأمر ؛ لأن بعض الناس ربما يفهم معنى أسباب أن الله - سبحانه وتعالى - يكفيه ما أهمه فمن فوض حق لكل ، ثم ينتظر النتيجة هذا ليس بصحيح .

ثمرات التوكل على الله تعالى

وأما ثمرات التوكل على الله فهي كثيرة ، أعظمها أن الله - سبحانه وتعالى - يكفيه ما أهمه ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [2] ، فمن فوض أمره إلى الله واعتمد على الله وحده ، واعتقد أنه لا يجلب الخير ، ولا يدفع الضر إلا الله - سبحانه وتعالى . ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [3] يعني : فهو كافية يكفيه من جميع المحاذير لأن الجزاء من جنس العمل ، فكلما توكلت على الله حق توكله جازاه الله بأن كان حسبه الذي يتولى شؤونه . فالله - جل وعلا - يتولى شؤونه ، ولا يكله إلى غيره ، فهذا أعظم ثمرات التوكل ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [4] وقال : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾ [5] . أي كافيك . . . ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [6] .

---

(١) (انظر (سنن أبي داود) برقم (٢٥٩٠) ، من حديث السائب بن يزيد عن رجل قد سماه ، ورواه الإمام أحمد (٤٤٩/٣) . وابن ماجه برقم (٢٨٠٦) ، كلاهما من حديث السائب . ورواه الحاكم في (مستدركه) (٢٥/٣) ، من حديث الزبير) .

(٢) سورة الطلاق آية : ٣ .

(٣) سورة الطلاق آية : ٣ .

(٤) سورة الأنفال آية : ٦٤ .

(٥) سورة الأنفال آية : ٦٢ .

(٦) سورة الأنفال آية : ٦٢ .

فالحاصل : أن أعظم ثمرات التوكل على الله أن الله يكون حسبًا أي كافيًا للمتوكل عليه ؛ ولهذا ذكر الله عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه : ﴿ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [(١)] وقال عن نبيه هود عليه السلام : ﴿ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(٢)] .

وقال عن نبيه شعيب عليه السلام : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [(٣)] .

وقال عن نبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [(٤)] .

فأخبر سبحانه عن هؤلاء الرسل الكرام أنهم تحدوا أقوامهم وآلهتهم أن تضرهم بشيء ؛ لأنهم متوكلون على الله ﷻ ومن توكل على الله كفاه ، ومن ثمرات التوكل استجلاب محبة الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [(٥)] . فمن توكل ، فإن الله يحبه ، وإذا أحبه الله سعد في الدنيا والآخرة بأن يكون من أحباب الله وأوليائه .

ومن ثمرات التوكل على الله - جل وعلا - : أن الإنسان يقدم على فعل ما ينفع ، ولا يهاب ، ولا يخاف إلا من الله - سبحانه وتعالى - : فالمجاهدون الذين يجاهدون في المعارك مع الكفار ، إنما فعلوا هذا ؛ لأنهم متوكلون على الله - سبحانه وتعالى -

---

(١) سورة يونس آية : ٧١ .
(٢) سورة هود الآيات : ٥٤ - ٥٦ .
(٣) سورة هود آية : ٨٨ .
(٤) سورة الأعراف الآيات : ١٩٥ - ١٩٧ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

فأكسبهم التوكل شجاعة وقوة هانت أمامهم كل المصاعب ومل المساق ، وتلذذوا بالموت في سبيل الله ﷻ ونالوا الشهادة في سبيل الله . كل هذا بسبب التوكل على الله - سبحانه وتعالى - .

ومن ثمرات التوكل على الله - جل وعلا - : أنه ينشط على طلب الرزق ، وعلى تحصيل العلم ، وعلى الأمور النافعة ، فإن المتوكل على الله يمضي ويتشجع في طلبه للأمور النافعة ؛ لأنه يعلم أن الله - سبحانه وتعالى - مع المتوكلين ، وأنه ينصر المتوكلين فيمضي في جميع أموره النافعة في الدين والدنيا ، ولا يتكاسل ، أو يكون مع الخاملين ؛ ولذلك كان الصحابة رضي الله أشجع الناس لتحقيقهم التوكل على الله - سبحانه وتعالى - حتى فتحوا المشارق والمغارب . فتحوا البلاد بجهادهم وفتحوا القلوب بدعوتم إلى الله ﷻ ؛ لأنم متوكلون على الله معتمدون على الله ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [(١)] فهم لا يخافون في الله لومة لائم ؛ لأنم معتمدون على الله ﷻ كل الاعتماد ويفوضون إليه أمورهم كل التفويض ، ولا يلتفتون إلى غيره ، رضي الناس ، أو سخطوا ، ما داموا في رضا الله - عز وجل .

وفي الحديث : ﴿ من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضي الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ﴾ [(٢)] [(٣)] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٥٤ .

(٢) الترمذي الزهد (٢٤١٤) .

(٣) (رواه ابن حبان (١/٤٣٥) ، والترمذي برقم (٢٤١٤) بنحوه ، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها ، ورواه غيرهما) .

فالاعتماد على الله والتوكل على الله وتفويض الأمور إلى الله عز وجب أساس التوحيد وأساس العمل الخير ؛ ولهذا جعله شرطًا في الإيمان قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(1)] .

بقيت مسألة تتعلق بذا الباب ، وهي مسألة التوكيل : هل إذا وكلت أحدًا في تحصيل أمر من أمورك في شراء سلعة لك ، أو استئجار شيء لك ، أو في خصومة عنك ، هل معنى ذلك أنك توكلت على غير الله ؟

لا ، ليس الأمر كذلك .

الوكالة غير التوكيل . التوكل : هو الاعتماد والتفويض ، وهذا لا يكون إلا لله - سبحانه وتعالى . أما التوكيل : فهو إنابة للغير في تحصيل مطلب من المطالب المباحة التي يقدر على تحصيلها ، فهذا سبب من الأسباب ، فأنت توكل الوكيل من باب السبب وتتوكل على الله - سبحانه وتعالى - في حصول المقصود من باب العبادة ، ولا تتوكل على الوكيل ، وإنما تتوكل على الله .

فتوكيل الغير في بعض التصرفات لا يخل بالعقيدة ، وليس هو توكل على غير الله ، وإنما هو تعلون على المطالب ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [(2)] .

فالوكيل إنما هو معين للموكل قائم مقامه وسبب من الأسباب ، فكما أن مباشرته للفعل سبب فكذلك مباشرة وكيله سبب من الأسباب ، ولا يدخل هذا في باب التوكل على غير الله - سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٣ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢ .

هذا وأسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من المتوكلين على الله حق توكله الذين يعملون بالأسباب النافعة ، ويتوكلون على ربهم ، ولا يعتمدون على غيره ، ولا يفوضون أمورهم إلى سواه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحاضرة الأربعون
الوسطية عند أهل السنة والجماعة

وسطية المسلمين بين غلو النصارى وتساهل اليهود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أفضل كتبه ، وشرع لنا أفضل شرائع دينه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعاملين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بديه واقتفى أثره وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (١) .

في هذه الآية الكريمة يبين الله - سبحانه وتعالى - فضله على هذه الأمة ، وأنه اختارها من بين سائر الأمم وجعلها خير أمة أخرجت للناس وجعل لها من الفضائل والمكانة بين الأمم ما أهلها للشهادة على الأمم ، ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٢) يعني : عدولًا خيارًا ؛ لأن الشاهد يشترط فيه العدالة والخيرية وهذه الأمة يستشهدها الله - جل وعلا - يوم القيامة على الأمم في أنا قد بلغتها رسالات الأنبياء وقامت عليها الحجة . وإن أنبياءها بلغوها عن الله - سبحانه وتعالى - ويكون هذا الرسول محمد ﷺ مزكيا لهذه الأمة في شهادتا ، كما قال : ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (٣) .

فهذه م لة عظيمة لهذه الأمة مع أنا آخر الأمم ، ولكن بما أعطاها الله من العلم فيما أنزله على نبيها محمد ﷺ فإنا علمت ما سبقها من أحوال الأمم وما جاءت به الرسل ؛ لأن هذا القرآن اشتمل على علم ما كان وما سيكون من أحوال الناس منذ خلق الله آدم

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٤٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

عليه السلام إلى أن تقوم الساعة بما قصه الله - سبحانه وتعالى - في هذا القرآن مما جرى بين الرسل وأممهم وما بلغت الرسل لأممهم وما قابلت الأمم رسلهم به من العناد والمكابرة . فهذه الأمة شهدت على الأمم بأن رسلها عليهم الصلاة والسلام بلغوها وأقاموا عليها الحجة فكان كفرهم وإعراضهم ، إنما هو من باب العناد لا من باب الجهل فاختيار الله لهذه الأمة الشهادة في هذا الموقف العظيم دليل على فضلها وخيريتها ، وإنا وسط بين الأمم ، والوسط : بفتح الواو ما كان بين طرفين فهو الوسط ، وذلك لأن الأطراف عرضة للآفات بخلاف الوسط ؛ لأنه يكون سالمًا من الآفات ، ولهذا يقول الشاعر :

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت   بها الحوادث حتى أصبحت طرفًا

فالطرف معرض للإصابات والآفات . أما الوسط فإنه يكون سالمًا ، فكذلك هذه الأمة - ولله الحمد - كانت سالمة مما أصاب الأمم قبلها من آفات الكفر والشرك والإلحاد والكبر ، وكانت موفقة لإتباع نبيها والإيمان بكل الرسل الذين أرسلهم الله - سبحانه وتعالى - والإيمان بكل الكتب ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (١) .

فهذه الأمة تؤمن بجميع الرسل وتؤمن بجميع الكتب خصوصا بكتابا الذي أنزله الله على رسولها وتتمسك به وتتبعه بخلاف كثير من الأمم السابقة فإنم يفرطون فيما أنزل الله عليهم ويقابلون ما نزل الله عليهم إما بالجحود والتكذيب وإما بالتحريف والتبديل والتغيير .

(١) سورة البقرة الآيتان : ١٣٦ - ١٣٧ .

أما هذه الأمة - ولله الحمد - فإنا حافظت على كتابا ، تمسكت به وتعلمت ما فيه وعملت بما فيه ، فلذلك صارت خير الأمم ، فكانت هذه الأمة وسطًا بين الأديان ، فدين الإسلام وسط بين الأديان ، وأمة الإسلام وسط بين الأمم : وسط بين الإفراط والتفريط ، بين الغلو والجفاء ، فهي أمة معتدلة ليس فيها إفراط وغلو وليس فيها تفريط وإهمال . هذه صفة هذه الأمة . ففي حق الرب - سبحانه وتعالى - كانت هذه الأمة وسطا بين اليهود والنصارى . فاليهود شبهوا الله بالمخلوقين تعالى الله عن ذلك ، فقالوا : يد الله مغلولة ، أي : وصفوا الله بالبخل . وقالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء . . . إلى غير ذلك من مقالاتم الخبيثة ، فشبهوا الله بالخلق في الصفات المذمومة .

وأما النصارى فهم شبهوا المخلوق فشبهوا المسيح عيس ابن مريم عليه الصلاة والسلام بالله وجعلوا له من صفات الربوبية ما اتخذوه به ربًا وإلهًا ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ (1) .

وقالوا : أن الله ثالث ثلاثة ، تعالى الله عما يقولون ، فهم شبهوا المخلوق بالخالق واتخذوه ربًا يعبدونه ويصرحون بأنه الرب يسوع ، ولا يزالون على ذلك يعتقدون أن المسيح هو الله ، أو ابن الله ، وأنه الرب ويعبدونه من دون الله ﷻ كما صرح بذلك القرآن الكريم عنهم وكما عليه حالهم التي لا يزالون عليها ، فالذي يستمع إلى إذاعاتم التي يسمونا : صوت الإنجيل ، أو غيرها يسمع الكفر البواح والغلو في المسيح عليه الصلاة والسلام الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (2) .

---

(1) سورة المائدة آية : ٧٢ .

(2) سورة المائدة آية : ٧٢ .

والمسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنكر عليهم أن يعبدوه من دون الله تعالى وقال : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] .

وقال الله تعالى في المسيح : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [3] ، فهو عبد ورسول وليس ربًا . والمسلمون وسط بين اليهود والنصارى في حق الرب وما يجب له - سبحانه وتعالى - في هونه عما فعل اليهود من تشبيه بالمخلوقين وي هونه عما فعله النصارى من تشبيه المخلوقين به - سبحانه وتعالى - ويعتقدون أن الله - سبحانه وتعالى - هو الرب المعبود وحده لا شريك له الخالق الرازق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأنه لا يشبه أحدًا من خلقه ، ولا يشبهه أحد من خلقه ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [4] .

وكذلك عقيدة المسلمين في الرسل وسط بين غلو النصارى وجفاء اليهود . فاليهود جفوا في حق الرسل فآمنوا ببعضهم وكفروا ببعضهم وأساءوا الأدب مع الرسل حتى مع نبيهم كليم الله موسى عليه السلام ، كما قص الله مواقفهم معه وأذاهم له في كثير من المواقف ، وكيف يقابلون كليم الله موسى عليه السلام بالجفاء والتكبر . من ذلك أنه لما أمرهم بالجهاد في سبيل الله في تخليص بيت المقدس من الكفار : ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٢) سورة مريم الآيات : ٣٠ - ٣٢ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٥٩ .
(٤) سورة الشورى آية : ١١ .
(٥) سورة المائدة آية : ٢٢ .

يا سبحان الله إذا خرجوا منها هم فليس لكم فضل ، إنما المطلوب أن تجاهدوهم حتى يخرجوا ، ثم انتهى أمرهم إلى أن قالوا لموسى عليه السلام : ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [1] . هذا ما قالوه لنبيهم : ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [2] قالَ وكذلك مع بقية الأنبياء أساءوا الأدب ، جفوا في حق الأنبياء وقتلوا من قتلوا من الأنبياء : ﴿ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [3] ، ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾ [4] .

فريق من الرسل كذبوهم وجحدوا رسالتهم وفريق من الرسل قتلوهم كما قتلوا زكريا عليه السلام وقتلوا ابنه يحيى عليه الصلاة والسلام ، وهموا وحاولوا قتل المسيح عليه الصلاة والسلام ومكروا لقتله ، فرفعه الله ﷻ وخلصه من بين أيديهم ، وحاولوا مرارًا قتل محمد ﷺ ولكن الله عصمه منهم ، هذا موقف اليهود من الأنبياء ، وهو موقف لا يزال .

وأما النصارى فإنهم غلوا في حق الأنبياء حتى اعتقدوا من ليس برسول رسولًا ، فاعتقدوا أن أتباع المسيح من الحواريين وغيرهم رسل ويسمونهم بالرسل ، الرسول بولس والرسول متى ، فيطلقون اسم الرسالة على غير الرسل ، هذا غلو حيث إنهم منحوها من ليس برسول ، وغلوا في حق المسيح كما مر قريبًا حتى جعلوه ربًا يعبد من دون الله . وحتى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا ، جعلوا لهم حق التشريع والتحليل والتحريم من

(١) سورة المائدة آية : ٢٤ .
(٢) سورة المائدة آية : ٢٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٤) سورة البقرة آية : ٨٧ .

باب الغلو ، قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] .

هذا موقف النصارى من الرسل الغلو في مقابل موقف اليهود ، وهو الجفاء في حق الرسل والاستكبار والعناد والأذى للرسل لم يسلم رسول حتى نبيهم موسى عليه السلام لم يسلم من أذاهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [2] .

أما المسلمون - والحمد لله - فموقفهم من الرسل هو الوسط : يؤمنون بجميع الرسل خلافًا لليهود ، ولكن لا يغلون فيهم خلافا للنصارى ، وإنما يعتقدون أنهم عباد من عباد الله ، وأنهم رسل من عند الله ﷻ كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [3] .

هذا موقف المسلمين من الرسل الإيمان برسالتهم - خلافًا لليهود الذين كفروا بكثير منهم - واحترامهم وإجلالهم ، خلافًا لليهود الذين آذوهم وتنقصوهم ، ولكن من غير غلو ، ومن غير أن يرفعوهم إلى مرتبة الرب - سبحانه وتعالى - خلافا للنصارى ، وأنهم لا يعتقدون نبوة أحد إلا من أرسله الله - سبحانه وتعالى - فلا يتخذون العلماء والأحبار والرهبان يتخذونهم مشرعين يحللون ويحرمون من غير دليل من كتاب الله ، هذا موقف المسلمين - ولله الحمد - وهو موقف الوسط من الرسل خصوصًا في عيسى عليه السلام ، فاليهود جفوا في حقه وجحدوا رسالته وقالوا فيه ، وفي أمه قولًا شنيعا قبحهم الله . والنصارى غلوا فيه حتى عبدوه من دون الله . المسلمون يقولون : المسيح عبد الله ورسوله

---

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٩ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فلم يجفوا في حقه جفاء اليهود ، ولم يغلوا في حقه غلو النصارى ، وإنما اعتقدوا فيه ما يليق به أنه رسول الله خلاقًا لليهود ، وعبد الله خلاقًا للنصارى الذين يزعمون أنه ابن الله وليس عبد الله ، تعالى الله عما يقولون ، وكذلك في العبادة المسلمون وسط بين اليهود وبين النصارى ، فاليهود عندهم التفريط بالعبادات والكسل عن العبادات والتحلل من الشرع والميل إلى الإباحية ، هذه صفة اليهود مع الشريعة التفريط والإهمال والكسل ، وأنم لا يتقربون إلى الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة إلا بال ر اليسير ، وعلى غير الوجه المشروع ، والنصارى غلوا في العبادة حتى أحدثوا رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم . فالرهبانية هي إفراط وغلو في العبادة حتى تركوا ما أباح الله تقربًا إلى الله - سبحانه وتعالى - وحتى شددوا على أنفسهم واعتزلوا في الصوامع وتركوا مصالح الدنيا والدين ، بزعمهم يتفرغون للعبادة حتى الزواج لا يتزوجون ، ولا يأكلون الطيبات ، فهم شددوا على أنفسهم في العبادة ، فهم على طرف نقيض مع اليهود ، أولئك فرطوا وهؤلاء أفرطوا ، أما المسلمون - ولله الحمد - فهم وسط في العبادة لله لا يفرطون فيها كما فرطت اليهود ، ولا يغلون فيها كما غلت النصارى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ (1) .

فالغلو سمة النصارى ، والتساهل في العبادة سمة اليهود ، المسلمون متوسطون فلا غلو كغلو النصارى ، ولا تساهل وتفريط كتساهل اليهود وتفريطهم ، بل معتدلون في العبادة بين التشدد والتنطع وبين الإهمال والتفريط هذه صفة المسلمين في العبادة على طريقة نبيهم محمد ﷺ حينما قال : « أما أنا فأصلي ، وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وآكل اللحم ، ومن رغب عن سنتي فليس مني » (2) (3) هذه صفة المسلمين يتمتعون بما أحل الله من الطيبات ، ولا يشقون على أنفسهم في العبادات ، وإنما يتوسطون بين الإفراط

(1) سورة النساء آية : ١٧١ .

(2) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٢٨٥/٣) .

(3) (انظر : (مسند الإمام أحمد) (٢٥٩/٣)) .

والتفريط ؛ لأن دينهم دين الاعتدال ودين الوسطية ، وفي الأحكام أحكام الحلال والحرام المسلمون ووسط بين اليهود والنصارى ، فاليهود تشددوا في التحريم حتى حرموا طيبات أحلت لهم ، حرموا على أنفسهم الطيبات ، والنصارى تساهلوا في التحريم حتى استباحوا الخ ير واستباحوا المحرمات وتعبدوا لله بالنجاسات ، فأفضل عابد عندهم هو أقذر رجل وأوسخ رجل الذي لا يترفع عن النجاسات هذا عند النصارى .

أما اليهود فإنم كانوا لا يساكنون الحائض ، ولا يواكلونا ، ولا يشاربونا ، والنصارى لا يستأنفون من القاذورات والنجاسات والأوساخ ، ويتقربون إلى الله بذلك ، فأفضلهم عندهم أكثرهم وساخة وملابسة للنجاسات والقاذورات ، حتى إنم يأكلون أخس الحيوانات وأقبح الحيوانات ، وهو الخ ير ، هذه صفة النصارى في التحليل والتحريم ، وعلى عكسهم اليهود تشددوا حتى إن أحدهم إذا أصابت ثوبه النجاسة لا يغسلها بالماء ، وإنما يشق الثوب الذي فيه النجاسة ويفسد الثوب يعتقدون أن الماء لا يطهر النجاسة فيشقونا من الثوب .

أما المسلمون فإنم وسط في الحلال والحرام بين تشدد اليهود وتساهل النصارى ، فهم لا يحرمون إلا ما حرم الله ورسوله ، أما النصارى فإنم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، والمسلمون لا يعتزلون الحائض ويأكلون مما طبخت ويلبسون ما غسلت وما لمست إلا أن الله حرم على زوجها الجماع في الفرج وأباح مباشرتا والنوم معها ، ﴿ وكان النبي ﷺ يأمر عائشة ، وهي حائض فتتزر فيباشرها وينام معها ﷺ ﴾ [(1)] قال تعالى : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾ [(2)] ، يعنى : في الفرج ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾ [(3)] يعني : بالجماع ﴿ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ ﴾ [(4)] ولما سئل النبي ﷺ عما يحل من

---

(1) مالك الطهارة (١٢٦) ، الدارمي الطهارة (١٠٣٢) .
(2) سورة البقرة آية : ٢٢٢ .
(3) سورة البقرة آية : ٢٢٢ .
(4) سورة البقرة آية : ٢٢٢ .

الحائض قال : ﴿ اصنعوا كل شيء إلا النكاح ﴾ [(١)] [(٢)] يعني : في الفرج ، فهذا من وسطية الإسلام في الأحكام الشرعية ، الثوب إذا أصابته النجاسة لا نتساهل كتساهل النصارى ، ولا نبالغ ، ولا نتشدد تشدد اليهود حتى نقطع النجاسة من الثوب ونشقه ، وإنما نغسل الثوب بالماء والحمد لله ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [(٣)] ، ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [(٤)] ، فيغسلون النجاسة من الثوب ويلبسونه ويستعملونه هذا من وسطية الإسلام .

ولله الحمد ما جعل على المسلمين في الدين من حرج ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾ [(٥)] .

وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام

فهذه وسطية المسلمين بين الأمم وكذلك في الإسلام ، فأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام كالخوارج والمعتزلة والقدرية والشيعة فهم وسط بين الفرق الضالة بين المفرطين المضيعين وبين المفرطين المغالين ، كما أن الإسلام وسط بين الأمم الكافرة ، ففي أسماء الله وصفاته أهل السنة والجماعة وسط بين المعطلة الذين نفوا أسماء الله وصفاته من الجهمية وغيرهم وبين الممثلة المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه . فأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من

---

(١) مسلم الحيض (٣٠٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٧٧) ، النسائي الحيض والاستحاضة (٣٦٩) ، أبو داود النكاح (٢١٦٥) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٤٤) ، أحمد (١٣٣/٣) ، الدارمي الطهارة (١٠٥٣) .

(٢) (رواه مسلم برقم (٣٠٢)) .

(٣) سورة الفرقان آية : ٤٨ .

(٤) سورة الأنفال آية : ١١ .

(٥) سورة الحج آية : ٧٨ .

غير تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ، على حد قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1] .

ففي قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ [2] رد للتشبيه والتمثيل ، وفي قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [3] رد للتعطيل ، حيث أثبت لنفسه السمع والبصر وسمى نفسه بالسميع والبصير ، وأهل السنة والجماعة يتخذون من هذه الآية وأمثالها ميزانًا يسيرون عليه ، وهو ميزان الاعتدال بين الجفاء في الأسماء والصفات وتعطيلها ، وبين الإفراط في إثباتا وتشبيهها بصفات المخلوقين فهم يعتقدون أن لله أسماء وصفات يليقان به - سبحانه وتعالى - لا يشبه فيهما أحد من خلقه ، وهذا هو موقف الاعتدال بين المعطلة والممثلة ، وفي القضاء والقدر هم وسط بين الجبرية والقدرية ، الجبرية : الذين يغالون في إثبات القدر حتى يسلبوا العبد فعله واختياره ويجعلونه مجبرًا على أفعاله ليس له فيها اختيار ، ولا مشيئة ، وإنما هو كالآلة التي تحرك بدون اختيارها ، هذا مذهب الجبرية من الجهمية وغيرهم ، وبين مذهب القدرية : الذين يغالون في قدرة العبد ومشيئته ويجحدون قدرة العبد الله ومشيئته وتقديره للأفعال والأعمال ويقولون : إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه بدون أن يكون لله في ذلك تقدير سابق ، أو كتابة في اللوح المحفوظ ، وإنما هو شيء العبد يفعله مستقلًا هذا مذهب القدرية . وأهل السنة والجماعة الوسط بين الفريقين ، فهم لا يغالون في إثبات مشيئة الله وقدرته غلو الجبرية فينفوا أفعال العبد ، ولا يغالون في إثبات أفعال العبد غلو القدرية فينفوا مشيئة الله وقدرته ، وإنما يقولون : العبد يفعل باختياره ومشيئته ولكنه لا يخرج عن مشيئة الله وقدره وقضائه ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

(٤) سورة التكوير الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .

فالله أثبت للعبد مشيئة وقدرة واختيارًا وأرجع ذلك وربطه بمشيئته - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ [(١)] رد على الجبرية ، ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [(٢)] رد على القدرية .

وأهل السنة والجماعة وسط في نصوص الوعد والوعيد وأصحاب الكبائر بين المرجئة وبين الخوارج والمعتزلة ، فالمرجئة : يأخذون بنصوص الوعد ويتركون نصوص الوعيد ، ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، فالمعاصي عندهم أمرها سهل مادام العبد يؤمن بربه يقولون : لا تضره المعاصي أخذًا بنصوص الوعد التي فيها : أن الله غفور رحيم ، وأن الله تواب ، وأن الله رؤوف بعباده ، فيأخذون بذه النصوص وينسون أن الله - سبحانه وتعالى - يغضب على من عصاه فهم يأخذون بطرف من الأدلة ويتركون الطرف الآخر ، والله جمعهما في آية واحدة ، كقوله : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [(٣)] .

فهو مع كونه غافر الذنب وقابل التوبة هو أيضًا شديد العقاب لمن عصاه ، لكن المرجئة أخذوا بالطرف الأول غافر الذنب وقابل التوبة وتركوا شديد العقاب وقالوا : مادام الإنسان مؤمنًا فمهما عمل من المعاصي والكبائر فإنه كامل الإيمان ، ولا تضره المعصية ، أما الخوارج والمعتزلة فهم على النقيض من المرجئة أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد فأخذوا بقوله تعالى : شديد العقاب . . وقوله : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٤)] فأخذوا نصوص الوعيد وقالوا : أن مرتكب الكبيرة كافر خالد مخلد في النار بدليل قوله : ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [(٥)] ودليل قوله : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٦)] .

---

(١) سورة التكوير آية : ٢٩ .
(٢) سورة التكوير آية : ٢٩ .
(٣) سورة غافر آية : ٣ .
(٤) سورة الجن آية : ٢٣ .
(٥) سورة غافر آية : ٣ .
(٦) سورة الجن آية : ٢٣ .

فهذا فيه أن جميع العصاة أنم في نار جهنم خالدين فيها أبدًا ونسوا أن الله - جل وعلا - يغفر لمن يشاء من أهل الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] .

فالمؤمن السالم من الشرك والكفر إذا فعل كبيرة من كبائر الذنوب فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له خلافًا للوعيدية الذين يقولون : أن الله لا يغفر له . ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [2] ، رد على المرجئة ؛ لأن مرتكب الكبيرة معرض للعقوبة ، لكن إن شاء الله عاقبه وإن شاء غفر له ، وإذا عاقبه فإنه لا يخلده في النار ؛ لأنه لا يخلد في النار إلا الكافر أما المؤمن فإنه أن دخل النار بذنوبه فانه يخرج منها ، ولا يخلد فيها بدليل قول النبي ﷺ أن الله جل وعلا يوم القيامة يقول : ﴿ أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان ﴾ [3] [4] فالمؤمن الذي يرتكب الكبيرة معرض للعقوبة وإن شاء الله غفر له ، ولم يعاقبه وإن شاء عاقبه ولكنه لا يخلد في النار ، بل هو موعود أن يخرج من النار ، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر . هذا مذهب أهل السنة والجماعة الوسط في أن مرتكبي الكبائر من المؤمنون أنم لا يكفرون خلافًا للخوارج ، وأنم عرضة للعقاب خلافًا للمرجئة فهم جمعوا بين النصوص وعملوا بـا كلها فبذلك صاروا وسطًا في هذا الباب بين الوعيدية وبين المرجئة ، وكذلك أهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الخوارج وبين الرافضة والشيعة ، فالخوارج كفّروا كثيرًا من الصحابة بناء على مذهبهم الفاسد في نصوص الوعيد ، وأصحاب رسول الله ﷺ هم أفضل الأمة وإذا صدر من أحدهم خطأ فإنم أقرب إلى مغفرة الله من غيرهم من العصاة ؛ لفضلهم وسبقهم ،

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) سورة غافر آية : ٣ .

(٣) البخاري الإيمان (٢٢) ، مسلم الإيمان (١٨٣) .

(٤) (أخرجه البخاري (١|١١)) .

قال تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ ﴾ [(١)] .

أما الرافضة فإنهم غلوا في على بن أبي طالب ، حتى إن منهم من اعتقد أنه هو الله وهم الشيعة الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار ، أمر بالأخاديد فحفرت وأضرم النيران ، ثم ألقاهم فيها وهم أحياء ؛ غضبًا لله - سبحانه وتعالى - وأقر الصحابة عليًا على قتلهم إلا أنهم يقولون : إنه لو قتلهم بالسيف لكان أحسن من قتلهم بالنار ؛ لأن النبي ﷺ يقول : ﴿ لا يعذب بالنار إلا رب النار ﴾ [(٢)] [(٣)] لكنهم وافقوا على كفرهم ، وعلى قتلهم ، وكثير من الروافض لا يعتقدون أن عليًا إله ، ولكن يقولون : هو أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان ، وأن هؤلاء مغتصبون للخلافة وظلموا عليًا في أنهم أخذوا الخلافة قبله وكان هو الوصي من رسول الله ﷺ وكل هذا كذب ، فالخليفة بعد رسول الله ﷺ بإجماع المسلمين هو أبو بكر ، ثم علي بن أبي طالب ، وهو الخليفة الرابع ، هذا موقف أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله ﷺ فهم يعتقدون فضلهم وسابقتهم ، وأنهم أفضل الأمة ؛ لقوله ﷺ : ﴿ خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ﴾ [(٤)] [(٥)] .

قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [(٦)] . . . إلى قوله تعالى : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٧ .

(٢) أبو داود الجهاد (٢٦٧٣) ، أحمد (٣/٤٩٤) .

(٣) (أخرجه الإمام أحمد (٣/٤٩٤) ، وأبوا داود برقم (٢٦٧٣)) .

(٤) البخاري الشهادات (٢٥٠٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٢) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٩) ، أبو داود السنة (٤٦٥٧) ، أحمد (٤/٤٢٧) .

(٥) ((رواه البخاري (٣/١٥) ، ومسلم برقم (٢٥٣٥)) ، وقوله (لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدًا ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه) ((رواه البخاري (٤/١٩٥) ، ومسلم (٢٥٤٠ ، ٢٥٤١)) .

(٦) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٧) سورة الفتح آية : ٢٩ .

فموقف الرافضة من صحابة الرسول ﷺ التكفير والتنقص والطعن فيهم ، ويعتقدون ذلك من أفضل القربات قبحهم الله . أما أهل السنة والجماعة فإنم يحبون كل الصحابة وأهل البيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعباس وأهل البيت وغيرهم من الصحابة ؛ لما جاء في الكتاب والسنة من فضلهم وسابقتهم والنهي عن تنقصهم والأمر بالاقتداء بم واتباعهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)] .

فأهل السنة والجماعة يحبونم كلهم ويتولونم كلهم لا يفرقون بينهم ويعتقدون فضلهم وسابقتهم ، وأنم صحابة الرسول ﷺ وأن فضائلهم كثيرة في كتاب الله ، وأن أحدًا لا يمكن أن يصل إلى درجتهم مهما بلغ من الأعمال الصالحة فلا يمكن أن يلحق بالصحابة أبدًا ﴿ لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه ﴾ [(٢)] .

فأهل السنة والجماعة يخالفون الخوارج الذين يكفرون كثيرًا من الصحابة ، ويخالفون الشيعة الذين يغلون في علي رضي الله عنه وينتقصون غيره من الصحابة ، هذه وسطية الفرقة الناجية : أهل السنة والجماعة بين فرق الضلال من الخوارج والمرجئة والشيعة والقدرية ، وبذا صاروا الأمة الوسط ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [(٣)] .

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعلنا من هذه الأمة الوسط ، وأن يوفقنا وإياكم لقول الحق والعمل به ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

(٢) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) ، أحمد (٥٥/٣) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

الأسئلة الواردة على موضوع المحاضرة

وسطية من كان على مذهب أهل السنة والجماعة
من الفرق المنتشرة التي تنتسب إلى الإسلام

وفي نهاية هذه المحاضرة أجاب فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان على أسئلة الحضور حيث كانت على النحو التالي :

س١ : هذا سائل يقول : هل الطوائف المنتشرة في البلاد الإسلامية تعتبر وسطًا ، حيث إنا ندعي الإسلام وداخلة ضمن قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [(١)] **علمًا أن منهم من يطوف على القبور ، ومنهم من يقوم بالموالد وغير ذلك ؟**

ج١ : الفرق المنتشرة الآن في الأرض التي تنتسب إلى الإسلام لا يكون منها وسطًا إلا من كان على مذهب أهل السنة والجماعة ، فمن كان على مذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل والأخلاق فإنه يكون من الأمة الوسط ، ومن كان على غير مذهب أهل السنة والجماعة فإنه لا يكون من الأمة الوسط ، بل يكون عنده من الانحراف والضلال بحسب ما عنده .

الفرق التي تغلو في القبور والاحتفال بالموالد والإسراء والمعراج

س٢ : هذا سائل يقول : لقد ابتلينا ببعض الفرق الإسلامية التي تغلو في القبور والاحتفال بالموالد والإسراء والمعراج ويدعون أنهم هم المحافظون على السنة وهم الأحباش ، فكيف يكون الرد عليهم وعلي بدعهم علمًا أن لهم انتشارًا في بعض البلاد الإسلامية ؟

ج٢ : أولًا : أحب أن أنبه أن القبوريين الذين يعبدون القبور ويستغيثون بالأموات ليسوا من المسلمين ، ولا من أمة محمد ﷺ وإنما هم من المشركين مثل أبي لهب وأبي جهل

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

وأضرابهم فلا يقال : إنهم من أمة محمد ، ولو كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويصومون ؛ لأنهم ناقضوا الشهادتين بالشرك ، ولا إله إلا الله محمد رسول الله ليستا مجرد لفظ يقال باللسان فقط ، وإنما لا بد من الالتزام بمعناهما ، وهو : إفراد الله - جل وعلا - بالعبادة وإفراد الرسول ﷺ بالمتابعة ، فالمعبود هو الله وحده ، والمتبع هو الرسول محمد ﷺ هذا معنى الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله . أما عن فرقة الأحباش التي تنتسب إلى عبد الله الحبشي فهذه فرقة ضالة جمعت ضلالات كثيرة من القبورية وتعطيل الأسماء والصفات ومخالفة مذهب أهل السنة والجماعة في كثير من الأمور ، فهي فرقة ضالة منحرفة والعياذ بالله جمعت بين ضلالات كثيرة من خبث الروافض ، ومن خبث القبوريين ، ومن خبث المعطلة ، فهي تجمع بين خليط من المذاهب المنحرفة الباطلة . فالواجب الحذر منهم والتحذير منهم ، ومن شرهم .

الجمع بين قوله تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾
وقوله : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

س٣ : هذا سائل يقول : كيف نجمع بين قوله تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (١) **، وبين قول الله** ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (٢) **؟**

ج٣ : التفريق ليس في التفضيل ، فالرسل بعضهم أفضل من بعض ، وهذا ليس من باب التفريق ، وإنما التفريق هو بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم هذا هو التفريق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .
(٣) سورة النساء الآيتان : ١٥٠- ١٥١ .

فالتفريق بين الرسل هو الإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم ، كما فعلت اليهود والنصارى ، أما الإيمان بجميعهم ، فهذا ليس فيه تفريق ، وأما تفضيل بعضهم على بعض بموجب الدليل ، فهذا ليس تفريقًا ، فالله - جل وعلا - هو الذي فضل بعضهم على بعض قال تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ (1) .

هذه فضائل جعلها الله لبعضهم على بعض فأصل الرسل الخليلان محمد ﷺ وإبراهيم ، ثم بقية أولي العزم الخمسة وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسي ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

موقف المسلمين من اليهود والنصارى

س٤ : هذا سائل يقول : هل من كلمة توجيهية للتعامل مع كل من اليهود والنصارى سواء كان في العمل ، أو إذا أصبحوا جيرانًا للمسلمين ، وهل نزورهم ونسلم عليهم ونأكل منهم ونتزوج ، أفتونا جزاكم الله خيرًا ؟

ج٤ موقف المسلمين من اليهود والنصارى أوضحه النبي ﷺ في السنة : أن المسلمين لا يحبون اليهود والنصارى في القلوب ، ولا يعينوهم على المسلمين ، ولا يتولونم ، قال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ ﴾ (2) ، يعني : في المحبة والنصرة ، بل والواجب العكس ، وهو جهادهم ، قال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (3) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .
(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .
(٣) سورة التوبة آية : ٢٩ .

هذا موقف المسلمين من اليهود والنصارى البغض والعداوة وعدم المناصرة على كفرهم ، ووجوب جهادهم إذا كان عند المسلمين مقدرة على جهادهم . أما التعامل الدنيوي في البيع والشراء والمعاهدات وتبادل السفراء فهذه أمور دنيوية لا بأس بها للمصالح ، فمصالح المسلمين تقتضي أنهم يستفيدون من التجارة مع الكفار والمعاهدة مع الكفار إذا كانت في صالح المسلمين ، والنبي ﷺ تعاهد مع اليهود في المدينة ، وفي خيبر وتعاهد مع المشركين في الحديبية قبل فتح مكة . فالمعاهدة معهم على ترك القتال إذا كان للمسلمين مصلحة في ذلك فلا مانع خصوصًا إذا كان في المسلمين ضعف فهم يتصالحون مع الكفار إلى حين أن يكون عند المسلمين قوة فيقاتلونهم ، كما فعل النبي - ﷺ . كذلك التجارة معهم بالبيع والشراء واستيراد البضائع واستيراد الأسلحة ، وهذا ليس عطاء منهم ، ولا منا منهم ، وإنما نشتريه بمالنا ومالهم فيه فضل ، ولا منة ، فهذا ليس من الموالات لهم ، وإنما هو من تحصيل المصالح ودفع المفاسد فينبغي أن يعرف هذا .

الآثار السيئة لما تبثه القنوات الفضائية من فساد للعقيدة

س٥ : هذا سائل يقول : لا يخفى على فضيلتكم ما تبثه القنوات الفضائية من فساد للعقيدة ، وذلك بتهوين الولاء والبراء ، وأن الأديان السماوية اليهودية والنصرانية والإسلام كلها أديان سماوية متقاربة ، وكذلك ما تبثه من فساد للأخلاق وكل ما يمت للدين بصلة نرجو من فضيلتكم توجيه نصيحة لمن أدخل هذه الأجهزة إلى منزله ؟

ج٥ : هذه أجهزة ، ومنها جهاز الدش أجهزة مدمرة - والعياذ بالله - تجلب لبيوت المسلمين الكفر والإلحاد ، وتجلب لهم الإباحية والعري وسوء الأخلاق ، وتجلب لهم كل شر ، فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه مسئول أمام الله عن نفسه وعن من هو في بيته من النساء والأطفال والذرية لا يجوز له أن يأتي بهذه الآلة ويتركها تصب في بيته ، أسواق الكفر والإلحاد من مختلف بلاد العالم فتكون مسارح أوروبا وأمريكا وغيرها

من بلاد الكفر كلها تقام في بيته ، يعني : أنه لا فرق من أنم يجيئون ويقيمون هذه الأشياء في بيتك ، أو أنا تأتي صورتا بواسطة هذه الآلات ، فإن الأثر واحد . الأثر والشر واحد فلا يجوز للمسلم أن يقيم هذه الآلة على سطحه . والواجب على من ابتلي با أن يبادر بتحطيمها لا بيعها ؛ لأنه حرام بيعها . آلة لهو عليه بتحطيمها ، والتوبة إلى الله ﷻ مما حصل ، وألا يعود إليها ، وأن يحذر المسلمين من شرها ، فهي وسيلة دمار ووسيلة خراب ، ولا يقول الإنسان : أنا مثل الناس ، هذا لا يجوز للمسلم أن يكون إمعة أن هلك الناس هلك معهم وإن صلح الناس صلح معهم ، الإنسان المؤمن ينجو بنفسه أولًا وبأولاده وذريته ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [1] . أنت تدخل النار في بيتك ، والله ﷻ يقول : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [2] أنت ما وقيت نفسك من النار ، بل أشعلتها في بيتك ، فليتق الله كل مسام ناصح لنفسه محتمل للأمانة أن يجعل هذه الآلة على سطحه ، بل عليه أن يبادر بإزالتها وتحطيمها والتوبة إلى الله منها .

س٦ : هذا سائل يقول : ما هو الفرق بين التمثيل والتشبيه ؟

ج٦ : التمثيل والتشبيه سواء ، وعطف بعضهما على بعض من عطف المترادف للتوضيح .

سب الدهر

س٧ : هذا سائل يقول : هل مسبة الدهر تعتبر من الشرك ، وكذلك قول العبد في اليوم الحار شديد الحر : هذا يوم سيئ وما أشبه ذلك ؟

ج٧ : نعم ، مسبة الدهر حرام وإذا اعتقد الإنسان أن الدهر هو الذي يحدث هذا الشيء الذي كرهه ، فإن هذا شرك ؛ لأنه اعتقد أن الدهر يشارك الله في إيجاد هذه

(١) سورة التحريم آية : ٦ .
(٢) سورة التحريم آية : ٦ .

الأشياء الحر ، أو البرد ، أو المصائب . أما إذا لم يعتقد ، فهذا اللفظ سيئ ومنهي عنه ، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه : ﴿ قال الله ﷻ : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار ﴾ [1] [2] وقال ﷺ : ﴿ لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر ﴾ [3] [4] بمعنى : أن الله هو الذي يتصرف ويدير الأمور ، وأن هذا الدهر مخلوق مدبر ليس له من الأمر شيء ، ولا يجوز للإنسان أن يقول : هذا يوم سيئ ، بل يقول : هذا يوم حر ، أو يوم برد ، أو فيه برد ، أو فيه حر ، أو ما أشبه ذلك ، ولا يسند السوء إلى اليوم إذا كان من باب الذم وإن كان من باب الوصف فقط ، فالله - جل وعلا - يقول : ﴿ فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ ﴾ [5] ، وصفها بالنحس هذا من باب الوصف لا من باب أنا هي التي تعمل ما يقع فيها .

عدم عذر الكافر بجهله إذا كان بلغته الدعوة وبلغته الرسالة

س٨ : هذا سائل يقول : ذكرتم في كتابكم حفظكم الله التعليق على [6] أن الكافر إذا كان جاهلًا فلا يعذر بجهله أرجو توضيح هذه العبارة ؟

ج٨ : نعم ، إذا كان بلغته الدعوة وبلغته الرسالة وبقي على كفره فإنه لا يعذر بجهله ؛ لأنه هو المهمل قال تعالى عن القرآن : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [7] ومن بلغه القرآن وسمعه ، أو قرأه قامت عليه الحجة ، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٥٤٩) ، مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، أبو داود الأدب (٥٢٧٤) ، أحمد (٢٣٨/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٦) .

(٢) (رواه البخاري (٤١/٦)) .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٥٤٩) ، مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، أبو داود الأدب (٥٢٧٤) ، أحمد (٣٩٥/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٦) .

(٤) (رواه الإمام أحمد (٣٩٥/٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٩) ، ومسلم برقم (٢٢٤٦)) .

(٥) سورة فصلت آية : ١٦ .

(٦) (المختصر المفيد على كتاب التوحيد) .

(٧) سورة الأنعام آية : ١٩ .

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [1] ومن بلغته بعثة الرسول ﷺ وسمع القرآن ، أو الحديث ، أو سمع كلام أهل العلم ، ولم يتغير عن كفره وعن بدعته ، بل آثر البقاء على ما هو عليه - فهذا غير معذور ، وهذا حال كثير من الناس اليوم ، فإن الإسلام بلغ المشارق والمغارب ، فليس هناك مكان من الأرض إلا وبلغه الإسلام ، إما عن طريق الجهاد كما سبق في عصر الصحابة والقرون المفضلة والفتوحات الإسلامية ، وإما عن طريق وسائل الإعلام التي تبث القرآن والأحاديث وكلام أهل العلم وأجوبتهم يسمعها من بالمشرق ، ومن بالمغرب ، فقامت الحجة ، ولا يعذر أحد بالجهل بعد ذلك ، وهذه حكمة الله - سبحانه وتعالى - أنه يسر لهذا الدين ما يبلغه إلى المشارق والمغارب حتى تقوم الحجة على العباد .

نقض عرى الإسلام

س٩ : هذا سائل يقول : ما صحة حديث (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، وأول ما ينقض منه الحكم وآخرها الصلاة) ، ومن أخرجه ، وكيف تنقض هذه العرى ؟

ج٩ : الذي أعرفه أن هذا من كلام عمر بن الخطاب ﷺ قال : (، إنما تنقض عرى الإسلام عروة إذا أنشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) ، وإذا كان هذا حديثًا عن رسول الله ﷺ فهو حق ، وعرى الإسلام هي أحكامه وأصوله تنقض عروة بمعنى : أن الناس يتركون أصول الإسلام ويتركون أحكام الإسلام شيئًا فشيئًا حتى تنتهي عرى الإسلام ، ولا يبقى شيء ؛ لأن الشر يجر بعضه بعضًا ، وهذا مما يحذر من التساهل بالمعاصي والمخالفات ؛ لأنا يجر بعضها بعضًا إلى أن يخرج الإنسان من الإسلام بالكلية إذا تساهل وتمادى مع المعاصي والمخالفات ، بل الواجب على من عصى الله أن يتوب إلى الله ويبادر ، ولا يبقى على معصيته ؛ لأن المعصية تجر إلى معصية حتى يخرج الإنسان من الدين

(١) سورة الإسراء آية : ١٥ .

نائيًا ، مثلا : الإنسان إذا ترك الصلاة مع الجماعة هذه خطوة أولى من خطوات الشيطان ينتقل به الشيطان إلى الخطوة الثانية ، وهي : أن يؤخر الصلاة عن وقتها فلا يصلي إلا بعد خروج الوقت ، ثم الخطوة الثالثة : يحمله الشيطان على ترك الصلاة نائيا فلا يصلي أبدًا لا مع الجماعة ، ولا في الوقت ، ولا بعد الوقت ، إنما يتركها نائيًا فهذه من عرى الإسلام ، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [1] .

فالشيطان لعنه الله يبدأ بالإنسان بالمخالفات شيئًا فشيئًا من أصغر شيء إلى أكبر .

التساهل والاستمرار في المعصية تواكلا على رحمة الله

س١٠ : هذا سائل يقول : كثير من المسلمين إذا نصح عن معصية قال : إن الله غفور رحيم ، وهل يدخل في قوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [2] **؟ علمًا أنه يقول هذه العبارة ، وهو مستمر في معصيته .**

ج١٠ : نعم ، الواجب على العاصي إذا أمر بالتوبة أن يبادر ، أما أن يمهل لنفسه ويقول : الله غفور رحيم ، لماذا لا يقول : الله شديد العقاب ؟ ! أليستا في آية واحدة ؟ ! ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ [3] ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [4] ، فكيف يأتي بطرف ويترك طرفًا ؟ ! هذا مذهب المرجئة .

الواجب عليه أن يبادر بالتوبة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [5] ، قال : ﴿ مِن قَرِيبٍ ﴾ [6] ولا يؤجل التوبة

(١) سورة البقرة آية : ١٦٨ .
(٢) سورة فصلت آية : ٢٣ .
(٣) سورة غافر آية : ٣ .
(٤) سورة الرعد آية : ٦ .
(٥) سورة النساء آية : ١٧ .
(٦) سورة النساء آية : ١٧ .

ويتراخى في التوبة ، بل من قريب ، بل يتوب في الحال ، هذا هو المؤمن ، أما الذي يقول : الله غفور رحيم ويبقى على معصيته ، فهذا مذهب المرجئة تماما بتمام . وأما قوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ (1) ، فهو خطاب للكفار لا يدخل فيه المؤمن العاصي .

كفر الساحر

س١١ : هذا سائل يقول : هل الساحر واقع تحت المشيئة أم هو كافر مخلد في النار ؟ وما نصيحتك لكثير من الناس الذين عند أي أذى يصيبهم يتجهون إلى السحرة للسؤال عن أحوالهم ؟

ج١١ : الساحر كافر خارج عن الملة ؛ لأن السحر كفر ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ (2) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (3) ، فجعل تعلم السحر كفرًا ، فالسحر كفر ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، وأمر باجتنابا ، فالسحر كفر أكبر يخرج من الملة ، والساحر كافر يقتل ، ولا يستتاب ؛ لأنه وإن أظهر التوبة فإنه ليس بصادق في توبته ؛ لأنه زنديق ، والزنديق لا يستتاب يقتل بكل حال ، هذا حكم الساحر . وأما من يذهب إليه ويصدقه فإنه إذا صدقه ووافقه على السحر واعتقد أن السحر مباح صار كافرًا مثله ؛ لأنه استباح الكفر وأجاز الكفر فيكون كافرًا مثل الساحر ، أما إذا كان يعتقد بتحريم السحر ، وأنه باطل ، ولكن ذهب إليه لهوى نفسه ، فهذا يعتبر مرتكبًا لكبيرة من كبائر الذنوب الخطرة والنبي ﷺ يقول : « من أتى كاهنًا

---

(1) سورة فصلت آية : ٢٣ .
(2) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(3) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﴾ [1] [2] ﷺ وفي حديث آخر : ﴿ من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ﴾ [3] [4] فلا يجوز الذهاب إلى السحرة ، ولا العلاج عندهم ، بل يجب أن يبلغ عنهم ولاة الأمور من أجل إقامة حكم الله فيهم وإراحة العباد والبلاد منهم ؛ لأنهم يفسدون العباد والبلاد ويفسدون الدين ، فلا يجوز السكوت عنهم وتركهم ، ولو ادعوا أنهم يعالجون الناس ، فالعلاج لا يكون بالكفر ، بل لا يكون العلاج بالمحرم ، ولو دون الكفر ، قال ﷺ : ﴿ تداووا ، ولا تداووا بحرام ﴾ [5] [6] وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ﴿ أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم ﴾ [7] هذا في المحرم فكيف بالسحر ، وهو كفر والعياذ بالله ؟ ! .

مدح الكفار في معاملاتهم

س١٢ : هذا سائل يقول : يذكر بعض الناس صفات حميدة يتصف بها الكفار مثل التقيد بالأنظمة والمواعيد ، ما رأي فضيلتكم ؟ علمًا أنه يتكلم على أهل الإسلام ويسبهم بسبب عدم تقيدهم بالمواعيد والأنظمة ؟

ج١٢ : لا يجوز مدح الكفار ، لماذا ينظر إلى تقيدهم بالمواعيد ، ولا ينظر إلى الكفر والإباحية وفساد الأخلاق ، وينسى ما عليه المسلمون من العقيدة الصحيحة والدين

---

(١) الترمذي الطهارة (١٣٥) ، أبو داود الطب (٣٩٠٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣٩) ، أحمد (٤٢٩/٢) ، الدارمي الطهارة (١١٣٦) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (٤٧٦/٢) ، وأبو داود برقم (٣٩٠٤) بلفظ : فقد برئ بدل كفر ، والترمذي برقم (١٣٥) ، والنسائي في (الكبرى) برقم (٩٠١٦) ، وابن ماجه برقم (٦٣٩) ، والدارمي برقم (١١٤١) ، وكذلك البخاري في (التاريخ الكبير) ، كلهم من حديث أبي هريرة) .

(٣) مسلم السلام (٢٢٣٠) ، أحمد (٦٨/٤) .

(٤) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٢٣٠) ، عن بعض أزواج النبي) .

(٥) أبو داود الطب (٣٨٧٤) .

(٦) (رواه أبو داود برقم (٣٨٧٤) ، من حديث أبي الدرداء) .

(٧) (رواه البيهقي في (السنن الكبرى) برقم (١٩٤٦٤) ، والطبراني في (المعجم الكبير) برقم (٩٧١٦) ، والطحاوي في (شرح معاني الآثار) (١٠٨/١)) .

الصحيح ويسب المسلمين ويذمهم عند خطيئة صغيرة ، هذا من الإجحاف وعدم الإنصاف ، فالمسلمون على خير والحمد لله وإن كان عندهم تقصير في بعض الأمور ، لكن عندهم الصفات الخبيثة أكبر وأكثر ، وهو : الكفر بالله ﷻ والشرك بالله ، والإلحاد ، والإباحية ، وفعل المحرمات والفواحش ، وأكل الربا وغير ذلك . فالمسلمون خير من الكفار مهما كان عندهم من التقصير ، والله - جل وعلا - ذكر عن الذين يقولون للكفار ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [1] .

السكوت عن بعض المنكرات خشية الاتام بالتطرف

س١٣ : هذا سائل يقول : إني أحبك في الله ، فضيلة الشيخ ، إني أسكت عن بعض المنكرات مع الزملاء ؛ لأني أخشى إذا نصحت فيها أتم بالتطرف ، وأنصح في بعض الأمور الأخرى وأقول في نفسي : هذا توسط ، فهل هذا التصرف صحيحًا أم لا ؟

ج١٣ : هذا غير صحيح ، الواجب على المسلم : النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، إذا رأى منكرًا أن ينكره بحسب استطاعته ، لقول النبي ﷺ : ﴿ من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [2] [3] .

ولا يسع المؤمن أن يترك إنكار المنكر ، وهو يستطيع إنكاره ، مجاملة للناس ، والله - جل وعلا - هو الأحق أن يخشى ، وأن يتقى .

---

(١) سورة النساء الآيتان : ٥١ - ٥٢ .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/٥٤) .

(٣) (تقدم تخريجه ص ١١١ الحاشية رقم (١)) .

ولا يخشى الناس في الله ﷻ وهذا من مصلحة هؤلاء ؛ لأنه إذا ترك نصيحتهم والإنكار عليهم فقد غشيهم وقد ضرهم ، ولكن لو نصحهم بالحكمة والموعظة الحسنة لكان ذلك خيرًا لهم ، وأنفع لهم ؛ لأنم ربما يتوبون ، أو على الأقل يجاملون ويتركون هذا الشيء ، وهذا خير من تركهم وعدم الإنكار عليهم .

دخول العمل الصالح في الإيمان

س١٤ : سائل يقولون : هل العمل الصالح شرط في صحة الإيمان أم هو شرط في كمال الإيمان ؟

ج١٤ : العمل الصالح من الإيمان داخل فيه ؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو : قول باللسان واعتقاد بالقلب عمل بالجوارح فالعمل من الإيمان إذا فقد اختل الإيمان وربما يزول بالكلية وربما يختل خللًا عظيمًا بحسب ذلك المتروك .

وسطية طالب العلم في الحكم على الأشخاص

س١٥ : كيف تكون وسطية طالب العلم في الحكم على الأشخاص خاصة ممن توفاه الله وأفضى إلى ما قدم ؟

ج١٥ : الإنسان ليس محكمًا في الأموات ، لكن إذا كان هناك خطأ من حي ، أو ميت فإنه يبينه لئلا يقع الناس في هذا الخطأ إذا أخطأ إنسان في كتاب ، أو في مقالة ، أو في منهج فإنه يبين الخطأ .

المحاضرة الحادية والأربعون

السحر والشعوذة وأثرهما على الفرد والمجتمع

مقدمة في تعريف السحر وبيان بطلانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

وبعد : فإن موضوع السحر والكلام عنه موضوع مهم جدًا لخطورته وخفائه على كثير من الناس لكثرة وقوعه لما يظن فيه من المنافع ، ولحرص شياطين الإنس وشياطين الجن على ترويجه وتسميته أحيانًا بغير اسمه الصحيح .

من أجل ذلك يجب الاهتمام بمعرفة هذا المرض العضال ، وهذا الداء الخطير ، فكما أن أطباء الأمة يجتهدون لمعرفة أمراض الأجسام ويعملون لها الأدوية والاحتياطيات فإنه يجب على العلماء الاهتمام بالأمراض التي تمس العقيدة وتمرض القلوب .

وأمراض العقائد أشد خطرًا من أمراض الأجسام ؛ لأن أمراض الأجسام خطرها مقصور على الحياة الدنيا ، وأما أمراض القلوب وأمراض العقائد ، فإن خطرها وأثرها القبيح لا يقتصر على الدنيا ، بل يمتد إلى الدار الآخرة ، والسحر من أخطر تلك الأمراض .

وهو في اللغة : عبارة عما خفي ولطف به سببه . سمي سحرًا لخفائه ، وأنه أمر لا يعرفه كثير من الناس ، ولا يرونه ، وإنما هو أعمال شيطانية وأعمال مغطاة لا يعرفها إلا المعنيون بها .

أما السحر في اصطلاح الفقهاء - علماء الشرع - فهو : عبارة عن رقي وعزائم وأدوية وأبخرة يستعملها المشعوذون والدجالون مع استعانتهم بالشياطين ، ولا يمكن للساحر أن يتعاطى السحر ، وأن يؤثر إلا إذا تعامل مع الشياطين وأشرك بالله ﷻ فإذا أشرك بالله وكفر بالله ، فإن الشياطين تتعاون معه لإضرار بني آدم .

أما إذا لم يشرك بالله ، فإن الشياطين لا تتعاون معه ، ولذلك لا يكون الساحر إلا كافرًا ومشركًا بالله ﷻ فالسحر إذًا والشرك والكفر أمور متقاربة بعضها مقترن ببعض لا ينفك بعضها عن بعض فلا يكون هناك ساحرًا إلا ، وهو كافر مشرك بالله ﷻ لأنه لا يكون هناك ساحر إلا ، وهو يتعامل مع الشياطين ، والشياطين تخدمه وتعينه على الإضرار ببني آدم في مقابل تضليله للناس وإضراره بالناس .

والسحر داء قديم الأمم ذكره الله في قوم فرعون ، وأن السحر عندهم كان معروفا ومعتمدًا عليه في وقتهم ولهذا لما جاءهم موسى عليه الصلاة السلام برسالة إلى الله سموه ساحرًا إما من باب التمويه على الناس ، أو لاعتقادهم أنه ساحر ؛ لأنم كانوا معنيين بالسحر فيظنون أن كل من جاء بأشياء لا يعرفها الناس فهي من السحرة .

ولهذا ادعى فرعون وملأه أن ما جاء به موسى سحر وأراد أن يقابل موسى بالسحر وجمع السحرة ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [1] ، يعنون موسى عليه الصلاة والسلام ، ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [2] ، يستشيرهم ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ ﴾ [3] ، يعني : أنظره ، لا تستعجل ، ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [4] ، يعني : هارون عليه الصلاة والسلام ﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ [5] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٠٩ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١١٠ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١١١ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١١١ .
(٥) سورة الأعراف الآيتان : ١١١ - ١١٢ .

فعمل بمشورتم وجمع السحرة وجاءوا بسحرهم وطلبوا من موسى أن يبدأ هو بعرض ما معه ، أو هم يبدءون ، فموسى عليه الصلاة والسلام أمرهم أن يعرضوا ما عندهم ، فعرضوا ما عندهم من السحر الذي أرهب الناس ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [(١)] .

أرهب الناس ، فأمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يلقي عصاه التي بيده فألقاها فابتلعت كلما عملوه من السحر . . . ابتلعته واختفى . فعند ذلك علم السحرة أن هذا ليس بسحر وقرروا هذا فكانت هذه شهادة لموسى عليه الصلاة والسلام ؛ لأن ما جاء به ليس بسحر ، وإنما هو من عند الله وآمنوا به وخروا سجدًا لربهم ﷻ وتابوا إلى الله ، وعند ذلك اغتاظ فرعون وأرغى وأزبد ولجأ إلى القوة والتهديد ؛ لأن حجته بطلت وانتهى أمره إلى ما ذكره الله - سبحانه وتعالى - من الهزيمة والاندحار والهلاك ونصر الله موسى وأخاه ، ومن معهما من المؤمنين ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [(٢)] وهكذا لا يمكن أن يتقابل باطل وحق إلا وينهزم الباطل دائمًا وأبدًا في كل زمان ، وفي كل مكان ، ولا يمكن أن يتقابل السحر مع ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام ؛ لأن ما جاء به الأنبياء هو من عند الله ﷻ وهو حق وما يأتي به السحرة فهو باطل ، ولا يمكن أن الباطل يقوم في وجه الحق أبدًا ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [(٣)] ، ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ [(٤)] .

الساحر مهزوم والسحر باطل ، وأما من معه الحق والآيات من عند الله فإنه منصور ومؤيد من الله - سبحانه وتعالى - ولذلك السحرة إذا قابلهم أهل العلم والإيمان اندحروا

(١) سورة الأعراف آية : ١١٦ .
(٢) سورة يونس الآيتان : ٨١ - ٨٢ .
(٣) سورة طه آية : ٦٩ .
(٤) سورة يونس آية : ٧٧ .

دائمًا وأبدًا ، ولا يمكن أن يصمدوا ، أو يقفوا في وجه الحق ودعاة الحق ، ومن ثم يجب على الدعاة ، وعلى العلماء ، وعلى أهل الإيمان يجب عليهم أن يقفوا في وجوه السحرة ، وأن ينكروا عليهم ، وأن يمنعوا باطلهم ، وأن يقيموا عليهم حد الله - سبحانه وتعالى - لرد غيهم وكفهم عن شرهم وإراحة المسلمين منهم هذا واجب المسلمين في كل زمان .

ولا يجوز السكوت أبدًا عن السحرة والتساهل في شأنهم ، فالسحر عبارة ، كما يقول الإمام الموفق ابن قدامة في كتابه (الكافي) : عبارة عن رقى وعزائم [1] يعني : يقرؤونها . رقى شيطانية ليست رقى من القرآن ، إنما هي رقى شيطانية ، كلمات غريبة وألفاظ مجهولة ، يقرؤونها وينفثون ، ثم يتعاون معهم الشياطين فيحصلون مقصودهم من ضعاف الإيمان ، أو المغفلين ، أو من الجهلة تؤثر هذه الرقى وهذه العزائم وهذه الأبخرة وهذه الأدوية ، أو حروف مقطعة ، ولا تؤثر هي بنفسها ، وإنما هذا بسبب التعاون مع الشياطين وبسبب الإشراك بالله ﷻ والكفر بالله - عز وجل .

فالله يعاقب من تعاطي هذا بأن يجري على يديه شيئًا من الأضرار والمضار ، ابتلاء وامتحانًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [2] ، يعني : بإذنه الكوني ، أي : قضائه وقدره وليس المراد إذنه الشرعي فإنه - سبحانه وتعالى - لم يشرع السحر ، ولم يأمر به شرعًا ، وإنما هذا قضاء وقدر ، قدره الله - سبحانه وتعالى - لحكمة أرادها من ابتلاء العباد واختبار العباد بتسليط بعضهم على بعض عقوبة .

أقسام السحر

والسحر ينقسم إلى قسمين كما قرر أهل العلم :

* **القسم الأول :** سحر حقيقي يؤثر في الأبدان يمرض ويقتل ويفرق بين المتحابين ، أو يجمع بين المتباغضين ، وهو ما يسمى بالصرف والعطف ، فهذا حقيقي بدليل أنه

(1) (الكافي (٤/١٦٤)) .
(2) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

يمرض ويقتل بإذن الله ﷻ ويفسد الود الذي في القلوب ويفرق بين المرء وزوجه . فهو سحر حقيقي بمعنى : أنه ناتج عن أفعال فعلها السحرة .

* **القسم الثاني :** سحر تخييلي ، وهو ما يسمى عند الناس الآن بالقمرة ، وهو نتيجة الشعوذة بأن يستعمل الساحر أشياء وإشارات يخيل إلى الناس أنها حقيقية وليست حقيقية ، وإنما هي شيء تخييلي على الأبصار فقط بسبب التعاون مع الشياطين من ذلك ما يعمله السحرة من أعمال غريبة ، كأن يطعن نفسه بالسكين ، ولا تؤثر فيه ، أو يبتلع النار ، ولا تؤثر فيه ، أو يمشي في النار ، ولا يجد حرها هذا في الظاهر وإلا في الباطن هو ما مشى في النار ، ولا يطعن نفسه ، ولا أدخل في جوفه نارًا ، يكذب ، وإنما خيل إلى الناس هذا الشيء وقمر على أبصارهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ۝١١٦ ﴾ [(١)] .

ولذلك سحرة فرعون استعملوا هذا النوع من السحرة ، وهو التخييل الذي يخيل إلى الناس أنه حقيقة ، وهو كذب جاءوا بعصي يخيل إلى موسى من سحرهم أنها تسعى ، وهي لا تسعى هي عصي عادية يخيل إلى موسى من سحرهم أنها تسعى ، وهي لا تسعى هي عصي عادية إما أنهم جعلوا فيها مواد خفية تحركها كالزئبق ، أو أنهم ألقوا عليها شيئًا من القمرة . كما يأتيك الساحر بورق عادي ويخيل إليها أنها نقود . . أو يأتيك بقطع من الحديد ، أو من الجلود يخيل إليك أنها جنيهات ، وأنها ذهب ، فإذا ذهب عنك عادت إلى طبيعتها ؛ لأنه يستعمل القمرة والتخيل فإذا ذهب التخييل وذهبت القمرة عادت الأشياء إلى حقيقتها . هذا يسمى بالسحر التخييلي ، ولا حقيقة له ، وإنما هو قمرة وتخييل وسحر للأبصار .

ومنه ما يستعمل في الملاعب وغيرها من المسمى بالسيرك وهم سحرة دجالون يخيل إليك أنه يمشي على حبل ، وأنه يمشي على طرف السكين ، أو أنه يرقد تحت السيارة

---

(١) سورة الأعراف آية : ١١٦ .

وتمشي عليه ، ولا تضره . يضرب بالمطارق ، ولا يتأثر ، وهو يكذب ، كل هذا ليس له حقيقة ، ولم تضربه مطارق ، ولا جاءته سكاكين ، ولم تمش عليه سيارة ، لكن أنت يخيل إليك هذا بسبب ما يعمل من السحر الذي يخيل إلى بصرك كذا وكذا ، وهو كذاب هذا كله سحر تخييلي وباطل .

حكم السحر والساحر

والسحر ذكره الله - سبحانه وتعالى - في القرآن في مواضع كثيرة ، وذلك لشدة خطره ، ومن ذلك ما ذكره الله عن قوم فرعون وما حصل لهم مع موسى ، ذكره الله في سورة الأعراف وسورة طه وسورة الشعراء . ذكر القصة بتمامها وما جاء فيها وما انتهت إليه من بطلان السحر وانتصار الحق .

وذكره الله عن اليهود أنهم يتعاطون السحر ، وذلك أنهم لما حرفوا التوراة وغيروا فيها عاقبهم الله فاستبدلوا التوراة بالسحر وعلم السحر . استبدلوا علم الوحي الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام بعلم السحر الذي جاءت به الشياطين عقوبة لهم ؛ لأن من ترك الحق ابتلي بالباطل هذه سنة الله - سبحانه وتعالى - من عرف الحق وتركه ، ولم يعمل به فإنه يبتلي بالباطل عقوبة له ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [(1)] .

فالذي يشتغل بالطاعة يعصمه الله - سبحانه وتعالى - والذي يترك الطاعة يبتلي بالمعاصي والفسوق ؛ والذي يترك الإيمان يبتلى بالكفر ؛ والذي يترك العلم النافع يبتلي بالعلم الباطل . . وهكذا .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [(2)] ، يعني : محمدًا - ﷺ - ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾ [(3)] يعني : اليهود ﴿ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا

(1) سورة الصف آية : 5 .
(2) سورة البقرة آية : 101 .
(3) سورة البقرة آية : 101 .

مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [(1)] ، نبذوا التوراة ؛ لأن فيها ذكر نبوة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [(2)] . التوراة والإنجيل ذكرت محمدًا ﷺ ذكرت رسالته . جاء اليهود وحرفوها وجحدوا ذكر رسول الله ﷺ حسدًا وعنادًا ، عاقبهم الله فاشتغلوا بالسحر : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [(3)] ، وهو السحر ، فدل على أن السحر من الشياطين ﴿ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [(4)] ، يعني : ما تعمله وتتوارثه الشياطين ، ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [(5)] ، يعني : في عهد سليمان عليه الصلاة والسلام ؛ لأن سليمان سخرت له الشياطين والعفاريت والجن وفيهم سحرة وكانوا يتعاطون السحر في عهد سليمان عليه الصلاة والسلام .

لكن سليمان عصمه الله من السحر ؛ لأنه نبي الله ورسوله ونسبوا هذا من شدة كفرهم وضلالهم إلى سليمان وقالوا إن السحر من سليمان وإنه من عمل سليمان فبرأ الله نبيه سليمان فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [(6)] ، يعني : سليمان عليه الصلاة والسلام لم يتعاطوا السحر ؛ لأن السحر كفر ، والأنبياء لا يمكن أن يتعاملوا بالكفر أبدًا ومنهم سليمان عليه الصلاة والسلام ، فقوله ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ [(7)] هذا دليل على أن الساحر كافر ، وعلى أن تعلم السحر كفر ، ثم قال ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [(8)] ، فدل على أن تعليم السحر كفر

---

(1) سورة البقرة آية : ١٠١ .
(2) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .
(3) سورة البقرة الآيتان : ١٠١ - ١٠٢ .
(4) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(5) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(6) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(7) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(8) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ [1] ، بابل اسم بلد في أرض العراق ﴿ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾ [2] .

هاروت وماروت ينصحون الذي يريد أن يتعلم السحر منهما قبل أن يعلماه السحر ينصحانه بأن هذا كفر ، ولا يجوز ، يعني : نحن نختبر الناس ابتلاء وامتحانًا فينصحانه بهذا بأن لا يقرب السحر ، ولا يتعلم لكنه يصر ويتعلم ، وهذا دليل على من تعلم السحر فقد كفر : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ ﴾ [3] هذا دليل على أن السحر حقيقة ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه بجعل الزوج يبغض زوجته والزوجة تبغض زوجها هذا من عمل السحر ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [4] إلا بقدر اله وقضائه - سبحانه وتعالى - لكنه يقدر المضار على الناس عقوبة لهم وابتلاء لهم ويقدر المنافع للناس رحمة بهم وجزاءً لهم على أعمالهم الصالحة ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ ﴾ [5] هذا دليل على أن السحر ضرر محض وليس فيه نفع أبدًا .

بعض المحرمات قد يكون فيها نفع لكنه نفع مرجوح وضرره أكثر . ولذلك حرمت ؛ لأن ما كان ضرره أكثر فهو حرام ، ولا ينظر إلى ما فيه من النفع اليسير نظرًا للضرر العظيم الذي فيه فيهدر النفع اليسير بجانب الضرر الكبير . هذه قاعدة شرعية ، لكن السحر ليس فيه نفع بوجه من الوجوه لا كثير ، ولا قليل ، ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ ﴾ [6] . نفى الله عنه النفع مطلقًا وجعله ضررًا محضًا خالصًا ، وهذا دليل على تحريم السحر ، وأنه ضرر ؛ لأن الشيء الذي ضرره أكثر من نفعه محرم فكيف بالضرر

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

الخالص ، ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ [1] ، يعني : استبدل السحر بالشراء هنا معناه الاستبدال ؛ لأن الشراء معناه أخذ شيء وإعطاء شيء . الساحر أعطي الإيمان وأخذ السحر بمعنى أنه ترك الإيمان وأخذ السحر ، ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾ [2] ، يعني : من نصيب ، وهذا من أدلة أن السحر كفر ، وأن الساحر كافرًا ، لأن الجنة لا تحرم على من فيه إيمان ، وإنما تحرم الجنة على الكافر ، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [3] ، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [4] .

فالساحر محروم من الجنة ما له فيها من خلاق ، يعني : ما له نصيب ؛ لأنه لا يحرم من الجنة نائيًا إلا الكافر ، أما المؤمن ، ولو كان إيمانه ضعيفًا فإنه لا يحرم من الجنة حتى ، ولو عذب في النار بذنوبه فإنه يدخل الجنة فيما بعد . فهذه أدلة من هذه الآية الكريمة في مواضع متعددة منها على أن السحر كفر ، وأن الساحر كافر بالله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [5] ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ [6] . هذا دليل على أن الساحر ليس مؤمن ، ولا متق .

وفي قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴾ [7] ، وفي سورة طه : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [8] . ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ﴾ [9] : هذا دليل على

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٥٠ .
(٤) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٠٣ .
(٧) سورة يونس آية : ٧٧ .
(٨) سورة طه آية : ٦٩ .
(٩) سورة طه آية : ٦٩ .

كفره ؛ لأن الذي لا يفلح أبداً هو الكافر ، أما المؤمن ، ولو كان إيمانه ضعيفًا فإنه يفلح بحسب إيمانه ، ولا يفلس من الإفلاح أبدًا ، إنما الذي يحرم من الإفلاح هو الكافر .

وسمي الله الساحر مفسدًا ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ [(١)] ، فدل على أن الساحر مفسد ، يفسد في الأرض ، يفسد التمع ، يفسد البلد ، يفسد العقائد ، يأكل أموال الناس بالباطل ، يدخل عليهم ، فالساحر مفسد بكل معنى الكلمة ، وفي سورة الفلق : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [(٢)] ، النفاثات : السواحر ، والنفث : هو النفخ بشيء من الريق ، وذلك أن الساحر ينفث ويقرأ شيئًا من التعويذات الشيطانية ويستعين بالشياطين والمردة وينفث ويعقد الخيوط وينفث فيها فيحصل السحر بذه العملية لا أن الخيوط ، وأن العقد هي التي فعلت هذا ، وإنما لأنه استعاذ بالشياطين وأشرك بالله ﷻ واستغاث بالشياطين في نفثه ، وفي قراءته بأسمائهم ومناداته لهم ، لكن المغفل لا يدري ماذا يعملون ، يحسب أن ذلك مجرد خيوط تعقد ويظن أن هذا النفث من القرآن ويقول : إنه يقرأ القرآن ، وهو ، إنما يقرأ كلام الشيطان ، ولا يقرأ كلام الرحمن .

هذه كلمات عندهم يعرفوها ورموز يعرفونا ليست من الوحي الم ل ، وإنما هي من وحي الشيطان فيغرر بالجهال فيظنون أنه من الرقيا الشرعية يقولون يقرأ وينفث ، وهذا ليس بصحيح ، وإنما هذه تورية .

أما أدلة السنة :

فقد عد النبي ﷺ السحر من الموبقات ، يعني : المهلكات ، قال ﷺ : ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس

(١) سورة يونس آية : ٨١ .

(٢) سورة الفلق الآيات : ١ - ٥ .

التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ﴾ [(١)] [(٢)] .

الشاهد منه أنه عد السحر الموبقة الثانية بعد الشرك ، فدل ذلك على قبحه وشدة تحريمه وشناعته ، وأنه مهلك . مع ما سبق في آية البقرة من الدلالة على كفر الساحر وتحريم تعلم السحر وتعليمه ، وأنه كفر في مواضع من ذلك .

أنواع السحر

النوع الأول : التنجيم : قال ﷺ : ﴿ من اقتبس علمًا من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾ [(٣)] [(٤)] فالمنجمون سحرة ، الذين يتعاطون علم النجوم ويستدلون به على الحوادث الأرضية ، ويقول : إذا طلع النجم الفلاني يحصل مرض ويحصل موت في الناس ، أو يحصل مطر وخصب ، وإذا طلع النجم الفلاني يحصل مرض ويحصل موت في الناس ، أو يحصل مرض وخصب ، وإذا طلع النجم الفلاني تغلو الأسعار ، أو ترخص الأسعار هذا كفر ؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب ؛ لأنه لا يعلم ما يجري في المستقبل من حياة وموت وغلاء ورخص وجدب وقحط لا يعلم هذا إلا الله - سبحانه وتعالى .

فالذي يخبر عن المستقبل وما يجري فيه يدعي علم الغيب ويدعيه بواسطة السحر الذي هو التنجيم . فالتنجيم نوع من السحر ، فقوله ﷺ " من اقتبس علمًا من النجوم " ، يعني : تعلم علم التنجيم وتعاطاه وصار يستدل بالتنجيم وأحوال النجوم على ما يجري

---

(١) البخاري الوصايا (٢٦١٥) ، مسلم الإيمان (٨٩) ، النسائي الوصايا (٣٦٧١) ، أبو داود الوصايا (٢٨٧٤) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (١٩٠/٣) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .

(٣) أبو داود الطب (٣٩٠٥) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٢٦) ، أحمد (٣١١/١) .

(٤) (رواه الإمام أحمد (٣١١/١) ، وأبوا داود برقم (٣٤٠٦) ، وابن ماجه برقم (٣٧١٦) ، من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -) .

على الناس ، وعلى ما يجري في الأرض في المستقبل من حياة ، أو موت ، أو مرض ، أو صحة ، أو غنى ، أو فقر ، أو غلاء ، أو رخص ، أو غير ذلك ، فهذا من السحر .

أما معرفة علم النجوم الذي هو علم الحساب ودرجات الفلك وفصول السنة ومواقيت الصلاة . . . فهو علم مباح ليس سحرًا ؛ لأن الله خلق النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين ، وعلامات يهتدى بها[1] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَـٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾[3] ، وحفظًا للسماء من الشياطين ، ومن استرق السمع ، لأن الله يرجم الشياطين بالشهب من هذه النجوم فتندحر وتخترق .

هذا المقصود بالنجوم ، أما أن المقصود منها الاستدلال على ما يجري في الأرض من الحوادث ، فهذا عمل السحر وعمل المنجمين ، وهذا معنى قوله ﷺ : ﴿ من اقتبس علمًا من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾[4] [5] فدل على التنجيم الذي هذا معناه أنه سحر ، فالمنجم ساحر . وإذا كان ساحرًا فهو كافر خارج من الملة ، ومن يدعي علم الغيب فهو كافر ، بل هو من كبار الطواغيت من يدعي علم الغيب ؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله - سبحانه وتعالى - ومن أطلعه على شيء من علمه كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[6] .

قد يطلع الله الأنبياء على شيء من علم الغيب لمصلحة الناس ، وهذا من معجزاتهم عليهم الصلاة والسلام ، لكن لم يعلموه هم بأنفسهم ، ولا بالتنجيم ، ولا بالسحر ، وإنما

---

(١) (ذكر ذلك الإمام البخاري (٧٤/٤) ، عن قتادة بن دعامة (تعليقًا) .
(٢) سورة الأنعام آية : ٩٧ .
(٣) سورة الصافات الآيتان : ٦- ٧ .
(٤) أبو داود الطب (٣٩٠٥) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٢٦) ، أحمد (٣١١/١) .
(٥) (تقدم تخريجه ص ١٨٨ الحاشية رقم (٢)) .
(٦) سورة الجن الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

علموه عن طريق الوحي الهـ ل من الله - سبحانه وتعالى . أما من يدعي علم الغيب فإنه يعتبر مشركًا كافرًا ؛ لأنه يدعي مشاركة الله - سبحانه وتعالى - ومن أطلعهم من رسله ، والله لم يطلع السحرة ، ولا الكهنة على علم الغيب ، وإنما هذا كذب منهم وافتراء على الله - سبحانه وتعالى - وبذلك كفروا وأشركوا بالله - عز وجل .

* **النوع الثاني :** النفث في الخيط وعقدها : كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ ﴾ [1] عقد الخيوط والنفث فيها مع قراءة أسماء الشياطين والتعزيزات الشيطانية ، هذا نوع من السحر ، بل هو أعظم السحر والعياذ بالله ، وهذا كفر صريح .

* **النوع الثالث من أنواع السحر :** علم البيان : قال ﷺ : ﴿ إن من الشعر لحكمة ، وإن البيان لسحرًا ﴾ [2] [3] لأن فصاحة اللسان والبلاغة في الخطابة قد تكون من أنواع السحر أحيانًا ؛ لأن الخطيب والمتكلم إذا أعطي كبلاغة خيل على الناس وزين لهم الباطل ويهرع لهن الحجج فقلب الحق باطلًا حقًّا ، ودعاة الضلال - والعياذ بالله - من هذا النوع إذا خطب على الناس دعاهم إلى الكفر وإلى الشرك وزين لهم ذلك بكلامه وحججه الزائفة حتى يخيل للناس أنا حق ، ولهذا قال ﷺ : " وإن من البيان " ، من تبعيضية ليس كل البيان مذموم ، فالبيان الذي ينصر فيه الحق ويؤيد به الحق هذا ممدوح والخطيب البليغ إذا استعمل ذلك لنصرة دين الله وبيان العلم للناس والدعوة إلى الخير هذا ممدوح ، لكن الخطيب والكاتب والشاعر إذا استعمل ذلك لنصرة الباطل وتزييف الحق ،

---

(١) سورة الفلق آية : ٤ .

(٢) البخاري النكاح (٤٨٥١) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٨) ، أبو داود الأدب (٥٠٠٧) ، أحمد (٢/٩٤) ، مالك الجامع (١٨٥٠) .

(٣) (رواه أبو داود برقم (٤٣٥٨) من حديث ابن عباس بنحوه ، وللحديث روايات كثيرة . انظر في ذلك : (كـ العمال) للهندي (٣/٥٨٢ ، ٥٨٣)) .

فهذا ساحرًا ، كما في الحديث : ﴿ وإن من البيان لسحرًا ﴾ [1] [2] يعني : يسحر عقول الناس ، فهذا نوع من السحر . قد يصل إلى الكفر ، وقد يكون دون ذلك حسب ما يؤثر من الباطل .

* **النوع الرابع :** النميمة : وهي نقل الحديث بين الناس على وجه الإفساد . يذهب إلى هذا ويقول : فلان يتكلم فيك ، فلان يسبك ، فلان يتكلم في غيبتك بكلام قبيح في حقك يقول : أنت بخيل أنت جاهل أنت كذا وكذا . . ثم يشحن صدر هذا الشخص على أخيه ، ثم يذهب إلى الثاني ويقول : والله فلان يسبك ، فلان يتكلم فيك ، فيوقع بين الاثنين عداوة بين الأصدقاء وبين المؤمنين ؛ لأن المؤمنين إخوة فإذا جاء النمام فرق بين المسلمين ، بل ربما أثار الحرب بين المسلمين ، وربما سبب القطيعة بين المسلمين فلا يتواصلون إلى الموت ، وربما يفرق بين الأقارب ، بين الوالد وولده ، وبين الأم وولدها ، وبين الأخ وأخيه ، وربما يفرق بين العالم وبين طلابه ، ربما يفرق بين طلبة العلم ، ربما يفكر بين عامة المسلمين ويجعل المجتمع كله شرًا وكله بغضاء بسبب هذا النمام ، هذا نوع من السحر ؛ لأن السحرة كما قال الله عنهم : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ ﴾ [3] . النمام مثل هذا يفرق بين الأحباب .

ولهذا جاء في بعض كلام السلف : أن النمام يفسد في ساعة ما يفسده الساحر في سنة [4] ؛ لأن الساحر قد يكون إفساده محصورًا بين اثنين ، أو بين ثلاثة ، أو جماعة قليلة ، لكن النمام يفسد المجتمع كله ؛ لأنه شغال يخرج من هذا المجلس ويدخل في هذا المجلس ويذهب من هذا المكتب إلى هذا المكتب ، وهكذا ، وهو شغال بالنميمة بحيث إنه

---

(١) البخاري النكاح (٤٨٥١) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٨) ، أبو داود الأدب (٥٠٠٧) ، أحمد (٩٤/٢) ، مالك الجامع (١٨٥٠) .

(٢) (تقدم تخريجه ص ١٩٠ الحاشية رقم (١)) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٤) (ذكره ابن مفلح في (الفروع) (١٨٠/٦)) .

يؤجج الشر بين الناس . قال ﷺ : ﴿ ألا أخبركم ما العضة ؟ ! - يعني : السحر - هي النميمة القاتلة بين الناس ﴾ [(١)] . هذا نوع من السحر . وإن كان النمام لا يأخذ حكم الساحر في الكفر لمن عمله يشبه عمل الساحر ، وهو لا يكفر ؛ لأن النميمة كبيرة من كبائر الذنوب لا تصل إلى حد الكفر ، لكن النميمة تؤثر مثل عمل الساحر ، أو أشد ، وإنما سمي ساحرًا من ناحية أثر النميمة فقط . والنمام يعتبر فاسقًا ؛ لأنه فاعل لكبيرة من كبائر الذنوب يجب عليه التوبة إلى الله من ذلك العمل فهذه من أنواع السحر التي بينها ﷺ من أجل أن تُجتنب ويبعد عنها .

عقوبة الساحر

أما عقوبة الساحر عند أهل العلم : فقد اتفق الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأتباعهم وجمهور العلماء على أنه يقتل ، ولا يستتاب . إذا ثبت أنه ساحر إما بإقراره وإما بشهادة اثنين عليه ، فإذا ثبت أنه ساحرًا إما بالإقرار ، أو البينة يجب قتله ، ولا يستتاب ؛ لأنه وإن أظهر التوبة فإنه لا يصدق في توبته ، وإنما يظهر التوبة خداعًا ؛ لأنه يعتبر من الزنادقة ، والزنديق لا يستتاب ، بل يقتل ؛ لأن إفساده لا يؤمن حتى وإن تاب فهو يظهر التوبة خداعًا وبدليل قوله ﷺ : ﴿ حد الساحر ضربه بالسيف - أو - ضربة السيف ﴾ [(٢)] [(٣)] هذا الحديث ورد عن النبي ﷺ مرفوعًا وورد موقوفًا بإسناد صحيح أن حده ضربه بالسيف من غير استتابة ؛ لأن الحديث أطلق فقال : ﴿ حد الساحر ضرب بالسيف ﴾ ، ولم يقل : يستتاب . هذا هو الصحيح أنه يقتل ، ولا يستتاب ، هذا الذي عليه جمهور أهل العلم .

---

(١) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٦٠٦) ، من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -) .

(٢) الترمذي الحدود (١٤٦٠) .

(٣) (رواه الترمذي برقم (١٣٨٠) ، والطبراني في (الكبير) (١٦١/٢) ، والدارقطني في (سننه) (١١٤/٣) ، والحاكم في (مستدركه) (٣٦٠/٤) ، والبيهقي في (السنن الكبرى) (١٣٦/٨) ، كلهم من حديث جندب - رضي الله عنه -) .

ولا يفصل في سحره لا يقال كيف سحرك ، بين لنا سحرك ؛ لأن من العلماء من يقول : يفصل في سحره لا يقال كيف سحرك بين لنا سحرك لأن من العلماء من يقول : يفصل في سحره ، فإن كان من النوع الذي يكفر حكم بكفره وإن كان من النوع الذي لا يكفر فإنه لا يحكم بكفره ، ولكن يمنع ، وهذا الكلام غير صحيح ؛ لأن السحر لا يكون إلا كفرًا أبدًا ، لأنه لا يمكن إلا عن طريق الشياطين وعن طريق الشرك بالله ﷻ فهذا القائل توهم أن هناك سحرًا لا يكون عن طريق الشيطان ، فالصحيح والراجح الذي عليه الجمهور : أنه كفر مطلقًا ، وأنه يقتل مطلقًا . هذا هو الصحيح ، والذي فصل في ذلك قوله مرجوح ؛ لأنه مبني على وهم توهم أنه يوجد نوع من السحر لا يكون بعمل الشياطين ، وهذا غير موجود . ولأن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني بعد أبي بكر الصديق كتب إلى عماله : ﴿ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ﴾ [1] ، ولم يأمر باستتابهم ، قال الراوي : فقتلنا ثلاث سواحر [2] أي : تنفيذًا لقول عمر ، وقد كتب إلى عماله بحضرة المهاجرين والأنصار بقتل السحرة ، ولم ينكر عليه أحد ، هذا دليل على أن الساحر يقتل ، ولا يستتاب .

وكذلك حفصة بنت عمر رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتا ، وهي أم المؤمنين صحابية جليلة قتلت جارية لها سحرتا [3] وكذلك جندب بن عبد الله ، أو جندب بن كعب الأزدي قتل ساحرًا في مجلس الخليفة قتله بالسيف [4] وهو صحابي

(١) أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٣٠٤٣) ، أحمد (١٩١/١) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (١٩٠/١ ، ١٩١) ، ورواه أبو داود برقم (٢٦٤٦) ، والبيهقي في (السنن الكبري) (١٣٦/٨) ، كلهم من حديث بجالة ورواه غيرهم) .

(٣) (رواه الإمام مالك في (الموطأ) (١٥٨٥) بلاغًا ، ورواه عبد الرزاق الصنعاني في (مصنفه) (١٨٠/١٠ ، ١٨١) ، والبيهقي في (السنن الكبري) (١٣٦/٨) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وانظر : (المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد) (١٠٥/٢)) .

(٤) (رواه البخاري في (تاريخه) (٢٢٢/٢) ، من حديث عبد الرحمن بن يزيد ، والطبراني في (الكبير) (١٧٧/٢) ، من حديث أبي عثمان النهدي . وانظر : المصنف) لعبد الرزاق (١٨١/١٠ ، ١٨٢) ، ورواه البيهقي في (سننه) (١٣٦/٨) ، من حديث أبي عثمان النهدي . وانظر : (سير أعلام النبلاء) للذهبي (١٧٧/١٧٦/٣)) .

ولهذا يقول الإمام أحمد - رحمه الله - تعالى : صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ [1] يعني : عمر وابنته حفصة وجندب ، فهذا دليل على قتل الساحر من غير استتابة ، بل يبادر بقتله من أجل إراحة المسلمين من شره ، وعلى كل فالأمر خطير والواجب على من عرف في هذا غيره عن أحد من السحرة أنه يتعاطى السحر الواجب عليه أن يبادر بالإبلاغ عنه ويريح المسلمين من شره وفساده .

نسأل الله ﷻ أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين وصلاح القلوب واجتماع الكلمة ، ولم الشمل ونصرة الحق ودفع الباطل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) (أنظر : (المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد) (١٠٥/٢)) .

أسئلة وأجوبة حول الموضوع

الفرق بين السحر والكهنة والتنجيم والعرافة

س١ : السحر والكهنة والتنجيم والعرافة ؛ هل بينها اختلاف في المعنى ؟ وهل هي سواء في الحكم ؟

ج١ : السحر عبارة عن عزائم ورقى وعقد يعملها السحرة بقصد التأثير على الناس بالقتل ، أو الإمراض ، أو التفريق بين الزوجين ، وهو كفر وعمل خبيث ومرض اجتماعي شنيع يجب استئصاله وإزالته ، إراحة للمسلمين من شره .

والكهنة : دعاء علم الغيب بواسطة استخدام الجن . قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في [1] (وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار ، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة ، قد اغتر بذلك كثير من الناس ، يظنون المخبر بذلك عن الجن وليًا لله ، وهو من أولياء الشيطان) [2] انتهى .

ولا يجوز الذهاب إلى الكاهن :

روى مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ : ﴿ من أتى عرافًا ، فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ﴾ [3] [4] وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ﴿ من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد ﴾ [5] ﷺ رواه أحمد وأبو داود والترمذي [6] .

---

(١) (فتح اليد) .

(٢) ((فتح اليد) (٤٨٧/٢)) .

(٣) مسلم السلام (٢٢٣٠) ، أحمد (٦٨/٤) .

(٤) (تقدم تخريجه ص١٧٤ ، الحاشية رقم (١)) .

(٥) الترمذي الطهارة (١٣٥) ، أبو داود الطب (٣٩٠٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣٩) ، أحمد (٤٢٩/٢) ، الدارمي الطهارة (١١٣٦) .

(٦) (تقد تخريجه ص١٧٣ ، الحاشية رقم (١)) .

وروى الأربعة والحاكم ، وقال : (صحيح على شرطهما) : ﴿ من أتى كاهنًا ، أو عرافًا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد ﴾ [1] ﷺ [2] .

قال البغوي : (والعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ، وقيل : هو الكاهن) [3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (العراف : اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في المعرفة بهذه الطرق) [4] انتهى .

والتنجيم هو : الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، وهو من أعمال الجاهلية ، وهو شر أكبر ، إذا اعتقد أن النجوم تتصرف في الكون .

دعوى معرفة السحرة والكهنة والعرافين والمنجمين الكثير من علم الغيب

س٢ : هل صحيح ما يقال : أن السحرة والكهنة والعرافين والمنجمين يعرفون كثيرًا من علم الغيب ؟ وكيف نرد على أخبارهم ببعض الحوادث المستقبلية ووقوعها بعد ذلك ؟

ج٢ : هؤلاء قد يخبرون الناس بأشياء يتلقونها من الشياطين مما يسترقونه من السمع ، أو عن أشياء غائبة عن الناس ويطلع عليها الشيطان فيخبرون عملاءهم من شياطين الإنس ، وهذا بالنسبة للشياطين ليس غريبًا ؛ لأنهم سمعوه ، أو اطلعوا عليه ، لكن الشياطين يكذبون مع الكلمة الواحدة التي يسمعونها مائة كذبة ، ويصدقهم الناس في كل ما يقولون بسبب هذه الكلمة التي سمعوها من السماء ، قال تعالى : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن

---

(١) الترمذي الطهارة (١٣٥) ، أبو داود الطب (٣٩٠٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣٩) ، أحمد (٤٢٩/٢) ، الدارمي الطهارة (١١٣٦) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (٤٢٩/٢) ، والحاكم في (مستدركه) (٨/١) ، والبيهقي في (السنن الكبرى) (١٣٥/٢) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

(٣) (انظر : (شرح السنة) للإمام البغوي (١٨٢/٢)) .

(٤) (انظر : (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٧٣/٣٥)) .

تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [1]

أما علم الغيب ، فهو من خصائص الله - سبحانه وتعالى - لا يعلمه إلا هو ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [3] . قال الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله - : (والمقصود من هذا معرفة أن من يدعي علم شيء من المغيبات ؛ فهو إما داخل في اسم الكاهن ، وإما مشارك له في المعنى ، فللحق به ، وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف ، ومنه ما هو من الشيطان ، ويكون بالفأل ، والزجر ، والكهانة ، والسحر . . . ونحو هذا من علوم الجاهلية ، ونعني بالجاهلية : كل من ليس من أتباع الرسل ؛ كالفلاسفة والكهان والمنجمين وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ فإن هذه علوم قوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام ، وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنًا وعرافًا ، أو ما في معناهما ، فمن أتاهم فصدقهم ما يقولون لحقه الوعيد) [4] انتهى .

حقيقة السحر وحكمه وحكم من يعمله

س٣ : نرجو إيضاح حقيقة السحر ، وهل يباح شيء منه ؟ وهل عمل السحر مخرجًا عن دين الإسلام ؟

ج٣ : السحر في اللغة : عبارة عن عما لطف وخفي سببه . وحقيقة السحر كما بينها الموفق في (الكافي) : عبارة عن عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان . فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه [5] .

---

(١) سورة الشعراء الآيتان : ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) سورة النمل آية : ٦٥ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

(٤) (النظر (تيسير العزيز الحميد) ص ٤١٢ ، و(فتح اليد) (١/٤٩٤)) .

(٥) ((الكافي) (٤/١٦٤)) .

والسحر كله حرام ، لا يباح شيء منه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾ [(١)] ، أي : ليس له نصيب ، وقال الحسن : (ليس له دين) [(٢)] وهذا يدل على حريم السحر ، وكفر متعاطيه ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات [(٣)] .

ويجب قتل الساحر ، قال الإمام أحمد - رحمه الله - : قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ [(٤)] أي : صح قتل الساحر عن ثلاثة من الصحابة ، وهم : عمر ، وحفصة ، وجندب رضي الله عنهم .

فعمل الساحر تعلمًا وتعليمًا واحترافًا : كفر بالله ، يخرج من الملة ، ويجب قتل الساحر لإراحة الناس من شره إذا ثبت أنه ساحر ؛ لأنه كافر ، ولأن شره يتعدى إلى التمع .

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ الآية

س٤ : ما تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾ [(٥)] .

ج٤ : تفسير الآية الكريمة أن اليهود لما نبذوا التوراة التي فيها إثبات نبوة محمد ﷺ اعتاضوا عنها بكتب السحر الذي كانت الشياطين تعلمه على عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، وتنسبه إلى سليمان كذبًا وافتراءً ، مع أن سليمان عليه السلام بريء منه كل البراءة ؛ لأن السحر كفر وضلال ، وسليمان نبي من أنبياء الله ، لا يتعاطى ما فيه كفر وضلال ، وإنما هذا عمل الشياطين والكفرة من بني آدم ، يقصدون به الإفساد

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٢) (انظر (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (١٤٤/١) .

(٣) (انظر : (صحيح الإمام البخاري) (٢٩/٧) ، من حديث أبي هريرة) .

(٤) (انظر (المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد) في العقيدة (١٠٥/٢)) .

(٥) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

والتفريق بين الزوجين وتشتيت الأسر وإلقاء العداوة بين الناس ، وأن الملكين اللذين يعلمان السحر في أرض بابل في العراق ، إنما يفعلان ذلك من باب الابتلاء والامتحان للناس ، لأنه كفر ، وأنما ، إنما يعلمانه للابتلاء والامتحان به ، لا إقرارًا له ، ثم مع هذه النصيحة من الملكين ، فإن الذين يتعلمون السحر منهما يستعملون السحر بم يضر الناس ، فارتكبوا مخالفتين : أولًا : تعلمه ، وهو كفر لا يجوز . وثانيًا : استعماله للإضرار بالناس .

ثم أخبر - سبحانه وتعالى - أن الأمر بيده سبحانه ، وأنه لا يكون نفع ، ولا ضرر إلا بإذنه سبحانه ؛ فعلى المؤمن أن يتوكل على الله ، ويعتمد عليه في دفع شر السحرة والمفسدين ، ثم أخبر سبحانه أن اليهود يعلمون أن تعلم السحر كفر يوجب الحرمان من الجنة ، ومع هذا أقدموا عليه كفرًا وعنادًا .

السحر وتلافي الوقوع فيه والطرق المشروعة لمعالجته

س٥ : ما هو السحر ، وكيف يعمل المسلم لتلافي الوقوع فيه ؟ وإن وقع عليه سحر فكيف يعالجه بالطرق المشروعة ؟

ج٥ : السحر عمل شيطاني ، وهو عبارة عن رقى شيطانية وعقد وأبخرة ، والسحر يؤثر في جسم المسحور فيقتل ، أو يمرض فيفرق بين المرء وزوجه وبين الأحبة ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [1] .

كما أمر الله نبيه وعباده المؤمنين أن يستعيذوا برب الفلق من النفاثات في العقد .

ومن السحر ما هو تخييلي وليس له حقيقة ، وهو ما يسمى بالسحر التخييلي وبالقمرة بحيث يظهر الأشياء أمام الناظر على غير حقيقتها ، كما قال تعالى : ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [2] ، وكما في قوله : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١١٦ .

تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [1] ، وهذا النوع هو الذي يستعمله المشعوذ من الصوفية ، ومن يسمون بالبهلوانيين .

حديث ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر

س٦ : ما مدى صحة الحديث القائل : ﴿ ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ومصدق بالسحر ﴾ [2] ، وكيف يكون التصديق بالسحر ، أو بقدرة الساحر ، أو بالتصديق بما يراه المسحور قد تغير عما كان قبل أن يسحر ؟ أرجو توضيح هذه المسألة جزاكم الله خيرًا ؟

ج٦ : أما الحديث الذي أشار إليه السائل ﴿ ثلاثة لا يدخلون الجنة ﴾ [3] ، فقد رواه الإمام أحمد وابن حبان في (صحيحه) وصححه الحاكم وأقره الذهبي [4] رحم الله الجميع . وأما معناه : فهو الوعيد الشديد لمن يصدق بالسحر مطلقًا ومنه التنجيم ؛ لقوله ﷺ : ﴿ من اقتبس علمًا من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد وما زاد ﴾ [5] [6] والتصديق بالسحر ذنب عظيم وجرم كبير ؛ لأن الواجب تكذيب السحرة والمنجمين ومنعهم والأخذ على أيديهم من تعاطي هذه الأعمال الذميمة ؛ لأنهم بذلك يضلون الخلق ويروجون على الناس ويفسدون العقائد . والسحر كفر كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة ، والواجب قتل السحرة فإذا صدقهم ، معناه أنه وافقهم ، وأنه أقرهم على مهنتهم الخبيثة والواجب تكذيبهم ومحاربتهم ومنعهم من مزاولة الحرف الذميمة .

---

(١) سورة طه آية : ٦٦ .

(٢) أحمد (٣٩٩/٤) .

(٣) أحمد (٣٩٩/٤) .

(٤) (رواه الإمام أحمد (٣٩٩/٤) ، والحاكم (١٤٦/٤) ، كلاهما من حديث أبي موسى - رضي الله عنه -) .

(٥) أبو داود الطب (٣٩٠٥) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٢٦) ، أحمد (٣١١/١) .

(٦) (تقدم تخريجه ص١٨٨ الحاشية رقم (٢)) .

أما تأثير السحر وما يترتب عليه من إصابات فذلك شيء واقع ويؤثر ويقتل ويمرض ويفرق بين المرء وزوجه ويفسد بين الناس وتأثيره سيئ واقع ، أما تصديق الساحر والمنجم في أمور الغيب المستقبلية ، فهذا فيه وعيد وفيه إثم كبير ، والله أعلم .

الاستعانة بالسحرة لقضاء بعض الحوائج من غير مضرة الآخرين

س٧ : الاستعانة بالسحرة لقضاء بعض الحوائج من غير مضرة الآخرين ، هل هو جائز ؟

ج٧ : السحر محرم وكفر ، تعلمه وتعليمه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [1] إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [2] ، ولا يجوز استعمال السحر لقضاء بعض الحوائج ؛ لأنه محرم وكفر ، والمحرم والكفر لا يجوز للمسلم أن يستعمله ، بل يجب إنكاره والقضاء عليه ، ويجب قتل الساحر وإراحة المسلمين من شره ، ولا يستعان على قضاء الحوائج بالأمور المحرمة .

وقوع سحر النبي ﷺ

س٨ : هل ثبت أن النبي ﷺ سُحر ؟ وإذا ثبت ذلك ؛ فكيف كان تعامله عليه الصلاة والسلام مع السحر ومع من سحره ؟

ج٨ : نعم ، ثبت أن النبي ﷺ سحر فعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ سُحر ، حتى ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، وأنه قال لها ذات يوم : ﴿ جاءني رجلان ، فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، ثم قال لأحدهما : ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق ، قال : في ماذا ؟ قال : في مُشط ومُشاطة وجُف طلعة ذَكَر ، قال : فأين هو ؟ قال : في

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

بئر ذي أوران ﴾ [1] [2] قال الإمام ابن القيم : (لقد أنكر هذا طائفة من الناس ، وقالوا : لا يجوز هذا عليه ، وظنوه نقصًا وعيبًا ، وليس الأمر كما زعموا ، بل هو من جنس ما كان يؤثر فيه ﷺ من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كإصابته بالسهم ، لا فرق بينهما) [3] .

وذكر - رحمه الله - عن القاضي أنه قال : (ولا يقدح في نبوته ، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ، ولم يفعله ؛ فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من صدق ؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طروؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ، ثم ينجلي عنه كما كان) [4] . انتهى .

ولما علم ﷺ أنه قد سُحر ، سأل الله تعالى ، فدله على مكان السحر ، فاستخرجه وأبطله ، فذهب ما به ، حتى كأنما نشط من عقال ، ولم يعاقب ﷺ من سحره ، بل لما قالوا له : يا رسول الله ! أفلا نأخذ الخبيث نقتله ؟ قال ﷺ : ﴿ أما أنا فقد عافاني الله وشفاني ، وخشيت أن أثور على الناس منه شرًا ﴾ [5] [6] .

الصلاة خلف الساحر أو المصدق بالسحر وحكم فك السحر بالسحر

س٩ : هل يجوز الصلاة خلف الساحر ، أو المصدق بالسحر ، وهل يجوز فك السحر بالسحر إذا لم توجد وسيلة أخرى ؟

---

(١) البخاري الطب (٥٤٣٣) ، مسلم السلام (٢١٨٩) ، ابن ماجه الطب (٣٥٤٥) ، أحمد (٥٧/٦) .
(٢) (رواه الإمام البخاري (٧ / ٣٠) ، من حديث عائشة رضي الله عنها بنحوه) .
(٣) (انظر : (زاد المعاد) لابن القيم رحمة الله تعالى (٤ / ١٢٤)) .
(٤) (تقدم تخريجه ص٢٠٣ الحاشية رقم (٢)) .
(٥) البخاري الطب (٥٤٣٣) ، مسلم السلام (٢١٨٩) ، ابن ماجه الطب (٣٥٤٥) ، أحمد (٥٧/٦) .
(٦) (رواه البخاري في (صحيحه) (٧ / ٣٠) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

ج٩ : السحر من أعظم كبائر الذنوب ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس . . ﴾ [١] إلى آخر الحديث [٢] .

والسحر كفر ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - ذكر عن اليهود أنهم استبدلوا كتاب الله بالسحر ، كما قال تعالى : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [٣] . السحر من فعل الشياطين ، وهو كفر ، وفي ختام الآية قال : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾ [٤] ، فدل على أن تعليم السحر كفر ، وفي ختام الآية قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ ﴾ [٥] ، يعني : من نصيب في الآخرة ، وهذا هو الكافر .

فالسحر كفر ، وعلى هذا لا تصح الصلاة خلف الساحر إلا إذا تاب إلى الله - سبحانه وتعالى - وترك السحر وتاب توبة صحيحة ، وكذلك من يصدق بالسحر ويعتقد أنه حق ، وأنه يجوز عمله ، فهذا مثل الساحر يأخذ حكمه والعياذ بالله .

الحاصل : أن السحر من أكبر الكبائر بعد الشرك ، وهو الكفر بالله ﷻ كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم فالساحر والذي يصدق بالسحر كلاهما سواء . وأما قضية حل السحر بسحر مثله فالصحيح من قولي العلماء أن ذلك لا يجوز ؛ لأن التداوي إنما يكون بالحلال والمباح ، ولم يجعل الله شفاء المسلمين فيما حرم عليهم ، وقال النبي ﷺ : ﴿ تداووا ،

---

(١) البخاري الوصايا (٢٦١٥) ، مسلم الإيمان (٨٩) ، النسائي الوصايا (٣٦٧١) ، أبو داود الوصايا (٢٨٧٤) .
(٢) (تقدم تخريجه ص١٨٨ الحاشية رقم (١)) .
(٣) سورة البقرة الآيتان : ١٠١ - ١٠٢ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

ولا تداووا بحرام ﴾ [1] [2] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) [3] .

ومن أعظم المحرمات السحر ، فلا يجوز التداوي به ، ولا حل السحر به ، وإنما السحر يحل بالأدوية المباحة والأدعية والآيات القرآنية والأدعية المأثورة ، هذا الذي يجوز حل السحر به الأدوية المباحة والأدعية الآيات القرآنية ، وفي هذا كفاية للمسلم .

المراد بالتصديق بالسحر

س١٠ : التصديق بالسحر الذي تفضلتم وقلتم : إن المصدق به كالفاعل ، التصديق به من أي ناحية هل هو من ناحية وجوده حقيقة ، أو من ناحية قدرة الساحر على فعل أشياء ليست في حدود قدرة الإنسان ؟

ج١٠ : المراد بالتصديق الذي يعتبر ممنوعًا ويعتبر حكمه حكم الساحر التصديق بأنه حق فالذي يصدق أنه حق ، أو أنه مباح ، أو أنه عمل طيب فالذي يستبيح هذا هو الذي نريده في كلامنا . أما التصديق بوقوع السحر وحقيقته هذا لا بد منه ؛ لأن السحر له حقيقته ، وهو حقيقة واقعة لا يصح إنكاره أبدًا فالتصديق بوقوعه وضرره لا يدخل في الممنوع ؛ لأن الله أخبر عن ضرره ، فمن جحده ، وأنكره فإنه يكون مكذبًا بالله - عز وجل .

---

(١) أبو داود الطب (٣٨٧٤) .

(٢) (سبق تخريجه ص١٧٤ ، الحاشية (٢)) .

(٣) (رواه البخاري (٦ / ٢٤٧ ، ٢٤٨) ، معلقًا من كلام ابن مسعود - رضي الله عنه -) .

توبة من أتى ساحرا

س١١ : قبل أن أهتدي وأداوم على الصلوات في أوقاتها وقراءة القرآن الكريم ذهبت إلى إحدى الساحرات وطلبت مني أن أخنق دجاجة لكي تعمل لي حجابًا تربطني بزوجي ؛ لأنه كان يوجد دائمًا مشكلات بيني وبينه ، وقد خنقت الدجاجة فعلًا بيدي فهل علي في فعل هذا إثم ؟ وماذا أفعل حتى أخلص من هذا الخوف الذي يراودني والقلق ؟

ج١١ : أولاً : الذهاب إلى الساحرات حرام شديد التحريم ؛ لأن السحر كفر وإضرار بعباد الله ﷻ فالذهاب إليهم جريمة كبيرة . وما ذكرت أنك خنقت الدجاجة جريمة أخرى ؛ لأن هذا فيه تعذيب للحيوان وقتل للحيوان بغير حق ، وتقرب إلى غير الله بهذا العمل فيكون شركًا ، ولكن ما دمت قد تبت إلى الله - سبحانه وتعالى - توبة صحيحة فما سبق منك يغفره الله - سبحانه وتعالى - ولا تعودي إليه في المستقبل والله تعالى يغفر لمن تاب ، ولا يجوز للمسلمين أن يتركوا السحرة يزاولون سحرهم بين المسلمين ، بل يجب الإنكار عليهم ويجب على ولاة أمور المسلمين قتلهم وإراحة المسلمين من شرهم .

المشاركة لإخراج السحر وإبطاله

س١٢ : يوجد بئر لا يوجد به ماء ، وهذا البئر يلقى فيه السحر ويعتقد أنه محمي من الجن . هل لنا أن نذهب لنخرج هذا السحر ونبطله بإذن الله ، أم نبلغ رجال الحسبة في ذلك . أم ماذا نفعل ؟

ج١٢ : الواجب أنكم تبلغون رجال الحسبة والسلطة وتدلونهم على البئر ويقضى عليه فيخرج ويحرق ، كما أمر النبي ﷺ بإخراج السحر من البئر [1] وإحراقه ، فإذا كنتم

(١) (انظر (صحيح الإمام البخاري) (٧ / ٣٠) ، من حديث عائشة رضي الله عنها) .

متحققين من ذلك فبلغوا رجال الحسبة ودلوهم على المكان وأعينوهم على إخراجه وإحراقه .

استعمال الحُجُب وبيان ما يجوز منها وما لا يجوز

س١٣ : ما حكم استعمال الحجب وهل الذي يعمل هذه الحُجُب يكو من الكهان والسحرة ؟

ج١٣ : الحُجُب إذا كانت بغير كلام عربي ، أو كانت حروفًا مقطعة ، فإن هذا شرك بإجماع أهل العلم لا يجوز تعليقها ، ولا يجوز عملها ، أو جعلها في البيت . أما إن كانت هذه الحجب مكتوبة من القرآن ، أو من الأحاديث والأدعية فهذه فيها خلاف بين أهل العلم ، والصحيح أنا لا تجوز أيضًا ؛ لأن النبي ﷺ نهي عن تعليق التمائم [(١)] .

والتمائم : هي ما يُعلق من التعويذات ، سواء كانت من القرآن ، أو غيرها . فتعليق التمائم لا يجوز ، هذا هو الصحيح ، ولو كانت من القرآن ، وعلى كل حال هذه الحجب يجب إتلافها ، ويكفي أن الإنسان يقرأ عند النوم آية الكرسي ، يكرر ذلك ويكثر من تلاوة القرآن والاستعاذة بالله ﷻ في الصباح والمساء والله - جل وعلا - يعصمه من ذلك بدون أن يعلق ، أو يعمل الحجب .

السحر التخييلي

س١٤ : هناك من السحر ما يقوم به البعض مما يسمى خفة يد حيث يستطيع أن يريك غير الحقيقة إما بالسرعة الخفية ، أو ما يحدث من لعبة الورق من حساب معين ، أو خفة ؟

ج١٤ : هذا هو السحر التخييلي ، سَمه خفة سَمه حيلة ؛ هو السحر التخييلي المحرم .

---

(١) (انظر : (مسند الإمام أحمد) ٠ / ٤ / ١٥٤ / ١٥٦) ، و(مستدرك الحاكم) (٤ / ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩) ، كلاهما من حديث عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه -) .

س١٥ : هناك من يعمل بالسحر التخييلي من الطعن والنار والضرب بالمطارق ويظهرونه في وسائل الإعلام على أنم يأتون بمعجزات ، فكيف ينهى عن هذا ، وكيف يواجه هذا الأمر ؟

ج١٥ : الواجب إنكار هذا ومنعه من وسائل الإعلام التي لنا عليها سلطة ولنا عليها قدرة . أما وسائل العلام التي ليست لنا عليها قدرة ، ولا سلطة فنمنعها من بلادنا وبيوتنا ، وإذا حصل شيء منها يرفع للمسؤولين ويستنكر هذا الشيء ويطلب منهم إزالته .

س١٦ : يحدث في بعض البلاد أن يقوم شخص في جمع من الناس بعمل استعراضات مثيرة ؛ كأن يدخل سيفًا ، أو سكينًا في بطنه دون أن يتأثر ، وغير ذلك من الحركات التي لا تصدق في حياة الناس العادية ، فما حكم الشرع في مثل هذه الأعمال ؟

ج١٦ : هذا مشعوذ وكذاب ، وعمله هذا من السحر التخييلي ؛ فهو من جنس ما ذكره الله عن سحرة فرعون في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١) ، وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ (٢) .

وهؤلاء يستعملون ما يسمى بالقمرة ، وهي التخييل للناس خلاف الحقيقة ، أو يعلمون شيئًا من الحيل الخفية التي تظهر للناس كأنا حقيقة ، وهي كذب ؛ بأن يظهر للناس كأنا حقيقة ، وهي كذب ؛ بأن يظهر للناس ، أو يطعن نفسه ، أو أ ن يقتل شخصًا ، ثم يرده كما كان ، وفي واقع الأمر لم يحصل شيء من ذلك ، أو يظهر للناس أنه يدخل النار ، ولا تضره ، وهو لم يدخلها ، وإنما عمل حيلة خفية ظنها الناس حقيقة ، ولا يجوز السماح لهؤلاء بمزاولة هذا الباطل والتدجيل على المسلمين بحيلهم الباطلة ؛ لأن

---

(١) سورة طه آية : ٦٦ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١١٦ .

هذا يؤثر على العقائد . وكان عند بعض الأمراء من بني أمية رجل يلعب بمثل هذا ، فذبح إنسانًا ، وأبان رأسه ، ثم رده كما كان ، فعجب الحاضرون ، فجاء جندب الخير الأزدي ﷺ فقتله ، وقال : لو كان صادقًا فليحيي نفسه)[1] ولا يجوز للمسلم أن يحضر هذا الدجل والشعوذة ، أو يصدق بها ، بل يجب إنكار ذلك ، ويجب على ولاة المسلمين منعه والتنكيل بمن يفعله ، ولو سمي لعبًا وفنًا ! ! فالأسماء لا تغير الحقائق ، ولا تبيع الحرام ، ومثله الذي يظهر للناس أنه يجذب السيارة بشعره ، أو ينام تحت كفرات السيارة وهي تمشي ، أو غير ذلك من أنواع التدجيل والتخييل والسحر

سحر من يكتب حجبًا فيها المحبة وسيطرة الزوجة على الزوج والتفريق بينهما

س١٧ : إمام يكتب حجبًا فيها المحبة وسيطرة الزوجة على الزوج والتفريق بينهما ؛ فهل هذا هو السحر ؟ أفيدونا مأجورين .

ج١٧ : الذي يكتب هذا النوع من الكتابة ليحبب بها الزوجين بعضهما ببعض ، أو يفرق بين الزوجين المتحابين ، هذا ساحر ؛ كما قال الله تعالى في السحرة الذين يعلمون السحر ، وفي الذين يتعلمون منهم ، قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ ﴾[2] ، وهذا ما يسمى بالصرف والعطف ، وهو سحر .

والسحر كفر بالله ﷻ والساحر كافر ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - ذكر في كتابه أن السحر كفر في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ

---

(١) (انظر : (إعلام الموقعين) للذهبي (٣ / ١٧٦ ، ١٧٧) ، وانظر كذلك : البخاري في (التاريخ الكبير (٢ / ٢٢٢) ، والطبراني في (المبين) (٢ / ١٧٧) ، والمصنف) لعبد الرزاق الصنعاني (١ / ١٨١ ، ١٨٢) ، ورواه البيهقي في (سننه) (٨ / ١٣٦) ، كلهم من حديث أبي عثمان النهدي) .

(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ ﴾ (١) ؛ فالآية دلت على أن السحر كفر ، وأن تعلمه كفر ، وأن الساحر كافر ؛ في مواضع من هذه الآية الكريمة . وجاء في الحديث أن ﴿ حد الساحر ضربه بالسيف ﴾ (٢) (٣) أي : أنه يُقتل مرتدًا عن دين الإسلام على الصحيح .

فمثل هذا لا يصلح أن يكون إمامًا في الصلاة ، لأنه ليس على دين المسلمين ، ولا يجوز الاقتداء بكافر ، ولا تصح صلاته ، ولا الصلاة خلفه ويجب على ولاة أمور المسلمين الأخذ على يد هذا الساحر ، وإجراء الحكم اللازم عليه ؛ لئلا يضر بهم ومجتمعهم ؛ لأن السحر إذا فشا بمجتمع ، فإن هذا التمع ينهار ، وتدخله الذلة ، وتسيطر عليه الخرافة ، ويسيطر عليه هؤلاء الخرافيون والعياذ بالله .

تحضير الأرواح

س١٨ : ما حكم تحضير الأرواح ، وهل هو نوع من أنواع السحر ؟

ج١٨ : لا شك أن تحضير الأرواح نوع من أنواع السحر ، وهذه الأرواح ليست أرواح موتى كما يقولون ، وإنما هي شياطين تتمثل بأرواح الموتى تقول : إنا روح فلان ، أو إنا فلان ، وهذا من الشياطين فلا يجوز ، وأرواح الموتى لا يمكن تحضيرها ؛ لأنا في قبضة الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٢) الترمذي الحدود (١٤٦٠) .

(٣) (تقدم تخريجه ص١٩٣ الحاشية رقم (١)) .

(٤) سورة الزمر آية : ٤٢ .

فالأرواح ليست كما يزعمون أنها تذهب وتجيء ، لكن هي بتدبير الله ﷻ وتسخير الله لها . ليست حرة وطليقة كما يقولون . فتحضير الأرواح باطل ، وهو نوع من السحر ، وليست هذه الأشياء التي تتكلم هي الأرواح ، وإنما هي الشياطين تدعي أنها هي الأرواح وقد يأتي بصورة الشخص الميت ويقول أنا فلان . كذاب هو شيطان يتخيل في صورة الميت .

من غلب على ظنه أن خادمته تعمل بالسحر

س١٩ : هناك عائلة تشكو من كثرة المشاكل بشكل ملحوظ جدًا وهناك خلافات بين هذه العائلة وقد كان لهم احتكاك ببعض الجنسيات التي يسهل عندهم عمل السحر وسبب شكهم في ذلك أنهم وجدوا في إحدى حقائب الخادمات بعضًا من الأظافر والشعر ، وسؤالهم : كيف العلاج وهم لا يدرون مكان السحر ، وكيف يعالجون هذا ؟

ج١٩ : يأخذون هذا الذي وجدوه ويتلفونه ويبادرون بتسفير هذه الخادمة وإبعادها عن بلادنا ، ولا يتركونها لا عندهم ، ولا عند غيرهم ، بل الواجب إذا ثبت عليها ذلك أن يقام عليها الحد ، وأن تُقتل ، كما أن هؤلاء الأجانب إذا قتلوا أحدًا يُقتلون وإذا سرقوا تُقطع أيديهم ؛ لأنهم يلتزمون بأحكام هذه البلاد فإذا ثبت أن هذه ساحرة يجب أن تقدم إلى المحكمة من أجل أن يقام عليها الحد ويرتاح المسلمون من شرها . أما إذا لم يثبت شيء ، وإنما هي تهمة فالواجب أن يبادر بتسفيرها والسلامة منها ، ومن شرها .

كيفية معرفة إذا كان الشخص مسحورًا أو لا

س٢٠ : كيف يمكن معرفة إذا كان الشخص مسحورًا ، وكيف نفرق بين الحالات النفسية كالاكتئاب وكون المصاب مسحورًا ؟

ج٢٠ : أنت عليك بالعلاج بالأسباب النافعة ، والله - جل وعلا - هو الذي يعلم المرض الذي فيه سحر ، أو غير سحر ، أنت عليك بالعلاج النافع وتعاطي الأسباب

النافعة ، وليس بلازم أن تعرف أنه مسحور ، أو غير مسحور ، أما الأسباب وكل الأمر لله - سبحانه وتعالى - هو الذي يعلم نوع المرض الذي فيه .

توبة من ذهب لساحر وطلب منه أن يسحر شخصًا

س٢١ : شخص ذهب لساحر وطلب منه أن يسحر شخصًا آخر فسحره ، ثم تاب ذلك الشخص الذي تسبب في سحر الآخر فماذا يفعل ؟

ج٢١ : هذا يؤخذ بجنايته إن كان الآخر قتل بسببه ، فهذا يعتبر متعاونًا مع الساحر في قتل مسلم وإذا تمالأ جماعة على قتل مسلم وقتلوه فإنهم يقتلون المباشر والممالئ المتعاون معهم فإذا كانوا قتلوا شخصًا يجب عليهم القصاص ، وإن كانوا ما قتلوه ، وإنما حصل نوع من المرض فيكون عليهم أيضًا مسؤولية في هذا الشيء مثل لو جنوا عليه وضربوه ، أو جرحوه ، فإن عليهم مسؤولية بجراحته ينتهي بذا إلى المحكمة الشرعية . فالأمر ليس سهلًا ، يعني : فقط يتوب ويسكت ويترك المصاب ، أو الميت - التوبة لا تسقط حق المخلوق فلا بد من التحلل من حق المخلوق بأداء حقه إليه إن كان قصاصًا فالقصاص وإن كان مالًا يعطيه المال ، أو غير ذلك يطلب المسامحة والعفو .

من يقول إن عصا موسى سحرية

س٢٢ : ما نصيحتكم لمن يقول : إن عصا موسى سحرية ؟

ج٢٢ : موسى عليه السلام ما كان ساحرًا وما كانت عصاه سحرية ، وإنما هي معجزة من آيات الله - سبحانه وتعالى . فالذي يقول هذا الكلام يتوب إلى الله ؛ لأن هذا كفر يخرج من الملة .

من يفعل أفعالا ترجح كونه مسحورا

س٢٣ : نحن أسرة مؤمنة بالله والحمد لله كنا نقوم الليل ، نشطين في كل الأعمال التي ترضي الله ورسوله ، ولكن مشكلتنا أننا سكنا في بيت جديد وعندما سكنا في هذا البيت ظهرت علينا الأمور التالية : الثقل في قيام الليل - الضيق في النفس - عدم

النوم - زيادة حرارة الجسم - زوجتي لا تطيقني ، وأنا كذلك . فهل يا شيخنا الفاضل هذه الأمور من أمور السحر ؟ وبم ترشدنا ، وادع لنا والحاضرين جزاكم الله خيرًا ؟

ج٢٣ : قد تكون هذه الأعمال من السحر ، فعليكم بالإكثار من تلاوة القرآن في البيت ، ولا سيما سورة البقرة . قال ﷺ : ﴿ إن الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة ﴾ [1] [2] وقال ﷺ : ﴿ ولا يستطيعها البطلة ﴾ [3] يعني : سورة البقرة لا تطيقها الشياطين . فإذا قرأت في البيت ، فهذا مما يطرد الشياطين وإذا كان البيت فيه منكرات ، أو فيه صور معلقة فإنا تخرج من البيت ؛ لقوله ﷺ : ﴿ لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ، أو تصاوير ﴾ [4] [5] إذا تجنبت الملائكة البيت دخلت فيه الشياطين وإذا دخلت الملائكة ، فإن البيت لا تدخله الشياطين . فاعملوا الأسباب التي يصبح البيت بإذن الله خاليًا من هذه المحاذير .

وعند النوم تقرؤون الورد وآية الكرسي وسورة قل هو الله أحد والمعوذتين .

الذهاب إلى السحرة

س٢٤ : بعض الناس يذهبون إلى بعض الأئمة والدراويش ويقولون : إن بأيديهم نزع السحر ما مدى صحة هذا القول ؟ !

ج٢٤ : لا يجوز الذهاب إلى السحرة ، ولا تصديقهم ، حتى لو أن المسلم أصابه شيء من السحر ابتلي بشيء من هذا أن يلجأ إلى الله ﷻ وأن يستعيذ به ، وأن يستعمل

---

(١) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٠) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٨٧٧) .
(٢) (رواه الإمام مسلم برقم (٧٨٠) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .
(٣) (رواه الإمام مسلم برقم (٨٠٤) ، من حديث أبي إمامة الباهلي - رضي الله عنه -) .
(٤) البخاري اللباس (٥٦٠٥) ، مسلم اللباس والزينة (٢١٠٦) ، الترمذي الأدب (٢٨٠٤) ، النسائي الزينة (٥٣٤٩) ، أبو داود اللباس (٤١٥٣) ، ابن ماجه اللباس (٣٦٤٩) ، أحمد (٤/٣٠) ، مالك الجامع (١٨٠٢) .
(٥) (رواه الإمام البخاري (٧ / ٦٤) ومسلم برقم (٢١٠٦) ، من حديث أبي طلحة - رضي الله عنه -) .

الأدعية الشرعية ويستعمل قراءة القرآن الكريم ؛ تشافيًا به ، وطلبًا للشفاء من الله ﷻ بآياته وكلماته التامة ، هذا الذي ينبغي للمسلم ، ومن توكل على الله كفاه ، ومن لجأ إليه حماه .

أما أن المسلم يذهب إلى المخرفين والسحرة والدجالين والمشعوذين ، فهذا مما يزيده مرضًا نفسيًا ومرضًا جسميًا ، ويسيطر عليه شياطين الإنس والجن ، ويكدرون عليه حياته ، ويفسدون عليه عقيدته ، فلا ملجأ للمؤمن من الله إلا إليه .

فالجواب : على المسلم أن يعتصم بالله ، وأن يلجأ إليه ، ويتوكل عليه ، وأن يتلوا آياته ، ولا سيما آية الكرسي والمعوذتين ، فإن في كتاب الله ﷻ الشفاء والكفاية للمسلمين وهؤلاء الأئمة الدراويش أغلبهم أئمة ضلال ومخرفون ، ولا يوثق بعقيدتم ، ولا يجوز الذهاب إليهم .

الذبح قبل بناء البيت لأجل أن يثبت البنيان والأصل

س٢٥ : بعض الناس إذا أراد أن يبني بيتًا ذبح في هذا البيت خروفًا ، أو شاة وقال : هذا من أجل أن يثبت البنيان والأصل ؟

ج٢٥ : هذا شرك بالله عز جل ؛ لأنه ذبح للجن ؛ لأنم يذبحون هذا على عتبة البيت ، أو إذا وضعوا مشروع شركة ، أو مصنع يذبحون أول ما تدار المحركات ، ويقولون : هذا فيه مصلحة للمصنع ، وهذا شرك بالله ؛ لأن هذا الذبح ذبح للجن واعتقاد الجن هم الذين يأمرون بذا وأوحوا إليهم أن هذا الذبح ينفعهم ، ومن ذبح لغير الله فقد أشرك ، وفي الحديث : ﴿ لعن الله من ذبح لغير الله ﴾ [(١)] [(٢)] . قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [(٣)] ، فالنسك لغير هي الذبيحة قرنا مع الصلاة ، فكما أن الإنسان لا يصلي لغير الله فكذلك لا

(١) مسلم الأضاحي (١٩٧٨) ، النسائي الضحايا (٤٤٢٢) ، أحمد (١/١١٨) .
(٢) (رواه الإمام مسلم برقم (١٩٧٨) ، من حديث علي بن أبي طالب) .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٢ .

يذبح لغير الله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [1] قرن مع الصلاة النحر . النحر عبادة لا يجوز أن ينحر للجن ، أو للشياطين بحجة أن هذا ينفع المشروع ، أو يطرد الجن عن البيت ، أو ما أشبه ذلك ، هذا اعتقاد باطل وشرك بالله ﷻ واستعانة بالشياطين نسأل الله العافية .

التنجيم وحديث كذب المنجمون ولو صدقوا
وحديث كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك

س٢٦ : ما مدى صحة الحديثين عن الرسول ، قال ﴿ كذب المنجمون ، ولو صدقوا ﴾ [2] وحديث آخر ، وهو : ﴿ كان نبي من الأنبياء يخط ؛ فمن وافق خطه ؛ فذاك ﴾ [3] [4] ؟ وما حكم الشرع في ضرب الرمل والتنجيم ؟ وهل هناك أحاديث عن النبي ﷺ تحرم هذه الأعمال ؟

ج٢٦ : أما قضية التنجيم ؛ فالتنجيم إذا أريد به الاستدلال بالنجوم على الحوادث المستقبلية ، وأن النجوم لها تأثير في الكائنات ، وفي نزول الأمطار ، أو نزول المرض ، أو غير ذلك ؛ شرك أكبر ، وهو من اعتقاد الجاهلية ، والتنجيم على هذا النحو محرم أشد التحريم .

وأما الحديث الذي سألت عنه : " كذب المنجمون ، ولو صدقوا " ؛ فلا أعرف له أصلًا من ناحية السند ، ولم أقف عليه .

وأما معناه فهو صحيح ، فإن المنجمين يتخرصون ويكذبون على الله - سبحانه وتعالى - لأنه لا علاقة للنجوم بتدبير الكون ، إنما المدبر هو الله - سبحانه وتعالى - هو

(١) سورة الكوثر آية : ٢ .
(٢) (بحثت عنه ، ولم أجده) .
(٣) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧) ، النسائي السهو (١٢١٨) ، أبو داود الصلاة (٩٣٠) ، أحمد (٤٤٧/٥) ، الدارمي الصلاة (١٥٠٢) .
(٤) (رواه الإمام أحمد (٥ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) ، ومسلم برقم (٨٣٦ ، ٤١٣٣) ، وأبو داود برقم (٩٣٠ ، ٣٩٠٩) ، والنسائي برقم (١٢٠٣) من حديث معاوية بن الحكم - رضي الله عنه -) .

الذي خلق النجوم وخلق غيرها ، والنجوم خلقها الله لثلاث : زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين وعلامات يُهتدى بها [(١)] هذا ما دل عليه القرآن الكريم ، فمن طلب منها غير ذلك ؛ فقد أخطأ وأضاع نصيبه . وكذلك بقية الأمور التي هي من الخرافات والشعوذة (الخط في الرمل ، وغير ذلك من الأمور التي تستعمل لادعاء علم الغيب ، والإخبار عما يحدث ، أو لشفاء الأمراض ، أو غير ذلك من الأمور التي تستعمل لادعاء علم الغيب ، والإخبار عما يحدث ، أو لشفاء الأمراض ، أو غير ذلك) كل ذلك يدخل في حكم الأمور الشركية ؛ لأن القلوب يجب أن تتعلق بالله خالقها ومدبرها ، الذي يملك الضرر والنفع والخير والشر ، وبيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، أما هذه الكائنات وهذه المخلوقات ؛ فإنها مدبَّرة ، ليس لها من الأمر شيء ، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [(٢)] ، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [(٣)] ؛ فكلها كائنات مخلوقة مدبَّرة ، لها وظائفها طاعة لله وتسخيرًا من الله - سبحانه وتعالى - أما أنها يتعلق بها ويطلب منها رفع الضرر ، أو جلب الخير ، فهذا شرك أكبر واعتقاد جاهلي .

أما حديث : ﴿ كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه ؛ فذاك ﴾ [(٤)] : هذا حديث صحيح ، رواه الإمام مسلم وأحمد وغيرهما [(٥)] .

---

(١) (ذكر ذلك الإمام البخاري (٤ / ٧٤) ، عن قتادة بن دعامة - رضي الله عنه -) .
(٢) سورة فصلت آية : ٣٧ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٥٤ .
(٤) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧) ، النسائي السهو (١٢١٨) ، أبو داود الصلاة (٩٣٠) ، أحمد (٤٤٧/٥) ، الدارمي الصلاة (١٥٠٢) .
(٥) (تقدم تخريجه ص٢١٧ الحاشية رقم (٣)) .

قال العلماء : ومعناه : أن ذلك من اختصاص ذلك النبي ، ومن معجزاته ، وأن واحدًا لا يمكن أن يوافقه ؛ لأن هذا من خصائصه ، ومن معجزاته ؛ فالمراد بهذا نفي أن يكون الخط في الرمل يتعلق به أمر من الأمور ؛ لأن هذا من خصائص ذلك النبي ، وخصائص الأنبياء ومعجزاتهم لا يشاركهم فيها غيرهم عليهم الصلاة والسلام ؛ فالمراد بهذا نفي أن يكون للخطاطين ، أو للرمالين شيء من الحقائق التي يدعونها ، وإنما هي أكاذيب ؛ لأنه لا يمكنه أن يوافق ذلك النبي في خطه أحد . والله تعالى أعلم .

التنجيم ومعرفة أمور حساب السنين والشهور والأيام ومعرفة توقيت المطر والزرع

س٢٧ : هل يعتبر من التنجيم معرفة أمور حساب السنين والشهور والأيام ومعرفة توقيت المطر والزرع ونحو ذلك ؟

ج٢٧ : ليس هذا من التنجيم ، وإنما هو من العلم المباح ، وقد خلق الله الشمس والقمر لمعرفة الحساب ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ﴾ (١) ، وهذا ما يسمى بعلم التسيير .

قال الخطابي : أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه (٢) والله أعلم .

وكذلك الاستدلال بالنجوم على معرفة الجهات لا بأس به ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٣) ، قال ابن رجب : وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه (٤) .

---

(١) سورة يونس آية : ٥ .
(٢) (انظر (معالم السنة) للخطابي (٤ / ٢٢٦ ، ٢٢٧)) .
(٣) سورة النحل آية : ١٦ .
(٤) (انظر (فضل علم السلف على الخلف) (ص٢٢)) .

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين ، وعلامات يُهتدى بها ، فمن تأول بغير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به [1] .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله : هذا مأخوذ من القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] . وقوله ﴿ وعلمت ﴾ ، أي : دلالات على الجهات والبلدان [4] .

وأما معرفة توقيت المطر ، فهذا لا يمكن ؛ لأن معرفة وقت نزول المطر من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله . وربط نزول المطر بأحوال النجوم هذا هو الاستسقاء بالأنواء ، وهو من أمور الجاهلية .

وأما معرفة وقت بذار الزراع ، فهذا يرجع إلى معرفة الفصول ، وهو علم يدرك بالحساب . والله أعلم .

الخط في الرمل أو قراءة الفنجان أو قراءة الكف

س٢٨ : مثل الخط في الرمل ، أو قراءة الفنجان ، أو قراءة الكف ؛ كما يحدث عن بعض المخرفين اليوم ، والإثم لا يقتصر على مرتكب هذه الأعمال نفسه ، بل يلحق حتى من ذهب إليهم ، أو صدقهم ؟

ج٢٨ : لا شك أن هذه الخرافات والأوهام الجاهلية والأعمال الشركية كلها من أعمال الشيطان ، وكلها من طرق الشرك وأعمال الشرك ، لا يجوز للمسلم الذي يؤمن بالله واليوم الآخر أن يذهب إلى هؤلاء ، ولا أن يصدقهم .

---

(١) (انظر (صحيح البخاري) (٤ / ٧٤)) .
(٢) سورة الملك آية : ٥ .
(٣) سورة النحل آية : ١٦ .
(٤) (انظر (تيسير العزيز الحميد) (ص٤٤٣)) .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ من أتى كاهنًا ، أو عرافًا ، فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﴾ [1] ﷺ [2] فلا يجوز الذهاب إليهم ، ولا سؤالهم ، ولا تصديقهم ، وعلى المؤمن أن يعتمد على الله ، وأن يتوكل على الله ، وأن يرتبط بالله - سبحانه وتعالى - ، وأن يحذر مما يفسد دينه ، أو يخلخل عقيدته ، أو يضله عن الصراط المستقيم .

س٢٩ : فضيلة الشيخ : ما رأيكم في قراءة الفنجان وقراءة الكف وما يسمى بالأبراج التي تنشر في الجرائد ؟

ج٢٩ : كل هذه من السحر ، قراءة الفنجان والكف والأبراج التي تنشر في الجرائد كلها من ادعاء علم الغيب فهي كهانة ، والكهانة نوع من السحر كلها باطلة ، الكهانة والعيافة وطرق الحصى وضرب الودع ونثر الودع كلها من أنواع السحر .

الاستدلال بالنجوم على المواقع الأرضية

س٣٠ : هل الاستدلال بالنجوم على المواقع الأرضية سحر ؟

ج٣٠ : النجوم لا تدل على المواقع الأرضية ، إنما تدل على الطريق والاتجاه للمسافر إذا رأى النجم عرف الاتجاه ويعرف الطريق ، هذا هو المقصود من قوله تعالى : ﴿ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [3] السفن في البحر تعرف با الاتجاه الصحيح وهكذا أما أنا تدل على المواقع فلا أدري ما يقصده ، يعني : الطرق والبلاد ممكن . أما إن كان القصد معرفة ما في الأرض من معادن ومياه ومخزونات ، فهذا باطل ؛ لأن ذلك لا يستدل عليه بالنجوم .

---

(١) الترمذي الطهارة (١٣٥) ، أبو داود الطب (٣٩٠٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣٩) ، أحمد (٤٢٩/٢) ، الدارمي الطهارة (١١٣٦) .

(٢) (تقدم تخريجه ص ١٩٦ الحاشية رقم (٤)) .

(٣) سورة الأنعام آية : ٩٧ .

التعامل مع الجن عند استخراج الكنوز المدفونة قديمًا في باطن الأرض

س ٣١ : أسمع أن هناك كنوزًا مدفونة قديمًا في باطن الأرض وعليها رسم الجن ولكي يستخرجوا هذا الك يذهب العارفون بأماكنها إلى الشيخ الفلاني وعنده علم كاف عن كيفية استخراج الك والتعامل مع الجن فيقرءون عليه القرآن الكريم والطلاسم ويقال بأنم اعتادوا استخراجها وقدروا على هزيمة الجن ، هل هذا جائز ؟

ج٣١ : هذا العمل ليس بجائز ، فإن الطلاسم التي يحضرون بها الجن ويستخدمونهم بها هي من أمور الشرك ، والشرك أمره خطير ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (١) والذي يذهب إليهم يغرهم ويغريهم : يغرهم بأنفسهم ، وأنهم على حق ، ويغريهم بما يعطيهم من الأموال .

والواجب قطيعة هؤلاء ، وأن يحذر إخوانه المسلمين من الذهاب إليهم .

والغالب من أمثال هؤلاء أنهم يلعبون على الناس ويبتزون أموالهم بغير حق ويقولون القول تخرصًا ، ثم إذا وافق أخذوا ينشرونه بين الناس ويقولون : نحن قلنا وصار كما قلنا . دعاوى باطلة يخدعون بها الناس .

وإنني أوجه النصيحة إلى من ابتلوا بهذا الأمر وأقول احذروا أن تمتطوا الكذب على الناس والشرك بالله .

فإن أمر الدنيا قريب والحساب يوم القيام عسير وعليكم أن تتوبوا إلى الله من هذا العمل ، وأن تصححوا أعمالكم وتطيبوا أموالكم . والله الموفق .

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٢ .

دخول الجن وتلبسه بالإنس

س٣٢ : في عصرنا الحاضر كثر حديث الناس عن تلبس الجن بالإنس ودخولهم فيهم ، ومن الناس من ينكر ذلك ، بل إن البعض ينكر الجن إطلاقا ؛ فهل لهذا تأثير على عقيدة المسلم ؟ وهل ورد ما يلزم بالإيمان بالجن ؟ ثم ما الفرق بينهم وبين الملائكة ؟

ج٣٢ : إنكار وجود الجن كفر وردة عن الإسلام ؛ لأنه إنكار لما تواتر في الكتاب والسنة من الأخبار عن وجودهم ، فالإيمان بوجودهم من الإيمان بالغيب ؛ لأننا لا نراهم ، وإنما نعتمد في إثبات وجودهم على الخبر الصادق ، قال تعالى في إبليس وجنوده : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ [(١)] .

أما إنكار دخولهم في الإنس ؛ فلا يقتضي الكفر ، لكنه خطأ ، وتكذيب لما ثبت في الأدلة الشرعية والواقع المتكرر وجوده ، لكن لخفاء هذه المسألة لا يكفر المخالف فيها ، ولكن يخطأ ؛ لأنه لا يعتمد في إنكار ذلك على دليل ، وإنما يعتمد على عقله وإدراكه ، والعقل لا يتخذ مقياسًا في الأمور الغيبية ، وكذلك لا يكون العقل مقدمًا على أدلة الشرع ، إلا عند أهل الضلال .

والفرق بينهم وبين الملائكة من وجوه :

الوجه الأول : من وجه أصل الخلقة ؛ فالجن خلقوا من نار السموم ، والملائكة خلقوا من نور .

الوجه الثاني : إن الملائكة عباد مطيعون لله ، مقربون ، مكرمون ، كما قال تعالى : ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٧ .
(٢) سورة الأنبياء الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .
(٣) سورة التحريم آية : ٦ .

أما الجن ؛ فمنهم المؤمن ومنهم الكافر ؛ كما قال تعالى إخبارًا عنهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾ (١) ومنهم المطيع ومنهم العاصي ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ (٢) . . إلى غير ذلك من الآيات .

الاستعانة بالجن المسلم

س ٣٣ : بعض الناس عندهم جهل بالقراءة ويستعينون بالجان ويقولون هذا جني مسلم ويسألونه عن مكان السحر . هل من كلمة بهذا الموضوع ؟

ج٣٣ : لا يستعان بالجان . لا المسلم منهم ، ولا الذي يقول إنه مسلم ؛ لأنه قد يقول إنه مسلم ، وهو كذاب من أجل أن يتدخل مع الإنس فيسد هذا الباب من أصله ، ولا يجوز الاستعانة بالجن ، ولو قالوا : إنهم مسلمون ؛ لأن هذا يفتح الباب ، والاستعانة بالغائب لا تجوز سواء كان جنيًا ، أو غير جني سواء كان مسلمًا ، أو غير مسلم ، إنما يستعان بالحاضر الذي يقدر على الإعانة كما قال الله تعالى عن موسى : ﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ (٣) هذا حاضر ويقدر على الإغاثة فلا مانع من هذا في الأمور العادية .

الذهاب إلى المشعوذين

س٣٤ : نحن في الصعيد إذا مرض لنا طفل ، أو بهيمة نذهب إلى الشيخ ويكتب لنا ورقة نحرقها ، ثم نتبخر ، أو نقوم بشربها ، أو نعلقها على رقبة المريض ، أو البهيمة ما حكم هذا العمل ؟ بارك الله فيكم .

ج٣٤ : هذا من الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان وهذه الورقة لا ندري ماذا كتب فيها ربما يكون قد كتب فيها الشرك والكفر بالله ﷻ من هؤلاء المشعوذين فعلى

(١) سورة الجن آية : ١٤ .
(٢) سورة الجن آية : ١١ .
(٣) سورة القصص آية : ١٥ .

كل حال يجب عليكم تجنب مثل هذا الشيء وعليكم بالاعتماد على الله - سبحانه وتعالى - كما قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] .

قال الخليل عليه السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [3] ، فيجب على المسلم أن يعتمد على الله في طلب الشفاء بالدعاء والعبادة والتضرع إلى الله - سبحانه وتعالى - فهو الذي يملك الشفاء والعافية ، أما الذهاب إلى المخرفين والمشعوذين وأخذ الأوراق منهم وإحراقها واستنشاقها وما أشبه ذلك ، فهذا من تلاعب الشيطان .

فعليكم بالتوبة إلى الله ﷻ من هذا وعليكم أيضا بالأخذ بما أباح الله من الأدوية ، فإن الله ﴿ ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله ﴾ [4] [5] فعليكم بتعاطي الأدوية المباحة والعلاج بالطب المباح ، أما المعالج بالشعوذة والخرافات ، فهذا لا يجوز للمسلم .

كتابة آيات القرآن وحملها بقصد الحماية من المشاكل أو كسب مودة إنسان

س ٣٥ : ما حكم الشرع في كتابة آيات القرآن وحملها بقصد الحماية من المشاكل ، أو كسب مودة إنسان ؟

ج ٣٥ : لا يجوز على أصح قولي العلماء أن يكتب القرآن على شكل كتب وحروز وتعلق على الأشخاص ؛ لأن القرآن لم ينـزل لهذا ، وإنما الذي ورد أن القرآن يقرأ على

(١) سورة يونس آية : ١٠٧ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٧ .
(٣) سورة الشعراء آية : ٨٠ .
(٤) البخاري الطب (٥٣٥٤) ، ابن ماجه الطب (٣٤٣٩) .
(٥) (انظر : (صحيح الإمام البخاري) (٧ / ١٢) ، من حديث أبي هريرة و(مسند الإمام أحمد) (١ / ٤١٣) و(مستدرك الحاكم) (٤ / ١٩٦ ، ١٩٧) ، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -) .

المصاب ، وعلى المريض ، أما أنه يكتب على شكل حروز ، وعلى شكل حجب وتعلق على الشخص المريض ، فهذا لا يجوز في أصح قولي العلماء ؛ لأن هذا لا دليل عليه ، ولأنه وسيلة إلى امتهان القرآن ووسيلة إلى أن يكتب غير القرآن من التعاويذ الشركية والألفاظ االهولة فإذا فتح هذا الباب فإنه لا يقتصر على كتابة القرآن ، وإنما تكتب الأمور المحظورة والشركية كما هو الواقع عند الجهال والمخرفين . فلا يفتح هذا الباب وينبغي إقفاله ، ومن باب أولى تحريم تعليق القرآن وحمله بقصد الحماية مما لم يقع ، أو لكسب المودة ، فهذا لا يجوز من غير خلاف فيما أعلم .

تعليق الآيات تبركا واعتقادًا بأنا سبب في طرد الشياطين

س٣٦ : هل يجوز للمسلم أن يعلق آية الكرسي ، أو غيرها من الآيات ، أو الأدعية على رقبته ، أو في بيته ، أو سيارته ، أو مكتبه تبركًا با واعتقادًا بأنا سبب في طرد الشياطين ؟

ج٣٦ : لا يجوز للمسلم أن يعلق آية الكرسي ، أو غيرها من آيات القرآن ، أو الأدعية الشرعية على رقبته لدفع شر الشياطين ، أو للاستشفاء با من المرض ، هذا هو الصحيح من قولي العلماء ؛ لأن النبي ﷺ عن تعليق التمائم [(١)] وهذا منه ، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في (كتاب التوحيد) : التمائم : شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إن الرقى والتمائم والتولة شرك ﴾ [(٢)] رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي [(٣)] .

---

(١) (انظر : (مسند الإمام أحمد) (٤ / ١٥٦ ، ١٥٤) وكذلك (مستدرك الحاكم) (٤ / ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢١٦) من حديث بن عامر الجهني) .

(٢) أبو داود الطب (٣٨٨٣) ، ابن ماجه الطب (٣٥٣٠) ، أحمد (٣٨١/١) .

(٣) (انظر : متن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص٢٦) ، والحديث رواه الإمام أحمد في (مسنده) (١ / ٣٨١) ، وأبو داود برقم (٣٣٨٥) ، وابن ماجه برقم (٣٥٢١) ، والحاكم في (مستدركه) (٤ / ٢١٧ ، ٢١٦) بنحوه ، والطبراني في (الكبير) (١٠ / ٢٦٢) والبيهقي في (السنن الكبرى) (٩ / ٣٥٠) ، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -) .

فتعليق الآيات على الرقبة ، أو غيرها من البدن لا يجوز على الصحيح من قولي العلماء لعموم النهي عن تعليق التمائم ، وهذا منه ، ولأجل سد الذريعة التي تفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن ، ولأن في ذلك تعريضًا لامتهان القرآن وعدم احترامه . وأما تعليق الآيات على غير جسم الإنسان من سيارة ، أو جدار ببيت ، أو مكتب لتبرك وطرد الشياطين ، فهذا لا أعلم من قال بجوازه ؛ لأنه من اتخاذ التمائم المنهي عنه وفيه امتهان للقرآن ، ولم يكن من عمل السلف . فما كانوا يعقلون الآيات على الجدران تبركًا با ودفعًا للضرر بتعليقها ، وإنما كانوا يحفظون القرآن في صدورهم ويكتبونه في مصاحفهم ويعلمون به ويتعلمون أحكامه ويتدبرون معانيه كما أمر الله بذلك .

رقية المريض بالقرآن الكريم وأخذ الأجر على ذلك

س٣٧ : هل ورد في الشرع المطهر ما يمنع من رقية المريض بالقرآن الكريم ؟ وهل يجوز للراقي أن يأخذ أجرًا على علمه ، أو هدية ؟ .

ج٣٧ : رقية المريض بالقرآن الكريم إذا كانت على الطريقة الواردة بأن يقرأ وينفث على المريض ، أو على موضع الألم ، أو في ماء يشربه المريض - فهذا العمل جائز ومشروع ؛ لأن النبي ﷺ رقى ورقي [١] قال السيوطي : وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن تكون بكلام الله ، أو بأسمائه وصفاته . وباللسان العربي وما يعرف معناه ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بتقدير الله تعالى [٢] وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : والرقى : هي التي تسمى بالعزائم وخص منها الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيها رسول الله ﷺ من العين والحمة [٣] - يعني : سم العقرب إذا لسعت الإنسان - وكذا لدغ الحية ، فإن الرقية من ذلك تنفع بإذن الله ، ولا

(١) (كما في صحيح البخاري (٧ / ٢٢ - ٢٦)) .
(٢) (انظر : فتح اليد (١ / ٢٤٣)) .
(٣) (انظر : كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص ٦٢ ، ٦٣)) .

بأس أن يأخذ الراقي أجرة ، أو هدية على عمله ؛ لأن رسول الله ﷺ أقر الصحابة الذين أخذوا الأجرة على رقية اللديغ وقال : ﴿ إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله ﴾ [(١)] [(٢)] .

العلاج بالقرآن الكريم

س٣٨ : نسمع في هذه الأيام عن أناس يعالجون بالقرآن مرضى الصرع والمس والعين وغير ذلك ، وقد وجد بعض الناس نتيجة مرضية عند هؤلاء ؛ فهل في عمل هؤلاء محذور شرعي ؟ وهل يأثم من ذهب إليهم ؟ وما الشروط التي ترون أنها ينبغي أن تكون موجودة فيمن يعالج بالقرآن ؟ وهل أثر عن بعض السلف علاج المسحورين والمصروعين وغيرهم بالقرآن ؟

ج٣٨ : لا بأس بعلاج مرضى الصرع والعين والسحر وغيرهما من الأمراض بالقرآن ، وذلك ما يسمى بالرقية ؛ بأن يقرأ القارئ وينفث على المصاب ، فإن الرقية بالقرآن وبالأدعية جائزة ، وإنما الممنوع الرقية الشركية ، وهي التي فيها دعاء لغير الله ، واستعانة بالجن والشياطين ؛ كعمل المشعوذين والدجالين ، أو بأسماء مجهولة ، أما الرقية بالقرآن والأدعية الواردة فهي مشروعة .

وقد جعل الله القرآن شفاء للأمراض الحسية والمعنوية من أمراض القلوب وأمراض الأبدان ، لكن بشرط إخلاص النية من الراقي والمرقي ، وأن يعتقد كل منهما أن الشفاء من عند الله ، وأن الرقية بكلام الله سبب من الأسباب النافعة .

ولا بأس بالذهاب إلى الذين يعالجون بالقرآن إذا عرفوا بالاستقامة وسلامة العقيدة ، وعرف عنهم أنهم لا يعملون الرقى الشركية ، ولا يستعينون بالجن والشياطين ، إنما يعالجون بالرقية الشرعية .

---

(١) البخاري الطب (٥٤٠٥) .

(٢) (رواه البخاري (٧ / ٢٣) ، من حديث ابن عباس) .

والعلاج بالرقية القرآنية من سنة الرسول ﷺ وعمل السلف ؛ فقد كانوا يعالجون بها المصاب بالعين والصرع والسحر وسائر الأمراض ، ويعتقدون أنها من الأسباب النافعة المباحة ، وأن الشافي هو الله وحده .

ولا بد من التنبيه على أن بعض المشعوذين والسحرة قد يذكرون شيئًا من القرآن ، أو الأدعية ، لكنهم يخلطون ذلك بالشرك والاستعانة بالجن والشياطين ، بعض الجهال ، ويظن أنهم يعالجون بالقرآن ، وهذا من الخداع الذي يجب التنبه له والحذر منه .

العلاج عن طريق كتابة الآيات على ورقة وجعلها في الماء حتى تذوب ثم الشرب منها

س٣٩ : ما رأيكم فيمن يأخذ من أحد الرجال الصالحين بعض الكتابات القرآنية للشفاء من مرض حيث يقوم هذا الرجل بكتابة الآيات على ورقة ويقول : اجعلها في ماء حتى تذوب الكتابة ، ثم يشرب المريض ثلاث مرات والباقي يمسح به الجزء المراد شفاؤه كأن يكون المرض في صدره ، أو ظهره ، أو أحد أعضائه فما حكم ذلك ؟

ج٣٩ : الأولى أن يقرأ المسلم على أخيه بأن ينفث على جسمه بعدما يقرأ الآيات ، أو على موضع الألم منه وهذه هي الرقية الشرعية وإن قرأ له في ماء وشربه فكذلك أيضًا ؛ لأن هذا ورد به الحديث . أما كتابة الآيات في ورق ، ثم تمحى هذه الورقة في ماء ويشربها المريض ، فهذا رخص فيه بعض العلماء قياسًا على ما ورد ، وأخذًا بعموم الاستشفاء بالقرآن الكريم ؛ لأن الله أخبر أنه شفاء فلا بأس به إن شاء الله ، ولكن الأولى هو ما ذكرناه ، وهو الوارد عن الرسول ﷺ وهو القراءة على المريض مباشرة [1] أو القراءة في ماء ويشربه .

(١) (انظر صحيح الإمام البخاري (٧ / ٢٥ ، ٢٤) من حديث أبي قتادة وعائشة وأبي سعيد رضي الله عنهم) .

الرقية عن طريق كتابة آيات من القرآن الكريم فيشربه المريض

س٤٠ : أنا أكتب المحو للمرضى فهل يجوز أن أكتب لهم آيات من القرآن الكريم فيشربه المريض أم لا ؟

ج٤٠ : الوارد عن النبي ﷺ الرقية على المريض بأن يقرأ عليه مباشرة وينفث على جسمه . هذه هي الرقية الواردة عن النبي ﷺ بأن يقول ﴿ أعيذك بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس ، أو عين حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك ، ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك ﴾ [(١)] [(٢)] ونحو ذلك من الأدعية الشرعية الواردة التي يرقى بها المريض . أما كتابة القرآن الكريم بأوراق ، أو بصحون ، أو أوانٍ ، ثم تغتسل ويشرب المريض محوها ، فهذا أجازه بعض أهل العلم ويعتبرونه داخلًا في الرقية ، لكن الأولى ما ذكرنا ، وهو أن يرقى المريض مباشرة إما بأن يقرأ عليه ، أو بأن يقرأ في ماء ويشربه المريض . كما ورد عن النبي - ﷺ . هذا هو الأولى اقتصارًا على ما ورد به الدليل ، والله أعلم .

الذهاب بالمرأة المسحورة إلى أحد المشايخ للقراءة عليها

س٤١ : هل يجوز الذهاب بالمرأة المسحورة إلى أحد المشايخ للقراءة عليها ؟

ج٤١ : إذا كان هذا الشيخ معروفًا بالصلاح والدين وصلاح العقيدة ويقرأ عليها من القرآن مع التستر والاحتجاب ، وهذا الشيخ يكون عنده تحفظ من الفتنة فلا بأس بذلك لعدم المحذور ، أما إذا كان هذا الشيخ غير معروف لا بسلامة العقيدة ، ولا معروفًا بما

---

(١) مسلم السلام (٢١٨٦) ، الترمذي الجنائز (٩٧٢) ، ابن ماجه الطب (٣٥٢٣) ، أحمد (٥٦/٣) .

(٢) (انظر صحيح البخاري (٧ / ٢٤ - ٢٦) وصحيح الإمام مسلم (٤ / ١٧١٨ ، ١٧١٩ ، ١٧٣٤ ، ١٧٣٨) ، وغيرهما من كتب السنن) .

يعمل ، ولا بما يقرأ فلا يذهب إليه ، أو كان من المتساهلين في أمور النساء ، ومن لمس النساء والنظر إلى النساء فلا يذهب إليه لوجود الفتنة في هذا .

وإذا ذهب إليه في الحالة الأولى مع الضوابط التي ذكرناها فلا يحصل خلوة بينه وبينها ، بل يكون هذا بحضور وليها معها لا يخلو بها هذا الشخص ، ولو كان صالحًا ، فالفتنة لا تؤمن على أحد ، ولو كان صالحًا . لا يخلو بها ، ولا تكشف له شيئا من جسمها ، أو من زينتها ، ولا تذهب إليه ، وهي متزينة ، أو متعطرة .

كتابة آيات من القرآن أو اسم من أسماء الله الحسنى ومحوها بالماء وشربها بقصد الشفاء

س٤٢ : ما حكم الشرع في كتابة آيات من القرآن ، أو اسم من أسماء الله الحسنى ومحوها بالماء وشربها بقصد الشفاء من مرض ، أو جلب منفعة ؟

ج٤٢ : ينبغي للذي يعالج المرضى بالقرآن على المريض مباشرة بأن يرقيه بالقراءة بأن يقرأ القرآن وينفث على المريض مباشرة هذا أنفع وأحسن وأكمل ، وهذا الذي كان يفعله الرسول ﷺ [١] وكان السلف يفعلونه ويجوز أن يقرأ في ماء ويسقى للمريض أيضًا وبذلك ورد بعض الأحاديث ، أما أن يكتب القرآن على شيء طاهر كصحن ، أو ورق بشيء طاهر ويغسل المكتوب ويسقى للمريض .

فقد رخص فيه بعض السلف مثل الإمام أحمد بن حنبل [٢] وذكره العلامة ابن القيم أيضًا في " " زاد المعاد " " [٣] وأنه شيء معروف عن بعض السلف وتركه أحسن للاقتصار على ما ورد ، والله أعلم .

(١) (انظر صحيح البخاري (٧ / ٢٥ ، ٢٤) ، من حديث أبي قتادة وعائشة وأبي سعيد رضي الله عنهم) .

(٢) (انظر : المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (٢ / ١١٤ ، ١١٢) . ، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموعة الفتاوى (انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٩ / ٦٥ ، ٦٤)) .

(٣) (انظر زاد المعاد لابن القيم (٤ / ١٧١ ، ١٧٠) .

التداوي بكتابة آيات من القرآن على لوح خشبي ثم تمحى بماء يشربه المريض وأخذ الأجرة على ذلك

س٤٣ : هل يجوز التداوي من مرض بكتابة آيات من القرآن على لوح خشبي ، ثم تمحى بماء يسقى به المريض وهل يجوز أخذ الأجرة عن هذا العمل ؟

ج٤٣ : لا بأس بكتابة القرآن على شيء طاهر ويغسل هذا المكتوب ويشرب للمريض للاستشفاء بمثل هذا ؛ لأنه داخل في الرقية . وقد رخص في هذا الإمام أحمد [(١)] وكثير من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية في " " الفتاوى " " [(٢)] وكذلك العلامة ابن القيم في " " زاد المعاد " " [(٣)] . . . وغيرهم من أهل العلم فلا بأس بذا ؛ لأنه داخل في عموم الرقية ، ولكن الأولى أن تكون الرقية بالقراءة على المريض مباشرة بأن يقرأ القرآن وينفث على المريض ، أو على محل الإصابة هذا هو الأفضل والأكمل . وأما أخذ الأجرة على كتابة القرآن لأجل شفاء المريض فلا بأس بذلك أيضًا ؛ لأن أخذ الأجرة على الرقية جائزة لأن النبي ﷺ أقر الصحابة الذين أخذوا الجعل على الرقية [(٤)] .

فتح عيادات متخصصة للقراءة

س٤٤ : ما رأيكم بفتح عيادات متخصصة للقراءة ؟

ج٤٤ : هذا لا يجوز ؛ لأن هذا يفتح باب فتنة ويفتح باب احتيال للمحتالين وما كان هذا من عمل السلف أنم يفتحون دورا ، أو يفتحون محلات للقراءة . والتوسع في هذا يحدث شرًا ويدخل فيه من لا يحسن ؛ لأن الناس يجرون وراء الطمع ويحبون أن يجلبوا الناس إليهم ، ولو بعمل أشياء محرمة ، ومن يأمن الناس ، ولا يقال هذا رجل صالح ؛ لأن الإنسان يفتن والعياذ بالله ، ولو كان صالحًا ففتح هذا الباب لا يجوز ويجب إغلاقه .

---

(١) (انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (٢ / ١١٤ ، ١١٢)) .
(٢) (انظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٩ / ٦٤ ، ٦٥)) .
(٣) (انظر : زاد المعاد لابن القيم (٤ / ١٧٠ ، ١٧١)) .
(٤) (انظر صحيح البخاري (٧ / ٢٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) .

لا يتطلب أن يكون كل مرض سحرا

س ٤٥ : سائل يقول : زوجتي تعاني من أمراض مختلفة وعرضت على أطباء فأفادوا بعدم وجود أي أمراض عضوية ، وهي تشك أن بـا سحرا وكثر ما تطلب مني عرضها على بعض الأشخاص الذين يكشفون السحر ، وأنا أرفض لما في ذلك من التحريم ، وأنا لا أحس بالراحة والحياة الزوجية معها ، فما رأي فضيلتكم وما هو الحل ؟

ج٤٥ : ما كل من أصيب بمرض يكون مسحورًا ، الأمراض كثيرة فما كل مرض يكون سحرًا ، فهذا من باب الظن والواجب ترك هذا الظن ، وهذا الوسواس والإلحاح على الله بالدعاء وعمل الرقية الجائزة الشرعية قراءة القرآن على هذه المريضة والإكثار من ذلك وتعويذها بالتعويذات الشرعية . هذا هو العلاج ، أيضًا الذهاب إلى الأطباء النفسانيين ربما يعرفون نوع مرضها وعندهم علاج لهذا الشيء ، ولا يكون هذا من السحر وحتى لو ثبت أنه سحر فالسحر لا يحل بسحر مثله ، وإنما يحل بالعلاج الشرعي الذي هو قراءة القرآن والتعويذات وإذا كان هناك أدوية معروفة لحل السحر وليس فيها شيء من الشعوذة على أيدي الثقات من أهل العلم والمعرفة فإننا تستعمل . أما أنه يذهب إلى السحرة لأجل حل السحر هذا لا يجوز ، قال الحسن : لا يحل السحر إلا ساحر [١] . ولما سئل النبي ﷺ عن ذلك قال : ﴿ هو من عمل الشيطان ﴾ [٢] [٣] .

---

(١) (ذكره ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية عن ابن الجوزي في جامع المسانيد (٣ / ٧٧) بلفظ : لا يطلق) .

(٢) مسلم الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٤٠) ، النسائي الصيد والذبائح (٤٣٤٠) ، ابن ماجه الذبائح (٣١٩٦) ، أحمد (١١١/٣) .

(٣) (رواه الإمام أحمد (٣ / ٢٩٤) ، وأبو داود برقم (٢٣٧٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٣٥١) كلهم من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه . وانظر : مجمع الزوائد (٥ / ١٠٢)) .

امرأة تضع المصحف بجانب طفلها الصغير بقصد حمايته من الجن

س ٤٦ : ما رأي فضيلتكم في امرأة تضع المصحف بجانب طفلها الصغير بقصد حمايته من الجن عند انشغالها وتركه وحده ؟

ج٤٦ : هذا العمل لا يجوز ؛ لأن فيه إهانة للمصحف . ويجب أن يرفع المصحف ويصان ويبعد عن الطفل . وليس هذا العمل مشروعًا بأن يجعل المصحف عند الطفل ، أو يجعله على صدره إذا نام ، أو ما أشبه ذلك ، أو توسد ، أو يجعله في لحافه ، أو ما أشبه ذلك .

كتاب آكام المرجان في غرائب وأحكام الجان

س٤٧ : يسأل عن كتاب (آكام المرجان في غرائب وأحكام الجان) ؟

ج٤٧ : (آكام المرجان في غرائب وأحكام الجان) هذا كتاب معروف ، يبحث في موضوع الجن ؛ من حيث أحكامهم ، وأشكالهم ، وتصرفاتم ويعطي فكرة موسعة عنهم وفيه فائدة للقارئ وفيه أحكام شرعية فهو كتاب جيد في الجملة .

المحاضرة الثانية والأربعون
الحقوق الواجبة على المسلم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإن الله - سبحانه وتعالى - كرم بني آدم على سائر المخلوقات ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [1] وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾ [2] وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣ ﴾ [3] .

فهذا الإنسان له ميزة على غيره بالعقل والتكريم وتوفير النعم له وإمداده بكل ما يستعين به على ما ينفعه في دينه ودنياه .

فكل ما في هذا الكون مسخر لبني آدم ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٧٠ .
(٢) سورة التين الآيات : ٤ - ٦ .
(٣) سورة الحجرات آية : ١٣ .
(٤) سورة الجاثية آية : ١٣ .

قال - سبحانه وتعالى - في الآية الأخرى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢) .

فهذا الإنسان يمتاز على غيره من كل ما يمشي على وجه الأرض يمتاز بما أعطاه الله من الحواس والمدارك وما منحه من العقل والتفكير وما خوله من النعم فإنه ما أعطاه الله هذه الميزات عبثاً ، ما أعطاه الله هذه الميزات وكرمه هذا التكريم عبثاً ، بل لا بد أن يكون ذلك لحكمة وأن يكون لذلك نتيجة عظيمة قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٣) .

فهل يحسب الإنسان أنه أعطي هذه النعم ومكن هذا التمكين وأكرم هذا الإكرام من غير نتيجة ومن غير حكمة ؟ ليس كذلك ، لقوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤) .

فهذا التكريم وهذا الإنعام على هذا البشر له حكمة عظيمة ، وليس من أجل أن يأكل ويشرب ويسرح ويمرح أبدًا . ليس من أجل أن يعمل ما شاء مما تمليه عليه رغباته وشهواته . ليس كذلك ، بل لا بد أن يكون وراء ذلك أمر عظيم .

ما هو هذا الأمر ؟ هذا الأمر أن الله كما كرمه وكما نعمه وكما أعطاه هذه العطايا العظيمة حمله مسؤولية عظيمة وأمانة كبرى إن قام بها فله الأجر العظيم عند الله ويكون مصيره أحسن من مبدئه في هذه الدنيا ، إن الله أنعم على الإنسان في هذه الدنيا ومكنه

---

(١) سورة الإسراء آية : ٧٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٩ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ١١٥ .
(٤) سورة القيامة الآيات : ٣٦ - ٤٠ .

وكرمه ، ولكن إذا أدى مسؤوليته على الوجه المطلوب فعند الله له من التكريم في الآخرة ما لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - ، أعد الله له ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وسيواصل الله له التكريم والإنعام دائما في الدنيا والآخرة .

إذا قام بذا الواجب وحمل هذه الأمانة بصدق وإخلاص فإنه سيقدم على خير أكثر مما تركه في هذه الدنيا وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ، فهذا الإنسان لم يخلق في هذه الدنيا ليأكل ويشرب ويتنعم ويشتهي ويعمل ما شاء ، ليس كذلك ، قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [1] .

ما هي الأمانة ؟ هذه أمانة المسؤولية أمام الله جل وعلا وأمام خلقه . فهو مسؤول عن تصرفاته ، مسؤول عن حركاته وسكناته ، مسؤول عن أعماله ، مسؤول عن جميع ما يصدر منه ، يحاسب ويناقش فإن أحسن فله الأجر والثواب عند الله - سبحانه وتعالى - وإن أساء فإنه متوعد بالعقاب ، ولهذا قال بعد هذه الآية : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [2] ، الذين ضيعوا هذه الأمانة ، ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ [3] ، الذين حفظوا هذه الأمانة ، أمانة المسؤولية ، المسؤولية أمام الله وأمام خلقه بأن ينظروا إلى أعمالهم ويحاسبوا أنفسهم ويقفوا عند تصرفاتهم فما كان منها حقاً شكروا الله عليه واستمروا عليه ، وما كان منها سيئاً تركوه وتابوا منه واستبدلوا بالحسن المحمود عند الله - سبحانه وتعالى - هذه الأمانة ، وهذه المسؤولية تتلخص في الحقوق التي أوجبها الله على هذا الإنسان .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٧٢ .
(٢) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٢ - ٧٣ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٧٣ .

الحقوق العشرة

الحق الأول : العبادة

هذه الحقوق هي التي بينها الله جل وعلا بقوله : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [(١)] .

هذه الحقوق العشرة : في هذه الآية الكريمة هي التي حملها هذا الإنسان وكلف بها وبالقيام بها وكل إنسان عاقل فإنه لا يعفى من هذه الحقوق إلا من فقد العقل كما قال ﷺ : ﴿ رفع القلم عن ثلاثة : الصغير حتى يبلغ ، والمجنون حتى يفيق ، والنائم حتى يستيقظ ﴾ [(٢)] [(٣)] من عدا هؤلاء الثلاثة فإنه مكلف بهذه الحقوق فإن أداها على الوجه المطلوب فإنه يثاب عليها وتكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة ، وإن ضيعها أو ضيع شيئا منها فإنه يكون مؤاخذاً عند الله - سبحانه وتعالى - ، وهذه الحقوق أولها : قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [(٤)] ، هذا هو الحق الأول : وهو حق الله على عباده ، الذي خلقهم من أجله ورزقهم وأوجدهم من العدو وغذاهم بالنعم ، حقه مقدم على سائر الحقوق فحقه ليس معناه : أنهم يقدمون لله نفعاً ينفعون الله جل وعلا به ، كلا لأنه ليس بحاجة إليه وإنما يقدمون لأنفسهم ما يقربهم إلى الله ويرضي الله عنهم رحمة بهم فهذه العبادة ليس الله بحاجة إليها ؛ وإنما العباد هم المحتاجون إليها ؛

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٢) الترمذي الحدود (١٤٢٣) ، ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٢) ، أحمد (١/١٤٠) .

(٣) (رواه الإمام أحمد (١ / ١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٥٨) و (٦ / ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٦) ، وأبو داود برقم (٣٤٩٨ - ٤٤٠٣) والترمذي برقم (١٤٢٣) والنسائي في سننه برقم (٣٤٣٢) وابن ماجه برقم (٢٠٤١ ، ٢٠٤٢) والدارمي برقم (٢٣٠١) بروايات ، عن عائشة وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -) .

(٤) سورة النساء آية : ٣٦ .

لأنهم فقراء إلى الله جل وعلا في كل لحظة وفي كل حالة لا غنى بهم عن الله طرفة عين لكن لا يقربهم إلى الله ولا يربطهم بالله إلا العبادة .

فالعبادة سبب لعفو الله جل وعلا عنهم وإكرامه لهم وإنعامه عليهم في الدنيا والآخرة فهم المحتاجون للعبادة وإلا فالله جل وعلا غني عنها ، كما قال تعالى : ﴿ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ (١) وقال ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (٢) .

وفي الحديث القدسي يقول الله جل وعلا : ﴿ يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا . . . . يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ﴾ (٣) (٤) .

هذا هو المقصود من العبادة وهو راجع إلى المخلوق ، وكون الله أمره بالعبادة رحمة به من أجل أن تقربه إلى ربه - سبحانه وتعالى - ، ومن أجل أن يفتح الباب بينه وبين الله فيستحب دعاءه ويرحم ضعفه ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ، واعلم أن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٨ .

(٢) سورة الزمر آية : ٧ .

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٧) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٥) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٥٧) ، أحمد (٥/١٦٠) .

(٤) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - .

بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ﴾ [(١)] [(٢)] .

معنى هذا : أنك تعلق بالله ﷻ قلبك لا تلتفت إلى غير الله - سبحانه وتعالى - . وإذا تعلق قلبك بالله ملأه الله غنى ونوراً وإيماناً أما إذا أعرض قلبك عن الله أظلم وقسا وانقطع عن الله جل وعلا فلا يستجاب لك دعاء ولا يرفع لك عمل وحينئذ تكون من الخاسرين ، هذا هو المقصود من العبادة فأنت إذا تركت العبادة ضيعت نفسك ، وإلا فالله غني عن عبادتك لا ينقص من ملكه شيء - سبحانه وتعالى - وله عباد غيرك يعبدون لا يفترون ، فالله جل وعلا غني عنك لكن أنت الذي ضيعت نفسك مع الله جل وعلا فانتبه لنفسك .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ [(٣)] ، هذا يبين لنا أن العباد هم المحتاجون للعبادة ، وأما الله جل وعلا فليس بحاجة إلى العبادة ولكنه أمرهم بما لمصلحتهم ، فالله إنما يأمرنا لمصلحتنا وينهانا لمصلحتنا .

قال تعالى ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ [(٤)] ما أحد يرزق غير الله - سبحانه وتعالى - ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ [(٥)] لو أن الله منع الرزق من الذي يرزقك .

---

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .
(٢) (رواه الإمام أحمد (١ / ٣٠٧) ، والترمذي في سننه (٧ / ٢٠٣ ، ٣٠٣) ، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -) .
(٣) سورة الذاريات آية : ٥٦ - ٥٨ .
(٤) سورة الذاريات الآيتان : ٥٧ - ٥٨ .
(٥) سورة الملك آية : ٢١ .

تعريف العبادة :

العبادة في اللغة : الذل والخضوع ، أي : ذل لله وخضوع له ومع المحبة والإجلال ؛ لأن العبادة غاية الذل مع غاية الحب لله جل وعلا ، وبتعريف أشمل وأوسع العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة سواء كانت اعتقادية أو قولية أو فعلية كل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة على الجوارح ، والباطنة في القلوب ، فإنه عبادة لله - سبحانه وتعالى - . وما يرضاه الله فإنه ليس عبادة لله ولو كان الإنسان يريد التقرب به إلى الله .

فالذي لا يرضاه الله لا يكون عبادة لله ولو حسن قصد الإنسان فيه فالبدع والخرافات والشركيات لا تصلح عند الله - سبحانه وتعالى - ؛ لأن الله لا يرضاها ولم يأذن با .

فالعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ، والله لا يحب الكفر ولا يحب الشرك ولا يحب البدع والمحدثات ولا يرضاها وإنما يحب الطاعات ويحب الاتباع والاقتداء بالرسول ﷺ والعمل بما شرعه الله - سبحانه وتعالى - ، هذا هو الذي يرضاه الله ويحبه وهذا هو العبادة ، ثم قال : ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [(١)] لما كانت العبادة لا تصح إلا بالإخلاص لله ﷻ نبه الله على ذلك فنبه على ما يفسد العبادة وهو الشرك فإن الإنسان لو عبد الله في الليل والنهار وأتى بكل عبادة يعرفها ولكنه أشرك بالله شيئاً فإن عبادته لا تنفعه مهما أتعب نفسه فيها ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [(٢)] .

فالشرك لا تصح معه عبادة ، فالذي يعبد الله ويعبد غيره لا تنفعه عبادته ولا تصح عبادته ، كما قال الله - سبحانه وتعالى - : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » [(٣)] [(٤)] الله لا يقبل عملاً فيه شرك ،

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٥ .

(٣) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٥) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠٢) ، أحمد (٣٠١/٢) .

(٤) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٩٨٥) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .

وقوله " شيئاً " يشمل الشرك الأكبر والشرك الأصغر ، الشرك الأكبر المخرج من الملة والشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة ؛ لقوله " شيئاً " ، فهو نكرة في سياق النهي فتعم الشرك الأكبر والأصغر .

وكذلك تشمل كل ما عبد من دون الله ؛ لأن بعض الناس يظن أن الشرك عبادة الأصنام فقط ، والشرك أشمل من هذا ، فيشمل عبادة الأولياء والصالحين والملائكة والرسل وعبادة الأحجار والأشجار ، فيشمل عبادة كل ما تعلقت به القلوب من دون الله ﷻ كعبادة القبور والأولياء والصالحين ، هذا أكبر الشرك وهو يحبط جميع الأعمال ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [1] .

فمن تعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك بالله ﷻ وبالتالي تكون عبادته هباء منثورا قال الله جل وعلا : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] الله سماه عملا لكنه هباء منثور ؛ لأنه لم يخلص لله عز وجل .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [3] لاحظوا يا عباد الله سماها أعمالاً فدل على أنهم يعملون وأنهم أتعبوا أنفسهم لكن لما كان عملهم على غير أساس صحيح صار مثل السراب الذي هو انعكاس شعاع الشمس في القيعان وقت الظهيرة حتى إذا رأيته من بعد ظننته ماءً يجري ؛ لأن شكله شكل الماء كذلك عمل الكافر شكله شكل العمل .

ثم ماذا ترون حالة هذا الإنسان الظمآن الذي تعب ولما وصل إلى هذا الذي يحسبه ماءً لم يجده شيئا ؟ ماذا تكون حالته ؟ كذلك الكافر والمشرك في الآخرة ماذا تكون حالته

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٨ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٢٣ .
(٣) سورة النور آية : ٣٩ .

والعياذ بالله ، قال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)] .

أسأل الله العافية ؛ هذا هو الحق الأول : حق الله الذي خلق العباد من أجله .

ويبين هذا قوله ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه قال : ﴿ كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : يا معاذ ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وإن حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ﴾ [(٢)] [(٣)] .

إذا رجعت الفائدة للعباد سلموا من العذاب وإذا سلموا من العذاب نالوا الثواب والرضى من الله - سبحانه وتعالى - هذا هو حق الله وهو أعظم الحقوق وألزم الحقوق وهو الأساس الذي إذا ضاع ضاعت جميع الأعمال وضاعت جميع الحقوق ، وإذا وجد وصلح استقامت الأمور وصلحت الأعمال بدأ به أولا ؛ لأنه الأساس وهو القاعدة فبدونه لا مصلحة من الحياة ولا فائدة في الحياة الدنيا ، وإذا ضاعت الحياة الدنيا ضاعت الحياة الآخرة ، ضاعت الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [(٤)] فمن ضيع دنياه ضاعت آخرته .

هذا هو حق الله جل وعلا ولذلك يجب على المسلمين أن يتعلموا التوحيد ويعملوا به ويتعلموا ضده وهو الشرك ويتجنبوه . يجب أن يتعلموه بدقة وعناية في مدارسهم وفي مساجدهم ، في مجالسهم يتدارسون هذا الأمر العظيم ويدعون إليه ، والدعوة يجب أن

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٨ .

(٢) البخاري الرقاق (٦١٣٥) ، مسلم الإيمان (٣٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦) ، أحمد (٢٣٦/٥) .

(٣) (رواه الإمام البخاري (٧ / ١٣٧) في مواضع من الصحيح من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه -) .

(٤) سورة الحج آية : ١١ .

تكون مركزة على التوحيد والعقيدة ؛ لأنا الأساس ثم بعد ذلك تتناول بقية الإصلاحات ، أما أن نتم بالإصلاحات الجانبية ونترك العقيدة فنحن مثل الذي يعتني بجسم ليس له رأس . كذا الدين إذا ضاع التوحيد ضاع بقية الدين .

على الدعاة أن يهتموا بذا الأمر وأن يركزوا عليه ، وأن تعقد له الندوات والمحاضرات والدروس حتى يتقرر ويثبت ويتضح للناس وحتى تستقيم الأمور وتصلح الأحوال هذا هو المطلوب وهو الأساس . هذا هو الذي إذا وقع فيه الخلل فسدت الدنيا والآخرة أما بقية الأمور فلو قدر أن يقع فيها خلل فإنه يكون عرضة للمغفرة والتوبة من الله جل وعلا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [(١)] .

جميع الذنوب يرجى من الله أن يغفرها مهما عظمت ، لكن الشرك يقول الله جل وعلا فيه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [(٢)] ويقول : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢ ﴾ [(٣)] هل بعد هذا البيان بيان .

الحق الثاني : حق الوالدين

الحق الثاني : حق الوالدين ، حيث يقول تعالى : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [(٤)] يعني : وأحسنوا بالوالدين إحسانا فجاء حق الوالدين بعد حق الله مباشرة ؛ لأن أعظم المحسنين إليك من الخلق هم الوالدين ربياك صغيرا واعتنيا بك ، حملتك أمك كرها ووضعتك كرها كم لاقت من المشقة في تربيتك وإماطة الأذى عنك أرضعتك من ثدييها قامت عليك ، والوالد يكد ويكدح ويكتسب ويعرض نفسه للأخطار من أجل أن يطعمك ويغذيك فكل من الوالدين تظافرا في إنتاجك وفي تكوينك حتى صرت بشرا وصرت رجلا .

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٣) سورة المائدة آية : ٧٢ .

(٤) سورة البقرة آية : ٨٣ .

ما أحد عطف عليك من الناس غير الوالدين في مهدك لما نزلت من بطن أمك من الذي حن عليك ولهذا يقول جل وعلا في الآية الأخرى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] .

مهما عملت من البر فإنك لن تقوم بحق الوالدين . كان رجل يطوف بالكعبة وهو حامل لوالدته على ظهره وهي كبيرة السن يطوف بها بالكعبة ، فرأى ابن عمر - رضي الله عنهما - ، قال : يا ابن عمر هل تراني قد وفيتها حقها ؟ قال : لا ، ولا بزفرة من زفراتها ولكنك محسن والله يجزي على الإحسان . إن حق الوالدين عظيم ولهذا جاء بعد حق الله جل وعلا في الترتيب في كثير من آيات القرآن في هذه الآية ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [2] وفي قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [3] وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [4] .

وجعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله هو معصيتهما وعدم الإحسان إليهما ، فالعقوق خطير جدا ، وحري بمن عق والديه أن يعاجل بالعقوبة وأن يرزق أولادا يعقونه كما عق والديه . وهذا أمر تساهل فيه كثير من الناس اليوم . تجد الولد من حين يتوظف يخرج في بيت مستقل ويترك الوالدين على فقرهم وعلى حاجتهم وعلى كبر

---

(١) سورة الإسراء الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .
(٢) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٢٣ .
(٤) سورة لقمان الآيتان : ١٣ - ١٤ .

أسنانهم ينعزل عنهما تماما . بل ربما أنه في بعض المجتمعات أن الوالدين إذا كبرا يودعان دور العجزة حتى يموتا ولا يعطف الولد عليهما هذه مظاهر العقوق والعياذ بالله .

وحتى لو لم يصل الأمر إلى هذا فإن كثير من الأولاد اليوم يتكبرون على الوالدين ويصفونهما بالجهل وبعدم الإدراك وبالغفلة وبكل الذم وأنهما أصحاب أفكار ضيقة وأن الولد متنور وعارف فيتكبر على والديه ويجازيهما بالإعراض ونكران الجميل ولذلك ورد أن دعوة الوالد مستجابة فإذا دعا الوالد على ولده والعياذ بالله فإن دعوته مستجابة أو دعا له بخير فإن دعوته مستجابة فاغتنم دعاء الوالدين لك واحذر من دعائهما عليك .

الحق الثالث والرابع والخامس

حق ذي القربى والقرابة واليتامى والمساكين

الحق الثالث : حق ذي القربى والقرابة : وهم الذين تربطك بهم قرابة نسبية من قبل الأب أو من قبل الأم فالأعمام وأبناء الأعمام والإخوة وأولاد الإخوة هؤلاء تربطك بهم القرابة من جهة الأب ، والأخوال والخالات والأجداد والجدات من قبل الأم تربطك بهم القرابة من قبل الأم فتصل القرابة ولو قطعوك .

ولهذا جاء في الحديث : ﴿ ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها ﴾ [(١)] [(٢)] .

أما إذا كنت لا تواصل من أقاربك إلا من يواصلك فهذه مكافأة ليست صلة رحم ، الواصل الذي يصل الرحم وإن قطعته هذا هو الواصل ، وصلة الأرحام وبر الوالدين تكون بالكلام اللين وبالزيارة والنفقة إذا احتاجا وإدخال السرور عليهم وتوقيرهم واحترامهم كل هذا من حقوقهم .

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٤٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٠٨) ، أبو داود الزكاة (١٦٩٧) ، أحمد (١٩٣/٢) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (٧ / ٧٣) من حديث الحسن وفطر - رضي الله عنهما -) .

ثم ذكر حق اليتامى والمساكين ، واليتيم هو : الصغير الذي مات أبوه الذي يقوم برعايته فجعل المسلمين في محل والده يقومون برعايته .

والمسكين هو : الذي لا يجد ما يكفيه فيعطى كفايته ، وبذا يجبر كسر هذين الصنفين اليتيم والمسكين في المجتمع المسلم .

الحق السادس إلى العاشر
حق الجار بأنواعه وحق ملك اليمين من الأرقاء

الحق السادس والسابع والثامن : حق الجار : وهو من يسكن إلى جانب سكنك أو قريبك منه ، وقد ذكر النبي ﷺ أن الجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق وهو الجار القريب المسلم له حق القرابة وحق الإسلام وحق الجوار . وجار له حقان : وهو الجار المسلم غير القريب له حق الإسلام وحق الجوار . وجار له حق واحد : وهو الجار الكافر .

وحق الجوار بأنواعه الثلاثة هو كف الأذى عنه وبذل الخير له وإيصال النفع له .

ثم ذكر سبحانه حق ابن السبيل : وهو المسافر المنقطع به دون بلده فيعطى ما يوصله إلى بلده من الزكاة وغيرها ولو كان غنيا في بلده .

الحق العاشر : حق ملك اليمين من الأرقاء وذلك بالإنفاق عليهم وعدم تكليفهم من الأعمال ما لا يطيقون وإذا كلفهم أن يعينهم ، ويدخل في ذلك ما يملكه الإنسان من البهائم فيحسن إليها ويرفق بها ويؤمن لها ما تحتاجه من العلف والماء ولا يحملها ما لا تطيق . هذا هو دين الإسلام . دين العدالة والرحمة ، الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المحاضرة الثالثة والأربعون
صفات الداعية الناجح

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن موضوع الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - موضوع مهم ، فالدعوة إلى الله تعني طلب الدخول في دين الله ﷻ فإن الله - سبحانه وتعالى - خلق الخلق لعبادته ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [1] .

وعبادتهم لله يرجع نفعها إليهم ؛ لأنهم هم المحتاجون إلى عبادة الله - سبحانه وتعالى - ، أما الله جل وعلا فإنه غني عنهم وعن عبادتهم ، قال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ [2] .

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : ﴿ يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا . . يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ﴾ [3] [4] .

---

(١) سورة الذاريات الآيات : ٥٦ - ٥٨ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ٨ .

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٧) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٥) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٥٧) ، أحمد (١٦٠/٥) .

(٤) (تقدم تخريجه ص ١٤٣ ، الحاشية رقم (١)) .

فالعباد هم الذين بحاجة إلى أن يعبدوا الله من أجل أن ينالوا رضا الله ومغفرته ورحمته ، من أجل أن يدخلهم جنته وينقذهم من عذابه ، ولذلك خلقهم الله - سبحانه وتعالى - ، ولكن اقتضت حكمته - سبحانه وتعالى - أن يختبرهم وأن يمتحنهم ؛ ليتميز بذلك أهل طاعته من أهل معصيته ، والشيطان وحزبه يدعون الناس إلى الخروج عن عبادة الله وإلى معصية الله وإلى اتباع الأهواء والشهوات ؛ ولذلك أرسل الله - سبحانه وتعالى - الرسل يدعون الناس إلى الخير ، والشياطين تدعوهم إلى الشر ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [(١)] ، ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [(٢)] . ﴿ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ [(٣)] .

فالله يدعو عباده إلى أن يعبدوه ويتوبوا إليه ويستغفروه وأرسل الرسل يدعون الناس إلى ذلك ، وكلف العلماء ورثة الأنبياء بالدعوة إليه - سبحانه وتعالى - من أجل مصلحة العباد ومن أجل منفعتهم ، فالدعوة إلى الله قائمة منذ حصل ما حصل بين آدم وعدوه الشيطان ، وعندها تكفل الشيطان بإغواء بني آدم من استطاع منهم وإضلالهم ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [(٤)] .

مقابلة الإساءة بالحسنة

فلا شك أن هناك دعاة إلى الخير وهناك دعاة إلى الباطل من شياطين الجن والإنس ؛ حكمة من الله - سبحانه وتعالى - وابتلاءً وامتحانا للعباد منذ بدء الخليقة إلى آخر الدنيا والصراع مستمر بين الحق والباطل وبين الدعاة إلى الخير والدعاة إلى الشر ، والله -

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١ .
(٢) سورة يونس آية : ٢٥ .
(٣) سورة إبراهيم آية : ١٠ .
(٤) سورة فاطر آية : ٦ .

سبحانه وتعالى - أثنى على الدعاة إلى الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [1] .

فأخبر أن الدعاة إلى الله هم أحسن الناس قولا . وأيضا وصف الدعاة بأنم يعملون بما يدعون الناس إليه ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [2] فالداعية يجب أن يكون أول من يمتثل بما يدعو إليه من الطاعة والعبادة حتى يكون قدوة صالحة وحتى تصدق أقواله أعماله . ولهذا يقول نبي الله شعيب عليه السلام : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [4] أي : ينتسب إلى الإسلام وإلى المسلمين وجماعة المسلمين ، لا ينتسب إلى أحد سوى المسلمين ؛ ثم يبين الله - سبحانه وتعالى - أن الداعية إلى الله يتعرض إلى أذى من الناس ولكن أوصاه بأن يدفع بالتي هي أحسن .

فإذا أساء أحد إليه فإنه يقابل الإساءة بالإحسان ؛ لأن هذا يبعث على قبول دعوته ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [5] .

فالداعية حينما يؤذى فإنه لا يلتفت إلى ما يقال وما يفعل ضده . وأيضا يقابل الإساءة بالإحسان فيحسن إلى من أساء إليه من أجل أن يجتلب الناس إلى الخير ؛ لأنه لا يريد الانتصار لنفسه ، وإنما يريد الخير للناس ولهذا فإن النبي ﷺ لم ينتصر لنفسه قط وإنما

---

(١) سورة فصلت الآيتان : ٣٣ - ٣٤ .
(٢) سورة فصلت آية : ٣٣ .
(٣) سورة هود آية : ٨٨ .
(٤) سورة فصلت آية : ٣٣ .
(٥) سورة فصلت آية : ٣٤ .

يغضب وينتصر إذا انتهكت حرمات الله - سبحانه وتعالى - ، أما هو في نفسه فهو يؤذى ويقال فيه ويتكلم فيه ولم يكن ينتصر لنفسه ، بل يحتسب الأجر عند الله - سبحانه وتعالى - .

وهذا أيضا من مقومات الدعوة الإحسان إلى المدعوين وإن أساؤوا . هذا مما يجلبهم إلى الخير ويرغبهم في الخير ، أما مقابلتهم بالإساءة فإن هذا ينفرهم : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [1] . ثم بين أن هذه الصفة صفة عزيزة ، يعني : كون الإنسان يضير ويتحمل ويقابل الإساءة بالإحسان هذه صفة عزيزة ؛ فقال : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ [2] .

هذه تحتاج إلى صبر وهو حبس النفس عن الجزع ، حبس النفس عن إرادة الانتقام والانتصار . توطين النفس ، هذا ما يدفع به العدو الإنسي يدفع بالإحسان إليه حتى تجتلب مودته ويتألف على الخير ، أما العدو الشيطاني فبين الله ما يدفع به فقال : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] .

فالداعية إلى الله يتعرض إلى شياطين الإنس وشياطين الجن ، أما شياطين الإنس فيقابلهم بالإحسان عن إساءتهم والصفح عن زلتهم وعدم الالتفات إلى ما يقولون .

أما العدو الجني فإنه يدفع بالاستعاذة ، هذا طريق الداعية الناجح ، أنه يستمر في دعوته إلى الله ، وأنه لا يفت في عضده أو يفل من عزمه أن فلانا أساء إليه أو تكلم فيه ؛ لأنه لا يدعو لنفسه ولا ينتصر لنفسه ، وإنما يدعو إلى الله - سبحانه وتعالى - ، فالدعوة إلى الله معناها طلب الدخول في دين الله ﷻ الذي خلق الخلق من أجله والذي به سعادتهم وصلاحهم وفلاحهم .

فالداعية إلى الله لا يريد من الناس أن يردوا إليه جزاء على دعوته ، وإنما يريد الأجر من الله ، والداعية إلى الله لا يريد الرفعة والعلو في الأرض ، وإنما يريد المصلحة للناس ومنفعة الناس ويريد إخراجهم من الظلمات إلى النور .

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٤ .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٥ .

(٣) سورة فصلت آية : ٣٦ .

هذا الذي يريده الداعية الناجح أما الذي بعكس ذلك يريد مظهرا أو يريد ثناء من الناس ، فهذا لا شك أنه يرجع من أول الطريق عندما يقابل أول عقبة ، أما الذي يدعو إلى الله فإنه لا ينثني ، بل يستمر في دعوته : ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ ﴾ [1] كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقولون لأممهم : لا نسألكم عليه أجرا .

وإنما نريد النفع لكم والخير فإن قبلتم فذلك هو المقصود ؛ وإذا لم تقبلوا فنحن قد أبرأنا ذمتنا وأقمنا الحجة عليكم . والدعوة إلى الله تسبق الجهاد ؛ لأن الرسول ﷺ كان إذا أرسل جيوشه يوصيهم بأن يدعو الناس قبل مقاتلتهم ، يبدؤونم بالدعوة إلى الله ، فإن استجابوا فالحمد لله ، وإن لم يستجيبوا فعند ذلك يقاتلون ويجاهدون ؛ لإعلاء كلمة الله - سبحانه وتعالى - ؛ فالكفار يدعون إلى الدخول في دين الله . . والمسلمون الذين عندهم انحراف في العقيدة يدعون إلى تصحيح العقيدة . . والمسلمون الذين عندهم استقامة على العقيدة ولكن عندهم بعض المعاصي والمخالفات يدعون إلى التوبة وإلى ترك الذنوب والمعاصي .

منهج الدعوة إلى الله

فالدعوة إلى الله مطلوبة وهي تتنوع بحسب الحاجة فلا بد من الدعوة إلى الله ﷻ وظيفة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من العلماء المصلحين إلى أن تقوم الساعة ولا يجوز تركها . يقول الله ﷻ في مدح هذه الأمة : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [2] .

ويقول : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾ [3] .

(١) سورة الأنعام آية : ٩٠ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

فوظيفة هذه الأمة هي الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، والله - سبحانه وتعالى - أمر نبيه بالدعوة إلى الله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (١) .

هذا أمر من الله - سبحانه وتعالى - لنبيه ، ثم بين له المنهج الذي يسير عليه في دعوته : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (٢) .

ثم لا بد أن يكون منهج الدعوة موافقا لما شرعه الله - سبحانه وتعالى - وليست مناهج الدعوة مفوضة إلى الناس يضعون مناهج لأنفسهم ، بل المنهج وضعه الله - سبحانه وتعالى - ورسمه وطبقه الرسول ﷺ في سيرته العطرة ، وكذلك أتباع الرسول ﷺ ساروا على منهج الرسول ﷺ في دعوته ، وأي واحد يحدث منهجا يخالف منهج الرسول ﷺ منهج الكتاب والسنة فإنه يكون مخطئا في منهجه وبالتالي لا تنجح دعوته ، بل تكون دعوته غير صحيحة ، إنما ينجح في دعوته إذا ترسم خطى الرسول ﷺ وأخذ منهج الدعوة من الكتاب والسنة .

وفي هاتين الآيتين بيان واضح ؛ لذلك نأخذ منهما أنه يشترط في منهج الدعوة بادئ ذي بدء : أن تكون النية خالصة لله ﷻ وأن يكون مقصود الداعية ثواب الله - سبحانه وتعالى - وإقامة دينه وإصلاح المدعوين على الطريق السليم . لا يريد عرضا من أعراض الدنيا ولا علوا في الأرض ولا رياء ولا سمعة ولا طمعا دنيويا ، وإنما يريد بذلك وجه الله ، ويريد أيضا إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة هذا المقصود . وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٣) : التنبيه

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

على الإخلاص ؛ يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على هذه الآية ﴿ ٱدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [1] : فيه التنبيه على الإخلاص ؛ لأن أكثر الناس إنما يدعو إلى نفسه [2] .

أقول : ولا يدعو إلى جماعة أو حزب أو شخص غير محمد ﷺ ولا إلى مذهب غير دين الإسلام ، ولا إلى جماعة غير جماعة المسلمين ، أهل السنة والجماعة ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣ ﴾ [3] .

فعلى الداعية أن يدعو إلى الله ولا يدعو إلى نفسه ، لأن أكثر الناس يدعو إلى نفسه ؛ ولذلك فإذا حصل عليه شيء من الأذى أو من التنقيص أو من أي عائق من العوائق تأثر ؛ لأن هذا عنده يخدش في نفسه وفي شخصيته ، أما الذي يدعو إلى الله فإنه لا يهمه أمدحه الناس أو لم يمدحوه ؛ لأنه يريد وجه الله عز وجل . وإذا أصابه شيء فهو في سبيل الله عز وجل .

الصفة الثانية من هذا المنهج : أنه يشترط في الذي يدعو إلى الله أن يكون على بصيرة ، يكون على علم بما يدعو إليه بأن يتعلم أولا العلم الذي يستطيع به أن يدعو الناس إلى الله عز وجل .

فالجاهل لا يصلح للدعوة وإن كانت نيته صالحة وإن كان يدعو إلى الله بقصده وعزمه ، ولكن إذا لم يكن عنده علم فإنه لا يصلح للدعوة ؛ لأنه ليس معه مؤهل شرعي ؛ لأن الذي يدعو إلى الله يحتاج إلى أن يبين للناس الخطأ من الصواب ، في العقيدة ، في العبادات وفي المعاملات وفي الآداب والأخلاق ، وفي الأحوال الشخصية وفي جميع أمور الشرع يحتاج إلى أن يبين لهم هذه الأشياء ، إذا لم يكن عنده علم فكيف يبين لهم ؟ ! هل يقول فيها بجهل ، يحلل ويحرم بجهل ؟ هذه مصيبة عظيمة .

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٢) (انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ١ / ١٨٥) .

(٣) سورة فصلت آية : ٣٣ .

هذا يضلل الناس وإن كان مقصده حسنا إلا أنه بعدم علمه يضلل الناس ، قد يحرم حلالا وقد يحل حراما وقد يفتي خطأ فلا يصلح للدعوة إلا من كان مؤهلا بالعلم الشرعي المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على بصيرة ، والبصيرة هي العلم والذي يدعو إلى الله يعترضه خصوم ويعترضه مشبهون ويعترضه منافقون فإذا لم يكن مؤهلا بالعلم الشرعي الذي يستطيع به أن يرد على شبهاتهم وخصوماتهم فإنه ينهزم من أول الطريق وينتصرون عليه ويكون هذا على حساب الدعوة .

كيف يستطيع أن يجيب على المشكلات وعلى الشبهات وعلى التضليلات إنسان ليس عنده علم شرعي . فالبصيرة في الدعوة وهي العلم من ضروريات الدعوة ، أما مجرد النية الصالحة ومجرد محبة الخير بدون علم هذا لا يكفي ، وأنتم ترون الآن أن المحاضرين وأن الوعاظ الذين يتكلمون في تجمعات الناس يتعرضون لأسئلة وإجابات بعد كل محاضرة بعد كل كلمة ، فإذا لم يكن المتكلم أو المحاضر على علم كيف يستطيع أن يجيب هؤلاء الجموع التي أمامه ؟

وقوله سبحانه : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] ، تنزيه لله - سبحانه وتعالى - عما لا يليق به وبراءة من المشركين ، وكذلك أتباع هذا الرسول ﷺ يتبرءون من الشرك ومن المشركين ؛ لأن الشرك دعوة غير الله ﷻ وعبادة غير الله ﷻ فالذي يدعو إلى الله لا بد أن يتبرأ من أعداء الله ويوالي أولياء الله - سبحانه وتعالى - ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [2] ، فينتمي إلى حزب الله وإلى المسلمين ، لا ينتمي إلى المبادئ المشبوهة أو الأحزاب المشبوهة ، وإنما ينتمي إلى حزب الله وإلى جماعة المسلمين المخلصين لله عز وجل .

(1) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(2) سورة فصلت آية : ٣٣ .

هذه صفات الداعية الذي يقوم بذا العمل الجليل ؛ وقال تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [(١)] ، والحكمة : وضع الشيء في موضعه ، وتطلق الحكمة ويراد با العلم والفقه : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [(٢)] وقيل الحكمة هي : السنة النبوية والأحاديث النبوية ، قال تعالى ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [(٤)] ، يعني الفقه والبصيرة . فالحكمة كلمة يراد با الفقه ، ويراد با وضع الشيء في موضعه اللائق به ، وذلك مثل قوله : ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [(٥)] يعني : على علم بما أدعو إليه في قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [(٦)] ، والآية التي بعدها ذكر الله - سبحانه وتعالى - في هاتين الآيتين المدعوين وأن الداعية يعامل كل فئة بما يتناسب معها : الصنف الأول : الجهال ، الذين ليس عندهم عناد وليس عندهم إصرار على الخطأ ، وإنما وقعوا في الخطأ عن جهل فهؤلاء يكفي أن يبين لهم الحق ، فإذا بين لهم الحق انتقلوا إليه وتركوا ما هم عليه من الخطأ ، أن هؤلاء لا يحتاجون إلا إلى البيان ؛ لأنم وقعوا في الخطأ من غير قصد وهم يريدون الحق فلما بين لهم الحق انتقلوا إليه وتركوا ما هم عليه ، هذه فئة من الناس ؛ يكفي فيها أن تبين لها الحق وأن ترغبها فيه ، وهي لا تريد إلا الحق وتدور مع الحق والحق ضالتها ، فإذا بين لها انتقلت إليه .

الفئة الثانية : من إذا بين له الحق وبين ما هو عليه من الخطأ يتكاسل عن الانتقال من الخطأ إلى الصواب ويكون عنده فتور فهذا يحتاج إلى موعظة بعد البيان وأن تبين له عقوبة

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .
(٢) سورة النساء آية : ١١٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .
(٤) سورة لقمان آية : ١٢ .
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(٦) سورة النحل آية : ١٢٥ .

من تبين له الحق ولم يقبله ولم يبادر إليه ، كما قال الله تعالى ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (١) فالذي جاءه الحق ولم يقبله ولم يسارع إليه يخشى عليه من الزيغ ومن تقلب القلب .

الصنف الثالث : من يكون عنده جدال بعد أن تبين له الحق ، يعرض شبهات ويعرض إشكالات يريد بها رد الحق ، فهذا يحتاج إلى جدال بالطريقة التي توصل إلى الحق ولا يترتب عليها تنفير أو يترتب عليها عنف ، بل جدال بالتي هي أحسن كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ ﴾ (٢) فهذا يحتاج إلى جدال لرد ما يدلي به من الشبهات .

ومن ثم قلنا : إن الداعية إلى الله يحتاج إلى علم ؛ لأنه كيف يستطيع أن يجادل بالتي هي أحسن إلا إذا كان عنده علم وكان عنده بصيرة تأهل بها وتسلح بها من الأول قبل أن يدخل الميدان ؛ إذا فالمدعوون : إما أن يكونوا جهالا يقبلون الحق إذا بين لهم وإما أن يكون عندهم شيء من الكسل بعد بيان الحق لهم فيحتاجون إلى موعظة ، وإما أن يكون عندهم شبهات يتعلقون بها ويبررون ما هم عليه بشبهاتهم فيحتاجون إلى جدال حتى تزول شبهاتهم وتنقطع معذرتهم ، وقد ذكر معنى هذا التقسيم على هاتين الآيتين الحافظ ابن كثير في تفسيره وذكره أيضا ابن القيم في (٣) أخذا من هذه الآية ففيهما منهج الدعوة واضح لا إشكال فيه ، وأنه يعتمد أولا على الإخلاص لله ؛ ويعتمد ثانيا على العلم ؛ ويعتمد ثالثا على الطريقة الصحيحة التي بها توصل الدعوة إلى الله ﷻ إلى قلوب الناس .

فإذا كانت الدعوة تسير على طريقة صحيحة فإنها تصل إلى القلوب وينفع الله جل وعلا بها ولو لم يهتد بها إلا القليل إلا أنها على مر الزمان تبقى آثارها .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١٠ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٦ .

(٣) (زاد المعاد) وشيخ الإسلام ذكر أيضا في (مجموع الفتاوى) .

فيهتدي بها أجيال مستقبلة . واعتبروا بآثار المصلحين من علماء هذه الأمة حيث بقيت آثارهم بين الناس مثل : شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم وغيرهم من المصلحين نفع الله بدعوتهم في وقتهم ونفع الله بها بعد وقتهم ولا يزال الناس ينتفعون بها ؛ لأنها سارت على منهج صحيح وعلى شرع وعلى بصيرة فصار أثرها باقيا ومستمرا والحمد لله ، وأيضا من منهج الدعوة إلى الله ﷻ الأولويات في الدعوة بأن يبدأ بالأهم فالأهم كما هي دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

البدء بإصلاح العقيدة ثم أركان الإسلام

فالرسل أول ما يبدأون بإصلاح العقيدة ؛ لأنها هي الأساس فإذا صحت العقيدة اتجهوا إلى إصلاح بقية الأمور فاتجهوا إلى إصلاح المعاملات وإلى إصلاح الأخلاق والسلوك ، أما قبل إصلاح العقيدة فلا يمكن أن تكون الدعوة ناجحة ؛ لأنها لم تبن على أساس صحيح وكل شيء بني على غير أساس فإنه ينهار ولذلك اتجهت دعوات الرسل عليهم الصلوات والسلام أول ما اتجهت إلى إصلاح العقيدة ، فكل رسول يقول لقومه أول ما يقول لهم ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ (١) كما قالها نوح عليه السلام وكما قالها هود وكما قالها صالح وكما قالها شعيب وكما قالها إبراهيم وكما قالها نبينا محمد ﷺ حيث بقي في مكة ثلاث عشرة سنة يأمر الناس بإصلاح العقيدة ، وذلك بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام والأشجار والأحجار .

ثم بعد ما تقررت العقيدة نزلت عليه بقية شرائع الإسلام ، فرضت الصلاة ، فرضت الزكاة ، فرض الصيام ، فرض الحج ، فرضت أوامر الإسلام بعد ما استقرت العقيدة واستقامت .

وكان ﷺ إذا أرسل الدعاة يأمرهم أن يبدءوا بدعوة الناس إلى إصلاح العقيدة فحينما بعث رسول الله ﷺ معاذا إلى اليمن قال « إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .

شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تأخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ﴾ [(١)] [(٢)] .

انظروا كيف أمرهم أن يبدأ بالعقيدة ، فإذا استجابوا للعقيدة ووحدوا الله ﷻ أمرهم بالصلاة ؛ لأن الصلاة لا تصلح إلا بعد إصلاح العقيدة ، فإذا استجابوا لله وأقاموا الصلاة أمرهم بالزكاة ؛ لأن الزكاة لا تصح إلا بعد صلاح العقيدة وإقامة الصلاة .

وهكذا الدين يبنى على أساس التوحيد والعبادة لله - سبحانه وتعالى - ، فالدعاة يجب عليهم أن يهتموا بذا الأمر ، وهو : إصلاح عقائد الناس وذلك بدعوة الكفار إلى الدخول في الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ودعوة المنتسبين إلى الإسلام الذين عندهم خلل في العقيدة إلى إصلاح عقيدتم ولا يكفي أن الإنسان ينتسب إلى الإسلام وهو مختل العقيدة .

فالإسلام لا يتحقق إلا إذا صلحت العقيدة ، وإلا فما صحة الإسلام مع انحراف العقيدة ؟ ! فالدعوة لا تكفي ولا تفيد صاحبها شيئا ، وكذلك لما أعطى علي بن أبي طالب - رضي الله - عنه الراية يوم خيبر قال : ﴿ انفذ على رسلك حتى تـ ل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ﴾ [(٣)] [(٤)] .

أمره أن يدعوهم إلى الإسلام . والإسلام يبنى على الأركان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام .

---

(١) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٢) (تقدم تخريجه ص١١ الحاشية رقم ١) .

(٣) البخاري المناقب (٣٤٩٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، أبو داود العلم (٣٦٦١) ، أحمد (٣٣٣/٥) .

(٤) (رواه الإمام البخاري (٥ / ٧٦ ، ٧٧) من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - .

بقية أوامر الدين وشرائعه كلها مكملات لهذه الأركان

وكذلك بقية أوامر الدين وشرائعه كلها مكملات لهذه الأركان ؛ لكن الأساسات هي هذه الأركان الخمسة . ولما قال له : ادعهم إلى الإسلام لم يكتف بذا ، بل قال له : ﴿ أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ﴾ [(١)] [(٢)] بأن تشرح لهم ما هو الإسلام وأن الإسلام أوامر وأركان وأحكام وعبادات ومعاملات ، وشرائع الإسلام كلها تدخل في مسمى الإسلام ، وإلا لو كان القصد الانتساب إلى الإسلام فإنه لا يحتاج إلى أن يقول له أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى ، فالذي يدعو إلى الإسلام يجب عليه أن يشرح ما هي حقيقة الإسلام وما هي نواقض الإسلام وما هي منقصات الإسلام حتى يكون الناس على بصيرة .

أما أن يدعو إلى الإسلام دعاء مجملا فهذا لا يكفي ؛ لأن دعوى الإسلام يدعيها الكثير . ولكن الإسلام الصحيح هو الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ القائم على أوامر الله - سبحانه وتعالى - ، الذي ليس فيه ناقض من نواقض الإسلام ، هذا هو الإسلام الصحيح . . وإلا كلمة الإسلام اليوم كثيرة على الألسنة ولكن الإسلام الصحيح هوالمقصود وهو المطلوب وهو الذي أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبينه للناس .

التفقه في الدين

وهذا يؤدي إلى ما سبق من أن الداعية لا بد أن يكون عالما بأحكام الإسلام من أجل أن يبين للمدعوين ما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، أما الجاهل بأحكام الإسلام فهذا لا يستطيع إذا قالوا له : ما هو الإسلام ؟ لا يستطيع أن يشرح لهم الإسلام ويبين لهم الإسلام . فالواجب في هذا الأمر واجب عظيم لا بد من الدعوة إلى الله ، ولا بد في الدعوة إلى الله أن تقوم على أساس صحيح حتى تكون دعوة مثمرة مؤتية للمطلوب منها ،

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٩٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، أحمد (٣٣٣/٥) .

(٢) (تقدم تخريجه ص١١ الحاشية رقم (١)) .

فالدعوة إلى الله فضلها عظيم . كما قال ﷺ ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ﴾ (١) (٢) .

وقال ﷺ في الحديث الذي سمعتم لعلي بن أبي طالب : ﴿ والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ﴾ (٣) (٤) .

والمراد بها : الإبل النفيسة ، ومعناه : خير لك من الدنيا وأنفس ما في الدنيا من الأموال ، فكيف إذا اهتدى على يد الإنسان جماعة من المسلمين وأجيال متلاحقة بسبب دعوة هذا المصلح إلى الخير وإلى الله - سبحانه وتعالى - فإن له من الأجر مثل أجور من تبعه قلوا أو كثروا لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .

فالدعوة إلى الله مقام شريف وعمل جليل ولا بد منها . ولكن لا بد من الفقه في الدعوة بحيث تدعو الناس إلى الله - سبحانه وتعالى - على بصيرة ، ولا بد من معرفة ماذا يشترط في الداعية إلى الله - سبحانه وتعالى - حتى تكون الدعوة سائرة على منهج سليم ، وحتى لا يحصل اختلاف بين الدعاة إلى الله فإنه ينجم الاختلاف مع الجهل . أما إذا تفقه الدعاة في الدعوة إلى الله وعرفوا المنهج الصحيح فلن يختلفوا أبدا إنما يحصل الاختلاف إذا دخل في الدعوة من ليس أهلا لها ومن لم يتأهل لها بالعلم النافع والإخلاص لله ﷻ فحينئذ يحصل الاختلاف . .

---

(١) مسلم العلم (٢٦٧٤) ، الترمذي العلم (٢٦٧٤) ، أبو داود السنة (٤٦٠٩) ، أحمد (٢/٣٩٧) ، الدارمي المقدمة (٥١٣) .

(٢) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٦٧٤) ، من حديث أبي هريرة) .

(٣) البخاري المناقب (٣٤٩٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، أبو داود العلم (٣٦٦١) ، أحمد (٥/٣٣٣) .

(٤) (تقدم تخريجه ص٢٦٦ الحاشية رقم (١)) .

أما إذا تفقه الدعاة في الدعوة وخلصت نيتهم لله ﷻ وصار مقصودهم وجه الله - سبحانه وتعالى - فلن يختلفوا أبدا ، وإنما يتعاونون ويكونون يدا واحدة يتعاونون على البر والتقوى .

هذا ، ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما فيه صلاحنا ، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، وأن يرزقنا وإياكم البصيرة في دينه والعمل بشرعه والإخلاص في طاعته .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

المحاضرة الرابعة والأربعون
الاستهزاء بالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (٢) ويقول - سبحانه وتعالى - ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٣) ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٤) .

فالدين هو دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله محمدا ﷺ وهو دين عام لجميع البشرية وعام لجميع الزمان إلى أن تقوم الساعة منذ بعثته ﷺ والأديان التي قبل الإسلام جاءت بها الرسل أيضا هي أيضا أديان صحيحة وهي دين الله - سبحانه وتعالى - .

ولكن دين الإسلام جاء ناسخا لها ووجب على كل أهل الأرض أن يعتنقوه وأن يدخلوا فيه ؛ لأنه هو الدين الباقي أما الأديان السابقة فقد نسخت بهذا الدين فمن بقي على الأديان السابقة لم يكن مؤمنا بالله ولا برسله ولم يكن على دين ؛ لأنه على دين قد نسخ .

والدين المنسوخ لا يجوز البقاء عليه ولا يكون طاعة لله - سبحانه وتعالى - بعد نسخه ، إنما يكون طاعة لله قبل نسخه ، أما إذا نسخ فقد انتهى العمل به ويجب الرجوع

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٨٥ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٨٣ .

إلى الدين الناسخ وهو الإسلام ، سواء في ذلك اليهود والنصارى أو غيرهم من بقية الكفرة وسائر أهل الأرض لا يسع أحد إلا الدخول في هذا الدين ، دين الإسلام الذي قال فيه الرسول ﷺ لما قال له جبريل : أخبرني عن الإسلام ؟ قال : ﴿ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ﴾ (١) (٢) .

وهذه الأمور الخمسة : الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام هي أركان الإسلام التي يقوم عليها كما قال ﷺ : ﴿ بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام ﴾ (٣) (٤) .

وهناك واجبات وهناك طاعات كلها مكملات لهذه الخمسة هذه الخمسة هي الأركان التي يقوم عليها بناء الإسلام وهي أعمدته التي يبني عليها ، وبقية الطاعات من واجبات ومستحبات إنما هي مكملات ومتممات لهذا الدين ، فهذا الدين كله خير وكله نعمة ؛ لأن الله سماه نعمة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (٥) .

وشهد الله بأنه دين كامل بمعنى أنه ليس فيه نقص وأنه واف لكل ما يحتاجه العباد في دنياهم وفي آخرتم مما فيه صلاحهم وخيرهم ونجاتم وسعادتم عند الله - سبحانه وتعالى - ، فهذا الدين كفيل لمن تمسك به وسار عليه كفيل بأن يسعد في الدنيا والآخرة ، أما من أعرض عنه ولم يدخل فيه أصلا يكون كافرا من أهل النار خالدا فيها .

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) (رواه الإمام مسلم رقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) .

(٣) البخاري الإيمان (٨) ، مسلم الإيمان (١٦) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١) ، أحمد (٩٣/٢) .

(٤) (رواه الإمام البخاري (١ / ٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه) .

(٥) سورة المائدة آية : ٣ .

والذي دخل فيه ولكنه انتقص منه شيئا فهذا يكون دينه ناقصا بحسب ما انتقص منه . قد لا يكون له دين إذا كان النقص يتنافى مع أصل الدين .

فالذي لا يصلي مثلا ليس عنده دين ؛ لأنه ضيع عمود الإسلام . وكذلك الذي يشرك بالله - سبحانه وتعالى - ليس عنده دين ؛ لأن الشرك يناقض الإسلام وينافيه ، وكذلك الذي يرتكب أي ناقض من نواقض الإسلام وأسباب الردة فإنه يخرج من هذا الدين ويكون كافرا مرتدا ولو كان يصلي ويصوم ويحج ما دام أنه لم يتب من هذا التناقض الذي ارتكبه ، فإن هذا التناقض يفسد عليه دينه ويبقى يعمل على غير دين وعلى غير هدى .

أما الذي يكون قد صدر منه خطأ أو نقص في دينه لكنه لا يصل إلى حد الردة كالعصاة مثلا ، فهذا لا يخرج من الدين لكن يكون دينه ناقصا ، ويكون معرضا للعقوبة لدخول النار فالخطر شديد في هذا ، لكن إذا كانت المخالفة تخرج من الدين فإن خطرها محقق ؛ لأن الإنسان قد يفعل الطاعات ويظن أنه على دين وهو ليس على دين بسبب أنه مقيم على ناقض من نواقض الإسلام لم يتب منه ، ومن هذه النواقض الاستهزاء بالدين فالإنسان ولو كان يصلي ويصوم ويعمل الطاعات لو استهزأ بالدين ولو بكلمة واحدة أو مرة واحدة فإنه يخرج من هذا الدين ويكون مرتدا ، ويجب عليه التوبة إلى الله ﷻ والدخول في الدين من جديد .

وإن استمر ولم يتب فإنه يكون على غير دين ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [(1)] .

وهؤلاء طائفة كانوا من المؤمنين استهزؤوا بالرسول ﷺ والصحابة واستهزؤوا بـذا الدين ، فـ ل الوحي على رسول الله صلى الله عليه يخبرهم بأـنم ارتدوا عن دين الإسلام بسبب ما قالوه ، فجاءوا يعتذرون إلى الرسول ﷺ ويقولون : إنما تكلمنا من باب المزح لم

(1) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

نرد الاستهزاء بالدين ، وإنما أردنا المزح واللعب فقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾ [1] .

جاءوا يعتذرون ويقولون : يا رسول الله إنما تكلمنا بذا الكلام من أجل المزح ومن أجل اللعب والترفيه عن أنفسنا ما قصدنا الاستهزاء بذا الدين . والرسول ﷺ لم يقبل منهم هذا الاعتذار وإنما أجابم بما أمره الله تعالى به ، وهو قوله : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾ [2] .

لم يزد رسول الله ﷺ على ذلك ولم يلتفت إلى الذي جاء يعتذر إليه ولم يزد على أنه تلا عليه هذه الآية ؛ لأن الله أمره بذلك ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾ [3] .

الخطر شديد ؛ لأن بعض الناس خصوصا الجهال قد يأخذهم المزح واللعب فيما بينهم فيتناولون هذا الدين أو المتدين بشيء من السخرية أو التنقص ، أو يقولون هذا دين به شدة أو هذا دين قاس أو ما أشبه ذلك ، فمن قال هذا الكلام أو أمثاله فإنه يكون مرتدا عن الإسلام ولو كان يصلي الليل والنهار ويصوم كل الدهر .

إذا صدر منه كلام من هذا كالسخرية بالدين ، والتنقص للدين فإنه يكون كافرا مرتدا إن لم يتب إلى الله توبة صحيحة فإنه يعيش على غير الإسلام ، ومن ذلك أن يستهزئ بشيء من أسماء الله أو من صفات الله ﷻ أو أن يستهزئ بالصلاة أو يستهزئ بالزكاة أو بالصيام أو بالحج أو يستهزئ بسنة الرسول ﷺ كأن يستهزئ بشيء ثابت عن الرسول ﷺ مثل السواك ومثل إعفاء اللحى وإحفاء الشوارب ومثل سائر الطاعات ، ولو

---

(١) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

(٢) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

(٣)سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

كانت هذه الطاعات من المستحبات وليست من الواجبات إذا استهزأ بها فإنه يكون كافرا ؛ لأنه استهزأ بدين الله عز وجل .

والله ذكر عن المنافقين أنهم كانوا يستهزؤون كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمۡ ﴾ [(1)] ، يعني إذا ذهب المنافقون الذين يدعون الإسلام ، إذا ذهبوا إلى الكفار وإلى اليهود وغيرهم ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [(2)] يقولون إنما دخلنا في الإسلام من أجل الاستهزاء لا من أجل الحقيقة . وإلا فنحن معكم أيها الكفار ، نحن معكم على دينكم ولكننا خدعنا محمدا وأصحابه فأظهرنا الإسلام ، ونحن غير صادقين في ذلك ، لنخدعهم ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَـٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [(3)] ، هذه عقوبة لهم ، فمعنى ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [(4)] يعني يجازيهم على استهزائهم فإن الله - سبحانه وتعالى - يستهزئ بهم ويحتقرهم ويهينهم ويعذبهم .

وفي يوم القيامة إذا طمعوا في النجاة بسبب أنهم يعطون شيئا من الطمع في النجاة مع المسلمين ثم يسلب ذلك منهم كما قال تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَـٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ [(5)] ، حين يكون المؤمنون في نور ، كما قال تعالى ﴿ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِم ﴾ [(6)] ، يكونون في نور ويكون الكفار في ظلمة والعياذ بالله ؛ لأنهم ليس معهم إيمان لا يدرون ما تحت أقدامهم . فالمنافقون يعطون نورا قليلا في أول الأمر من باب السخرية بهم فيفرحون به ثم يسلب منهم فيصبحون في ظلمة

(١) سورة البقرة آية : ١٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٥ .
(٥) سورة الحديد آية : ١٣ .
(٦) سورة الحديد آية : ١٢ .

يتخبطون . عند ذلك يستغيثون بالمؤمنين يقولون : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (١) يعني : انتظروا حتى نلحق بكم ونستضيء من نوركم . يطلبون من المسلمين أن يقفوا لهم حتى يلحقوا بم ويستضيئوا بنورهم ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (٢) .

هكذا يحكم الله بين خلقه يوم القيامة ، يعزل أهل الإيمان عن أهل النفاق ويكون أهل الإيمان في الجنة وفي النور ويكون أهل النفاق والكفار في ظلمة وفي جهنم ﴿ يُنَادُونَهُمْ ﴾ (٣) أي : المنافقون ينادون المسلمين ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ (٤) يعني : في الدنيا ألم نكن نصلي ونصوم ونحج معكم فيجيبهم المؤمنون ﴿ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (٥) ، والغرور هو الشيطان ، ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ (٦) ، يعني : لا يقبل من الإنسان أنه يشتري نفسه بالمال ، ﴿ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (٧) . يعني : أنتم والكفار سواء ﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٨) .

فالأمر خطير جدا ، فالواجب على المسلم أن يحترم الإسلام وأن يعظم الإسلام وأوامر الدين ، وأن لا يستهزئ بشيء من الإسلام ولو كان من السنن والمستحبات ، بل يعظم

(١) سورة الحديد آية : ١٣ .
(٢) سورة الحديد آية : ١٣ .
(٣) سورة الحديد آية : ١٤ .
(٤) سورة الحديد آية : ١٤ .
(٥) سورة الحديد آية : ١٤ .
(٦) سورة الحديد آية : ١٥ .
(٧) سورة الحديد آية : ١٥ .
(٨) سورة الحديد آية : ١٥ .

الدين ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]
وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [2] .

الواجب تعظيم الدين وتعظيم الأوامر الشرعية والنواهي واحترامها . وكذلك تعظيم المؤمنين فلا يجوز للمسلم أن يسخر من إخوانه المسلمين ، بل الكفار إذا سخروا من المسلمين فإنهم يوم القيامة يعكس عليهم الأمر ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] ، يعني في الدنيا ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [4] ، يغامز بعضهم البعض سخرية بالمسلمين وتنقيصا للمسلمين واحتقارا ، ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ﴾ [5] يعني : إذا ذهب الكفار إلى بيوتم ، ﴿ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [6] يتحدثون في البيوت يقولون : نحن سخرنا بالمسلمين ، نحن استهزأنا بم نحن آذيناهم ، يعتبرون هذا من المفاخر أنم آذوا المسلمين ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ ﴾ [7] ، يقولون : إن المسلمين مخطئون في تدينهم .

الواجب أنم يصيرون مع الناس وأن لا يتشددوا ؛ لأنم يعتبرون الدين تشددا . والواجب أنم يكونون مع الناس يتسامحون ويعيشون مع الناس ولو كانوا على الكفر وعلى المحرمات فهم ضالون مخطئون في تدينهم وفي تمسكهم بالدين ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [8] ، الله لم يجعل الكفار مراقبين على المسلمين ينتقدونم والله لم يجعلهم حافظين عليهم وأوصيائهم عليهم .

(١) سورة الحج آية : ٣٢ .
(٢) سورة الحج آية : ٣٠ .
(٣) سورة المطففين آية : ٢٩ .
(٤) سورة المطففين آية : ٣٠ .
(٥) سورة المطففين آية : ٣١ .
(٦) سورة المطففين آية : ٣١ .
(٧) سورة المطففين آية : ٣٢ .
(٨) سورة المطففين آية : ٣٣ .

ثم بين الله - سبحانه وتعالى - العافية ، ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴾ [(1)] يوم القيامة يكون الكفار في العذاب وفي الهوان ، والمسلمون في الكرامة والرفعة والجنة وينظرون إلى الكفار وهم في النار يعذبون فيضحكون منهم جزاء ، فينتقمون منهم ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴾ [(2)] كما ضحك الكفار من المسلمين في الدنيا فإن المسلمين يوم القيامة يضحكون من الكفار وهم في النار ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [(3)] ، يطلون عليهم من الغرف العلية في الجنة على المجالس المرتفعة ، يطلون على الكفار وعلى أعدائهم الذين آذوهم في الدنيا وضايقوهم ، يطلون عليهم من الغرف العلية ومن المجالس البهية وهم في النار يعذبون ويهانون فيضحكون منهم ﴿ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [(4)] .

نعم ، قد جوزي الكفار بأفعالهم ، فدل هذا على أنه لا يجوز الاستهزاء لا بالرسول ﷺ ولا بالدين ولا بشيء من القرآن ولا بشيء من أحاديث الرسول ﷺ ولا يجوز الاستهزاء بالمسلمين أو بأفراد المسلمين ، بل يجب احترام الدين واحترام أهل الدين وتوقيرهم وإجلالهم ؛ لأنهم عباد الله المؤمنون ؛ لأنهم أعزة عند الله - سبحانه وتعالى - قد أعزهم الله بالإسلام فلا يجوز احتقارهم وتنقصهم ولا يجوز الاستهزاء بهم والسخرية منهم ، فإن ذلك يكون وبالا على صاحبه في الدنيا والآخرة .

فالمستهزئ هو الذي يكون ذليلا في الدنيا والآخرة ، أما المستهزأ به فإن هذا لا يضره ما دام أنه على حق وما دام أنه على دين فإنه لا يضره من استهزأ به ومن سخر منه . فإن ذلك إنما يرجع وباله على فاعله وعلى قائله .

---

(١) سورة المطففين آية : ٣٤ .
(٢) سورة المطففين آية : ٣٤ .
(٣) سورة المطففين آية : ٣٥ .
(٤) سورة المطففين آية : ٣٦ .

الحاصل : أن الاستهزاء بدين الله ﷻ وتنقص الدين أو تنقص شيء من أوامر الدين أو من الطاعات يعتبر ردة عن دين الإسلام ، وكذلك تنقص رجال الدين وتنقص المسلمين والمؤمنين وتنقص العلماء وتنقص أهل الخير والاستهزاء بهم كله يدخل في هذا الباب الخطير ، فيجب على المسلم أن يصون لسانه وأن يحترم دينه وأن يحترم علماء المسلمين وأن يحترم رجال الدين ويحترم كل مسلم يعيش على وجه الأرض يحترمهم ويحبهم في الله ﷻ ويجلهم .

وكذلك من باب أولى يحترم نفس الدين وأوامره والسنن والواجبات ، يحترم ذلك ويعظمه ويجله ولا يسخر بشيء منه أو ينقص شيئا من دين الله ﷻ فإن فعل شيئا من ذلك فإنه يجب عليه التوبة إلى الله ﷻ وإنقاذ نفسه من الخطر قبل أن تفوته الفرصة ويغلق باب التوبة في وجهه ثم يكون من الخاسرين فالأمر في هذا شديد .

نسأل الله ﷻ أن يحمينا من الوقوع في مثل هذه الأمور الخطيرة ، وأن يجعلنا وإياكم من الذين يملكون ألسنتهم ويحبسونا عن الكلام فيما لا يجوز ، فإن الكلام خطير جدا ، والإنسان قد يتهاون في الكلام مع أن الكلام له آثاره : إما آثار حسنة إن كان الكلام حسنا ، وإما آثار سيئة إن كان الكلام سيئا ، قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [1] .

الكلام محصى على الإنسان إن كان خيرا زاده الله به رفعة ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [2] ، وإن كان الكلام سيئا فإنه يرجع وباله ويرجع شره على قائله ، كما جاء في الحديث : ﴿ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال - على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم ﴾ [3] [4] .

---

(١) سورة ق آية : ١٨ .

(٢) سورة فاطر آية : ١٠ .

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦١٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٣) .

(٤) (رواه الإمام أحمد (٥ / ٢٣١) ، والترمذي برقم (٢٦١٦) ، وابن ماجه برقم (٣٩٧٣)) .

وربما يتكلم الإنسان بكلمة واحدة تكون سببا في هلاكه وشقائه دائما وأبدا ، كما قال ﷺ : ﴿ إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ﴾ [(١)] [(٢)] .

كلمة واحدة من سخط الله إذا تكلم بها الإنسان حتى ولو لم يلق لها بالا ويظن أنها سهلة فإنه يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ، فكيف بكلمات كثيرة ؟ الأمر أشد ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٣)] .

الواجب علينا أن نحفظ ألسنتنا ، وأن لا نتكلم إلا بخير ، قال ﷺ : ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ﴾ [(٤)] [(٥)] فالصمت خير من الكلام الباطل .

إن الإنسان إذا صمت سلم ، لكنه إذا تكلم بالباطل فإنه يهلك فإذا أمسك لسانه سلم ؛ فالإنسان إما أن يتكلم بخير فيصعد ، وإما أن يتكلم بشر فيهلك ، وإما أن يسكت فلا له ولا عليه .

هذا ، ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح والاستقامة والسداد ، وأن يرزقنا وإياكم التمسك بهذا الدين ، وأن يرزقنا وإياكم نزاهة الألسن عن الكلام البذيء والكلام الفاحش والكلام الذي يرجع وباله على قائله .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

---

(١) البخاري الرقاق (٦١١٣) ، مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٨) ، الترمذي الزهد (٢٣١٤) ، أحمد (٣٣٤/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٩) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (٥ / ٢٣٧) ، والترمذي برقم (٢٣١٤) ، وابن ماجه برقم (٣٩٧٠)) .

(٣) سورة النور آية : ١٥ .

(٤) البخاري الأدب (٥٦٧٢) ، مسلم الرضاع (١٤٦٨) ، أحمد (٤٣٣/٢) .

(٥) (رواه الإمام البخاري (٧ / ٧٨ ، ٧٩) من حديث أبي هريرة) .

المحاضرة الخامسة والأربعون

نصيحة للمرأة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد رأى الإخوة المسؤولون عن الدعوة أن تكون المحاضرة في موضوع نصيحة للمرأة المسلمة وهذا لا يعني أن المحاضرة خاصة بالمرأة ، بل هي عامة ولكن يكون التنبيه فيها على ما يختص بالمرأة أكثر ، ولا شك أن الرجل أيضا مسؤول عن المرأة فإن الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [1] وقال - سبحانه وتعالى - ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾ [2] .

فالحكمة في ذلك من أجل أن يسكن إليها ويأنس با ويطمئن إليها في أسراره وفي أموره ؛ لتعينه على مشاق الحياة ؛ وينشأ منهما ذرية صالحة ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] .

فهذا من آيات الله ، أي : العلامات الدالة على قدرته سبحانه ورحمته ، وعلى استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له والله - سبحانه وتعالى - كون التمع البشري من

---

(١) سورة النساء آية : ١ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٩ .
(٣) سورة الروم آية : ٢١ .

الرجال والنساء ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [1] .

فاجتماع الرجل والمرأة على العلاقة الشرعية من نعم الله - سبحانه وتعالى - ؛ لأنه يترتب عليه مصالح عظيمة من أهمها بناء المجتمع وتكوين الأسر وعمارة البيوت . فهذا من نعم الله عز وجل . فمن هنا فإنه يجب الاهتمام بالمرأة من ناحية توجيهها وإرشادها ، ومن ناحية اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين ، ومن ناحية التعامل معها لئلا يستغل الرجل سلطته عليها فيظلمها أو يهضمها ، قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ [3] .

فعلاقة الرجل بالمرأة علاقة وطيدة ، ويجب أن تكون هذه العلاقة مبنية على ما شرعه الله - سبحانه وتعالى - من العشرة الطيبة والرعاية الكريمة والمعاملة الحسنة ، وكذلك من ناحية المتعة الزوجية بأن تكون وفق ما أباحه الله - سبحانه وتعالى - ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [4] .

فمن هنا تظهر لنا أهمية هذه المرأة في المجتمع ، فإن المرأة قرينة الرجل وشريكته ، ومنذ أن خلق الله الإنسان الأول وهو آدم عليه الصلاة والسلام خلق له المرأة ، وكذلك لا تزال سنة الله ﷻ كما هي إلى أن تقوم الساعة ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ [5] .

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ .
(٢) سورة النساء آية : ١٩ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٢٩ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢٣ .
(٥) سورة الأحزاب آية : ٦٢ .

والله - سبحانه وتعالى - أوجب على الرجال طاعته وعبادته ، وأوجب على النساء كذلك طاعته وعبادته وحده لا شريك له ، ووعد المحسن من الصنفين بالأجر الجزيل ، وتوعد المسيء من الصنفين بالعذاب والعقوبة فالرجل والمرأة سواء من ناحية التكاليف الشرعية في الجملة .

وإن كانت المرأة قد تختص بأشياء دون الرجل من التكاليف الشرعية ، ولكن في الجملة الرجل والمرأة سواء في عبادة الله وفي طاعة الله وفي الثواب وفي العقاب ، قال تعالى ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ (١) .

فمن الرجال مؤمنون ومسلمون ، ومن النساء مؤمنات ومسلمات ، ، ومن الرجال مهاجرون ومن النساء مهاجرات ، وهم في الأجر سواء في ذلك ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (٣) .

فوعد الله - سبحانه وتعالى - كلا من الجنسين الذكور والإناث وعدهم المغفرة والأجر العظيم على هذه الصفات التي ذكرها - سبحانه وتعالى - . وكما أنه أمر الرجال

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٥ .
(٢) سورة النحل آية : ٩٧ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .

أمر النساء ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ﴾ [1] .

فأمر الرجال بغض البصر عما حرم الله - سبحانه وتعالى - كالنظر إلى النساء والنظر إلى وسائل الفتنة من الصور الخليعة التي حرم الله النظر إليها . كذلك النظر والاطلاع على عورات الناس في بيوتم وهذا حرام على الرجال والنساء ؛ لأنه يجر إلى الوقوع في الفاحشة ، والله - سبحانه وتعالى - إذا حرم شيئا حرم الوسائل التي تفضي إليه ، ومن ذلك النظر ؛ لأنه وسيلة ﴿ فالعينان يزنيان وزناهما النظر ﴾ [2] [3] .

والنظر سهم مسموم من سهام إبليس إذا أرسله الإنسان ، فإنه سهم ، يعني : قذيفة مسمومة تقتل صاحبها . هذا السهم يرجع إلى قلب الناظر .

النظر سهم مسموم يرجع إلى قلب الناظر ويطعنه في قلبه فيؤثر فيه أو يقتله ويميته فلا ينظر كل منهم إلى ما حرم الله ، خلق هذا النظر وهذا البصر نعمة يستعملها الإنسان فيما أباحه الله له ، ويستعين به فيما أباح الله له ، ويكفه عما حرم الله عليه ، فقال تعالى في حق الرجال : ﴿ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [4] وقال في حق النساء : ﴿ يَغْضُضْنَ مِنْ

---

(١) سورة النور الآيتان : ٣٠ - ٣١ .

(٢) البخاري الاستئذان (٥٨٨٩) ، مسلم القدر (٢٦٥٧) ، أبو داود النكاح (٢١٥٢) ، أحمد (٣٤٣/٢) .

(٣) (جزء من حديث رواه الإمام أحمد (٢ / ٣٢٣) من حديث أبي هريرة وأوله : لكل بني آدم حظ من الزنا ، فالعينان يزنيان . . . الحديث) .

(٤) سورة النور آية : ٣٠ .

أَبۡصَـٰرِهِنَّ ﴾ [١] وقال في حق الرجال ﴿ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾ [٢] وقال في حق النساء : ﴿ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [٣] .

فيحفظ الرجل فرجه وتحفظ المرأة فرجها من الحرام فلا تتسبب أو يتسبب الرجل في الوقوع في الفاحشة ، وذلك بالستر الكافي الذي يمتنع النظر إلى العوارت . وحرم كشف العورات ؛ لأن كشف العورات من الرجال ومن النساء فتنة ويوقع في الشرك والله خلق هذا اللباس للرجال وللنساء نعمة منه - سبحانه وتعالى - ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشًاۖ ﴾ [٤] يعني : عوارتكم ﴿ وَرِيشًاۖ ﴾ [٥] يعني زينة وجمالا .

فاللباس خلقه الله لحكمتين عظيمتين . الحكمة الأولى : ستر العورات . والحكمة الثانية : ما فيه من الزينة والجمال والتجميل ﴿ وَرِيشًاۖ ﴾ [٦] ، ثم أرشد إلى لباس أو نبه على لباس أعظم من اللباس الذي يلبس على البدن وهو لباس التقوى ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌۚ ﴾ [٧] .

فالرجل والمرأة كل منهما يستر عورته بالستر الضافي ؛ لأن في ذلك محافظة على الأخلاق . أما التهتك والعري فإنه سبب لفساد الأخلاق وضياع الأعراض وانتشار الفاحشة ، أما إذا سترت العورات بالستر الذي أرشد الله تعالى إليه من الرجال ومن النساء فإن في ذلك حفظا للفروج من الزنا واللواط ، وحفظا للفروج مما لا يحل مما حرم الله - سبحانه وتعالى - .

---

(١) سورة النور آية : ٣١ .
(٢) سورة النور آية : ٣٠ .
(٣) سورة النور آية : ٣١ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٦ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٦ .
(٦) سورة الأعراف آية : ٢٦ .
(٧) سورة الأعراف آية : ٢٦ .

ثم خص النساء بأمر دون الرجال فقال ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾ (١) أمر النساء بالحجاب الضافي على الأبدان وكفاها وقدماها وجميع جسمها وكذلك شعرها ، تستر عن الرجال الذين هم ليسوا من محارمها ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ (٢) ، أي : لا يظهرن الزينة سواء الزينة الخلقية وهي زينة الجسم من الوجه والكفين وغير ذلك . أو الزينة المصطنعة أو المجلوبة كالحلي والخضاب والكحل وغير ذلك .

والمرأة مأمورة أن تستر زينتها الجسمية وزينتها المجلوبة المصنوعة التي تتزين بها في جسمها من الأصباغ والحلي والكحل وغير ذلك ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ ﴾ (٣) وهو الثياب على الصحيح ، أي ظهر بنفسه ولم تظهره وهو الثياب التي ليس فيها فتنة . ثم قال : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ ﴾ (٤) والخمر : جمع خمار ، وهو الغطاء ومنه سمي الخمر خمرا ؛ لأنه يغطي العقل ، والخمرة يعني : السترة ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾ (٥) .

أمرهن الله جل وعلا أن يضربن بالخمر التي على الرؤوس . والخمار : ما تضعه المرأة على رأسها . أمرها أن تضعه على نحرها و ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾ (٦) وهي فتحات الجيوب التي في الثياب يظهر منها النحر لا تترك المرأة هذا باديا للرجال وإنما تدلي عليه الخمار ؛ لأنه إذا أمر بستر النحر فالوجه من باب أولى ، لأنه يلزم من ضرب الخمار على الجيب أن يمر بالوجه ؛ لأن الخمار على الرأس ، فإذا أرسل على النحر فيكون مارا بالوجه .

---

(١) سورة النور آية : ٣١ .
(٢) سورة النور آية : ٣١ .
(٣) سورة النور آية : ٣١ .
(٤) سورة النور آية : ٣١ .
(٥) سورة النور آية : ٣١ .
(٦) سورة النور آية : ٣١ .

يوضح هذا قول عائشة - رضي الله عنها - : ﴿ كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابا من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزنا كشفناه ﴾ [(١)] [(٢)] وكذلك قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ﴾ [(٣)] .

والجلباب : هو الثوب الكبير الذي تلتحف به المرأة ، وما يسمى الجلباب الكبير الذي يكون على المرأة فوق ثيابا أمرها الله أن تضفيه على وجهها حتى لا يبدو من المرأة شيء يفتن الناس ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [(٤)] .

فهذا أمر للمرأة بالحجاب على الجسم وعلى جميع المفاتن التي يخشى منها الخطر . قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [(٥)] .

المراد بذلك : أزواج النبي ﷺ ولكن الآية عامة فهي لفظها خاص بأزواج النبي ﷺ لكن معناها عام لجميع النساء ؛ لأن نساء النبي ﷺ قدوة للمؤمنات ، والله علل ذلك بعلة شاملة ، وهي قوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [(٦)] .

فأمر أن يسألن من وراء حجاب . والحجاب المراد به : الساتر للمرأة من الثوب ومن الجدار أو الباب أو أي شيء يستر المرأة عن الرجل حينما يخاطبها أو يسألها عن شيء أو تناوله شيئا ، يكون ذلك من وراء حجاب ، أي : من وراء ساتر ، فلا تناوله الشيء وهي غير متسترة أو هي بادية ظاهرة ، بل تكون من وراء ساتر يسترها من ثوبا أو من بابا أو

---

(١) أبو داود المناسك (١٨٣٣) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٣٥) ، أحمد (٣٠/٦) .
(٢) (رواه الإمام أحمد (٦ / ٣٠) وأبو داود برقم (١٨٣٣) واللفظ له وابن ماجه برقم (٢٩٣٥) من حديث عائشة - رضي الله عنها -) .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٩ .
(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٩ .
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٣ .
(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٣ .

من جدار إلى غير ذلك ؛ لأن في ذلك ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [1] من الفتنة ، فإنه إذا تحجبت النساء ولم يقع نظر الرجال عليهن سلمت من الفتنة قلوب النساء وقلوب الرجال ، وهذا واضح في مجتمع المسلمين المحافظين على الحجاب .

والتمع المحافظ على الحجاب في عافية من فساد الأخلاق ، وإنما تأتي المفاسد وطمع الرجال بالنساء مع عدم الحجاب ، وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [2] ، علة عامة لجميع الأمة ؛ لأن الحجاب فيه طهارة لقلوب الرجال وقلوب النساء على حد سواء ، وهذا من سد الطرق التي تفضي إلى فساد الأخلاق من حيث أن كلا من الرجل والمرأة يسلم عرضه ويسلم قلبه من الفتنة ، ومن سد الطرق المفضية للفتنة منع المرأة أن تسافر وحدها بدون محرم ؛ لأن المحرم إذا كان مع المرأة فإنه يصونا ويحميها ويقوم بمصالحها ، قال ﷺ : ﴿ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يومين إلا مع ذي محرم ﴾ [3] [4] .

وفي رواية : ﴿ يوم وليلة ﴾ [5] [6] وفي رواية : ﴿ أن تسافر ﴾ [7] [8] بدون تحديد .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٣ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٣ .
(٣) البخاري الجمعة (١٠٣٨) ، مسلم الحج (١٣٣٩) ، الترمذي الرضاع (١١٧٠) ، أبو داود المناسك (١٧٢٣) ، ابن ماجه المناسك (٢٨٩٩) ، أحمد (٥٠٦/٢) ، مالك الجامع (١٨٣٣) .
(٤) (رواه الإمام البخاري (٢ / ٢١٩ ، ٢٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري بنحوه) .
(٥) البخاري الجمعة (١٠٣٨) ، مسلم الحج (١٣٣٩) ، الترمذي الرضاع (١١٧٠) ، مالك الجامع (١٨٣٣) .
(٦) (رواه الإمام مسلم برقم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -) .
(٧) البخاري الجمعة (١٠٣٨) ، مسلم الحج (١٣٣٩) ، ابن ماجه المناسك (٢٨٩٩) ، أحمد (٥٠٦/٢) .
(٨) (رواه البخاري (٤ / ١٨) ومسلم برقم (١٣٤١)) .

فالمقصود : أن المرأة لا تسافر وحدها بدون محرم ، فإن سافرت بدون محرم فهي عاصية لله ولرسوله ، مرتكبة لما حرم الله ومعرضة نفسها للفتنة وهذا عام في كل الأحوال وفي كل الأزمان .

أما ما يقوله بعض الناس من أن المرأة إذا سافرت مع جماعة نساء فإن هذا يكفي عن المحرم ، فهذا قول معارض لقوله ﷺ : ﴿ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم ﴾ [(١)] [(٢)] .

وجماعة النساء لسن محرما للمرأة . محرم المرأة معروف ، وهو من تحرم عليه من الرجال بنسب أو سبب مباح كأبيها وابنها وأخيها وعمها وخالها . . أو بسبب مباح من مصاهرة كأبي زوجها أو ابن زوجها . . أو برضاعة ؛ لقوله ﷺ : ﴿ يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ﴾ [(٣)] [(٤)] .

فمحرم المرأة هو الرجل الذي تحرم عليه بنسب أو بسبب مباح . ولا بد أن يكون هذا التحريم على التأبيد ، يعني : دائما يخرج بذلك التحريم المؤقت مثل أخت الزوجة وعمة الزوجة وخالتها . ولكن هذا التحريم مؤقت فلذلك لا يكون محرما لأخت زوجته وإن كانت تحرم عليه ؛ لأن هذا التحريم مؤقت . وكذلك لا يكون محرما لخالتها ولا لعمتها هذا هو المحرم أما الجماعة من النساء فليست محرما ، وكذلك النبي ﷺ اشترط المحرم لسفر المرأة في كل الأحوال ، سواء سافرت على قدميها أو على دابة أو على السيارة أو على الطائرة ؛ لأن من الناس اليوم من يقول : إنا إذا سافرت بالطائرة ويودعها محرمها في المطار ويستقبلها محرمها الآخر في المطار الآخر فلا بأس بذلك . نقول : لا . هذا لا

---

(١) البخاري الجمعة (١٠٣٨) ، مسلم الحج (١٣٣٩) ، الترمذي الرضاع (١١٧٠) ، أبو داود المناسك (١٧٢٣) ، ابن ماجه المناسك (٢٨٩٩) ، أحمد (٥٠٦/٢) ، مالك الجامع (١٨٣٣) .

(٢) (رواه الإمام مسلم برقم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة) .

(٣) البخاري الشهادات (٢٥٠٢) ، مسلم الرضاع (١٤٤٧) ، النسائي النكاح (٣٣٠٦) ، ابن ماجه النكاح (١٩٣٨) ، أحمد (٣٣٩/١) .

(٤) (رواه الإمام البخاري (٣ / ١٤٩) ، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -) .

يجوز ؛ لأنا سافرت بدون محرم ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ لا يحل لامرأة أن تسافر مسيرة يومين إلا مع ذي محرم ﴾ [(١)] [(٢)] سواء في الطائرة أو في السيارة أو على الدابة فالرسول ﷺ لم يفصل والعلة موجودة . الفتنة تخشى عليها وهي في الطائرة . فالفتنة غير مأمونة ولو كانت في الطائرة .

ثم افرض أن الطائرة مثلا اعتراها ما يعتريها من تغيير مسارها إلى بلد آخر فمن يستقبلها في البلد آخر ، فلا بد من وجود المحرم مع المرأة ، حتى إن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا وإن امرأتي خرجت حاجة قال النبي ﷺ : ﴿ ارجع فحج مع امرأتك ﴾ [(٣)] [(٤)] .

النبي ﷺ رد هذا الرجل من الغزوة ، ليصطحب امرأته في الحج ويكون محرما لها فهذا دليل على اشتراط المحرم لسفر المرأة في الحج أو لغيره سواء كانت مع مجموعة أم لا ولهذا ذكر الفقهاء رحمهم الله تعالى أن من شروط وجوب الحج على المرأة توفر المحرم فإذا لم يتوفر لها فإنه لا يجب عليها الحج حتى يتوفر لها المحرم .

وكذلك حرم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة ، بأن يكون هو وإياها في مكان خال ليس فيه غيرها ؛ لأن ذلك مدعاة لوقوع الفتنة ، قال ﷺ : ﴿ إياكم والدخول على النساء ، قالوا : يا رسول الله ، أرأيت الحمو ، يعني : قريب الزوج ؟ قال : الحمو الموت ﴾ [(٥)] [(٦)]

يعني : أن خطره أشد ، لماذا ؟ لأن أقرباء الزوج يقل التحرج عنهم بخلاف غيرهم ، فإن التحرج عنهم ميسر . لكن قريب الزوج يحتاج إلى احتياط وإلى حذر .

---

(١) البخاري الصوم (١٨٩٣) ، أحمد (٧١/٣) .

(٢) (تقدم تخريجه ص٢٨٨ رقم (١)) .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٨٩٦) ، مسلم الحج (١٣٤١) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٠٠) ، أحمد (٢٢٢/١) .

(٤) (رواه الإمام البخاري (٢ / ٢١٩) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -) .

(٥) البخاري النكاح (٤٩٣٤) ، مسلم السلام (٢١٧٢) ، الترمذي الرضاع (١١٧١) ، أحمد (١٤٩/٤) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٤٢) .

(٦) (رواه الإمام البخاري (٦ / ١٥٨ ، ١٥٩) ، من حديث عقبة بن عامر) .

وما نسمع الآن من بعض الجهال أن أخ الزوج وعم الزوج وقريب الزوج له أن يسلم على المرأة ويصافحها ويخلو معها ويدخل معها ويدخل عليها هذا كلام باطل . لا يجوز لغير المحرم أن يدخل على المرأة ولا أن يصافحها ولا أن يخلو بها إلا إذا كان بالبيت من تزول به الخلوة ، أما أن يدخل على المرأة في بيت ليس فيه غيرها وهو ليس من محارمها فهذه خلوة محرمة وخطر .

أو يدخل عليها في غرفة خالية ليس فيها غيرهما فهذا لا يجوز ؛ لأنه سبب لوقوع الفتنة ، ولو كان هذا الرجل الذي في المكان طبيبا ، كما قال ﷺ : ﴿ لا يخلون أحدكم بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ﴾ [(1)] [(2)] يعني : الشيطان يحضر ويزين لهما الوقوع في الفاحشة ؛ لأنه يدعو إلى الفتنة وينتهز الفرصة فيوقع بينهما الفساد . ولأجل قطع الطريق على الشيطان وعلى أعوانه وعلى الفساد منع الشارع خلوة الرجل بالمرأة .

ومما جد في وقتنا هذا من الخلوة المحرمة ركوب المرأة وحدها مع السائق الذي ليس من محارمها يذهب بها إلى المدرسة وإلى السوق ، حتى ولو إلى المسجد لا يجوز هذا . . لا يجوز للمرأة أن تركب في السيارة وحدها مع سائق ليس محرما لها ؛ لأن هذا من الخلوة المحرمة .

والخلوة محرمة ، سواء كانت في الم ل أو في السيارة أو في أي مكان هذا مما يجب أن تحذر منه المرأة المسلمة خصوصا في وقتنا هذا الذي كثر فيه خروج النساء لأعمالهن أو للأسواق أو لزيارة أقاربهن أو غير ذلك .

وكذلك على المرأة المسلمة أن لا تكثر من الخروج من البيت إلا لأجل حاجة لا تنقضي إلا بخروجها ، ولكن تخرج متسترة وغير متطيبة ؛ لأنها إذا خرجت متطيبة فإن ذلك سبب لوقوع الشر وجلب الأنظار إليها ونظر الرجال إليها ومتابعتهم لها .

---

(١) الترمذي الفتن (٢١٦٥) ، أحمد (١/١٨) .

(٢) (رواه الترمذي برقم (٢١٦٥) ، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١ / ١٨) بنحوه ، كلاهما من حديث عمر بن الخطاب) .

فمهما أمكن أن تبقى المرأة في بيتها فهذا أحفظ لها ، قال الله - سبحانه وتعالى - لنساء نبيه ﷺ وهن القدوة : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [(١)] يعني : اقررن من القرار وهو البقاء وعدم الخروج ؛ لأن ذلك أحفظ للمرأة ، فمهما بقيت في بيتها فهذا أحسن لها ، وإذا اقتضت الحاجة أن تخرج فإنها تخرج ولكن مع التستر .

حتى إن الله - سبحانه وتعالى - يحب من المرأة أن تصلي في بيتها ولا تخرج للصلاة في المسجد مع أن المسجد بيت للعبادة وبيت للطهارة ، ولكن خروجها عرضة للشر ، ولذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد ، قال ﷺ : ﴿ لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وبيوتهن خير لهن ﴾ [(٢)] [(٣)] أي : صلاتهن في بيوتهن خير لهن من الصلاة في المساجد ، وقال : ﴿ وليخرجن تفلات ﴾ [(٤)] [(٥)] يعني : غير متزينات وغير متطيبات .

وقد ابتلي كثير من النساء بالخروج ، لا لشيء إلا للتجوال في الأسواق متزينات متطيبات يكشفن وجوههن ، إذا دخلن في المكتبات التجارية إذا دخلن في المعرض تكشف إحداهن وجهها عند العمال وعند الباعة كأنهم من محارمها ، وتتبسط معهم في القول وتمازحهم وتضاحكهم . أين الحياء يا نساء المسلمات ؟ ! أما تتقين الله - سبحانه وتعالى - .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) البخاري الجمعة (٨٥٨) ، مسلم الصلاة (٤٤٢) ، النسائي المساجد (٧٠٦) ، أبو داود الصلاة (٥٦٧) ، ابن ماجه المقدمة (١٦) ، أحمد (٧٦/٢) .

(٣) (رواه الإمام أحمد (٢ / ١٦ ، ٧٦) والإمام البخاري (١ / ٢١٦) ومسلم برقم (٤٤٢) وأبو داود برقم (٨٧٩) ومالك في الموطأ برقم (٤٦٥) عن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - ، ورواه الإمام أحمد (٢ / ٤٧٥) وأبو داود برقم (٥٦٦) والدارمي برقم (١٢٨٢) من حديث أبي هريرة) .

(٤) أبو داود الصلاة (٥٦٥) ، أحمد (٤٣٨/٢) ، الدارمي الصلاة (١٢٧٩) .

(٥) (رواه الإمام أحمد (٢ / ٤٣٨) ، وأبو دواد برقم (٥٦٥) والدارمي برقم (١٢٨٢) من حديث أبي هريرة ، ورواه الإمام أحمد (٥ / ١٩٢ ، ١٩٣) عن زيد بن خالد الجهني ورواه الإمام أحمد (٦ / ٦٩ ، ٧٠) عن عائشة - رضي الله عنها -) .

كذلك يجب على المرأة إذا أرادت الخروج أن تلبس الثياب الساترة الضافية التي ليس فيها زينة . الثياب الضافية على جميع الجسم الواسعة التي لا تلتصق بالجسم وتبين الأعضاء .

فثوب المرأة لا بد فيه من مواصفات :

الأول : أن يكون واسعا لا ضيقا .

الثانية : أن يكون ضافيا على جميع جسمها فلا يبقى شيء من جسمها يظهر لا الكفان ولا القدمان ولا شيء من الوجه ، يكون سائرا لجميع جسمها .

الثالثة : أن لا يكون فيه زينة بأن يكون ثوبا عاديا ليس فيه زينة تجلب الأنظار إليها .

ولتحذر المرأة المسلمة مما أخبر عنه الرسول ﷺ قال ﷺ : ﴿ صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ﴾ [(١)] [(٢)] .

فقوله : ﴿ نساء كاسيات عاريات ﴾ [(٣)] ، يعني : لابسات للثياب لكن هذه الثياب لا تستر ؛ إما لأنها قصيرة لا تضفي على بدنها ، بل تخرج كفاها أو ذراعاها ، يخرج قدماها أو ساقاها ، فعليها اللباس لكنه غير ساتر ، أو تلبس لباسا ضافيا لكنه شفاف لا يستر ما وراءه مثل ما يحصل في البلاد التي لا تلتزم بآداب الإسلام فسرى هذا إلى بعض نسائنا في هذه البلاد إلا من رحم الله عز وجل . فهذه من العوائد الجاهلية ، يقول الله جل وعلا : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [(٤)] والتبرج هو : الظهور ، ظهور المرأة بالزينة أمام الرجال ، هذا هو التبرج .

---

(١) مسلم اللباس والزينة (٢١٢٨) ، أحمد (٢/٤٤٠) ، مالك الجامع (١٦٩٤) .

(٢) (رواه الإمام أحمد (٢ / ٣٥٦) ومسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة) .

(٣) مسلم اللباس والزينة (٢١٢٨) ، أحمد (٢/٣٥٦) ، مالك الجامع (١٦٩٤) .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

فالمطلوب من المرأة إذا خرجت أن تخرج غير متبرجة ، حتى إن الله - سبحانه وتعالى - نهى كبيرات السن القواعد عن التبرج فقال : ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ ﴾ [1] .

فإذا كانت الكبيرة من القواعد اللاتي لا يطمع في نكاحها لكبرها منهية عن التبرج بالزينة فكيف بالشابة ! فكيف بالجميلة ! كيف بالمرأة التي يطمع فيها ! كيف تتبرج ؟ ! هذا من أمور الجاهلية ؟ فعلى المرأة التي تخاف الله والدار الآخرة أن تتجنب ما يفعله كثير من النساء اليوم من التساهل في الحجاب ، من التساهل في لباس الزينة عند الخروج ، من التساهل في التطيب عند الخروج ومخالطة الرجال والممازحة معهم ، والله تعالى يقول لنساء نبيه ﷺ : ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] .

إذا احتاجت المرأة إلى مخاطبة الرجل الذي ليس من محارمها تخاطبه لكن بكلام معتاد ليس فيه خضوع ولين وممازحة ومضاحكة ، وإنما يكون كلاما عاديا بقدر الحاجة ، سؤال وجواب بقدر الحاجة فقط لا بتبسط ولا بضحك ومزح ولا بترخيم وتزين للصوت ؛ فيطمع الذي في قلبه مرض الشهوة عملا بقوله تعالى : ﴿ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] .

فعلى النساء المسلمين اليوم أن يتقين الله - سبحانه وتعالى - في أنفسهن وفي مجتمعهن ، وعلى نساء اليوم كما على نساء المسلمين من قبل العناية بتربية أولادهن وبناتهن ؛ لأنهن مسؤولات عن الأطفال الذين هم في رعايتهن .

---

(١) سورة النور آية : ٦٠ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

عليهن أن يربين بناتن على الأخلاق الفاضلة وعلى الآداب الحسنة وعلى الستر والعفاف ، قال ﷺ : ﴿ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ﴾ [(١)] [(٢)] .

فعلى المرأة أن تربي أولادها تربية حسنة ؛ لأن من في البيت من الأطفال في عهدتا وهي مسؤولة عنهم ، كذلك مما حرم الله على النساء تغيير خلق الله الذي تعهد الشيطان أن يأمر به بني آدم ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [(٣)] .

وقد جاء تفسير ذلك بأن المراد به النمص والوشم والوشر والوصل ، ﴿ لعن النبي ﷺ النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة ولعن الواشمة والمستوشمة ﴾ [(٤)] [(٥)] .

أما النامصة : فهي التي تأخذ شعر حواجبها سواء بالمقص أو بالحلق أو بإزالته بأي وسيلة تزيل شعر الحاجب ، هذا هو النمص الذي لعن النبي ﷺ من فعلته ، والمتنمصة : هي التي تطلب ذلك وهي ملعونة على لسان رسول الله ﷺ . فمن النساء من ابتليت بذه الجريمة وهي إزالة شعر الحواجب اقتداء بالكافرات أو الفاسقات أو الجاهلات اللاتي لا يبالين بمعصية الله ورسوله ، ثم إذا أزالت شعر الحواجب تأتي بصبغ تضعه في مكانه ، يا سبحان الله ! هل الصبغ أحسن من الحواجب ؟ أحسن مما خلق الله - سبحانه وتعالى - . هذا هو تغيير خلق الله ﷻ فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تذهب مع العادات السيئة والتقاليد الفاسدة وتغير خلق الله .

---

(١) البخاري الجمعة (٨٥٣) ، مسلم الإمارة (١٨٢٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٥) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨) ، أحمد (١٢١/٢) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (٨ / ١٠٤) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -) .

(٣) سورة النساء آية : ١١٩ .

(٤) البخاري الطلاق (٥٠٣٢) ، أحمد (٣٠٨/٤) .

(٥) (رواه الإمام البخاري (٧ / ٦١ ، ٦٢) ، من حديث عبد الله بن مسعود) .

وأما الواشمة : فهي التي تعمل الوشم ، وهو أن تغرز الإبرة في الجلد أو تبضع الجلد حتى تخرج الدم ثم تجعل فيه شيئا من الكحل أو من الصبغ حتى يبقى خط أخضر في يدها أو في وجهها فهذا هو الوشم .

والمستوشمة : التي تطلب ذلك أن يفعل بها ؛ لأن هذا من تغيير خلق الله - سبحانه وتعالى - .

بالله عليكم أيهما أحسن : لون الجلد الذي خلقه الله أو هذا اللون المشوه ؟ . ولكن التقليد الأعمى وطاعة الشيطان في أمره ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [(1)] .

والواصلة : هي التي تصل شعرها بشعر آخر ؛ لأن هذا تغرير وغش بأن تأتي بباروكة أو تأتي بشعر وتصله بشعرها حتى يظن الظان أن هذا هو شعرها ، وهو شعر أجنبي ليس من خلقتها ، وهذه الواصلة ملعونة ﴿ لعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة ﴾ [(2)] .

وكذلك الوشر : وهو برد الأسنان والتفلج ، ﴿ لعن النبي ﷺ المتفلجات للحسن ﴾ [(3)] [(4)] وهن اللاتي يأتين على أسنانهن فيبردنها بالمبرد ويجعلن فيها شيئا من الفتحات فيما بينها ، تظن أن هذا من الجمال وهو طاعة للشيطان . والوشر حرام ، أما إصلاح الأسنان إذا كان فيها خلل يحتاج إلى إصلاح فلا بأس في ذلك ؛ لأن هذا من العلاج أو من إزالة التشويه أما الأسنان التي ليس فيه عيب وليس فيها مرض فلا يجوز للمرأة أن تحدث فيها شيئا من الوشر أو الفلج أو غير ذلك .

---

(1) سورة النساء آية : ١١٩ .

(2) البخاري اللباس (٥٥٩٢) ، مسلم اللباس والزينة (٢١٢٢) ، النسائي الزينة (٥٢٥٠) ، ابن ماجه النكاح (١٩٨٨) ، أحمد (٣٥٣/٦) .

(3) البخاري تفسير القرآن (٤٦٠٤) ، مسلم اللباس والزينة (٢١٢٥) ، النسائي الزينة (٥٠٩٩) ، أبو داود الترجل (٤١٦٩) ، ابن ماجه النكاح (١٩٨٩) ، أحمد (٤٣٤/١) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٤٧) .

(4) (انظر صحيح البخاري (٧ / ٦١ ، ٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود) .

كذلك النبي ﷺ : ﴿ لعن النائحة والمستمعة ﴾ [1] [2] النائحة : التي ترفع صوتا عند المصيبة .

و ﴿ لعن رسول الله ﷺ الصالقة والحالقة والشاقة ﴾ [3] من حديث أبي موسى رضي الله عنه بلفظ : ﴿ أن رسول الله ﷺ برئ من . . . ﴾ [4] الحديث .

الصالقة : هي التي ترفع صوتا عند المصيبة ، وهو كبيرة من كبائر الذنوب ، قال ﷺ : ﴿ النائحة إذا لم تتب قبل موتها تبعث يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ﴾ [5] [6] .

وكانوا في الجاهلية يستأجرون النائحات عند الموت للميت ، فهذا حرام ، ولكن البكاء على الميت لا بأس به من غير رفع صوت .

والنبي ﷺ بكى وقال : ﴿ هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ﴾ [7] [8] .

أما الحالقة : هي التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والشاقة هي التي تشق جيبها أو تشق ثوبا عند المصيبة ؛ لأن هذه كلها مظاهر جزع وسخط بقضاء الله وقدره وعدم صبر .

---

(١) أبو داود الجنائز (٣١٢٨) ، أحمد (٦٥/٣) .
(٢) (رواه الإمام أحمد (٣ / ٦٥) وأبو داود برقم (٣١٢٨) ، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري) .
(٣) (رواه الإمام البخاري (٢ / ٨٣) .
(٤) مسلم الإيمان (١٠٤) ، النسائي الجنائز (١٨٦٣) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٨٦) ، أحمد (٤٠٤/٤) .
(٥) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٨١) ، أحمد (٣٤٣/٥) .
(٦) (رواه الإمام مسلم برقم (٩٣٤) ، من حديث أبي مالك الأشعري) .
(٧) البخاري الجنائز (١٢٢٤) ، مسلم الجنائز (٩٢٣) ، النسائي الجنائز (١٨٦٨) ، أبو داود الجنائز (٣١٢٥) ، أحمد (٢٠٦/٥) .
(٨) (رواه الإمام البخاري (٢ / ٨١ ، ٨٢) من حديث المغيرة بلفظ : (من نيح عليه يعذب بما نيح عليه) ، وفي لفظ : (الميت يعذب في قبره بما نيح عليه) من حديث عمر بن الخطاب) .

والمطلوب عند المصائب الصبر والاحتساب ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ (١) .

فالحاصل : أن المرأة عليها مسؤوليات وتبعات في هذه الحياة وهي مكلفة ومأمورة ومنهية ومثابة ومعاقبة ، عليها مسؤولية عظيمة وما هلكت المجتمعات في السابق واللاحق إلا بسبب النساء في الغالب ، فالمرأة وسيلة خطر إذا لم تصن نفسها وإذا لم يصنها مجتمعها ، والكلام عن المرأة يطول . ولكن في هذا القدر كفاية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

(١) سورة البقرة الآيات : ١٥٥ - ١٥٧ .

المحاضرة السادسة والأربعون
ما يجب في التعامل مع العلماء

فضل العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في محكم كتابه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [1] والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل : ﴿ فإن العلماء ورثة الأنبياء ﴾ [2] [3] .

أما بعد : فإن الموضوع الذي سنتحدث عنه هو كما أعلن : (التعامل مع العلماء) لا شك أن العلماء ميزهم الله - سبحانه وتعالى - على غيرهم بميزة العلم به - سبحانه وتعالى - وبأسمائه وصفاته وما يجب له سبحانه على عباده من حق عبادته وحده لا شريك له ، وكذلك العلم بالحلال والحرام والعلم بطريق الحق وطريق الضلال ؛ ليبينوا لأنفسهم وليبينوا لغيرهم ، فقد حملهم الله - سبحانه وتعالى - أمانة العلم وائتمنهم عليها فهذا تشريف خصهم الله به على غيرهم ، ولهذا قال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [4] .

الله جل وعلا نفى التسوية بينهم وبين غيرهم ؛ لأنهم يمتازون على غيرهم بميزة عظيمة ؛ ومن يمتاز على غيره بميزة عظيمة لا يتساوى هو ومن فقد هذه الميزة ويكفي شرفا لهم أن الله - سبحانه وتعالى - استشهدهم وذكر شهادتهم مع شهادته وشهادة

---

(١) سورة الزمر آية : ٩ .

(٢) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .

(٣) (تقدم تخريجه ص٣٠ الحاشية رقم (١)) .

(٤) سورة الزمر آية : ٩ .

ملائكته على توحيده ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)] .

فذكر شهادة العلماء مع شهادته - سبحانه وتعالى - ومع شهادة الملائكة الكرام على أجل مشهود به وهو التوحيد وما ذلك إلا لشرفهم ومكانتهم عند الله - سبحانه وتعالى - وعند خلقه ، ومما شرفهم الله به أن الله - سبحانه وتعالى - يرفعهم درجات ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [(٢)] .

ومما يقتضي شرفهم أن الله - سبحانه وتعالى - يستشهد بقولهم يوم القيامة حينما يبعث الناس ويقسم الذين كفروا ما لبثوا غير ساعة ، قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(٣)] ، فدل ذلك على شرفهم ومكانتهم عند الله .

ومن شرف أهل العلم أن الله - سبحانه وتعالى - ذكر أنهم هم أهل خشيته ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [(٤)] .

ذكر أن العلماء الذين يعرفون الله بأسمائه وصفاته وبآياته هم الذين يخشونه - سبحانه وتعالى - ، أما الذين يجهلون الله ويجهلون أسماء الله وصفاته ولم يتدبروا في آياته فهؤلاء لا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨ .
(٢) سورة المجادلة آية : ١١ .
(٣) سورة الروم الآيتان : ٥٥ - ٥٦ .
(٤) سورة فاطر آية : ٢٨ .

يخشون الله ؛ لجهلهم بالله - سبحانه وتعالى - ، وقال ﷺ : ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ [(1)] [(2)] .

فمن فقهه الله في الدين وصار من أهل العلم فإن الله أراد به خيرا ، ومن لم يفقه الله في الدين فإنه لم يرد به خيرا . وما دام العلماء موجودين في الأمة فإن الأمة بخير ، وإنما تضل الأمة إذا فقد العلماء ، كما قال ﷺ : ﴿ إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا ﴾ [(3)] [(4)] .

ما يترتب على وجود العلماء في الأمة وعلى فقدهم

فما دام العلماء موجودين فإن الأمة بخير ولا يتمكن شياطين الإنس وشياطين الجن من إغواء الناس وإضلالهم ؛ لأنهم يبينون للناس طريق الخير وطريق الصواب ويحذرونهم من طريق الهلاك . وإنما نعني بالعلماء هنا علماء الشريعة الذين تفقهوا في دين الله وعرفوا أحكام الله - سبحانه وتعالى - ، هؤلاء العلماء على الحقيقة ؛ أما المتعالمون الذين يدعون العلم فهم لم يتفقهوا في دين الله فهؤلاء ليسوا بعلماء ، بل هؤلاء يسمون بالقراء ؛ لأنهم وإن كانوا يقرؤون بالكتب ويطالعون في الكتب ولكن لم يسبق لهم أن درسوا على العلماء ، لم يسبق لهم أن أخذوا العلم عن أهله فحملوه عن أهله فهؤلاء ليسوا بالعلماء ، هؤلاء قراء وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان يقل الفقهاء ويكثر القراء [(5)] .

---

(1) البخاري العلم (71) ، مسلم الإمارة (1037) ، ابن ماجه المقدمة (221) ، أحمد (93/4) ، مالك الجامع (1667) ، الدارمي المقدمة (226) .

(2) (تقدم تخريجه ص46 الحاشية رقم (1)) .

(3) البخاري العلم (100) ، مسلم العلم (2673) ، الترمذي العلم (2652) ، ابن ماجه المقدمة (52) ، أحمد (162/2) ، الدارمي المقدمة (239) .

(4) (تقدم تخريجه ص123 الحاشية رقم (1)) .

(5) (انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (1 / 128)) .

فإنما نعني بأهل العلم الذين تفقهوا في دين الله وعرفوا الحلال والحرام وتحملوا العلم عن أهله خلفا عن سلف ، هؤلاء هم العلماء الذين يعنون بذه النصوص من هذه الآيات الكريمة التي سمعتم وهذه الأحاديث ، وهؤلاء هم الذين يكون وجودهم خيرا ورحمة للأمة وفقدهم على الأمة ، وقد جاء في الحديث أو في الأثر : ﴿ لأن تموت القبيلة بأسرها أيسر من أن يموت عالم واحد ﴾ [1] .

ولم يتمكن الشيطان من إيقاع الشرك في بني آدم إلا لما فقد العلماء ، كما في الحديث في قصة قوم نوح : ﴿ . . . أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا ، وسموهم بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت ﴾ [2] [3] .

أخذوا بمشورة هذا الشيطان ، وهو له نظر بعيد ، فهو يقول لهم : إن هذا ينشطكم على العبادة وعلى تذكر أحوال هؤلاء ، فهو أظهر لهم النصيحة ولكنهم لجهلهم لم يفطنوا إلى غرضه الصحيح أنه في المستقبل تكون هذه الصور أصناما تعبد من دون الله ، هذا غرضه الذي كان يخفيه ، وأما الذي يظهره فهو النصيحة والترغيب في الخير فهم لجهلهم عملوا بمشورته وصوروا صور الصالحين ونصبوها على مجالسهم ، ولكن العلماء كانوا لهم بالمرصاد ولم يتمكن الشيطان من دعوة الناس إلى عبادة هذه الصور لوجود العلماء ، ولكن لما مات هؤلاء العلماء ونسي العلم جاء الشيطان إلى الجيل المتأخر منهم ، وقال لهم : إن آباءكم ما نصبوها إلا ليعبدوها فعبدوها من دون الله وحدث الشرك في بني آدم من ذلك التاريخ ، وبعث الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم إلى الرجوع إلى التوحيد

---

(١) (انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١ / ٢٠١ ، ٢٠٢) وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١ / ١٦)) .
(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٦٣٦) .
(٣) (رواه الإمام البخاري (٦ / ٧٣) عن عطاء ، عن ابن عباس) .

وعباد الله وحده لا شريك له ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ [1] ، ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [2] .

هذا كله بسبب فقد العلماء وفي الحديث الذي سمعتم أن النبي ﷺ لما أخبر عن قبض العلماء في آخر الزمان ، وأن الناس إذا لم يجدوا عالما اتخذوا رؤوسا جهالا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا [3] . . . يكون ضلال الناس في آخر الزمان بسبب فقد العلماء ، وبسبب فتاوى الجهال والمتعالمين ، فهذا يدل دلالة واضحة على مكانة العلماء في الأمة وأنه يجب أن يعرف لهم قدرهم وأن يستغل وجودهم فيستفاد منهم قبل أن يموتوا .

المقصود بالعلماء

ونحن إنما نقصد بالعلماء العاملين بعلمهم ، العلماء المتفقهين في دين الله ﷻ أهل الاستقامة والصلاح هؤلاء هم العلماء المقصودون . أما علماء الضلال فقد حذرنا منهم رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » [4] [5] .

فعلماء الضلال خطر على الأمة وهم من أتباع الشيطان يزينون للناس الضلال والانحراف والبدع والخرافات والانصراف عن الدين الصحيح ، فيضلون الناس والعياذ بالله ، هؤلاء حذرنا الله - سبحانه وتعالى - منهم ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ

---

(1) سورة نوح آية : ٧ .

(2) سورة نوح آية : ٢٣ .

(3) (تقدم تخريجه ص١٢٣ الحاشية رقم (١)) .

(4) الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٨٤/٥) ، الدارمي المقدمة (٢٠٩) .

(5) (رواه أبو داود برقم (٤٢٥٢) ، والترمذي برقم (٢٢٢٩) والدارمي برقم (٢١٥ ، ٢٧٥٥) ، وابن ماجه برقم (٣٩٥٢) بنحوه ، كلهم من حديث ثوبان ورواه الإمام أحمد في المسند (١ / ٤٢) ، من حديث عمر بن الخطاب ، وفي (٥ / ١٤٥) ، من حديث أبي ذر ، وفي (٦ / ٤٤١) ، من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنهم - أجمعين بنحوه) .

ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [2] .

فهؤلاء علماء يجب علينا الحذر منهم ومن دسائسهم ومن شبهاتم ومن تحريفهم لكلام الله وكلام رسوله ؛ وإنما المدح والثناء والأجر العظيم منصب على العلماء الذين يخشون الله حق خشيته المستقيمين على دين الله عز وجل . على العلماء الذي يبلغون دين الله ويدعون إليه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

هؤلاء هم العلماء على الحقيقة وهؤلاء يجب على الأمة احترامهم وتوقيرهم ومعرفة قدرهم ويجب على الأمة أن تأخذ عنهم العلم . يجب على كل من يستطيع طلب العلم من الشباب وغيرهم أن يتلقوا على علمائهم ما عندهم من العلم وما عندهم من البصيرة وما عندهم من الخير ؛ حتى يعملوا به في أنفسهم وحتى يبلغوا لغيرهم ؛ هذه الأمة منذ أن بعث الله نبيه محمدا ﷺ وإلى يومنا هذا ما زالت تأخذ العلم جيلا بعد جبل عن علمائهم ، وما زال العلماء يعلمون في كل عصر من عصور هذه الأمة ، واتصل الخير وامتد وسيمتد بإذن الله ما بقي العلم في هذه الأمة ؛ الخير فيها موجود والفرصة سانحة لمن يريد الخير فإنه يتلقى العلم عن أهله قبل أن لا يتمكن من ذلك ، وكذلك يجب علينا إذا أشكل علينا شيء من أمور ديننا سواء في العقيدة ، وهذا أهم شيء ، أو في العبادات أو في المعاملات

---

(١) سورة الجمعة آية : ٥ .

(٢) سورة الأعراف الآيات : ١٧٥ - ١٧٧ .

أو في أي إشكال يعرض لنا يجب علينا أن نسأل أهل العلم عن مشكلاتنا ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

أمر - سبحانه وتعالى - من لا علم عنده أن يسأل أهل العلم ، وبذلك يزول جهله ويهتدي إلى الصواب . وما أمر - سبحانه وتعالى - بسؤال أهل الذكر إلا لأنه يجب قبول قولهم والعمل بما يرشدون إليه وأن لا نصدر إلا عن آرائهم وأقوالهم ما دامت أنا على الصواب وحسب الدليل ما لم يظهر لنا خطأ شيء منها أو مخالفته لدليل ، فإنه يجب علينا الأخذ بذلك ؛ لأن الله أرشدنا لذلك ولو لم نسأل أهل العلم لبقينا في الجهل ولوقعنا في الخطر ولم نصل إلى الصواب ، لا نعتمد على آرائنا أو أقوال الجهال أو المتحرصين في المسائل ، وإنما نرجع إلى أهل العلم ونفزع إلى أهل العلم عند المشكلات .

ذكر النبي ﷺ أنه كان فيمن قبلنا رجل قتل تسعا وتسعين نفسا ظلما وعدوانا ثم إنه وقع في نفسه الرجوع إلى الله - سبحانه وتعالى - والتوبة ، ولكنه استعظم ذنبه وخشي أن لا يكون له توبة لعظم ذنبه ؛ لأنه قتل تسعا وتسعين نفسا عمدا وعدوانا بغير حق ، فخشي الرجل لجهله أن لا توبة له ، فأراد أن يسأل فذهب إلى عابد من العباد جاهل ليس عنده علم فسأله ، وقال : إنه قتل تسعا وتسعين فهل له من توبة ؟ فقال ذلك الجاهل العابد : لا توبة لك ؛ لأنه ظن أن الذنب العظيم لا يغفر لصاحبه ، فقتله الرجل لما قال : ليس لك توبة ، وكمل به المائة . ثم بقيت نفسه تنازعه أن يتوب إلى الله ﷻ ولكنه لا يدري هل له توبة أو لا ، فذهب إلى عالم من العلماء فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال العالم : نعم ، ومن يحول بينك وبين التوبة ، ولكنك بأرض سوء فاخرج إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ، أمره بالتوبة ثم أمره بالهجرة من بلاد السوء إلى بلاد الخير ، فتاب الرجل وخرج إلى البلد الطيبة ، وبينما هو في الطريق أدركته الوفاة وقبضت روحه في الطريق فتخاصمت فيه ملائكة العذاب

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٧ .

وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب يقولون : إنه لم يعمل خيرا قط ، وملائكة الرحمة يقولون : إنه تاب إلى الله ، وخرج مهاجرا إلى الله وأنزل الله ملكا يحكم بينهم فقال : قيسوا ما بين البلدتين البلدة التي خرج منها بلدة السوء والبلدة التي خرج إليها بلدة الخير فقاسوا فوجدوه أقرب إلى الأرض الطيبة بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة ودخل الجنة [(١)] .

كل هذا بسبب فتوى هذا العالم الذي دله على الخير فانظروا الفرق بين فتوى العالم وفتوى الجاهل وآثار كل منهما ، وهذا مذكور في قوله : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [(٢)] ، وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٣)] .

وهذا معنى قوله ﷺ في الرؤوس الجهال الذين يخلفون العلماء في آخر الزمان يقول : ﴿ فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا ﴾ [(٤)] ضلوا في فتواهم وأضلوا غيرهم والعياذ بالله ، وهذا ما نخشاه إذا حصل الانفصال بين الأمة وبين علمائها ، بين الشباب وبين العلماء حصل الشر ، وتمكن الشيطان من إغواء بني آدم ، أما إذا حصل الارتباط بأهل العلم وسؤال أهل العلم فإن هذا سبيل النجاة وعلامة الخير بهذه الأمة .

الإقبال على طلب العلم من أهله من العلماء

كم يحاول أعداء الإسلام وكم يحاول شياطين الإنس والجن أن يفصلوا بين الأمة وبين علمائها ، وأن يوقعوا العداوة بينهم من أجل أن يتمكن الأشرار من قيادة الأمة إلى الهلاك فلنحذر من هذا ونقبل على طلب العلم من أهله من العلماء ، ونسأل أهل العلم إذا أشكل علينا شيء في أمور ديننا وأمور دنيانا ، نسأل أهل العلم أهل البصيرة الذين يتكلمون عن

---

(١) (رواه الإمام البخاري (٤ / ١٤٩) ، من حديث أبي سعيد) .

(٢) سورة الزمر الآيتان : ٥٣ - ٥٤ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٨ .

(٤) (تقدم تخريجه ص ١٢٣ الحاشية رقم (١)) .

علم ويفتون عن الدليل ، هؤلاء المرجع وهؤلاء هم القدوة وهؤلاء هم الدعاة إلى الخير ، لا نزهد فيهم ؛ لأنه في هذا الوقت كثر القيل والقال والوقيعة بين أهل العلم وبين الناس ، وبين العوام وبين طلبة العلم وصاروا يتكلمون في العلماء ، ويتهمونهم اتهامات ويروجون عليهم الأكاذيب من أجل أن يفصلوا بين الأمة وعلمائها ، حتى يسهل عليهم الدخول في شبهاتهم وضلالتهم في إغواء الناس وتفريق الكلمة . هذا ما يريدونه فلنكن منهم على حذر الوقيعة في المؤمنين ولو كانوا من العوام ، فالغيبة والنميمة حرام وكبيرتان من كبائر الذنوب بين عامة الناس فكيف بالعلماء ! ! غيبة العلماء والوقيعة في العلماء ، والكلام في العلماء بما يجرحهم أشد أنواع الغيبة وأشد أنواع النميمة ؛ لأنه يترتب عليه فصل الأمة عن علمائها ، ويترتب عليه عدم الثقة بأهل العلم ، وإذا حصل هذا حصل الشر العظيم ؛ في عهد النبي ﷺ كان ناس من المنافقين يريدون أن يفصلوا الناس عن الرسول ﷺ ويريدون أن يفرقوا بين المسلمين فاجتمعوا في مجلس من مجالسهم ، وقالوا كلاما في رسول الله ﷺ وفي أصحابه ، قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه - أرغب بطونا وأكذب ألسنا وأجبن عند اللقاء .

هكذا قالوا في رسول الله ﷺ وأصحابه ، هم يعلمون أنهم كاذبون في هذا ، لكن يريدون أن يفرقوا كلمة المسلمين ، هكذا يريدون وكان أحد الشباب [1] المؤمنين حاضرا في المجلس فأنكر هذه المقالة وقال للمتكلم : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب ليخبر الرسول ﷺ فوجدوا الوحي قد سبقه ونزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [2] .

---

(١) (هو عوف بن مالك - رضي الله تعالى عنه -) .

(٢) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

وذلك أن واحدا منهم تاب إلى الله فتاب الله عليه ، أما البقية فإنهم بقوا والعياذ بالله في نفاقهم وشرهم ، ثم جاء الرجل الذي تكلم هذا الكلام ، جاء إلى الرسول ﷺ يعتذر منه ، والرسول ﷺ قد رحل وركب راحلته فتعلق الرجل بنسع ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكب رجليه وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق ، والرسول ﷺ لا يلتفت إليه ولا يزيد على أن يتلو عليه هذه الآية : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [1] .

هذه عقوبة من وقع في العلماء ووقع في أهل الخير وتكلم فيهم ، يكون له نصيب من هذه الآية ومن هذا الذنب ؛ فالواجب أن نحب أهل العلم وأهل الخير ونحب أهل الطاعة وأهل الإيمان ولو كانوا من العوام فالمؤمن له حق وله كرامة وله حرمة ، فكيف بالعالم ؟ إن حرمته أعظم وله مكانة أكبر عند الله وعند أهل الإيمان ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [2] .

ذكر أهل الإيمان عموما وذكر أهل العلم خصوصا ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ [3] .

هذا عالم في جميع المؤمنين لهم رفعة عند الله ﷻ ولهم حرمة ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [4] أعلى من المؤمنين لهم زيادة من الإيمان وزيادة العلم ، فقدرهم أكبر عند الله - سبحانه وتعالى - .

---

(١) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .
(٢) سورة المجادلة آية : ١١ .
(٣) سورة المجادلة آية : ١١ .
(٤) سورة المجادلة آية : ١١ .

وجوب معرفة قدر علمائنا واحترامهم وعدم قبول الوشاية فيهم

فالواجب علينا أن نعرف قدر علمائنا وأن نحترمهم وأن لا نقبل الوشاية فيهم . لا نقول إن العلماء معصومون لا يقع منهم أخطاء بل يقع منهم خطأ ولكن فضائلهم وما عندهم من الخير يغطي ما يقع منهم من الأخطاء ، ولسنا مكلفين بتتبع عورات المسلمين وإفشائها والتحدث عنها ، يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [(١)] وأنت لم ترسل على الناس حسيبا تحاسبهم .

ويقول ﷺ : ﴿ ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ﴾ [(٢)] [(٣)] فأنت إذا علمت على مؤمن خطأ ، فإن الواجب أن تستره وأن لا تذكره ولا تتحدث عنه لكن تنصحه ، تنصح المخطئ وتبين له خطأه فيما بينك وبينه ، أما أن تنشره با لمالس على الناس وعلى الملأ فهذا عمل المنافقين وعمل شياطين الجن والإنسان وعمل القتّانين والنمامين ، لقول النبي ﷺ : ﴿ يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتم ، فإنه من يتبع عوراتم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته ﴾ [(٤)] [(٥)] .

الله جل وعلا يعلم ما في الصدور يعلم ما في القلوب يعلم ما في النفوس ، لا يخفى عليه شيء يعلم تصرفاتك وأعمالك بل يعلم ما في قلبك وما في نفسك من الهواجس ومن

---

(١) سورة النور آية : ٢١ .

(٢) البخاري المظالم والغصب (٢٣١٠) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٠) ، الترمذي الحدود (١٤٢٦) ، أبو داود الأدب (٤٨٩٣) ، أحمد (٩١/٢) .

(٣) (رواه الإمام البخاري (٣ / ٩٨) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -) .

(٤) أبو داود الأدب (٤٨٨٠) ، أحمد (٤٢٤/٤) .

(٥) (رواه الإمام أحمد (٤ / ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤) وأبو داود برقم (٤٨٨٠) كلاهما من حديث أبي برزة الإسلامي وللحديث روايات أخرى) .

النيات والمقاصد ، ولكنه جل وعلا يستر على عباده ولو شاء لفضحهم ، ومن حاول أن يفضح مسلما ويكشف عورة أخيه المسلم فإن الله جل وعلا يفضحه بين خلقه ، وما رأينا أحدا وقع في أعراض العلماء والمؤمنين إلا ويفضحه الله - سبحانه وتعالى - ويلقي عليه الذلة والمهانة والبغض في قلوب المؤمنين ، يبغضونه ولا يقبلونه أبدا هذا من الله - سبحانه وتعالى - ؛ حتى لو بلغك عن عالم من علماء المسلمين شيء من الخطأ ونقل إليك فإنك لا تقبله ، قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ ﴾ [1] .

فإن قال لك قائل أو سمعت في مجلس عن العلماء أو عند أحد من العلماء : - إنه يفعل كذا وكذا ، أو أنه واقع في كذا وكذا - فلا تقبل ؛ لأنه خبر فاسق ؛ لأن المغتاب فاسق ، وحتى لو صح هذا النقل فعليك أن تستر على أخيك وأن لا تشيع الفاحشة بين المسلمين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [2] .

المطلوب من المسلمين الستر فيما بينهم والنصيحة فيما بينهم ؛ حفظا للأعراض ، قال ﷺ : ﴿ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ﴾ [3] [4] .

وقال ﷺ في حجة الوداع يوم النحر في منى وهو يخطب ، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : ﴿ إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ﴾ [5] [6] .

---

(١) سورة الحجرات آية : ٦ .

(٢) سورة النور آية : ١٩ .

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) ، أحمد (٢٧٧/٢) .

(٤) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة (وهي جزء من حديث أوله : لا تحاسدوا)) .

(٥) البخاري الحج (١٦٥٢) ، أحمد (٢٣٠/١) .

(٦) (رواه الإمام البخاري (٢ / ١٩١) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما - وأوله : أن رسول الله خطب الناس يوم النحر فقال : يا أيها الناس . . . الحديث) .

فإذا كان هذا في عموم المسلمين فكيف هذا في علماء المسلمين الذين هم أفضل الأمة بعد الأنبياء وبعد صحابة رسول الله ﷺ ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ﴾ [1] [2] .

كما قال ﷺ : ﴿ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴾ [3] [4] .

إذا نظرت القمر ونظرت الكواكب تجد الفرق العظيم بين القمر والكواكب ، القمر مثال للعالم والكواكب مثال للعابد ؛ لأن القمر يضيء للناس ، أما الكوكب فإنما ضوءه لنفسه فقط ، كذلك العالم ينفع الناس مثل القمر يضيء للناس بالنور وهذا يضيء للناس بالعلم أما الكواكب فإنما ضوءه مقصور عليه ، كذلك العابد فإنما عبادته مقصورة عليه فقط ولا يتعدى نفعها إلى غيره ؛ هذا فضل العلماء ومكانتهم في الأمة فالواجب أن نعرف لهم قدرهم وأن نحترمهم وأن لا نقبل القالة فيهم وأن ندافع عن أعراضهم وأن نتصل بهم ونرتبط بهم ونأخذ العلم عنهم وأن نسألهم عما أشكل علينا وأن نقتدي بهم وأن نتخذهم قدوة لنا في الخير ؛ لأن العلماء مثل النجوم في السماء ، وقد مثل النبي ﷺ العلماء بالنجوم في السماء [5] يسير عليها الناس في أسفارهم ويهتدون بها ، فإذا طمست النجوم ضل الهداة ويقول الله جل وعلا : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [6] .

---

(١) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .
(٢) (تقدم تخريجه ص ٣٠ الحاشية رقم (١)) .
(٣) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .
(٤) (تقدم تخريجه ص١٢٢ الحاشية رقم (٣)) .
(٥) (انظر مسند الإمام أحمد (٣ / ١٥٧) من حديث أنس بن مالك) .
(٦) سورة الأنعام آية : ٩٧ .

كذلك العلماء في الأرض يهتدي بهم الناس مثل ما يهتدي المسافرون بالنجوم بالسماء فإن طمست النجوم ضل الهداة ، كذلك إذا فقد العلماء ضل الناس ، كما قال ﷺ : ﴿ فإذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا ﴾ [(١)] [(٢)] .

الواجب أن نعرف لأهل العلم قدرهم وأن لا نزهد فيهم وأن لا نستمع فيهم للواشين وكلام المنافقين ودسائس الدساسين الذين يريدون أن يفرقوا جماعة المسلمين كما حاول إخوانهم من المنافقين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [(٣)] .

نحن نسمع الآن أن كثيرا من الناس الذين يزعمون أن عندهم غيرة على الدين ، نسمع عنهم أنهم يشتغلون في مجالسهم بالعالم الفلاني والعالم الفلاني ، هذا عمل كذا وهذا عمل كذا ، لنعلم أن هذا من عمل الشيطان ومن دسائس المنافقين ومن دسائس الأعداء فمن كان واقعا في شيء من ذلك - وأعيذكم بالله وأعيذ إخواني المسلمين من الوقوع - عليه أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يحاسب نفسه وأن يكف لسانه وأن يدافع عن أعراض إخوانه المسلمين عموما وعن العلماء خصوصا ، وأن يكون واسطة في نشر الخير رافعا للشر حتى تكون الأمة أمة واحدة حتى يحصل الخير ويحصل مضمون قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۝ ﴾ [(٤)] ، ويحصل مضمون قوله ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [(٥)] [(٦)] .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (٢٠٣/٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

(٢) (تقدم تخريجه ص ١٢٣الحاشية رقم (١) .

(٣) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٢ .

(٥) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

(٦) (رواه البخاري (١ / ٩) من حديث أنس) .

أسئلة مهمة تتعلق بالموضوع

حديث علماء أمتي أنبياء بني إسرائيل

س١ : ما صحة حديث « علماء أمتي أنبياء بني إسرائيل » ؟ [1] .

ج١ : الأنبياء لا يعدلهم أحد ، هم أفضل الخلق ولكن علماء هذه الأمة المصلحون والمجددون يقومون مقام أنبياء بني إسرائيل ؛ لأن في بني إسرائيل كلما هلك نبي خلفه نبي آخر يبلغ رسالات الله - سبحانه وتعالى - أما لما بعث محمد ﷺ وهو خاتم النبيين لا يأتي بعده نبي إلى أن تقوم الساعة ، فالعلماء المصلحون يقومون مقام أنبياء بني إسرائيل في تجديد الدين للناس ، هذا من مزايا هذه الأمة أن علماءها يقومون مقام الأنبياء في بني إسرائيل في تجديد الدين للأمة والإصلاح ، وكلما حصل فترة أو جهل في الناس يبعث الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها من علماء هذه الأمة .

وهذا فضل من الله وحكمة ، أنه لما انتهت النبوات جعل الله العلماء يقومون مقام الأنبياء في هذا الأمر . ولكن لا يكونون مثل الأنبياء ولا يلحقون بالأنبياء في الفضل والدرجة ، فالأنبياء لا يلحق بهم أحد من غيرهم .

بيان العلماء خطر التحزب والتفرق

س٢ : هل يجوز للعلماء أن يبينوا للشباب وللعامة خطر التحزب والتفرق ؟

ج٢ : نعم ، يجب بيان خطر الانقسام والتفرق ؛ ليكون الناس على بصيرة ؛ لأن العوام ينخدعون ، فكم من العوم الآن انخدعوا مع بعض الجماعات يظنون أنا على حق ، فلا بد أن نبين للناس المتعلمين والعوام ؛ لأن العلماء إذا سكتوا قال الناس : درى عن هذا العلماء وسكتوا عنه ، فيدخل الضلال من هذا الباب فلا بد من البيان .

---

(١) (انظر : المقاصد الحسنة (ص٤٥٩) و الغماز على اللماز (ص١٤٥) ، و الأسرار المرفوعة (ص ١٥٩) ، وتمييز الخبيث من الطيب (ص ١٩٧) ، أسنى المطالب (ص٢٠٠) وفيها أن ذلك روي مرفوعا عن الرسول ولا يصح) .

فعندما تحدث مثل هذه الأشياء لا بد من البيان للناس ؛ ليكونوا على بصيرة من أمرهم والخطر على العوام أكثر منه على المتعلمين ؛ لأن العوام يظنون أن هذا صحيح وأن هذا حق .

الفرق بين غيبة الدعاة والعلماء وغيبة المسلمين

س٣ : هل هناك فرق بين غيبة الدعاة والعلماء وغيبة المسلمين . أرجوا التوضيح في هذه المسألة جزاكم الله خيرا ورعاكم ؟

ج٣ : الغيبة محرمة على وجه العموم ، لقوله - سبحانه وتعالى - ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ ﴾ [1] ، وهي كبيرة من كبائر الذنوب ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] .

فالغيبة محرمة مطلقا في حق كل مسلم قد شبهها الله تعالى بأكل لحم الميتة ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ الغيبة : ذكرك أخاك بما يكره " ، قالوا : يا رسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ ! قال : (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بته ﴾ [3] [4] .

فالكلام في الناس بما يكرهون وهم غائبون لا يخرج كل لحم الميتة ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ الغيبة : ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : يا رسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ ! قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بته ﴾ [5] [6] .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٧٤) ، أحمد (٤٥٨/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٤) .

(٤) (رواه مسلم برقم (٢٥٨٩) ، من حديث أبي هريرة) .

(٥) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٧٤) ، أحمد (٤٥٨/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٤) .

(٦) (رواه مسلم برقم (٢٥٨٩) ، من حديث أبي هريرة) .

فالكلام في الناس بما يكرهون وهم غائبون لا يخرج إما أن يكون كذبا وإما أن يكون غيبة وكلاهما كبيرة من كبائر الذنوب ، وإذا كانت الغيبة لأهل العلم ولأهل الصلاح وولاة أمور المسلمين فهي أشد ، فإذا كانت الغيبة لمن لهم شأن في الإسلام ومقام في الإسلام ونفع لعباد الله كولاة أمور المسلمين فالغيبة في حقهم أشد . وإذا لاحظت يا أخي على عالم أو ولي أمر أو على أمير أو على غيره من المسلمين لاحظت عليه خطأ فالنصيحة أن تبلغه بينك وبينه سترا وسرا بينك وبينه هذه هي النصيحة ، أما الكلام عنهم في مجالس الناس وإشاعة نقائصهم وتبغضهم للناس وتبغيض الناس إليهم ، فهذا من الفساد في الأرض ومن التفريق بين المسلمين والتحريش بين المؤمنين ، وهذا ليس عمل إصلاح وإنما هو عمل فساد وشر نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين .

اتهام العلماء والتكلم عنهم لوجود أخطاء ليست في العقيدة

س٤ : فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : هل إذا كان عند بعض العلماء أخطاء ليست في العقيدة ، هل يجوز أن نتكلم في أعراضهم ونتهمهم بالبدع والفسوق والكفر ؟ .

ج٤ : **الخطأ على قسمين :** خطأ في العقيدة وخطأ في المسائل الفقهية الاجتهادية ، أما الخطأ في العقيدة فلا يجوز السكوت عليه لا بد من بيانه والرد عليه بعد مناصحة صاحبه إن أمكن لعله أن يتراجع ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من ذلك . فإن لم يمكن مراجعته ومناصحته فإنه يبين الخطأ الذي صدر منه بقصد النصيحة للمسلمين لا بقصد النيل من هذا الشخص ، أما إذا كان الخطأ في مسائل الفقه فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم وأخطأ فله أجر ﴾ [1] [2] .

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٩١٩) ، مسلم الأقضية (١٧١٦) ، أبو داود الأقضية (٣٥٧٤) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣١٤) ، أحمد (٤/٢٠٤) .

(٢) (تقدم تخريجه ص ٧٢ الحاشية رقم (١)) .

فالذي يخطئ في مسألة من مسائل الفقه لا يجوز لنا أن نجم عليه ولا ننتقصه ؛ لأنه مجتهد وهذا الذي أداه اجتهادا . كثير من علماء الأمة قد يخطئون في بعض اجتهاداتم ولا ينقص ذلك من فضلهم ومكانتهم ومحبتهم في القلوب ؛ لأنم اجتهدوا وأخطؤوا والخطأ مغفور كما قال النبي ﷺ وله أجر واحد لكن مع هذا لا نأخذ بالخطأ ، بل نأخذ بالصواب وما قام عليه الدليل دون تنقص للعلماء أو الطعن فيهم أو تناول لمقامهم في المجالس هذا لا يجوز فهذا مالك بن أنس رحمه الله إمام دار الهجرة يقول " كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر "[1] يعني : رسول الله ﷺ فالإنسان محل الخطأ ، لكن في مسائل الفقه الأمر فيه ولله الحمد يسر والأمر واضح نأخذ بما تبين لنا أنه موافق للدليل وما خالف الدليل نتركه ، لكن مع احترام صاحبه والاعتذار له لما حصل منه ؛ لأنه عن اجتهاد .

أضواء إسلامية عقيدة سيد قطب وفكره

س٥ : قد صدر في هذه الأيام كتاب بعنوان " أضواء إسلامية عقيدة سيد قطب وفكره " ، وخلص مؤلفه إلى القول : بأن سيد قطب قد وقع في أخطاء جسيمة في العقيدة . نرجو يا فضيلة الشيخ أن تخبرنا برأيك في هذا الكتاب ؟

ج٥ : هذا العمل طيب وصاحبه محسن ؛ لأنه لم يأت بشيء من عنده ولم يتقول على سيد قطب ، وإنما ذكر أخطاء واقعة في كتبه ونبه عليها بذكر الصفحة ونص الكلمة ، وما دام كذلك فإنه لا مؤاخذة عليه ، ما دام أنه ذكر واستند ووثق من كتاب الرجل فقد أدى ما عليه ، وكل يخطئ ، سيد قطب يخطئ ، وغيره يخطئ ، والحمد لله والحق ضالة المؤمن . ما دام أن المؤلف لم يأت بشيء من عنده ولم يتقول على الرجل ولم يكذب عليه وإنما نقل كلامه بنصه من كتبه وذكر الصفحة والكتاب فقد برئت ذمته ، ولا بد من بيان هذا ؛ لأن هذه الكتب بأيدي الشباب ويعتبرون صاحبها من قادة الفكر .

(١) (راجع (٨ / ٩٣) من سير أعلام النبلاء) .

الجلوس مع من يتكلم في الناس ويذكر مساوئهم وعيوبهم

س٦ : ما حكم الجلوس مع من يتكلم في الناس ويذكر مساوئهم وعيوبهم في كل وقت ؟

ج٦ : هذا مغتاب ، ولا يجوز الجلوس معه إلا بشرط أن تنكر عليه وأن تذب عن أعراض المسلمين . أما الجلوس معه من غير إنكار فهذا لا يجوز ؛ لأنه سيكون رضا بالمعصية أو موافقة على المعصية وعدم إنكار لها ، وقد قال النبي ﷺ : ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [(١)] [(٢)] فأقل مراحل الإنكار الإنكار بالقلب ، وإذا أنكر بقلبه فهو لا يجلس مع صاحب المنكر ، بل يعتزله وهذا آخر المراحل .

عدم ذكر محاسن من وقع في أمور عقدية والاكتفاء بذكر هذه الأخطاء

س٧ : فضيلة الشيخ هل يلزم ذكر المحاسن عند نقد بعض الأشخاص وخصوصا من وقعوا في أمور عقدية . أم يكتفى بذكر هذه الأخطاء فقط ؟ ما هو المنهج الصحيح حين نقد هذه الأمور . . وجزاكم الله خيرا ؟

ج٧ : إذا كان المردود عليه عنده أخطاء في العقيدة فهذا لا تذكر محاسنه ؛ لأنك إذا ذكرت محاسنه روجت لأخطائه وجعلت الناس يحسنون الظن به ولا ينتبهون إلى ما عنده من الأخطاء في العقيدة . أما إذا كانت أخطاؤه في مسائل الفقه ، فمسائل الفقه أمرها سهل فإذا كانت أخطاء الإنسان في مسألة فقهية فإنك ترد عليه ، ولكن تذكر أن هذا له محاسن وله مقام في الإسلام ؛ لئلا يسيء الناس الظن به ، فأنت تدفع عن عرضه ما دام أنه سني وأن عقيدته سليمة ولكن تنّبه على الخطأ ؛ لئلا يغتر به أحد .

---

(١) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٤/٣) .

(٢) (تقدم تخريجه ص١١١ الحاشية رقم (١)) .

من يقول الشيخ أخطأ أو فلان أخطأ

س٨ : ما رأيكم فيمن يقول : الشيخ أخطأ أو فلان أخطأ ؟

ج٨ : لا بد من شرطين : أولا : أن تكون التخطئة بعلم . ثانيا : الدافع له هو إرادة الحق ، ولا يكون فيه تعرض للشخص نفسه فالإنسان يخطئ . كل يخطئ ويصيب إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ لأنهم معصومون بعصمة الله لهم . أما من عداهم فهو يخطئ ويصيب لا شك في هذا . وليس هذا عيبا في العالم أنه يخطئ إذا بذل وسعه واجتهد ثم لم يوفق للصواب وعلينا بيان الخطأ وتجنّبه .

من يصف سيد قطب بأنه أحسن من شرح التوحيد ومعنى لا إله إلّا الله

س٩ : ما رأي فضيلتكم فيمن يقول : أحسن من شرح التوحيد ومعنى لا إله إلّا الله (سيد قطب) ، وفي من يقول ما جاء بعد ابن تيمية مثل (سيد قطب) ؟

ج٩ المسألة ليست مسألة دعاوى ، المسألة مسألة حقائق . نراجع كلام فلان ونزنه بميزان الكتاب والسنة ، فإن كان صحيحا فالحمد لله ، وإن أخطأ تركناه ، وكلمة لا إله إلا الله بيّن معناها العلماء قبل أن يولد سيد قطب بيانا شافيا والحمد لله .

وقالوا : معناها لا معبود بحق إلا الله كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَـٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ﴾ (1) ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (2) ، ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ۝ ﴾ (3) ، وقال النبي ﷺ : ﴿ من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ،

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .
(٢) سورة البينة آية : ٥ .
(٣) سورة الصافات الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .

وحسابه على الله ﷻ [1] [2] . فإذا كان العلماء جهلوا معنى لا إله إلا الله حتى جاء سيد قطب وبّينه فهذا تضليل للأمة وجحدان للواقع .

من ينتقص شيخ الإسلام ابن تيمية

س١٠ : كثير من ينتقص شيخ الإسلام ابن تيمية وينسب إليه في كتابه في (الرد على البكري) وأنه قال بحوادث لا أول لها ، وهذا مذكور في كثير من الكتب التي توزع الآن . فما قولكم في هذا ، وهل هذا ثابت عن شيخ الإسلام ؟

ج١٠ : هذه فرية ليست جديدة قيلت من قبل ، قالها السبكي وغيره ، الشيخ لم يقل بحوادث لا أول لها لكن الشيخ يقول : إن أفعال الله لا بداية لها ؛ لأن الله لا بداية له - سبحانه وتعالى - فأفعاله لا بداية لها يريد الرد على الذين يقولون إن الأفعال والصفات أنا حادثة وأن الله مضى عليه - تعالى الله عما يقولون - وقت لم يفعل ولم يتصف بذه الصفات ؛ لأننا لو قلنا بقدم الصفات وقدم الأفعال للزم تعدد القدماء .

وهذا جهل والعياذ بالله . الإنسان منا ولله المثل الأعلى من حيث يولد توجد معه بعض الصفات - فهل يقال : إن امرأة فلان ولدت عدة أشخاص ؛ لأنا ولدت شخصا فيه عدة صفات . فلا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف فهم أرادوا أن يلبسوا على الناس لهذا قالوا : إن الشيخ يقول بحوادث لا أول لها .

والشيخ يقول : إن أفعال الله وصفات الله ليس لها بداية كما أنه سبحانه ليس له بداية ، وتعدد الصفات والأفعال لا يدل على تعدد الموصوف . هذا قصد الشيخ رحمه الله .

وهذا مذكور في (شرح الطحاوية) . والشيخ بّينه في رده على الرازي في تأسيس التقديس وفي غيره من كتبه .

---

(١) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٣٩٤/٦) .

(٢) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٣) ، عن مالك ، عن أبيه) .

كشف شبهة أخذ فضل آية الكرسي عن إبليس

س١١ : ذكرت في محاضرة الأمس أنه لا يجوز أخذ العلم من العالم المبتدع ونحن نعلم أن الرسول ﷺ قال عن إبليس : ﴿ صدقك وهو كذوب ﴾ في قصة أبي هريرة [١] .

ج١١ : بيان فضل آية الكرسي متلقى عن الرسول ﷺ وهو الذي بيّنه ووضحه ولم يتلق عن إبليس . فالمعلم هو الرسول عليه الصلاة والسلام وقصة إبليس مع أبي هريرة كانت سببا لبيان الرسول ﷺ .

من يصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه سلفي في العقيدة لكنه ليس في الفقه سلفيا

س١٢ : ما قولكم فيمن يقول : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب سلفي في العقيدة لكنه ليس في الفقه سلفيا هل هذا القول صحيح وجزاكم الله خيرا ؟

ج١٢ : من المعلوم أنه في زماننا هذا وجد من يزهد في علماء السلف ويقلل من شأنهم ويحث عن الاتجاه إلى من يسمونهم المفكرين المعاصرين ، ومن ذلك هذه الفرية التي تسألون عنها وهي أن الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سلفي في العقيدة وليس سلفيا في الفقه ، لا أدري ما وجه هذا التقسيم ! هذا لا يقوله أحد يعقل ما يقول ، بل الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سلفي في العقيدة والفقه ؛ لأنه في العقيدة على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم من الأئمة .

وفي الفقه على مذهب الإمام أحمد الذي هو من أئمة السلف وهو لا يأخذ أقوال الإمام أحمد مجرد تقليد ، بل إنه يأخذ ما ترجح من مذهب الإمام أحمد بالدليل ، فهو ليس مقلدا من دون اختيار ، بل إنه يعتبر من المجتهدين في المذهب الحنبلي على نمط شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والمحققين في مذهب الإمام أحمد رحم الله الجميع . فالإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب سلفي في العقيدة وسلفي في الفقه ؛ لأنه يأخذ بفقه

(١) (رواها الإمام البخاري ٣ / ٦٣ ، ٦٤ ، من حديث أبي هريرة) .

السلف ويأخذ من فقه السلف ما قام عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا أقول هذا من عندي من أراد أن يتحقق من صدق هذا فليراجع فتاوى هذا الإمام ومؤلفاته في الفقه سيجد أنه رحمه الله يختار القول الذي يؤيده الدليل ؛ لأنه رجل يطلب الدليل ويعمل به ولا يأخذ أقوال الفقهاء مجرد تقليد من غير معرفة أدلتهم ، فهو يعتبر مجددا في العقيدة ومجددا في الفقه والفتوى أيضا .

جمع الأخطاء التي في فتح الباري أو شرح صحيح الإمام مسلم

س١٣ " ما رأى فضيلتكم لو جمعت الأخطاء التي في (فتح الباري) أو (شرح صحيح الإمام مسلم) ، ووضعت في كتاب مستقل حتى يستفاد منها ؟

ج١٣ : أولا : (شرح الإمام مسلم) و (شرح صحيح البخاري) للإمامين ابن حجر والنووي رحمهما الله ، هذان مرجعان من مراجع الإسلام فيهما علم غزير ، ولا يحسن في نظري تجميع الأخطاء التي حصلت فيهما وهي يسيرة - ولله الحمد - في كتاب واحد ، ولكن الأحسن أن يعلق عليها في مواطنها حتى يبيّن الحق ، ولا يكون في هذا تشهير . لكن تبيّن الأخطاء في مواضعها من أجل أن لا يطلع عليها إلا طلبة العلم ، وهذا الذي عمله سماحة شيخنا (يقصد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى) في (فتح الباري) لو أنه استمر كان في ذلك خير كثير . فعلى هذا النمط قد فتح هذا المجال وبين الطريق الصحيح لهذا الشيء ، فلو كملت هذه الخطة لكان هذا حسنا ولا يطلع عليها إلا الذين يعرفون قدر ابن حجر والنووي ، لكن إذا جمعت واطلع عليها الجهّال والناشئة والصغار فإنهم سيكون عندهم رد سيء أو رد فعل على هذين الإمامين الجليلين وثقل الثقة بهما . وهذا ما حصل الآن من بعض الشباب والجهّال ، صاروا يضللون هذين الإمامين الجليلين ولم يستفيدوا من علمهما الغزير ويحترموا مقامهما الكبير .

اتهام كبار علماء المملكة بوجود أخطاء في بعض فتاويهم بسبب ضغوط من ولاة الأمر

س١٤ : قبل فترة وزّع شريط ، والشريط يتكلم فيه أحد قواد إحدى الجماعات في الأردن يتكلم عن هيئة كبار العلماء عندنا في البلاد (السعودية) ، والشريط فيه نوع خبيث : الذم فيما يشبه المدح يتكلم ويمدح أهل العلم عندنا ، ويقول : أما ما يوجد عندهم من أخطاء في بعض الفتاوى فإنما صدرت بسبب ضغوطات من ولاة الأمر في تلك البلاد ، والشريط وزع فلعلكم تلقون الضوء حول هذا ؟

ج١٤ : الحمد لله أنه اعترف بالحق وبين فضل هؤلاء العلماء ، أما قوله : أنهم يفتون بسبب ضغوطات فهو قول باطل ، وعلماء هذه البلاد - ولله الحمد - هم أبعد الناس عن المجاملات ، فهم يفتون بما يظهر لهم أنه هو الحق . وهذه فتاواهم موجودة - ولله الحمد - ومدونة وأشرطتهم موجودة ، فليأتنا هذا المتكلم بفتوى واحدة تعمّدوا فيها الخطأ بموجب ضغط وأنهم أجبروا على هذا الشيء . أما الكلام والدعاوى واتهام الناس فهذا لا يعجز عنه أحد كل يقوله لكن الكلام في الحقائق .

الخلاف المحمود والخلاف المذموم

س١٥ : هل لفضيلتكم أن تبيّنوا لنا ما هو الخلاف المحمود وما هو الخلاف المذموم ؟

ج١٥ : الخلاف ليس محمودا ، ولكن هناك خلاف يعذر به ، وخلاف لا يعذر به . فالخلاف في مسائل الفروع الاجتهادية كاستنباط الأحكام من الأدلة . . هذا يقول : الدليل يدل على كذا ، وهذا يقول : الدليل يدل على كذا . فكلّ قال بحسب ما ظهر له وأداه اجتهاده . والصحابة - رضي الله عنهم - لما قال لهم النبي ﷺ : ﴿ لا يصلين أحد إلا في بني قريظة ﴾ [1] خرجوا وحضرت صلاة العصر وهم في الطريق ، وعند ذلك قوم

(١) البخاري الجمعة (٩٠٤) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٠) .

قالوا : الرسول ﷺ أراد منا أن لا نصلي إلا إذا وصلنا بني قريظة ولو تأخرت الصلاة فأخروا الصلاة إلى أن وصلوا ، وآخرون قالوا : قصد الرسول ﷺ هو الحث على المبادرة بالخروج ، وليس القصد تأخير الصلاة . ولما سألوا النبي ﷺ لم ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء [1] ؛ لأن كلا منهم اجتهد وله وجه ، هذا اجتهاد لا يلام على الاختلاف فيه ؛ لأنه مبني على استنباط من الدليل ، وكذلك قصة الرجلين اللذين فقدا الماء وصليا بالتيمم ، ثم وجدا الماء في الوقت فتوضأ أحدهما وأعاد الصلاة . والآخر لم يعد الصلاة ، فقال النبي ﷺ للذي توضأ وأعاد الصلاة : ﴿ لك الأجر مرتين ، وقال للآخر : أجزأتك صلاتك ﴾ [2] ، فلم ينكر على كلا الرجلين اجتهادهما [3] .

أما الاختلاف المذموم فهو الاختلاف في العقيدة .

فالعقيدة ليست مجالا للاختلاف ، والمنهج ليس مجالا للاختلاف ، لأن الله أمرنا بالرد إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح ، قال ﷺ : ﴿ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [4] [5] .

فلم يعذر الفرق الاثنتين والسبعين كلها إلا الواحدة التي بقيت على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الاختلاف في العقائد والمنهج لا يعذر فيه ، إنما العذر في

---

(١) (انظر : صحيح الإمام البخاري (٥ / ٥٠) ، من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما -) .

(٢) أبو داود الطهارة (٣٣٨) ، الدارمي الطهارة (٧٤٤) .

(٣) (رواه أبو داود برقم (٢٨٦) ، والنسائي في (سننه) (١ / ٢١٣) ، والدارمي برقم (٧٥٠) ، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري) .

(٤) الترمذي الإيمان (٢٦٤٠) ، أبو داود السنة (٤٥٩٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩١) ، أحمد (٣٣٢/٢) .

(٥) (رواه أبو داود في (سننه) برقم (٣٩٨٠) ، ضمن حديث أبي سعيد الخدري ، ورواه النسائي في (سننه) (١ / ١٧٢ ، ١٧٣) بمعناه من حديث رجل اسمه طارق) .

المسائل الفرعية التي تستنبط من النصوص إذا كان الاجتهاد له محمل من النص ، وأما إذا كان الاجتهاد له محمل من النص فهذا لا يجوز .

نصيحة لطلبة العلم والشباب لمواجهة الاضطرابات الفكرية والمنهجية

س١٦ : فضيلة الشيخ . ما هي نصيحتكم لطلبة العلم والشباب في الوقت الحاضر وما تعايشه الساحة من اضطرابات فكرية ومنهجية ، وما هو دور طالب العلم تجاه هذه الأوضاع ؟

ج١٦ : نعم ، أنا أشرت في كلمتي إلى أن الشباب خصوصا في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأفكار والمناهج والجماعات والانقسامات ، أنا أوصيهم أولا وقبل كل شيء بتقوى الله - سبحانه وتعالى - ومخافة الله وخشية الله عز وجلّ .

فأوصيهم بحفظ ألسنتهم من الكلام الذي يكون وبالا عليهم .

وأوصيهم كذلك بالحرص على الإصلاح بين الناس وجمع الكلمة ، قال تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [1] .

كما أوصيهم بطلب العلم من مصادره من الكتاب والسنة على أيدي أهل العلم وأهل البصيرة .

هذا هو السبيل الوحيد طلب العلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويكون ذلك على أيدي العلماء هو السبيل الوحيد لمعرفة الحق . وليس العلم ما يدعيه بعضهم أنه العناية بفقه الواقع وهو الانشغال بسياسات الدول والأحداث العالمية وتحليلاتا ، فهذا مشغلة عن العلم النافع ولا يؤدي إلى نتيجة ، والنبي ﷺ حينما أخبر عن الافتراق بين الأمة قال : ﴿ وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : ومن هي يا

(١) سورة النساء آية : ١١٤ .

رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [(١)] [(٢)] . فليس هناك نجاة إلا باتباع ما كان عليه الرسول ﷺ وكيف نعرف ذلك ؟ لا نعرف ذلك إلا إذا طلبنا العلم على أيدي العلماء ، والكل يدعي أنه مع منهج الرسول ﷺ وعلى منهج أصحابه ، كل يدعي هذه الدعوى ، ولكن لا يصح من ذلك إلّا الحقيقة فلا يمكن أن نعرف ما كان عليه الرسول ﷺ إلا إذا طلبنا العلم على أيدي العلماء الناصحين المخلصين لدينهم والناصحين لأمتهم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [(٣)] .

فالأمور لا تؤخذ على الجهّال ولا عن المدعين ، وإنما تؤخذ عن أهل الخبرة وأهل المعرفة في دين الله وهم العلماء وحدهم .

وقال ﷺ : ﴿ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴾ [(٤)] [(٥)] .

فأخبر أن المخرج من الفتنة إنما هو اتباع سنته ﷺ وخلفائه الراشدين ، ولا يمكن ذلك إلا بتعلم العلم على أيدي العلماء الذين يعرفون سنة رسول الله ﷺ ويعرفون سنة الخلفاء الراشدين ويبينونا للناس فلا مخرج من الفتنة ومن الانقسامات والجماعات والمناهج إلا بهذا الشيء .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) (رواه الترمذي برقم (٢٦٤١) ، من حديث ابن عمرو - رضي الله تعالى عنهما -) .

(٣) سورة فاطر آية : ١٤ .

(٤) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٧/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٥) (رواه الإمام أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) ، وأبو داود برقم (٤٦٠٧) ، والترمذي برقم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه برقم (٤٢ ، ٤٣) ، والدارمي برقم (٩٦) ، والحاكم في (مستدركه) (١ / ٩٦ ، ٩٧) ، والدارقطني في (سننه) (١ / ٥٧) كلهم من حديث العرباض بن سارية - رضي الله تعالى عنه -) .

المنهج الصحيح منهج واحد ليس فيه انقسام ولاخلاف ، إنما الاختلافات في المناهج المخالفة لمنهج الرسول ﷺ وإلا منهج الرسول ﷺ موحّد ليس فيه انقسام وليس فيه اختلاف ، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [1] ، ذكر صراطه مفردا ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي ﴾ [2] .

ولما ذكر السبل ذكرها كثيرة ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ [3] ، سبل كثيرة ؛ لأن كلا له منهج وطريقة ومذهب . فمن تتّبع هؤلاء من أصحاب المذاهب المنحرفة والمناهج والجماعات ضاع بينها ، فلا مناص لنا من اتباع منهج الرسول ﷺ وهو منهج واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف فيه : ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [4] .

نصيحة للشاب الذي يخوض في الخلاف بين العلماء بلا علم ولا بصيرة

س١٧ : فضيلة الشيخ هل من نصيحة للشاب الذي ترك تعلم العلم الشرعي والدعوة إلى الله وأخذ يخوض في الخلاف بين العلماء بلا علم ولا بصيرة ؟

ج١٧ : أنا أوصي جميع إخواني وخاصة الشباب والطلبة أن يشتغلوا بطلب العلم الصحيح سواء كانوا في المساجد أو في المدارس أو في المعاهد أو في الكليات ، أن يشتغلوا بدروسهم ومصالحهم ويتركوا الخوض في هذه الأمور ؛ لأنا لا تأتي بخير ، وليس من المصلحة الدخول فيها وإضاعة الوقت فيها وتشويش الأفكار ، هذه من المعوقات عن طلب العلم ومن المعوقات عن العمل الصالح ومن الوقوع في الأعراض والتحريش بين المسلمين ، فعلى المسلمين عموما وعلى الطلاب خصوصا أن يتركوا هذه الأمور ويسعوا

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠١ .

بالإصلاح مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] .

ومن رأيتم عليه خطأ فعليكم بمناصحته وبيان خطئه فيما بينكم وبينه وطلب رجوعه إلى الصواب . هذا مقتضى النصيحة .

الواجب تجاه العلماء الذين يتّبعون الطرق الصوفية

س١٨ : سائل يقول : ما واجبنا تجاه العلماء الذين يتّبعون الطرق الصوفية ولا يتحدثون عن شرع الله ولا عن السّنة المطّهرة ، بل ويطعنون في الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشيخ الإسلام ابن تيمية بكلام غير لائق ؟

ج١٨ : أنا قلت في الكلمة التي سمعتم : أن المراد بالعلماء الذين يقتدى بهم ويؤخذ العلم عنهم هم العلماء المستقيمون على دين الله أهل العلم والعمل . أما العلماء الذين عندهم علم ولا يعملون به ، بل يعملون بخلاف علمهم ، فإن هؤلاء أهل إضلال وتحريف وشر ، هؤلاء علينا أن نحذر منهم ولا نستمع لكلامهم ، بل يجب علينا أن ننكر عليهم وأن نرد عليهم أقوالهم ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ﴾ [2] [3] .

هؤلاء أئمة مضلون ولا يجوز لمسلم أن يستمع لهؤلاء ، بل يجب أن ينكر عليهم ، والذين يتكلمون في أئمة الدعوة وأئمة التوحيد والعقيدة وورثة الأنبياء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم وتلاميذ الشيخ ابن تيمية وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٢) الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٨٤/٥) ، الدارمي المقدمة (٢٠٩) .

(٣) (رواه أبو داود في (سننه) (٤ / ٩٥) ، والترمذي في (سننه) (٢٢٢٩) ، والدارمي في (سننه) (٢ / ٤٠١) ، وابن ماجه في (سننه) (٢ / ١٣٠٤) بنحوه ، كلهم من حديث ثوبان - رضي الله تعالى عنه - . ورواه الإمام أحمد في (مسنده) (١ / ٤٢) ، من حديث عمر بن الخطاب ، وفي (٥ / ١٤٥) ، من حديث أبي ذر ، وفي (٦ / ٤٤١) ، من حديث أبي الدرداء بنحوه - رضي الله عنهم - أجمعين) .

وأمثال من اتبع طريقة الشيخ في الدعوة إلى الله ، وإخلاص التوحيد مثل الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكل من سار على نهج السلف والعلماء قديما وحديثا في هذه البلاد وفي غيرها ، ومن تكلم في هؤلاء فإنه ضال مضل يجب أن نرد عليه قوله وأن نرد عليه دعواه الباطلة وأن نحذر منه ؛ لأنه من دعاة الضلال لأنه لا يعادي دعاة الحق إلا دعاة الضلالة ، والله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [1] .

لماذا يعادون شيخ الإسلام ابن تيمية إلا لأنه دعا إلى الحق وإلى إخلاص العبادة لله وجدد هذا الدين وأنكر البدع المحدثات ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ﴾ [2] .

هل أدركوا عليه شيئا يجرحونه به ؟ إنما هو الهوى والعصبية للباطل ، نسأل الله العافية والسلامة ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾ [3] .

نحن لا نقول إن شيخ الإسلام ابن تيمية أو غيره من الأئمة معصومون لا يقع منهم خطأ أبدا نقول : هم قد يقع منهم شيء من الخطأ ، ولكن ما عندهم من الخير وما عندهم من الدعوة إلى الله وما نفع الله بهم من خير يغطي ما عندهم من الأخطاء التي لم يقصدوها ، قال رسول الله ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر » [4] [5] .

والشاعر يقول :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

---

(1) سورة يونس آية : ٣٢ .

(2) سورة البروج آية : ٨ .

(3) سورة البقرة آية : ١١١ .

(4) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٩١٩) ، مسلم الأقضية (١٧١٦) ، أبو داود الأقضية (٣٥٧٤) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣١٤) ، أحمد (٢٠٤/٤) .

(5) (تقدم تخريجه ص ٧٢ الحاشية رقم (١)) .

ولو رجعنا إلى هؤلاء الذين يتكلمون في الأئمة لوجدنا أن أخطاءهم أكثر مما عندهم من الصواب ، وماذا قدموا للأمة من علم وخير بخلاف هؤلاء الأئمة فما عندهم من الصواب وما عندهم من الخير يغطي ما يظن أنه خطأ . وما قدموه للأمة من علم ودعوة يغطي ما يحصل منهم من خطأ إن وجد .

الكيفية الصحيحة لطلب العلم

س١٩ : هل يتعين على طالب العلم في الوقت الراهن الالتفاف حول العلماء ، وأخذ العلم عنهم بالتلقي والسؤال ، وهل أخذ العلم من الكتب والأشرطة مباشرة يكفي عن ذلك وخصوصا في هذا الزمان الذي كثرت فيه وسائل التعليم من كتب وأشرطة وغيرها ؟

ج١٩ : أنا نبهت على هذا وأشرت إلى أن العلم لا يؤخذ من القراءة فقط ولا من الأشرطة فقط ، نعم القراءة تساعد والأشرطة أيضا فيها فائدة لكن لا يعتمد على هذا ولا يقتصر على هذا ، وإنما طلب العلم على أهل العلم إما في المسجد وإما في المدارس أو المعاهد أو الكليات وإما في المجالس الخاصة والعامة والندوات والمحاضرات والدروس التي تلقى في المساجد ، لا بد أن يكون العلم يؤخذ من هذه المصادر ومن هذه الموارد لا من المخيمات والرحلات في البراري والانعزال عن العلماء وعن المجتمع كما عليه بعض الجماعات اليوم ، فإن هذا في الغالب يسبب الشرود الفكري ويصد عن التحصيل النافع .

والمساجد لها ميزة عظيمة في تلقي العلم فيها ، كما قال ﷺ : ﴿ وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ﴾ [(١)] [(٢)] .

---

(١) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢/٢٥٢) .

(٢) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٦٩٩) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - ، وهو جزء من حديث طويل) .

وقال ﷺ : ﴿ ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ﴾ [1] [2] .

والعلم لا يأتي عفوا لا بد له من تعب ولا بد فيه من مشقة ولا بد من صبر وتحمل ، يقول الشافعي رحمه الله :

ومـن لم يـذق ذل الـتعلم سـاعة تجرع كأس الجهـل طـول حياتـه [3]

وأوله :

اصبر علـى مـر الجفـا مـن معلـم فـإن رسـوب العلـم في نفراتـه
ومـن لم يـذق ذل الـتعلم سـاعة تجـرع ذل الجهـل طـول حياتـه
ومـن فاتـه التعلـيم وقـت شـبابه فكبّـر عليـه أربعـا لوفاتـه
وهـذا الفـتى والله بـالعلم والتقـى إذا لم يكونـا لا اعتبـارا لذاتـه

الضابط للمبتدئ عند وجود الخلاف بين العلماء في المسائل الفقهية

س٢٠ : ما هو الضابط للمبتدئ عند وجود الخلاف بين العلماء في المسائل الفقهية وغيرها ؟

ج٢٠ : المبتدئ لا يدخل في الخلافات ، المبتدئ يدرس المختصرات التي ليس فيها خلافات ، والعلماء كان عندهم طريقة تعليمية فإنهم كانوا يؤلفون للمبتدئين كتبا ليس فيها خلافات يدرسها الطالب أولا ، ثم يتدرج إلى الكتب المطولة ، وبعد ذلك إذا تمكن صار عنده قواعد علمية وصار عنده أصول علمية يمكنه أن يدخل في المسائل الخلافية ليعرف الأرجح منها ، والصواب فيها بالدليل لكنه لا يعرف هذا إلا بعد أن يدرس كتب الأصول المختصرة ويتدرج شيئا فشيئا فننصح المبتدئ أن لا يقرب كتب الخلاف ، وأن لا

(١) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .
(٢) (نفس المرجع السابق) .
(٣) راجع ديوان الشافعي (ص ٥٩) ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

يقرأ كتب الخلاف ننصحه أن يقرأ في المختصرات التي ليس فيها ذكر الخلاف حتى يتمكن ويعرف ، وبعد ذلك يدخل في المسائل الخلافية ليعرف الراجح فيها بالدليل .

الدراسة عند أهل البدع وتلقي العلم وطلبه عليهم

س٢١ : ما حكم الدراسة عند أهل البدع وتلقي العلم وطلبه عليهم ؟

ج٢١ : نحن قلنا إن علماء الضلال وأهل البدع لا يجوز الطلب عندهم أو تلقي العلم عنهم ، لأنم يضلون عن سبيل الله ويدرسون بدعهم وضلالهم على تلاميذهم . يقول بعض السلف : (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) [(١)] .

فلا بد أن يكون العالم مستقيما على طاعة الله يكون من أهل العلم النافع والعمل الصالح هؤلاء هم الذين يجب أخذ العلم عنهم والتتلمذ عليهم والاقتداء بم ، أما علماء الضلال والبدع فيجب الحذر منهم يجب الابتعاد عنهم ، يجب التحذير منهم ، يجب قطع الصلة بم ، يجب الإنكار عليهم حتى تسلم الأمة من شرهم . إذا تتلمذ عليهم أحد فإنه يتغذى بأفكارهم وبآرائهم وضلالهم ويتأثر با ؛ لأن القاعدة التربوية المعروفة : أن الطالب سيتأثر بمدرسه دائما ، وأبدا الطالب دائما يتأثر بمدرسه ومعلمه فإذا تعلم على مبتدع أو على صاحب خرافات فإنه سيتأثر به ويتقبل ما عنده من البدع والانحرافات حتى ولو كان يظن ويزعم أنه لا يتأثر با .

الطعن في العلماء وكذلك الطعن في الصحابي معاوية بن أبي سفيان

س٢٢ : ما قولكم بالفاكسات الوافدة من لندن والتي جاء في بعضها الطعن في العلماء وكذلك الطعن في الصحابي معاوية بن أبي سفيان ووصفه بالاغتصاب ، وكذلك طعنه في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصفه بالسذاجة وكذلك طعنه في الشيخ عبد العزيز بن باز وغير ذلك من الأكاذيب ؟

---

(١) (انظر (فيض القدير) (٥٤٢ ، ٥٤٦) ، وانظر (الجامع لأخلاق وأدب السامع) (١ / ٦٤) .

ج٢٢ : هذه النشرات التي تأتي من الخارج بواسطة الفاكسات تكلم عنها والحمد لله وبين ما فيها وأنا كلها خطأ وكذب وضلال على أهل العلم ، وأن صاحبها المدعو : محمد المسعري صاحب فتنة وصاحب هوى ولا يخفى هذا على من عنده عقل فضلا عمن عنده علم لا يخفى عليه ما فيها من الإضلال .

أولا : لأنا صادرة عن إنسان مغرض حاقد على البلد وعلى أهله .

ثانيا : أنه ليس عنده شيء من العلم وما عرف بالعلم ولا عرف بالاستقامة .

ثالثا : إن كلامه كله يكذبه الواقع ولله الحمد ويرده الواقع وهذه الإشاعات لا شك في بطلانا ولا شك في أنا يراد با تفريق الكلمة ويراد با نشر الفتنة ويراد با الشر والتحريش هذا ظاهر - ولله الحمد - لكل أهل البصيرة وأهل العقول وأهل المعرفة ، هي ترد على نفسها ، وكونه يطعن في معاوية بن أبي سفيان . . هل جرى بينه وبين معاوية شيء من الخصومة ؟ هل عاصر معاوية رضي الله عنه ؟ حتى يقال لعله ظلمه وهو يريد أن ينتصر لنفسه ، لكن هو يتكلم بلسان غيره ، يتكلم بلسان الشيعة الذين يسبون صحابة رسول الله ﷺ . هذا من حيث العقل أما من حيث الدليل فمعاوية رضي الله عنه صحابي جليل ، وقد قال النبي ﷺ : ﴿ لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [(١)] [(٢)] .

وكونه يقع في شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، ما هو السبب في هذا ؟ هل جرى بينه وبين الشيخ خصومة ؟ هل عاصر الشيخ ؟ فكونه يعمد إلى أموات من مئات السنين يتكلم في حقهم هذا دليل على أنه صاحب هوى وعداوة لدعوة الشيخ رحمه الله .

نسأل الله العافية والسلامة .

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) ، أحمد (٥٥/٣) .

(٢) (رواه الإمام البخاري (٤ / ١٩٥) ، من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه -) .

المحاضرة السابعة والأربعون
لمحة عن الفرق الضالة

الغرض من تناول الفرق وبيان مذهبهم

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله رب العالمين ، وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن الحديث عن الفرق ليس هو من باب السرد التاريخي ، الذي يقصد منه الاطلاع على أصول الفرق لمجرد الاطلاع ، كما يطلع على الحوادث التاريخية ، والوقائع التاريخية السابقة ، وإنما الحديث عن الفرق له شأن أعظم من ذلك ؛ ألا وهو الحذر من شر هذه الفِرَقِ ومن محدثاتِها ، والحثّ على لزوم فرقة أهل السنة والجماعة .

وترك ما عليه الفرق المخالفة لا َيحصل عفوا للإنسان ، لا يحصل إلا بعدَ الدراسة ، ومعرفةِ ما الفرقة الناجية ؟ .

مَن هم أهل السنة والجماعة ، الذين يجب على المسلم أن يكونَ معهم ؟ .

ومَن الفِرَق المخالفة ؟ .

وما مذاهبهم وشبهاتم حتى يحذرَ منها ؟ .

لأن (من لا يعرف الشرّ يوشك أن يقع فيه) ، كما قال حذيفة بن اليمان ﷺ :

﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهليةٍ وشَرّ ، فجاءنا الله بذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، فقلت : هل بعد الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دَخَنٌ ، قلت : وما دخنه ؟ قال : يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من

---

(١) (نص محاضرة ألقاها الشيخ صالح الفوزان بمدينة الطائف ، يوم الاثنين الموافق (٣ / ٣ / ١٤١٥هـ) ، في مسجد الملك فهد بالطائف) .

أجابهم إليها قذفوه فيها ، فقلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : نعم ، قومٌ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : يا رسول الله ، فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق ، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك ﴾ [1] [2] .

فمعرفة الفرق ومذاهبها وشبهاتها ، ومعرفة الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، وما هي عليه ؛ فيه خير كثير للمسلم ؛ لأن هذه الفرق الضالة عندها شبهاتٌ ، وعندها مغريات تضليل ، فقد يغترّ الجاهل بهذه الدعايات وينخدع بها ؛ فينتمي إليها ، كما قال ﷺ لما ذكر في حديث حذيفة : ﴿ هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاةٌ على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها ، فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا . قال : نعم ، قومٌ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ﴾ [3] .

فالخطر الشديد ، وقد وعظ النبيّ ﷺ أصحابه ذات يومٍ - كما في حديث العرباض بن سارية - : ﴿ أنه وعظهم موعظةً بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . قلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبدٌ ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ،

---

(1) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) ، أحمد (٤٠٦/٥) .

(2) (رواه البخاري : (فتح الباري) برقم (٣٦٠٦ ، ٣٦٠٧ ، ٧٠٨٤) ، ومسلم في (صحيحه) أيضا برقم (١٨٤٧) ، وأحمد مطولا بلفظ مخالف (٥ / ٣٨٦ ، ٤٠٣) ، ومختصرا بلفظ مختلف (٥ / ٤٤) ، وأبو داود السجستاني (٤٢٤٤) ، ولفظ مختلف : برقم (٤٢٤٦) ، والنسائي في (الكبرى) (٥ / ١٧ ، ١٨) ، وابن ماجه برقم (٤٠٢٧ ، ٤٠٢٩) ، وأبو داود الطيالسي في (مسنده) برقم (٤٤٢) ، وبلفظ مختلف : (٤٤٣ ، ص ٥٩) ، وأبو عوانة في (الصحيح المسند) (٤ / ٤٧٤ و٤٧٥) ، وعبد الرزاق في (مصنفه) برقم (٢٠٧١١) ، (١١ / ٣٤١) ، وابن أبي شيبة في (كتاب الفتن) برقم (٢٤٤٩ و٨٩٦٠) ، (١٨٩٦٩ و١٨٩٨٠) ، والحاكم في (مستدركه) (٤ / ٤٣٢) وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي)) .

(3) البخاري الفتن (٦٦٧٣) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) ، أحمد (٣٨٧/٥) .

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعةٌ ، وكل بدعةٍ ضلالة ﴾ [1] [2] .

فأخبر ﷺ أنه سيكون هناك اختلاف وتفرّق ، وأوصي عند ذلك بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتمسك بسنة الرسول ﷺ وترك ما خالفها من الأقوال والأفكار ، والمذاهب المضلة ، فإن هذه طريق النجاة ، وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بالاجتماع والاعتصام بكتابه ، وينهى عن التفرق ، قال سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [3] .

إلى أن قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ [4] .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة) [5] .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [6] .

فالدين واحد ، وهو ما جاء به رسول الله ﷺ لا يقبل الانقسام إلى ديانات وإلى مذاهب مختلفة ، بل دين واحد هو دين الله - سبحانه وتعالى - ، وهو ما جاء به

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) (تقدم تخريجه ص ٣٣١ الحاشية رقم (١) .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٤) سورة آل عمران الآيتان : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) (ذكره البغوي في (تفسيره) (٢ / ٨٧) ، وابن كثير (٢ / ٨٧) ، طبعة الأندلس) .

(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

رسوله ﷺ وترك أمته عليه ، حيث ترك أمته ﷺ أمته على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وقال ﷺ : ﴿ تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا : كتاب الله ، وسنتي ﴾ [(١)] .

ذم التفرق ومدح الاجتماع

وما جاء التفرق في الكتاب العزيز إلا مذموما ومتوعدا عليه ، وما جاء الاجتماع على الحق والهدي إلا محمودا وموعودا عليه بالأجر العظيم ؛ لما فيه من المصالح العاجلة والآجلة .

وجاء عن النبي ﷺ في السنة أحاديث كثيرة تأمر بلزوم الجماعة .

قال ﷺ : ﴿ إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلها في النار إلا ملة واحدة " ، قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [(٢)] [(٣)] .

فأخبر ﷺ في هذا الحديث أنه لا بد أن يحصل تفرقٌ في هذه الأمة ، وهو لا ينطق عن الهوى ، لا بد أن يحصل ما أخبر به ﷺ .

وهذا الإخبار منه ﷺ معناه النهي عن التفرق ، والتحذير من التفرق ؛ ولهذا قال : ﴿ كلّها في النار إلا واحدة ﴾ [(٤)] .

---

(١) (رواه مالك في (الموطأ) ص ٦٤٨ ، رقم الحديث (١٦١٩) ، والحاكم في (المستدرك) (١ / ٩٣) موصلا عن أبي هريرة . ورواه مطولا دون لفظة وسنتي : مسلم برقم (١٢١٨) ، وأبو داود برقم (١٩٠٩) ، وابن ماجه برقم (٣١١٠) ، من حديث جابر بن عبد الله وفيه صفة حجة النبي وخطبته بم) .

(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٣) (أخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١) ، واللالكائي في (شرح اعتقاد أهل السنة) برقم (١٤٧) ، والآجري في (الشريعة) ص١٥ ، والمروزي في (السنة) ص١٨ ، وابن بطة في (الإبانة الكبرى) برقم (٢٦٤ ، ٢٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -) .

(٤) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

ولما سئل عنها ﷺ ما هذه الواحدة الناجية ؟ . قال : ﴿ من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [(١)] .

فمن بقي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، فهو من الناجين من النار ، ومن اختلف عن ذلك فإنه متوعد بالنار ، على حسب بعده عن الحق ، إن كانت فرقته فرقة كفر وردةٍ فإنه يكون من أهل النار الخالدين فيها ، وإن كانت فرقته دون ذلك فإنه متوعد بالنار . لكنة لا يخلد فيها ما دام أن فرقته لم تخرجه عن الإيمان . لكن عليه وعيدٌ شديدٌ ، ولا ينجو عن هذا الوعيد إلا طائفة واحدة من ثلاث وسبعين ، وهي الفرقة الناجية ﴿ من كان على مثل ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﴾ [(٢)] ، هو : كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والمنهج السليم والمحجة البيضاء .

هذا هو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [(٣)] .

قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [(٤)] ، فدل هذا على أنه مطلوب من آخر هذه الأمة ؛ أن يتبعوا منهج السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، الذي هو منهج الرسول ﷺ وما جاء به الرسول ﷺ .

أما من خالف منهج السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ؛ فإنه يكون من الضالين ، قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [(٥)] .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٤) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٥) سورة النساء الآيتان : ٦٩ - ٧٠ .

فمن أطاع الله وأطاع الرسول في أي زمان ومكان ، سواء كان في وقت الرسول ﷺ أو آخر مسلم في الدنيا ؛ إذا كان على طاعة الله ورسوله ، فإنه يكون مع الفرقة الناجية ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [(١)] .

أما من تخلّف عن هذا المنهج فإنه لن يحصل على هذا الوعد ، ولن يكون مع هؤلاء الرفقة الطيبين ، وإنما يكون مع الذين انحاز إليهم من المخالفين .

ولهذا ، هذا الدعاء العظيم ، الذي نكرّره في صلاتنا ، في كل ركعة في آخر الفاتحة : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [(٢)] .

هذا دعاء عظيم ، نسأل الله في كل ركعة من صلاتنا ؛ أن يهدينا لصراط الذين أنعم الله عليهم ، وهو الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، وكان عليه أتباعهم إلى يوم القيامة ، وآخرهم محمد ﷺ هو المتبع ، والمطاع ، والمقتدى به ﷺ .

لأنه نبيّ آخر الزمان ، ومنذ بعثه الله إلى أن تقوم الساعة والناس كلهم مأمورون باتباعه ﷺ حتى لو قدر أنه جاء نبيّ من السابقين فإنه يجب أن يكون متبعا لهذا الرسول ﷺ قال ﷺ : ﴿ لو كان موسى حيا بين أظهركم ، ما حل له إلا أن يتبعني ﴾ [(٣)] [(٤)] .

ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ [(٥)] ، يعني محمدا ﷺ ﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ

---

(١) سورة النساء آية : ٦٩ .

(٢) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

(٣) أحمد (٣/٣٣٨) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .

(٤) (رواه أحمد (٣ / ٣٣٨ ، ٣٨٧) والدارمي برقم (٤٤١) ، والبزار برقم (١٢٤) ، من حديث جابر بن عبد الله . ومدار إسناده على مجالد بن سعيد) .

(٥) سورة آل عمران آية : ٨١ .

ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ ﴾ [(١)] .

فلا دين بعد بعثة محمد ﷺ ومن ابتغى غيره من الأديان فإنه لن يقبل منه ، ويكون يوم القيامة من الخاسرين : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [(٢)] . ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [(٣)] : وهم كلّ من عنده علمٌ ولم يعمل به ، من اليهود وغيرهم من ضلال العلماء ، الذين عرفوا الحق وتركوه ، تبعا لأهوائهم ، وأغراضهم ، ومنافعهم الشخصية ، يعرفون الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ولكنهم لا يتبعونه ، بل يتبعون أهوائهم ، ورغباتهم ، وما تمليه عليهم عواطفهم ، أو انتماءاتهم المذهبية أو غير ذلك . هؤلاء يعتبرون من الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ؛ لأنهم عصوا الله على بصيرة ، فغضب الله عليهم . ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [(٤)] : وهم الذين يعملون بغير علم ، ويجتهدون في العبادة ، لكنهم على غير طريق الرسول ﷺ كالمبتدعة والمخرفين ، الذين يجتهدون في العبادة ، والزهد ، والصلاة ، والصيام ، وإحداث عبادات ما أنزل الله بها من سلطان ، ويتبعون أنفسهم بأشياء لم يأت بها الرسول ﷺ . هؤلاء ضالون ، عملهم مردودٌ عليهم ، كما قال الرسول ﷺ : ﴿ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ ﴾ [(٥)] [(٦)] .

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ٨١ - ٨٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٥) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

(٦) ((رواه الإمام أحمد في (مسنده) (٦ / ١٤٦ ، ١٨٠ ، ٢٥٦) ، ورواه البخاري بذا اللفظ معلقا (٨ / ١٥٦) في كتاب (الاعتصام) ، ومسلم في (صحيحه) (٣ / ١٣٤٣ ، ١٣٤٤) برقم (١٧١٨) ، والبخاري موصولا في (خلق أفعال العباد) ص ٤٣ ، وأبو عوانة (٤ / ١٨ ، ١٩) ، وأبو داود الطيالسي في (مسنده) برقم (١٤٢٢) ، من حديث عائشة - رضي الله عنها - . ورواه بلفظ : (من أحدث في أمرنا

هؤلاء هم (الضالون) ومنهم الناصري ، وكلّ من عبد الله على جهل وضلال ، وإن كانت نيته حسنةً ومقصده طيبا ، لأن العبرة ليست بالمقاصد فقط ، بل العبرة بالاتباع .

ولهذا يشترط في كل عمل ، أن يتوفر فيه شرطان ، ليكون مقبولا عند الله ، ومثابا عليه صاحبه :

الشرط الأول : الإخلاص لله عز وجل .

الشرط الثاني : المتابعة للرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(١)] .

وإسلام الوجه يعني : الإخلاص لله .

والإحسان : هو المتابعة للرسول ﷺ .

فالله جل وعلا أمر بالاجتماع على الكتاب والسنة ، ونهانا عن التفرّق والاختلاف .

والنبي ﷺ كذلك أمرنا بالاجتماع على الكتاب والسنة ، ونهانا عن التفرّق والاختلاف ؛ لما في الاجتماع على الكتاب والسنة من الخير العاجل والآجل ، ولما في التفرق من المضار العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة .

فالأمر يحتاج إلى اهتمام شديد ؛ لأنه كلما تأخر الزمان كثرت الفرق ، وكثرت الدعايات ، كثرت النحل والمذاهب الباطلة ، كثرت الجماعات المتفرقة . لكن الواجب على المسلم أن ينظر ، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أخذ به ، من جاء به ، كائنا من كان ، لأن الحق ضالة المؤمن .

هذا ما ليس منه فهو ردّ) (الإمام أحمد (٦ / ٢٤٠ ، ٢٧٠) ، والبخاري في (صحيحه) موصولا (٣ / ١٦٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) ، وأبو داود برقم (٤٦٠٦) ، وابن ماجه برقم (١٢) ، وأبو عوانة (٤ / ١٨) ، والبغوي في (شرح السنة) برقم (١٠٣) ، وابن أبي عاصم في (السنة) برقم (٥٢ ، ٥٣) ، والبيهقي (١٠ / ١١٩) ، والدارقطني (٤ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧) ، وابن بطة في (الإبانة الكبرى) برقم (١٤٨) ، بلفظ : (من فعل في أمرنا ما لا يجوز فهو مردود) ، وأحمد في (مسنده) (٦ / ١٧٣) بلفظ : (من صنع أمرا من غير أمرنا فهو مردود) ، وتقدم تخريجه ص ٨٨ الحاشية رقم (٢)) .

(١) سورة البقرة آية : ١١٢ .

أما ما خالف ما كان عليه الرسول ﷺ تركه ، ولو كان مع جماعته ، أو مع من ينتمي إليهم ، ما دام أنه مخالف للكتاب والسنة ؛ لأن الإنسان يريد النجاة لا يريد الهلاك لنفسه .

والمجاملة لا تنفع في هذا ، المسألة مسألة جنةٍ أو نار ، والإنسان لا تأخذه المجاملة ، أو يأخذه التعصب ، أو يأخذه الهوى في أن ينحاز مع غير أهل السنة والجماعة ؛ لأنه بذلك يضر نفسه ، ويخرج نفسه من طريق النجاة إلى طريق الهلاك .

وأهل السنّة والجماعة ، لا يضرّهم من خالفهم سواء كنت معهم ، أو خالفتهم . إن كنت معهم فالحمد لله ، وهم يفرحون بذا ؛ لأنهم يريدون الخير للناس ، وإن خالفتهم فأنت لا تضرّهم ؛ ولهذا قال ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ﴾ [1] [2] .

فالمخالف لا يضرّ إلا نفسه .

وليست العبرة بالكثرة ، بل العبرة بالموافقة للحق ، ولو لم يكن عليه إلّا قلة من الناس ، حتى ولو لم يكن في بعض الأزمان إلا واحدٌ من الناس ؛ فهو على الحق ، وهو الجماعة .

فلا يلزم من الجماعة الكثرة ، بل الجماعة من وافق الحق ، ووافق الكتاب والسنة ، ولو كان الذي عليه قليلٌ .

أما إذا اجتمع كثرة وحق ، فالحمد لله هذا قوة .

---

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

(٢) (أخرجه بذا اللفظ : مسلم برقم (١٩٢٠) ، وأبو داود برقم (٤٢٥٢) ، وفيه : لا يضرهم من خالفهم ، وزيادة طويلة في أوله . وأخرجه - أيضا - الترمذي برقم (٢٢٢٩) مختصرا وصححه ، وأخرجه ابن ماجه في (المقدمة) برقم (١٠) وفي رقم (٣٩٥٢) مطولا ، وأخرجه أحمد (٥ / ٢٧٨) مطولا ، وفي (٥ / ٢٧٩) مختصرا ، وأبو عوانة (٥ / ١٠٩) مختصرا ، وأبو نعيم (١٩٢) ، والبيهقي (٩ / ١٨١) ، والحاكم (٤ / ٤٤٩) مطولا) .

أما إذا خالفته الكثرة ، فنحن ننحاز مع الحق ، ولو لم يكن معه إلا القليل .

وكما أخبر به ﷺ من حصول التفرّق والاختلاف قد وقع ، ويتطور كلما تأخر الزمان ، يتطور التفرق والاختلاف إلى أن تقوم الساعة ، حكمة من الله - سبحانه وتعالى - ليبتلي عباده ، فيتميز من كان يطلب الحق ، ممن يؤثر الهوى والعصبية : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ (١) .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ ﴾ (٢) .

فحصول هذا التفرق ، وهذا الاختلاف ، ابتلاء من الله - سبحانه وتعالى - وإلا فهو قادر - سبحانه - أن يجمعهم على الحق : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ ﴾ (٣) .

هو قادر على هذا ، لكن حكمته اقتضت أن يبتليهم بوجود التفرق والاختلاف ، من أجل أن يتميز طالب الحق من طالب الهوى والتعصب .

وما زال علماء الأمة في كل زمان ومكان ينهون عن هذا الاختلاف ، ويوصون بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كتبهم التي بقيت بعدهم .

تجدون في كتاب (صحيح البخاري) مثلا : (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) .

تجدون في كتب العقائد ذكر الفرق الهالكة ، وذكر الفرقة الناجية وأقرب شيء لكم شرح الطحاوية ، وهي بين أيديكم الآن .

والغرض من هذا بيان الحق من الباطل ؛ إذ وقع ما أخبر به ﷺ من التفرق والاختلاف .

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان : ٢ - ٣ .

(٢) سورة هود الآيتان : ١١٨ - ١١٩ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٣٥ .

فالواجب أن نعمل بما أوصانا به الرسول ﷺ في قوله : ﴿ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ﴾ [(١)] [(٢)] .

لا نجاة من هذا الخطر إلا بالتمسك بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ولا تحسبنّ هذا الأمر يحصل بسهولة ، لا بد أن يكون فيه مشقةٌ . لكن يحتاج إلى صبر وثبات وإلا فإن المتمسك بالحق - خصوصا في آخر الزمان - سيعاني من المشاق ، ويكون القابض على دينه كالقابض على الجمر ، كما صح عن النبي ﷺ [(٣)] .

وفي رواية : ﴿ الذين يصلحون إذا فسد الناس ﴾ [(٤)] [(٥)] .

فهذا يحتاج إلى العلم أولا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ والعلم بمنهج السلف الصالح وما كانوا عليه .

ويحتاج التمسك بذا إلى صبر على ما يلحق الإنسان من الأذى في ذلك ؛ ولذلك يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [(٦)] .

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) (سبق تخريجه ص ٣٣١ ، الحاشية رقم (١) ، وهو جزء من حديث العرباض بن سارية) .

(٣) (أخرجه الترمذي برقم (٢٢٦٠) ، وابن بطة في (الإبانة الكبرى) برقم (١٩٥) عن أنس أنه قال : قال رسول الله يأتي على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر ، وفيه : عمر بن شاكر : ضعيف ، كما في (التقريب) . والحديث حسنه السيوطي ، كما في (الجامع الصغير) برقم (٩٩٨٨) ، وأورده الألباني في (الصحيحة) برقم (٩٥٧) وصححه .) ، والمتمسكون بسنة الرسول والسائرون على منهج السلف ؛ يكونون غرباء في آخر الزمان ، كما أخبر بذلك بقوله : (فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي) .

(٤) أحمد (٧٤/٤) .

(٥) (أخرج الحديث بذا اللفظ : الطبراني في (الكبير) برقم (٧٦٥٩) ، والآجري في كتاب (الغرباء) برقم (٥) ، من حديث أبي الدرداء ، وأبي أمامة ، ووائلة بن الأسقع ، وأنس بن مالك - رضي الله عنهم -) .

(٦) سورة العصر الآيات : ١ - ٣ .

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[1] : هذا يدل على أنم سيلاقون مشقة في إيمانم وعملهم ، وتواصيهم بالحق . سيلاقون عنتا من الناس ، ولوما من الناس وتوبيخا ، وقد يلاقون تديدا ، أو قد يلاقون قتلا وضربا ، ولكن يصبرون ، ما داموا على الحق ، يصبرون على الحق ويثبتون عليه ، وإذا تبين لهم أنم على شيء من الخطأ يرجعون إلى الصواب ؛ لأنم هدفهم .

لقد حدث التفرق في وقت مبكر ، ونحن في هذه المحاضرة سنتكلم عن أربع فرق ، هي أصول الفرق تقريبا :

الفرقة الأولي القدرية

فأول ما حدث ، فرقة (القدرية) في آخر عهد الصحابة .

(القدرية) : الذين ينكرون القدر ، ويقولون : إن ما يجري في هذا الكون ليس بقدر وقضاء من الله - سبحانه وتعالى - ، وإنما هو أمر يحدث بفعل العبد ، وبدون سابق تقدير من الله عز وجل .

فأنكروا الركن السادس من أركان الإيمان .

لأن أركان الإيمان ستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، كله من الله - سبحانه وتعالى - وسّمو بـ (القدرية) ، وسمو بـ (مجوس) هذه الأمة ، لماذا ؟ ؛ لأنم يزعمون أن كل واحد يخلق فعل نفسه ، ولم يكن ذلك بتقدير من الله ، لذلك أثبتوا خالقين مع الله كالوس ، الذين يقولون : (إن الكون له خالقان : (النور والظلمة) ، النور خلق الخير ، والظلمة خلقت الشر) .

(القدرية) زادوا على الوس ؛ لأنم أثبتوا خالقين متعددين ، حيث قالوا : كل يخلق فعل نفسه ، فلذلك سّموا بـ (مجوس هذه الأمة) .

(١) سورة العصر آية : ٣ .

وقابلتهم (فرقة الجبرية) الذين يقولون : إن العبد مجبور على فعله ، وليس له فعل ولا اختيار ، وإنما هو كالريشة التي تحركها الريح بغير اختيارها .

فهؤلاء يسمّون (بالجبرية) وهم (غلاة القدرية) ، الذين غلوا في إثبات القدر ، وسلبوا العبد الاختيار .

والطائفة الأولى منهم على العكس ، أثبتوا اختيار الإنسان وغلوا فيه ، حتى قالوا : أنه يخلق فعل نفسه مستقلًا عن الله - تعالى الله عما يقولون - .

وهؤلاء يسمّون بـ (القدرية النفاة) ، ومنهم (المعتزلة) ومن سار في ركابهم .

هذه فرقة القدرية بقسميها :

١ - الغلاة في النفي .

٢ - والغلاةُ في الإثبات .

وتفرقت (القدرية) إلى فرق كثيرة ، لا يعلمها إلا الله ؛ لأن الإنسان إذا ترك الحق فإنه يهيم في الضلال ، كل طائفة تحدث لها مذهبًا وتنشق به عن الطائفة التي قبلها ، هذا شأن أهل الضلال ؛ دائمًا في انشقاق ، ودائمًا في تفرق ، ودائمًا تحدث لهم أفكار وتصورات مختلفة متضاربة .

أما أهل السنة والجماعة ؛ فلا يحدث عندهم اضطراب ولا اختلاف ؛ لأنهم متمسكون بالحق الذي جاء عن الله - سبحانه وتعالى - فهم معتصمون بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يحصل عندهم افتراق ولا اختلاف ؛ لأنهم يسيرون على منهجٍ واحدٍ .

الفرقة الثانية الخوارج

وهم الذين خرجوا على - ولي الأمر - في آخر عهد عثمان ﷺ ونتج عن خروجهم قتل عثمان ﷺ .

ثم في خلافة علي ﷺ زاد شرهم ، وانشقوا عليه ، وكفروه ، وكفّروا الصحابة ، لأنهم لم يوافقوهم على مذهبهم ، وهم يحكمون على من خالفهم في مذهبهم أنه كافر ، فكفّروا خيرة الخلق وهم صحابة رسول الله ﷺ . لماذا ؟ ؛ لأنهم لم يوافقوهم على ضلالهم وعلى كفرهم .

ومذهبهم : أنهم لا يلتزمون بالسنة والجماعة ، ولا يطيعون ولي الأمر ، ويرون أن الخروج عليه من الدين ، وأن شق العصا من الدين ، عكس ما أوصى به الرسول ﷺ من لزوم الطاعة [1] وعكس ما أمر به في قوله : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [2] .

الله - جل وعلا - جعل طاعة ولي الأمر من الدين ، والنبي ﷺ جعل طاعة وليّ الأمر من الدين قال ﷺ : ﴿ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبدٌ ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ﴾ [3] [4] .

فطاعة ولي الأمر المسلم من الدين . . . و (الخوارج) يقولون : لا . نحن أحرارٌ . هذه طريقة الثورات اليوم .

فـ (الخوارج) الذين يريدون تفريق جماعة المسلمين ، وشق عصا الطاعة ، ومعصية الله ورسوله في هذا الأمر ويرون أن مرتكب الكبيرة كافرٌ .

---

(١) (انظر : ص ٣٣١ حاشية (١)) .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٣) البخاري الأحكام (٦٧٢٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٠) ، أحمد (١١٤/٣) .

(٤) (سبق تخريجه ص ٣٣١ حاشية (١)) .

ومرتكب الكبيرة هو : الزاني - مثلًا - والسارق ، وشارب الخمر ، يرون أنه كافرٌ ، في حين أن أهل السنة والجماعة يرون أنه " مسلم ناقص الإيمان " [(١)] ويسمونه بـ (الفاسق الملي) ، فهو (مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته) ؛ لأنه لا يخرج من الإسلام إلا الشرك أو نواقض الإسلام المعروفة ، أما المعاصي التي دون الشرك ؛ فإنا لا تخرج من الإيمان ، وإن كانت كبائر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [(٢)] .

و (الخوارج) يقولون : مرتكب الكبيرة كافر ، ولا يغفر له ، وهو مخلّد في النار . وهذا خلاف ما جاء في كتاب الله - سبحانه وتعالى - والسبب أنم ليس عندهم فقهٌ - لاحِظوا أن السبب الذي أوقعهم في هذا أنم ليس عندهم فقه - ؛ لأنم جماعة اشتدوا في العبادة ، والصلاة ، والصيام ، وتلاوة القرآن ، وعندهم غيرةٌ شديدةٌ ، لكنهم لا يفقهون ، وهذه هي الآفة .

فالاجتهاد في الورع والعبادة ؛ لا بد أن يكون مع الفقه في الدين والعلم .

ولهذا وصفهم النبي ﷺ لأصحابه ، بأن الصحابة يحقرون صلاتم إلى صلاتم ، وعبادتم إلى عبادتم ، ثم قال ﷺ : ﴿ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ﴾ [(٣)] [(٤)] ، مع

---

(١) (حتى لو فعل الكبيرة مستخفًا با لا يكفر ما لم يستحلها ، خلافًا لما يقوله بعضهم : من أن مرتكب الكبيرة إذا كان مستخفًا يكفر كفرًا مخرجًا من الملة . وهذا القول هو عين قول الخوارج ، كما قال ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز ، عندما سئل عنه بالطائف عام (١٤١٥هـ)) .

(٢) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٣) البخاري المناقب (٣٤١٤) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٥/٣) .

(٤) (جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (٣ / ٧٣) ، والبخاري ، (٤ / ١٠٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩) ، و (٥ / ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٥) ، و (٦ / ١١٥) ، و (٧ / ١١١) ، و (٨ / ٥٢ ، ٥٣ ، ١٧٨) ، ومسلم برقم (١٠٦٤) ، والنسائي برقم (٢٥٧٧ ، ٤١١٢) ، وأبو داود برقم (٧٤٦٤) ، والطيالسي برقم (٢٢٣٤) ، من حديث أبي سعيد . ومن حديث علي بن أبي طالب ، البخاري (٤ / ١٧٩) ، و (٦ / ١٤٤ ، ١١٥) ، و (٨ / ٥١ ، ٥٢) ، ومسلم برقم (١٠٦٦) ، وأبو داود برقم (٤٧٦٧) ، والطيالسي برقم (١٦٨) ، والنسائي برقم (٤١١٣) ، وأحمد (١ / ٨١ ، ١١٣) . ومن حديث جابر ،

عبادتم ، ومع صلاحهم ، ومع تجدهم وقيامهم بالليل ، لكن لما كان اجتهادهم ليس على أصل صحيح ، ولا على علم صحيح ، صار ضلالًا ووباءً وشرًا عليهم وعلى الأمة .

وما عرف عن (الخوارج) في يوم من الأيام أنم قاتلوا الكفار أبدًا ، إنما يقاتلون المسلمين ، كما قال ﷺ : ﴿ يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ﴾ [(١)] [(٢)] .

فما عرفنا في تاريخ (الخوارج) ، في يوم من الأيام أنم قاتلوا الكفار والمشركين ، وإنما يقاتلون المسلمين دائمًا : قتلوا عثمان . وقتلوا علي بن أبي طالب . وقتلوا الزبير بن العوام . وقتلوا خيار الصحابة . وما زالوا يقتلون المسلمين .

وذلك بسبب جهلهم في دين الله ﷻ مع ورعهم ، ومع عبادتم ، ومع اجتهادهم ، لكن لما لم يكن هذا مؤسسًا على علم صحيح ، صار وبالًا عليهم ، ولهذا يقول العلامة ابن القيم في وصفهم :

وَلَهُم نُصُوصٌ قَصروا في فَهمِهَا ... فَأتوا مِنَ التَقصِيرِ في العِرفَانِ [(٣)]

فهم استدلوا بنصوص وهم لا يفهمونا ، استدلوا بنصوص من القرآن والسنة ؛ في الوعيد على المعاصي ، وهم لا يفهمون معناها ، لم يرجعوها إلى النصوص الأخرى ، التي

عند أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجه . ومن حديث سهل بن حنيف ، عند : الشيخين ، والنسائي . ومن حديث ابن مسعود عند : أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه . ومن حديث أبي برزة الأسلمي عند : أحمد ، والطيالسي ، والنسائي ، والحاكم . ومن حديث أبي سعيد وأنس ، عند : أحمد وأبي داود ، والحاكم في (مستدركه) . ومن حديث أبي بكرة ، عند : أحمد ، والطبراني . ومن حديث عامر بن وائلة ، عند : الطبراني . وتقدم تخريجه ص ١١٣ الحاشية رقم (٢)) .

(١) البخاري التوحيد (٦٩٩٥) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٧٣/٣) .

(٢) (جزء من حديث طويل ، أخرجه أحمد (٣ / ٦٨ ، ٧٣) ، ومختصرًا (٣ / ٧٢) ، والبخاري (٤ / ١٠٨) ، و (٨ / ١٧٨) ، مختصرًا ، ومسلم برقم (١٠٦٤) ، والنسائي برقم (٢٥٧٧ ، ٤١١٢) ، وأبو داود برقم (٧٤٦٤) ، والطيالسي برقم (٢٢٣٤)) .

(٣) (نونية ابن القيم المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ص ٩٧) .

فيها الوعد بالمغفرة ، والتوبة لمن كانت معصيته دون الشرك ؛ فأخذوا طرقًا وتركوا طرقًا . هذا لجهلهم .

والغيرة على الدين والحماس لا يكفيان ، لا بد أن يكون هذا مؤسسًا على علم ، وعلى فقه في دين الله ﷻ يكون ذلك صادرًا عن علم ، وموضعًا في محله .

والغيرة على الدين طيبة ، والحماس للدين طيب لكن لا بد أن يرشد ذلك باتباع الكتاب والسنة .

ولا أغير على الدين ، ولا أنصح للمسلمين ؛ من الصحابة - رضي الله عنهم - ، ومع ذلك قاتلوا (الخوارج) ؛ لخطرهم وشرهم .

قاتلهم علي بن أبي طالب ؓ حتى قتلهم شر قتلة في وقعة (النهروان) ، وتحقق في ذلك ما أخبر به ﷺ من أن النبي ﷺ بشر من يقتلهم بالخير والجنة ، فكان علي بن أبي طالب هو الذي قتلهم ، فحصل على البشارة من الرسول ﷺ [(١)] .

عن علي ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ سيخرج قوم في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة ﴾ [(٢)] .

قال أبو سعيد الخدري ؓ بعد ما روى حديثًا في الخوارج وعلاماتهم ، [(٣)] . قتلهم ليدفع شرّهم عن المسلمين .

---

(١) (روى البخاري في (صحيحه) (٨ / ٥١ ، ٥٢) ، ومسلم في (صحيحه) ، رقم الحديث (١٠٦٦) ، وأحمد في (مسنده (١ / ١١٣) ، وابن أبي عاصم في (السنة) برقم (٩١٤) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد في (السنة) برقم (١٤٨٧)) .

(٢) البخاري استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٥٣١) ، مسلم الزكاة (١٠٦٦) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٢) ، أبو داود السنة (٤٧٦٧) ، أحمد (١/١٣١) .

(٣) (رواه أحمد في (المسند) : (٣ / ٣٣) ، وابنه في (السنة) : (١٥١٢) - قال : (فحدثني عشرون أو بضع وعشرون من أصحاب رسول الله أن عليًا وَلِيَ قتلهم)) .

وواجب على المسلمين في كل عصر إذا تحققوا من وجود هذا المذهب الخبيث ؛ أن يعالجوه بالدعوة إلى الله أولًا ، وتبصير الناس بذلك ؛ فإن لم يمتثلوا قاتلوهم دفعًا لشرهم .

وعلي بن أبي طالب ﷺ أرسل إليهم ابن عمه : عبد الله بن عباس ، حبر الأمة ، وترجمان القرآن ، فناظرهم ، ورجع منهم ستة آلاف ، وبقي منهم بقيةٌ كثيرةٌ لم يرجعوا ، عند ذلك قاتلهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ومعه الصحابة ؛ لدفع شرهم وأذاهم عن المسلمين .

هذه (فرقة الخوارج) ومذهبهم .

الفرقة الثالثة الشيعة

(الشيعة) : هم الذين يتشيعون لأهل البيت .

و (التشيع) في الأصل: الاتباع والمناصرة : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [1] .

يعني : أتباعه إبراهيم ، ومن أنصار ملته ، لأنّ الله - سبحانه - لما ذكر قصة نوح قال : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝ فَقَضَٰهُنَّ ﴾ [2] فأصل (التشيع) : الاتباع والمناصرة ، ثم صار يطلق على هذه الفرقة ، التي تزعم أنها متبعة لأهل البيت - وهم : علي بن أبي طالب - ﷺ وذريته - .

ويزعمون أن عليًا هو الوصي بعد الرسول ﷺ على الخلافة ، وأن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، والصحابة ، ظلموا عليًا ، واغتصبوا الخلافة منه . هكذا يقولون .

وقد كذبوا في ذلك ؛ لأن الصحابة أجمعوا على بيعة أبي بكر ومنهم علي ﷺ حيث بايع لأبي بكر ، وبايع لعمر ، وبايع لعثمان .

فمعنى هذا : أنم خونوا عليا ﷺ .

---

(١) سورة الصافات آية : ٨٣ .

(٢) سورة الصافات آية : ٨٣ .

وقد كفروا الصحابة إلا عددًا قليلًا منهم ، وصاروا يلعنون أبا بكر وعمر ويلقبونهما بـ (صنمي قريش) .

ومن مذهبهم : أنهم يغلون في الأئمة من أهل البيت ، ويعطونهم حقّ التشريع ونسخ الأحكام .

ويزعمون أن القرآن قد حرف ونقص ، حتى آل بهم الأمر إلى أن اتخذوا الأئمة أربابًا من دون الله ، وبنوا على قبورهم الأضرحة ، وشيدوا عليها القباب ، وصاروا يطوفون بها ، ويذبحون لها وينذرون .

وتفرقت (الشيعة) إلى فرق كثيرة ، بعضها أخفّ من بعض ، وبعضها أشد من بعض ، منهم : (الزيدية) ومنهم : (الرافضة الاثنى عشرية) ، ومنهم (الإسماعيلية) و (الفاطمية) ، ومنهم (القرامطة) ، ومنهم . . . ومنهم . . . عددٌ كبيرٌ ، وفرق كثيرة .

وهكذا . . كلّ من ترك الحقّ فإنهم لا يزالون في اختلاف وتفرّق ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [1] .

فمن ترك الحق يبتلى بالباطل ، والزيغ ، والتفرّق ، ولا ينتهي إلى نتيجة ، بل إلى الخسارة - والعياذ بالله - .

وتفرقت (الشيعة) إلى فرق كثيرة ، ونحل كثيرة .

وتفرقت (القدرية) .

وتفرقت (الخوارج) إلى فرق كثيرة : (الأزارقة) ، و (الحرورية) ، و (النجدات) ، و (الصفرية) ، و (الإباضية) ، منهم الغلاة ، ومنهم من هو دون ذلك .

(١) سورة البقرة آية : ١٣٧ .

الفرقة الرابعة الجهمية

(الجهمية) . وما أدراك ما الجهمية ؟ ! ! .

(الجهمية) : نسبة إلى (الجهم بن صفوان) ، الذي تتلمذ على (الجعد بن درهم) ، و (الجعد بن درهم) تتلمذ على (طالوت) ، و (طالوت) تتلمذ على (لبيد بن الأعصم) اليهودي ؛ فهم تلاميذ اليهود وما هو (مذهب الجهمية) ؟ .

(مذهب الجهمية) : أنم لا يثبتون لله اسمًا ولا صفةً ، ويزعمون أنه ذات مجردة عن الأسماء والصفات ؛ لأن إثبات الأسماء والصفات - بزعمهم - يقتضي الشرك ، وتعدد الآلهة - كما يقولون - . هذه شبهتهم اللعينة .

ولا ندري ماذا يقولون في أنفسهم ؟ . فالواحد منهم يوصف بأنه عالمٌ ، وبأنه غنيٌّ ، وبأنه صانعٌ ، وبأنه تاجرٌ . فالواحد منهم له عدة صفات ، هل معنى ذلك أن يكون عدة أشخاص ؟

هذه مكابرةٌ للعقول ؛ فلا يلزم من تعدّد الأسماء والصفات تعدّد الآلهة ؛ ولهذا لما قال المشركون من قبل لما سمعوا النبي ﷺ يقول : (يا رحمن ، يا رحيم) ، قالوا : هذا يزعم أنه يعبد إلهًا واحدًا وهو يدعو آلهة متعددةً ، فأنزل الله - سبحانه وتعالى - قوله : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [(١)] [(٢)] .

فأسماء الله كثيرة ، وهي تدلّ على كماله وعظمته - سبحانه وتعالى - لا تدلّ على تعدد الآلهة - كما يقولون - ، بل تدلّ على العظمة ، وعلى الكمال .

أما الذات المجردة التي ليس لها صفات فهذه لا وجود لها ، مستحيل يوجد شيء وليس له صفات أبدًا ، ولو على الأقل صفة الوجود ، ومن شبههم : (أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه ؛ لأن هذه الصفات يوجد مثلها في المخلوقين) .

---

(١) سورة الإسراء آية : ١١٠ .

(٢) ((تفسير ابن كثير) (٣ - ٦٩)) (الإسراء : ١١٠) .

وهذا قولٌ باطل ؛ لأن صفات الخالق تليق به ، وصفات المخلوقين تليق بهم ، فلا تشابه .

و (الجهمية) جمعوا إلى ضلالهم في الأسماء والصفات الجبر في القدر ؛ لأن (الجهمية) يقولون : (إن العبد ليس له مشيئة ، وليس له اختيارٌ ، وإنما هو مجبرٌ على أفعاله) .

ومعنى هذا أنه إذا عذب على المعصية يكون مظلومًا ؛ لأنا ليست فعله وإنما هو مجبرٌ عليها - كما يقولون - ، تعالى الله عن ذلك .

فهم جمعوا بين (الجبر والقدر) ، وبين (التجهّم في الأسماء والصفات) ، وجمعوا إلى ذلك (القول بالإرجاء) ، وأضافوا إلى ذلك (القول بخلق القرآن) (ظلمات بعضها فوق بعض) .

قال ابن القيم :

جيمٌ وجيمٌ ثم جيم مَعهما ... مقرونةً مع أحرفٍ بوزانِ
جَبرٌ وإرجَاءٌ وجِيم تَجَهّم ... فَتأمل المجموعَ في الميزانِ
فاحكم بِطالِعِها لِمَن حَصلَت لَه ... بخلاصِه من ربقَةِ الإيمانِ (١)

يعني : جمعوا بين (جَبرٍ) و (تجهم) و (إرجاء) ، ثلاث جيمات ، والجيم الرابعة جيم جهنم .

والحاصل : أن هذا (مذهب الجهمية) ، والذي اشتهر فيه نفي الأسماء والصفات عن الله - سبحانه وتعالى - انشق عنه (مذهب المعتزلة) ، و (مذهب الأشاعرة) ، و (مذهب الماتريدية) .

و **(مذهب المعتزلة) :** أنم أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات ، لكن أثبتوا أسماءً مجردة ، مجرد ألفاظ لا تدل على معان ولا صفات .

---

(١) (نونية ابن القيم ص ١١٥) .

سمّوا بـ (المعتزلة) : لأن إمامهم (واصل بن عطاء) كان من تلاميذ الحسن البصري رحمه الله ، الإمام التابعي الجليل ، فلما سئل الحسن البصري عن مرتكب الكبيرة ، ما حكمه ؟ . فقال بقول أهل السنة والجماعة : (إنه مؤمن ناقص الإيمان ، مؤمنٌ بإيمانه فاسق بكبيرته) .

فلم يرضَ (واصل بن عطاء) بذا الجواب من شيخه ؛ فاعتزل وقال : (لا . أنا أرى أنه ليس بمؤمن ولا كافر ، وأنه في المنزلة بين المنزلتين) .

وانشق عن شيخه - الحسن - وصار في ناحية المسجد ، واجتمع عليه قوم من أوباش الناس وأخذوا بقوله . وهكذا دعاة الضلال في كل وقت ، لا بدّ أن ينحاز إليهم كثير من الناس ، هذه حكمةٌ من الله .

تركوا مجلس الحسن ، شيخ أهل السنة ، الذي مجلسه مجلس الخير ، ومجلس العلم ، وانحازوا إلى مجلس (المعتزلي : واصل بن عطاء) الضال المضل .

ولهم أشباه في زماننا ، يتركون علماء أهل السنّة والجماعة ، وينحازون إلى أصحاب الفكر المنحرف (فنجدهم يقتنون أشرطتهم ، وكتبهم ، ويحرصون عليها ، وإذا قلت لهم : إنّ في هذه الكتب ما يخالف معتقد أهل السنة والجماعة ، السلف الصالح ؛ من قول بخلق القرآن أو من تأويل للصفات ، أو من تحريض على أولياء الأمور ، أو غيره ، قالوا : (هذه أخطاء بسيطة ، لا تمنع من قراءتها واستماعها) ، مع أن في كتب علمائنا - سلفًا وخلفًا - الغنية عنها وهكذا يضللون كل من سمعهم . . ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(١)] .

ألم يعلموا أن من سلفنا الصالح من هجر من قال ببدعة واحدة ، أو أول صفة واحدة فقط ؟ .

(١) سورة النحل آية : ٢٥ .

فهذا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق ، وهو من أصحاب أحمد - رحمهم الله - يسأل عن أبي ثور فقال : (ما أدين فيه إلا بقول أحمد بن حنبل : يهجر أبا ثور ، ومن قال بقوله) .

وذلك لأنه أول حديث الصورة ، وخالف قول السلف فيها .

فكيف بمن لا تجمع أخطاءه ولا تحصيها إلّا الكتب ؟ ؟ !

ومع ذلك تسمع بعضهم يقول : أخطاء بسيطة لا تمنع من قراءتها ! ! . فلا حول ولا قوة إلّا بالله) .

ومن ذلك الوقت سمّوا بـ (المعتزلة) لأنم اعتزلوا أهل السنة والجماعة ؛ فصاروا ينفون الصفات عن الله - سبحانه وتعالى - ويثبتون له أسماء مجردة ، ويحكمون على مرتكب الكبيرة بما حكمت به (الخوارج) : (أنه مخلّد في النار) ، لكن اختلفوا عن (الخوارج) في الدنيا ، وقالوا : (إنه يكون بالمنزلة بين المنزلتين ، ليس بمؤمن ولا كافر .

بينما (الخوارج) يقولون : (كافر) .

يا سبحان الله ! هل يعتقد أن الإنسان لا يكون مؤمنًا ولا كافرًا ؟ ! .

والله تعالى يقول ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ (١) .

ما قال : ومنكم من هو بالمنزلة بين المنزلتين لكن هل هؤلاء يفقهون ؟ ؟ .

ثم تفرع عن (مذهب المعتزلة) (مذهب الأشاعرة) .

و (الأشاعرة) : ينسبون إلى (أبي الحسن الأشعري) رحمه الله .

وكان أبو الحسن الأشعري معتزليًا ، ثم مَنّ الله عليه ، وعرف بطلان مذهب المعتزلة ، فوقف في المسجد يوم الجمعة وأعلن براءته من مذهب المعتزلة ، وخلع ثوبًا عليه وقال : (خلعت مذهب المعتزلة ، كما خلعت ثوبي هذا) . لكنه صار إلى (مذهب الكلابية) : أتباع (عبد الله بن سعيد بن كلاب) .

---

(١) سورة التغابن آية : ٢ .

و (عبد الله بن سعيد بن كلاب) : كان يثبت سبع صفات ، وينفي ما عداها ، يقول : (لأن العقل لا يدلّ إلا على سبع صفات فقط : (العلم) ، و (القدرة) ، و (الإرادة) ، و (الحياة) ، و (السمع) ، و (البصر) ، و (الكلام) ، ويقول : (هذه دل عليها العقل ، أما ما لم يدلّ عليه العقل - عنده - فليس بثابت) .

ثم إن الله مَنّ على (أبي الحسن الأشعري) ، وترك (مذهب الكلابية) ، ورجع إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وقال (أنا أقول بما يقول به إمام أهل السّنة والجماعة أحمد بن حنبل : أن الله استوى على العرش ، وأن له يدًا ، وأنّ له وجهًا) . ذكر هذا في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) ، وذكر هذا في كتابه الثاني : (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) ذكر (أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل) . وإن بقيت عنده بعض المخالفات .

ولكن أتباعه بقوا على (مذهب الكلابية) ، فغالبهم لا يزالون على مذهبه الأول ، ولذلك يسمّون (بالأشعرية) : نسبةً إلى الأشعري في مذهبه الأول .

أما بعد أن رجع إلى مذهب أهل السّنة والجماعة ؛ فنسبة هذا المذهب إليه ظلم ، والصواب أن يقال : (مذهب الكلابية) ، لا مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله لأنه تاب من هذا ، وصنّف في ذلك كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) ، وصرح برجوعه ، وتمسكه بما كان عليه أهل السنة والجماعة - خصوصًا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - ، وإن كانت عنده بعض المخالفات ، مثل قوله في الكلام : (إنه المعنى النفسي القائم بالذات ، والقرآن حكاية - أو عبارة - عن كلام الله ، لا أنه كلام الله) .

هذا (مذهب الأشاعرة) ، منشقّ عن (مذهب المعتزلة) .

و (مذهب المعتزلة) منشقّ عن (مذهب الجهمية) .

ثم تفرعت مذاهب كثيرة ، كلّها أصلها (مذهب الجهمية) .

هذه - تقريبًا - أصول الفِرَق [1] على الترتيب :

أولًا : (القدرية) .

ثم : **(الشيعة) .**

ثم : **(الخوارج) .**

ثم : **(الجهمية) .**

هذه أصول الفِرَق .

وتفرقت بعدها فِرَقٌ كثيرة لا يحصيها إلا الله ، وصنفت في هذا كتب منها :

كتاب : (الفرق بين الفِرَق) ، البغدادي .

كتاب : (الملل والنحَل) ، لعبد الكريم الشهرستاني .

كتاب : (الفصل في الملل والنحَل) ، لابن حزم .

كتاب : (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) ، لأبي الحسن الأشعري .

كلّ هذه الكتب في بيان الفِرَق ، وتنوّعها ، وتعدادها ، واختلافها ، وتطوراتا .

ولا تزال إلى عصرنا هذا تتطور وتزيد ، وينشأ عنها مذاهب أخرى ، وتنشقّ عنها أفكار جديدة منبثقةٌ عن أصل الفكرة ، ولم يبقَ على الحق إلا أهل السنة والجماعة ، في كلّ زمان ومكان وهم على الحق إلى أن تقوم الساعة ، كما قال ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرّهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ﴾ [2] [3] .

---

(١) (قال ابن أبي رندقة الطرطوشي في كتابه (كتاب الحوادث والبدع) ص ١٤ : (اعلم أن علماءنا - رضي الله عنهم - قالوا : أصول البدع أربعة ، وسائر الأصناف الاثنتين وسبعين فرقة من هؤلاء تفرقوا وتشعبوا ، وهم : الخوارج ، وهي أول فرقة خرجت على علي بن أبي طالب والروافض ، والقدرية والمرجئة)) .

(٢) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

(٣) (سبق تخريجه ص ٣٥٠ ، الحاشية رقم (١)) .

أهل السّنة والجماعة

أهل السّنة والجماعة - والحمد لله - يخالفون (القدرية النفاة) .

فيؤمنون بالقدر ، وأنه من أركان الإيمان الستة ، وأنه لا يحصل في هذا الكون شيء إلا بقضائه وقدره - سبحانه وتعالى - ؛ لأنه الخالق ، الربّ ، المالك ، المتصرف : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ (١) .

لا أحد يتصرف في هذا الكون إلا بمشيئته - سبحانه - ، وإرادته ، وقدرته ، وتقديره .

علم الله ما كان ، وما سيكون في الأزل ، ثم كتبه في اللوح المحفوظ ، ثم شاءه وأوجده وخلقه - سبحانه وتعالى - .

وأن للعبد مشيئةً ، وكسبًا ، واختيارًا ، لا أنه مسلوب الإرادة ، مجبر على أفعاله - كما تقول (الجبرية الغلاة) - ؛ فهم يخالفونهم .

ومذهبهم في صحابة رسول الله ﷺ : أنهم يوالونهم كلهم ، أهل البيت وغير أهل البيت ، يوالون الصحابة كلهم ، المهاجرين ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، ويمتثلون بذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ (٢) .

فهم يخالفون (الشيعة) ؛ لأنهم يفرقون بين أصحاب رسول الله ﷺ فيوالون بعضهم ، ويعادون بعضهم ، فأهل السنة يوالونهم جميعًا ، ويحبونهم جميعًا ، والصحابة يتفاضلون ، وأفضلهم الخلفاء الراشدون ، ثم بقيّة العشرة ، ثم المهاجرون أفضل من الأنصار ، وأصحاب بدرٍ لهم فضيلة ، وأصحاب بيعة الرضوان لهم فضيلة ، فلهم فضائل - رضي الله عنهم - .

---

(١) سورة الزمر الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .

(٢) سورة الحشر آية : ١٠ .

ويعتقدون : السمع والطاعة - خلافًا لـ (الخوارج) - ؛ فهم يعتقدون السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ، ولا يرون الخروج على إمام المسلمين ، وإن حصل منه خطأ ما دام هذا الخطأ دون الكفر ، ودون الشرك ، حيث نه ﷺ عن الخروج عليهم لـرد المعاصي ، وقال : ﴿ إلا أن تروا كفرًا بواحًا ، عندكم فيه من الله برهان ﴾ [(١)] [(٢)] .

وكذلك هم يخالفون (الجهمية) ومشتقاتهم في أسماء الله وصفاته : فيؤمنون بما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله ﷺ ويتبعون في ذلك الكتاب والسنة ، من غير تشبيه ولا تمثيل ، من غير تحريف ولا تعطيل ، على حدّ قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝ ﴾ [(٣)] .

فمذهب أهل السّنة والجماعة - ولله الحمد - جامع للحق كله ، في جميع الأبواب ، وفي جميع المسائل ، ومخالف لكل ما عليه الفِرَق الضالة والنحَل الباطلة .

فمن أراد النجاة فهذا مذهب أهل السنة والجماعة .

وأهل السنة والجماعة في باب العبادة : يعبدون الله على مقتضى ما جاءت به الشريعة ؛ خلافًا لـ (الصوفية) و (المبتدعة) و (الخرافيين) ، الذين لا يتقيدون في عبادتهم بالكتاب والسنة ، بل يتبعون في ذلك ما رسمه لهم شيوخ الطرق ، وأئمة الضلال .

نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل السّنة والجماعة ؛ بمنه وكرَمه ، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه ، إنه سميعٌ مجيب .

هذا . . وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه .

---

(١) البخاري الفتن (٦٦٤٧) ، مسلم الإمارة (١٧٠٩) .

(٢) (جزء من حديث عبادة بن الصامت ، ولفظه : (دعانا رسول الله فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا ، أن بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله - قال : - (إلا أن تروا كفرًا بواحًا ، عندكم من الله فيه برهان) . رواه البخاري (٨ / ٨٧ ، ٨٨) ، ومسلم (٣ / ١٤٧٠) برقم (٤٢)) .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

الإجابة على بعض الأسئلة

الغلو في الدين سبب انحراف الفِرَق

وسئل الشيخ - حفظه الله - بعد المحاضرة عدة أسئلة ، منها :

س١ : لقد نهى الله ورسوله ﷺ عن الغلو في الدين ؛ فهل سبب انحراف الفِرَق عن أهل السّنّة والجماعة الغلو ؟ . وما أمثلة ذلك من الفِرَق ؟ .

ج١ : (الخوارج) ظاهر أن سبب انحرافهم الغلو في الدين ؛ لأنّهم تشددوا في العبادة على غير هدى وبصيرة ، وأطلقوا على الناس الكفر عن غير بصيرة ، لأنّهم يخالفونهم في مذهبهم .

فلا شك أن الغلو في الدين هو أساس البلاء ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [(١)] .

قال ﷺ : « إياكم والغلو ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » [(٢)] [(٣)] .

والغلو في كلّ شيء هو : الزيادة عن الحد المطلوب . (وكل شيء تجاوز حده انقلب إلى ضده) .

ونجد أن (المعطلة للصفات) سبب انحرافهم الغلو في التنزيه ، وسبب انحراف (الممثلة) و (المشّبهة) غلوّهم في الإثبات .

فالغلو بلاء ، والوسط والاعتدال هو الخير في كل الأمور .

فلا شك أن للغلو دورًا في ضلال الفرق عن الحقّ ، كلّ غلّو بحسبه .

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٧ .

(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .

(٣) (أخرجه الإمام أحمد (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) ، والنسائي برقم (٥ / ٢٦٨ ، ٢٦٩) ، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩) ، وابن أبي عاصم (٩٨) ، وابن خزيمة (٤ / ٢٤٧) ، وابن الجارود في (المنتقى) برقم (٤٧٣) ، وابن حبان (١٠١١) ، والطبراني في (الكبير) برقم (١٢٧٤٧) ، والحاكم (١ / ٤٦٦) ، والبيهقي (٥ / ١٢٧) ، وأبو يعلى الموصلي (٤ / ٣١٦ ، ٣٥٧) ، من حديث ابن عباس) .

حديث : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة

س٢ : فضيلة الشيخ : يقول الرسول ﷺ : ﴿ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ﴾ (١) (٢) فهل العدد محصور أولا ؟

ج٢ : ليس هذا من باب الحصر ؛ لأن الفرق كثيرة جدًا ، إذا طالعتهم في كتب الفرق وجدتم أنم فرق كثيرة ، لكن - والله أعلم - أن هذه الثلاث وسبعين هي أصول الفرق ، ثم تشعبت منها فرق كثيرة .

وما الجماعات المعاصرة الآن ، المخالفة لجماعة أهل السنة ؛ إلا امتداد لهذه الفِرَق ، وفروع عنها .

الفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة

س٣ : هل هناك فرقٌ بين (الفرقة الناجية) و (الطائفة المنصورة) ؟ .

ج٣ : أبدًا (الفرقة الناجية) هي (المنصورة) . لا تكون (ناجية) إلا إذا كانت (منصورة) ، ولا تكون (منصورة) إلا إذا كانت (ناجية) ، هذه أوصافهم : (أهل السنّة والجماعة) ، (الفرقة الناجية) ، (الطائفة المنصورة) .

ومن أراد أن يفرق بين هذه الصفات ، ويجعل هذه لبعضهم وهذه لبعضهم الآخر ؛ فهو يريد أن يفرق أهل السنّة والجماعة ، فيجعل بعضهم فرقة ناجية ، وبعضهم طائفة منصورة .

وهذا خطأ ؛ لأنم جماعة واحدة ، تجتمع فيها كلّ صفات الكمال والمدح ، فهم (أهل السنة والجماعة) ، وهم (الفرقة الناجية) ، وهم (الطائفة المنصورة) ، وهم (الباقون على الحقّ إلى قيام الساعة) ، وهم (الغرباء في آخر الزمان) .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤٠) ، أبو داود السنة (٤٥٩٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩١) ، أحمد (٣٣٢/٢) .

(٢) (سبق تخريجه ص ٣٤٥ ، الحاشية رقم (١)) .

المحاضرة الثامنة والأربعون
ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير وضوابطها

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [(١)] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٢)] ، ويقول ﷻ : ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٣)] .

ويقول الرسول ﷺ لما بيّن لمعاذ رضي الله عنه أبواب الخير ، قال له : ﴿ ألا أدلك على ملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه وقال : كف عليك هذا . فقلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال : - على مناخرهم ، إلا حصائد ألسنتهم ؟ ! ﴾ [(٤)] [(٥)] .

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٠ - ٧١ .

(٢) سورة ق الآيات : ١٦ - ١٨ .

(٣) سورة النور آية : ١٥ .

(٤) الترمذي الإيمان (٢٦١٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٣) ، أحمد (٢٣٧/٥) .

(٥) (رواه الإمام أحمد في (مسنده) (٥ / ٢٣١ ، ٢٣٧) ، ورواه الترمذي في (سننه) (٢٦١٦) ، وابن ماجه في (سننه) (٣٩٧٣) ، كلهم من حديث معاذ بن جبل) .

ثم **أما بعد :** فإن الله - سبحانه وتعالى - قد أمر هذه الأمة بالاجتماع والائتلاف ، ونهاها عن التفرق والاختلاف ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١) ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (٢) .

ولقد سار صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة على هذا المنهج الذي أمرهم الله - سبحانه وتعالى - بالسير عليه ، فكانوا إخوة متحابين ، متناصرين ، متآلفين ، كما قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٣) .

وقد وصفهم الله ﷻ بقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٥ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(٣) سورة الأنفال الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .

(٤) سورة المائدة آية : ٥٤ .

فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] .

وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله : ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [2] [3] .

وكما قال ﷺ : ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ﴾ [4] وشبك بين أصابعه ﷺ [5] .

وهكذا كان سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة متمسكين بهذا المنهج الرباني عاملين به في أمور حياتهم كلها ، ولذلك عندما حدثت الفتنة وحصل ما حصل من القتال بينهم لم يكفر بعضهم بعضًا ، ولا فسق بعضهم بعضًا ، ولا بدع بعضهم بعضًا ، بل مع اقتتالهم وما شجر بينهم كانت الأخوة باقية ، فلم يكونوا يتنابزون بالتكفير ، والتفسيق ، والتبديع ، فما كان يسبي بعضهم بعضًا ، وما تكلم أحد في عقيدة الآخر ودينه ، بل كانوا أخوة متحابين فيما بينهم . بل عندما ظهرت أصول الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة كالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة خالفوا هذه الفرق ولم يتركوا هذا المنهج ، بل كانوا مع ذلك جماعة واحدة ، كما وصفهم النبي ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .

(٣) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٧ / ٨٠) ، من حديث أبي بردة بريد بن أبي بردة عن أبيه ، عن جده أبو بردة ، عن أبيه أبي موسى ، ورواه الإمام مسلم ، رقم الحديث (٢٥٨٦) ، من حديث النعمان بن بشير) .

(٤) البخاري الصلاة (٤٦٧) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) .

(٥) (رواه الإمام مسلم في (صحيحه) ، رقم الحديث (٢٥٨٥) ، من حديث ثوبان - رضي الله تعالى عنه -) .

يأتي أمر الله وهم على ذلك ﴾ [1] [2] عاملين بقوله ﷺ لمّا أخبر عن افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلّا واحدة ، كانوا عاملين بقوله عندما سألوه عن هذه الواحدة الناجية : من هي يا رسول الله ؟ قال : ﴿ ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [3] [4] فكانوا متمسكين بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ولا يزالون كذلك بحمد الله تعالى .

علامات أهل السنة والجماعة

علامة أهل السّنّة والجماعة : أنهم يد واحدة ؛ لأنهم إخوة ، فلا يكفر بعضهم بعضًا ، ولا يفسق بعضهم بعضًا ، ولا يبدع بعضهم بعضًا ، لأن هذه الأمور هي سمة الفرق الضالة . **ومنها :** أنهم عاملون بوصية النبي ﷺ في قوله : ﴿ من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي ، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ﴾ [5] [6] .

فكانوا على هذا المنهج الرباني متمسكين بسنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين ومنهج السلف الصالح ، ولا يزالون كذلك - ولله الحمد - وإن كانوا قلة ، إلّا أنهم فيهم البركة وفيهم الخير .

---

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

(٢) (تقدم تخريجه ص ٣٥٠ الحاشية رقم (١)) .

(٣) سنن الترمذي كتاب الإيمان (٢٦٤١) .

(٤) (رواه الترمذي في (سننه) برقم (٢٦٤١) ، من حديث عبد الله بن عمرو ، وانظر ص ٣٤٥) .

(٥) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٦) (رواه الإمام أحمد (٤ / ١٢٦) ، وأبو داود في (سننه) برقم (٤٦٠٧) ، والترمذي في (سننه) برقم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه في (سننه) برقم (٤٢ ، ٤٤) ، والدارمي برقم (٩٥) ، والحاكم في (مستدركه) (١ / ٩٧) ، كلهم من حديث العرباض بن سارية - رضي الله تعالى عنه -) .

فكانوا متبعين لمنهج المهاجرين والأنصار بإحسان متمسكين بذلك ، عاملين بقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [(١)] .

من أصول مذهب أهل السنة والجماعة

ومن أصول مذهب أهل السّنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ وسلامة قلوبهم وألسنتهم لإخوانهم المسلمين في أي وقت وفي أي مكان ، يقولون دائمًا : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [(٢)] .

عاملين بقول النبي ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [(٣)] [(٤)]

وهذه صفة أهل السّنة والجماعة (الفرقة الناجية) ، أنهم سائرون على هذا المنهج يوالي بعضهم بعضًا ، ويألف بعضهم بعضًا ، ويرحم بعضهم بعضًا ، ويوقر بعضهم بعضًا ؛ لأنهم جسد واحد ، وبنيان واحد ، وأمة واحدة ، يغار بعضهم لبعض ويحترم بعضهم بعضًا وهذه الأمور هي سمة أهل السنة والجماعة .

أثر ظهور الفرق الضالة

وعندما ظهرت الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة نتج عن ذلك مضاعفات قبيحة وإفرازات سيئة ، أثرت على كثير من الناس ، فتأثروا بها ، وتوارثوها ، وصاروا يبعثونها وينشرونها في كل وقت مهما واتتهم الفرصة ؛ ذلك بإملاء من شياطين الجن والإنس ، وهذا خطره عظيم ؛ لأنه يقضي على وحدة الأمة الإسلامية .

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

(٢) سورة الحشر آية : ١٠ .

(٣) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

(٤) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (١ / ٩) ، من حديث أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه -) .

ومن هذه المضاعفات القبيحة والإفرازات السيئة لهذه الفرق الضالة ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير ، ينشرها من ورثهم من أتباعهم ، بل هي أصل منهجهم .

وعلامة أهل السنة هي سلامتهم من هذه الأمراض ، وعلامة المخالفين لهم اتصافهم بذه الأمراض الخبيثة الوبائية التي هي التبديع والتفسيق والتكفير ، والاشتغال با مهما تطاول الزمن ، ومهما تنوعت الأساليب ، هناك من يبعث هذه الآفات والأوبئة ومنهج الفرق الضالة ؛ لأن منهج أهل السّنة والجماعة هو : الابتعاد عن هذه الأمور المذمومة ، والتفقه في دين الله ﷻ والتمسك بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلامة قلوبم وألسنتهم لسلف هذه الأمة ولإخوانم المؤمنين ؟

لذلك قال الله ﷻ في حقهم : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾ (١) .

ومن أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النهي عن التبديع والتفسيق والتكفير بغير حق فهم ينهون عن ذلك ، ويحذرون منه ، وشغلهم الشاغل هو العمل الصالح ، يأمرون به ، ويفعلونه ، ويتفقهون فيه ، هذا عملهم : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٢) ، ينفعون أنفسهم ، وينفعون غيرهم ، ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ (٣) .

ومن أعظم طاعة الله ورسوله أنم يحثون على الاجتماع على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعلى التآلف والتآخي في الله ؛ لأن المؤمنين جعلهم الله إخوة ، كما قال : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٢) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٣) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١٠ .

فإخوة الإيمان عندهم أوثق من إخوة النسب ، فهم يحافظون على هذه الإخوة ، وهذا منهج أهل الإيمان .

أما أهل النفاق وفيهم الفرق الضالة فصفتهم كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(١)] .

فصفاتهم على عكس صفات المؤمنين تمامًا .

ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير

لقد ظهرت في هذا الزمان وبين أوساط الشباب خاصة ، وبين أوساط بعض المسلمين الذين يجهلون حقيقة الإسلام ، بأن تكون عندهم غيرة زائدة ، أو حماسة في غير محلها ، ظهرت عندهم ظاهرة التكفير والتفسيق والتبديع ، وصار شغلهم الشاغل في كل أمور حياتهم هذه الصفات المذمومة من البحث والتنقيب عن المعائب وإظهارها ونشرها حتى تشتهر ، وهذه علامة فتنة وعلامة شر ، نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يقي المسلمين شرها ، وأن يبصر شباب المسلمين بالطريق الصحيح ، وأن يرزقهم العمل على منهج السلف الصالح والسير عليه ، وأن يبعد عنهم دعاة السوء .

المراد بالفسق وبيان متي يكون المسلم فاسقًا

الفسق : هو الخروج عن طاعة الله ، وهو نوعان : فسق الكفر وفسق ما دون الكفر - وفسق ما دون الكفر لا يخرج من الملة لكنه ينقص الإيمان ففيه نوع خروج لكنه لا يخرج صاحبه من الإسلام ، ولا يجعله فاجرًا ، بل يكون فاسقًا ، ويكون المسلم فاسقًا إذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، كالزنا ، وشرب الخمر ، والسرقة ، وأكل الربا ، وما شابه ذلك من كبائر الذنوب إذا لم يستحلها ، وإنما ارتكبها عن هوى وشهوة قادته إليها ، فإنه يعد فاسقًا .

(١) سورة التوبة آية : ٦٧ .

وحكمه عند أهل السنة والجماعة : أنه مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فهو من المؤمنين ، ومن أهل التوحيد ، وإذا لم تكن فيه خصلة من خصال الشرك المخرج من الملة فإنه يبقى له اسم الإيمان واسم الإسلام ، ويكون مسلمًا إلا أنه ناقص الإيمان ، وهذا ما يسمى بالفسق أو الفاسق ، وإذا فعل كبيرة تستوجب الحدّ ، أقيم عليه الحدّ ، لكنه مع هذا يعد من المؤمنين ، ويعامل معاملة المؤمنين ؛ لأنه لو لم يكن من المؤمنين لما كفى إقامة الحدّ عليه ، بل كان لا بد من قتله ؛ لأن المرتد لا بد أن يقتل لقوله ﷺ : ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [١] [٢] فكون هذا العاصي يقام عليه الحدّ يدل على أنه من أهل الإيمان ، ويعامل معاملة المؤمنين ، ويوالي بقدر ما فيه من الإيمان ، ويبغض بقدر ما فيه من المعصية ، لأنه لم يخرج عن دائرة الإيمان وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

مذهب الخوارج في مرتكب الكبيرة

أما مذهب الخوارج والمعتزلة فهو على النقيض من مذهب أهل السنة والجماعة ، فالخوارج يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه كافر خارج من الملة ، وإذا مات ولم يتب فإنه يكون مخلدًا في النار على مذهبهم .

أما المعتزلة فإنم يقولون : أنه يخرج من الإسلام ، لكنه لا يدخل في الكفر ، فيكون عندهم في م لة بين الم لتين ، فلا يقال : هو كافر ، ولا مؤمن ، وإذا مات ولم يتب فإنه يكون مخلدًا في النار ، كما تقول الخوارج .

---

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) .

(٢) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٨ / ٥٠) ، من حديث ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - ، وللحديث قصة) .

حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة

أما مذهب أهل السنة والجماعة فيقولون : المؤمن الذي ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب لا يقال عنه : كامل الإيمان ، بل هو ناقص الإيمان ، والذين يقولون : أنه كامل الإيمان هم المرجئة الذين يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وهم بذلك على النقيض من الخوارج والمعتزلة الذين يقولون هو خارج من الإيمان ، فهم على طرفي نقيض .

ومذهب أهل السنة هو الوسط في هذا الباب ، فلا يقولون : أنه كامل الإيمان ، كما تقول المرجئة ، ولا يقولون : أنه كافر ، كما تقول الخوارج ، ولا في م لة بين الم لتين ، كما تقول المعتزلة ، بل يقولون : أنه مؤمن ناقص الإيمان ، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، يحب من وجه ويبغض من وجه وإذا مات ولم يتب فأمره إلى الله - سبحانه وتعالى - ، فهو تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه ، ثم يخرج من النار بعد ذلك ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) .

وكما في الحديث : ﴿ انطلق فأخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان ﴾ (٢) (٣) .

فمذهب أهل السنة والجماعة مبني على الأدلة من الكتاب والسنة ، وهو مذهب الاعتدال والوسطية ، لأنه وسط بين الفرق الضالة ، كما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم الكافرة ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) البخاري التوحيد (٧٠٧٢) ، الترمذي صفة جهنم (٢٥٩٣) ، أحمد (١١٦/٣) .

(٣) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٨ / ٢٠٠ ، ٢٠١) ، من حديث أنس بن مالك ، وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل) .

(٤) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

أدلة عدم خروج الفاسق من الإيمان

مما يدل على أن الفاسق ليس خارجًا من الإيمان أن الله - سبحانه وتعالى - أمر بالإصلاح بين المتقاتلين ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ (١) .

فالله - سبحانه وتعالى - جعل الطائفتين من المؤمنين مع أنهما يقتتلان ، ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (٣) .

فجعل الله المقتتلين أخوين للمؤمنين ، فدل ذلك على أن الكبيرة التي هي دون الشرك لا تخرج من دائرة الإيمان .

ومن ذلك : قوله - سبحانه وتعالى - لمّا حكم بالقصاص لأولياء القتيل من القاتل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (٤) .

فـ (عفي له) ، يعني : القاتل ، و (من أخيه) ، يعني : المقتول ، فسمى القتيل أخًا للقاتل ، مع أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب ، ومع هذا جعلهما أخوين ، فدل ذلك على أن الكبائر التي هي دون الشرك لا تخرج من الملة .

---

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

ظاهرة التبديع

البدعة عرفها أهل السنة والجماعة بأنها : ما أحدث في الدين مما ليس منه ، فمن جاء بعبادة يتقرب بها إلى الله ، وهي لم تكن في دين الله ، وليس لها دليل من الكتاب أو من السنة فهذه هي البدعة ، بدليل قوله ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [1] [2] وفي رواية : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] [4] لأن الواجب على المسلمين أن يقتصروا على ما شرعه الله ورسوله من العبادات ، فلا يزيدون شيئًا لم يشرعه الله ورسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [5] .

فأسلم وجهه لله ، يعني : جاء بالتوحيد الخالص وهو محسن ، أي : متبع للرسول ﷺ عاملًا بما جاء به ، ولم يزد على ذلك ، أما الذي زاد في العبادة شيئًا لم يشرعه الرسول ﷺ فهذا مبتدع وليس محسنًا ؛ لأن تفسير شهادة أن محمدًا رسول الله ، أي : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع ، فهذا مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله .

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

(٢) (رواه الإمام مسلم في (صحيحه) (٢ / ١٣٤٣) ، رقم الحديث (١٧١٨) ، من حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها -) .

(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

(٤) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٣ / ١٦٧) ، ومسلم ، رقم الحديث (١٧١٨) ، من حديث عائشة - رضي الله عنها -) .

(٥) سورة البقرة آية : ١١٢ .

وكما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝ ﴾ [2] .

إذن المبتدع هو الذي أحدث في دين الله ما ليس منه بحيث يأتي بدين لم يدل عليه دليل من القرآن أو من السنة ، وليس المبتدع كل من خالف أو أخطأ في الاجتهاد ؛ لأن المجتهد إذا أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد على اجتهاده .

والمقصود بالمجتهدين هم من تأهلوا للاجتهاد وتوفرت فيهم شروطه المعروفة ، وكذلك إذا أخطأ المخطئ عن تأويله ؛ لأن التأويل شبهة تدرأ عنه الحكم بأنه مبتدع ، ولأنه ظن أن تأويله سائغ أو قلد من ظن أنه على حق فهذا يقال في حقه أنه أخطأ أو خالف ، ولا يقال : أنه مبتدع .

دليل ذلك أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يجتهدون ويختلفون فيما بينهم في بعض المسائل ، ولم يبدع بعضهم بعضًا ، ولم يهجر بعضهم بعضًا ، بل كانوا إخوة متحابين متناصرين ؛ لأنهم أمة واحدة ، مع أنهم يختلفون في بعض الأمور والاجتهادات التي سمح الشرع بالاجتهاد فيها .

معرفة قدر العلماء ومكانتهم

فالعلماء لهم مكانتهم وقدرهم ، ولذلك فإن ظاهرة التبديع إنما جاءت على لسان بعض الجهّال أو المبتدئين في طلب العلم ؛ لأنهم يعتبرون المتأوّل والمقلد مبتدعًا ؛ بل أظهروا هذه المقالة ، وصار بعضهم يبدع بعضًا فتعادوا وتقاطعوا وتدابروا ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فيما بينهم ، بل تناول العلماء السابقين فنجد هؤلاء الجهّال يقولون : ابن حجر مبتدع ، النووي مبتدع ، أبو حنيفة مبتدع ، وغيرهم من كبار الأئمة ؛ وذلك من

---

(١) سورة الحشر آية : ٧ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١ .

أجل أخطاء في الاجتهاد لا تقتضي أن نبدعهم ؛ لأنا أخطاء جزئية وهؤلاء العلماء لهم فضل في الإسلام وإمامة ومكانة .

وقد قدموا للإسلام والمسلمين الكثير من الأشياء النافعة ، فمؤلفاتم وكتبهم ينتفع با المسلمون في فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو قدر أن في كلام بعضهم شيئًا من الخطأ ، فما لهم من مكانة وفضل وعلم في الإسلام وخدمة السنة النبوية تغطي هذه الجزئية الصغيرة ، فيجب أن نعرف قدر علماءنا - سلفًا وخلفًا - وأن نترحم عليهم ، وأن ندعو الله لهم كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ (1) .

وهذه صفة أهل الإيمان ؛ لأنم لا يتلمسون العيوب والعثرات ، أما غيرهم فيتبعون العيوب والعثرات وينشرونا ، وهذه هي البدعة .

أنواع البدعة

والبدعة ليست على حد سواء ، فهناك بدعة مكفرة ، وهناك بدعة دون ذلك ، ومن هنا يجب أن نزن الأمور بموازينها ، ونراجع أهل العلم في ذلك ؛ لأنم قسموا البدعة إلى قسمين : بدعة مكفرة كمقالات الجهمية والغلاة من الفرق ، وكل المقالات التي تخرج من الإسلام ، وبدعة دون ذلك يعد صاحبها من المسلمين لكن عنده شيء من البدعة ، فلا نجحف في حق الناس : ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ ﴾ (2) .

التكفير

من الظواهر - أيضًا - التي ظهرت التكفير ، والكفر على نوعين : **أحدهما :** كفر أصلي . وهو الكفر الذي لم يدخل صاحبه في الإسلام أصلًا ، كالمشركين والمعطلة ، وأنواع الكفرة من وثنيين وملحدين ، فهؤلاء الكفار أصليون ، **والنوع الثاني :** كفر ردة

(1) سورة الحشر آية : ١٠ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .

عن دين الإسلام ، وهو الذي يكون صاحبه مسلمًا ثم يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام ، فيخرج من الدين ويصير مرتدًا ، فهذا كافر كفر ردة .

ونواقض الإسلام معروفة ومحددة عند أهل العلم ، فمن أشرك بالله أو دعا غير الله أو استغاث بغير الله ، أو ذبح لغير الله فإنه يعد مرتدًا عن الإسلام ، لأنه فعل الشرك الأكبر وإن كان ينطق بالشهادتين ، وكذلك من نواقض الإسلام : سب الله ورسوله ﷺ أو الاستهزاء بشيء من كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بسنته فإنه يكفر بذلك ، جادًا أو هازلًا ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ (1) .

فما المقالة التي قالوها ؟ قالوا : (ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أكذب ألسنة ، وأرغب بطونًا ، وأجبن عند اللقاء) (2) يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأنزل الله تكفيرهم في كتابه في آية تتلى إلى يوم القيامة من أجل تحذير المسلمين من الوقوع في مثل هذا ، وكذلك السحر تعلمه وتعليمه ، كفر بالله ﷻ وادعاء علم الغيب عن طريق الكهانة ، أو عن طريق السحر والتنجيم ، أو العرافة فهذا كفر يخرج من الملة ، وهذا هو الذي يحكم عليه بالكفر .

كذلك إذا حرم حلالًا مجمعًا على حله أو أحل حرامًا مجمعًا على تحريمه فإنه يكفر بذلك ، أو أنكر شيئًا من الدين قد علم بالضرورة ، كما لو جحد وجوب الصلاة ، أو وجوب الزكاة ، أو وجوب الصوم ، أو الحج ، فإنه يحكم عليه بالكفر ، أما من لم يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام فإنه لا يحكم عليه بالكفر ، حتى وإن كان الذي ارتكبه كبيرة من الكبائر فإنه يحكم عليه بالفسق ، وإن كان ارتكب خطأ أو معصية أو مخالفة

---

(1) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

(2) (انظر : (جامع البيان في تفسير القرآن) لابن جرير الطبري (١٠ / ١١٩ ، ١٢٠) ، و (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (٢ / ٣٥١ ، ٣٥٢) ، و (أسباب النزول) للواحدي (ص ١٨٧ ، ١٨٨)) .

يحكم عليه بأنه مخطئ أو مخالف أو ما أشبه ذلك من الصفات التي تليق بما ارتكبه ، فالإنصاف يقتضي أن نزن الأمور بموازينها الشرعية ولا نطلق الكفر على كل من ارتكب مخالفة أو فعل ذنبًا .

فمن أكل الربا مثلًا نحكم عليه بأنه فاسق مرتكب لكبيرة إلا إذا استحله ، أي : قال : إن الربا حلال ، حينئذٍ نقول : أنه كافر ؛ لأنه استحل حرامًا مجمع على تحريمه ، أما إذا أكله غير مستحل له فإنه يكون فاسقًا ولا يخرج بذلك من الدين ، بل يعامل معاملة الفاسقين من المؤمنين .

إنما يطلق التكفير جزافًا الجهلة الذين يظنون أنهم علماء وهم لم يتفقّهوا في دين الله ﷻ وإنما يقرءون الكتب ويتتبعون العثرات ، ويأخذون مسميات التفسيق ويطلقونها بغير علم على غير أصحابها أو من لا يستحقها ؛ لأنهم لا يعرفون وضع هذه الأمور في موضعها لعدم فقههم في دين الله ﷻ ومثلهم في ذلك كمثل إنسان جاهل أخذ سلاحًا وهو لا يعرف كيف يستخدمه ، فهذا يوشك أن يقتل نفسه وأهله وأقاربه ؛ لأنه لا يحسن استعمال هذه الآلة .

ومن هنا يجب على هؤلاء الذين يأخذون مسميات التبديع والتفسيق والتكفير وهم لا يفقهونها أن يتعلموا قبل أن يتكلموا ، وأن يتقوا الله عز وجل ؛ لأن الكلام بغير علم لا سيما في هذه الأمور شر عظيم ، ولأنه - أيضًا - من الكلام على الله بغير علم وهذا أعظم من الشرك ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (1) . إلى قوله : ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣ ﴾ (2) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦ ﴾ (3) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا

(1) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(2) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(3) سورة النحل آية : ١١٦ .

يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ [2] .

ولهذا يجب على شباب المسلمين وطلّاب العلم أن يتعلّموا العلم النافع من مصادره وعلى أهله المعروفين به ، ثم بعد ذلك يعلمون كيف يتكلمون ، وكيف ي لون الأمور منازلها ؛ لأن أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا قد حفظوا ألسنتهم فلم يتكلموا إلا بعلم .

الخلاصة

إن كلمة التفسيق والتبديع والتكفير كلمة خطيرة ، لا تذهب سدى ، إذا نطق با الإنسان ، فهي كلمة لها أثرها ، فقد قال ﷺ : ﴿ إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ، فقد باء به أحدهما ﴾ [3] [4] . وقال ﷺ : ﴿ ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله ﴾ [5] [6] .

فإذا قال الرجل لأخيه : يا فاسق ، يا كافر ، يا عدو الله ، وهو ليس كذلك ، حار عليه ، أي : رجع عليه وبال هذه الكلمة ؛ لأنه لما قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك ﴾ [7] [8] وهذه كلمة واحدة .

---

(١) سورة النحل آية : ١٠٥ .
(٢) سورة الصف آية : ٧ .
(٣) البخاري الأدب (٥٧٥٢) .
(٤) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٧ / ٩٧) ، من حديث أبي هريرة) .
(٥) البخاري الأدب (٥٧٠٠) ، مسلم الإيمان (١١٠) ، أحمد (٣٣/٤) .
(٦) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٧ / ٨٤) ، من حديث ثابت بن الضحاك - رضي الله تعالى عنه -) .
(٧) مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٢١) .
(٨) (رواه الإمام مسلم في (صحيحه) ، رقم الحديث (٢٦٢١) ، من حديث جندب - رضي الله تعالى عنه -) .

وقال النبي ﷺ : ﴿ إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق ﴾ [١] [٢] إذًا فالكلمة وإن كانت واحدة فهي خطيرة جدا .

فهؤلاء الذين يتكلمون في أعراض العلماء من السلف وغيرهم بالتكفير والتفسيق والتبديع لا يضرون العلماء وإنما يضرون أنفسهم ؛ لأن العلماء لهم قدرهم ، وعلمهم ، ومكانتهم ، والله لا يضيّع أعمالهم ، وما قدّموه للإسلام ، والمسلمين من الأعمال الجليلة ، والخوض فيهم يرجع وباله على المتكلمين .

فيجب أن يتقي الله من يتكلمون في أعراض العلماء الميتين والأحياء ؛ لأن الله ﷻ قد حذر الأمة من اتباع هؤلاء ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [٣] .

ومعنى ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [٤] ، أي : تثبتوا من كلامهم ، ولا تتأثروا به لأول مرة ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [٦] .

---

(١) البخاري الرقاق (٦١١٢) ، مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٨) ، الترمذي الزهد (٢٣١٤) ، أحمد (٣٣٤/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٩) .
(٢) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٧ / ١٨٤) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -) .
(٣) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٤) سورة الحجرات آية : ٦ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١١ .
(٦) سورة الحجرات آية : ١٢ .

فالله - سبحانه وتعالى - نهى عن سوء الظن بالمسلمين عامة ، فكيف إذا كانوا بالعلماء ؛ لذلك فسوء الظن بالعلماء جريمة ؛ لأنهم ورثة الأنبياء ، وإذا لم تثق الأمة في علماءها فبمن تثق ؟

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [(١)] ، أي : لا تتبعوا عورات المسلمين المستورين ، ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [(٢)] أي : أن أكل لحم الميتة أهون من الكلام في أعراض العلماء ؛ لأنهم خير الأمة .

وقد قال ﷺ : « الغيبة : ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : يا رسول الله ، أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » [(٣)] [(٤)] .

فهذا المتكلم لا يخرج عن حالتين : أولهما أن يكون مغتابًا يأكل لحم الميتة ، أو باهتًا كذابًا .

وجوب النصيحة

ومن هنا يجب على المسلمين مناصحة هؤلاء الذين استطالت ألسنتهم ، وأن ينكروا عليهم أشدّ الإنكار ، وأن يأخذوا على أيديهم لعلهم يرجعون إلى الصواب ، فتسلم جماعة المسلمين من الإثم والعقاب ؛ فانصحوهم ؛ لأن الدين النصيحة ، ولأن كلامهم أخطر شيء على المسلمين ؛ لأنه يفرق شملهم ، ويضعف جماعتهم ، ويزيد العداوة بينهم ،

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٧٤) ، أحمد (٤٥٨/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٤) .

(٤) (رواه الإمام مسلم في (صحيحه) ، رقم الحديث (٢٥٨٩) ، من حديث أبي هريرة) .

ويذهب الثقة من علماء المسلمين ، وضياع الثقة بين الأمة وعلمائها هو هدف الأعداء حتى تضيع هذه الثروة العظيمة من العلم .

ولذلك يجب على الذين يتتبعون عثرات العلماء أن يتوبوا إلى الله ، ويكفوا عن هذه الخطوات ؛ لأنها من خطوات الشيطان ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ ﴾ [1] .

فعلينا وعلى جميع المسلمين التوبة إلى الله - سبحانه وتعالى - وبث المحبة بين المسلمين ، وإزالة ما يسبب الأحقاد ، والفرقة ، والبغضاء بينهم .

وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، وأسأله أن يوفقنا وإياكم لصالح العمل ، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم ، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة النور آية : ٢١ .

تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بداه .

أما بعد : فهذا الكلام الطيب الذي تكلم به فضيلة الشيخ : صالح الفوزان ، هو في موضوع خطير جدير بالعناية والتنبيه ، وهو ما يقع من بعض الناس من الكلام في أعراض العلماء بشأن ما قد يقع من أخطاء لا يسلم أحد منها كما قال رسول الله ﷺ : ﴿ كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ﴾ [(١)] [(٢)] .

فالعصمة من الخطأ هي للأنبياء والرسل ، لأنم يبلغون عن الله ﷻ أما غيرهم فقد يقع منه الخطأ ، والعالم الموفق البصير بدين الله على خير عظيم إذا اجتهد وتحرّى الحق فله أجران إذا أصاب ، وله أجر واحد إذا أخطأ ، وذنبه مغفور ، كما ثبت بذلك النص عن النبي ﷺ [(٣)] .

وقد أوضح صاحب الفضيلة في هذا الموضوع ما ينبغي إيضاحه وفسر كلامه ، فجزاه الله خيرًا ، وأعظم مثوبته ، وزادنا الله ، وإياه ، وجميع المسلمين هدى وتوفيقًا ، ونفعنا جميعًا بذا الكلام الطيب ، وأنا أؤكد على جميع إخواني وجميع الطلبة العناية بذا الأمر ، والاستفادة من هذه النصيحة ، والحذر من القول على الله بغير علم ، والحذر من الكلام في أعراض العلماء بغير علم ، والإنسان إذا علم خطأ نبّه عليه مع احترام العلماء ، وحفظ

---

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٥١) ، أحمد (١٩٨/٣) .

(٢) (رواه الترمذي في (سننه) برقم (٢٤٩٩) ، ورواه ابن ماجه في (سننه) برقم (٤٢١٥) ، والدارمي برقم (٢٧٢٧) ، كلهم من حديث أنس - رضي الله تعالى عنه -) .

(٣) (انظر : (صحيح الإمام البخاري) (٨ / ١٥٧) ، من حديث عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنه -) .

مكانتهم ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ﴾ [(١)] [(٢)] فينبّه على الخطأ بالدليل مع معرفة ما لصاحب الخطأ من م لة وقدر واحترام .

فالعلماء لهم بعض الأخطاء ، والله - جل وعلا - من لطفه وإحسانه غفر لهم ما يقع من الخطأ ؛ لأنه بعد اجتهاد وتحر للحق ، وأثابم على الاجتهاد بالأجر وأعطاهم على الإصابة أجرين ؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم الشهداء بتوحيد الله ﷻ قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [(٣)] .

فالواجب معرفة أقدارهم ، وحسن الظن بم ، وحملهم على أحسن المحامل ، وذكر محاسنهم ، وما قد يقع من الخطأ فليسوا معصومين والذين أصابوا لهم أجران ، والذين أخطأوا لهم الأجر على صبرهم واجتهادهم ، غفر الله لهم وجعلنا جميعًا من أتباعهم .

والواجب على أهل العلم أينما كانوا التثبت من الأمور ، وخصوصًا ما يتعلق بالأحكام الشرعية ، فلا يتكلمون إلا عن علم وبصيرة ، حتى لا يقولوا على الله بغير علم ؛ وحتى لا يقولوا على رسول الله ﷺ بغير علم ؛ لأن القول على الرسول بغير علم كبيرة من الكبائر ، حتى جعل الله ذلك قرين كبيرة الشرك ؛ لما يترتب على ذلك من البلاء العظيم ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ [(٤)] أي قل يا محمد للناس ﴿ مَا

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٢٨٥/٣) .

(٢) (انظر : مثلًا في ذلك : (مسند الإمام أحمد) (٣ / ٢٤١) ، و (صحيح الإمام البخاري) (٨ / ١٤٥) ، من حديث عائشة - رضي الله عنها - ، و (صحيح مسلم) برقم (١٤٠١) ، و (سنن النسائي) برقم (٣٢١٧) من حديث أنس و (موطأ الإمام مالك) ص ٧٠٨ ، رقم الحديث (١٨٤٠) ، من حديث عبد الله بن أبي بكر عن أبيه) .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] .

فجاء الكلام على الله بغير علم قرين الشرك لما يترتب عليه من الخطر العظيم ، سواء كان في أسماء الله وصفاته أو في شرعه ودينه ، أو في أعراض الناس ، وأخبر الله تعالى في آية أخري أنه من خطوات الشيطان ، فيدعوهم إليه ، كما في سورة البقرة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [2] .

فالشيطان يأمر بكل شر ومن ذلك القول على الله بغير علم ، والإنسان مسؤول عن سمعه وبصره وقلبه وعقيدته ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] .

فالواجب على أهل العلم التثبت والتبصّر ، وعلى طالب العلم أن يعتدل ، وأن يتحرى الدليل ، وأن يتحرى الحق ، وأن يسأل أهل العلم فيما أشكل عليه ، ولا يدخل في أمور قد يغلط فيها ويقع فيما يضره ولا ينفعه .

نسأل الله لنا ولكم ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه ، والعافية من أسباب غضبه ، ونسأله - سبحانه - أن يوفق جميع العلماء وطلبة العلم إلى الفقه في الدين والبصيرة في ذلك ، كما أسأله - سبحانه - أن يوفق جميع المسلمين لما فيه صلاحهم ، وأن يمنحهم الفقه في الدين إنه - جل وعلا - جواد كريم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وصلى الله وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

(٢) سورة البقرة الآيتان : ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

أسئلة مهمة تتعلق بالموضوع
أجاب عليها فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

ضابط البدعة وضابط وصف الشخص بكونه مبتدعا

س١ : ما هو ضابط البدعة ، ومتى يقال هذا الشخص مبتدع ؟

ج١ : البدعة كما قال النبي ﷺ : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [(١)] [(٢)] كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، فالبدعة : هي كل ما لم يكن له أصل في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فما أحدث من العبادات والأفكار وغير ذلك من أمور العبادة هذه بدع ، الذي ليس له دليل من الأقوال ، أو من الأفعال ، أو الاعتقادات ، أو غير ذلك ، كل ما ليس له دليل من الكتاب ، أو السنة فهو يكون محدثًا ، وكل محدث في الدين يكون بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

موقفنا تجاه أهل البدع كالروافض

س٢ : ما موقفنا تجاه أهل البدع كالروافض ؟ هل ندعوهم إلى السنة وكيف نتعامل معهم لوجود واحد منهم معي في العمل ؟

ج٢ : الدعوة إلى الله مطلوبة ؛ لعل الله أن ينفعهم ، وأن يتوبوا أو على الأقل أن تقوم الحجة عليهم ، الدعوة إلى الله مطلوبة معهم ومع غيرهم ، وأما العمل إذا كان أنك لا تخضع لهذا المبتدع ، وليس له عليك سلطان ، وإنما أنت تحت إدارة أو رياسة مستقيمة ، وهو إنما هو يعمل مثلك فلا شك أن كونك مع أهل السنة ومع أهل الخير أفضل ، أما إذا كنتم في عمل ، أو في دائرة ، أو مكتب ، وهو ليس له عليك سلطة ، ولا رياسة ، ولا إدارة ، فلا حرج في ذلك بشرط أن تتمسك بالسنة ، وتحافظ على الصلوات ، وتتركه جانبًا ، لا تباسطه ، ولا تأنس معه ، تتركه على جانب تعده كأنه غير موجود .

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

(٢) (رواه الإمام البخاري في (صحيحه) (٣ / ١٦٧) ، تقدم تخريجه ص ٣٤٨ ، الحاشية رقم (١) ، من حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها -) .

تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة

س٣ : ما حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة ؟ وهل يصح لمن رأى هذا التقسيم أن يحتج بقول الرسول ﷺ : ﴿ من سن سنة حسنة في الإسلام . . . ﴾ [١] الحديث ، وبقول عمر : (نعمت البدعة هذه . . .) ؟ نرجو في ذلك الإفادة ، جزاكم الله خيرًا .

ج٣ : ليس مع من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة دليل ؛ لأن البدع كلها سيئة ؛ لقوله ﷺ : ﴿ كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ﴾ [٢] [٣] .

وأما قوله ﷺ : ﴿ من سن في الإسلام سنة حسنة ﴾ [٤] [٥] ؛ فالمراد به : من أحيا سنة ؛ لأنه ﷺ قال ذلك بمناسبة ما فعله أحد الصحابة من مجيئه بالصدقة في أزمة من الأزمات ، حتى اقتدي به الناس ، وتتابعوا في تقديم الصدقات .

وأما قول عمر رضي الله عنه : ﴿ نعمت البدعة هذه ﴾ [٦] [٧] ؛ فالمراد بذلك البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية ؛ لأن عمر قال ذلك بمناسبة جمعه الناس على إمام واحد في صلاة

---

(١) مسلم الزكاة (١٠١٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٥٤) ، ابن ماجه المقدمة (٢٠٣) ، أحمد (٣٥٩/٤) ، الدارمي المقدمة (٥١٤) .

(٢) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) .

(٣) (رواه النسائي في (سننه) (٣ / ١٨٨ ، ١٨٩) برقم (١٥٧٨) ، من حديث جابر بن عبد الله بنحوه ، ورواه الإمام مسلم في (صحيحه) ، رقم الحديث (٨٦٧) ، بدون ذكر : (وكل ضلالة في النار من حديث جابر بن عبد الله . وللفائدة انظر : كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث) لأبي شامة رحمه الله تعالى (ص٩٣) وما بعده) .

(٤) مسلم الزكاة (١٠١٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٥٤) ، ابن ماجه المقدمة (٢٠٣) ، أحمد (٣٥٩/٤) ، الدارمي المقدمة (٥١٤) .

(٥) (رواه الإمام مسلم في (صحيحه) (٢ / ٧٠٤ ، ٧٠٥) ، رقم الحديث (١٠١٧) ، من حديث جرير بن عبد الله) .

(٦) البخاري صلاة التراويح (١٩٠٦) ، مالك النداء للصلاة (٢٥٢) .

(٧) (رواه البخاري في (صحيحه) (٢ / ٢٥٢) ، من حديث عبد الرحمن بن عبد القاري) .

التراويح ، وصلاة التراويح جماعة قد شرعها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ حيث صلاها بأصحابه ليالي ، ثم تخلف عنهم خشية أن تفرض عليهم [1]

وبقي الناس يصلونا فرادى وجماعات متفرقة ، فجمعهم عمر على إمام واحد كما كان على عهد النبي ﷺ في تلك الليالي التي صلاها بم ، فأحيا عمر تلك السنة ، فيكون قد أعاد شيئًا قد انقطع ، فيعتبر فعله هذا بدعة لغوية لا شرعية ؛ لأن البدعة الشرعية محرمة ، لا يمكن لعمر ولا لغيره أن يفعلها ، وهم يعلمون تحذير النبي ﷺ من البدع [2] .

التساهل في النهي عن البدع والأخطاء

س٤ : التساهل في النهي عن البدع والأخطاء أمر شائع عند كثير من المثقفين الإسلاميين ، حتى إن أحدهم يمر والناس يطوفون بالأضرحة وبالقباب دون أن يوجه لهم كلمة ؛ لأنه مشغول ومتوجه إلى قبة البرلمان كما يقول ، ما تعليقكم ؟ ! وما هو رأيكم في مشاركة بعض النيابيين في برلمانات الحكومات التي لا تطّبق الشريعة ؟

ج٤ : قال ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [3] [4] .

والطواف على القبور ودعاء أصحابا هو أعظم المنكر ، ولا بد لكل مسلم من إنكاره حسب استطاعته ؛ فإن لم ينكره بلسانه ولا بقلبه ؛ فهذا دليل على عدم إيمانه .

وأما مشاركة المسلم في البرلمانات الكافرة ؛ فهذه قضية تجب دراستها والإجابة عن حكمها لدى المجامع العلمية وجهات الفتوى .

---

(١) (انظر : (صحيح البخاري) (٢ / ٢٥٢) ، من حديث عائشة - رضي الله عنها -) .

(٢) (للفائدة انظر : كتاب (الباعث الحثيث على إنكار الحوادث) لأبي شامة (ص ٩٣ - ٩٥)) .

(٣) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٤/٣) .

(٤) (تقدم تخريجه ص ١١١ ، رقم الحاشية (١)) .

الابتداع بأشياء مستحسنة

س٥ : أخذ الناس يبتدعون أشياء ويستحسنونا ، وذلك أخذًا بقول الرسول ﷺ : ﴿ من سن سنة حسنة في الإسلام ؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة . . . ﴾ [(١)] إلى آخر الحديث ؛ فهل هم محقون فيما يقولون ؟ فإن لم يكونوا على حق ؛ فما مدلول الحديث السابق ذكره ؟ وهل يجوز الابتداع بأشياء مستحسنة ؟ أجيبونا عن ذلك أثابكم الله .

ج٥ : البدعة : هي ما لم يكن له دليل من الكتاب والسنة من الأشياء التي يتقرّب بها إلى الله .

قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ؛ فهو رد ﴾ [(٢)] [(٣)]

وفي رواية : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ [(٤)] [(٥)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [(٦)] [(٧)] .

---

(١) مسلم الزكاة (١٠١٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٥٤) ، ابن ماجه المقدمة (٢٠٣) ، أحمد (٣٥٩/٤) ، الدارمي المقدمة (٥١٤) .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .

(٣) (تقدم تخريجه ص ٨٨ الحاشية رقم (٢)) .

(٤) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

(٥) (تقدم تخريجه ص ٣٥٣ الحاشية رقم (١)) .

(٦) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٧) (رواه الإمام أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) ، وأبو داود (٥ / ١٣ ، ١٥) ، رقم الحديث (٤٦٠٧) ، واللفظ له ، والترمذي (٥ / ٤٣) ، رقم الحديث (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (١ / ٧) ، رقم الحديث (٤٢ ، ٤٦) ، والدارمي برقم (٩٥) ، كلهم من حديث العرباض بن سارية) .

والأحاديث في النهي عن البدع والمحدثات أحاديث كثيرة ومشهورة ، وكلام أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من المحققين كلام معلوم ومشهور ، وليس هناك بدعة حسنة أبدًا ، بل البدع كلها ضلالة ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ وكل بدعة ضلالة ﴾ [(١)] .

فالذي يزعم أن هناك بدعة حسنة يخالف قول الرسول ﷺ : ﴿ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ﴾ [(٢)] ، وهذا يقول : هناك بدعة ليست ضلالة ! ولا شك أن هذا محاد لله ورسوله .

أما قوله ﷺ : ﴿ من سن في الإسلام سنة حسنة ؛ فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ [(٣)] [(٤)] ؛ فهذا لا يدل على ما يقوله هؤلاء ؛ لأن الرسول ﷺ لم يقل : من ابتدع بدعة حسنة ، وإنما قال : ﴿ من سن سنة حسنة ﴾ [(٥)] ، والسنة غير البدعة ، السنة : هي ما كان موافقًا للكتاب والسنة ، موافقًا للدليل هذا هو السنة ؛ فمن عمل بالسنة التي دل عليها الكتاب والسنة ؛ يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ؛ يعني : من أحيا هذه السنة وعلّمها للناس وبينها للناس وعملوا بها اقتداءًا به ؛ فإنه يكون له من الأجر مثل أجورهم ، وسبب الحديث معروف ، وهو أنه لما جاء أناس محتاجون إلى النبي ﷺ من العرب ، عند ذلك رق لهم الرسول ﷺ وأصابه شيء من الكآبة من حالتهم ، فأمر بالصدقة وحث عليها ، فقام رجل من الصحابة وتصدق بمال كثير ، ثم تتابع الناس

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) .

(٢) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .

(٣) مسلم الزكاة (١٠١٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٥٤) ، ابن ماجه المقدمة (٢٠٣) ، أحمد (٣٥٩/٤) ، الدارمي المقدمة (٥١٤) .

(٤) (رواه الإمام أحمد في (مسنده) (٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٩) ، ومسلم برقم (١٠١٧) ، والنسائي في (المجتبى) برقم (٢٥٥٤) ، كلهم من حديث جرير بن عبد الله) .

(٥) مسلم الزكاة (١٠١٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٥٤) ، ابن ماجه المقدمة (٢٠٣) ، أحمد (٣٥٩/٤) ، الدارمي المقدمة (٥١٤) .

وتصدّقوا اقتداءً به ؛ لأنه بدأ لهم الطريق ، عند ذلك قال النبي ﷺ : ﴿ من سن في الإسلام سنة حسنة ؛ فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ [1] ؛ فهذا الرجل عمل بسنة ، وهي الصدقة ومساعدة المحتاجين ، والصدقة ليست بدعة ؛ لأنها مأمور بها بالكتاب والسنة ، فهي سنة حسنة ، من أحياها وعمل بها وبينها للناس حتى عملوا بها واقتدوا به فيها ؛ كان له من الأجر مثل أجورهم .

تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام

س٦ : ذكرتم فضيلتكم أن كل بدعة ضلالة ، وأنه ليس هناك بدعة حسنة ، والبعض قسم البدعة إلى خمسة أقسام : بدعة واجبة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة ؛ فما هو الرد على هؤلاء ؟

ج٦ : الرد على أن هذه فلسفة وجدل مخالفان لقول الرسول ﷺ : ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ [2] [3] وهم يقولون : ما كل بدعة محرمة ! فهذه فلسفة في مقابل كلام الرسول ﷺ وتعقيب على كلامه .

أما ما ذكروه من بعض الأمثلة ، وأنها بدعة مستحبة ؛ مثل جمع القرآن ، فهذه ليست بدعة ، هذه كلها تابعة لكتابة القرآن ، والقرآن كان يكتب ، ويجمع على عهد النبي ﷺ وهذه متممات للمشروع الذي بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فهي داخلة فيما شرعه .

كذلك ما قالوه من بناء المدارس ، هذا كله في تعليم العلم ، والله أمر بتعليم العلم ، وإعداد العدة له ، والرسول ﷺ أمر بذلك ؛ فهذا من توابع ما أمر الله به .

---

(١) مسلم الزكاة (١٠١٧) ، الترمذي العلم (٢٦٧٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٥٤) ، ابن ماجه المقدمة (٢٠٣) ، أحمد (٣٥٩/٤) ، الدارمي المقدمة (٥١٤) .

(٢) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) .

(٣) (تقدم تخريجه الحاشية رقم (١)) .

لكن البدعة هي التي تحدث في الدين ، وهي ليست منه ؛ كأن يؤتى بعبادة من العبادات ليس لها دليل من الشرع ، هذه هي البدعة .

حدوث الفتنة عند التنبيه على البدعة المتأصّلة

س٧ : إذا كان التنبيه على البدعة المتأصّلة سيحدث فتنة ؛ فهل السكوت عليها أولى ؟ أم يجب التنبيه ويحدث ما يحدث ؟

ج٧ : حسب الظروف ، إذا كان يترتب مضرة أكثر من المصلحة ، فهناك ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما هو الأنسب ، لكن لا تسكت عن البيان والدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة وتعليم الناس شيئًا فشيئًا ؛ فالله - جل وعلا - يقول : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [1] ؛ فإذا كان إظهار الإنكار يحدث مفسدة أكبر ؛ فإننا نبين ، ونبصر الناس حتى يتركوا هذا الشيء من أنفسهم ، والله - جل وعلا - يقول : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [2] .

فالجاهل يبدأ معه بالحكمة واللين ، وإذا رأينا منه بعض النفور ؛ يوعظ ويخوف بالله ﷻ وإذا رأينا منه أنه لا يقبل الحق ويريد أن يدفع الحق بالقوة ؛ فإنه يقابل بالقوة عند ذلك .

فالحاصل أن القاعدة الشرعية أنه يجوز ارتكاب أخف الضررين لتفادي أعلاهما ، كذلك درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح [3] ولكن هذا شيء مؤقت ؛ فنحن نتعامل مع هؤلاء الذين اعتادوا على هذا الشيء وأصرّوا عليه ، نتعامل معهم بالرفق واللين ، ونبين لهم أن هذا خطأ لا يجوز ، ومع كثرة التذكير والتكرار ؛ فإن الله - سبحانه وتعالى - يهدي من يشاء ؛ فربما يتأثرون بالموعظة والتذكير ، ويتركون هذا الشيء من أنفسهم ؛

---

(١) سورة التغابن آية : ١٦ .
(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .
(٣) (انظر : (الأشباه والنظائر) للسيوطي) .

فنحن نّتبع الطرق الكفيلة لإنجاح المهمة ، ونستعمل الحكمة في موضعها ، والموعظة في موضعها ، ونستعمل الشدة في موضعها ، وهكذا يكون الداعية إلى الله ﷻ ؛ فلكل مقام مقال .

موقف السلف من المبتدعة

س٨ : نطلب من فضيلة الشيخ توضيح موقف السلف من المبتدعة ، وجزاكم الله خيرًا ؟

ج٨ : السلف لا يبدعون كل أحد ، ولا يسرفون في إطلاق كلمة البدعة على كل أحد خالف بعض المخالفات ، إنما يصفون بالبدعة من فعل فعلًا يتقرب به إلى الله ؛ من عبادة لم يشرعها رسول الله ﷺ أخذًا من قوله ﷺ : ﴿ من عمل عملًا ليس عليه أمرنا ؛ فهو رد ﴾ [(١)] [(٢)] . وفي رواية : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ﴾ [(٣)] [(٤)] . فالبدعة هي إحداث شيء جديد في الدين ، لا دليل عليه من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ هذه هي البدعة ، وإذا ثبت أن شخصًا ابتدع بدعة في الدين ، وأبى أن يرجع ، فإن منهج السلف أنم يهجرونه ويبتعدون عنه ، ولم يكونوا يجالسونه .

هذا منهجهم ، لكن كما ذكرت ، بعد أن يثبت أنه مبتدع ، وبعد أن ينصح ، ولا يرجع عن بدعته ؛ فحينئذٍ يهجر ؛ لئلا يتعدى ضرره إلى من جالسه وإلى من اتصل به ، ومن أجل أن يحذر الناس من المبتدعة ومن البدع .

---

(١) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

(٢) (تقدم تخريجه ص ٣٤٨ ، الحاشية رقم (١)) .

(٣) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .

(٤) (تقدم تخريجه ص ٣٤٨ ، الحاشية رقم (١)) .

أما المغالاة في إطلاق البدعة على كل من خالف أحدًا في الرأي فيقال : هذا مبتدع ! كل واحد يسمي الآخر مبتدعًا ، وهو لم يحدث في الدين شيئًا ؛ إلا أنه تخالف هو وشخص ، أو تخالف هو وجماعة من الجماعات ، هذا لا يكون مبتدعًا .

ومن فعل محرمًا أو معصية ؛ يسمي عاصيًا ، وما كل عاص مبتدع ، وما كل مخطئ مبتدع ؛ لأن المبتدع من أحدث في الدين ما ليس منه ، هذا هو المبتدع ، أما المغالاة في اسم البدعة بإطلاقها على كل من خالف شخصًا ؛ فليس هذا بصحيح ؛ فقد يكون الصواب مع المخالف ، وهذا ليس من منهج السلف [1] .

من يأتي ببدعة مكفرة

س٩ : ما قولكم يا شيخ حفظكم الله في هذه المقولة : إن الذي لا يأتي ببدعة مكفرة لا يخرج من مسمى أهل السنة بل الذي يخرج من أهل السنة الذي وقع في بدعة مكفرة فقط ؟

ج٩ : يا سبحان الله - الذي يأتي ببدعة مكفرة هذا ليس من المسلمين أصلًا ، لا يكفي أن يقال : أنه ليس من أهل السنة ، الذي يأتي ببدعة مكفرة يقال : أنه ليس من المسلمين ولا يقال : أنه ليس من أهل السنة فقط ؛ لأنه إذا قيل : أنه ليس من أهل السنة فُهِمَ أنه مسلم لكنه مخالف لمذهب أهل السنة ، فيكون كسائر المبتدعة ، أما من جاء ببدعة غير مكفرة ، فهذا هو الذي ليس من أهل السنة ، فالمبتدعة إذن على أقسام :

أولًا : مبتدع كافر ليس من المسلمين أصلًا : وهو الذي عنده بدعة مكفرة .

ثانيًا : ومبتدع يعد من المسلمين لكنه ليس من أهل السنة : وهو من بدعته تقتضي الفسق ، فلا يمكن لمبتدع من هذين النوعين أن يقال : إنه من أهل السنة أبدًا ، إما أن يقال : إنه كافر خارج من الملة ، وإما أن يقال : إنه مبتدع من غير أهل السنة والجماعة كالمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم من الفرق .

---

(١) (للفائدة انظر إلى ما كتبه صاحب الفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه (هجر المبتدع)) .

ثالثًا : مبتدع يعد عاصيًا وهو من أهل السنة : وهو من كانت بدعته لا تقتضي فسقه .

من يوقر أهل البدع ويحترمهم ويثني عليهم

س١٠ : ما حكم من يوقر أهل البدع ويحترمهم ويثني عليهم بأنم يطبقون حكم الإسلام مع علمه ببدعهم ، وفي بعض الأحيان عندما يذكرهم في الدروس العامة يقول : مع التحفظ على بعض المواقف عند هؤلاء المبتدعة ، أو يقول : بغض النظر عن ما عند هؤلاء المبتدعة الذين يحترمهم هذا القائل ، ويثني عليهم ويدافع عنهم لهم كلام مكتوب ، ومسجل فيه طعن في السنة ، وتجهيل للصحابة ، وغمز للنبي ﷺ فما حكم هذا القائل وهل يحذر من أقواله هذه ؟

ج١٠ : لا يجوز تعظيم المبتدعة والثناء عليهم ولو كان عندهم شيء من الحق ؛ لأن مدحهم والثناء عليهم يروج بدعتهم ، ويجعل المبتدعة في صفوف المقتدى بم من رجالات هذه الأمة . والسلف حذرونا من الثقة في المبتدعة ، وعن الثناء عليهم ، ومن مجالستهم ، وفيما كتب به أسد بن موسى : وإياك أن يكون لك من البدع أخ أو جليس أو صاحب ، فإنه جاء الأثر : (من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى إلى هدم الإسلام) [(١)] والمبتدعة يجب التحذير منهم ، ويجب الابتعاد عنهم ، ولو كان عندهم شيء من الحق ، فإن غالب الضلال لا يخلون من من شيء من الحق ، ولكن ما دام عندهم ابتداع ، وعندهم مخالفات ، وعندهم أفكار سيئة ، فلا يجوز الثناء عليهم ، ولا يجوز مدحهم ، ولا يجوز التغاضي عن بدعتهم ؛ لأن في هذا ترويجًا للبدعة وتوينًا من أمر السنة ، وبذه الطريقة يظهر المبتدعة ، ويكونون قادة للأمة - لا قدر الله - . فالواجب التحذير منهم وفي أئمة السنة الذين ليس عندهم ابتداع في كل عصر - ولله الحمد - فيهم الكفاية للأمة وهم القدوة .

(١) ((الاعتصام (١ / ١٠٧)) .

فالواجب اتباع المستقيم على السنة الذي ليس عنده بدعة ، وأما المبتدع فالواجب التحذير منه ، والتشنيع عليه حتى يحذره الناس ، وحتى ينقمع هو وأتباعه ، وأما كون عنده شيء من الحق ، فهذا لا يبرر الثناء عليه أكثر من المصلحة ، ومعلوم أن قاعدة الدين : (إن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح) (١) وفي معاداة المبتدع درأ مفسدة عن الأمة ترجح على ما عنده من المصلحة المزعومة إن كانت ولو أخذنا بذا المبدأ لم يضلّل أحد ، ولم يبدّع أحد ؛ لأنه ما من مبتدع إلا وعنده شيء من الحق ، وعنده شيء من الالتزام ، المبتدع ليس كافرًا محضًا ، ولا مخالفًا للشريعة كلها ، وإنما هو مبتدع في بعض الأمور أو في غالب الأمور ، وخصوصًا إذا كان الابتداع في العقيدة ، وفي المنهج ، فإن الأمر خطير ؛ لأن هذا يصبح قدوة ، ومن حينئذٍ تنتشر البدع في الأمة وينشط المبتدعة في ترويج بدعهم ، فهذا الذي يمدح المبتدعة ، ويشبه على الناس بما عندهم من الحق هذا أحد أمرين : إما جاهل بمنهج السلف ، وموقفهم من المبتدعة ، وهذا الجاهل لا يجوز أن يتكلم ، ولا يجوز للمسلمين أن يستمعوا له ، وإما أنه مغرض ؛ لأنه يعرف خطر البدعة ، ويعرف خطر المبتدعة ، ولكنه مغرض يريد أن يروج للبدعة .

فعلى كل ، هذا أمر خطير ، وأمر لا يجوز التساهل في البدعة وأهلها مهما كانت .

التكفير بالمعاصي

س١١ : سؤال عن التكفير بالمعاصي يتكون من عدة فقرات ، أولًا : هل يكفر المجاهر بالمعصية مثل الغناء أو الزنا أو الربا ؟

ج١١ : المعاصي على قسمين : كبائر وصغائر ، والكبائر على قسمين : كبائر مخرجة من الملة وكبائر لا تخرج من الملة .

فالكبائر المخرجة من الملة كالشرك بالله ﷻ والكفر بالله ﷻ هذه كبائر مخرجة من الملة ، ودعاء غير الله ، والاستغاثة بغير الله ، وعبادة القبور ، والذبح للقبور ، والسحر

(١) (انظر : (الأشباه والنظائر) (١ / ١٠٥) للإمام السبكي) .

تعلمه وتعليمه ، وترك الصلاة متعمدًا ولو لم يجحد وجوبا على الصحيح ، فهذه كبائر مخرجة من الملة ، وهناك كبائر دون ذلك وهي على قسمين :

أولًا - كبائر اعتقادية .

ثانيًا - كبائر عملية .

الكبائر الاعتقادية : مثل مقالة المعتزلة والخوارج والأشاعرة وغيرهم ممن ينفون أسماء الله وصفاته ، أو ينفون أسماء الله دون الصفات ويثبتون بعضًا ، فإن هذه كبائر وصاحبها فاسق فسقًا اعتقاديًا .

وأما النوع الثاني وهو الكبائر العملية مثل : شرب الخمر ، والزنا ، والسرقة ، وقتل النفس بغير حق ، ومثل قذف المحصنات هذه كبائر عملية يفسق صاحبها فسقًا عمليا ، ولا يخرج من الملة ، فالكبائر الاعتقادية التي دون الشرك ، والكبائر العملية أيضًا كلها يفسق صاحبها . والنوع الأول أشد من الثاني الذي عنده فسق اعتقادي أشد من الذي عنده فسق عملي . ولكن كل من الفاسقين لا يخرج من الملة إلا في حالة ما إذا كان الفاسق الاعتقادي يدعو إلى بدعته وينادي عليها ، هذا يكفره السلف كما كفروا دعاة الجهمية ، ودعاة المعتزلة الذين يدعون إلى هذه المذاهب ، أما مجرد أنه يعتنقها من غير أن يدعو إليها ظنها صوابًا وغر بمن قال با ، فهذا لا يكفر ولكنه يضلل يقال : أنه ضال وفاسق فسقًا اعتقاديا .

إذن لا يخرج من الملّة إلا الكبائر الكفرية الشركية كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) .

والله - سبحانه وتعالى - أوجب الحد على شارب الخمر ، والسارق ، والزاني ولو كانوا كفارًا لأمر بقتلهم ، فإقامة الحدود عليهم دليل على إسلامهم ، والله تعالى جعل

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

المتقاتلين إخوة في الإيمان قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [1] ، إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [2] .

فسمي القاتل مؤمنًا وأخًا للمقتول ، وأمر بالإصلاح بين المتقاتلين واعتبرهم من المؤمنين : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [3] .

دل ذلك على أن الكبيرة التي دون الشرك لا تخرج من الملة ، ولكن يحكم على صاحبها بالفسق ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [4] .

فسماهم فاسقين ، وأمر برد شهادتم إلا أن يتوبوا إلى الله - سبحانه وتعالى - ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [5] .

الفقرة الثانية من السؤال :

تكفير المستخف بذه المعاصي وحكم الإصرار على الكبيرة وعدم التوبة منها

س١٢ : هل يكفر المستخف بذه المعاصي بحيث لم يصرح باستحلالها إنما يستخف با ويقع فيها مع علمه بحرمتها ؟

ج١٢ : إذا كان يعتقد حرمتها فإنه لا يكفر ، وأما استخفافه با ، فهذا دليل على ضعف إيمانه ، ولا يدل على كفره ما دام أنه يعتقد أنا حرام .

---

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٣) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٤) سورة النور آية : ٤ .
(٥) سورة الحجرات آية : ٦ .

الفقرة الثالثة من السؤال :

س ١٣ : يقول السائل هل الإصرار على الكبيرة وعدم التوبة منها يجعلها كفرًا مخرجًا من الملة أم أن صاحبها يشمله الوعيد أو يدخل تحت الوعيد إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له ؟

ج١٣ : الإصرار على الكبيرة التي هي دون الشرك لا يصير المصر عليها كافرًا ؛ لأنها ما دامت دون الشرك والكفر فإنه يعتبر فاسقًا ، ولا يخرج من الملة ، ولو أصرّ عليها .

الضوابط التي ينبغي لطالب العلم أن يعرفها

الفقرة الرابعة من السؤال :

س١٤ : ما هي الضوابط التي ينبغي لطالب العلم أن يعرفها لكي يحكم على فلان من الناس بأنه مستحل للمعصية المجمع على تحريمها بحيث يكفر المستحل لهذه المعصية ؟

ج١٤ : الضوابط التي تدل على استحلال المعصية أن يصرح الشخص بأنها حلال إما بلسانه وإما بقلمه ، بأن يكتب بأنها حلال ، أو يقول : إنها حلال ، وإما أن يشهد عليه شاهدان عدلان فأكثر بأنه يقول بحل الزنا ، أو بحل الخمر ، أو الربا ، أو ما أشبه ذلك حينئذٍ يحكم عليه بالاستحلال إما بإقراره كلاميا ، أو كتابيا ، وإما بالشهادة عليه .

المحاضرة التاسعة والأربعون

الفقه في الدين عصمة من الفتن

نعمة الإسلام والتحذير من الوقوع في الفتن الصارفة عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وأصحابه ، ومن تمسك بسنته وسار على نجه إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الله - سبحانه وتعالى - مَن علينا بالإسلام ، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١) ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (٢) ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٩ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١) .

إن نعمة الإسلام نعمة لا يعدلها شيء من النعم الأخرى ، وإن كانت نعم الله عظيمة ، ولا تحتقر ولا تستصغر ، بل يجب أن تذكر وتشكر ، ولكن نعمة الإسلام هي أعظم النعم ، الإسلام الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ فبعثة هذا الرسول ﷺ أيضًا نعمة عظيمة ؛ لأنه هو الذي بين هذا الإسلام ، وجاء به ، ودعا إليه ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٢) .

ولكن هناك صوارف ، وعوارض تعرض للإنسان قد تخرجه من هذا الإسلام - إن كان من أهله - أو تضعفه في قلبه ، أو تصدّه عن الدخول فيه ، إن كان ليس من أهله .

هناك فتن عظيمة تعرض للإنسان ، فيجب عليه أن يكون على معرفة بها ، كما يجب عليه أن يعرف ما هو المخرج منها إذا ابتلي بها .

ومن هنا كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان - رضي الله تعالى عنه - يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن أقع فيه .

فمعرفة الإسلام أولًا والتبصر فيه ، ومعرفة أحكامه وتفاصيله أمر واجب ، ثم أيضًا معرفة ما يَصرِف عنه ، ويحول بين العبد وبينه ، أو ما يضعفه في قلبه من الآفات ، فيعرف المنافع ويعرف المضار ، من أجل أن يأخذ بالمنافع ويتجنب المضار ، فإنه إذا لم يعرف الأمور الضارة والأمور المضللة ، ربما أنها تلكه وهو لا يدري ، والله - جل وعلا - أمرنا أن نتمسك بهذا الدين إلى الوفاة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٣) .

(١) سورة الحج آية : ٧٨ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

ولا شك أن البقاء على الإسلام بيد الله - سبحانه وتعالى - ، فنحن لا نملك أن نبقي على الإسلام إلى أن نموت ، وإنما هذا بيد الله - سبحانه وتعالى - ، ولكن معنى هذا : أننا نأخذ بالأسباب التي تسبب البقاء على هذا الإسلام إلى الموت : الأسباب الواقية ، فإذا أخذنا بالأسباب فإن الله - سبحانه وتعالى - بمنّه وفضله يتمم علينا نعمته ، ويتوفانا على الإسلام ؛ لأننا بذلنا الأسباب ، وسعينا في النجاة ، والله - جل وعلا - حليم كريم ، إذا رأى من عبده حرصًا على الخير ورغبةً فيه ، وبغضًا للشر وخوفًا منه ، فإن الله - سبحانه وتعالى - يسدده ، ويقيه ، ويحميه ، ويسلم له دينه ، ويتمم له بخير .

أما إذا رأى من عبده إعراضًا ، وعدم رغبة في الخير ، وعدم كراهية للشر ، فإن الله - سبحانه وتعالى - يوله ما تولى ؛ عقوبةً له ، وعدلًا منه - سبحانه وتعالى - ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [1] ، فصار السبب من قِبل العبد ، يشاقق الرسول ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، السبب من قِبله ، والعقوبة من الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [2] .

والفتن جمع فتنة ، والفتنة معناها : الامتحان والابتلاء ؛ ليظهر بذلك صدق الإيمان أو النفاق ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [3] . فلا يصبر عند الفتن ليثبت على الحق ، وإنما يفر من دينه ويطاوع للصوارف ، يظن أنه بذلك ينجو ، وإنما خرج من شر إلى ما هو شر منه - كالمستجير من الرمضاء بالنار - جعل فتنة الناس كعذاب الله ، وهل فتنة الناس تعادل عذاب الله ؟ ! إنه إذا ترك دينه ، وتجاوب مع الفاتنين وطاوعهم خرج إلى عذاب الله ، ولو أنه صبر على

(١) سورة النساء آية : ١١٥ .
(٢) سورة النساء آية : ١١٥ .
(٣) سورة العنكبوت آية : ١٠ .

أذى الناس وصبر على أذى العباد ، وتمسك بدينه ، لكان هذا الألم الذي يلاقيه مؤقتًا ، والفرج قريب ، والعاقبة حميدة ، ولكنه بالعكس لم يصبر على أذى الناس وفتنة الناس ، بل أطاعهم في معصية الله ، وأجابهم إلى ما سألوا من الكفر بالله ، فصار إلى عذاب الله المؤلم .

فالفتنة : هي الابتلاء والامتحان ؛ ليظهر بذلك الصادق في إيمانه ، الثابت على عقيدته ، من المذبذب المزعزع ، الذي تعصف به أول عاصفة من الفتن .

الفقه في الدين

وأما الفقه في الدين ، فالفقه لغة : الفهم ، **وشرعًا :** الفهم في أحكام الله ﷻ الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن الله أنزل هذا القرآن وأنزل السنة النبوية هدى للناس ، فيها الهدى ، وفيها بيان كل شيء مما يحتاجه العباد في أمور دينهم ، وما يسعدهم في الدنيا والآخرة . ضمن الله هذا الكتاب كل ما يحتاجه البشر ، فيه الكفاية ، وإلى جانبه بيان الرسول ﷺ وسنة الرسول المبينة للقرآن ، المفسرة للقرآن ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [1] .

فالرسول مبين ومبلغ ، ومفسر لهذا الكتاب العظيم ، فالكتاب والسنة فيهما الهداية من الضلال ، وبيان طريق الخير وطريق الشر .

فالفقه في الدين : هو أن نعقل ونفهم من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ حكم ما يَعرِض علينا من المشكلات ، وما يعرض علينا من الفتن ، حتى نتجّنبها ونأخذ طريق النجاة ، هذا هو الفقه في الدين .

(١) سورة النحل آية : ٤٤ .

والله تعالى أمر بالفقه في الدين ، وذم الذين لا يفقهون ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [1] .

ووصف المنافقين بأنهم لا يفقهون ، يعني : لا يفهمون أحكام الله - سبحانه وتعالى - ؛ لأنهم لم يريدوا ذلك ، ولم يلتفتوا إليه ولم يهتموا به ، فصاروا لا يفقهون .

والفتن كثيرة ، وتكثر وتعظم وتتجدد في آخر الزمان . الفتن كثيرة ، والإنسان يعايش الفتن كل حياته ، ولكن مقل ومستكثر ، والله - سبحانه وتعالى - أخبر أن المال والأولاد فتنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [3] .

فالأموال والأولاد فتنة ، من آثر حب المال ، وحب الولد ، وحب البلد ، وحب العشيرة ، وحب التجارة ، وحب المساكن على محبة الله ورسوله ؛ فليرقب أسوأ النتائج ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [4] .

فالأموال والأولاد فتنة والزوجة فتنة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [5] ، لا تؤثروا محبتهم على محبة الله ورسوله ، لا تؤثروا طاعتهم على طاعة الله ورسوله ، لا تنشغلوا بهم عما يقربكم إلى الله

(١) سورة التوبة آية : ١٢٢ .
(٢) سورة التغابن آية : ١٥ .
(٣) سورة المنافقون آية : ٩ .
(٤) سورة التوبة آية : ٢٤ .
(٥) سورة التغابن آية : ١٤ .

- سبحانه وتعالى - ، احذروا ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَـٰدِكُمۡ عَدُوًّا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [(1)] ، ليس معنى احذروهم : أنكم تعادونهم ، وتبتعدون عنهم ، وتقاطعونهم ، لا ، معناه : أنكم تحذرون فتنتهم ، وتحذرون الانحياز معهم ؛ إذا تعارضت محبتهم مع محبة الله ورسوله ، بل قدموا محبة الله ورسوله على محبة الأموال والأولاد ، وحينئذٍ يصلح الله لكم الأموال ويصلح لكم الأولاد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَـٰدِكُمۡ عَدُوًّا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَـٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [(2)] .

الواجب على المسلم في هذا الموقف : أن يتقي الله ما استطاع ، وألا يقدم محبة زوجته إذا تعارضت مع محبة الله ، أو محبة ولده ، أو محبة ماله ؛ إذا تعارض ذلك مع ما يحبه الله ﷻ بل يقدم ما يحبه الله ﷻ وبذلك يصلح الله له ماله ، ويصلح له زوجته ، ويصلح له أولاده .

الخير والشر فتنة ، قال تعالى : ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(3)] ، الخير الذي هو المال والغيث والخصب هذا كله فتن تعرض على الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(4)] ، وكذلك الطاعة والمعصية فتنة ، والإنسان يؤمر بالطاعة ، وينهى عن المعصية ، تعرض له الطاعة ، يأتي وقت الصلاة والعبادة ، ويأتي وقت اللذة والأكل والشرب والاستمتاع وغير ذلك ، فأيهما يقدم ؟ هذا ابتلاء وامتحان ، ابتلاء وامتحان من الله - سبحانه وتعالى - .

---

(1) سورة التغابن آية : ١٤ .
(2) سورة التغابن الآيات : ١٤ - ١٦ .
(3) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .
(4) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

الناس بعضهم لبعض فتنة ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (١) .

فالناس يبتلي الله - سبحانه وتعالى - بعضهم ببعض ، يبتلي المؤمن بالكافر ، ويبتلي المؤمن بالمنافق ، يبتلي عباده بعضهم ببعض ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ (٣) .

فالمؤمن والمسلم يبتلى بأعدائه من الكفار والمنافقين والعصاة ؛ ليتجلى موقفه منهم بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد ، أو الاستسلام والإخلاد إلى الراحة ، فإن كانت الأولى - وهي : الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد - كان على خير ، ونجح في الامتحان ، وإن كانت الثانية - وهي : الاستسلام والإخلاد إلى الراحة ، وعدم التعرض للناس وهم على شرهم ، وعدم دعوتم إلى الله ، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم الجهاد في سبيل الله ، إنما استسلم وأخلد إلى الراحة - كانت الخسارة والإخفاق في الامتحان ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ ﴾ (٤) ، كذلك يبتلي الغني بالفقير ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (٥) .

الكفار يحتقرون فقراء المسلمين ، ويقولون : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ؟ ! هؤلاء ناس فقراء ، ليس بأيديهم شيء كيف يكونون هم على الهدى ونحن على الضلال ؟ ! نحن

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٠ .
(٢) سورة محمد آية : ٤ .
(٣) سورة الفرقان آية : ٢٠ .
(٤) سورة الفرقان آية : ٢٠ .
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

أهل المال ، ونحن أهل الثروة ، ونحن أهل الرئاسة وأهل الرأي ، وأهل الحل والعقد ، وهؤلاء فقراء مساكين ، ومع هذا يزعمون أنم خير منا ، وأنم . . . ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾ [(1)] قول الله تعالى : ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [(2)] .

الله - جل وعلا - لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فالفقير الشاكر ، المؤمن بالله ، الراغب في الخير ، هذا هو ولي الله ﷻ أما المستكبر والمتعالي على الحق ، الذي أُعجب بماله ونفسه وجاهه ، ولم يقبل الحق فهذا لا يساوي عند الله شيئًا ، وإن كان يساوي عند نفسه شيئًا كبيرًا ، فإنه لا يساوي عند الله شيئًا ، قال تعالى : ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾ [(3)] ، يعني : هؤلاء حصلوا على الهداية دوننا ؛ وهم بهذه الحالة من الفقر والفاقة والحاجة ، نحن أعز منهم ، ونحن أكبر منهم ، هذا بزعمهم ؛ لأن المقاييس عندهم مقاييس الغنى والثروة والجاه ، وليس مقاييس القلوب والأعمال ، أما المقاييس عند الله - جل وعلا - فهي بالقلوب والأعمال ﴿ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ﴾ [(4)] . والله - جل وعلا - يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي هذا الدين إلا لمن يحب ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾ [(5)] .

التفرق والاختلاف من أعظم الفتن

كذلك من أعظم الفتن فتنة التفرق والاختلاف ، وظهور الفرق والجماعات ، هذا من أعظم الفتن ، وهذا شيء أخبر عنه النبي ﷺ فإنه ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : ﴿ وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٤) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) .
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنا موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ﴾ [1] . السمع والطاعة ، يعني : لولاة أمور المسلمين ؛ لما في ذلك من اجتماع الكلمة ، وقوة الأمة ، وهيبة الأمة أمام أعدائها ، إذا اجتمعت تحت قيادتا ، وتحت ولايتها المؤمنة ، فإن ذلك يجعل للأمة هيبة وقوة ﴿ والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ﴾ [2] ، يعني : لا تحتقروا ولي الأمر مهما كان ، بل اسمعوا وأطيعوا ، ما دام أنه يأمر بطاعة الله ﴿ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ﴾ [3] هذا خبر منه ﷺ بوقوع الاختلاف بين المسلمين ، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى ، فلا بد أن يقع ما أخبر به ﷺ إن عاجلًا وإن آجلًا ، ﴿ فسيرى اختلافًا كثيرًا ﴾ [4] ما قال : سيرى اختلافًا ، فقط ، بل قال : " " كثيرًا " " ، ثم أرشد ﷺ إلى ما ينجي من شر هذا الاختلاف ، فقال : ﴿ فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا با وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴾ [5] .

هكذا أخبر ﷺ عن وقوع الاختلاف في الآراء والأفكار ، والمذاهب والجماعات والفرق ، لكنه أوصى عند ذلك بالتمسك بكتاب الله وسنته ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدين ؛ فإن ذلك ضمانة النجاة لمن عمل به ، أما من أفلتت يده من سنة رسول الله ﷺ ومنهج الخلفاء الراشدين ، فإنه سيقع مع هذه الفرق المختلفة . وكان ﷺ يقول في خطبه ومحادثاته : ﴿ إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتا ، وكل بدعة ضلالة ، وعليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة ، ومن شذ

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) البخاري الأحكام (٦٧٢٣) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٠) ، أحمد (١١٤/٣) .

(٣) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٤) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٥) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

شذ في النار ﴾ [1] ، فبين ﷺ أسباب النجاة من الفتن وهي : التمسك بكتاب الله ، والتمسك بدي رسول الله ﷺ والحذر من محدثات الأمور ، ﴿ إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ﴾ [2] ، ثم قال : ﴿ وعليكم بالجماعة ﴾ [3] .

هذا أيضًا من أسباب النجاة ، أن المسلم عند ظهور الافتراق والاختلاف ، والجماعات المتنوعة ، يكون مع الجماعة ، يكون مع جماعة المسلمين ، الجماعة التي كانت تسير على خطى الرسول ﷺ وعلى منهج الرسول ﷺ ولا يسير على منهج المتكلمين ، أو الجدليين ، أو المبتدعيين ، وإن تسموا بأسماء براقة خداعة ، إلا أنها لا تغر أهل الإيمان ، فأهل الإيمان يأخذوا بما أوصى به الرسول ﷺ ﴿ وعيكم بالجماعة ﴾ [4] جماعة المسلمين .

وهذا مثل قوله ﷺ في حديث افتراق الأمة ، قال : ﴿ افترقت اليهود على إحدي وسبعين فرقة ، وافترقت اليهود على اثنين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [5] .

هذا مثل قوله : ﴿ وعليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة ﴾ [6] ، فالجماعة : هي التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، ولو كانت قليلة ، ليس من

---

(١) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣٧١/٣) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .
(٢) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣٧١/٣) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .
(٣) أحمد (٢٣٣/٥) .
(٤) أحمد (٢٣٣/٥) .
(٥) ابن ماجه الفتن (٣٩٩٣) ، أحمد (١٤٥/٣) .
(٦) أحمد (٢٣٣/٥) .

شرط الجماعة أن تكون كثيرة ليست دليلًا على الحق ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ (١) .

ما داموا يتبعون الظن فإنهم يضلون عن سبيل الله ، ولو كانوا آلاف الألوف ، أو مئات الألوف ، أما من كان على الحق فإنه هو الجماعة ، وهو الفرقة الناجية المنصورة ، وهو الطائفة المنصورة ، ما دام أنه على الحق ، ولو كان واحدًا أو عددًا قليلًا ، هم الفرقة الناجية ، وهم الطائفة المنصورة وهم أهل السنة والجماعة وكما قال رسول الله ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ﴾ (٢) ، ولكن هذا يحتاج إلى صبر .

فالتمسك بما عليه الرسول ﷺ والتمسك بما عليه الجماعة ، الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، يحتاج إلى الصبر ، خصوصًا في آخر الزمان ؛ لأنه في آخر الزمان المتمسك بسنة الرسول ﷺ الملازم لجماعة المسلمين يلقى مشقة عظيمة كما جاء في الحديث : ﴿ أنه يحصل في آخر الزمان فتن ، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر ، أو على خبط الشوك ﴾ (٣) ، يحتاج إلى صبر ، وقال ﷺ : ﴿ المتمسك بسنتي عند فساد أمتي ، له أجر خمسين ، قالوا : منا أو منهم يا رسول الله ؟ قال : بل منكم ﴾ (٤) .

يعني : من الصحابة ؛ لأن الصحابة كانوا مع الرسول ﷺ وكان المناصر لهم كثيرًا .

لكن المتمسك بالسنة في آخر الزمان ، وعند ظهور الفتن ، ليس له أنصار ، بل أكثر الناس أضداد له ، حتى من الذين يدعون أنهم على الإسلام يكونون أضداد له ، يخجلونه ويوبخونه ويخطئونه ، فيحتاج إلى صبر ؛ فلذلك صار له هذا الأجر العظيم ؛ بسبب ثباته على الحق عند ظهور الفتن وكثرة العوارض ، ووصفهم رسول الله ﷺ بـ : الغرباء ،

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦ .

(٢) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، أحمد (٩٣/٤) .

(٣) الترمذي الفتن (٢٢٦٠) .

(٤) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٥٨) ، ابن ماجه الفتن (٤٠١٤) .

قال : ﴿ طوبى للغرباء ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس ﴾ [(١)] ، وفي رواية : ﴿ يصلحون ما أفسد الناس ﴾ [(٢)] ، فهذا يطلعنا على أمر عظيم سيحصل في آخر الزمان ، فعلينا أن نسأل الله - سبحانه وتعالى - الثبات ، والوفاة على الإسلام ، وعلينا مع ذلك أن نجدّ في معرفة الحق وأهله ، ومعرفة الباطل وأهله ؛ حتى نكون مع الحق ومع أهله ، ونحذر من الباطل وأهله ، وذلك إنما يحتاج إلى الفقه في الدين .

هذا لا يتأتى من جاهل ، إنما يتأتى ممن رزقه الله الفقه في الدين ، والبصيرة بالعلم النافع ، الذي يميز به بين الهدى والضلال ، وبين الغي والرشد ، وبين الحق والباطل ، فالنجاة من هذه الفتن العظيمة عزيزة ؛ وأنتم ترون الآن ما يموج به العالم من فتن عظيمة .

تقارب العالم الآن من الفتن

من الفتن : أن العالم الآن تقارب ، فصار ما يحدث في أقصاه يصل إلى أقصاه بسرعة ، ينتقل ما يحدث من الشر ، ومن الفسوق والمعاصي - ينتقل بواسطة الوسائل الحادثة الآن ، حتى يدخل في البيوت المغلقة ، وحتى يصل إلى البادية في البر ، في بيوت الشعر ، بواسطة هذه الوسائل ؛ وينظرونه كأنهم حاضرون في المكان الذي حدث فيه ، لا ، بل قد يكون أوضح من المكان الذي حدث فيه هذا الشر .

هذا من الابتلاء والامتحان ، يموج العالم الآن بالفتن ، فتن الشهوات ، وما أكثرها ، وفتن الشبهات والضلالات والإلحاد ، وما أكثر ذلك ! وكل هذا يُصَدّر إلى العالم ، أقصاه وشرقه وغربه ، جنوبه وشماله ، إلا من رحم الله - سبحانه وتعالى - .

هذا يحتاج من الإنسان إلى بصيرة ، يحتاج إلى أخذ الحيطة ، يحتاج إلى معرفة هذه الأضرار الوافدة ؛ حتى يتجنبها ، أما الإنسان الذي ليس عنده بصيرة ، وليس عنده علم ، وليس عنده فقه ، ربما يعتبر هذا من الرقي ومن التقدم . بعضهم يعتبر هذا من النعم ، وأن

---

(١) أحمد (٤/٧٤) .

(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٣٠) .

هذه وسائل ثقافية ، ووسائل رفاهية ، وما يدري ما ينطوي عليه هذا الأمر من الخطورة ، وما يحمله من الشر . فالأمر عظيم جدا ، والفتن الآن - كما ترونا - تعرض على الناس ، تعرض على القلوب ، كما قال ﷺ : ﴿ تعرض الفتن على القلوب عودًا عودًا ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، حتى يصبح قلبًا مجخيا ، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ، إلا ما وافق هواه - أو - ما أشرب من هواه ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، فهو قلب لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ﴾ [(١)] .

فالفتن هذه تعرض على قلوب الناس ، فأي قلب أنكرها ؟ ولكن القلب الذي ينكرها هو القلب الفقيه المتفقه في كتاب الله ﷻ الذي يعرف حكم الله في هذه الأمور ، أما الجاهل فقد تنطلي عليه ، وقد يُعجب بها ، ويعتبرها من الحضارة والرقي ، وأن الابتعاد عنها يُعتبر من الجفاء والجلافة كما يقولون .

والحق : أنه لا عاصم من هذه الفتن إلا ما جعله الله - سبحانه وتعالى - عاصمًا منها ، وهو كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ [(٢)] ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [(٣)] ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ ﴾ [(٤)] ، وقال - سبحانه وتعالى - في أول سورة البقرة - التي هي ثانية سورة في المصحف الشريف - قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢

(١) مسلم الإيمان (١٤٤) ، أحمد (٥/٣٨٦) .
(٢) سورة إبراهيم آية : ١ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٣ .
(٤) سورة الإسراء الآيتان : ٩ - ١٠ .

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [1] .

ذكر الله في مطلع هذه السورة أن هذا القرآن هدى للمتقين ، للمتقين خاصة ، ثم بينهم بيّن من هم المتقون ؟ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ [2] ، ثم حكم لهم بالفلاح والهداية ، ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [3] ، ثم ذكر الصنف الثاني : وهم الكفار ، والصنف الثالث : وهم المنافقون .

ذكر الله - سبحانه وتعالى - أن البشر عند هذا القرآن ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الذين آمنوا به ظاهرًا وباطنًا ، وهم : المتقون ، وذكر الله من أوصافهم ما ذكر .

ثم ذكر **القسم الثاني :** وهم الذين كفروا بذا الكتاب ظاهرًا وباطنًا ، وهم الكفار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ [4] ، هؤلاء كفروا بالقرآن باطنًا وظاهرًا ؛ فختم الله على قلوبم ؛ عقوبة لهم ، فأصبحت لا تقبل الحق بعد ذلك .

والقسم الثالث : الذين آمنوا بالقرآن ظاهرًا وكفروا به باطنًا ، وهم : المنافقون ، وذكر الله فيهم بضع عشرة آية : من قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

(١) سورة البقرة الآيات : ١ - ٥ .
(٢) سورة البقرة الآيتان : ٣ - ٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٥ .
(٤) سورة البقرة الآيتان : ٦ - ٧ .

وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [1] .. إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠ ﴾ [2] .

الحاصل : أن كتاب الله فيه الهدى والنور ، يحتاج منا إلى تدبر ، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [3] ، فمن يريد النجاة من هذه الفتن فعليه بكتاب الله عليه بكتاب الله ، ماذا ؟ يجعله عنده ؟

يشتري المصحف يجعله عنده ! ؟

عليه أن يقرأه ويعمل بما فيه ؛ فهو المصدر الأول للهداية والنجاة من الشرور في الدنيا والآخرة ، في هذا القرآن العظيم تدبره ، الإكثار من تلاوته ، والإكثار من العمل به ؛ من أجل أن يكون واقيًا لك من هذه الفتن والشرور .

وكذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها تفسر هذا القرآن ، وتبينه ، وتوضحه ، وتدل عليه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [4] ، والنبي ﷺ يقول : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله ، وسنتي » ، هذا الأمانة والضمانة من الفتن لمن تمسك بهما .

وأخبر ﷺ في أحاديث : « إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » [5] ، يبيع دينه بعرض من الدنيا : يؤثر الدنيا على الآخرة ؛ فينساق مع الدنيا : يترك الصلاة ، يمنع الزكاة ، يعصي الله ورسوله ، ويطيع الشيطان وأعوان الشيطان ؛ فيبيع دينه بعرض من الدنيا . نسأل الله العافية من هذه الفتن العظمية .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٨ - ٩ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠ .
(٣) سورة ص آية : ٢٩ .
(٤) سورة النجم الآيتان : ٣ - ٤ .
(٥) مسلم الإيمان (١١٨) ، الترمذي الفتن (٢١٩٥) ، أحمد (٢/٣٩٠) .

والفتن تشتد ، كلما تأخر الزمان تشتد الفتن ، إلى أن تأتي الفتن الكبار المتتابعة إلى أن تقوم الساعة . فالإنسان يعايش الفتن في هذه الدنيا ، يعايشها خصوصًا أهل آخر الزمان أكثر معايشة للفتن ، وتكون الفتن في عهدهم أكثر ، لقرب قيام الساعة ونهاية الدنيا .

معايشة الإنسان الفتن حتى عند الموت

فالإنسان يعايش الفتن حتى عند الموت . الإنسان يفتتن حتى عند الموت ، وقد يختم له بخاتمة طيبة ، وقد يختم له بخاتمة سيئة والعياذ بالله ، وكذلك يفتن حتى في القبر ، إذا وضع في قبره يفتتن : ﴿ يأتيه ملكان فيقعدانه ، ويسألانه : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ والسعادة والشقاوة تتوقف على الجواب . فإن قال : ربي الله ، والإسلام ديني ، ونبيي محمد ﷺ فإنه ينادي مناد : أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، فيفتح له من الجنة ، ويأتيه من روحها وطيبها ، وينظر إلى مساكنه في الجنة ، ويقول : يا رب ، أقم الساعة ؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي ويوسع له في قبره مد بصره ﴾ [1] ، وأما إذا لم يستطع الجواب فإنه يقول : ﴿ هاه ، عند كل سؤال يقول : هاه ، لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ﴾ [2] ، ما كان يعمل عن اقتناع وعن إيمان ، وإنما كان يوافق الناس تقليدًا فقط ، أو من أجل طمع الدنيا ، منافق : يُظهر الإيمان ، ويبطن الكفر ، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ، وهو ما يدري . ﴿ فينادي مناد : أن كذب عبدي ، فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه وينظر إلى مكانه في النار ويقول : يا رب لا تقم الساعة ؛ ﴾ [3] ابتلاء وامتحان حتى في القبر .

---

(١) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أحمد (١٢٦/٣) .

(٢) البخاري العلم (٨٦) ، مسلم الكسوف (٩٠٥) ، أحمد (٣٤٦/٦) ، مالك النداء للصلاة (٤٤٧) .

(٣) أبو داود السنة (٤٧٥٣) ، أحمد (٢٨٨/٤) .

فالعبد ابن آدم معرض للفتن ؛ في حياته ، وعند مماته ، وفي قبره ، ولكن كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ ﴾ [3] ، يعني : بسبب صبركم على دينكم ، وثباتكم على الحق في الحياة الدنيا ، نلتم هذه الكرامة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ ﴾ [4] ، ما حصلوا هذا الشيء عفوًا إنما حصلوه نتيجة صبر وثبات وإيمان بالله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [5] .

وأما الكافر - والعياذ بالله - فيقول الله تبارك وتعالى عنه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ [6] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

(٢) سورة فصلت الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(٣) سورة الرعد الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٤) سورة الرعد آية : ٢٤ .

(٥) سورة الرعد آية : ٢٤ .

(٦) سورة الأنفال الآيتان : ٥٠ - ٥١ .

مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [(١)] . فالإنسان يعايش الفتن إلى آخر لحظة من حياته ، بل وعند وضعه في قبره ، فالأمر يحتاج إلى اهتمام ، فالفتن عظيمة ، والنجاة أولًا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، لكن لا يحصل التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا بالتفقه في دين الله ﷻ فالتفقه في دين الله لا يحصل عفوًا وأماني . كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [(٢)] .

العلم لا يحصل بكثرة القراءة أو كثرة الكتب ، أو كثرة المطالعة ، لا يحصل العلم بذا ، إنما يحصل العلم بالتعلم على أهل العلم ، وتلقي العلم عن العلماء . فالعلم بالتلقي لا تلقائيًا ، كما يظن بعض الناس اليوم ، بعض الناس اليوم يقتنون كتبًا ، ويقرأون في كتب الحديث ، والجرح والتعديل ، والتفسير ، وكذا وكذا ويزعمون أنهم بذلك حصلوا على علم . لا ، هذا علم لم يبن على أساس ولا على قواعد ؛ لأنه لم يتلق عن أهل العلم ، فلا بد من الجلوس في حلق الذكر ، وفي فصول الدراسة عن المتعلمين الفقهاء العلماء ، ولا بد من الصبر على طلب العلم .

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ... تجرع كأس الجهل طول حياته

لا بد من الصبر ، والعلم لا يحصل بالقراءة ، ولا يحصل تلقائيًا ، وإنما يحصل تلقائيًا على أيدي العلماء الصالحين ، الفقهاء العارفين ، الذين يبصرون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فلا بد من الانتظام في سلك التعليم ، ولا بد من أخذ العلم من أبوابه والدخول من الأبواب ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة الأنعام الآيتان : ٩٣ - ٩٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ٧٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٩ .

فالعلم له أبواب ، وله حملة ، وله معلمون ، فلا بد - أيها الإخوان - من انضمامكم لحلق التدريس ، سواء كانت في المساجد ، أو في المدارس ، أو في المعاهد ، أو في الكليات . المهم أن نأخذ العلم عن العلماء ، ما داموا موجودين وما دامت الفرصة ممكنة .

أما أن نفترق وكل واحد يجلس في غرفة ، ويجعل مكتبة ويطالع فيها ؛ وهو لم يبن على أساس ، ولم يتعلم قواعد العلم ، فهذا يضيع ، فلا بد من التفقه في دين الله على أيدي الفقهاء .

لزوم جماعة المسلمين والابتعاد عن الانتماء إلى الفرق والجماعات من أسباب النجاة

كذلك - كما أشرنا - من أسباب النجاة : لزوم جماعة المسلمين والابتعاد عن الانتماء إلى الفرق والجماعات المخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة ، لأن الرسول ﷺ يقول في الفرقة الناجية : ﴿ هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [1] ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾ [2] ، الذين اتبعوهم بإحسان : اتبعوا السابقين الأولين ، ويقول جل وعلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [3] ، يعني : بعد المهاجرين والأنصار ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [4] .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .
(٢) سورة التوبة آية : ١٠٠ .
(٣) سورة الحشر آية : ١٠ .
(٤) سورة الحشر آية : ١٠ .

أما إذا افترق الإنسان مع الفرق المخالفة ، وصار يسب الصحابة ، أو يجهل العلماء ، أو يجهل الأئمة أو يغلطهم ، فهذا لن يصل إلا إلى الضلال إلا إن تداركه الله برحمته ، وتاب إلى الله ، وعاد إلى جماعة المسلمين والفرقة الناجية ، ليس هناك إلا فرقة واحدة هي الناجية ، قال رسول الله ﷺ في الفرق الثلاث والسبعين : ﴿ كلها في النار ﴾ [1] ، وكونها في النار يختلف باختلاف ابتعادها عن الحق ، فمنهم من هو كافر ، ومنهم من هو ضال ، ومنهم من هو فاسق ، المهم أن الكل منهم متوعد بالنار ﴿ إلا فرقة واحدة ، ﴾ [2] قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ﴿ من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [3] ، الطريق واحد والجماعة واحدة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [4] ، صراط واحد فقط ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ ﴾ [5] ، السبل الضالة كثيرة ليس لها عدد .

والآن ترى الفرق والجماعات كثيرة ليس لها عدد ، لكن جماعة أهل السنة والجماعة واحدة ، من عهد النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، كما قال ﷺ : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ﴾ [6] .

نعم ، سيكون هناك من يهون من شأنم ، من يجهلهم ، من يستغفلهم ، من يقول : هؤلاء ناس صالحون ، ولكن ما يعرفون الواقع ولا يعرفون كذا . كل هذا يجب على

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .
(٢) ابن ماجه الفتن (٣٩٩٢) .
(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٦) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

المسلم أن لا يلتفت إليهم ﴿ من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ [(١)] ، لا نجاة إلا بذا : لزوم جماعة المسلمين .

﴿ وعليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة ﴾ [(٢)] ، والنبي ﷺ في أكثر من حديث حثنا على أن نكون مع الجماعة المتمسكة بطريقة النبي ﷺ وطريقة أصحابه ، وطريقة سلف هذه الأمة ، لأن سلف هذه الأمة هم أدرى وأقرب إلى الحق ممن جاء بعدهم ، ولهذا أثنى ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة ، قال : ﴿ خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ﴾ [(٣)] ، **قال الراوي :** لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة . ثم أخبر ﷺ أن الأمر سيتغير بعد هذه القرون ، وأن الأمر سيحدث فيه ما يحدث ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ فبعد انتهاء عهد القرون المفضلة حصل في الأمة ما حصل من الفتن ، ومن الدخيل ، ومن المذاهب المختلفة ، ولم يبق على الحق إلا جماعة المسلمين الذين تمسكوا بما كان عليه السلف الصالح ، ودعاة التجديد الذين يجددون هذا الدين لهذه الأمة ، ومن تبعهم وسار على نهجهم ، وهذا من نعم الله أن الخير يوجد ، مهما كثر الشر فإن الخير يوجد ، من أجل أن يرجع إليه من أراده ، ولأجل أن تقوم حجة الله جل وعلا على خلقه ، فمهما كثرت الفتن ومهما كثرت الشرور ، إلا أن الحق موجود والحمد لله .

لا نقول : إن الأمة الإسلامية غائبة ، كما يقول بعض الكتاب ، أو بعض الخطباء ، الأمة الإسلامية موجودة ولله الحمد ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ﴾ [(٤)] ، لكن الشأن بالرجوع إليها والانضمام لها .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن يعرفون الحق ويعملون به ويتمسكون به .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) أحمد (٢٣٣/٥) .

(٣) البخاري الشهادات (٢٥٠٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٢) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٩) ، أبو داود السنة (٤٦٥٧) ، أحمد (٤٢٧/٤) .

(٤) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

كثرة الدعاء من أسباب النجاة

بقيت نقطة أخيرة في الموضوع :

و هي أن من أسباب النجاة من الفتن - أيضًا - كثرة الدعاء ، وأن المسلم يكثر من الدعاء ، بأن يحميه الله من الفتن ، فقد قال ﷺ : ﴿ استعيذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ﴾ [(1)] ، وكان ﷺ في التشهد الأخير يستعيذ بالله من أربع ، ويأمر بذلك ، يقول : ﴿ استعيذوا بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال ﴾ [(2)] .

فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء : أن يقيه الله من شر الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يلح على الله - سبحانه وتعالى - ويكثر من الدعاء ، فإن الله - سبحانه وتعالى - قريب مجيب ، من لجأ إليه حماه ، ومن استعاذ به أعاذه ، ومن دعاه استجاب له ، وهو يـ ل - سبحانه وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ويقول : ﴿ هل من سائل فأعطيه ، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ﴾ [(3)] ، وقد فتح بابه - سبحانه وتعالى - للسائلين ، الليل والنهار ، ولكن هذه زيادة ، زيادة فرصة يعطيها الله لعباده ، رحمة بم .

فالمسلم يكثر من دعاء الله ﷻ في كل وقت ، ولا سيما في الحالات الفاضلة ، والأوقات الفاضلة . الحالات الفاضلة ، كالسجود ، قال ﷺ : ﴿ وأما السجود فأكثروا

---

(1) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٧) .

(2) الترمذي الدعوات (٣٦٠٤) .

(3) البخاري الدعوات (٥٩٦٢) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨) ، الترمذي الصلاة (٤٤٦) ، أبو داود الصلاة (١٣١٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦) ، أحمد (٤٣٣/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٨٤) .

فيه من الدعاء ، فقِمِنٌ أن يستجاب لكم ﴾ [1] ، وقال ﷺ : ﴿ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء ﴾ [2] ، أو كما قال ﷺ وفي الأوقات الفاضلة مثل : آخر الليل - ثلث الليل الآخر - وآخر ساعة من يوم الجمعة ، وأدبار الصلوات .

الإنسان يلح على الله ولا يغفل ، لا يغفل عن الدعاء ، خصوصًا طلب النجاة من الفتن ، لأنه إذا سلم من الفتن فإنه سلم من كل شر ، إذا سلم من الفتن سلم دينه ، وإذا سلم دينه سلمت عاقبته .

وعلى كل حال : الفتن كثيرة وتتنوع ، والدعاة إلى الفتن أيضًا يكثرون ، ويتدربون ويدربون ، كما قال ﷺ : ﴿ قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ﴾ [3] ، دعاة الفتن يتكلمون بألسنتنا ، وهم من جلدتنا من العرب أكثرهم ، أو من أقاربنا أيضًا . . فعلى الإنسان أن يحذر ولا يغتر . كل من دعا إلى ضلالة أو مخالفة الكتاب والسنة فاحذره ، ولو كان أقرب الناس إليك ، وأخبر ﷺ أن السبل المخالفة لصراط الله على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليه ، شياطين الإنس ، وشياطين الجن يدعون إلى الضلالة ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾ [4] .

والشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ، فهناك دعاة علينا أن نحذر منهم ، وأن نحذر من شبههم ، وعلينا أن نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى أهل العلم ، نسأل عما أشكل علينا ، قال تعالى : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣ ﴾ [5] .

---

(١) مسلم الصلاة (٤٧٩) ، النسائي التطبيق (١١٢٠) ، أبو داود الصلاة (٨٧٦) ، أحمد (٢١٩/١) ، الدارمي الصلاة (١٣٢٥) .
(٢) مسلم الصلاة (٤٨٢) ، النسائي التطبيق (١١٣٧) ، أبو داود الصلاة (٨٧٥) ، أحمد (٤٢١/٢) .
(٣) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٢١ .
(٥) سورة النحل آية : ٤٣ .

ونحن نسأل الله في كل ركعة من صلاتنا حينما نقرأ فاتحة الكتاب التي هي ركن من أركان الصلاة ، قراءتا ركن من أركان الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ (١) .

نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم ، وطريق أهل الضلال ، المغضوب عليهم : هم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، والضالون : هم الذين يعملون بدون علم . والمنعَم عليهم : هم أهل العلم والعمل ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝ ﴾ (٢) .

فمن وفق لصراط الله صارت رفقته هؤلاء الأخيار ، ومن حاد عن صراط الله صارت رفقته المغضوب عليهم والضالين . نسأل الله العافية .

هناك كلمة قالها إمام دار الهجرة مالك بن أنس - رحمه الله - وهي كلمة عظيمة ينبغي للمسلم أن يتبصر با ويتأملها ، قال - رحمه الله - : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) .

ما هو الذي أصلح أولها ؟ هو الكتاب والسنة ، واتباع الرسول ﷺ كذلك آخر هذه الأمة حينما يكثر الشر والضلال والفرق والجماعات ، لا يصلحها إلا ما أصلح الجيل الأول ، وهو موجود ولله الحمد ، الذي أصلح الجيل الأول موجود بين أيدينا ، وهو كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ والرجوع إلى العلماء المختصين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ ليبينوا لنا ما أشكل علينا .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، وأسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم ، وأن يجنبنا وإياكم طريق المغضوب عليهم والضالين من أصحاب الجحيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(١) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

(٢) سورة النساء آية : ٦٩ .

تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد الله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بديه .

أما بعد : فقد استمعتم إلى هذه المحاضرة القيمة التي ألقاها صاحب الفضيلة الشيخ صالح الفوزان ، في موضوع عظيم جدير بالعناية ، وهو موضوع التفقه في الدين ، والسير على منهج سلف الأمة من الصحابة وأتباعهم بإحسان ، وتلقي ذلك عن أهل العلم والإيمان من أهل السنة والجماعة .

ولقد أجاد وأفاد - ضاعف الله مثوبته - وأبان ما ينبغي بيانه في هذا الموضوع العظيم ، وإني أؤيد ما ذكره فضيلته في هذا المقام ، فكل مؤمن وكل مؤمنة في هذه الدنيا في أشد الحاجة إلى التفقه في الدين والتبصر ؛ حتى يعلم حكم الله في جميع أعمال المكلفين ، وحتى يسير على بصيرة ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتفقه في الدين : بالعناية بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، كما تفقه من قبلنا من الصحابة ومن بعدهم .

سبيل السعادة وسبيل النجاة : هو السبيل الذي سلكه المؤمنون السابقون من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان ، كما قال الله - جل وعلا - : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [(١)] .

فصراط الله : هو العلم والعمل ، وهو العلم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ والعمل بما ، هذا هو العلم وهذا هو الصراط ، وهذا هو الهدى ، وهذا هو الإسلام ، وهذا هو

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

البر ، وهذا هو التقوى ؛ ولهذا قال - سبحانه وتعالى - في سورة الفاتحة : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [1] .

علمنا ربنا نطلب هذا الأمر ، أن نطلب منه الهداية إلى صراطه المستقيم وصراطه المستقيم : هو العلم بما جاء به رسوله ، والعمل بذلك : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [2] ، فسره بقوله : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [3] ، وهم أهل العلم بما قاله الله ورسوله ، وأهل العمل بذلك ، وهم الصحابة ، أصحاب النبي ﷺ ثم من بعدهم أتباعهم بإحسان ، وعلى رأسهم القرون الثلاثة : قرن الصحابة ، قرن التابعين ، ثم أتباع التابعين ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . . . ﴾ [4] الحديث .

ولا سبيل إلى معرفة هذا الأمر إلا بالتفقه في الدين ، والعناية بالقرآن العظيم والسنة المطهرة ، وتلقي ذلك عن أهل العلم الذين اتبعوا الكتاب والسنة وعظموهما ، وساروا عليهما .

فالعلم : قال الله ﷻ وقال رسوله ﷺ وقال الصحابة ، ليس العلم : رأي فلان ورأي فلان ، ولا بد من تلقي العلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن حملة هذا العلم وهم أهل السنة والجماعة ، والسائرون على نهج الصحابة وأتباعهم بإحسان .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٦ .

(٢) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٤) البخاري الشهادات (٢٥٠٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٨٥٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢) ، أحمد (٤٣٤/١) .

ولهذا يقول جل وعلا : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [1] ، ثم بين الطريق الأخرى الضالة التي يجب الحذر منها ، فقال : ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [2] .

فالمغضوب **عليهم :** هم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه ؛ كاليهود وأشباههم ، **والضالون :** هم الذين ساروا على جهالة وضلالة على غير علم ؛ كالنصارى وغيرهم .

فالمنَعم عليهم والمؤمنون الصادقون ، أهل السنة والجماعة ، **والفرقة الناجية :** هم الذين عرفوا الحق وعملوا به ؛ بأدلته الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة ، وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم المنَعم عليهم ، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ، وهم المراد في قولـه جل وعلا : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ﴾ [3] ، وهم المراد في قولـه جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ ﴾ [4] ، وهم المراد في قولـه تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧ ﴾ [5] .

فالواجب في جميع المسلمين - رجالًا ونساء هو السير على هذا المنهج ، والتفقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من طريق علماء الحق ، مثل ما قال مالك بن أنس - رحمه الله -

---

(١) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٧ .
(٣) سورة النساء آية : ٦٩ .
(٤) سورة الانفطار آية : ١٣ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

إمام دار الهجرة في زمانه كلمة قالها سمعتموها ، وتبعه أهل العلم فقالها أهل العلم بعده وهي " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها " ، والذي أصلح أولها هو تمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وسيرهم على ذلك ، والتواصي بذلك ، والتعاون في ذلك هذا هو الذي ساروا عليه ، وهو الذي أصلحهم الله به ، ولن يصلح آخرهم إلا ذلك .

وفي حديث حذيفة ﷺ الذي أشار إليه المحاضر الشيخ صالح سأل عنه رسول الله ﷺ قال ﷺ : ﴿ كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني قلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، فقلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر - تعرف أشياء وتنكر أشياء - فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها ، قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ؟ قال : قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا هم دعاة على أبواب جهنم - (ألسنة عربية ويترجمها الآخرون إلى اللغات الأخرى) - قلت : يا رسول الله ، ما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم (جماعة المسلمين الذين ساروا على نهج الصحابة الذين وصفهم ﷺ بما تقدم) ، قال : قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ﴾ [1] رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين .

وسأل عمرو بن ميمون - التابعي الجليل - عبد الله بن مسعود ﷺ عن الجماعة ، فقال له عبد الله : (الجماعة : ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك) ، إذا وافقت الحق فأنت الجماعة ، فالجماعة : ما وافق الحق وإن كنت وحدك ، فالجماعة : هم الذين

(١) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٤) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) ، أحمد (٥/٣٨٧) .

يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ، ويسيرون على نهج السلف الصلح ؛ من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان ، وهم الطائفة المنصورة ، وهم الفرقة الناجية التي قال فيها النبي ﷺ : ﴿ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي ، وفي رواية أخرى قال : هم الجماعة ﴾ [1] ، هي الجماعة ، الفرقة الناجية : هي الجماعة ؛ لأنها هي التي اجتمعت على الحق وسارت عليه ، من عهده ﷺ وبعده هؤلاء هم الفرقة الناجية ، وهم المراد في قوله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [2] .

وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود ﷺ : ﴿ قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطا مستقيمًا ، وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله وقال : هذه السبل ، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ [3] ﴾ .

فالفرقة الناجية : هم أهل السنة والجماعة ، هم الطائفة المنصورة ، شيء واحد ، رجالهم ونساؤهم ، وعلماؤهم وعامتهم ، هم الفرقة الناجية ، السائرون على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ من الجن والإنس ، من العرب والعجم ، من الرجال والنساء من جميع الطبقات ، هم أهل السنة والجماعة ، هم الفرقة الناجية وإن تفاوتوا في العلم والفضل ، وقول بعض السلف : إنهم أهل الحديث ، وقول بعضهم : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ ! وقولـه بعض السلف : إنهم العلماء ، ليس معنى أنهم طائفة أخرى . العلماء هم رؤوسهم ، وأهل الحديث هم رؤوسهم ، وأئمتهم :

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤٠) ، أبو داود السنة (٤٥٩٦) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩١) ، أحمد (٣٣٢/٢) .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

الصحابة . أصحاب النبي ﷺ هم الأئمة ، ثم يليهم أئمة الحديث ، وفقهاء الأمة وعلماؤهم هم الأئمة ، وهم القدوة ، هم الذين يوضحون الطريق للناس .

وقول بعض العلماء : إنهم أهل الحديث ، وقولـهم : إنهم العلماء ليس معناه : أنهم طائفة أخرى . هم أهل الحديث ، وهم العلماء ، وهم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن سار على نهجهم ، ومن تابعهم وسار على طريقهم . هم الفرقة الناجية ، لكن أخصهم وأفضلهم وأئمتهم : هم أئمة الحديث ، الذين علموا الناس الخير ، وهدوهم إليه ، وأرشدوهم إليه ، أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم من السلف ، وهم العلماء : علماء الحق الذين عرفوا الحق وعملوا به ودعوا إليه ، هم أئمة الفرقة ، هم رؤساؤها ، هم قادتنا ، ويدخل فيهم أتباعهم العامة التابعين لهم ؛ من زوجاتهم ، وأمهاتهم ، وبناتهم ، وإخوانهم ، وسائر نساء أهل سبيلهم من المسلمين ، وإن كانوا عامة ، وإن كانوا ليسوا علماء ، هم داخلون في هذه الفرقة إذا ساروا على نهجهم ، وتابعوهم بالحق ، واستقاموا على دين الله . أما المخالفون فهم طوائف لا تحصى ، ثنتان وسبعون ، كلها ترجع إلى ثنتين وسبعين فرقة ما بين كافر وبين مبتدع وضال ، أقسام : فيهم الكافر ، وفيهم غير الكافر ، لكنهم متوعدون بالنار ؛ لكونهم حادوا عن الطريق السوي ؛ لأنهم خالفوا الحق في أشياء ، فمنهم من خرج عن الإسلام ، ومنهم من لم يخرج ، لكن صار ببدعته على خطر عظيم ، أو بمعصيته على خطر عظيم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين »[1] متفق على صحته من حديث معاوية رضي الله عنه .

فمن علامات الخير وأن الله أراد بالعبد خيرًا رجلًا كان أو امرأة ، عربيا أو عجميا - من علامات أن الله أراد به الخير : أن يتفقه في الدين ، من طريق القرآن والسنة ، هذا التفقه في الدين ، ومن طريق أهل العلم بالكتاب والسنة ، لا من طريق أهل البدع والجهلة ، من طريق أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، إذا رأيت

(١) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢١) ، أحمد (٩٣/٤) ، مالك الجامع (١٦٦٧) ، الدارمي المقدمة (٢٢٦) .

الرجل والمرأة - العربي أو العجمي - إذا رأيته يتفقه في الدين ، يسأل عما قاله الله ورسوله ، ويحرص على هذا الشيء ويجتهد ، فاعلم أن الله أراد به خيرًا ، ومن علامات الخير ، وإذا رأيته معرضًا غير راغب في الكتاب والسنة ، غير سائر على ما تضمنه الكتاب والسنة ، فهذه الدلالة العظيمة الواضحة على أن الله ما أراد به خيرًا . نسأل الله العافية .

ويقول النبي ﷺ : ﴿ من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ﴾ [1] .

ويقول : ﴿ العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم ﴾ [2] ، فالعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

فالواجب على طالب العلم وعلى كل مسلم وكل مسلمة التفقه في الدين ، وأن يتعلم ما لا يسعه جهله ، مما أوجب الله عليه ومما حرم الله عليه .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [3] ، يعني : بدين الله .

ويقول جل وعلا : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [4] ، ليس إلى زيد أو إلى عمرو ، ﴿ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [5] إلى الكتاب والسنة ، كما في الآية الأخرى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [6] .

---

(١) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .
(٢) أبو داود العلم (٣٦٤١) ، الدارمي المقدمة (٣٤٢) .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٤) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٥) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٦) سورة النساء آية : ٥٩ .

يجب الرد إلى القرآن ، إلى ما فيه من الآيات الكريمات ، كما بينه الله فيها ، وفيه الهدى والنور ، وفيه الدلالة على كل خير ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [(1)] ، ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [(2)] ، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [(3)] أحال عليه ؛ لأنه بين ، لولا أن فيه العلم والهدى ما أحال عليه - سبحانه وتعالى - ، فيه الهدى والنور ، قال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [(4)] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [(5)] : للطريقة التي هي أقوم الطريق وأهداها ، وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [(6)] ، فالمصيبة هي الإعراض والغفلة وعدم التدبر ، وإلا ففي القرآن الهدى والنور ، وفي السنة إيضاح ما أشكل ، السنة الصحيحة عن النبي ﷺ إيضاح ما أشكل ، وبيان ما قد يخفى كما قال ﷻ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [(7)] ، وقال ﷺ : ﴿ إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ﴾ [(8)] .

من علامات أهل الخير وأهل الحق ، تتبع القرآن والسنة والاهتداء بالقرآن والسنة ، والأخذ بالأمر الواضح ، والتمسك بذلك والسير عليه ، وسؤال أهل العلم : علماء أهل السنة ، يقول ﷺ : ﴿ إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم

---

(١) سورة الإسراء آية : ٩ .
(٢) سورة فصلت آية : ٤٤ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٥ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٥ .
(٥) سورة الإسراء آية : ٩ .
(٦) سورة ص آية : ٢٩ .
(٧) سورة النحل آية : ٤٤ .
(٨) البخاري تفسير القرآن (٤٢٧٣) ، مسلم العلم (٢٦٦٥) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٩٤) ، أبو داود السنة (٤٥٩٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٧) ، أحمد (٦/٢٥٦) ، الدارمي المقدمة (١٤٥) .

بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا ﴾ (١) (٢) هذه النهاية ، نسأل الله العافية ، مثلما قال في حديث حذيفة : قال : ﴿ فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، فاعتزل تلك الفرق كلها ﴾ (٣) .

فطالب العلم يتفقه في الدين من طريق الكتاب والسنة ، ويسأل أهل العلم بالكتاب والسنة عما أشكل عليه بصدق وإخلاص ، وقصد صالح ، ونية طيبة ؛ حتى يهدى ، حتى يوفق ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ﴾ (٤) .

من طلب الحق بنية صالحة وفقه الله ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٥) ، لكن من أعرض ، أعرض الله عنه ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ (٦) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ ﴾ (٧) ، إذا أعرض وغفل ولم يبال فمن عدل الله أن يضله ، وأن يوله ما تولى ؛ لظلمه وجهله وإعراضه ، أما من أقبل على الله وطلب الهداية منه وصدق في ذلك فالله يهديه ويوفقه .

فاجتهد يا عبد الله في الضراعة إليه بصدق أن يمنحك التوفيق ، وأن يهديك صراطه المستقيم ، وأن يعلمك ما ينفعك ، وأن يقيك شر نفسك وهواك ، يقول جل وعلا :

---

(١) البخاري العلم (١٠٠) ، مسلم العلم (٢٦٧٣) ، الترمذي العلم (٢٦٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٥٢) ، أحمد (١٦٢/٢) ، الدارمي المقدمة (٢٣٩) .

(٢) (رواه الإمام مسلم برقم (٢٦٧٣)) .

(٣) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٩) .

(٤) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢١) ، أحمد (٩٣/٤) ، مالك الجامع (١٦٦٧) ، الدارمي المقدمة (٢٢٦) .

(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

(٦) سورة الصف آية : ٥ .

(٧) سورة الكهف آية : ٥٧ .

﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ [1] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [2] .

وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ : ﴿ ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته في الدنيا ، وإما أن تدخر له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك ، قيل : يا رسول الله ، إذن نكثر ، قال : الله أكثر ﴾ [3] .

ويتحرى الأوقات المناسبة التي ترجى فيها إجابة ، مثل ما سمعتم في المحاضرة ، ومثل آخر الليل وقت التنـزل الإلهي ، جوف الليل الآخر ، وآخر الصلاة قبل السلام ، يقول فيه النبي ﷺ : ﴿ ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو في آخر الصلاة ، في السجود ﴾ [4] ، يقول ﷺ : ﴿ . . . فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم ﴾ [5] ، يعني : حري أن يستجاب لكم ، رواه مسلم في (الصحيح) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء ﴾ [6] رواه مسلم أيضًا .

ينبغي الدعاء في السجود ، ولا سيما في التهجد ، وفي الفريضة أيضًا ، تدعو ربك في الفريضة وفي النافلة ، في سجودك ، وفي آخر الصلاة ، تسأل خير الدنيا والآخرة ، وأهم شيء ما فيه صلاح قلبك ، وما فيه هدايتك ، وفي التهجد ، وفي آخر الليل ، في إمكانك

---

(١) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

(٣) أحمد (١٨/٣) .

(٤) البخاري الأذان (٨٠٠) ، مسلم الصلاة (٤٠٢) ، النسائي التطبيق (١١٦٣) ، أبو داود الصلاة (٩٦٨) ، أحمد (٤٣١/١) .

(٥) مسلم الصلاة (٤٧٩) ، النسائي التطبيق (١٠٤٥) ، أبو داود الصلاة (٨٧٦) ، أحمد (٢١٩/١) ، الدارمي الصلاة (١٣٢٥) .

(٦) مسلم الصلاة (٤٨٢) ، النسائي التطبيق (١١٣٧) ، أبو داود الصلاة (٨٧٥) ، أحمد (٤٢١/٢) .

تطول السجود ، وفي إمكانك تطول الدعاء . وهكذا في آخر نار الجمعة بعد العصر ، هكذا وقت الخطبة يوم الجمعة من حين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن تقضى الصلاة ، كلها أوقات إجابة ، بين الأذان والإقامة وقت إجابة .

يتحرى المؤمن ثم يحرص على أكل الحلال ، الطعام الحلال ، اللباس الحلال ، يتحرى الكسب الحلال ؛ لأن الكسب الحرام من أسباب منع الإجابة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . والمعاصي من أسباب منع الإجابة .

والإعراض عن الله والغفلة وعدم المبالاة من أسباب منع الإجابة .

المؤمن يقبل على الله صادقًا مخلصًا ، راغبًا في الحق ، يعلم الله من قلبه الرغبة في الحق والصدق في طلب الحق ، ولا ييأس ، بل يلح في الدعاء ويجتهد في الدعاء في جميع الأوقات ، ويتحرى أوقات الإجابة بصدق ورغبة ، ويحذر أسباب الحرمان من المعاصي ، وأكل الحرام ، والغفلة عن الله ، والدعاء بقلب معرض غافل ، يقبل على الله صادقًا مجتهدًا ، طالبًا للحق ، ويصحب أهل الخير ، ويصاحب أهل الخير ويجتهد في صحبتهم ، وأن يكون معهم ، ويحذر صحبة الأشرار ، فبئس الجلساء ، ويحرص على صحبة الأخيار ، أهل العلم والعمل ، أهل التقوى ، أهل الدين ، يحرص على صحبتهم ، والمخالطة لهم ، والاستفادة منهم .

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه ، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين ، وأن يعيذنا جميعًا والمسلمين جميعًا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير ، وأن يعينهم على كل خير ، وأن يصلح قلوبهم وأعمالهم وبطانتهم ، وأن يوفقهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد ، وأن يعينهم على إزالة كل ما يخالف شرع الله في أرض الله ، وأن يوفق قادة المسلمين في كل مكان .

نسأل الله أن يوفق قادة المسلمين في كل مكان لما يرضيه ، وأن يعينهم على تحكيم شريعته والتحاكم إليها ، والاستقامة عليها ، وإلزام الشعوب بها ، كما أسأله سبحانه أيضًا أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يمنحهم الفقه في الدين ، وأن يعينهم على طاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن يعيذهم من طاعة الهوى والشيطان ، إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

أسئلة ألقيت على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
بعد تعليقه على محاضرة (الفقه في الدين)

المراد بطاعة ولاة الأمر

س١ : ما المراد بطاعة ولاة الأمر في الآية ، هل هم العلماء أم الحكام ، ولو كانوا ظالمين لأنفسهم ولشعوبهم ؟

ج١ : يقول الله ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] . أولو الأمر : هم العلماء والأمراء ، المسلمين وعلماؤهم ، هم أولو الأمر ، يطاعون في طاعة الله وما ليس معصية لله . فالعالم والأمير يطاعون ؛ لأن بهذا تستقيم الأحوال ، ويحصل الأمن ، وتنفذ الأوامر ، وينصف المظلوم ، ويردع الظالم ، أما إذا لم يطاعوا فسدت الأمور ومرجت الأمور وأكل القوي الضعيف . فالواجب أن يطاعوا في طاعة الله ، في المعروف ، سواء كانوا أمراء أو علماء ؛ العالم يبين حكم الله ، والأمير ينفذ حكم الله ، هذا هو الصواب في أولي الأمر ، هم العلماء بالله وبشرعه ، وهم أمراء المسلمين ، عليهم أن ينفذوا أمر الله ، وعلى الرعية أن تسمع لعلمائها في الحق ، وأن تسمع لأمرائها في المعروف ؛ أما إذا أمروا بمعصية ، سواء كان أميرًا أو عالمًا أمر بمعصية ما يطاع ، إذا قال الأمير لك : اشرب الخمر ، لا تطعه ، إذا قال لك : عق والدك ، لا تعق والدك ، إذا قال : كل الربا ، لا تأكل الربا . . وهكذا مع العالم إذا قال لك معصية ، والعالم بالشرع ما يقول هذا ، لكن قد يكون عالمًا فاسقًا .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

المقصود : العالم إذا أمرك بشيء من معاصي الله فلا تطعه في معاصي الله ؛ إنما الطاعة في المعروف يقول النبي ﷺ : ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾ (١) ، لكن لا يجوز الخروج على الأئمة وإن عصوا ، يجب السمع والطاعة في المعروف ، ولكن لا تطعه في المعصية ، ولا تنـزعن يدًا من طاعة ، يقول النبي ﷺ : ﴿ على المرء السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وفي ما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية الله ، فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة ﴾ (٢) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ ومن خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته ميتة جاهلية ﴾ (٣) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ من رأى من أميره شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينـزعن يدًا من طاعة ، فإنه من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية ﴾ (٤) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم ، ويشق عصاكم فاقتلوه ، كائنًا من كان ﴾ (٥) .

فالمقصود : أن الواجب السمع والطاعة في المعروف لولاة الأمور من الأمراء والعلماء ، بذا تنتظم الأمور ، وتصلح الأحوال ، ويأمن الناس ، وينصف المظلوم ، ويردع الظالم ، وتؤمن السبل ، ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصا ، إلا إذا وجد منهم كفر بواح عند الخارجين من الله فيه برهان ، ويستطيعون بخروجهم أن ينفعوا المسلمين ، وأن يزيلوا الظلم ، وأن يقيموا دولة صالحة . أما إذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج ولو رأوا كفرًا بواحًا ، لأن خروجهم يضر الناس ، ويفسد الأمة ، ويوجب الفتنة والقتل بغير حق ، ولكن إذا كان عندهم القدرة ، وعندهم القوة على أن يزيلوا هذا

---

(١) البخاري المغازي (٤٠٨٥) ، مسلم الإمارة (١٨٤٠) ، النسائي البيعة (٤٢٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٥) ، أحمد (١/١٣١) .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٧٩٦) ، مسلم الإمارة (١٨٣٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٦) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٤) ، أحمد (٢/١٤٢) .

(٣) البخاري الفتن (٦٦٤٥) ، مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، أحمد (١/٣١٠) ، الدارمي السير (٢٥١٩) .

(٤) مسلم الإمارة (١٨٥٥) ، أحمد (٦/٢٤) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٧) .

(٥) مسلم الإمارة (١٨٥٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٧٦٢) ، أحمد (٤/٣٤١) .

الظالم ، هذا الوالي الكافر أن يزيلوه ، ويضعوا مكانه واليا صالحًا ينفذ أمر الله ، فعليهم ذلك إذا وجدوا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان ، وعندهم قدرة على إيجاد الحق ، وإيجاد البديل الصالح وتنفيذ الحق .

سن القوانين الوضعية والعمل بها
وكيفية التعامل مع الحاكم في ظل هذه القوانين

س٢ : ما حكم سن القوانين الوضعية ؟ وهل يجوز العمل بها ، وهل يكفر الحاكم بسنه لهذه القوانين ؟

ج٢ : إذا كان القانون يوافق الشرع فلا بأس ، إذا سن قانونًا في الطريق أو في الشوارع ، وفي غير ذلك من الأشياء التي تنفعهم ، في الدوائر لا يخالف الشرع لكن ينفذ الأمور لا بأس ، أما القوانين التي تخالف الشرع لا ، إذا سن قانونًا معناه : أنه لا حد على الزاني ، ولا حد على السارق ، ولا حد على شارب الخمر - هذا باطل ، هذه قوانين باطلة ، وإذا استحلها الوالي كفر ، إذا قال : إنها حلال ، وإنها لا بأس بها ، يكون كفرًا ، من استحل ما حرم الله كفر .

س٣ : كيف يتعامل معه ؟

ج٣ : يتعامل معه في المعروف ، يطاع في المعروف ، لا في المعاصي حتى يأتي الله بالبديل .

الجماعة التي يجب اتباعها والسير في منهاجها

س٤ : تعلم يا سماحة الشيخ ما حل في الساحة من فتن فأصبح هناك جماعات مثل : جماعة التبليغ ، جماعة الإخوان ، والسلفية وغيرهم من الجماعات ، وكل جماعة تقول : إنها هي التي على صواب في اتباع السنة ، فيا شيخ حفظك الله ، أسألك بالله أن تخبرنا من هم الذين على صواب من هذه الجماعات ، ومن نتبع منهم ، وسمهم بأسمهم ؟ وجزاك الله خير الجزاء .

ج٤ : سمعت في المحاضرة وفي التعليق ، من هم الجماعة الذين يتبعون ، الجماعة التي يجب اتباعها والسير في منهاجها ، هم : أهل الصراط المستقيم ، هم أتباع النبي ﷺ هم أتباع الكتاب والسنة الذين يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، أما الجماعات الأخرى فلا تسمع لها إلا إذا وافقت الحق ، سواء كانوا (الإخوان المسلمون) ، أو (جماعة التبليغ) ، أو (أنصار السنة) ، أو من يقولون : إنهم (السلفيون) أو غيرهم ، أو (الجماعة الإسلامية) ، أو فرقة تسمي نفسها شيئًا ، أو سموا أنفسهم بـ (أهل الحديث) ، يطاعون في الحق ، ما قام عليه الدليل يوافقون عليه ، وما خالف الدليل يرد عليهم ، يقال : لا ، هذا غلط منكم ، أو أخطأتم في هذا ، أخطأتم أيها الإخوان ، أخطأتم في هذا الأمر ، نوافق على هذا الأمر الذي وافق الآية الكريمة والحديث الشريف ، وافق إجماع أهل العلم ، وافق أهل السنة والجماعة ، هذا نوافق عليه ؛ أما قولكم : كذا ، أو قولكم : كذا ، أو فعلكم كذا ، فهذا خلاف الحق ، هذا يقولـه لهم أهل العلم ، ما يعرف هذا إلا أهل العلم ، هم الذين يبصرون الجماعات الإسلامية : جماعة التبليغ ، جماعة الإخوان ، جماعة أنصار السنة ، الجماعة السلفية ، إنما يعرف التفاصيل أهل العلم : أهل العلم بالقرآن والسنة ، الذين تفقهوا في الدين من طريق الكتاب والسنة هم الذين يعرفون تفاصيل هذه الجماعات ، وهذه الجماعات عندها حق وباطل ، عندها حق ، ما هي معصومة ، كل واحد ما هو معصوم ، لكن الحق ما قام عليه الدليل ، فما قام عليه الدليل - من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من هذه الجماعات ، أو من مذهب الحنابلة ، أو الشافعية ، أو المالكية ، أو الظاهرية أو الحنفية أو غيرهم - هو الحق ، وما خالف الدليل - من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - يكون خطأ ، وصاحبه إذا كان من أهل الحق مجتهدًا طالبًا للحق يكون له أجران إذا أصاب ، وإذا أخطأ يكون له أجر . وأما الذين يدعون إلى غير السنة ، يدعون إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هؤلاء لا يتبعون ، ولا يقلدون ، ولا ينظر فيهم ويعادون ، كالدعاة إلى الرفض والتشيع ، ضد أهل السنة والجماعة ضد الصحابة ، ويسبون الصحابة ، ويدعون بزعمهم كذبًا وزورًا إلى

اتباع أهل البيت ، هذا باطل ؛ لأن أهل البيت هم من أهل السنة والجماعة ؛ علي رضي الله عنه والحسن والحسين وأهل البيت المعروفين بالخير هم من أهل السنة على طريق الصحابة ، هم من جنس ما عليه أبو بكر وعمر ، فالذي يخالف أهل البيت ، ويزعم أنهم يعلمون الغيب أو أنهم يعبدون من دون الله ، بالدعوة من دون الله ، أو أن ينبغي أن يقام على قبورهم مساجد أو قباب ، هذا غلط ، هذا باطل ، لا يقلدون ولا يتبعون ، هؤلاء يعتبرون من أهل الباطل دون شك . نسأل الله العافية .

وهكذا العلمانيون الذين يدعون إلى الرأي وإلى ما يخالف شرع الله ، يدعون إلى أهوائهم وإلى ترك الكتاب والسنة ، وإنما يتبع ما يهواه الناس وما يريدونه ، وما يصلح لهم في دنياهم ، هؤلاء يجب أن يحاربوا ، ما يطاعون ، إنما يطاع ويتبع من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ووافق الحق : أصاب في الحق ، فإذا أخطأ لا يقال له : أحسنت إذا أحسن ، وأخطأت إذا أخطأ ، ويتبع في الصواب ، ويدعى له بالتوفيق . وإذا أخطأ يقال : أخطأت في كذا ، وخالفت الدليل الفلاني ، والواجب عليك التوبة إلى الله والرجوع إلى الحق ، هذا يقوله أهل العلم ، أهل البصيرة ، أما العامي يسأل أهل العلم بالله ، أهل العلم بالكتاب والسنة المعروفين الذين يتبعون الكتاب والسنة ، لا يدعون إلى إلحاد وإلى رفض ، أو إلى مثل المتكلمين من الجهمية وغيرهم ، أو إلى غير هذا من مذاهب أهل الباطل ، إنما يتبع من يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالدليل ، بالبصيرة ، ويسأل أهل العلم عنهم ، الذين عرفوا بالكتاب والسنة ، يسألهم : ما تقولون في دعوة فلان إلى كذا ، يقول : كذا ، يقول : كذا ؛ حتى يتبصر ، قال الله تعالى : (النحل : ٤٣) ، فالله يقول : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ [1] ، أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله هم أهل الذكر ، أما أهل البدع فليسوا من أهل الذكر ، الدعاة إلى البدعة ليسوا هم أهل الذكر .

---

(١) سورة النحل آية : ٤٣ .

الاعتماد في طلب العلم على الكتب والأشرطة الإسلامية لعدم وجود عالم رباني يؤخذ منه العلم

س٥ : نحن في دولة لا يوجد فيها عالم رباني يؤخذ منه العلم ، ونعتمد على الكتب والأشرطة الإسلامية ، وقد ذكرتم : بأن العلم لا ينال إلا بالاطلاع ، فماذا نعمل ونحن في ظروفنا هذه ؟

ج٥ : عليكم أن تلتمسوا العلم في الأشرطة الطيبة من علماء الحق المعروفين : في نور على الدرب فيه خير ، برنامج نور على الدرب يذاع بين المغرب والعشاء من إذاعة نداء الإسلام ، ويذاع الساعة التاسعة والنصف ليلًا من إذاعة القرآن الكريم كل ليلة ، فيه علماء يتحرون الحق بالدليل ، وكذلك في الأشرطة الطيبة من العلماء استفيدوا منها ؛ فهي كأنكم سألتموهم .

واجتهدوا في السفر إلى الأماكن التي فيها العلماء ، وتحروا حلقات العلم ، ولو بين وقت وآخر ، كان السلف يسافرون مسافات طويلة هكذا ؛ لنيل العلم ، والحصول على العلم ، وانتظموا في الكليات والمعاهد النافعة ، واطلبوا ذلك ؛ حتى تستفيدوا . . هكذا يكون طالب العلم الحريص ، يطلب الأشرطة الطيبة ، يستمع إلى المقالات الطيبة ، والمحاضرات الطيبة ، يستمع إلى نور على الدرب ، يسافر إلى حلقات العلم ، ولو إلى مكان بعيد ، ولو في مسجد بعيد إلى علماء السنة ؛ يحضر حلقاتهم ويستفيد منهم ، كان السلف يسافرون من المغرب إلى مكة ، من المغرب الأقصى إلى مكة ، والمدينة ، ومن الشرق من الهند ، وباكستان وغير ذلك إلى مكة ، والمدينة لطلب العلم ، وإلى الشام ، فلكم قدوة إذا سافرتم إلى عالم تعرفونه أنه من أهل السنة ، تحضرون حلقات العلم عنده وتستفيدون . هذا كله طيب ، هذا من طلب العلم .

نسأل الله أن يوفق الجميع ، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح .

وفق الله الجميع ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه .

حوار مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
حول الفقه في الدين أجرته معه جريدة الشرق الأوسط [1]

قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم والضوابط الشرعية لهذه العلاقة

س١ : من المسائل المثارة قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم والضوابط الشرعية لهذه العلاقة . سماحة الشيخ : هناك من يرى أن اقتراف الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتب عليه ضرر للمسمين في البلد . والأحداث التي يعاني منها عالمنا الإسلامي كثيرة ، فما رأي سماحتكم في هذا ؟

ج١ : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بداه ، أما بعد :

فقد قال الله ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [2] فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر ، وهم : الأمراء ، والعلماء ، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة ، وهي فريضة في المعروف .

والنصوص من السنة تبين المعنى ، وتقيد إطلاق الآية بأن المراد : طاعتهم بالمعروف ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي ، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية ، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها ؛ لقولـه ﷺ : ﴿ ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينـزعن يدًا

(١) (نشر هذا الحوار في جريدة الشرق الأوسط في العدد (٥٢٨٩) ، بتاريخ (١ / ١٢ / ١٤١٣هـ) الموافق (٢٢ / ٥ / ١٩٩٣م) ، تحت عنوان : (سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في حوار خاص مع الشرق الأوسط) ، حول ما أثارته محاضرة (الفقه في الدين) لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، من أسئلة واستفسارات لدى قراء الجريدة) .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

من طاعة ﴿ [1] ، ولقولـه ﷺ : ﴿ من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ﴾ [2] ، وقال عليه السلام : ﴿ على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ﴾ [3] ، وسأله الصحابة - رضي الله عنهم - لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون : ﴿ قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : أدوا إليهم حقهم ، وسلوا الله حقكم ﴾ [4] ، قال عبادة رضي الله عنه بايعنا رسول الله ﷺ على ألا ننازع الأمر أهله ، قال : ﴿ إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان ﴾ [5] .

فهذا يدل على أنه لا يجوز منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان ؛ وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فسادًا كبيرًا وشرّا عظيمًا ، فيختل به الأمن ، وتضيع الحقوق ، ولا يتيسر ردع الظالم ، ولا نصر المظلوم ، وتختل السبل ولا تأمن ، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير ، إلا إذا رأى المسلمون كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان ، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة ، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا ، أو كان الخروج يسبب شرّا أكثر فليس لهم الخروج ؛ رعاية لمصالح العامة .

والقاعدة الشرعية المجمع عليها : (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه ، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه) ، أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين ، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفرًا بواحًا عندها قدرة تزيله

---

(١) مسلم الإمارة (١٨٥٥) ، أحمد (٢٤/٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٧) .
(٢) البخاري الفتن (٦٦٤٦) ، مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، أحمد (٣١٠/١) ، الدارمي السير (٢٥١٩) .
(٣) البخاري الأحكام (٦٧٢٥) ، مسلم الإمارة (١٨٣٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٦) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٤) ، أحمد (١٤٢/٢) .
(٤) البخاري الفتن (٦٦٤٤) ، مسلم الإمارة (١٨٤٣) ، الترمذي الفتن (٢١٩٠) ، أحمد (٣٨٧/١) .
(٥) البخاري الفتن (٦٦٤٧) ، مسلم الإمارة (١٧٠٩) .

با ، وتضع إمامًا صالحًا طيبًا من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين ، وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس . أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير واختلال الأمن ، وظلم الناس ، واغتيال من لا يستحق الاغتيال . . . إلى غير هذا من الفساد العظيم ؛ فهذا لا يجوز ، بل يجب الصبر ، والسمع والطاعة في المعروف ، ومناصحة ولاة الأمور ، والدعوة لهم بالخير ، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير .

هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك ؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة ؛ ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير ؛ ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر .

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية .

التزام حدود الشرع ومناصحة من ولاهم الله الأمور

س٢ : سماحة الوالد : تعلم أن هذا الكلام أصل من أصول أهل السنة والجماعة ، ولكن هناك - للأسف - من أبناء أهل السنة والجماعة من يرى هذا فكرًا انزاميًّا ، وفيه شيء من التخاذل ، وقد قيل هذا الكلام ؛ لذلك يدعون الشباب إلى تبني العنف في التغيير ؟

ج ٢ : هذا غلط من قائله ، وقلة فهم ؛ لأنم ما فهموا السنة ولا عرفوها كما ينبغي ، وإنما تحملهم الحماسة والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا فيما يخالف الشرع ، كما وقعت الخوارج والمعتزلة ، حملهم حب نصر الحق أو الغيرة للحق ، حملهم ذلك على أن وقعوا في الباطل حتى كفروا المسلمين بالمعاصي كما فعلت الخوارج ، أو خلدوهم في النار بالمعاصي كما تفعل المعتزلة .

فالخوارج كفروا بالمعاصي ، وخلدوا العصاة في النار ، والمعتزلة وافقوهم في العاقبة ، وأنهم في النار مخلدون فيها ، ولكن قالوا : إنهم في الدنيا بمنـزلة بين المنـزلتين ، وكله ضلال .

والذي عليه أهل السنة - وهو الحق - أن العاصي لا يكفر بمعصيته ما لم يستحلها ، فإذا زنا لا يكفر ، وإذا سرق لا يكفر ، وإذا شرب الخمر لا يكفر ، ولكن يكون عاصيًا ضعيف الإيمان فاسقًا تقام عليه الحدود ، ولا يكفر بذلك إلا إذا استحل المعصية وقال : إنها حلال ، وما قاله الخوارج في هذا باطل ، تكفيرهم للناس باطل ؛ ولهذا قال فيهم النبي ﷺ : ﴿ إنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه ، يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، ﴾ [1] هذه حال الخوارج بسبب غلوهم وجهلهم وضلالهم ، فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يقلدوا الخوارج والمعتزلة ، بل يجب أن يسيروا على مذهب أهل السنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية ، فيقفوا مع النصوص كما جاءت ، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معاص وقعت منه ، بل عليهم المناصحة بالمكاتبة والمشافهة ، بالطرق الطيبة الحكيمة ، وبالجدال بالتي هي أحسن ؛ حتى ينجحوا ، وحتى يقل الشر أو يزول ويكثر الخير .

هكذا جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ والله ﷻ يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [2] .

فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا حدود الشرع ، وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور ، بالكلام الطيب ، والحكمة ، وبالأسلوب الحسن ، حتى يكثر الخير ويقل الشر ، وحتى يكثر الدعاة إلى الله ، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن ، لا بالعنف والشدة ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة ،

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٦٦) ، مسلم صلاة الاستسقاء (٩٠٠) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أحمد (٢٢٣/١) .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

مع الدعاء لهم بظهر الغيب : أن الله يهديهم ويوفقهم ويعينهم على الخير ، وأن الله يعينهم على ترك المعاصي التي يفعلونا وعلى إقامة الحق .

هكذا يدعو المؤمن الله ويتضرع إليه أن يهدي ولاة الأمور ، وأن يعينهم على ترك الباطل ، وعلى إقامة الحق بالأسلوب الحسن وبالتي هي أحسن ، وهكذا مع إخوانه الغيورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم ؛ حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسن ، لا بالعنف والشدة ، وبذا يكثر الخير ، ويقل الشر ، ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه ، وتكون العاقبة حميدة للجميع .

س ٣ : لو افترضنا أن هناك خروجًا شرعيًا لدى جماعة من الجماعات ، هل هذا يبرر قتل أعوان هذا الحاكم وكل من يعمل في حكومته مثل : الشرطة والأمن وغيرهم ؟

ج٣ : سبق أن أخبرتك : أنه لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين :

أحدهما : وجود كفر بواح ، عندهم من الله فيه برهان .

والشرط الثاني : القدرة على إزالة الحاكم إزالة لا يترتب عليها شر أكبر منه ، وبدون ذلك لا يجوز .

الكافر المستوطن أو الوافد المستأمن

س٤ : يظن البعض من الشباب حفظك الله أن مجافاة الكفار - ممن هم مستوطنون في البلاد الإسلامية أو من الوافدين - من الشرع ؛ ولذلك البعض يستحل قتلهم وسلبهم إذا رأوا منهم ما ينكرون .

ج٤ : لا يجوز قتل الكافر المستوطن ، أو الوافد المستأمن الذي أدخلته الدولة آمنًا ، ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم ، بل يحالون فيما يحدث منهم من المنكرات للحكم الشرعي ، وفيما تراه المحاكم الشرعية الكفاية .

س ٥ : وإذا لم توجد محاكم شرعية ؟

ج٥ : إذا لم توجد محاكم شرعية ، فالنصيحة فقط ، النصيحة لولاة الأمور ، وتوجيههم للخير ، والتعاون معهم ؛ حتى يُحَكِّمُوا شرع الله . أما أن الآمر والناهي يمد يده فيقتل أو يضرب فلا يجوز ، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن ؛ حتى يُحَكِّمُوا شرع الله في عباد الله ، وإلا فواجبه النصح ، وواجبه التوجيه إلى الخير ، وواجبه إنكار المنكر بالتي هي أحسن ، هذا هو واجبه ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١) ؛ لأن إنكاره باليد أو بالقتل أو الضرب يترتب عليه شر أكثر وفساد أعظم بلا شك ولا ريب لكل من سبر هذه الأمور وعرفها .

من يحق له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالذات التغيير باليد

س٦ : هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالذات التغيير باليد حق للجميع ، أم أنه حق مشروط لولي الأمر أو من يعينه ولي الأمر ؟

ج٦ : التغيير للجميع حسب استطاعته ؛ لأن الرسول ﷺ يقول : ﴿ من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ (٢) ، لكن التغيير باليد لا بد أن يكون عن قدرة لا يترتب عليه فساد أكبر وشر أكثر ، فليغير باليد في بيته : على أولاده ، وعلى زوجته ، وعلى خدمه ، وهكذا الموظف في الهيئة المختصة المعطى له صلاحيات ، يغير بيده ، حسب التعليمات التي لديه ، وإلا فلا يغير شيئًا ليس له فيه صلاحية ؛ لأنه إذا غيره بيده فيما لا يدخل تحت صلاحيته يترتب ما هو أكثر شرّا ، ويترتب بلاء كثير وشر عظيم بينه وبين الناس ، وبينه وبين الدولة . ولكن عليه أن يغير باللسان كأن يقول : (اتق الله يا فلان ، هذا لا

(١) سورة التغابن آية : ١٦ .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٤/٣) .

يجوز) ، (هذا حرام عليك) ، (هذا واجب عليك) ، يبين له بالأدلة الشرعية باللسان ، أما باليد فيكون في محل الاستطاعة ، في بيته ، أو فيمن تحت يده ، أو فيمن أُذن له فيه من جهة السلطان أن يأمر بالمعروف ، كالهيئات التي يأمرها السلطان ويعطيها الصلاحيات ، يغيرون بقدر الصلاحيات التي أعطوها على الوجه الشرعي الذي شرعه الله ، لا يزيدون عليه ، وهكذا أمير البلد يغير بيده على حسب التعليمات التي لديه .

الخروج على الأنظمة العامة التي يضعها ولي الأمر كالمرور والجمارك والجوازات

س٧ : هناك من يرى - حفظك الله - أن له الحق في الخروج على الأنظمة العامة التي يضعها ولي الأمر كالمرور والجمارك والجوازات . . إلخ ، باعتبار أنها ليست على أساس شرعي ، فما قولكم - حفظكم الله - ؟

ج٧ : هذا باطل ومنكر ، وقد تقدم : أنه لا يجوز الخروج ولا التغيير باليد ، بل يجب السمع والطاعة في هذه الأمور التي ليس فيها منكر ، بل نظمها ولي الأمر لمصالح المسلمين ، فيجب الخضوع لذلك ، والسمع والطاعة في ذلك ؛ لأن هذا من المعروف الذي ينفع المسلمين ، وأما الشيء الذي هو منكر ؛ كالضريبة التي يرى ولي الأمر أنها جائزة فهذه يراجع فيها ولي الأمر للنصيحة والدعوة إلى الله ، وبالتوجيه إلى الخير ، لا بيده يضرب هذا أو يسفك دم هذا أو يعاقب هذا بدون حجة ولا برهان ، بل لا بد أن يكون عنده سلطان من ولي الأمر يتصرف به حسب الأوامر التي لديه ، وإلا فحسبه النصيحة والتوجيه ، إلا فيمن هو تحت يده من أولاد وزوجات ونحو ذلك ممن له السلطة عليهم .

من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر

س٨ : هل من مقتضى البيعة - حفظك الله - الدعاء لولي الأمر ؟

ج٨ : من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر ، ومن النصح : الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة ؛ لأن من أسباب صلاح الوالي ، ومن أسباب توفيق

الله له : أن يكون له وزير صدق ، يعينه على الخير ، ويذكره إذا نسي ، ويعينه إذا ذكر ، هذه من أسباب توفيق الله له .

فالواجب على الرعية وعلى أعيان الرعية التعاون مع ولي الأمر في الإصلاح وإماتة الشر والقضاء عليه ، وإقامة الخير بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والتوجيهات السديدة التي يرجى من ورائها الخير دون الشر ، وكل عمل يترتب عليه شر أكثر من المصلحة لا يجوز ؛ لأن المقصود من الولايات كلها تحقيق المصالح الشرعية ، ودرء المفاسد ، فأي عمل يعمله الإنسان يريد به الخير ويترتب عليه ما هو أشر مما أراد إزالته وما هو منكر لا يجوز له .

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى إيضاحًا كاملًا في كتاب "الحسبة" فليراجع ؛ لعظم الفائدة .

من يمتنع عن الدعاء لولي الأمر

س٩ : من يمتنع عن الدعاء لولي الأمر حفظك الله ؟

ج٩ : هذا من جهله وعدم بصيرته ؛ لأن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ، ومن أفضل الطاعات ، ومن النصيحة لله ولعباده ، والنبي ﷺ لما قيل له : إن دوسًا عصت وهم كفار ، قال : ﴿ اللهم اهد دوسًا وائت بهم ﴾ [(١)] ، فهداهم الله وأتوه مسلمين .

فالمؤمن يدعو للناس بالخير ، والسلطان أولى من يدعى له ؛ لأن صلاحه صلاح للأمة ، فالدعاء له من أهم الدعاء ، ومن أهم النصح : أن يوفق للحق ، وأن يعان عليه وأن يصلح الله له البطانة ، وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء ، فالدعاء له بالتوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل وصلاح البطانة من أهم المهمات ، ومن أفضل القربات ، وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال : (لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان) ، ويروى ذلك عن الفضيل بن عياض رحمه الله . والله ولي التوفيق .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٧٧٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٢٤) ، أحمد (٢/٢٤٣) .

ثبت المصادر والمراجع

ملحوظة رتبت هذه المصادر حسب ورودها في الكتاب

١- القرآن الكريم

٢- صحيح البخاري طبعة المكتبة الإسلامية إسطنبول .

٣- صحيح مسلم

٤- تفسير ابن كثير طبعة مكتبة الرياض الحديثة .

٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .

٦- المسند للإمام أحمد طبعة الميمنية .

٧- سنن الترمذي ط دار الكتب العلمية بيروت .

٨- رسالة التوحيد لمحمد عبده

٩- سنن أبي داود ط دار ابن حزم بيروت .

١٠- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية .

١١- زاد المعاد لابن القيم .

١٢- مجموعة التوحيد .

١٣- كلمة الإخلاص لابن رجب .

١٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بليان .

١٥- تيسير العزيز الحميد .

١٦- فتح ا لمجيد .

١٧- إعلام الموقعين .

١٨- الصوفية معتقدا ومسلكًا .

١٩- التصوف المنشأ والمصادر .

٢٠- مصرع التصوف .

٢١- العبودية لابن تيمية .
٢٢- تلبيس إبليس .
٢٣- الاعتصام للشاطبي .
٢٤- جامع العلوم والحكم لابن رجب .
٢٥- سنن الدارمي طبعة أكادمي باكستان .
٢٦- الباعث على إنكار البدع والحوادث .
٢٧- اقتضاء الصراط المستقيم بتحقيق الدكتور ناصر العقل .
٢٨- رسالة الورد في عمل المولد .
٢٩- سنن ابن ماجه طبعة دار إحياء التراث العربي .
٣٠- سنن النسائي طبعة دار الفكر العربي بيروت .
٣١- سنن البيهقي .
٣٢- إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المسماه السيرة الحلبية .
٣٣- الموطأ للإمام مالك طبعة دار النفائس بيروت .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس